

الكتاب: تفسير السمرقندي  
المؤلف: أبو الليث السمرقندي  
الجزء: ٢  
الوفاة: ٣٨٣  
المجموعة: مصادر التفسير عند السنة  
تحقيق: د. محمود مطرجي  
الطبعة:  
سنة الطبع:  
المطبعة: بيروت - دار الفكر  
الناشر: دار الفكر  
ردمك:  
ملاحظات:

سورة الأنفال مدنية وهي سبعون وخمس آيات

سورة الأنفال ١ - ٤

قوله تعالى \* (يسألونك عن الأنفال) \* يعني الغنائم واحدها نفل غنيمة وكذلك قال لبيد

(إن تقوى ربنا خير نفل

\* وبإذن الله ريثي وعجل)

(من هداه سبل الخير اهتدى

\* ناعم البال ومن شاء أضل)

قال ابن عباس \* (عن) \* صلة في الكلام وإنما هو يسألونك الأنفال يعني الغنائم ويقال

فيه تقديم ومعناه يسألون عنك الأنفال ويقال معناه يسألونك لمن الأنفال يقال إنما هم

سألوا عنها لأنها كانت محرمة من قبل فسألوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم

فنزل \* (يسألونك عن الأنفال) \* يعني الغنائم

قال الفقيه حدثنا أبو الفضل بن أبي حفص قال حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال حدثنا

إبراهيم بن أبي داود قال حدثنا سعيد بن أبي مريم عن عبد الرحمن بن أبي زياد عن عبد

الرحمن بن الحارث عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة عن عبادة بن

الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر فلقى العدو فلما هزمهم الله

تعالى أتبعهم طائفة من المسلمين يقتلونهم وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه

وسلم وإستولت طائفة بالعسكر والنهب فقال الذين طلبوهم نحن طلبنا إحاطة العدو

وبنا نفاهم الله تعالى وهزمهم فلنا النفل وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه

وسلم نحن أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا ينال العدو منه غرة فهو لنا

وقال الذين إستولوا على العسكر والنهب والله ما أنتم بأحق منا بل هو لنا نحن حويناها

واستولينا عليه فأنزل الله تعالى \* (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) \* فقسم النبي صلى الله عليه وسلم بينهم عن فواق أي عن سواء وروى أسباط عن السدي قال كانت الأنفال لله ورسوله فنسخ بقوله \* (فأن لله خمسه وللرسول) \* [الأنفال: ٤١] وعن عكرمة ومجاهد مثله قوله تعالى \* (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) \* يعني إخشوا الله وأطيعوه في أمر الغنيمة وأصلحوا ما بينكم من الاختلاف في الغنيمة \* (وأطيعوا الله ورسوله) \* يعني في أمر الصلح والغنيمة \* (إن كنتم مؤمنين) \* يعني إن كنتم مصدقين ويقال معناه اتركوا المرء في أمر الغنيمة إن كنتم مصدقين

ثم نعت المؤمنين المصدقين فقال الله تعالى \* (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) \* ويقال إنما المصدقون الذين إذا أمروا بأمر في أمر الغنيمة وغيرها من قبل الله تعالى خافت قلوبهم ويقال إنما المصدقون \* (الذين إذا ذكر الله) \* أي ذكر عندهم أمر الله ويقال الذين إذا أمروا بأمر من الله \* (وجلت قلوبهم) \* يعني قبلت قلوبهم فسمي قبول القلوب وجلا لأن بالوجل يثبت القبول لأنهم وجلوا عقوبة الله تعالى فقبلوه ثم قال \* (وإذا تليت عليهم آياته) \* يعني إذا قرئت عليهم آياته بالأمر والنهي في أمر الصلح وغيره \* (زادتهم إيماناً) \* يعني تصديقاً وبقينا وقال الضحاك يعني زادتهم تصديقاً بحكم الناسخ مع تصديقهم بالمنسوخ وقال الزجاج تأويل الإيمان التصديق فكل ما تلي عليهم من عند الله تصديقاً صدقوا به فزادهم تصديقاً فذلك زيادة إيمانهم وروي عن ابن عباس أنه قال زادتهم تصديقاً بالفرائض مع تصديقهم بالله \* (وعلى ربهم يتوكلون) \* يعني يفوضون أمرهم إلى الله ويثقون به ولا يثقون بما في أيديهم من الغنائم ويعلمون أن الله رازقهم

ثم قال الله تعالى \* (الذين يقيمون الصلاة) \* يعني يتمونها في مواقيتها بركوعها وسجودها \* (ومما رزقناهم ينفقون) \* يعني يتصدقون مما أعطيناهم من الأموال وينفقونها في طاعة الله

قوله تعالى \* (أولئك هم المؤمنون حقا) \* يعني أهل هذه الصفة هم المؤمنون الموحدون \* (حقاً) \* صدقاً وهم المصدقون \* (لهم درجات عند ربهم) \* يعني فضائل عند ربهم في الآخرة ويقال لهم منازل في الرفعة على قدر أعمالهم \* (ومغفرة ورزق كريم) \*

يعني مغفرة لذنوبهم وثواب حسن في الجنة ويقال الفتوح والغنيمة قال ابن عباس في قوله \* (أولئك هم المؤمنون حقا) \* قال المؤمن مؤمن حقا والكافر كافر حقا

سورة الأنفال ٥ - ٦

قوله تعالى \* (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) \* قال القتيبي معناه كراحتهم فيما فعلته في الغنائم ككراحتهم الخروج معك ويقال معناه أولئك هم المؤمنون حقا " كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كان فريقا من المؤمنين لكارهون " فكذلك نفل الغنيمة لمن نشاء وإن كرهوا ذلك ويقال هذا ابتداء القصة ومعناه إمض على وجهك كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون

قوله تعالى \* (يجادلونك في الحق) \* وكان هذا بعد خروجه إلى بدر وكانت غزوة بدر في السنة الثانية من مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وفي تلك السنة حولت القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام وكانت غزوة بدر في شهر رمضان وكانت قصته أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن عير قريش خرجت من الشام فيهم أبو سفيان بن حرب ومخرمة بن نوفل في أربعين رجلا من تجار قريش ويقال أكثر من ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه هذه عير أبي سفيان قد أقبلت فأخرجوا إليها فلعل الله أن ينفلكموها على جهادكم وتتقوا بها على عدوكم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من جهينة حليفين في الأنصار بأن ينظرا ويأتيا بخبر العير فخرجا وأتيا وادي الصفراء وهي منزل من أحد على طريق الشام فقالا لأهل الصفراء هل أحسستم من أحد فقالوا لا فخرجا فمرا بجاريتين تتلازمان فقالت إحداهما للأخرى إقضيني درهما لي عليك فقالت لا والله ما عندي اليوم ولكن عير قريش نزلت بموضع كذا يقدمون غدا فأعمل لهم فأقضيك درهمك فسمع الرجلان ما قالت الجاريتان فرجعا وأخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فجاء أبو سفيان بن حرب حين أمسى الصفراء فقال لأهل الصفراء هل أحسستم من أحد قالوا لا إلا رجلين نزلا عند هذا الكثيب ثم ركبا فرجع أبو سفيان إلى ذلك الموضع فرأى هناك بعرا الإبل فأخذ بعرة ففتها فوجد فيه النوى فقال علائف أهل يثرب واللات والعزى فأرسل من الطريق ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة يخبرهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد اعترض لعيركم فأدركوها وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت قبل أن يقدم ضمضم بن عمرو بثلاثة أيام في

منامها كأن راكبا أقبل على بعير أورق ومعه راية سوداء فدخل المسجد الحرام ثم نادى بأعلى صوته يا آل فلان يا آل فلان انفروا إلي مصارعكم إلي ثلاث ثم إرتقى على أبي قبيس ونادى ثلاث مرات ثم قلع صخرة من أبي قبيس فرماها على أعلى مكة فتكسرت فلم يبق أحد من قريش إلا أصابته فلقة منها فلما أصبحت قصت رؤياها على أخيها العباس وقالت إني خاف أن يصيب قومك سوء فاغتم العباس بما سمع منها وذكر العباس ذلك للوليد بن عتبة وكان صديقا له فذكر الوليد ذلك لأبيه عتبة بن ربيعة فذكر ذلك عتبة لأبي جهل بن هشام وفشا ذلك الحديث في قريش فخرج العباس إلى المسجد وقد اجتمع فيه صناديد قريش يتحدثون عن رؤيا عاتكة فقال أبو جهل يا أبا الفضل متى حدثت فيكم هذه النبوة أما رضيتم أن قلت من نبي حتى قلت من نبوة فوالله لنتظرن بكم ثلاثا فإن جاء تأويل هذه الرؤيا وإلا كتبنا عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب فقال له العباس يا كذاب يا مصفر الاست تالله أنت أولى بالكذب واللؤم منا

فلما كان اليوم الثالث جاء ضمضم وقد شق قميصه وجدع أذن ناقته وجعل التراب على رأسه وهو ينادي يا معشر قريش الغوث الغوث أدركوا غيركم فقد عرض لها محمد صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا وخرجوا وهم كارهون مشفقون لرؤيا عاتكة ومعهم القينات والدفوف بطرا ورياء كما قال الله تعالى \* (خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس) \* [الأنفال: ٤٧] وكل يوم يطعمهم واحد من أغنيائهم وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة وأمر أصحابه بالخروج فخرج معه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار فخرجوا على نواضحهم ليس لهم ظهر غيرها ومعهم ثلاثة أفراس ويقال فرسان فخرجوا بغير قوت ولا سلاح لا يرون أنه يكون ثمة قتالا فلما نزلوا بالروحاء نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم فأخبره بخروج المشركين من مكة إلى غيرهم وقال يا محمد إن الله تعالى وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما العسكر فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بخروج المشركين من مكة إلى غيرهم فشق ذلك على بعضهم وقالوا يا رسول الله هلا كنت أخبرتنا أنه يكون ثم قتالا فنخرج معنا سلاحنا وقسينا وفرسنا إنما خرجنا نريد العير والعير كانت أهون شوكة وأعظم غنيمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أشيروا علي فكان أبو بكر وعمر يشيران عليه بالمسير وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول أشيروا علي وكان يحب أن يكلمه الأنصار فقال سعد بن معاذ يا رسول الله إمض حيث شئت وأقم حيث شئت فوالله لئن أمرتنا أن نخوض في البحر لنخوضنه ولا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى \* (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون) \* [المائدة: ٢٤] ولكن نقول إذهب أنت وربك فقاتلا ونحن معكما متبعون فنزل \* (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) \* يعني إمض من الروحاء \* (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) \* \* (وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) \* يعني القتال " يجادلونك في



(7)

الحق) يخاصمونك في الحرب " بعدما تبين " يعني بعد ما تبين لهم أنك لا تصنع إلا ما أمرك الله به \* (كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) \* يعني ينظرون إلى القتل  
سورة الأنفال ٧ - ٨

ثم قال تعالى \* (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم) \* يعني الغنيمة إما العير وإما العسكر \* (وتودون أن غير ذات الشوكة) \* يعني تمنون غير ذات السلاح وقال القتيبي ومنه قيل فلان شاك في السلاح ويقال \* (غير ذات الشوكة) \* يعني شدة القتال \* (تكون لكم) \* الغنيمة \* (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته) \* يعني أن يظهر الإسلام بتحقيقه بما أنزل عليك من القرآن \* (ويقطع دابر الكافرين) \* يعني يهلك الشرك ويستأصله \* (ليحق الحق) \* يعني ليظهر الإسلام \* (ويبطل الباطل) \* يعني الشرك \* (ولو كره المجرمون) \* أي المشركون

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم سيروا على بركة الله فإنني رأيت مصارع القوم وجاءت قريش وأدركوا العير وأفلتوهم فقال بعضهم لبعض إنما خرجتم لأجل العير فلما وجدتم العير فارجعوا سالمين فقال أبو جهل لا نرجع حتى نقتل محمداً ومن معه فسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل بدرًا بجانب الوادي الأدنى ونزل المشركون على جانبه الأقصى على الماء والوادي فيما بينهما فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة حتى أوتر وكانت ليلة النصف من شهر شعبان وقال في قنوته اللهم لا تفلتن أبا جهل بن هشام وفلانا وفلانا فباتوا تلك الليلة وقد أجنبوا وليس معهم ماء فأتاهم الشيطان عند ذلك فوسوس إليهم فقال تزعمون أنكم على دين الله وأنكم تصلون محدثين مجنبيين والمشركون على الماء وكان الوادي ذا رمل تغيب فيه الأقدام فمطرت السماء حتى سال الوادي فاشتد ذلك الرمل واغتسل المسلمون من جنابتهم وشربوا وسقوا دوابهم فذلك قوله \* (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) \* [الأنفال: ١١] إلى قوله \* (ويثبت به الأقدام) \* [الأنفال: ١١]

وكان علي والزبير يحرسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء سقاة قريش يستقون الماء فأخذهم علي والزبير فسألأهم عن أبي سفيان فقالوا ما لنا بأبي سفيان من علم فقالا فمع من أنتم فقالوا مع قريش من أهل مكة فقالا فكم هم قالوا لا ندري هم كثير فضرباهم فقالوا هم قليل فتركاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضربونهم إن صدقوكم وتركونهم إن كذبوكم

فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كم القوم فقالوا كم هم وهم كثير فلا ندري كم هم فقال كم ينحر لهم في كل يوم فقالوا في يوم ينحر لهم عشرة جذور وفي يوم تسعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم القوم ما بين تسعمائة إلى ألف وكانت عدتهم تسعمائة وخمسين وكانوا قد خرجوا من مكة ألفا ومائتين وخمسين فرجع الأخنس بن شريق مع ثلاثمائة من بني زهرة مع العير وبقي تسعمائة وخمسون رجلا فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف الغداة ورفع يديه وقال اللهم لا تهلك هذه العصابة فإنك إن أهلكتهم لا تعبد على وجه الأرض أبدا فقال أبو بكر عليك يا رسول الله قد دنا القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبشر يا أبا بكر فإنني رأيت جبريل معتمرا بعمامة يقود فرسا بين السماء والأرض فأمدته الله بجبريل في ألف من الملائكة وميكائيل في ألف من الملائكة وإسرافيل في ألف من الملائكة فذلك قوله \* [يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين] \* [آل عمران: ١٢٤]

فقال أبو جهل اللهم أنصر أحب الدينين إليك ديننا العتيق ودين محمد الحديث فقال عتبة بن ربيعة يا معشر قريش إن محمدا رجل منكم فإن يكن نبيا فأنتم أسعد الناس به وإن يكن ملكا تعيشوا في ملك أحيكم وإن يك كاذبا يقتله سواكم لا يكون هذا منكم وإني مع ذلك لأرى قوما زرق العيون لا يموتون حتى يقتلوا عددا منكم فقال أبو جهل يا أبا الوليد جنت وإنتفخ سحرك فقال له عتبة يا كذاب ستعلم اليوم أينما الجبان فلبس لأمته وخرج معه أخوه شيبه بن ربيعة وخرج معه ابنه الوليد بن عتبة وتقدموا إلى القوم وقالوا يا محمد ابعث إلينا أكفأنا فخرج إليهم قوم من الأنصار فقالوا لهم من أنتم فقالوا نحن أنصار الله ورسوله فقالوا لا نريدكم ولكن نريد إخواننا من قريش فانصرفوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم تقدموا إليهم فقام إليهم علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعليهم البيض فقال لهم عتبة تكلموا حتى نعرفكم فقال حمزة أنا أسد الله وأسد رسوله فقال عتبة كفوء كريم قال فمن هذان معك فقال علي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث فذهب الشيخ إلى الشيخ والشاب إلى الشاب والكهل إلى الكهل فذهب عبيدة إلى شيبه بن ربيعة وكلاهما شيخان وذهب علي إلى الوليد بن عتبة وكلاهما شابان وذهب حمزة إلى عتبة بن ربيعة وكلاهما كهلان فقتل حمزة بن عبد المطلب عتبة بن ربيعة وقتل علي بن أبي طالب الوليد بن عتبة واختلف عبيدة بن الحارث وشيبه بن ربيعة ضربتين ضرب عبيدة بالسيف على رأس شيبه بن ربيعة وضرب شيبه ضربة في رجل عبيدة فمال حمزة وعلي على شيبه بن ربيعة فقتلا شيبه وحملا



عبيدة إلى العسكر فمات عبيدة في حال انصرافهم قبل أن يصل إلى المدينة فدفن بمضيق الصفراء

ففي هذا الخبر دليل من الفقه أن المشركين إذا طلبوا البراز فلا بأس للمؤمنين بأن يخرجوا بغير إذن الإمام ما لم ينههم عن ذلك لأن الأنصار قد خرجوا قبل أن يأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل أنه لا بأس بأن ينصر أحد المبارزين صاحبه لأن حمزة وعلياً قد أعانا عبيدة على قتل شيبه وفيه دليل أنه لا بأس بالإفخار عند الحرب لأن حمزة قال أنا أسد الله وأسد رسوله ولا بأس بأن يتبختر في مشيته في حال القتال

ثم خرج مهجع مولى عمر بن الخطاب فأصابته رمية بين الصفيين وكان أول قتيل يوم بدر وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس على القتال فقال عمير بن الحمام السلمي وهو قائم وفي يده تمرات يأكلها فقال يا رسول الله إن قتلت في سبيل الله فلي الجنة قال نعم فألقى التمرات وأخذ سيفه وشد على القوم فقاتل حتى قتل فخرج أبو جهل بن هشام على جمل له فخرج إليه شاب من الأنصار يقال له معاذ بن عمرو بن الجموح فضربه ضربة على فخذه فخر أبو جهل عن بعيره فخرج إليه عبد الله بن مسعود فلما رآه أبو جهل قال يا ابن أم عبد لمن الدولة اليوم وعلى من الدائرة فقال له ابن مسعود لله ولرسوله يا عدو الله لأنت أعتى من فرعون لأن فرعون جزع عند الغرق وأنت لم يزدك هذا المصرع إلا تماديا في الضلالة ثم وضع رجله على عاتق أبي جهل فقال له أبو جهل لأنت رويعنا بالأمس لقد إرتقيت مرتقى عظيما فقتله عبد الله بن مسعود وحز رأسه وجاء برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ساجدا ثم قال لأبي بكر ويقال قال لعلي ناولني كفا من التراب فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب ورمى بها في وجوه القوم وقال شأهت الوجوه فدخلت في أعين القوم كلهم وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسرون منهم وحملوا على المشركين والملائكة معهم وقذف في قلوب المشركين الرعب وقتلوا في تلك المعركة منهم سبعين وأسروا سبعين وأستشهد يومئذ من المهاجرين والأنصار ثلاثة عشر رجلا ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم والأسارى والغنائم إلى المدينة واستشار النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الأسارى فأقبل على أبي بكر فقال ما تقول يا أبا بكر فقال قومك وبنو عمك فإن قتلهم صاروا إلى النار وإن تفدهم ففعل الله يهديهم إلى الإسلام ويكون ما نأخذه منهم قوة للمسلمين وقوة على جهادهم بأعدائهم ثم أقبل على عمر فقال ما تقول يا أبا حفص فقال عمر إن في يديك رؤوس المشركين وصناديدهم فاضرب أعناقهم وسيغني الله المؤمنين من فضله فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثلك يا أبا بكر من الملائكة مثل ميكائيل فإنه لا ينزل إلا بالرحمة ومثلك من الأنبياء مثل إبراهيم حيث قال \* (فمن تبغني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) \* [إبراهيم: ٣٦] ومثل عيسى حيث قال \* (إن تعذبهم

فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) \* [المائدة: ١١٨]

ومثلك يا عمر من الملائكة مثل جبريل فإنه ينزل بالعذاب والشدة ومثلك من الأنبياء  
مثل نوح حيث قال \* (رب لا تذر علي الأرض من الكافرين ديارا) \* [نوح: ٢٦] ومثل  
موسى حيث قال \* (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا  
العذاب الأليم) \* [يونس: ٨٨]

وروى سماك بن حرب عن عكرمة عن عبد الله بن عباس قال قيل للنبي صلى الله عليه  
وسلم حين فرغ من بدر عليك بالغير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو أسير في وثاقه  
إنه لا يصلح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لأن الله تعالى وعدك إحدى  
الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك

سورة الأنفال ٩ - ١١

قوله تعالى \* (إذ تستغيثون ربكم) \* وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى كثرة  
المشركين علم أنه لا قوة لهم إلا بالله فدعا ربه فقال اللهم إنك لا تخلف الميعاد \*  
(فاستجاب) \* له ربه ونزل \* (إذ تستغيثون ربكم) \* يقول واذكروا إذ تسألون ربكم  
وتدعونه يوم بدر بالنصرة على عدوكم \* (فاستجاب لكم) \* يعني فأجابكم ربكم \*  
(أني ممدكم) \* يعني أزيدكم \* (بألف من الملائكة مردفين) \* يعني متتابعين بعضهم  
على أثر بعض قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر \* (مردفين) \* بالنصب وقرأ الباقون  
بالكسر وكلاهما يرجع إلى معنى واحد وهو المتتابع

وقال عكرمة أمدهم يوم بدر بألف من الملائكة ووعد لهم ثلاثة آلاف من الملائكة  
لغزوة بعدها بدعائه وزاده ألفين فذلك خمسة آلاف من الملائكة ويقال هذا كله كان  
في يوم بدر

ثم قال عز وجل \* (وما جعله الله إلا بشري) \* يقول وما أنزل الله الملائكة إلا للبشارة  
وقال بعضهم الملائكة لم يقاتلوا وإنما كانوا مبشرين وروى عن ابن عباس أنه قال  
قاتلت الملائكة يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الأحزاب ولا يوم حنين \* (وما جعله الله) \*  
يعني مدد الملائكة \* (إلا بشري) \* و \* (لتطمئن قلوبكم) \* يعني لتسكن إليه قلوبكم \*  
(وما النصر إلا من عند الله) \* يعني ليس النصر بقلة العدد ولا بكثرة العدد ولكن النصر  
من عند الله \* (أن الله عزيز حكيم) \* \* (عزيز) \* بالنقمة \* (حكيم) \* حكم بالنصرة

للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين والهزيمة للمشركين  
قوله تعالى \* (إذ يغشيكم النعاس) \* يقول ألقى عليكم النوم \* (أمنة منه) \* يعني أمنا من  
عند الله وروى عاصم عن ابن رزين عن عبد الله بن مسعود قال النعاس عند القتال

أمنة من الله وهو في الصلاة من الشيطان قرأ نافع \* (يعشيكم) \* بضم الياء وجزم الغين  
ونصب النعاس ومعناه يعشيكم الله النعاس وقرأ ابن كثير وأبو عمرو " يعشاكم " بالألف  
ونصب الياء وضم النعاس يعني أخذكم النعاس وقرأ الباقون بضم الياء وتشديد الشين  
ونصب النعاس ومعناه يعشيكم الله النعاس أمنة منه والتشديد للمبالغة  
ثم قال \* (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) \* يعني بالماء من الأحداث  
والجنابة \* (ويذهب عنكم رجز الشيطان) \* يعني وسوسة الشيطان وكيده وقال القتيبي  
أصل الرجز العذاب كقوله تعالى \* (رجزا من السماء) \* [البقرة: ٥٩] ثم سمي كيد  
الشيطان رجزا لأنه سبب للعذاب

ثم قال " وليربط على قلوبكم " يعني يشدد قلوبكم بالنصرة منه عند القتال \* (ويثبت به  
الأقدام) \* يعني لتستقر الأرجل على الرمل حتى أمكنهم الوقوف عليه ويقال \* (ويثبت  
به الأقدام) \* في الحرب

سورة الأنفال ١٢ - ١٤

ثم قال تعالى \* (إذ يوحى ربك إلى الملائكة) \* يعني ألهم ربك الملائكة \* (إني  
معكم) \* أي معينكم وناصركم \* (فثبتوا الذين آمنوا) \* يعني بشروا المؤمنين بالنصرة  
فكان الملك يمشي أمام الصف فيقول أبشروا فإنكم كثير وعدوكم قليل والله تعالى  
ناصركم \* (سألقي) \* يعني سأقذف \* (في قلوب الذين كفروا الرعب) \* يعني الخوف  
من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

ثم علم المؤمنين كيف يضربون ويقتلون فقال تعالى \* (فاضربوا فوق الأعناق) \* يعني  
على الأعناق \* (واضربوا منهم كل بنان) \* يعني أطراف الأصابع وغيرها ويقال كل  
مفصل قال الفقيه سمعت من حكى عن أبي سعيد الفاريابي أنه قال أراد الله إلا يلطخ  
سيوفهم بفرث المشركين فأمرهم أن يضربوا على الأعناق ولا يضربوا على الوسط  
ويقال معناه اضربوا كل شيء إستقبلكم من أعضائهم ولا ترحموهم \* (ذلك بأنهم) \*  
يعني ذلك الضرب والقتل بسبب \* (بأنهم شاقوا الله ورسوله) \* يعني عادوا الله ورسوله  
وخالفوا الله ورسوله \* (ومن يشاقق الله ورسوله) \* يعني من يخالف الله ورسوله \*  
(فإن الله شديد العقاب) \* إذا عاقب

ثم قال تعالى \* (ذلكم) \* القتل يوم بدر \* (فذوقوه) \* في الدنيا " وأن للكافرين عذاب

النار) يوم القيامة مع القتل في الدنيا يعني أن القتل والضرب لم يصير كفارة لهم  
سورة الأنفال ١٥ - ١٦

قوله تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا) \* يعني إذا لقيتم الذين كفروا  
بتوحيد الله تعالى يوم بدر \* (زحفا) \* يعني مزاحفة ويقال زحف القوم إذا دنوا للقتال  
ومعناه إذا واقعتموهم للقتال \* (فلا تولوهم الأدبار) \* يعني منهزمين \* (ومن يولهم  
يومئذ دبره) \* يعني تولى ظهره منهزما \* (يومئذ) \* يعني يوم حربهم وقال الكلبي يعني  
يوم بدر خاصة \* (إلا متحرفا لقتال) \* يعني مستطردا للكرة يريد الكرة للقتال \* (أو  
متحيزا إلى فئة) \* يعني ينحاز من فئة إلى فئة من أصحابه يمنعونهم من العدو قال أهل  
اللغة تحوزت وتحيزت أي انضمت إليه ومعناه إذا كان منفردا فينحاز ليكون مع  
المقاتلة \* (فقد باء بغضب من الله) \* وفي الآية تقديم يعني \* (ومن يولهم يومئذ دبره)  
\* \* (فقد باء بغضب من الله) \* أي إستوجب الغضب من الله \* (ومأواه جهنم وبئس  
المصير) \* إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة

وروي عن الحسن أنه قال كان كل هذا يوم بدر وغيره وعن الضحاك قال هذا يوم بدر  
خاصة خاصة لأنه لم يكن لهم فئة ينحازون إليها وعن داود بن أبي هند عن أبي نضرة  
قال نزلت يوم بدر لأنهم لم ينحازوا إلا إلى المشركين لم يكن في الأرض مسلمون  
غيرهم وقد قال بعضهم بأن الآية غير منسوخة لأنه لا يجوز للواحد أن يهرب من  
الاثنين ويجوز أن يهرب من الجماعة وإذا لم يكن معه سلاح جاز له أن يهرب ممن  
معه السلاح وإذا لم يكن راميا جاز له أن يهرب من الرامي فإذا كان عدد المسلمين  
نصف عدد الكفار ومعهم سلاح لا يجوز لهم أن يهربوا من الكفار وإذا كان المسلمون  
اثني عشر ألفا ومعهم سلاح لا يجوز لهم أن يهربوا من الكفار وإن كانوا مائة ألف لأنه  
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الصحابة أربعة وخير السرايا  
أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة إذا كانت  
كلمتهم واحدة فينبغي لهم أن يجعلوا كلمتهم واحدة ويقاتلوهم حتى ينصرهم الله تعالى  
والآية نزلت في الذي لا يجوز له الهرب وروى سليمان بن هلال عن ثور بن زيد عن  
أبي المغيث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إجتنبوا الموبقات

قالوا وما هي يا رسول الله قال الشرك بالله وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات

سورة الأنفال ١٧ - ١٨

قوله تعالى \* (فلم تقتلوهم) \* وذلك أن المسلمين كانوا يقولون قتلنا فلانا وقتلنا فلانا فأراد الله تعالى أن لا يعجبوا بأنفسهم فقال \* (فلم تقتلوهم) \* يقول فما قتلتموهم \* (ولكن الله قتلهم) \* يعني الله تعالى نصركم وأمدكم بالملائكة \* (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) \* يعني الله تعالى تولى ذلك وذلك حين رمى النبي صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فملاً الله تعالى أعينهم بها فانهمزوا قال الله تعالى \* (وما رميت) \* أي لم تصب رميتك ولم تبلغ ذلك المبلغ ولكن الله تعالى تولى ذلك ويقال رمى النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالحربة فأصابت أبي بن خلف الجمحي فقتله قرأ حمزة والكسائي \* (ولكن الله رمى) \* بكسر النون والتخفيف و \* (الله) \* بالضم وكذلك في قوله \* (ولكن الله قتلهم) \* وقرأ الباقون بنصب النون مع التشديد ونصب ما بعده

ثم قال \* (وليلي المؤمنين منه بلاء حسنا) \* يعني لينصرهم نصراً جميلاً ويختبرهم بالتتي هي أحسن ويقال ولينعم المؤمنين نعمة بينة \* (إن الله سميع عليم) \* يعني سميع لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وعليم بإجابته \* (ذلكم) \* يعني الهلاك والهزيمة للكفار ويقال معناه الأمر من ربكم \* (ذلكم) \* ثم ابتداء فقال \* (وأن الله موهن كيد الكافرين) \* يعني مضعف كيد الكافرين يعني صنيع الكافرين ببدر وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو \* (موهن كيد الكافرين) \* بنصب الواو والتشديد منونة \* (كيد) \* بنصب الدال وقرأ عاصم في رواية حفص \* (موهن) \* بضم النون بغير تنوين \* (كيد) \* بكسر الدال على معنى الإضافة وقرأ الباقون \* (موهن) \* بالتنوين والتخفيف \* (كيد) \* بنصب الدال والموهن والموهن واحد ويقال وهنت الشيء وأوهنته إذا جعلته واهناً ضعيفاً

سورة الأنفال ١٩

ثم قال تعالى \* (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) \* يقول إن تستنصروا فقد نصركم الله

وذلك حين قال أبو جهل بن هشام اللهم أنصر أعز الجندين إليك وأحب الفتيتين إليك فاستجيب دعاؤه على نفسه وعلى أصحابه ثم قال \* (وإن تنتهوا) \* عن قتاله \* (فهو خير لكم) \* من قتاله ويقال إن أهل مكة حين أرادوا الخروج إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم أي الفتيتين أحب إليك فانصرهم فنزل \* (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا) \* عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن الكفر \* (فهو خير لكم) \* من الإقامة عليه \* (وإن تعودوا) \* لقتال محمد صلى الله عليه وسلم \* (نعد) \* عليكم الهزيمة \* (ولن تغني عنكم فتكم) \* يعني جماعتكم \* (شيئا ولو كثرت) \* في العدد \* (وأن الله مع المؤمنين) \* يعني معين لهم وناصرهم قرأ نافع وابن عامر وعاصم في إحدى الروايتين \* (وأن الله) \* بالنصب والباقون بالكسر على معنى الاستئناف ويشهد لها قراءة عبد الله بن مسعود والله مع المؤمنين

سورة الأنفال ٢٠ - ٢١

ثم قال تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) \* في أمر الغنيمة والصلح \* (ولا تولوا عنه) \* يعني لا تعرضوا عن أمره ويقال عن طاعته ويقال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم \* (وأنتم تسمعون) \* المواعظ في القرآن وفي أمر الصلح قوله تعالى \* (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) \* يعني لم يسمعوا ولم يفهموا ولم يتفكروا فيما سمعوا ويقال إن قوله \* (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) \* أي قالوا أطعنا \* (وهم لا يسمعون) \* يعني لا يطيعون قال الكلبي وهم بنو عبد الدار لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن خويلد وقال الضحاك ومقاتل \* (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) \* الإيمان \* (وهم لا يسمعون) \* أي لا يؤمنون هم المنافقون

سورة الأنفال ٢٢ - ٢٣

ثم قال عز وجل \* (إن شر الدواب عند الله) \* يعني إن شر الناس عند الله \* (الصم) \* عن الهدى \* (البكم) \* يعني الخرس الذين لا يتكلمون بخير \* (الذين لا يعقلون) \* الإيمان يعني بني عبد الدار وغيرهم من الكفار الذين لم يسلموا قوله تعالى \* (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) \* يعني يقول لو علم الله تعالى فيهم صدقا لأعطاهم الإيمان وأكرمهم به \* (ولو أسمعهم) \* يعني لو أكرمهم بالإسلام \* (لتولوا وهم معرضون) \* يعني أعرضوا عن الإيمان بما سبق في علم الله فيهم وقال الزجاج معناه

\* (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) \* الجواب عن كل ما يسألون عنه \* (ولو أسمعهم) \* يعني ولو بين لهم كل ما يختلج في نفوسهم لأعرضوا عنه لمعاندتهم  
سورة الأنفال ٢٤ - ٢٦

قوله تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله) \* يعني أجبوا الله بالطاعة في أمر القتال \* (وللرسول إذا دعاكم) \* إلى القتال أو غيره وإنما قال \* (إذا دعاكم) \* ولم يقل إذا دعاكم لأن الدعوة واحدة ومن يجب الرسول فقد أجاب الله تعالى  
قوله تعالى \* (لما يحييكم) \* يعني القرآن الذي به حياة القلوب ويقال \* (لما يحييكم) \* أي أمر الحرب الذي يعزكم ويصلحكم ويقويكم بعد الضعف ويقال \* (لما يحييكم) \* يعني يهديكم ويقال \* (لما يحييكم) \* يعني لما يكون سببا للحياة الدائمة في نعيم الآخرة \* (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) \* قال الفقيه حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا فارس بن مردويه عن محمد بن الفضل عن أبي مطيع عن حماد بن سلمة عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال يحول بين المؤمن ومعاصيه التي تسوقه وتجره إلى النار ويحول بين الكافر وطاعته التي تجره إلى الجنة ويقال يحول بين المرء وإرادته لأن الأمر لا يكون بإرادة العبد وإنما يكون بإرادة الله تعالى كما قال أبو الدرداء (يريد المرء أن يعطى مناه \* ويأبى الله إلا ما أراد)

ويقال يحال \* (بين المرء وقلبه) \* يعني وأمله لأن الأجل حال دون الأمل وقال سعيد بن جبير يحول بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكفر وقال مجاهد \* (يحول بين المرء وقلبه) \* يعني يدركه ولا يفعله ثم قال \* (وأنه إليه تحشرون) \* يعني في الآخرة فتثابون بأعمالكم

قوله تعالى \* (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) \* قال مقاتل نزلت الآية في شأن علي وطلحة والزبير قال الفقيه حدثنا عمر بن محمد قال حدثنا أبو بكر الواسطي قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا قبيصة عن سفيان عن جوير عن الضحاك في قوله تعالى \* (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) \* قال نزلت في شأن أصحاب



محمد صلى الله عليه وسلم قال حدثنا عمر بن محمد قال حدثنا أبو بكر الواسطي قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا أبو معاوية عن السدي عن المعلى عن أبي ذر أن عمر أخذ بيده يوماً فغمزها فقال خل عني يا قفل الفتنة فقال عمر ما قولك قفل الفتنة قال إنك جئت ذات يوم فجلست آخر القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصيبنكم فتنة ما دام لهذا فيكم وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال جعلت أنا وعثمان فتنة لهذه الأمة وقال بعضهم قوله \* (لا تصيبن الذين ظلموا منكم) \* خاصة يعني لا تعرضوا الذين ظلموا منكم خاصة لما ينزل بهم وقال بعضهم هذا جواب الأمر بلفظ النهي مثل قوله تعالى \* (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) \* [النمل: ١٨]

ثم قال تعالى \* (واعلموا أن الله شديد العقاب) \* أي لمن وقع في الفتنة ثم ذكرهم النعم فقال \* (واذكروا إذ أنتم قليل) \* يعني واحفظوا نعمة الله عليكم إذ كنتم قليلاً في العدد وهم المهاجرون والأنصار \* (مستضعفون في الأرض) \* يعني مقهورون في أرض مكة \* (تخافون أن يتخطفكم الناس) \* يعني يختلسكم الناس ويذهب بكم الكفار وهم أهل فارس والروم \* (فأواكم) \* بالمدينة \* (وأيدكم) \* يعني وقواكم وأعانكم \* (بنصره) \* يوم بدر وقال قتادة كانوا بين أسدين قيصر وكسرى \* (تخافون أن يتخطفكم الناس) \* وهم أهل فارس والروم والعرب ممن حول مكة

ثم قال \* (ورزقكم من الطيبات) \* يعني الحلال وهو الغنيمة \* (لعلكم تشكرون) \* يعني لكي تشكروا الله وتطيعوه وتعرفوا ذلك منه

سورة الأنفال ٢٧ - ٢٩

قوله تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) \* روى أسباط عن السدي قال كانوا يسمعون من النبي عليه السلام الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنهاهم الله عن ذلك فقال \* (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) \* ويقال كل رجل مؤتمن على ما فرض الله عليه إن شاء أداها وإن شاء خانها وقال القتبي الخيانة أن يؤتمن على شيء فلا يؤدي إليه ثم سمى العاصي من المسلمين خائناً لأنه قد إئتمن على دينه فخان كما قال في آية أخرى \* (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) \* [البقرة: ١٨٧] ويقال نزلت الآية في أبي

لبابة بن عبد المنذر حين أشار إلى بني قريظة أن لا ينزلوا على حكم سعد وأشار إلى حلقه إنه الذبح وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حاصر بني قريظة من بعد انصرافهم من الخندق ووقف بباب الحصن وفيه ستمائة رجل من اليهود وقد كانوا ظاهروا قريشا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداهم يا إخوة القردة والخنازير إنزلوا على حكم الله ورسوله فقالت اليهود يا محمد ما كنت فحاشا قبل هذا فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة بن عبد المنذر فدخل على اليهود فركنوا إليه وقالوا يا أبا لبابة أتأمرنا بالنزول إلى محمد صلى الله عليه وسلم فأشار بيده إلى حلقه يعني إنه الذبح إن نزلتم إليه فقال أبو لبابة والذي نفسي بيده ما زالت قدماي من مكاني حتى علمت أنني قد خنت الله ورسوله وأوثق نفسه إلى سارية المسجد حتى أنزل الله تعالى توبته ونزل \* (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) \* \* (وتخونوا أماناتكم) \* يعني لا تخونوا أماناتكم \* (وأنتم تعلمون) \* أنها خيانة قال محمد بن إسحاق \* (لا تخونوا الله والرسول) \* يعني لا تظهروا له من الحق ما يرضى عنكم ثم تخالفوه في السر فإن ذلك هلاكاً لأنفسكم وخيانة لأماناتكم ثم قال عز وجل \* (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) \* يعني بلاء عليكم لأن أبا لبابة إنما ناصحهم من أجل ماله وولده الذي كان عند بني قريظة \* (وأن الله عنده أجر عظيم) \* يعني الجنة لمن صبر ولم يخن قوله تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله) \* يعني إن تطيعوا الله ولا تعصوه \* (يجعل لكم فرقانا) \* يعني يجعل لكم مخرجا ونجاة ونصرا في الدنيا ويقال المخرج من الشبهات وقال مجاهد مخرجا في الدنيا والآخرة \* (ويكفر عنكم سيئاتكم) \* يقول يمحو عنكم ذنوبكم \* (ويغفر لكم) \* يعني يستر ذنوبكم ويعيوبكم \* (والله ذو الفضل العظيم) \* يعني ذو الكرم والتجاوز عن عباده

سورة الأنفال ٣٠

قوله تعالى \* (وإذ يمكر بك الذين كفروا) \* وذلك أن نفرا من قريش اجتمعوا في دار الندوة وكانت قريش إذا اجتمعوا للمشورة والتدبير كانوا يجتمعون في تلك الدار فاجتمعوا فيها وأغلقوا الباب لكيلا يدخل رجل من بني هاشم ليمكروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويحتالوا في أمره

فدخل إبليس لعنه الله في صورة شيخ وعليه ثياب أطمار وجلس معهم فقالوا من أدخلك أيها الشيخ في خلوتنا بغير إذننا فقال أنا رجل من أهل نجد ورأيت حسن وجوهكم وطيب ريحكم فأردت أن أسمع حديثكم وأقتبس منكم خيرا وقد عرفت مرادكم فإن كرهتم مجلسي خرجت عنكم فقالوا هذا رجل من أهل نجد وليس من أرض تهامة لا بأس عليكم منه فتكلموا فيما بينهم فقال عمرو بن هشام أرى أن تأخذوه وتجعلوه في بيت وتسدوا بابه وتجعلوا له كوة لطعامه وشرابه حتى يموت فقال إبليس بئس الرأي الذي رأيت تعمدون إلى رجل له فيكم أهل بيت وقد سمع به من حولكم فتحبسونه وتطعمونه يوشك أهل بيته الذين له فيكم أن يقاتلوك ويفسدوا جماعتكم فقالوا صدق والله الشيخ ثم تكلم أبو البخري بن هشام قال أرى أن تحملوه على بعير ثم تخرجه من أرضكم حتى يموت أو يذهب به حيث شاء فقال إبليس بئس الرأي الذي رأيت تعمدون إلى رجل أفسد جماعتكم ومعه منكم طائفة فتخرجه إلى غيركم فيأتيهم سوء فيفسد منهم أيضا جماعة ويقبل إليكم ويكون فيه هلاككم فقالوا صدق والله الشيخ فقال أبو جهل أرى أن يجتمع من كل بطن منكم رجل ثم تعطونهم السيوف فيضربونه جميعا فلا يدري قومه من يأخذون وتؤدي قريش ديته فقال إبليس صدق والله هذا الشاب فتفرقوا على ذلك فأمره الله تعالى بالهجرة وأخبره بمكر المشركين فنزلت هذه الآية \* (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) \* يعني ليحبسوك في البيت \* (أو يقتلوك) \* بالسيف \* (أو يخرجوك) \* من مكة

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب بأن يبيت في مكانه ثم خرج ومعه أبو بكر ونام علي مكانه وأهل مكة يحرسونه ويظنون أنه في البيت ثم دخلوا البيت فإذا هو علي رضي الله عنه فقالوا يا علي أين محمد فقال لا أدري فطلبوه فلم يجدوه \* (ويمكرون) \* يعني ويمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويريدون به الشر \* (ويمكر الله) \* يعني ويريد بهم الهلاك حين أخرجهم إلى بدر فقتلوا \* (والله خير الماكرين) \* يعني أصدق الماكرين فعلا وأفضل الصانعين صنعا وأعدل العادلين عدلا

سورة الأنفال ٣١ - ٣٢

قوله تعالى \* (وإذا تتلى عليهم آياتنا) \* يعني القرآن \* (قالوا قد سمعنا) \* يعني قد سمعنا قولك \* (لو نشاء لقلنا مثل هذا) \* القرآن \* (إن هذا إلا أساطير الأولين) \* نزلت في شأن نضر بن الحارث كان يحدث عن الأمم الخالية من حديث رستم وإسفنديار فقال إن

الذي يخبركم محمد مثل ما أحدثكم من أحاديث الأولين وكذبهم فقال له عثمان بن مظعون إتق الله يا نضر فإنه ما يقول إلا حقا فقال النضر بن الحارث \* (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) \* يعني إن كان ما يقول محمد من القرآن حقا \* (فأمطر علينا حجارة من السماء) \* قال أبو عبيدة كل شيء في القرآن أمطر فهو من العذاب وما كان من الرحمة فهو مطر وروى أسباط عن السدي قال قال النضر بن الحارث اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء \* (أو اتتنا بعذاب أليم) \* فنزل \* (سأل سائل بعذاب واقع) \* [المعارج: ١] فاستجيب دعاؤه وقتل في بدر

قال سعيد بن جبير قتل النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم بدر صبيرا النضر بن الحارث وطعمة بن عدي وعتبة بن أبي معيط وكان النضر أسره المقداد فقال المقداد يا رسول الله أسيري فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه كان يقول في الله ورسوله ما يقول فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيري فقال اللهم أغن المقداد من فضلك فقال المقداد هذا الذي أردت فنزل \* (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) \* وكان ذلك القول من النضر حين كان النبي صلى الله عليه وسلم في مكة فأخبر الله تعالى أنه لا يعذبهم وأنت بين ظهرائهم حتى يخرجك عنهم كما أخرج الأنبياء قبلك عن قومهم ثم عذبهم سورة الأنفال ٣٣ - ٣٥

ثم قال عز وجل \* (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) \* يعني يصلون لله الصلوات الخمس وهم أهل الإيمان وقال مجاهد \* (وهم يستغفرون) \* يعني وهم مسلمون ويقال فيهم من يؤول أمره إلى الإسلام ويقال \* (وهم يستغفرون) \* يعني وفي أصلابهم من يسلم وروي عن أبي موسى الأشعري قال كان أمانان في الأرض رفع أحدهما وبقي الآخر \* (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) \* \* (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) \* وقال عطية \* (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) \* يعني المشركين حتى يخرجك منهم \* (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) \* يعني المؤمنين ثم عاد إلى ذكر المشركين فقال \* (وما لهم ألا يعذبهم الله) \* يعني بعد ما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بينهم \* (وهم يصدون عن المسجد الحرام) \* يعني يمنعون المؤمنين عن المسجد الحرام \* (وما كانوا أولياءه) \* يعني المشركين قال الكلبي يعني ما كانوا

أولياء المسجد الحرام ويقال وما كانوا أولياء الله \* (إن أولياؤه إلا المتقون) \* يعني ما كان أولياء الله إلا المتقون من الشرك \* (ولكن أكثرهم لا يعلمون) \* توحيد الله ثم قال \* (وما كان صلاتهم) \* معناه وما لهم ألا يعذبهم الله \* (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) \* يعني لم تكن صلاتهم حول البيت \* (إلا مكاء) \* يعني إلا الصفير \* (وتصدية) \* يعني التصفيق باليدين إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام قرأ الأعمش \* (ما كان صلاتهم) \* بالنصب \* (إلا مكاء وتصدية) \* كلاهما بالضم وهكذا قرأ عاصم في إحدى الروايتين فجعل الصلاة خبر كان وجعل المكاء والتصدية اسم كان وقرأ الباقر \* (صلاتهم) \* بالضم فجعلوه اسم كان " ومكاء وتصدية " بالنصب على معنى خبر كان ثم قال \* (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) \* بتوحيد الله تعالى فأهلكهم الله في الدنيا ولهم عذاب الخلود في الآخرة

سورة الأنفال ٣٦ - ٣٨

قوله تعالى \* (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم) \* على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم \* (ليصدوا عن سبيل الله) \* يعني ليصرفوا الناس عن دين الله وطاعته قال ابن عباس نزلت الآية في المطعمين يوم بدر وهم الذين كانوا يطعمون أهل بدر حين خرجوا في طريقهم

قال الله تعالى \* (فسينفقونها) \* وكانوا ثلاثة عشر رجلاً أطعموا الناس الطعام فكان على كل رجل منهم يوماً منهم أبو جهل وأخوه الحارث ابنا هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ومنبه ونبه ابنا الحجاج وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وغيرهم

يقول الله تبارك وتعالى \* (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة) \* يعني تكون نفقاتهم عليهم حسرة وندامة لأنها تكون لهم زيادة العذاب فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وقال مجاهد هو نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أحد وقال الحكم أنفق أبو سفيان على المشركين يوم أحد أربعين أوقية ذهباً \* (ثم يغلبون) \* يعني يهزمون ولا تنفعهم نفقتهم شيئاً \* (والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) \* يعني القتل والهزيمة لم تكن كفارة لذنوبهم فيحشرون في الآخرة إلى جهنم ثم قال الله تعالى \* (ليميز الله الخبيث من الطيب) \* يعني \* (الخبيث) \* من العمل

و \* (الطيب) \* من العمل \* (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) \* يعني يجمعه وهذا قول الكلبي وقال مقاتل ليميز الله الكافرين من المؤمنين ويجعل في الآخرة الخبيثة أنفسهم ونفقاتهم وأنفسهم فيركم بعضه على بعض جميعا \* (فيجعله في جهنم) \* ويقال \* (ليميز الله الخبيث من الطيب) \* بين ونفقة المؤمنين ونفقة المشركين فيقبل نفقة المؤمنين ويشبههم على ذلك ويجعل نفقة الكفار وبالا عليهم ويجعل ذلك سببا لعقوبتهم فتكون بها جباههم وقال القتيبي \* (فيركمه) \* أي يجعله ركاما بعضه على بعض

ثم قال \* (أولئك هم الخاسرون) \* يعني المغبونين في العقوبة قرأ حمزة والكسائي \* (ليميز الله) \* بضم الياء مع التشديد والباقون \* (ليميز) \* بالنصب مع التخفيف ومعناها واحد ما يميز ويميز يميز

قوله تعالى \* (قل للذين كفروا إن ينتهوا) \* يعني أبا سفيان وأصحابه وما كان في مثل حالهم إلى يوم القيامة \* (إن ينتهوا) \* أي عن الشرك وعن قتال محمد وعن المؤمنين \* (يغفر لهم ما قد سلف) \* يعني يتجاوز عنهم ما سلف من ذنوبهم وشركهم \* (وإن يعودوا) \* إلى قتال محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه \* (فقد مضت سنة الأولين) \* بنصرة أوليائه وقهر أعدائه ويقال يعني القتل يحذرهم بالعقوبة لكيلا يعودوا فيصيبهم مثل ما أصابهم وقال الكلبي \* (فقد مضت سنة الأولين) \* أن ينصر الله أنبيائه ومن آمن معهم كقوله \* (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا) \* [غافر: ٥١]

سورة الأنفال ٣٩ - ٤٠

ثم حث المؤمنين على قتال الكفار فقال تعالى \* (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) \* يعني لا يكون الشرك بمكة ويقال حتى لا يتخذوا شركاء ويوحدوا ربهم \* (ويكون الدين كله لله) \* يعني يظهر دين الإسلام ولا يكون دين غير دين الإسلام \* (فإن انتهوا) \* عن الشرك وعن عبادة الأوثان وقتال المسلمين \* (فإن الله بما يعملون بصير) \* فيثيبكم بأعمالكم \* (وإن تولوا) \* يعني أبوا وأعرضوا عن الإيمان يا معشر المؤمنين \* (فاعلموا أن الله مولاكم) \* يعني حافظكم وناصركم

ثم قال \* (نعم المولى ونعم النصير) \* \* (نعم المولى) \* يعني الحفيظ و \* (نعم النصير) \* يعني المانع

سورة الأنفال ٤١

قوله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شيء " علمهم قسم الغنيمة وجعل أربعة أخماسها للذين أصابوها وأمر بأن يقسم الخمس على خمسة أسهم وقال بعضهم على ستة أسهم وقال أبو العالية الرياحي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالغنيمة فيقسمها على خمسة أسهم أربعة لمن شهدها ويأخذ الخمس فيجعله على ستة أسهم سهم لله تعالى فيجعل للكعبة وسهم للرسول وسهم لذوي القربى يعني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وقال بعضهم سهم الله ورسوله واحد

وروى سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد بن الحنفية عن قوله \* (فأن لله خمسه) \* قال هذا مفتاح الكلام لله الدنيا والآخرة ثم قال وقد اختلف بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في سهم الرسول وسهم ذوي القربى فقال بعضهم للخليفة وقال بعضهم لقرابة الخليفة فاجتمعوا على أن جعلوا هذين السهمين في الكراع والعدة في سبيل الله تعالى فكانا كذلك في خلافة أبي بكر وعمر وروى أبو يوسف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال كان الخمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم على خمسة أسهم سهم الله ورسوله واحد ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقسم بعد عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي على ثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وبهذا أخذ أبو حنيفة وأصحابه أن الخمس يقسم على ثلاثة أسهم ولا يكون لأغنياء ذوي القربى شيء ويكون لفقرائهم فيه نصيب كما يكون لسائر الفقراء وكذلك يتأمامهم وابن السبيل منهم ثم قال \* (إن كنتم آمنتم بالله) \* يجوز أن تكون متعلقة بقوله \* (فاعلموا أن الله مولاكم) \* إن كنتم آمنتم بالله عز وجل ويجوز أن يكون معناه فاقبلوا ما أمرتم به من القسمة في الخمس \* (إن كنتم آمنتم بالله) \* يعني إن كنتم صدقتم بتوحيد الله \* (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) \* يعني وصدقتم بما أنزلنا على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن يوم الفرقان يعني يوم بدر قال الكلبي يعني يوم النصر يوم بدر فرق بين الحق والباطل وقال مقاتل معناه وما أنزلنا من الفرقان يوم بدر فأقروا بحكم الله تعالى في أمر الغنيمة \* (يوم التقى الجمعان) \* يعني يوم جمع المسلمين وجمع المشركين " والله على كل شيء قدير " يعني على نصره المؤمنين وهزيمة الكفار

سورة الأنفال ٤٢

ثم قال الله تعالى \* (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) \* يعني أذكروا هذه النعمة إذ كنتم بالعدوة الدنيا قرأ ابن كثير وأبو عمرو \* (بالعدوة) \* بالكسر وقرأ الباقون بالضم ومعناها واحد وهو شفير الوادي ويقال عدوة الوادي وعدوته يعني كنتم على شاطئ الوادي مما يلي المدينة \* (وهم بالعدوة القصوى) \* يعني من الجانب الآخر مما يلي مكة \* (والركب أسفل منكم) \* يعني العير أسفل منكم بثلاثة أميال على شاطئ البحر حين أقبلوا من الشام \* (ولو تواعدتم) \* أنتم والمشركون بالإجماع للقتال \* (لاختلفتم في الميعاد) \* أنتم والمشركون \* (ولكن) \* جمع الله بينكم على غير ميعاد \* (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) \* يعني كائنا وكان من قضائه هزيمة الكفار ونصرة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه

قوله تعالى \* (ليهلك من هلك عن بينة) \* يقول ليكفر من أراد أن يكفر بعد البيان له من الله تعالى \* (ويحيى من حي عن بينة) \* يقول ويؤمن من أراد أن يؤمن بعد البيان له من الله تعالى وقال الكلبي \* (ليهلك من هلك) \* على الكفر بعد البيان \* (ويحيى من حي) \* بالإيمان \* (عن بينة) \* ويقال هذا وعيد من الله لأهل مكة يقول ليقم على كفره من أراد أن يقيم بعد ما بينت له الحق ببدر حين فرقت الحق من الباطل \* (ويحيى) \* يعني يقيم على الإيمان من أراد أن يقيم بعد ما أرسلت إليه الرسول وأقامت عليه الحجة قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن كثير في رواية شبل البزي " من حيي " بإظهار الياءين والباقون بياء واحدة وأصله بياءين إلا أن أحد الحرفين أدغم في الآخر لأنهما من جنس واحد ثم قال \* (وإن الله لسميع عليم) \*  
سورة الأنفال ٤٣ - ٤٤

قوله تعالى \* (إذ يريكهم الله في منامك قليلا) \* وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أن العدو قليل قبل أن يلتقوا فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما رأى في المنام أن العدو قليل فقالوا رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق والقوم القليل فلما إلتقوا ببدر قتل الله المشركين في أعين المؤمنين لتصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم

ثم قال \* (ولو أراكم كثيرا لفشلتم) \* يعني لجبتم وتركتهم الصف \* (ولتنازعتهم في الأمر) \* يعني اختلفتم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم \* (ولكن الله سلم) \* يعني ولكن الله أتم للمسلمين أمرهم على عدوهم ويقال \* (سلم) \* يعني قضى بالهزيمة على الكفار والنصرة للمؤمنين ويقال \* (إذ يريكهم الله في منامك قليلا) \* يعني في عينك لأن العين موضع النوم في موضع منامك وروي عن الحسن قال معناه في عينك التي تنام بها ثم قال \* (إنه عليم بذات الصدور) \*



قوله تعالى \* (وإذ يريكموهم إذ التقيتم) \* يعني إلتقيتموهم يوم بدر \* (في أعينكم قليلا) \* في العدد وروى أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه فقال كنا ألفا

ثم قال \* (ويقللكم في أعينهم) \* يا معشر المؤمنين في أعين المشركين وذلك حين لقوا العدو وقلل الله المشركين في أعين المؤمنين لكيلا يجبنوا وقلل المؤمنين في أعين المشركين ليزدادوا جرأة على القتال حتى قتلوا ولكي يظهر عندهم فضل المؤمنين \* (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) \* يعني إذا قضى الله تعالى أمرا فهو كائن وهو النصرة للمؤمنين والذل لأهل الشرك بالقتل والهزيمة \* (والى الله ترجع الأمور) \* يعني عواقب الأمور في الآخرة

سورة الأنفال ٤٥ - ٤٧

ثم ثبت المؤمنين على القتال فقال تبارك وتعالى \* (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا) \* يعني جماعة من الكفار \* (فاثبتوا) \* لهم وقاتلوهم مع نبيكم \* (واذكروا الله كثيرا) \* يعني في الحرب \* (لعلكم تفلحون) \* يعني تفوزون به وتؤمنون به ثم قال الله تعالى \* (وأطيعوا الله ورسوله) \* فيما يأمركم من القتال \* (ولا تنازعوا) \* يعني لا تختلفوا فيما بينكم من القتال \* (فتفشلوا) \* يعني فتجبنوا من عدوكم \* (وتذهب ريحكم) \* وقال مجاهد يعني نصرتمكم وذهبت ريحكم يوم أحد حين نازعتموه وقال الأخفش يعني دولتكم وقال قتادة الرياح الحرب وأصله في اللغة تستعمل في الدولة ويقال الرياح له اليوم يراد به الدولة

ثم قال \* (واصبروا) \* يعني لقتال عدوكم \* (إن الله مع الصابرين) \* يعني معين لهم وناصرهم \* (ولا تكونوا) \* يعني \* (ولا تكونوا) \* يا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم \* (كالذين خرجوا من ديارهم) \* معناه قاتلوا لوجه الله تعالى ولا تقاتلوا رياء وسمعة \* (بطرا) \* يعني أشرا ورياء وأصله الطغيان في النعمة \* (ورثاء الناس) \* يعني لكي يذكروا بمسيرهم يقولون تسامع الناس بمسيرنا وقال محمد بن إسحاق خرجت قريش وهم تسعمائة وخمسون مقاتلا ومعهم مائتا فرس يقودونها وخرجوا ومعهم القينات يضربون بالدفوف ويتغنين بهجاء المسلمين

ثم قال \* (ويصدون عن سبيل الله) \* يعني يصرفون الناس عن دين الإسلام \* (والله بما يعملون محيط) \* يعني عالم بهم وبأعمالهم  
سورة الأنفال ٤٨ - ٥١

قوله تعالى \* (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) \* يعني مسيرهم ومعناه أن خروجهم لما كان للشيطان \* (زين لهم الشيطان أعمالهم) \* وذلك أن أهل مكة لما وجدوا العير أرادوا الرجوع إلى مكة فأتاهم إبليس على صورة سراقه بن مالك بن جعشم الكناني فقال لهم لا ترجعوا حتى تستأصلوهم فإنكم كثير وعدوكم قليل  
ثم قال \* (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) \* يعني لا يطيقكم أحد لكثرتكم وقوتكم \* (وإني جار لكم) \* يعني معين لكم وهؤلاء بنو كنانة تأتيكم وهم على أثرى \* (فلما تراءت الفئتان) \* يعني اجتمع الجمعان جمع المؤمنين وجمع المشركين \* (نكص على عقبيه) \* يعني راجعا وراءه فقال له الحارث بن هشام أين ما ضمنت لنا " وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون " فقال له الحارث وهل ترى إلا جعاشيش أهل يثرب والجعاشيش جمع جعشوش وهو الرجل الحقيقير الدميم القصير فقال \* ( )  
إني أخاف الله والله شديد العقاب) \* قال ابن عباس خاف إبليس أن يأخذه جبريل أسيرا فيعرفه الناس فيراه الكفار فيعرفونه بعد ذلك فلا يطيعونه ولم يخف على نفسه الموت والقتل لأنه كان يعلم أن له بقاء إلى يوم ينفخ في الصور قال إبليس \* (إني أرى ما لا ترون) \* أي أرى جبريل معتجرا بردائه يقود الفرس فلما تولى قالوا هزم الناس سراقه فسار سراقه بعد رجوعهم إلى مكة وقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا له ألم تأتنا يوم كذا وكذا فحلف أنه لم يحضر فلما أسلموا علموا أنه كان إبليس  
وقال مقاتل لم يجتمع جمع قط منذ كانت الدنيا أكثر من يوم بدر وذلك إن إبليس جاء

بنفسه وحضرت الشياطين وحضر كفار الجن كلهم وتسعمائة وخمسين من المشركين وثلاثمائة عشر من المؤمنين وتسعون من مؤمني الجن وألفا من الملائكة وروي عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ هذه السورة كان يقول طوبى لجيش كان قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبارزهم أسد الله وجهادهم طاعة الله ومددهم ملائكة الله وجاسوسهم أمين الله وثوابهم رضوان الله

قوله تعالى \* (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) \* يعني شكوا ونفاقا قال الحسن هم قوم من المنافقين لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه ويقال معناه \* (إذ يقول المنافقون) \* وهم الذين في قلوبهم مرض قال ابن عباس نزلت الآية في الذين أسلموا بمكة وتخلفوا عن الهجرة فأخرجهم أهل مكة إلى بدر كرها فلما رأوا قلة المؤمنين إرتابوا ونافقوا وقالوا لأهل مكة \* (غر هؤلاء دينهم) \* وقاتلوا مع المشركين فقتل عامتهم

يقول الله تعالى \* (ومن يتوكل على الله) \* يعني يثق بالله ولا يثق بغيره \* (فإن الله عزيز) \* بالنعمة \* (حكيم) \* حكم الهزيمة على المشركين فلما قتلوا ضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم فنزل \* (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا) \* يعني ولو ترى يا محمد إذ يتوفى الذين كفروا حين يقبض أرواحهم \* (الملائكة يضربون وجوههم) \* عند قبض أرواحهم ويضربون \* (وأدبارهم) \* يعني ويضربون ويقول لهم الملائكة يوم القيامة \* (ذوقوا عذاب الحريق) \* ولم يذكر الجواب لأن في الكلام دليلا عليه ومعناه لو رأيت ذلك لرأيت أمرا عظيما قرأ ابن عامر " إذ تتوفى " الذين بلفظ التأنيث وقرأ الباقون \* (يتوفى) \* بلفظ التذكير وروي عن ابن مسعود أنه كان يذكر الملائكة في جميع القرآن خلافا للمشركين لقولهم الملائكة بنات الله

ثم قال تعالى \* (ذلك بما قدمت أيديكم) \* يعني ذلك العذاب \* (بما قدمت أيديكم) \* من الكفر والتكذيب وبترككم الإيمان \* (وأن الله ليس بظلام للعبيد) \* يقول لم يعذبهم بغير ذنب

سورة الأنفال ٥٢ - ٥٤

ثم قال عز وجل \* (كدأب آل فرعون) \* يعني صنيعهم كصنيع آل فرعون ويقال كأشباه آل فرعون في التكذيب والجحود \* (والذين من قبلهم) \* من الأمم الخالية \* (كفروا بآيات الله) \* يعني جحدوا بعذاب الله في الدنيا أنه غير نازل بهم \* (فأخذهم الله) \* يعني عاقبهم

وأهلكهم \* (بذنوبهم) \* وشركهم ثم قال \* (إن الله قوي شديد العقاب) \* يعني \*  
(قوى) \* في أخذه \* (شديد العقاب) \* لمن عصاه  
قوله تعالى \* (ذلك) \* العذاب الذي نزل بهم \* (بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على  
قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) \* \_ في الدين والنعم فإذا غيروا غير الله عليهم ما بهم من  
النعمة وهذا قول الكلبي وروى أسباب عن السدي في قوله \* (لم يك مغيرا نعمة أنعمها  
على قوم) \* قال أنعم الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم على أهل مكة وكفروا به  
فنقله إلى الأنصار ويقال أطعمهم من جوع وأمهم من خوف فلم يشكروا فجعل لهم  
مكان الأمن الخوف ومكان الرخاء الجوع وهذا كقوله " وضرب الله مثلا قرية كانت  
ءامنة مطمئنة " إلى قوله \* (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) \* [النحل: ١١٢] وقال  
الضحاك ما عذب الله قوما قط ولا سلبهم النعمة ولا فرق بينهم وبين العافية حتى كذبوا  
رسلهم فلما فعلوا ذلك ألزمهم الذل وسلبهم العز فذلك قوله تعالى \* (ذلك بأن الله لم  
يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) \* ثم قال \* (وأن الله سميع  
عليم) \* \* (سميع) \* لمقاتلهم \* (عليم) \* بأفعالهم  
ثم قال \* (كدأب آل فرعون) \* في الهلاك \* (والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم  
فأهلكناهم بذنوبهم) \* يعني بكفرهم \* (وأغرقنا آل فرعون) \* يعني فرعون لادعائه  
الربوبية ولأنهم عبدوا غيري \* (وكل كانوا ظالمين) \* يعني مشركين ومعناه كصنيع آل  
فرعون وقد أعطاه الله تعالى الملك والعز في الدنيا ولم يغير عليه تلك النعمة حتى  
كذب بآيات الله فغير الله عليه النعمة وأهلكه مع قومه

سورة الأنفال ٥٥ - ٥٩

قوله تعالى \* (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) \* قال ابن عباس  
نزلت في بني قريظة كعب بن الأشرف وأصحابه لأنهم عاهدوا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ثم نقضوا العهد وأعانوا أهل مكة بالسلاح على قتال النبي صلى الله عليه  
وسلم ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدتهم مرة أخرى فنقضوا العهد فذلك قوله تعالى \*  
(الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) \* يعني في كل حين وفي كل  
وقت \* (وهم لا يتقون) \* نقض العهد  
قوله تعالى \* (فإما تتقنهم في الحرب) \* يقول إن تظفر بهم في الحرب يعني في

القتال ويقال إن أدركتهم في القتال \* (فشرد بهم) \* يقول نكل بهم في العقوبة \* (من خلفهم) \* يعني ليتعظ بهم من بعدهم الذي بينك وبينهم عهد ويقال إفعال بهم فعلا من العقوبة والتنكيل يفرق به من وراءهم من أعدائك وقال أبو عبيدة \* (فشرد بهم) \* إنها لغة قريش أي سمع بهم من خلفهم والتشريد في كلامهم للتشديد والتفريق \* (لعلمهم يذكرون) \* يعني النكال فلا ينقضون العهد

قوله تعالى \* (وإما تخافن من قوم خيانة) \* يعني وإن علمت من قوم نقض العهد والخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي الأمانة وسمي ناقض العهد خائنا لأنه أوتمن بالعهد فغدر ونكث \* (فانبد إليهم على سواء) \* يعني فأعلمهم بأنك قد نقضت العهد وأعلمهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على سواء وقال القتيبي إذا أردت أن تعرف فضل العربية على غيرها فانظر في الآية وقد ترجموا سائر الكتب ومن أراد أن يترجم القرآن إلى لغة أخرى فلا يمكنه ذلك لأنك لو أردت أن تنقل قوله \* (وإما تخافن من قوم خيانة) \* لم تستطع بهذا للفظ ما لم تبسط مجموعها وتظهر مستورها فتقول إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضا فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم وأذنتهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على سواء ثم قال \* (إن الله لا يحب الخائنين) \* يعني الناقضين للعهد

قوله تعالى \* (ولا يحسبن الذين كفروا) \* يعني لا يظنن الذين كفروا من العرب وغيرهم من الذين جحدوا بوحداية الله تعالى \* (سبقوا) \* يعني فاتوا بأعمالهم الخبيثة \* (إنهم لا يعجزون) \* يقول لن يفوتوا الله حتى يعاقبهم ويقال لا يجدون الله تعالى عاجزا عن عقوبتهم قرأ ابن عامر وحمزة وعاصم في رواية حفص \* (ولا يحسبن) \* بالياء على وجه المغايبة ونصب السين وقرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (ولا تحسبن) \* بالتاء على وجه المخاطبة ونصب السين وقرأ الباقر على وجه المخاطبة وكسر السين وقرأ ابن عامر \* (إنهم) \* بالنصب على معنى البناء وقرأ الباقر بالكسر على معنى الابتداء فمن قرأ بالنصب معناه لأنهم لا يعجزون يعني لا يفوتون وقرأ بعضهم بكسر النون \* (لا يعجزون) \* يعني لا يعجزونني وهي قراءة شاذة

سورة الأنفال ٦٠ - ٦٣

قوله تعالى \* (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) \* يعني السلاح وروى عقبه بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر \* (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) \* قال ألا إن القوة الرمي ثلاثا وفي خبر آخر زيادة لهو المؤمن في الخلاء وقوته عند القتال وروى عن عكرمة قال أي ثلاثا \* (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) \* قال الحصون \* (ومن رباط الخيل) \* قال الإنانث من الخيل

ثم قال \* (ترهبون به) \* يعني تخوفون بالسلاح \* (عدو الله وعدوكم) \* يعني كفار العرب \* (وآخرين من دونهم) \* يعني بني قريظة \* (لا تعلمونهم) \* يعني لا تعرفونهم \* (الله يعلمهم) \* يعني يعرفهم ويعرفكم فأعدوا لهم أيضا وقال مقاتل \* (وآخرين من دونهم) \* أي من دون كفار العرب يعني اليهود وقال السدي \* (وآخرين من دونهم) \* أهل فارس

ثم قال " وما تنفقوا من شيء في سبيل الله " يعني السلاح والخيل \* (يوف إليكم) \* ثوابه \* (وأنتم لا تظلمون) \* أي لا تنقصون من ثواب أعمالكم ويقال إن الجن لا يدخل في بيت فيه قوس وسهام

قوله تعالى \* (وإن جنحوا للسلم) \* يقول إن أرادوا الصلح ومالوا إليه \* (فاجنح لها) \* يعني مل إليها وأرده يعني صالحهم قرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (وإن جنحوا للسلم) \* بالكسر وقرأ الباقون بالنصب \* (وتوكل على الله) \* يعني ثق بالله وإن نقضوا العهد والصلح فإنني أنصرك ولا أخذلك \* (إنه هو السميع العليم) \* يعني \* (السميع) \* بمقاتلهم \* (العليم) \* بنقض العهد

قال الفقيه إنما يجوز الصلح إذا لم يكن للمسلمين قوة القتال فأما إذا كان للمسلمين قوة فلا ينبغي أن يصالحوهم وينبغي أن يقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية إن لم يكونوا من العرب وإنما لم توضع الجزية على العرب وتوضع على غير العرب حتى لا تبقى بقية الكفر في أنساب النبي صلى الله عليه وسلم لأن العرب كلهم من نسبه ولا توضع حتى يسلموا أو يقتلوا وإنما أمر الله تعالى نبيه بالصلح حين كانت الغلبة للمشركين وكانت بالمسلمين قلة

ثم قال الله تعالى \* (وإن يريدوا أن يخدعوك) \* بالصلح يعني يهود بني قريظة أرادوا أن يصالحوك لتكف عنهم حتى إذا جاء مشركو العرب أعانوهم عليك قال الله تعالى \* (فإن حسبك الله) \* يعني إن أرادوا أن يخدعوك حسبك الله بالنصرة لك \* (هو الذي أيدك) \* وأعانك وقواك \* (بنصره وبالمؤمنين) \* يعني الأنصار وهم قبيلتان الأوس والخزرج

قوله تعالى \* (وألف بين قلوبهم) \* يعني لين قلوبهم من العداوة التي كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية \* (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) \* يعني ما قدرت أن تؤلف بينهم \* (ولكن الله ألفت بينهم) \* بالإسلام \* (إنه عزيز حكيم) \* حكم بالألفة بين الأنصار بعد العداوة وحكم بالنصر على أعدائه وروى أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال نزلت هذه الآية في المتحابين في الله \* (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألفت بينهم) \* وقال عبد الله المؤمن متألف يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف سورة الأنفال ٦٤ - ٦٦

قوله تعالى \* (يا أيها النبي حسبك الله) \* بالنصر والعون لك \* (ومن اتبعك من المؤمنين) \* قال بعضهم " من " في موضع الرفع ومعناه حسبك من اتبعك من المؤمنين خاصة وهم الأنصار ويقال يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويقال هذه الآية خاصة من هذه السورة نزلت بمكة حين أسلم عمر وكان المسلمون تسعة وثلاثين فلما أسلم عمر رضي الله عنه تم أربعون وظهر الإسلام بمكة بإسلام عمر وقال بعضهم " من " في موضع النصب يعني حسبك ومن اتبعك من المؤمنين وقال الضحاك ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله وهو ناصرهم في الدنيا والآخرة ثم قال عز وجل \* (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) \* يعني حثهم على قتال الكفار \* (إن يكن منكم عشرون صابرون) \* يعني محتسبين في الجهاد \* (يغلبوا مائتين) \* يعني يقاتلون مائتين ويثبتوا على القتال لينصرهم الله " وإن يكن منكم مئة " صابرة يعني محتسبة \* (يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) \* أمر الله تعالى وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفا يوم بدر جعل على كل رجل منهم قتال عشرة فرفعوا أصواتهم بالدعاء فضجوا فجعل على كل رجل قتال رجلين تخفيفا من الله وهو قوله تعالى \* (الآن خفف الله عنكم) \* يعني هون الله عليكم القتال الذي افترض الله عليكم

يوم بدر \* (وعلم أن فيكم ضعفا) \* يعني عجزا عن القتال \* (فإن يكن منكم مائة صابرة) \* يعني محتسبة صادقة \* (يغلبوا مائتين) \* من المشركين \* (وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين) \* من المشركين \* (بإذن الله) \* يعني بأمر الله تعالى وبنصرته \* (والله مع الصابرين) \* بالنصرة لهم على عدوهم  
وقال مقاتل لم تكن فريضة ولكن كان تحريضا فلم يطلق المؤمنون فخفف الله عنهم بعد قتال بدر فنزل \* (الآن خفف الله عنكم) \* وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال فرض على المسلمين أن لا يفر رجل من عشرة ولا عشرة من مائة فجهد الناس وشق عليهم فنزلت هذه الآية \* (الآن خفف الله عنكم) \* ففرض عليهم أن لا يفر رجل من رجلين ولا قوم من مثلهم فنقص من النصرة بقدر ما نقص من العدد وروى عطاء عن ابن عباس قال من فر من رجلين فقد فر ومن فر من ثلاثة لم يفر قال الفقيه إذا لم يكن معه سلاح ومع الآخر سلاح جاز له أن يفر لأنه ليس بمقاتل

سورة الأنفال ٦٧ - ٦٩

قوله تعالى \* (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) \* يقول ما ينبغي وما يجوز للنبي أن يبيع الأسارى يقول لا يقبل الفدية عن الأسارى ولكن السيف \* (حتى يشحن في الأرض) \* يعني حتى يغلب في الأرض على عدوه قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر " فإن تكن " كلاهما بالتاء بلفظ التأنيث لأن لفظ جماعة العدد مؤنث وقرأ أبو عمرو الأولى خاصة بالياء والأخرى بالتاء وقرأ الباقر كلاهما بالتاء بلفظ التذكير لأن الفعل مقدم وقرأ حمزة وعاصم \* (وعلم أن فيكم ضعفا) \* بنصب الضاد وجزم العين وقرأ الباقر بضم الضاد ومعناها واحد ضعف وضعف وهما لغتان وقرأ بعضهم \* (ضعفا) \* بضم الضاد ونصب العين وهي قراءة أبي جعفر المدني يعني عجزا  
قوله تعالى \* (تريدون عرض الدنيا) \* يعني الفداء وروي عن ابن عباس قال لما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ما ترون في هؤلاء الأسارى قال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة أرى لهم أن تأخذ منهم الفدية فتكون لنا عدة على الكفار ولعل الله يهديهم الإسلام وقال عمر أرى أن تمكنا منهم فنضرب أعناقهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ما قال أبو بكر قال عمر فلما كان من الغد



جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت يا رسول الله من أي شيء تبكي فقال أبكي للذي عرض علي لأصحابك من أخذهم الفداء فنزل \* (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) \* وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه أحد غير عمر قرأ أبو عمرو " أن تكون له أسرى " بلفظ التأنيث والباقون بالياء بلفظ التذكير لأن الفعل مقدم ثم قال \* (والله يريد الآخرة) \* يعني عزة الدين \* (والله عزيز) \* في ملكه \* (حكيم) \* في أمره

قوله تعالى \* (لولا كتاب من الله سبق) \* يقول لولا أن الله أحل الغنائم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم \* (لمسكم فيما أخذتم) \* يعني لأصابعكم فيما أخذتم من الفداء \* (عذاب عظيم) \* ثم طيبها وأحلها لهم فقال \* (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) \* وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أنه قال لم تحل الغنيمة لقوم سود الرؤوس قبلكم كان تنزل نار من السماء فتأكلها حتى كان بدر فوقعوا في الغنائم فأحلت لهم فأنزل الله تعالى \* (لولا كتاب من الله سبق) \* وقال النبي صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطها أحد قبلي بعثت إلى الناس كافة ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وجعلت لي شفاعة لأمتي يوم القيامة وللآية وجه آخر روى الضحاك في قوله تعالى \* (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) \* وذلك أنه لما كان يوم بدر ووقعت الهزيمة على المشركين أسرع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخذ أسلاب المشركين ممن قتل يوم بدر وأخذ الغنائم وفداء الأسرى وشغلوا أنفسهم بذلك عن القتال فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله ألا ترى إلى ما يصنع أصحابك تركوا قتال العدو وأقبلوا على أسلابهم وإني أخاف أن تعطف عليهم خيل من خيل المشركين فنزل \* (تريدون عرض الدنيا) \* يعني أتطلبون الغنائم وتتركون القتال \* (والله يريد الآخرة) \* يعني قهر المشركين وإظهار الإسلام \* (والله عزيز حكيم) \*

قوله تعالى \* (لولا كتاب من الله سبق) \* يعني لولا ما سبق من الكتاب أن الغنائم تحل لهذه الأمة لأصابعكم \* (عذاب عظيم) \* وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو نزل من السماء عذاب ما نجا أحد غير عمر لأنه لم يترك القتال

وروى مجاهد عن ابن عباس قال \* (لولا كتاب من الله سبق) \* قال سبقت من الله الرحمة لهذه الأمة قبل أن يعملوا بالمعصية وقال الحسن سبقت المغفرة لأهل بدر وعن الحسن أنه قال \* (لولا كتاب من الله سبق) \* قال في الكتاب السابق من الله تعالى أن لا يعذب قوما إلا بعد قيام الحجة عليهم وقال سعيد بن جبير لولا ما سبق لأهل بدر من السعادة \* (لمسكم فيما أخذتم) \* من الفداء \* (عذاب عظيم) \* ويقال \* (لولا كتاب من الله سبق) \* أن لا يعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون ثم قال تعالى \* (واتقوا الله) \* يعني اتقوا الله فيما أمركم به ولا تعصوه \* (إن الله غفور) \* متجاوز يعني ذو تجاوز فيما أخذتم من الغنيمة قبل حلها \* (رحيم) \* إذ أحلها لكم

سورة الأنفال ٧٠

قوله تعالى \* (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى) \* قرأ أبو عمرو " من الأسارى " بالضم وزيادة الألف وقرأ الباقون \* (الأسرى) \* بالنصب وبغير الألف فمن قرأ بالأسرى فهو جماعة الأسير يقال أسير وأسرى مثل جريح وجرحى ومريض ومرضى وقتيل وقتلى من قرأ بالأسارى فهو جمع الجمع ويقال هما لغتان بمعنى واحد

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وضع الفداء على كل إنسان من الأسارى أربعين أوقية من ذهب فكان مع العباس عشرون أوقية من ذهب فأخذ منه ولم يحسبها من فدائه وكان قد خرج بها معه ليطعم بها أهل بدر من المشركين لأنه كان أحد الثلاثة عشر الذين ضمنوا إطعام أهل بدر وقد جاءت توبته فأراد أن يطعمهم فاقتتلوا يومئذ فلم يطعمهم حتى أخذ وأخذ ما معه فكلم العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل العشرين أوقية من فدائه فأبى عليه وقال هذا شيء خرجت لتستعين به علينا فلا أتركه لك فوضع عليه فداءه وفداء ابن أخيه عقيل فقال العباس أتترك عمك يسأل الناس بكفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الذهب الذي أعطيت لأم الفضل وقلت لها كيت وكيت فقال له من أعلمك بهذا يا ابن أخي قال الله أخبرني فأسلم العباس وأمر ابن أخيه أن يسلم فنزل \* (قل لمن في أيديكم من الأسرى) \* يعني العباس وابن أخيه \* (إن يعلم الله في قلوبكم خيرا) \* يعني معرفة وصدقا وإيمانا كقوله \* (لن يؤتيهم الله خيرا) \* [هود: ٣١] يعني إيمانا \* (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) \* يعني يعطيكم في الدنيا من الفداء \* (ويغفر لكم) \* ذنوبكم \* (والله غفور) \* لما كان في الشرك \* (رحيم) \* به في الإسلام

روى سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال بعث العلاء بن الحضرمي إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم من البحرين بثمانين ألفا ما أتاه من مال أكثر منه لا قبل ولا بعد قال فنشرت على حصير ونودي بالصلاة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فمثل على المال قائما وجاء أهل المسجد فما كان يومئذ عدد ولا وزن ما كان إلا قبضا قال فجاء العباس فقال يا رسول الله أعطيت فدائي وفداء عقيل يوم بدر ولم يكن لعقيل مال فأعطني من هذا المال فقال خذ من هذا المال فحتى في حميصته فأراد أن يقوم فلم يستطع فرفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إرفع علي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أعد من المال طائفة وقم بما تطيق قال ففعل فجعل العباس يقول وهو منطلق أما إحدى اللتين وعدنا الله فقد أنجزها فلا ندرى ما يصنع في الأخرى وهو قوله \* (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) \* وعن أبي صالح أنه قال رأيت للعباس بن عبد المطلب عشرين عبدا كل واحد منهم يتجر بعشرة آلاف قال العباس أنجزني الله أحد الوعدين فأرجو أن ينجز الوعد الثاني ويقال \* (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم) \* يعني الجنة  
سورة الأنفال ٧١

قوله تعالى \* (وإن يريدوا خيانتك) \* يعني خلافك ويميلوا إلى الكفر بعد إسلامهم \* (فقد خانوا الله من قبل) \* يعني عصوا الله وكفروا من قبل \* (فأمكن منهم) \* يعني فأمكنك منهم وأظهرك عليهم يوم بدر حتى قهرتهم وأسرتهم \* (والله عليهم) \* بخلقه \* (حكيم) \* حيث أمكنك عليهم يعني إن خانوك أمكنك منهم لتفعل بهم مثل ما فعلت من قبل  
سورة الأنفال ٧٢

قوله تعالى \* (إن الذين آمنوا) \* يعني صدقوا بتوحيد الله وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن \* (وهاجروا) \* من مكة إلى المدينة \* (وجاهدوا) \* العدو \* (بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) \* يعني في طاعته وفيما فيه رضاء الله ثم ذكر الأنصار فقال \* (والذين آووا ونصروا) \* يعني آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه والمهاجرين يعني أنزلوهم وأسكنوهم ديارهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف \* (أولئك بعضهم أولياء بعض) \* يعني في الميراث وفي الولاية ليرغبهم في الهجرة فريضة في ذلك الوقت

ثم قال \* (والذين آمنوا ولم يهاجروا) \* إلى المدينة " ما لكم من ولايتهم من شيء " في الميراث قرأ حمزة \* (ولايتهم) \* بكسر الواو وقرأ الباقون \* (ولايتهم) \* بالنصب يعني النصره ومن قرأ بالكسر فهو من الإمارة والسلطان ثم قال \* (حتى يهاجروا) \* يعني إلى المدينة قالوا يا رسول الله هل نعينهم إذا استعانوا بنا على المشركين يعني الذين آمنوا ولم يهاجروا قال الله تعالى \* (وإن استنصروكم في الدين) \* يعني إستغاثوا بكم على المشركين فانصروهم \* (فعلیکم النصر) \* على من قاتلهم \* (إلا على قوم بینکم وبينهم ميثاق) \* يعني إلا أن یقاتلوا قوما بینکم وبينهم ميثاق عهد فلا تنصروهم علیهم وأصلحوا بينهم \* (والله بما تعملون بصیر) \* في العون والنصرة  
سورة الأنفال ۷۳ - ۷۵

قوله تعالى \* (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) \* يعني في الميراث يرث بعضهم من بعض \* (إلا تفعلوه) \* يعني إن لم تفعلوه يعني ولاية المؤمن للمؤمن والكافر للكافر \* (تكن فتنة في الأرض) \* يعني بلية \* (وفساد كبير) \* يعني سفك الدماء فافعلوا ما أمرتم واعرفوا أن الولاية في الدين وقال الضحاک \* (والذين كفروا) \* يعني كفار مكة وكفار ثقیف \* (بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه) \* يعني إن لم تطيعوا الله في قتل الفريقين تكن فتنة في الأرض وفساد كبير وقال مقاتل وفي الآية تقديم ومعناه وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر \* (إلا تفعلوه) \* يعني إن لم تنصروهم على غير أهل عهدكم من المشركين \* (تكن فتنة في الأرض) \* يعني كفر وفساد كبير في الأرض ثم قال \* (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا) \* يعني أنزلوا وأوطنوا ديارهم المهاجرين \* (ونصروا) \* النبي صلى الله عليه وسلم وإنما سمي المهاجرون مهاجرين لأنهم هجروا قومهم وديارهم \* (أولئك هم المؤمنون حقا) \* يعني صدقا \* (لهم مغفرة ورزق كريم) \* يعني ثواب حسن في الجنة ثم قال تعالى \* (والذين آمنوا من بعد وهاجروا) \* يعني من بعد المهاجرين \* (وجاهدوا معكم فأولئك منكم) \* يعني على دينكم \* (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) \* يعني في الميراث من المهاجرين والأنصار وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال كان المسلمون يتوارثون بالهجرة

وبالمؤاخاة التي آخى بينهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يتوارثون بالإسلام وبالهجرة وكان الرجل يسلم ولا يهاجر فلا يرثه أخاه فنسخ ذلك قوله \* (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) \* وروى محمد بن سالم عن الشعبي قال كان عبد الله بن مسعود لا يعطي مولى نعمة مع ذي رحم شيئاً ويتأول هذه الآية " وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض " وروى الحسن بن صالح عن ابن عباس أنه قال هيهات هيهات أين ذهب عبد الله بن مسعود إنما كان المهاجرون يتوارثون دون الأعراب فنزل \* (أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) \* ثم قال \* (في كتاب الله) \* يعني في حكم الله كقوله تعالى \* (كتب الله لأغلبن) \* [المجادلة: ٢١] يعني حكم الله تعالى ويقال \* (في كتاب الله) \* مبين في القرآن ويقال \* (في كتاب الله) \* يعني في اللوح المحفوظ " إن الله بكل شيء عليم " من قسمة الموارث \* (عليم) \* بما فرض الله من الموارث والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد

سورة التوبة مدنية وهي مائة وتسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن عباس كلها مدنية وقال مقاتل كلها مدنية إلا قوله تعالى \* (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) \* الآية قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا الماسرخسي قال حدثنا إسحاق قال أخبرني أسامة قال حدثنا عوف بن أبي جميلة قال حدثني يزيد الفارسي وهو كتاب ابن عباس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قلت لعثمان ما حملكم على أن عدتم إلى الأنفال وهي من المثنائي وإلى براءة وهي من المائين فقرأتموهما معا ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال فقال عثمان كان النبي صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السورة ذوات العدد فكان إذا نزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب له ويقول ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أول ما أنزل عليه بالمدينة وكانت براءة في آخر القرآن وكانت قصتهما يشبه بعضهما بعضا فظننت أنها منها وقبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم

وذكر عن الكلبي أنه قال براءة من الأنفال فلذلك لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسمى الفاضحة لأنها فضحت المنافقين وروي عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذلك فقال لأنها نزلت في السيف وليس في السيف أمان وبسم الله الرحمن الرحيم من الأمان وروي عن عائشة أنها قالت نسي الكاتب أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم في أول هذه السورة فتركت على حالها

سورة التوبة ١ - ٢

قوله تعالى \* (براءة من الله ورسوله) \* أي تبرؤ من الله ورسوله لمن كان له عهد من المشركين من ذلك العهد ويقال \* (براءة) \* أي قطع من الله ورسوله إلى من كان له عهد في المشركين من ذلك العهد ويقال هذه السورة \* (براءة من الله ورسوله) \* ويقال هذه الآية " براءة من لله ورسوله " \* (إلى الذين عاهدتم من المشركين) \* وقال ابن عباس البراءة

نقض العهد \* (إلى الذين عاهدتم من المشركين) \* يقول من كان بينه وبين رسول الله عهد فقد نقضه وذلك أن المشركين نقضوا عهودهم قبل الأجل وأمر الله تعالى نبيه فيمن كان له عهد أربعة أشهر أن يقره إلى أن يمضي أربعة أشهر ومن كان عهده أكثر من ذلك أن يحطه إلى أربعة أشهر

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها فأراد الحج ثم قال إنه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فأرسل أبا بكر وعلياً فطافا في الناس بذى المجاز وبأمكناتهم التي كانوا يجتمعون بها فآذنوا أصحاب العهد أن يأمنوا أربعة أشهر وهي الأشهر الحرم ثم لا عهد لهم فذلك قوله تعالى \* (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) \* يعني فسيروا في الأرض أربعة أشهر آمنين غير خائفين \* (واعلموا أنكم غير معجزى الله) \* يعني غير سابقى الله بأعمالكم وغير فائتين بعد الأربعة الأشهر ومعناه إنكم وإن أجلتم هذه الأربعة الأشهر إنكم لن تفوتوا الله \* (وأن الله) \* يعني واعلموا أن الله \* (منخزي الكافرين) \* يعني مذل الكافرين ويقال معذب الكافرين في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار

#### سورة التوبة ٣ - ٤

ثم قال عز وجل \* (وأذان من الله ورسوله) \* يعني إعلام من الله ورسوله وروى عن أبي هريرة أنه قال كنت مع علي بن أبي طالب حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ببراءة فقليل ما كنتم تنادون قال كنا ننادي أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فإن أجله وأمدته إلى أربعة أشهر فإذا مضت أربعة أشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله ولا يحج بعد العام مشرك

ويقال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ومعه عشر آيات وأمره أن يقرأها على أهل مكة ثم بعث علياً وأمره أن يقرأ هذه الآيات ويقال إنما أمر علياً بالقرآن لأن أبا بكر كان خفيض الصوت وكان علي جهوري الصوت فأراد أن يقرأ علي حتى يسمعوا جميعاً فذلك قوله تعالى \* (وأذان من الله ورسوله) \* \* (إلى الناس يوم الحج الأكبر) \* وروى الأعمش عن عبد الله بن

أبي سنان قال خطبنا المغيرة بن شعبة يوم النحر وقال هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الأكبر وقال الحسن إنما سمي الحج الأكبر لأنه حج أبو بكر فاجتمع فيها المسلمون والمشركون ووافق أيضا عيد اليهود والنصارى فلذلك سمي الحج الأكبر لاجتماع المسلمين والمشركين في ذلك اليوم

وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال الحج الأكبر يوم النحر وروي عن قيس بن مخزومة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحج الأكبر يوم عرفة وإنما سمي يوم عرفة يوم الحج الأكبر لأنه يوقف بعرفة ويقال الحج الأكبر هو الحج والحج الأصغر هو العمرة كما قال ابن عباس العمرة هي الحجة الصغرى وقال ابن أبي أوفى يوم الحج الأكبر يوم إهراق الدماء وحلق الشعر وهو يوم النحر " أن الله بريء من المشركين ورسوله " يعني ورسوله أيضا بريء من المشركين وقرأ بعضهم \* (ورسوله) \* بنصب اللام ومعناه أن رسوله بريء من المشركين وهي قراءة شاذة

ثم قال \* (فإن تبتم) \* يعني رجعتم من الكفر \* (فهو خير لكم) \* من الإقامة عليه \* (وإن توليتم) \* يعني أبيتم الإسلام وأقمتم على الكفر وعبادة الأوثان \* (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) \* يعني لن تفوتوا من عذابه  
ثم قال \* (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) \* وهو القتل في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة

ثم استثنى الذين لم ينقضوا العهد فقال \* (إلا الذين عاهدتم من المشركين) \* وهم بنو كنانة وبنو ضمرة \* (ثم لم ينقصوكم شيئا) \* من عهودكم \* (ولم يظاهروا) \* يقول ولم يعاونوا \* (عليكم أحدا) \* \* (فأتمو إليهم عهدهم إلى مدتهم) \* يعني إلى تمام أجلهم \* (إن الله يحب المتقين) \* الذين يتقون نقض العهد  
سورة التوبة ٥

قوله تعالى \* (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) \* يقول إذا مضى الأشهر التي جعلتها أجلهم \* (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) \* في الحل والحرم يعني المشركين الذين لا عهد لهم بعد ذلك الأجل ويقال إن هذه الآية \* (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) \* نسخت سبعين آية في القرآن من الصلح والعهد والكف مثل قوله \* (قل لست عليكم بوكيل) \* [الأنعام: ٦٦] وقوله \* (لست عليهم بمصيطر) \* [الغاشية: ٢٢] وقوله \* (فأعرض عنهم) \* [النساء: ٦٣] وقوله " لكم



دينكم ولي دين) [الكافرون: ٦] وما سوى ذلك من الآيات التي نحو هذا صارت كلها منسوخة بهذه الآية

قوله تعالى \* (وخذوهم) \* يعني إئسروهم وشدوهم بالوثاق \* (واحصروهم) \* يعني إن لم تظفروا بهم فاحصروهم في الحصن والحصار قال الكلبي يعني واحبسوهم عن البيت الحرام أن يدخلوه وقال مقاتل \* (واحصروهم) \* يعني إلتمسوهم \* (واقعدوا لهم كل مرصد) \* يعني أرسدوا لهم بكل طريق وقال الأخفش يعني إقعدوا لهم على كل مرصد وكلمة على محذوفة من الكلام ومعناه واقعدوا لهم على كل طريق يأخذون فيه \* (فإن تابوا) \* من الشرك \* (وأقاموا الصلاة) \* يعني وأقروا بالصلاة \* (وآتوا الزكاة) \* يعني وأقروا بالزكاة المفروضة \* (فخلوا سبيلهم) \* يعني أتركوهم ولا تقتلوهم \* (إن الله غفور رحيم) \* يعني \* (غفور) \* لما كان من الذنوب في الشرك \* (رحيم) \* بهم بعد الإسلام

فقال رجل من المشركين يا علي إن أراد رجل منا بعد انقضاء الأجل أن يأتي محمدا ويسمع كلامه أو يأتيه لحاجة أيقتل فقال علي لا

سورة التوبة ٦ - ٧

قال الله تعالى \* (وإن أحد من المشركين استجارك) \* يعني إستمناك ويقال فيه تقديم ومعناه وإن استجارك أحد من المشركين يقول وإن طلب أحد من المشركين منك الأمان \* (فأجره) \* يقول فآمنه \* (حتى يسمع كلام الله) \* يعني اعرض عليه القرآن حتى يسمع قراءتك بكلام الله فإن أبي أن يسلم \* (ثم أبلغه مأمنه) \* يقول فرده إلى مأمنه من حيث أتاك \* (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) \* يعني أمرتك بذلك لأنهم قوم لا يعلمون حكم الله تعالى وفي الآية دليل أن حربيا لو دخل دار الإسلام على وجه الأمان يكون آمنا ما لم يرجع إلى مأمنه

ثم قال علي وجه التعجب " كيف يكون للمشركين عهد عند الله ورسوله " ويقال علي وجه التوبيخ يعني لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله ثم استثنى فقال \* (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) \* يعني بني كنانة وبني ضمرة وهم لم ينقضوا العهد فأمر الله تعالى بإتمام عهدهم ويقال هم بنو خزاعة وبنو مدلج وبنو خزيمة \* (فما استقاموا لكم) \* على وفاء العهد \* (فاستقيموا لهم) \* بالوفاء على التمام \* (إن الله يحب المتقين) \* الذين يتقون ربهم ويمتنعون عن نقض العهد

سورة التوبة ٨ - ١٠

قوله تعالى \* (كيف وإن يظهروا عليكم) \* يقول كيف تقاتلوهم ويقال كيف يكون لهم عهد وقد سبق في الكلام ما يدل على هذا الإضمار \* (وإن يظهروا عليكم) \* يقول يغلبوا عليكم ويظفروا بكم \* (لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) \* يعني لا يحفظوا فيكم قرابة ولا عهدا وقال سعيد بن جبير الإل هو الله تعالى وقال ابن عباس الإل القرابة والذمة والعهد \* (يرضونكم بأفواههم) \* يعني بألسنتهم مثل قول المنافقين \* (وتأبى قلوبهم) \* يعني وتنكر قلوبهم يقولون قولاً بغير حقيقة \* (وأكثرهم فاسقون) \* يعني عاصون بنقض العهد

قوله تعالى \* (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) \* قال مقاتل باعوا الإيمان بعرض من الدنيا وذلك أن أبا سفيان كان يعطي الناقة والطعام والشيء ليصد بذلك الناس عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي \* (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) \* يقول كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابهم بشيء من المأكلة يأخذونه من السفلة \* (إنهم ساء ما كانوا يعملون) \* يعني بئسما كانوا يعملون بصددهم الناس عن دين الله قوله تعالى \* (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) \* يعني لا يحفظون في المؤمنين قرابة ولا عهدا \* (وأولئك هم المعتدون) \* بنقض العهد وترك أمر الله تعالى

سورة التوبة ١١ - ١٢

قوله تعالى \* (فإن تابوا) \* من الشرك \* (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) \* يعني أقروا بهما \* (فإخوانكم في الدين) \* يعني هم مؤمنون مثلكم \* (ونفصل الآيات) \* يعني نبين العلامات \* (لقوم يعلمون) \* أنه من الله تعالى قوله تعالى \* (وإن نكثوا أيمانهم) \* يعني نقضوا عهودهم \* (من بعد عهدهم) \* يعني بعد أجله \* (وطعنوا في دينكم) \* يقول وعابوا في دينكم الإسلام \* (فقاتلوا أئمة الكفر) \* يعني قادة أهل الكفر ورؤساءهم \* (إنهم لا أيمان لهم) \* قرأ ابن عامر لا \* (إيمان) \* بالكسر وهي قراءة الحسن البصري يعني لا إسلام لهم والباقون \* (لا أيمان) \* بالنصب يعني لا عهد لهم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو \* (أئمة) \* بهمزة واحدة والباقون بهمزتين ثم قال \* (لعلهم ينتهون) \* يعني لعلهم ينتهون عن نقض العهد

## سورة التوبة ١٣ - ١٦

ثم حث المؤمنين على قتال كفار قريش وذلك قبل فتح مكة فقال عز وجل \* (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) \* يقول نقضوا عهودهم من قبل أجلها \* (وهموا بإخراج الرسول) \* يقول هموا لقتال الرسول \* (وهم بدؤوكم أول مرة) \* بنقض العهد حين أعانوا بني بكر على خزاعة \* (أتخشونهم) \* أي أفلا تقاتلونهم \* (فالله أحق أن تخشوه) \* في ترك أمره \* (إن كنتم مؤمنين) \* يعني إن كنتم مصدقين بوعد الله تعالى ثم وعد لهم النصر فقال \* (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) \* يعني بالقتل والهزيمة \* (ويخزهم) \* يعني ويذلهم بالهزيمة \* (وينصركم عليهم) \* يعني على قريش \* (ويشف صدور قوم مؤمنين) \* يعني ويفرح قلوب بني خزاعة وفي الآية دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى قد وعد المؤمنين على لسان النبي صلى الله عليه وسلم أن يعذب الكفار بأيديهم ويخزهم وينصركم عليهم فأنجز وعده ولم يظهر خلاف ما وعد لهم

قال الفقيه حدثنا أبي قال حدثنا أحمد بن يحيى السمرقندي قال حدثنا محمد بن الحسن الجوى باري قال حدثنا حماد بن زيد عن عكرمة قال لما واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وقد كانت بنو خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وكان بنو بكر حلفاء قريش فدخلت بنو خزاعة في صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو بكر في صلح قريش ثم كان بين بني خزاعة وبين بني بكر قتال فأمدت قريش بني بكر بسلاح وطعام وظلوا عليهم ثم إن قريشا خافوا أن يكونوا قد نقضوا العهد وغدروا فقالوا لأبي سفيان إذهب إلى محمد وجدد الحلف ثانيا فليس في قوم أطعموا قوما ما يكون فيه نقض عهد يعني إن الذي أطعم الطعام فلا يكون عليه نقض عهد فانطلق أبو سفيان في ذلك فلما قصد أبو سفيان المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم أبو سفيان وسيرجع راضيا بغير قضاء حاجته فلما قدم أبو سفيان المدينة أتى أبا بكر فقال يا أبا بكر جدد الحلف وأصلح بين الناس فقال له أبو بكر الأمر إلى الله وإلى رسوله ثم أتى عمر فقال له نحو ما قال لأبي بكر فقال له عمر أن نقضتم أن

نقضتم فما كان منه جديدا فأبلاه الله وما كان منه متينا أو شديدا فقطعه الله تعالى فقال له أبو سفيان ما رأيت كاليوم شاهد عشيرة يعني شاهدا على هلاك قومه مثلك ثم أتى فاطمة فقال لها يا فاطمة هل لك في أمر تسودين فيه نساء قريش ثم قال لها نحو ما قال لأبي بكر وعمر فقالت الأمر إلى الله وإلى رسوله ثم أتى عليا فذكر له نحو من ذلك فقال له علي ما رأيت كاليوم رجلا أضل منك أنت سيد الناس فجدد الحلف وأصلح بين الناس فضرب أبو سفيان يمينه على يساره فقال أجرت الناس بعضهم من بعض ثم رجع إلى قومه فأخبرهم بما صنع فقالوا ما رأينا كاليوم وافد قوم والله ما جئتنا بصلح فنأمن ولا بحرب فنحذر وقدام وافد بني خزاعة على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع القوم ودعاه إلى النصر فقال في ذلك شعرا

(اللهم إني ناشد محمدا

\* حلف أئبنا وأئبيه الأتلدا)

(إن قريشا أخلفوك الموعدا

\* ونقضوا ميثاقك المؤكدا)

(وزعموا أن لست تدعو أحدا

\* وهم أذل وأقل عددا)

(هم بيتونا بالوتين هجدا

\* وقتلونا ركعا وسجدا)

(إسلامنا قد صح لم ننزع يدا

\* فانصر رسول الله نصرا أعتدا)

(وابعث جنود الله تأتي مددا

\* فيهم رسول الله قد تجردا)

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالرحيل وروي في خبر آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لأغزون قريشا والله لأغزون قريشا وقال والله لا نصرت إن لم أنصركم فخرج إلى مكة ومعه عشرة آلاف رجل ثم رجعا إلى حديث عكرمة قال فتجهزوا وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس حتى نزلوا برمالم الظهران فخرج أبو سفيان من مكة فرأى العسكر والنيران فقال ما هذه فقيل هؤلاء بنو تميم فقال والله هؤلاء أكثر من أهل منى فلما علم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكر وأقبل يقول دلوني على العباس فأتاه فانطلق به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدخله عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان أسلمت فقال أبو سفيان كيف أصنع باللات والعزى

قال حماد بن زيد حدثني أبو الخليل عن سعيد بن جبير أن عمر قال وهو خارج من القبة وفي عنقه السيف أخر عليهما أما والله لو كنت خارجا عن القبة ما سألت عنهما أبدا



(٤٣)

قال من هذا فقالوا عمر بن الخطاب فأسلم أبو سفيان فانطلق به العباس إلى منزله فلما أصبح رأى الناس قد تحركوا للوضوء والصلاة فقال أبو سفيان للعباس يا أبا الفضل أو أمروا في بشيء قال لا ولكنهم قاموا إلى الصلاة فتوضأ ثم انطلق به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة قاموا فلما كبر كبروا فلما ركع ركعوا فلما سجد سجدوا فقال أبو سفيان يا أبا الفضل ما رأيت كاليوم طاعة قوم لا فارس الأكارم والروم ذات القرون

قال حماد بن زيد فرعم يزيد بن حازم عن عكرمة أنه قال يا أبا الفضل أصبح ابن أخيكم عظيم الملك فقال له العباس إنه ليس بملك ولكن نبوة قال هو ذاك فقال حماد قال أيوب ثم قال واصباح قریش فقال العباس يا رسول الله لو أذنت لي فأتيتهم ودعوتهم وأمنتهم وجعلت لأبي سفيان شيئاً يذكر به قال صلى الله عليه وسلم فافعل فركب العباس بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل مكة فنادى يا أهل مكة أسلموا تسلموا فقد إستبطأتم بأشهب باذل قد جاءكم الزبير من أعلى مكة وجاء خالد من أسفل مكة وخالد وما خالد والزبير وما الزبير ثم قال من أسلم فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل وأغلق بابه فهو آمن ومن تعلق بأستار الكعبة فهو آمن ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر عليهم فآمن الناس جميعاً إلا بني بكر من أجل خزاعة فقاتلتهم خزاعة إلى نصف النهار فأنزل الله تعالى \* (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصرهم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) \* وهم خزاعة \* (ويذهب غيظ قلوبهم) \* يعني حقد قلوب خزاعة وروى مصعب بن سعد عن أبيه قال لما كان يوم فتح مكة آمن الناس إلا ستة نفر عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن خطل ومقيس بن ضبابة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وامرأتين فقال إقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة

وروى عبد الله بن رباح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى مكة ذكر إلى أن قال دخل صناديد قریش من المشركين إلى الكعبة وهم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت فصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول أخ كريم وابن عم حليم رحيم قال أقول كما قال يوسف \* (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) \* فخرجوا كأنما نشروا من القبور ودخلوا في الإسلام وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يلي الصفا فخطب والأنصار أسفل منه فقالت الأنصار بعضهم لبعض أما إن الرجل أخذته الرأفة بقومه وأدر كته الرغبة في قرابته فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أقلتم كذا وكذا والله إنني رسول الله حقا إن محياهم لمحياكم وإن مماتهم لمماتكم فقالوا يا رسول الله قلنا مخافة أن تفارقنا ضنا بك قال أنتم الصادقون عند الله وعند رسوله

قال الله تعالى \* (ويتوب الله على من يشاء) \* يعني من أهل مكة يهديهم الله لدينه \*

(والله عليم) \* بمن يؤمن من خلقه \* (حكيم) \* في أمره

(٤٤)

قوله تعالى \* (أم حسبتم أن تتركوا) \* وذلك أنه لما أمرهم الله تعالى بالقتال شق ذلك على بعض المؤمنين فنزل قوله \* (أم حسبتم أن تتركوا) \* يعني أظننتم أن تتركوا على الإيمان أيها المؤمنون ولا تبتلوا بالقتال ولا تؤمروا به \* (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) \* يعني لم يميز الله الذين جاهدوا منكم من الذين لم يجاهدوا وقد كان يعلم الله ذلك منهم قبل أن يجاهدوا وقبل أن يخلقهم ولكن كان علمه علم الغيب ولا يستوجبون الجنة والثواب بذلك العلم وإنما يستوجبون الثواب والعقاب بما يظهر منهم من الجهاد ويقال معناه أظننتم أن تدخلوا الجنة بغير جهاد وبغير تعب النفس وهكذا قال في آية أخرى \* (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) \* [البقرة: ٢١٤] وكما قال في آية أخرى \* (أحسب الناس أن يتركوا) \* [العنكبوت: ٢] الآية

ثم قال \* (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله) \* يعني لم يتخذوا أولياء من دون الله تعالى ولا رسوله يعني ولا من دون رسوله \* (ولا المؤمنين) \* يعني يميزهم من غيرهم \* (وليجة) \* يعني بطانة من غير أهل دينه ليفشي إليه سره وقال الزجاج الوليجة البطانة وهي مأخوذة من ولج الشيء في الشيء إذا دخل يعني ولم يتخذوا بينهم وبين أهل الكفر خلة ومودة ويقال نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة يخبرهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم يريد الخروج إليهم وأراد بذلك مودة أهل مكة وفيه نزلت \* (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) \* [الممتحنة: ١] الآية

ثم قال تعالى \* (والله خبير بما تعملون) \* يعني من الخير والشر والجهاد والتخلف ومودة أهل الكفر

سورة التوبة ١٧ - ١٨

قوله تعالى \* (ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين) \* قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي \* (مساجد) \* بلفظ الجماعة وكذلك الثاني يعني جميع المساجد وقرأ الباقون الأول \* (مسجد) \* بغير ألف والثاني بألف وروي عن ابن كثير كلاهما بغير ألف يعني المسجد الحرام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو الأول \* (مسجد) \* بغير ألف والثاني بألف يعني المسجد الحرام ومن قرأ \* (مساجد) \* أيضا يجوز أن يحمل على المسجد الحرام لأنه يذكر المساجد ويريد به مسجدا واحدا كما قال \* (يا أيها الرسل) \* [المؤمنون: ٥١] يعني به النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى \* (شاهدين على أنفسهم بالكفر) \* يعني ما كانت لهم عمارة المسجد في حال إقرارهم بالكفر يعني لا ثواب لهم بغير إيمان \* (أولئك حبطت أعمالهم) \* يعني بطل





ثواب أعمالهم ويقال \* (شاهدين على أنفسهم) \* يعني كلامهم يشهد عليهم بالكفر \*  
(وفي النار هم خالدون) \* يعني يكونون في النار هم دائمون ويقال شاهدين على  
أنفسهم يوم القيامة فلا ينفعهم عمارة المسجد بغير إيمان وروى أسباط عن السدي في  
قوله \* (شاهدين على أنفسهم بالكفر) \* أنه قال يسأل النصراني ما أنت فيقول نصراني  
ويسأل اليهودي ما أنت فيقول يهودي ويسأل المشرك ما أنت فيقول مشرك فذلك قوله  
تعالى \* (شاهدين على أنفسهم بالكفر) \*

ويقال الآية نزلت في شأن العباس حين أسر يوم بدر فأقبل عليه نفر من المهاجرين  
وعيروه بقتال النبي صلى الله عليه وسلم وبقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون  
مساوينا وتكتمون محاسننا فقال له علي رضي الله عنه فهل لكم من المحاسن شيء  
فقال نعم إنا نعلم المسجد الحرام ونحج الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني ونفادي  
الأسير ونؤمن الخائف ونقري الضيف فنزل \* (ما كان للمشركين) \* إلى قوله \* (أولئك  
حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) \*

قوله تعالى \* (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله) \* يعني صدق بوحدانية الله تعالى \*  
(واليوم الآخر) \* يعني آمن بالبعث بعد الموت لأن عمارة المسجد بإقامة الجماعات  
وهم كانوا لا يقيمون الصلاة فلم يكن ذلك عمارة المسجد فذلك قوله \* (وأقام  
الصلاة) \* يعني يداوم على الصلوات الخمس ويقيمها بركوعها وسجودها في مواقيتها  
\* (وأتى الزكاة) \* المفروضة \* (ولم يخش إلا الله) \* يعني ولم يعبد إلا الله ولم يوحد  
غيره \* (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) \* يعني أولئك هم المهتدون لدينه ولهم  
ثواب أعمالهم

سورة التوبة ١٩

قوله تعالى \* (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر  
وجاهد في سبيل الله) \* يعني كإيمان من آمن بالله \* (وجاهد) \* في طاعة الله وقال  
القتبي \* (أجعلتم سقاية الحاج) \* يعني صاحب سقاية الحاج كمن آمن بالله ويقال  
أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن بالله كما قال في آية أخرى \* (لهدمت صوامع  
وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) \* [الحج: ٤٠] والصلوات لا تهدم  
وإنما أراد به بيوت الصلوات كما قال \* (من قرئتك التي أخرجتك) \* [محمد: ١٣]  
يعني أهل قرئتك كذلك ها هنا سقاية الحاج أراد به صاحب السقاية قرأ بعضهم " سقاة  
الحاج وعمرة المسجد الحرام " يعني جمع الساقى والعامر وهي قراءة شاذة

ثم قال \* (لا يستون عند الله) \* يعني لا يستون في الثواب والعمل عند الله \* (والله لا يهدي القوم الظالمين) \* يعني لا يرشد المشركين إلى الحجة ويقال لا يكرمهم بالمعرفة ما لم يتركوا كفرهم كما قال في آية أخرى \* (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) \* [العنكبوت: ٦٩]

سورة التوبة ٢٠ - ٢٢

قوله تعالى \* (الذين آمنوا وهاجروا) \* يعني صدقوا بوحدانية الله \* (وهاجروا) \* إلى المدينة \* (وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) \* يعني هؤلاء أفضل عند الله وأفضل درجة في الجنة من الذين لم يهاجروا ولم يؤمنوا ولم يعمروا المسجد الحرام ولم يسقوا الحاج \* (أولئك هم الفائزون) \* يعني الناجين من النار

قوله تعالى \* (يشرهم ربهم) \* يعني يفرحهم \* (برحمة) \* يعني بجنة \* (منه ورضوان) \* رضي الله تعالى عنهم كما قال في آية أخرى \* (رضي الله عنهم ورضوا عنه) \* [المجادلة: ٢٢] بالثواب الذي أعطاهم

ثم قال تعالى \* (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) \* يعني دائما لا ينقطع عنهم \* (خالدين فيها) \* يعني مقيمين دائمين في الجنات \* (أبدا) \* هو تأكيد للخلود \* (أن الله عنده أجر عظيم) \* وهي الجنة  
سورة التوبة ٢٣

قوله تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء) \* يعني الذين بمكة أولياء قال مقاتل نزلت الآية في التسعة الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة فنهاهم الله تعالى عن ولايتهم وقال في رواية الكلبي لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة فجعل الرجل يقول لامرأته ولأخيه إنا قد أمرنا بالهجرة فيخرج معه ومنهم من تعلق به زوجته وعياله فيرق لهم فيقولون له لمن سوف تدعنا حتى نضيع فيرق لهم ويجلس معهم فنزل \* (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء) \* في الدين والعون \* (إن استحبوا الكفر) \* يعني إن اختاروا الكفر \* (على الإيمان) \* ويقال اختاروا الكفر على الإيمان ويقال اختاروا الجلوس مع الكفار على الجلوس مع المؤمنين \* (ومن يتولهم منكم) \* بعد نزول هذه الآية \* (فأولئك هم الظالمون) \* أي الضارون بأنفسهم

## سورة التوبة ٢٤

قوله تعالى \* (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) \* يعني قومكم قرأ عاصم في رواية أبي بكر " وعشيرتكم " بالألف بلفظ الجماعة وقرأ الباقون \* (وعشيرتكم) \* بغير ألف \* (وأموال اقترفتموها) \* يعني إكتسبتموها بمكة \* (وتجارة تخشون كسادها) \* يعني تخشون أن تبقى عليكم فلا تنفق \* (ومساكن ترضونها) \* يعني منازلكم بمكة تعجبكم الإقامة فيها \* (أحب إليكم من الله ورسوله) \* يعني إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من أن تهاجروا إلى الله ورسوله بالمدينة \* (وجهاد في سبيله) \* يعني في طاعة الله \* (فتربصوا) \* يعني فانتظروا \* (حتى يأتي الله بأمره) \* يعني فتح مكة ويقال الموت والقيامة وقال الضحاك \* (حتى يأتي الله بأمره) \* يعني حتى يأمر الله بقتال آباءكم وأبنائكم وإخوانكم وعشيرتكم ثم قال \* (والله لا يهدي القوم الفاسقين) \* وهذا وعيد من الله تعالى للذين لم يهاجروا ويقال من أول سورة براءة إلى قوله \* (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) \* [التوبة: ١١] نزلت بعد فتح مكة ثم من قوله \* (وإن نكثوا أيمانهم) \* [التوبة: ١٢] إلى ها هنا كان نزل قبل فتح مكة فوضع ها هنا

## سورة التوبة ٢٥

ثم بعد هذا نزلت بعد فتح مكة وهو قوله تعالى \* (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين) \* وذلك أنه لما نزل قوله تعالى \* (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) \* [التوبة: ٥] فأمرهم الله تعالى بأن يقاتلوا ويتوكلوا على الله ويطلبوا النصر منه ولا يعتمدوا على الكثرة والقلّة لأن النصر من الله تعالى فذلك قوله \* (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) \* يعني من مشاهد كثيرة وهو يوم بدر ويوم بني قريظة ويوم خيبر ويوم فتح مكة وخاصة يوم حنين يعني نصركم الله في مواطن كثيرة \* (إذ أعجبتكم كثرتكم) \* يعني جماعتكم \* (فلم تغن عنكم شيئاً) \* يعني عن قضاء الله تعالى لم تغن كثرتكم شيئاً وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى حنين في اثني عشر ألفاً وعشرة آلاف خرجوا معه من المدينة إلى فتح مكة وخرج معه ألفان من أهل مكة فقال رجل من المسلمين يقال له سلمة بن سلامة لن نغلب اليوم من قلة وقد كان فتح مكة في شهر رمضان وبقيت عليه أيام

من رمضان فمكث حتى دخل شوال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم عينا له يقال له عبد الله بن أبي حدرد فأتى حنينا فكان بينهم يسمع أخبارهم فسمع من مالك بن عوف أمير القوم لأصحابه أنهم اليوم أربعة آلاف رجل فإذا لقيتم العدو فاحملوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا جفون سيوفكم فوالله لا تضربون بأربعة آلاف سيف شيئا إلا أفرج لكم وكان مالك بن عوف على هوازن فأقبل ابن أبي حدرد حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بمقاتلتهم فقال رجل من المسلمين فوالله يا نبي الله صلى الله عليه وسلم لا نغلب اليوم من كثرة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمته وابتلى الله المؤمنين بكلمته تلك

قال الفقيه حدثنا أبو جعفر قال حدثنا الفقيه علي بن أحمد الفارسي قال حدثنا نصير بن يحيى قال حدثنا أبو سليمان قال حدثنا الفقيه محمد بن الحسن عن مجمع بن يعقوب عن إسحاق بن عبد الله عن أبي طلحة قال سمعت أنس بن مالك يقول لما إنتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي حنين وهو وادي من أودية تهامة له مضايق وشعاب فاستقبلنا من هوازن جيش لا والله ما رأيت مثله في ذلك قط من السواد والكثرة وقد ساقوا أموالهم ونساءهم وأبناءهم وراءهم ثم صفوا فحملوا النساء فوق الإبل وراء صفوف الرجال ثم جاؤوا بالإبل والغنم وراء ذلك لكيلا يفروا بزعمهم فلما رأينا ذلك السواد حسبناهم رجالا كلهم فلما إنحدرنا بالوادي وهو وادي حدور فبينما نحن فيه إذ شعرنا أي ما شعرنا إلا بالكثائب قد خرجت علينا من مضايق الوادي وشعبه فحملوا علينا حملة رجل واحد وقد كانت قريش بمكة طلبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا معه إلى حنين فلم يقل لهم لا ولا نعم فخرجوا وكانوا هم أول من انهزم من الناس قال أنس فولوا دبرهم وتبعهم الناس منهزمين ما يلوون على شيء فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول والتفت عن يمينه وعن يساره يا أنصار الله وأنصار رسوله أنا عبد الله ورسوله صابر اليوم ثم تقدم بحرته أمام الناس فوالذي بعثه بالحق ما ضربنا بسيف ولا طعنا برمح حتى هزمهم الله تعالى ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المعسكر وأمر بطلبهم وأن يقتل كل من قدر عليه منهم وجعلت هوازن تولي وثاب من انهزم من المسلمين قال الراوي فقالت أم سليم وكانت يومئذ تقاتل شادة على بطنها بثوب تقول أرأيت يا رسول الله الذين أسلموا وفروا عنك وخذلوك لا تعف عنهم إن أمكنتك الله منهم فاقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سليم عفو الله أوسع

وروي في خبر آخر أن دريد بن الصمة كان شيخا كبيرا في عسكر مالك بن عوف وكان صاحب تدبير وكان لا يبصر شيئا ما لم يرفع حاجباه فقال ما لي أسمع رغاء الإبل



وثغاء الغنم وصوت الصبيان فقالوا له إن مالك بن عوف أمرنا بإخراج الأموال لكي يقاتل كل واحد منهم عن ماله فقال لهم هلا أخبرتموني بذلك قبل الخروج فقال هل يرى المنهزم شيئاً فالرجل إذا جاءتة الهزيمة متى يبالي بماله وولده ولكن إذا فعلتم ذلك فاكسروا جفون سيوفكم واحملوا حملة رجل واحد ففعلوا ذلك فانهمزم المسلمون ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا العباس وأبو سفيان بن حرب بن عبد المطلب وعدة من الأنصار فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بغلته وأخذ السيف نحو العدو وجعل ينادي يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة إلي إلي فأمدته الله بخمسة آلاف من الملائكة ورجع إليه المسلمون وانهمزم المشركون وأخذ المسلمون أموالهم وهو الذي يسمى يوم أوطاس فنزلت هذه الآية \* (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين) \* فأخبر الله تعالى أن الغلبة ليست بكثرتم ولكن بنصر الله تعالى وكان ذلك من آيات الله

ثم قال \* (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) \* يعني برحبها وسعتها من خوف العدو \* (ثم وليتم مدبرين) \* يعني منهزمين لا تلوون على أحد

سورة التوبة ٢٦ - ٢٧

قوله تعالى \* (ثم أنزل الله سكينته على رسوله) \* يعني رحمته \* (وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً) \* يعني خمسة آلاف من الملائكة \* (لم تروها) \* وفي الآية دليل أن المؤمن لا يخرج من الإيمان وإن عمل الكبيرة لأنهم ارتكبوا الكبيرة حيث هربوا وكان عددهم أكثر من عدد المشركين فسامهم الله تعالى مؤمنين \* (وعذب الذين كفروا) \* يعني بالقتل والهزيمة \* (وذلك) \* يعني ذلك العذاب \* (جزاء) \* عقاب \* (الكافرين) \* قوله \* (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) \* من أصحاب مالك بن عوف من كان أهلاً للإسلام وروي عن محمد بن كعب القرظي قال لما انهزم مالك بن عوف سار مع ثلاثة آلاف فقال لأصحابه هل لكم أن تصيبوا من محمد مالا قالوا نعم فأرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنني أريد أن أسلم فما تعطيني فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم إنني أعطيك مائة من الإبل ورعاتها فجاء فأسلم فأقام يومين أو ثلاثة فلما رأى المسلمين ورقتهم وزهدهم واجتهادهم رق لذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عوف ألا نفي لك بما أعطيناك من الشرط فقال يا رسول الله أمثلي يأخذ على الإسلام شيئاً قال فكان مالك بن عوف بعد ذلك ممن افتتح عامة

الشام ثم قال \* (والله غفور) \* لما كان في الشرك \* (رحيم) \* بهم في الإسلام  
سورة التوبة ٢٨

قوله تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) \* يعني قدر ورجس ولم يقل  
أنجاس لأن النجس مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع \* (فلا يقربوا المسجد الحرام  
بعد عامهم هذا) \* فهذه الآية من الآيات التي قرأها عليهم علي بن أبي طالب بمكة  
يعني لا يدخلوا أرض مكة وقال مقاتل يعني الحرم كله وقال مالك بن أنس لا يجوز  
للكفار أن يدخلوا المساجد لأن الله تعالى قال \* (إنما المشركون نجس) \* كما أن  
الجنب لا يجوز له أن يدخل المسجد

وقال الزهري له أن يدخل جميع المساجد إلا المسجد الحرام وهو قول الشافعي رحمه  
الله وقال أبو حنيفة رضي الله عنه وأصحابه يجوز للذمي أن يدخل جميع المساجد لأن  
الكفار كانوا يدخلون مسجد المدينة إذا قدموا وافدين من قومهم وهذه الآية نزلت في  
شأن أهل الحرب إنهم لا يدخلون المسجد الحرام بغير أمان ولا يكون لهم ولاية البيت  
وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال لا يدخلون المسجد الحرام إلا بإذن أو عهد  
ثم قال تعالى \* (وإن خفتم عيلة) \* يعني حاجة وفقرا وقال الزجاج العيلة الفقر كما قال  
الشاعر

(وما يدري الفقير متى غناه

\* ولا يدري الغني متى يعيل)

ثم قال \* (فسوف يغنيكم الله من فضله) \* أي من رزقه وذلك أنه لما منع المشركون  
من مكة قال أناس من التجار لأهل مكة من أين تأكلون فنزل \* (وإن خفتم عيلة فسوف  
يغنيكم الله من فضله) \* يعني من رزقه ففرحوا بذلك فأسلم أهل جدة وصنف من أهل  
اليمن فحملوا الطعام إلى مكة من البر والبحر وأغناهم الله بذلك يعني أغناهم عن تجار  
الكفار بالمؤمنين ثم قال \* (إن شاء) \* يعني يدوم لكم بمشيئة الله \* (إن الله عليم) \*  
بخلقه \* (حكيم) \* في أمره

سورة التوبة ٢٩

قوله تعالى \* (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) \* يعني لا يصدقون بتوحيد الله \* (ولا باليوم  
الآخر) \* بالبعث بعد الموت \* (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) \* في التوراة  
والإنجيل والقرآن \* (ولا يدينون دين الحق) \* يقول لا يخضعون لدين الحق ولا يقرون  
بشهادة لا إله



إلا الله ومعناه لا يؤمنون بالله إيمان الموحدين لأن أهل الكتاب كانوا يقرون بالله ولكنهم قالوا لله ولد وأقروا بالبعث ولكنهم لا يقرون لأهل الجنة بالنعمة ولأنهم لا يقرون بالأكل والشرب والجماع ولا يقرون كما أعلم الله تعالى فليسوا يدينون بدين الحق يعني دين الإسلام ويقال دين الله تعالى لأن الله تعالى هو الحق فأمر الله تعالى بقتلهم إلا أن يعطوا الجزية وهو قوله تعالى \* (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) \* قال بعضهم عن قهر وذل كما تقول اليد في هذا لفلان يعني الأمر النافذ لفلان ويقال \* (عن يد) \* يعني عن إنعام عليهم بذلك لأن قبول الجزية وترك أنفسهم يد ونعمة عليهم ويقال عن اعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم ويقال \* (عن يد) \* يعني عن قيام يمشون بها صاغرين تؤخذ من أيديهم وقال الأخفش يعني كرها \* (وهم صاغرون) \* يعني ذليلين

قال الفقيه قتال الكفار على ثلاثة أنواع في وجه يقاتلون حتى يسلموا ولا يقبل منهم إلا الإسلام وهم مشركو العرب والمرتدون من الأعراب أو من غيرهم وفي وجه يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية وهم اليهود والنصارى والمجوس فأما اليهود والنصارى فهذه الآية وأما المجوس فبالخبر وهو قوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب وفي الوجه الثالث اختلفوا فيه وهم المشركون من غير العرب وغير أهل الكتاب مثل الترك والهند ونحو ذلك في قول الشافعي لا يجوز أخذ الجزية منهم وفي قول أبي حنيفة وأصحابه يجوز أخذ الجزية منهم كما يجوز من المجوس لأنهم من غير العرب سورة التوبة ٣٠ - ٣١

قوله تعالى \* (وقالت اليهود عزير ابن الله) \* قرأ عاصم والكسائي \* (عزير) \* بالتنوين وقرأ الباقون بغير تنوين فمن قرأ بالتنوين فلأن الابن خبر وليس بنسبة ومن قرأ بغير تنوين فالتقاء الساكنين كما قرأ بعضهم \* (قل هو الله أحد الله الصمد) \* [الإخلاص: ١] بغير تنوين فلا إختلاف بين النحويين أن إثبات التنوين أجود من طريق أهل اللغة وإنما قالت اليهود ذلك لأنه لما خرب بخت نصر بيت المقدس وأحرق التوراة حزنوا على ذهاب التوراة فأملأها عليهم عزير صلوات الله عليه عن ظهر قلبه فتعلموها وفي أنفسهم منها شيء مخافة أن يكون قد

زاد فيها أو نقص منها شيئاً فبينما هم كذلك إذ وقعوا على خوابي مدفونة في قرية فيها التوراة فعارضوا بها ما كتبوا من عزيز فلم يزد شيئاً ولم ينقص حرفاً فقالوا عند ذلك ما علم عزيز هذا إلا وهو ابن الله

\* (وقالت النصارى المسيح ابن الله) \* وإنما قالوا ذلك لأن المسيح كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله تعالى فقالوا لم يكن يفعل هذا إلا وهو ابن الله ويقال إن الإفراط في كل شيء مذموم لأن النصارى أفرطوا في حب عيسى عليه السلام وقالوا فيه ما قالوا حتى كفروا بسبب ذلك واليهود أفرطوا بحب عزيز وقالوا فيه ما قالوا حتى كفروا كما أفرطت الروافض في حب علي حتى أبغضوا غيره وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوماً

ثم قال تعالى \* (ذلك قولهم بأفواههم) \* يعني \* (ذلك) \* كذبهم بألسنتهم ويقال معناه يقولون بأفواههم قولاً بلا فائدة ولا برهان ولا معنى صحيح تحته  
ثم قال \* (يضاهئون قول الذين كفروا) \* يعني يوافقون قول الذين كفروا \* (من قبل) \* حين قالوا الملائكة بنات الله وقال قتادة يشبهون قول الذين كفروا يعني قول اليهود موافق قول النصارى وقول النصارى يوافق قول اليهود ويقال يتشابهون في قولهم هذا من تقدم من كفر منهم يعني إنما قالوا اتباعاً لهم بدليل قوله تعالى \* (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) \* قرأ عاصم \* (يضاهئون) \* بكسر الهاء مع الهمزة وهي لغة لبعض العرب وقرأ الباقون بالسكون بغير همزة وهي اللغة المعروفة وقال القتيبي "يضاهون" يعني يشبهون قول من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى قول أوليهم الذين كانوا قبلهم

ثم قال تعالى \* (قاتلهم الله) \* يعني لعنهم الله \* (أنى يؤفكون) \* يعني من أين يكذبون بتوحيد الله تعالى ثم قال \* (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) \* يعني أهل الصوامع والمتعبدين منهم \* (أرباباً من دون الله) \* يعني إتخذوهم كالآرباب يطيعونهم في معاصي الله

قال الفقيه الزاهد حدثنا أبو جعفر قال حدثنا حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن القاري قال حدثنا محمد بن عيسى قال حدثنا الحسن بن يزيد الكوفي عن عبد السلام بن حرب عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعيد عن عدي بن حاتم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ من سورة براءة \* (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) \* قال أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكن كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً إستحلوا وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموا

ثم قال \* (والمسيح ابن مريم) \* يعني اتخذوا المسيح ربا من دون الله \* (وما أمروا) \* يقول وما أمرهم عيسى عليه السلام \* (إلا ليعبدوا إلهها واحدا لا إله إلا هو) \* يعني إلا قوله الله ربي وربكم ويقال \* (وما أمروا) \* في جميع الكتب إلا ليعبدوا إلهها يعني ليوحدها الله تعالى إلهها واحدا ثم نزه نفسه فقال تعالى \* (لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) \* يعني يعبدون من دونه  
سورة التوبة ٣٢ - ٣٣

ثم قال عز وجل \* (يريدون) \* يعني اليهود النصارى \* (أن يطفئوا نور الله بأفواههم) \* يعني يريدون أن يردوا القرآن تكذيبا بألسنتهم ويقال يريدون أن يغيروا دين الإسلام بألسنتهم ويقال يريدون أن يبتلوا كلمة التوحيد بكلمة الشرك \* (ويأبى الله) \* يعني لا يرضى الله ولا يترك \* (إلا أن يتم نوره) \* يعني يظهر دينه الإسلام \* (ولو كره الكافرون) \* فيظهره

ثم قال تعالى \* (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) \* يعني بالقرآن والتوحيد \* (ودين الحق) \* يعني دين الإسلام ويقال دين الله \* (ليظهره على الدين كله) \* حتى يظهره بالحجة على الدين كله ويقال بالقهر والغلبة والرعب في قلوب الكفار وقال ابن عباس \* (ليظهره على الدين كله) \* يعني بعد نزول عيسى عليه السلام لا يبقى أحد إلا ودخل في دين الإسلام \* (ولو كره المشركون) \*  
سورة التوبة ٣٤ - ٣٥

قوله تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان) \* قال السدي الأحبار اليهود والرهبان النصارى وقال ابن عباس الأحبار العلماء والرهبان أصحاب الصوامع \* (ليأكلون أموال الناس بالباطل) \* يعني بالظلم بغير حق \* (ويصدون عن سبيل الله) \* يعني يصرفون الناس عن دين الله ثم بين الله تعالى حالهم للمؤمنين لكي يحذروا منهم ولا يطيعونهم

قوله تعالى \* (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) \* يعني يجمعون ويمنعون زكاتها قال بعضهم هذا نعت للأحبار والرهبان وقال بعضهم هذا ابتداء في حق كل من جمع المال ومنع منه حق الله وقال ابن عباس الكنز الذي لا يؤدي عنه زكاته

وروى نافع عن ابن عمر أنه قال أي مال كان على وجه الأرض لا تؤدي زكاته فهو كنز يعذب صاحبه يوم القيامة وما كان في الأرض تؤدي زكاته فليس بكنز وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال أربعة آلاف فما دونها نفقة وما كان أكثر منها فهو كنز

ثم قال \* (فبشرهم بعذاب أليم) \* يعني أهل هذه الصفة الذين يكتزون الذهب والفضة \* (ولا ينفقونها في سبيل الله) \* يعني لا يؤديون حقها في طاعة الله تعالى وقال \* (ولا ينفقونها) \* ولم يقل ينفقونه لأنه انصرف إلى المعنى يعني لا ينفقون الكنوز ويقال لا ينفقون الأموال ويقال يعني الفضة

وقال بعضهم نزل هذا في شأن الكفار وقال بعضهم كان هذا في أول الإسلام ووجب عليهم أن يؤديوا الفضل ثم نسخ بآية الزكاة وقال بعضهم كل مؤمن لا يؤدي الزكاة فهو من أهل هذه الآية وهو قوله تعالى \* (يوم يحمى عليها في نار جهنم) \* يعني يوقد على الكنوز \* (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) \* ويقال لهم \* (هذا ما كنزتم) \* يعني ما جمعتم \* (لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون) \*

قال الفقيه حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم أنه قال والذي لا إله غيره لا يعذب رجل بكنز فيمس دينار ديناراً ولا درهم درهما ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل درهم على جسده وكل دينار على خده وروى أبو أمامة الباهلي قال مات رجل من أهل الصفة فوجد في مؤتره دينار فقال صلى الله عليه وسلم كية ومات رجل آخر فوجد في مؤتره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان والمعنى في ذلك أنه قد أصاب ذلك من الغلول ولو لم يكن أصابه من الغلول لكان لا يستحق العقوبة لأن الزكاة لا تجب في أقل من عشرين ديناراً وقال بعضهم كان هذا في الوقت الذي وجب عليه أن ينفق الفضل

## سورة التوبة ٣٦

قوله تعالى \* (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله) \* فأعلم الله تعالى أن عدة الشهور للمسلمين التي يعدون اثنا عشر شهرا على منازل القمر فجعل حجهم وأعيادهم وصيامهم على هذا العدد فالحج والصوم يكون مرة في الشتاء ومرة في الصيف وكانت أعياد أهل الكتاب في متعباتهم وسنتهم على حساب دوران الشمس على كل سنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما فجعل شهور المسلمين بالأهلة كما قال الله تعالى " يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج " [البقرة: ١٨٩] ويقال \* (إن عدة الشهور) \* يعني عدد الشهور التي وجبت عليكم الزكاة فيها اثنا عشر شهرا \* (في كتاب الله) \* يعني في اللوح المحفوظ \* (يوم خلق السماوات والأرض) \* كتبها عليكم \* (منها أربعة حرم) \* يعني رجب وذا القعدة وذا الحجة والمحرم \* (ذلك الدين القيم) \* يعني ذلك الحساب المستقيم لا يزداد ولا ينقص وقال مقاتل بن حبان \* (ذلك الدين القيم) \* يعني ذلك القضاء البين وهكذا قال الضحاك ثم قال \* (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) \* قال بعضهم في الأربعة أشهر وقال قتادة الظلم في الشهر الحرام أعظم وزرا مما سوى ذلك وإن كان الظلم على كل حال غير جائز ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء ويقال \* (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) \* يعني في هذه الاثني عشر شهرا ويقال هو على وجه التقديم إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فلا تظلموا فيهن أنفسكم منها أربعة حرم يعني وخاصة في الأربعة أشهر ثم قال \* (وقاتلوا المشركين كافة) \* يعني جميعا في الشهر الحرام وغيره وكان القتال في الشهر الحرام محرما فنسخ بهذه الآية وصار مباحا في جميع الشهور وقال بعضهم هو غير مباح ومعنى هذه الآية \* (وقاتلوا المشركين كافة) \* إن قاتلوكم في الشهر الحرام وإن لم يقاتلوكم فلا يجوز والقول الأول أصح لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد حاصر الطائف في الشهر الحرام ثم فتحها بعد ما مضى الشهر الحرام فلو كان القتال حراما لم يحاصروهم في الشهر الحرام ثم قال \* (واعلموا أن الله مع المتقين) \* يعني معينهم وناصرهم

## سورة التوبة ٣٧

قوله تعالى " إنما النسيء زيادة في الكفر " يعني تأخير المحرم إلى صفر زيادة الإثم في كفرهم وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال كانوا يحجون في ذي الحجة عامين

ثم يحجون في المحرم عامين ثم يحجون في صفر عامين و كانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين حتى وافقت حجة أبي بكر رضي الله عنه الآخر من العامين في ذي القعدة قبل حجة النبي صلى الله عليه وسلم ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم من قابل في ذي الحجة وقال في خطبته ألا إن الزمان قد إستدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض

وروى أسباط عن السدي أنه قال كان رجل من بني مالك بن كنانة يقال له جنادة بن عوف يكنى أبا أمامة ينسب عدد الشهور وقال في رواية الكلبي كان اسمه نعيم بن ثعلبة من بني كنانة وقال في رواية مقاتل كان اسمه ثمامة الكناني وكانت العرب يشتد عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر لا يغير بعضهم على بعض فإذا أرادوا أن يغيروا قام الكناني يوم منى وخطب الناس وقال إني قد أحللت لكم المحرم وحرمت صفر لكم مكانه فقاتل الناس في المحرم فإذا كان صفر غمدوا السيوف ووضعوا الأسنة ثم يقوم من قابل ويقول إني قد أحللت صفر وحرمت المحرم \* (يضل به الذين كفروا) \* بتأخير المحرم إلى صفر فذلك قوله \* (يحلونه عاما ويحرمونه) \* قرأ ابن كثير " إنما النسي " بتشديد الياء بغير همز وقرأ الباقون بالتحفيف والهمزة ومعناها واحد وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص \* (يضل به الذين كفروا) \* بضم الياء ونصب الضاد على معنى فعل ما لم يسم فاعله وقرأ الباقون \* (يضل به) \* بفتح الياء وكسر الضاد ويكون معناه تأخيرهم عمل يضل به الذين كفروا يحلونهم عاما ويقاتلون فيه ويحرمونه عاما ولا يقاتلون فيه \* (ليواطئوا) \* يعني ليوافقوا \* (عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم) \* يعني حسن لهم قبح أعمالهم \* (والله لا يهدي القوم الكافرين) \* يعني لا يرشدهم إلى دينه مجازاة لكفرهم

سورة التوبة ٣٨ - ٣٩

قوله تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله) \* يعني في الجهاد " إناقلتم في الأرض " يعني تناقلتم فأدغم التاء في التاء وحذفت الألف لتسكين ما بعدها يعني قعدتم ولم تخرجوا وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الناس بالخروج إلى غزوة تبوك

وكان في أيام الصيف حين اشتد الحر وطابت الثمار والظلال فكانوا يتشاقلون عن الخروج فعاتبهم الله تعالى فقال \* (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) \* يقول آثرتم واخترتم عمل الدنيا على عمل الآخرة \* (فما متاع الحياة الدنيا) \* يعني منفعة الدنيا \* (في الآخرة إلا قليل) \* يعني بجنب منفعة الآخرة إلا ساعة ويقال معناها ما يتمتع به في الدنيا قليل عندما يتمتع به أولياء الله في الجنة ثم خوفهم فقال تعالى \* (إلا تنفروا يعذبكم) \* الله وأصله إن لا تنفروا فأدغم النون في اللام ومعناه إن لم تنفروا يعني إن لم تخرجوا إلى الغزو مع نبيكم يعذبكم \* (عذابا أليما) \* يعني يسلط عليكم عدوكم أو يهلككم \* (ويستبدل قوما غيركم) \* خيرا منكم وأطوع لله تعالى \* (ولا تضروه شيئا) \* يقول ولا تنقصوا عن ملكه شيئا بجلوسكم عن الجهاد " والله على كل شيء قدير " أن يستبدل بكم قوما غيركم

سورة التوبة ٤٠

قوله تعالى \* (إلا تنصروه فقد نصره الله) \* يعني إن لم تنصروه ولم تخرجوا معه إلى غزوة تبوك فالله ينصره كما نصره \* (إذ أخرجهم الذين كفروا) \* يعني كفار مكة من مكة \* (ثاني اثنين) \* يعني كان واحدا من اثنين يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ولم يكن معهما غيرهما فنصرهما الله تعالى \* (إذ هما في الغار) \* وذلك حين أراد أهل مكة قتله فهاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر فلم يجده فجلس إلى أن جاء أبو بكر فقبل رأس النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما لك بأبي أنت وأمي قال ما أرى قريشا إلا قاتلي فقال أبو بكر دمي دون دمك ونفسي دون نفسك لا يصنع بك شيء حتى يبدأ بي فقال أدخل بي قال أبو بكر ليس بك عين إنما هما إبتاي أسماء وعائشة قال قد أذن لي بالخروج من مكة فقال أبو بكر يا رسول الله إن عندي بعيرين حبستهما للخروج فخذ إحداهما واركبه قال لا أخذه إلا بالثمن فأخذه بالثمن وهي ناقته القصواء فأمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب بأن يبيت مكانه وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر حتى أتيا ثورا جبلا بأسفل مكة قال الفقيه حدثنا أبو جعفر قال حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن سهل القاضي قال

حدثنا يحيى بن أبي طالب عن عبد الرحمن بن إبراهيم الرازي قال حدثنا الفرات عن ميمون بن مهران عن ضبة بن محصن عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال والله لليلة من أبي بكر خير من عمر وآله قيل وأيه ليلة هي قال لما خرج رسول الله هاربا من أهل مكة ليلا فنبعه أبو بكر فجعل أبو بكر يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر قال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك وعن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت فلما رآها أبو بكر أنها قد حفيت حملة على عاتقه وجعل يشدد به حتى أتى فم الغار فأنزله ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لا تدخله حتى أدخله أنا فإن كان من شيء نزل بي قبلك فدخل فلم ير شيئا فحملة وأدخله وقال في رواية محمد بن إسحاق كان الغار معروفا بالهوام فجعل أبو بكر يسد الجحر حتى بقي جحرات فوضع عقبيه عليهما حتى أصبح وقال في رواية عمر وكان في الغار خرق فيه حيات فخشى أبو بكر أن يخرج منه شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقمه قدمه فجعلن يضربنه ويلسعنه وجعلت الدموع تنحدر على خده من شدة الألم الذي يجده ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول \* (لا تحزن إن الله معنا) \* \* (فأنزل الله سكينته) \* يعني الطمأنينة لأبي بكر وهذه ليلته

قال الفقيه حدثنا الفقيه أبو جعفر قال حدثنا أبو بكر القاضي قال حدثنا أحمد بن جرير قال حدثنا عمرو بن علي قال حدثنا عون بن عمرو القيسي عن مصعب المكي قال أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك يذكرون النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله تعالى شجرة فخرجت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فسترت وجه النبي صلى الله عليه وسلم وإن الله تعالى بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فأقبلتا تزقان حتى وقفتا بين العنكبوت وبين الشجرة فأقبلت فتیان قريش من كل بطن معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم على قدر مائتي ذراع قال الدليل سراقه بن مالك أنظروا في هذا الحجر ثم قال أين وضع رجله قال الفتیان أنت لم تخطيء منذ الليلة أثره حتى إذا أصبحنا قال للفتیان أنظروا إلى فم الغار فاستقدم القوم حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم على قدر خمسين ذراعا نظروا فإذا حمامتان وحشيتان بغم الغار فرجعوا فقالوا رأينا حمامتين وحشيتين بغم الغار فعرفنا أنه ليس فيه أحد فسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم فعرف أن الله درأ



بهما عنه فشمت لهما يعني بارك عليهما وأحرزهما الله تعالى في الحرم فأفرختا كما هما إلى الآن

وفي خبر آخر زيادة وقد كان أمر أبو بكر عامر بن فهيرة أن يريح إليه غنمه بثور وكان يريح إليهما غنمه وكان عبد الله بن أبي بكر يأتيهما بأخبار أهل مكة فكانا فيه ثلاث ليال وكانا يريحان الغنم ويحلبان كل ليلة ما أرادا فلما نفذوا من الإلتماس وجاءهم عبد الله بن أبي بكر فأخبرهم بذلك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعامر بن فهيرة واستأجر رجلا من بني الدليل يهديهم الطريق يقال له عبد الله بن أريقط أخذ بهم أسفل مكة حتى خرجوا قريبا من جدة ثم عارضوا الطريق قريبا من عسفان ففطن سراقه بن مالك بن جعثم آثارهم فلبس لأمته وركب فرسه حتى أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسخت قوائمه فرسه فقال يا محمد أدع الله أن يطلق فرسي فإني أرى الحي قد إلتمسوني فأن أكون وراءك خير لك فأرد عنك من ورائي من الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إن كان صادقا فأطلق فرسه فانطلق فرسه فقال يا محمد خذ سهما من كنانتي فمر به على إبلي فإن أردت حمولة فخذ وإن أردت لبونا فخذ

فرجع سراقه فوجد الناس يلتمسون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم إرجعوا فقد إستبرأت لكم ما ها هنا وقد عرفتم من بصيرتي وقفوي بالآثار قال فرجعوا عنه فقدم النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر المدينة فذلك قوله \* (ثاني اثنين إذ هما في الغار) \*

قوله تعالى \* (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) \* وإنما كان أبو بكر يخاف على نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ذهاب التوحيد والإسلام لا على نفسه \* (إن الله معنا) \* في الدفع عنا \* (فأنزل الله سكينته) \* يعني طمأنينته \* (عليه) \* يعني طمأنينته على أبي بكر وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في رواية الكلبي \* (فأنزل الله سكينته عليه) \* يعني على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سكن واطمأن

قال حدثنا الفقيه أبو جعفر قال حدثنا أحمد بن محمد الحاكم القاضي قال حدثنا أحمد بن جرير قال حدثنا الحسن بن عرفة قال حدثنا أبو سوار عن أبي العطف عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت الأنصاري هل قلت في أبي بكر شيئا قال نعم قال فقل حتى أسمع فقال

(وثاني اثنين في الغار المنيف وقد

\* طاف العدو به إذ يصعد الجبال)

(وكان حب رسول الله قد علموا

\* من البرية لم يعدل به رجلا)



قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال صدقت يا حسان هو كما قلت

ثم قال تعالى \* (وأيده بجنود لم تروها) \* يعني يوم بدر والأحزاب وحنين \* (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) \* يعني الشرك بالله \* (وكلمة الله هي العليا) \* يعني شهادة أن لا إله إلا الله قرأ الأعمش ويعقوب الحضرمي \* (وكلمة الله) \* بالنصب يعني وجعل كلمة الله وقراءة العامة بالضم على معنى الاستئناف \* (والله عزيز حكيم) \* حكم بإظهار التوحيد وإطفاء دعوة المشركين

سورة التوبة ٤١ - ٤٢

قوله تعالى \* (انفروا خفافا وثقالا) \* قال الكلبي \* (خفافا) \* يعني أهل العسرة من المال وقلة العيال و \* (ثقالا) \* يعني أهل الميسرة في المال والصبية والعيال وقال الكلبي ويقال فيها وجه آخر \* (انفروا خفافا) \* يقول نشاطا في الجهاد \* (وثقالا) \* غير نشاط في الجهاد وكذا قال مقاتل ويقال \* (انفروا خفافا وثقالا) \* يعني شبانا وشيوخا وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن أبا طلحة الأنصاري قرأ هذه الآية \* (انفروا خفافا وثقالا) \* فقال ما أرى الله تعالى إلا يستنفرنا شبابا وشيوخا جهزوني فقلنا قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وأنت اليوم شيخ قال جهزوني فجهزناه فركب البحر فمات في غزاته وروى سفيان عن منصور عن الحكم قال \* (انفروا خفافا وثقالا) \* قال مشاغيل وغير مشاغيل وروى مسروق عن أبي الضحى قال أول ما نزلت من سورة براءة هذا \* (انفروا خفافا وثقالا) \* ثم نزل أولها وآخرها وروى عن ابن عباس أنه قال نسختها هذه الآية \* (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) \* [التوبة: ١٢٢] وقال بعضهم ليست بمنسوخة ولكنها في الحالة التي وقع فيها النفي عاما ووجب على جميع الناس الخروج إلى الجهاد وإذا لم يكن النفي عاما لا يكون فرضا عاما فإذا خرج بعض الناس سقط عن الباقيين وبه نأخذ ثم قال تعالى \* (ذلكم خير لكم) \* يعني الجهاد خير لكم من الجلوس \* (إن كنتم تعلمون) \* يعني تصدقون بثواب الله ويقال معناه إن كنتم تعلمون أن الخروج إلى الجهاد خير لكم من القعود فانفروا خفافا وثقالا ثم نزل في شأن المنافقين الذين تخلفوا قوله \* (لو كان عرضا قريبا) \* يعني غنيمة

قريبة ويقال سهلا قريبا \* (وسفرا قاصدا) \* يعني هينا \* (لاتبعوك) \* يعني لو علموا أنهم يصيبون مغنما \* (لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة) \* والشقة السفر يعني ثقل عليهم السفر \* (وسيحلفون بالله) \* الذين تخلفوا \* (لو استطعنا) \* يعني لو قدرنا ولو كانت لنا سعة في المال والزاد \* (لخرجنا معكم) \* إلى الغزو وقال الله تعالى \* (يهلكون أنفسهم) \* يعني بحلفهم كذبا \* (والله يعلم إنهم لكاذبون) \* بحلفهم وأن لهم سعة للخروج ولكنهم لم يريدوا الخروج  
سورة التوبة ٤٣ - ٤٥

قوله تعالى \* (عفا الله عنك لم أذنت لهم) \* وذلك أن بعض المنافقين إستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتخلف عن الخروج إلى غزوة تبوك ولم يكن لهم عذر وأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم \* (عفا الله عنك) \* يا محمد \* (لم أذنت لهم) \* وقال عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم فعل فعلين قبل أن يؤذن له فعاتبه الله تعالى على ذلك وعفا عنه أحدهما في فداء أسارى بدر والثاني في إذنه للمنافقين بالتخلف فقال له \* (عفا الله عنك) \* ولم يعاقبك لم أذنت لهم في التخلف والقيود قال الفقيه سمعت من يذكر عن أبي سعيد الفاريابي أنه قال معناه \* (عفا الله عنك) \* يا سليم القلب لم أذنت لهم فيقال إن الله تعالى إذا قال لعبده لم فعلت كذا وكذا يكون ذلك أشد عليه من الموت كذا وكذا مرة لهيبة قوله لم فعلت كذا ولو أنه بدأ للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم لكان يخاف على النبي صلى الله عليه وسلم أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام إلا أن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال \* (لم أذنت لهم) \* بالقيود عن الجهاد \* (حتى يتبين لك الذين صدقوا) \* يعني معرفة الذين صدقوا بعذرهم وإيمانهم \* (وتعلم الكاذبين) \* في عذرهم وإيمانهم ويقال معناه حتى يتبين لك المؤمن المخلص من المنافق  
ثم بين له علامة المؤمنين والمنافقين فقال الله تعالى \* (لا يستأذنك) \* يعني بغير عذر \* (الذين يؤمنون بالله) \* يعني صدقوا بالله \* (واليوم الآخر) \* في السر والعلانية \* (أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) \* في سبيل الله \* (والله عليم بالمتقين) \* يعني بالمؤمنين المخلصين  
ثم ذكر علامة المنافقين فقال \* (إنما يستأذنك) \* يعني في القيود عن الجهاد \* (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) \* يعني لا يصدقون في السر \* (وارتابت قلوبهم) \* يعني شكت

قلوبهم ونافتت قلوبهم \* (فهم في ريبهم يترددون) \* يعني في شكهم ونفاقهم يتحIRON  
ولا يتوبون ولا يرجعون عن ذلك  
سورة التوبة ٤٦ - ٤٩

قوله تعالى \* (ولو أرادوا الخروج) \* معك إلى الغزو \* (لأعدوا له عدة) \* يعني اتخذوا  
لأنفسهم قوة من السلاح معناه إن تركهم العدة دليل على إرادتهم التخلف ثم قال "  
ولكن كره إنبعاثهم " يعني لم يرد الله خروجهم معك لجبنهم وسوء نياتهم \* (فثبطهم)  
\* يعني حبسهم وأقعدهم عن الخروج ويقال ثقلهم عن الخروج ويقال جعل حلاوة  
الجلوس في قلوبهم حتى أقعدهم عن الخروج \* (وقيل أقعدوا مع القاعدين) \* يعني  
ألهموا أو خيل إليهم القعود مع المتخلفين

ثم أخبر الله تعالى أن لا منفعة للمسلمين في خروجهم معهم بل عليهم مضرة منهم ثم  
قال تعالى \* (لو خرجوا فيكم) \* يعني المنافقين لو خرجوا معكم \* (ما زادوكم إلا  
خبالا) \* يعني فسادا ويقال شرا وجبنا \* (ولأوضعوا خلالكم) \* ويقال ساروا بينكم  
ويقال والإيضاع في اللغة هو إسراع الإبل كما قال صلى الله عليه وسلم حين أفاض من  
عرفات أيها الناس عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس في إيضاع الإبل ولا في إيجاف  
الخيل يعني إن المنافقين لو خرجوا معكم يسرعون الإبل فيما بينكم ويؤذونكم  
ثم قال \* (يبغونكم الفتنة) \* يعني يطلبون منكم الشرك ويطلبون هزيمتكم وعيوبكم  
ويفشون سركم \* (وفيكم سماعون لهم) \* يعني وفي عسكركم عيون وجواسيس  
للمنافقين ويقال وفيكم من يسمع ما يقوله المنافقون ويقبلون منهم \* (والله عليم  
بالظالمين) \* يعني بالمنافقين وهذا وعيد لهم يعني \* (عليم) \* بعقوبتهم  
ثم قال عز وجل \* (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) \* يعني من قبل غزوة تبوك لأنهم قصدوا  
قتل النبي صلى الله عليه وسلم قبل كثرة المؤمنين ويقال طلبوا إظهار الشرك قبل غزوة  
تبوك \* (وقلبوا لك الأمور) \* يعني إحتالوا في قتلك وفي هلاكك من كل وجه ويقال "  
قلبوا لك الأمور " ظهرا لبطن فانظر كيف يصنعون \* (حتى جاء الحق) \* يعني كثر  
المسلمون ويقال حتى جاء

الحق يعني الإسلام \* (وظهر أمر الله) \* يعني ظهر دين الله الإسلام \* (وهم كارهون) \*  
يعني كارهون للإسلام

قوله تعالى \* (ومنهم من يقول ائذن لي) \* يعني جد بن قيس كان من المنافقين حرصه  
النبي صلى الله عليه وسلم على الخروج إلى الغزو فقال يا رسول الله إن قومي يعلمون  
حرصى على النساء فأخشى أنى لو خرجت وقعت في الإثم ولا تفتني بنات الأصفر  
وكان الأصفر رجلا من الحبش ملك ناحية من الروم فتزوج رومية فولدت له بنات  
اجتمع فيهن سواد الحبش وبياض الروم وكن فتنة فقال جد بن قيس لا تفتني بنات  
الأصفر فإنى أخاف أن لا أصبر وأضع يدي على الحرام فأذن له النبي صلى الله عليه  
وسلم بالعودة فنزل \* (ومنهم من يقول) \* يعني من المنافقين \* (ائذن لي) \* في

التخلف \* (ولا تفتني) \* يعني ولا توقعني في الفتنة والإثم  
ثم قال الله تعالى \* (ألا في الفتنة سقطوا) \* يعني ألا في الكفر والنفاق وقعوا \* (وإن  
جهنم لمحيطة بالكافرين) \* يعني جعلت جهنم للكافرين وهو جد بن قيس ومن تابعه  
سورة التوبة ٥٠ - ٥١

قوله تعالى \* (إن تصبك حسنة تسؤهم) \* يعني إن أصابك الغنيمة والنصر ساءهم ذلك  
\* (وإن تصبك مصيبة) \* يعني الشدة والنكبة والهزيمة \* (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل)  
\* يعني حذرنا بالعودة والتخلف عن الخروج من قبل المصيبة \* (ويتولوا وهم فرحون)  
\* بما أصابك وبتخلفهم

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم \* (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) \* يعني إلا  
ما قضى الله لنا وقدر علينا من شدة أو رخاء ويقال \* (إلا ما كتب الله لنا) \* يعني في  
اللوحة المحفوظ ويقال \* (إلا ما كتب الله لنا) \* في القرآن وهو قوله تعالى " فيقتلون و  
يقتلون " [التوبة: ١١١]

ثم قال \* (هو مولانا) \* أي ولينا وناصرنا وحافظنا \* (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) \*  
يعني وعلى المؤمنين أن يتوكلوا على الله ويقال وعلى الله فليثق الواثقون  
سورة التوبة ٥٢ - ٥٥

ثم قال تعالى \* (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) \* إما الشهادة وإما الغنيمة \* (ونحن نتربص بكم) \* يعني ننتظر بكم \* (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) \* وهو الموت \* (أو بأيدينا) \* يعني فيأمرنا أن نقتلكم ويقال معناه \* (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) \* يعني إلا إحدى الخبرين ونحن نتربص بكم أحد الشرين فبين ما ننتظر ومنتظرونه فرق عظيم \* (فتربصوا) \* يعني انتظروا بنا الهلاك \* (إنا معكم متربصون) \* من المتربصين يعني المنتظرين لإهلاككم

ثم قال عز وجل \* (قل أنفقوا طوعاً أو كرها) \* يعني قل للمنافقين أنفقوا \* (طوعاً) \* من قبل أنفسكم \* (أو كرها) \* مخافة القتل \* (لن يتقبل) \* الله \* (منكم) \* النفقة \* (إنكم كنتم قوماً فاسقين) \* يعني منافقين فقوله \* (أنفقوا) \* اللفظ لفظ الأمر ومعناه معنى الخبر يعني إن أنفقتم كما إنه يذكر لفظ الخبر والمراد به الأمر كقولك غفر الله لك وقولك رحم الله فلانا يعني اللهم اغفر لها هنا اللفظ لفظ الأمر ومعناه الخبر والشرط يعني إن أنفقتم طوعاً أو كرها لن يتقبل الله منكم قرأ حمزة والكسائي \* (كرها) \* بضم الكاف وقرأ الباقون \* (كرها) \* بالنصب

ثم بين المعنى الذي لم تقبل نفقاتهم من أجله قال تعالى \* (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله) \* يعني في السر قرأ حمزة والكسائي " لن يقبل منهم " بالياء على معنى التذكير وقرأ الباقون بلفظ التأنيث لأن الفعل مقدم فيجوز أن يذكر ويؤنث \* (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) \* يعني متثاقلين ولا يرونها واجبة عليهم \* (ولا ينفقون) \* في الجهاد \* (إلا وهم كارهون) \* على النفقة غير محتسبين

ثم قال عز وجل \* (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) \* يعني كثرة أموالهم وأولادهم \* (إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) \* في الآية تقديم وتأخير قال ابن عباس فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة ثم قال \* (وتزهق أنفسهم) \* يعني تذهب أنفسهم وتقبض أرواحهم وأصله الذهاب كقوله تعالى \* (وقل جاء الحق وزهق الباطل) \* [الإسراء: ٨١] \* (وهم كافرون) \* يعني

تقبض أرواحهم على الكفر

سورة التوبة ٥٦ - ٥٧

قوله تعالى \* (ويحلفون بالله إنهم لمنكم) \* يعني إنهم مؤمنون على دينكم في السر وهم كاذبون بذلك القول \* (وما هم منكم) \* يعني ليسوا على دينكم في السر \* (ولكنهم قوم يفرقون) \* يعني يخبثون فأظهروا الإيمان وأسروا النفاق قوله تعالى \* (لو يجدون ملجأ) \* يعني حرزا يلجؤون إليه \* (أو مغارات أو مدخلا) \* يعني الغيران في الجبل وقال القتبي كل شيء غرت فيه فغبت فهو مغارة \* (أو مدخلا) \* يعني سربا في الأرض \* (لولوا إليه) \* يعني ذهبوا إليه وتركوك \* (وهم يجمعون) \* يعني يسرعون في المشي ومنه قيل فرس جموح إذا ذهب في عدوه فلم يثنه شيء ويقال الجمح مشي بين مشيتين وهو من لغات اليمن  
سورة التوبة ٥٨ - ٥٩

قوله تعالى \* (ومنهم من يلزمك في الصدقات) \* روي عن ابن كثير أنه قرأ \* (يلزمك) \* بضم الميم والباقون بالكسر وهما لغتان ومعناهما واحد يقول من المنافقين من يطعنك ويعيبك ويقال لمزته إذا عبته وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التيمي فقال إعدل يا رسول الله فقال ويلك من يعدل إذا لم أعدل فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله أتأذن لي فأضرب عنقه فقال دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته عند صلاته وصيامه عند صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية آيتهم رجل أسود إحدى ثديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة يخرجون على حين فترة من الناس ويروى على حين الفتن من الناس فنزلت فيهم \* (ومنهم من يلزمك في الصدقات) \* الآية قال أبو سعيد أشهد أنني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليا حين قتلهم وأنا معه أتى برجل بالنعث الذي نعته رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى المؤلفلة قلوبهم من الصدقات فقال أبو الخواص والنبي صلى الله عليه وسلم يعطي وروى بعضهم أبو الخواص ألا ترون إلى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أباك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فذهب أبو الخواص وقال النبي صلى الله عليه وسلم إحدروا هذا وأصحابه فنزل \* (ومنهم من يلزمك في الصدقات) \* \* (فإن أعطوا منها) \* يعني الصدقة



\* (رضوا) \* بالقسمة \* (وإن لم يعطوا منها) \* يعني من الصدقة \* (إذا هم يسخطون) \*  
يعني لا يرضون بالقسمة  
قوله تعالى \* (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) \* يعني إنهم لو رضوا بما رزقهم  
الله تعالى وبما يعطيهم رسول الله من العطية \* (وقالوا حسبنا الله) \* يعني يكفينا الله \*  
(سيؤتينا الله من فضله) \* يعني سيعطينا الله من رزقه \* (ورسوله) \* يعني سيعطينا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنيمة إذا كان عنده سعة وفضل \* (إنا إلى الله  
راغبون) \* يعني طامعون وراجون ولم يذكر جوابه لأن في الكلام دليلا عليه ومعناه ولو  
أنهم فعلوا ذلك لكان خيرا لهم  
سورة التوبة ٦٠

ثم بين لهم موضع الصدقات فقال \* (إنما الصدقات) \* يعني ليست الصدقات للذين  
يلمزونك في الصدقات وإنما الصدقات \* (للفقراء والمساكين) \* قال بعضهم الفقراء  
الضعفاء الأحوال الذين لهم بلغة من العيش بدليل قول الشاعر  
(أما الفقير الذي كانت حلوبته  
\* وفق العيال فلم يترك له سبد)

والمسكين الذي لا شيء له بدليل قول الله تعالى \* (أو مسكينا ذا متربة) \* [البلد: ١٦]  
يعني الذي لم يكن بينه وبين التراب شيء يقويه منه وقال بعضهم الفقير الذي لا شيء له  
والمسكين الذي له أدنى شيء كما قال الله تعالى \* (أما السفينة فكانت لمساكين) \*  
[الكهف: ٧٩] سماهم مساكين وإن كانت لهم سفينة وقال بعضهم الفقير الذي لا  
يسأل الناس إلحافا كما قال الله تعالى \* (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) \* إلى  
قوله " لا يسئلون الناس إلحافا " [البقرة: ٢٧٣] والمسكين الذي يسأل الناس وقال  
بعضهم الفقير الذي يسأل الناس والمسكين الذي لا يسأل الناس كما قال النبي صلى  
الله عليه وسلم ليس المسكين الذي يطوف على أبوابكم فتردون باللقمة واللقتين وإنما  
المسكين المتعفف الذي لا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه وقال قتادة الفقير  
الذي به زمانة والمسكين الصحيح المحتاج وقال بعضهم الفقير الذي يكون عليه زي  
الفقر ولا تعرف حاجته والمسكين الذي يكون عليه زي الفقر وتكون حاجته ظاهرة  
ثم قال تعالى \* (والعاملين عليها) \* وهم السعاة الذين يجبون الصدقات فيعطون على  
قدر حاجتهم \* (والمؤلفة قلوبهم) \* وهم قوم كان يعطيهم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ويتألفهم بالصدقة على

الإسلام وكانوا رؤساء في كل قبيلة منهم أبو سفيان بن حرب والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمى وصفوان بن أمية وغيرهم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جاؤوا إلى أبي بكر وطلبوا منه وكتب لهم كتابا فجاؤوا بالكتاب إلى عمر بن الخطاب ليشهدوه فقال عمر أي شيء هذا فقالوا سهمنا فأخذ عمر الكتاب ومزقه وقال إنما كان يعطيكم النبي صلى الله عليه وسلم ليؤلفكم على الإسلام فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام فإن تبتم على الإسلام وإلا فبيننا وبينكم السيف فرجعوا إلى أبي بكر فقالوا أنت الخليفة أم هو أي عمر قال هو إن شاء فبطل سهمهم

ثم قال \* (وفي الرقاب) \* يعني في فك الرقاب وهم المكاتبون  
ثم قال \* (والغارمين) \* يعني أصحاب الديون الذين إستانوا في غير فساد ولا تبذير  
وقال مجاهد ثلاثة من الغارمين رجل ذهب السيل بماله ورجل أصابه حريق فهلك ماله ورجل ليس له مال وله عيال فهو يستدين وينفق على عياله \* (وفي سبيل الله) \* وهم الذين يخرجون إلى الجهاد \* (وابن السبيل) \* يعني المسافر المنقطع من ماله قال بعضهم وجب أن يقسم الصدقات على ثمانية أصناف وهو قول الشافعي رحمه الله كما بين في هذه الآية وقال أصحابنا إذا صرف الصدقات إلى صنف من هذه الأصناف جاز وروي عن حذيفة بن اليماني أنه قال إذا أعطى الرجل الصدقة صنفا واحدا من الأصناف الثمانية جاز وعن عبد الله بن عباس أنه قال إذا وضعتها في صنف واحد فحسبك إنما قال \* (إنما الصدقات للفقراء) \* لأن لا تجعلها في غير هذه الأصناف وعن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه أتى بصدقة فبعث بها إلى أهل بيت واحد  
ثم قال تعالى \* (فريضة من الله) \* يعني وضع الصدقات في هذه المواضع فريضة من الله وهو مما أمر الله تعالى \* (والله عليم) \* بأهلها \* (حكيم) \* حكم قسمتها وبينها لأهلها

سورة التوبة ٦١ - ٦٢

قوله تعالى \* (ومنهم الذين يؤذون النبي) \* قال ابن عباس نزلت الآية في جماعة من المنافقين منهم جلاس بن سويد ومحشر بن خويلد وأبو ياسر بن قيس وذلك أنهم كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل منهم لا تفعلوا فإننا نخاف أن يبلغه الخبر فقال الجلاس نقول ما نشاء فإنما \* (هو أذن) \* سامعة ثم نأتيه فيصدقنا والأذن الذي يقبل كل ما

قيل له وقال القتيبي \* (قل أذن خير لكم) \* يعني إن كان الأمر كما يذكرون فهو خير لكم ولكنه \* (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) \* يعني يصدق الله ويصدق المؤمنين لا أنتم والباء واللام زائدتان يعني يصدق الله ويصدق محمد المؤمنين فذلك قوله تعالى \* (ومنهم الذين يؤذون النبي) \* يعني من المنافقين من يؤذي النبي \* (ويقولون هو أذن) \* يعني سامع لمن حدثه

\* (قل أذن خير لكم) \* قراءة العامة \* (قل أذن) \* بغير تنوين \* (خير لكم) \* بكسر الراء وقرأ بعضهم \* (إذن) \* بالتنوين \* (خير) \* بالتنوين والضم فمن قرأ أذن بالتنوين فمعناه إن كان محمد كما قلت أذن فهو خير لكم أي صلاح لكم ومن قرأ بالكسر فهو على الإضافة أي أذن خير لكم وأذن رحمة وقرأ نافع \* (إذن) \* بجزم الذال والباقون بالضم وهما لغتان

\* (يؤمن بالله) \* يعني يصدق بالله تعالى في مقاله \* (ويؤمن للمؤمنين) \* يعني يصدق قول المؤمنين \* (ورحمة) \* يعني نعمة \* (للذين آمنوا منكم) \* في السر والعلانية وقرأ حمزة \* (ورحمة للذين) \* على معنى الإضافة يعني أذن رحمة وقرأ الباقون \* (ورحمة) \* بالضم على معنى الاستئناف وقرأ نافع \* (إذن) \* بجزم الذال بضمه واحدة وقرأ الباقون بضميتين

ثم قال \* (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) \* يعني وجيع ثم جاؤوا إلى الرسول وحلفوا فأخبر الله تعالى أنهم كاذبون في حلفهم " ويحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه " قال الزجاج لم يقل أحق أن يرضوهما لأن في الكلام ما يدل عليه لأن في رضى الله تعالى رضى الرسول فحذف تخفيفاً ومعناه والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه كما قال الشاعر  
(نحن بما عندنا وأنت بما  
\* عندك راض والرأي مختلف)

أي نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض ويقال يكره أن يجمع بين ذكر الله تعالى وذكر رسوله في كتابة واحدة ويستحب أن يكون ذكر الله تعالى مقدماً ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مؤخراً وذكر في بعض الأخبار أن خطيباً قام عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال في خطبته من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت لأنه كان يجب أن يقول ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ثم قال \* (إن كانوا مؤمنين) \* يعني مصدقين بقلوبهم في السر

سورة التوبة ٦٣ - ٦٦

قوله تعالى \* (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله) \* يعني يخالف الله ورسوله ويقال يخاف أمر الله وأمر رسوله يعني أمر الله تعالى في الفرائض وأمر رسوله في السنن وفيما بين وقال الأخفش \* (يحادد الله) \* يعني يعادي الله ورسوله \* (فأن له نار جهنم) \* قرأ بعضهم \* (فأن له) \* بالكسر على معنى الاستئناف وقرأ العامة بالنصب على معنى البناء \* (خالدا فيها ذلك الخزي العظيم) \* يعني العذاب الشديد

قوله تعالى \* (يحذر المنافقون) \* قال الزجاج قوله \* (يحذر) \* لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر أي ليحذر المنافقون ويقال على وجه الخبر يحذر يعني يخشى المنافقون وذلك أن بعضهم قال لو أني جلدت مائة جلدة أحب إلي من أن ينزل فينا شيء يفضحنا فنزل \* (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم) \* يعني سورة براءة تنبئهم \* (بما في قلوبهم) \* من النفاق وكانت سورة البراءة تسمى الفاضحة " قل إستهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون " يعني مظهر " ما يحذرون " يعني تخافون من إظهار النفاق

ثم قال عز وجل \* (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) \* وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من تبوك وبين يديه هؤلاء الأربعة يسيرون ويقولون إن محمدا يقول إنه نزل في إخواننا الذين تخلفوا بالمدينة كذا وكذا وهم يضحكون ويستهزئون فأتاه جبريل فأخبره بذلك فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر فقال له اذهب إلى أولئك واسألهم عما يتحدثون ويضحكون وأخبره أنهم يستهزئون بالقرآن وأنه إذا أتاهم وسألهم يقولون إنما كنا نخوض ونلعب فلما جاء إليهم عمار بن ياسر قال لهم ما تقولون قالوا إنا كنا نخوض ونلعب فيما يخوض فيه الركب إذا ساروا ونضحك بيننا فقال عمار صدق الله وبلغ رسوله هكذا أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكم تقولون ذلك غضب الله عليكم هلكتم هلكتم فجأؤوا واعتذروا فنزل \* (قل أبالله) \* يعني قل لهم يا محمد " أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون " وقال قتادة إذا رآيا العبد يقول الله أنظروا إلى عبدي يستهزئ " قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون " فجأؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذروا فنزل قوله تعالى \* (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) \* يعني كفرتم في السر بعد إيمانكم في العلانية ويقال قد أقمتهم على كفركم الأول في السر بعد إيمانكم مع إقراركم بالعلانية بالإيمان \* (إن نعف عن طائفة منكم) \* وكان فيهم مخلص واحد ولم يقل معهم شيئا ولكن ضحك معهم فقال \* (إن نعف عن طائفة منكم) \* وكان فيهم واحد مخلص ولم يقل معهم بشيء ولكن ضحك معهم وقال \* (إن نعف عن طائفة منك) \*

وهو المؤمن المخلص \* (نعذب طائفة) \* يعني المنافقين وقال القتيبي قد يذكر الجماعة ويراد به الواحد كقوله \* (إن نعف عن طائفة) \* وإنما كان رجلاً واحداً وكقوله \* (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) \* وأراد به النبي صلى الله عليه وسلم ويقال \* (إن نعف عن طائفة منكم) \* وهم المخلصون \* (نعذب طائفة) \* وهم المنافقون \* (بأنهم كانوا مجرمين) \* يعني مذنبين كافرين في السر قرأ عاصم \* (إن نعف) \* بالنون \* (نعذب) \* بالنون وكسر الذال \* (طائفة) \* بالنصب وقرأ الباقون \* (أن يعف) \* بالياء والضم \* (تعذب) \* التاء ونصب الذال \* (طائفة) \* بالضم على معنى فعل ما لم يسم فاعله

سورة التوبة ٦٧ - ٦٩

قوله تعالى \* (المنافقون والمنافقات) \* يعني المنافقين من الرجال والمنافقات من النساء \* (بعضهم من بعض) \* يعني بعضهم على دين بعض في السر \* (يأمرؤن بالمنكر) \* يعني بالتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالشرك وبما لا يرضي الله تعالى ويقال المنكر ما يخالف الكتاب والسنة \* (وينهون عن المعروف) \* يعني عن التوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم \* (ويقبضون أيديهم) \* يعني يمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ويقال كفوا عن الحق \* (نسوا الله) \* يقول تركوا طاعة الله \* (فنسيهم) \* يعني تركهم في النار ويقال تركهم في الحرمان والخذلان كقوله تعالى \* (ويذرهم في طغيانهم يعمهون) \* [الأعراف: ١٨٦] \* (إن المنافقين هم الفاسقون) \* يعني الخارجين عن طاعة الله تعالى وكل منافق فاسق وقد يكون فاسقاً ولا يكون منافقاً ولا يكون منافقاً إلا وهو فاسق

ثم قال \* (وعد الله المنافقين) \* الوعد يكون بالخير ويكون بالشر إذا قيد به والوعيد لا يكون إلا بالشر فقال \* (وعد الله المنافقين والمنافقات) \* يعني المنافقين الذين كانوا بالمدينة ومن كان على مذهبهم ويكون إلى يوم القيامة \* (والكفار) \* وهم أهل مكة ومن كان بمثل حالهم \* (نار جهنم خالدین فيها هي حسبهم) \* يعني تكفيهم النار جزاء لكفرهم \* (ولعنهم الله) \* يعني طردهم الله من رحمته \* (ولهم عذاب مقيم) \* يعني دائم

قوله \* (كالذين من قبلكم) \* يعني صنعكم مع نبيكم كما صنع الأمم الخالية مع

أنبيائهم عليهم السلام وقال الضحاك يعني لعن المنافقين كما لعن الذين من قبلهم من الأمم الخالية ويقال ولهم عذاب دائم \* (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا) \* يعني لم ينفعهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا فلا ينفعكم أموالكم ولا أولادكم أيضا \* (فاستمعوا بخلاقهم) \* يعني فانتفعوا بنصيبتهم من الآخرة في الدنيا \* (فاستمعتم بخلاقكم) \* يقول إنتفعتم أنتم بنصيبتكم من الآخرة في الدنيا \* (كما استمتع الذين من قبلكم) \* من الأمم الخالية \* (بخلاقهم) \* أي بنصيبتهم \* (وخضتم) \* في الباطل \* (كالذي خاضوا) \* ويقال كذبتهم الرسول كما كذبوا رسلهم \* (وأولئك) \* يعني أهل هذه الصفة \* (حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) \* يعني بطل ثواب أعمالهم فلا ثواب لهم لأنها كانت في غير إيمان \* (وأولئك هم الخاسرون) \* يعني في الآخرة

سورة التوبة ٧٠

قوله تعالى \* (ألم يأتيهم نبا الذين من قبلهم) \* يعني ألم يأتيهم خبر الذين من قبلهم في القرآن عند التكذيب كيف فعلنا بهم \* (قوم نوح) \* كيف أغرقناهم " و " قوم \* (عاد) \* كيف أهلكناهم بالريح العقيم " و " قوم \* (ثمود) \* وهم قوم صالح كيف أهلكناهم بالصيحة \* (وقوم إبراهيم) \* وهو نمرود بن كنعان كيف أهلكناهم بأضعف الخلق وهو البعوض \* (وأصحاب مدين) \* وهم قوم شعيب كيف أهلكناهم بعذاب يوم الظلة \* (والمؤتفكات) \* يعني مدائن قوم لوط \* (والمؤتفكات) \* جمع المؤتفكة لأنها إئتفكت بهم يعني انقلبت بهم كقوله تعالى \* (والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى) \* [النجم: ٥٣] يعني أمطرت عليهم الحجارة وقال مقاتل المؤتفكات يعني المكذبات \* (أتتهم رسلهم بالبينات) \* يعني بالأمر والنهي فتركوا طاعتي فأهلكتهم \* (فما كان الله ليظلمهم) \* يعني لم يهلكهم بغير ذنب \* (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) \* بتركهم طاعتي وتكذبيهم الرسل

سورة التوبة ٧١ - ٧٢

قوله تعالى \* (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) \* يعني بعضهم على دين

بعض وبعضهم معين لبعض في الطاعة \* (يأمرون بالمعروف) \* يعني بالإيمان واتباع محمد صلى الله عليه وسلم \* (وينهون عن المنكر) \* يعني عن الشرك \* (ويقيمون الصلاة) \* يعني يقرون بها ويتمونها \* (ويؤتون الزكاة) \* يعني ويقرون بها ويؤدونها \* (ويطيعون الله ورسوله) \* يعني يطيعون الله في فرائضه ويطيعون الرسول في السنن وفيما بين \* (أولئك سيرحمهم الله) \* يعني ينجيهم الله من العذاب الأليم \* (أن الله عزيز) \* ذو النعمة \* (حكيم) \* في أمره حكم للمؤمنين بالجنة وللكافرين بالنار قال الفقيه ذكر عن أبي سعيد الفاريابي أنه قال سيرحمهم الله في خمسة مواضع عند الموت وسكراته وفي القبر وظلماته وعند الكتاب وحسراته وعند الميزان وندامته وعند الوقوف بين يدي الله وسؤالاته

قوله تعالى \* (وعد الله المؤمنين والمؤمنات) \* يعني المصدقين من الرجال والمصدقات من النساء \* (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة) \* يعني منازل طاهرة تطيب فيها النفس \* (في جنات عدن) \* في قصور من الدر والياقوت وقال الفقيه حدثنا محمد بن الفضل وعبد الله بن محمد قالا حدثنا فارس بن مردويه قال حدثنا محمد بن الفضل العابد قال حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن مجاهد قال قرأ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر \* (جنات عدن) \* فقال هل تدرؤن ما جنات عدن ثم قال قصر في الجنة من ذهب له خمسمائة ألف باب وعلى كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين لا يدخلها إلا نبي وهنيئاً لصاحب هذا القبر وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو صديق وهنيئاً لأبي بكر أو شهيد وأنى لعمر بالشهادة ثم قال تعالى \* (ورضوان من الله أكبر) \* يعني رضى الرب عنهم أعظم مما هم فيه من الثواب والنعيم في الجنة \* (ذلك هو الفوز العظيم) \* يعني النجاة الوافرة

سورة التوبة ٧٣ - ٧٤

قوله تعالى \* (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) \* \* (الكفار) \* بالسيف \* (والمنافقين) \* بالقول الشديد قال ابن مسعود قوله \* (جاهد الكفار والمنافقين) \* قال جاهد بيدك فإن لم تستطع فبلسانك فإن لم تستطع فبقلبك فالفهم بوجه عبوس وعن الحسن قال \* (جاهد الكفار) \* بالسيف و \* (المنافقين) \* بالحدود يعني أقم عليهم حدود الله \* (واغلظ عليهم) \* يعني أشدد عليهم يعني على الفريقين جميعاً في المنطق

ثم بين مرجعهم جميعا في الآخرة \* (ومأواهم جهنم) \* يعني مصيرهم ومآبهم إلى جهنم \* (وبئس المصير) \* الذي صاروا إليه

ثم بين خبثهم وسوء معاملتهم وفعالهم فقال الله تعالى \* (يحلِفون بالله ما قالوا) \* وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا فقال الجلاس بن سويد لئن كان محمد صادقا فيما يقول لنحن شر من الحمير فسمع عامر بن قيس فقال والله إن محمدا لصادق ولأنتم شر من الحمير فلما رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه عامر بن قيس فأخبره فقال الجلاس بل كذب علي وأمرهما أن يحلِفا عند المنبر فقام الجلاس وحلِف ثم قام عامر بن قيس وحلِف أنه قد قاله وما كذبت عليه ثم رفع يديه فقال اللهم أنزل على نبيك صلى الله عليه وسلم وبين الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون آمين فنزل جبريل قبل أن يتفرقوا بهذه الآية \* (يحلِفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) \* يقول كفروا في السر قبل إقرارهم في العلانية \* (وهموا بما لم ينالوا) \* يعني أرادوا قتل عامر بن قيس ويقال قتل النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم اجتمعوا ذات ليلة في مضيق جبل ليقتلوه إذا مر بهم فدفعهم الله عنه ويقال \* (وهموا بما لم ينالوا) \* وهو قول عبد الله بن أبي سلول لأصحابه \* (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون) \* [المنافقون: ٨] وقال سمن كلبك يأكلك يعني سلطناهم على أنفسنا فنزل \* (وهموا بما لم ينالوا) \* وقال مقاتل كان المنافقون أصحاب العقبة هموا ليلا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة في غزوة تبوك فنزل \* (وهموا بما لم ينالوا) \* وهكذا قال الضحاك

ثم قال تعالى \* (وما نقموا) \* يقول وما عابوا وما طعنوا على محمد صلى الله عليه وسلم \* (إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) \* وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهل المدينة في شدة من عيشهم لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة إستغنوا فذلك قوله \* (إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) \*

ثم قال الله تعالى \* (فإن يتوبوا يك خيرا لهم) \* يعني إن تابوا من الشرك والنفاق يكون خيرا لهم من الإقامة عليه \* (وإن يتولوا) \* يقول أبوا عن التوبة \* (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة) \* يعني في الدنيا بإظهار حالهم وفي الآخرة في نار جهنم \* (وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) \* يعني مانع يمنعهم من العذاب وذكر أنه لما نزلت هذه الآية تاب الجلاس بن سويد وحسنت توبته

سورة التوبة ٧٥ - ٧٧



قوله تعالى \* (ومنهم من عاهد الله) \* قال في رواية الكلبي نزلت الآية في شأن حاطب بن أبي بلتعة كان له مال في الشام فجهد بذلك جهدا شديدا فحلف بالله \* (لئن آتانا من فضله) \* يعني المال الذي بالشام \* (لنصدقن) \* منه ولأؤدين حق الله منه فلم يفعل لما أعطاه الله تعالى المال قال مقاتل نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري كان محتاجا فقال " لئن آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين " فابتلاه الله تعالى فرزقه ذلك وذلك أن مولى لعمر بن الخطاب قتل رجلا من المنافقين خطأ فدفع النبي صلى الله عليه وسلم ديته إلى عصبته وهو ثعلبة فبخل ومنع حق الله تعالى قال الفقيه حدثنا أبو الفضل بن أبي حفص قال حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال حدثنا الربيع بن سليمان المرادي قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا معاذ بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال ثم رجع إليه فقال يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة أما ترضى أن تكون مثلي والله لو سألت الله تعالى أن يسيل علي الجبال ذهبا وفضة لسألت ثم رجع إليه ثالثا فقال يا رسول الله أدع الله لي أن يرزقني مالا فوالله لئن آتاني الله مالا لأؤدين لكل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أرزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت حتى ضاقت بها أزقة المدينة فتنحى بها وكان يشهد الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج إليها ثم نمت حتى تعذرت عليها مراعي المدينة فتنحى بها وكان يشهد الجمعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج إليها ثم نمت فترك الجمعة والجماعات وجعل يتلقى الركبان ويقول ماذا عندكم من الخبر وما كان من أمر الناس فأنزل الله تعالى على رسوله \* (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) \* [التوبة: ١٠٣] فاستعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقات رجلا من الأنصار ورجلا من بني سليم وكتب لهما كتاب الصدقة وأمرهما أن يصدقا الناس وأن يمرا بثعلبة فيأخذا منه صدقة ماله فأتيا ثعلبة وطلبا منه صدقة ماله فقال ثعلبة صدقا الناس فإذا فرغتما فمرا بي ففعلا فلما رجعا إليه وطلبا منه فأبى وقال ما هذه إلا أخية الجزية فانطلقا حتى أتيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله على رسوله \* (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه) \*

فركب رجل من الأنصار هو ابن عم لثعلبة راحلته حتى أتى ثعلبة فقال ويحك يا ثعلبة

هلكت قد أنزل الله فيك من القرآن كذا وكذا فأقبل ثعلبة بن حاطب وجعل على رأسه التراب وهو يبكي ويقول يا رسول الله إقبض مني صدقة مالي فلم يقبض منه صدقته حتى قبض الله تعالى رسوله ثم أتى إلى أبي بكر فلم يقبل صدقته ثم أتى إلى عمر فلم يقبل صدقته ثم أتى إلى عثمان فلم يقبل صدقته ومات في خلافة عثمان فذلك قوله تعالى \* (فلما آتاهم) \* يعني أعطاهم \* (من فضله) \* يعني من المال \* (بخلوا به) \* بمنع حق الله \* (وتولوا) \* عن الصدقة \* (وهم معرضون) \* لم يفوا بما قالوا

قوله تعالى \* (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) \* يقول جعل عاقبتهم إلى النفاق \* (إلى يوم يلقونه) \* يعني يلقون الله وهو يوم القيامة \* (بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) \* لقوله " لئن آتانا الله من فضله لنصدقن " وقال عبد الله بن مسعود اعتبروا المنافق بثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر ثم قرأ \* (ومنهم من عاهد الله) \* إلى قوله \* (وبما كانوا يكذبون) \* فقد ذكر الثلاثة في هذه الآية

سورة التوبة ٧٨

قوله تعالى \* (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم) \* وقال مقاتل نزلت هذه الآية في أصحاب العقبة حين هموا بما لم ينالوا ويقال هذا عطف نسق عطف على قوله \* (لئن آتانا من فضله لنصدقن) \* \* (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم) \* \* (وأن الله علام الغيوب) \* أي علم غيب كل شيء مما هموا به

سورة التوبة ٧٩ - ٨٠

قوله تعالى \* (الذين يلمزون المطوعين) \* يعني يطعنون ويعيبون \* (المؤمنين في الصدقات) \* وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أراد أن يخرج إلى غزوة تبوك حث الناس على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وزن كل درهم مثقالا فقال أكثر هل تركت لأهلك شيئا فقال يا رسول الله كان مالي ثمانية آلاف درهم فأما أربعة آلاف درهم التي جئت بها فأقرضتها ربي وأما أربعة آلاف التي بقيت فأمسكتها لنفسي وعيالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله فيه حتى بلغ ماله حين مات وقد كان طلق إحدى نسائه الثلاث في مرضه فصالحوها من ثلث الثمن على ثمانين ألف

درهم ونيف وفي رواية أخرى ثمانين ألف دينار ونيف  
وجاء عاصم بن عدي بسبعين وسقا من تمر وكل واحد منهم جاء بمقدار طاقته حتى  
جاء أبو عقيل بن قيس بصاع من تمر وقال آجرت نفسي الليلة بصاعين فصاع أقرضته  
لربي وصاع تركته فأمره بأن ينثره في الصدقة وروي أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله  
عليه وسلم بتمرة واحدة فلم ينظر النبي صلى الله عليه وسلم إليها فنزل \* (الذين يلمزون  
المطوعين من المؤمنين) \* إلى آخره وكان نفر من المنافقين جلوسا يستهزئون فقالوا  
لقد تصدق عبد الرحمن وعاصم بن عدي رياء ولقد كان الله غنيا عن صاع أبي عقيل  
فنزل \* (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين) \* يعني يطعنون المتصدقين الذين  
يتصدقون بأموالهم وهم عبد الرحمن وعاصم وغيرهما  
\* (والذين لا يجدون إلا جهدهم) \* قال أهل اللغة الجهد بالضم الطاقة والجهد بالنصب  
المشقة وقال الشعبي الجهد هو القيتة يعني القلة والجهد بالنصب هو الجهد في العمل \*  
(فيسخرون منهم) \* يقول يستهزئون بهم \* (سخر الله منهم) \* يعني يجازيهم جزاء  
سخرتهم وهذا كقوله \* (الله يستهزئ بهم) \* [البقرة: ١٥]  
ثم قال \* (ولهم عذاب أليم) \* يعني وجيع دائم فلما نزلت هذه الآية جاؤوا إلى النبي  
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله استغفر لنا فنزل \* (استغفر لهم أو لا تستغفر  
لهم) \* قوله \* (استغفر لهم) \* اللفظ لفظ الأمر ومعناه معنى الخبر فمعناه إن شئت  
استغفر لهم وإن شئت فلا تستغفر لهم يعني للمنافقين \* (إن تستغفر لهم سبعين مرة) \*  
يعني فإنك إن تستغفر لهم سبعين مرة \* (فلن يغفر الله لهم) \*  
ثم بين المعنى الذي لم يغفر لهم بسببه فقال تعالى \* (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله)  
\* يعني في السر وقال قتادة ومجاهد لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم  
لأزيدن على سبعين مرة فاستغفر لهم أكثر من سبعين مرة لعل الله يغفر لهم فأنزل الله  
تعالى \* (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) \* [المنافقون:  
٦] ثم قال \* (والله لا يهدي القوم الفاسقين) \* يعني المنافقين الذين كفروا بالله  
ورسوله في السر والله تعالى لا يهديهم ما داموا ثابتين على النفاق  
سورة التوبة ٨١ - ٨٢

قوله تعالى \* (فرح المخلفون) \* يقول عجب ورضي المتخلفون عن الغزو وهم المنافقون \* (بمقعدهم خلاف رسول الله) \* يعني بتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم \* (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر) \* يعني قال بعضهم لبعض لا تخرجوا إلى الغزو فإن الحر شديد قال الله تعالى \* (قل) \* يا محمد \* (نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) \* يعني لو كانوا يفهمون قراءة ابن مسعود \* (لو كانوا يعلمون) \*

ثم قال عز وجل \* (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) \* اللفظ لفظ الأمر والمراد به التوبيخ قال الحسن يعني \* (فليضحكوا قليلا) \* في الدنيا \* (وليبكوا كثيرا) \* في الآخرة في النار \* (جزاء بما كانوا يكسبون) \* يعني عقوبة لهم ما كانوا يكفرون وعن أبي رزين أنه قال في قوله تعالى \* (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) \* قال يقول الله تعالى الدنيا قليل فليضحكوا قليلا فيها ما شأؤوا فإذا صاروا إلى النار بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير

وروى الأعمش عن عمارة بن عمير عن أبي عامر عن عمرو بن شرحبيل قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على ملاء من قريش وفيهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة فقال أبو جهل هذا نبيكم يا بني عبد مناف فقال عتبة وما ننكر أن يكون منا نبي أو ملك فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل عليهم فقال أما أنت يا عتبة فلم تغضب لله ولا لرسوله وإنما غضبت للأصل وأما أنت يا أبا جهل فوالله لا يأتي عليك إلا غير كثير من الدهر حتى تبكي كثيرا وتضحك قليلا وأما أنتم يا ملاء قريش فوالله لا يأتي عليكم إلا غير كثير من الدهر حتى تدخلوا في هذا الأمر الذي تنكرون طائعين أو كارهين قال فسكنوا كأنما ذر على رؤوسهم التراب فلم يردوا عليه شيئا وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يرسل الله تعالى البكاء على أهل النار فيكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود

#### سورة التوبة ٨٣

قوله تعالى \* (فإن رجعت الله إلى طائفة منهم) \* يعني إن رجعت الله من تبوك إلى طائفة من المنافقين الذين تخلفوا \* (فاستأذنوك للخروج) \* معك إلى غزوة أخرى \* (فقل لن تخرجوا معي أبدا) \* إلى الغزو \* (ولن تقاتلوا معي عدوا) \* ويقال معناه لن تخرجوا إلا مطيعين من غير أن تكون لهم شركة في الغنيمة \* (إنكم رضيتم بالقعود أول مرة) \* أي بالتخلف عن غزوة تبوك \* (فاقعدوا مع الخالفين) \* يعني مع المتخلفين الذين تخلفوا بغير عذر ويقال الخالف

الذي يخلف الرجل في أهله وماله ويقال الخالف الذي خالف قومه ويقال الخالف  
الفاسد ويقال الخالف المرأة والخوالف النساء

سورة التوبة ٨٤ - ٨٥

قوله تعالى \* (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) \* يعني لا تصل أبدا على من مات  
من المنافقين \* (ولا تقم على قبره) \* يعني لا تدفنه " إنهم كفروا بالله ورسوله " في  
السر \* (وماتوا وهم فاسقون) \* يعني ماتوا على الكفر قال مقاتل ذلك أن النبي صلى  
الله عليه وسلم جاء إليه عبد الله بن أبي بن سلول وهو رأس المنافقين حين مات أبوه  
فقال أنشدك الله أن لا تشمت بي الأعداء فطلب منه أن يصلي على أبيه فأراد النبي أن  
يفعل فنزلت هذه الآية فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصل عليه وقال في  
رواية الكلبي لما اشتكى عبد الله بن أبي ابن سلول عاده رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فطلب منه عبد الله أن يصلي عليه إذا مات وأن يقوم على قبره وأن يكفنه في  
القميص الذي يلي جسده فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر فجئت  
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد أن يصلي عليه فقلت يا رسول الله أتصلي  
عليه وهو صاحب كذا وصاحب كذا فقال دعني يا عمر ثم عدت ثانيا ثم عدت ثالثا  
فنزلت هذه الآية \* (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) \* الآية  
وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قد صلى عليه وقام على قبره  
وكفنه في قميصه فنزل \* (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) \* الآية فنهي أن يصلي  
على أحد من المنافقين بعده قال ابن عباس والله لا أعلم أي صلاة كانت وما خادع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إنسانا قط وفي خبر آخر أن عمر قال يا رسول الله  
أتصلي عليه وتعطيه قميصك وهو كافر منافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما  
علمت يا عمر عسى أن يسلم بسبب هذا القميص خلق كثير ولا يغنيه قميص من عذاب  
الله شيئا فأسلم من بني الخزرج من أهاليه خلق كثير وقالوا لولا أن عبد الله عرفه حقا  
ما تبرك بقميصه وما طلب منه أن يصلي عليه  
ثم قال تعالى \* (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا) \*

يعني بالأموال في الآخرة على وجه التقديم \* (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) \*

سورة التوبة ٨٦ - ٨٩

قوله تعالى \* (وإذا أنزلت سورة) \* يعني سورة براءة \* (أن آمنوا بالله) \* يعني يأمرهم فيها أن صدقوا بقلوبكم كما أقررتم بلسانكم \* (وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم) \* يعني استأذنك في القعود أهل السعة والغنى من المنافقين \* (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) \* يعني دعنا وائذن لنا نتخلف ونقعد مع القاعدين الذين تخلفوا في المدينة عن الجهاد و \* (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) \* يعني بأن يجالسوا النساء بالمدينة يقال الخوالف هم خساس الناس ودناتهم يقال خالف أهله إذا كان دونهم \* (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) \* التوحيد ويقال لا يعلمون ثواب الخروج إلى الجهاد

ثم قال عز وجل " ولكن الرسول " يعني إن لم يجاهد المنافقون فالله تعالى غني عنهم ويجاهد الرسول \* (والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) \* إن لم تخرجوا أنتم " أولئك لهم الخيرات " يعني الحسنات ويقال زوجات حسان في الجنة والخيرة الزوجة والخيرة الثواب وقال القتيبي والأخفش الخيرات واحدها خيرة وهن الفواضل وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قال في قوله \* (وأولئك لهم الخيرات) \* قال لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها في كل يوم من الله تعالى تحفة وكرامة وهديفة لم يكن قبل ذلك لا طمحات ولا مرحات ولا بخرات ولا دفرات \* (وحوار عين) \* [الواقعة: ٢٢] الآية قال أهل اللغة طمحات يعني ناكسات رؤوسهن مرحات خفيفات الرؤوس بخرات منتن ريح الفم ودفرات منتن ريح الإبط ثم قال \* (وأولئك هم المفلحون) \* يعني الناجون في الآخرة قوله تعالى \* (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) \* يعني النجاة الوافرة والثواب الجزيل

سورة التوبة ٩٠ - ٩٢

قوله تعالى \* (وجاء المعذرون من الأعراب) \* قرأ ابن عباس \* (المعذرون) \* بالتخفيف وهكذا قرأ الحضرمي وقراءة العامة \* (المعذرون) \* بالتشديد فمن قرأ بالتخفيف يعني الذين أعذروا وجاءوا بالعدر ومن قرأ بالتشديد يعني المعتذرين الذين إلا أن التاء أدغمت في الذال لقرب المخرجين ويعني المعذرين الذين يعتذرون كان لهم عذر أو لم يكن لهم وهذا قول الزجاج

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال \* (وجاء المعذرون) \* بالتخفيف وهم المخلصون أصحاب العذر وقال لعن الله المعذرين بالتشديد لأن المعذرين هم الذين يعتلون بلا علة ويعتذرون بلا عذر \* (ليؤذن لهم) \* في التحلف \* (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) \* فمن قرأ بالتشديد يكون هذا نعتا لهم ومن قرأ بالتخفيف يكون صنفين ويكون معناه وجاء الذين لهم العذر وسألوا العذر وقعد الذين لا عذر لهم وهم الذين كذبوا الله ورسوله في السر ثم بين أمر الفريقين فقال \* (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) \* وهم الذين تخلفوا بغير عذر

وبين حال الذين قعدوا بالعذر فقال تعالى \* (ليس على الضعفاء) \* يعني على الزمن والشيخ الكبير \* (ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) \* في الجهاد \* (حرج) \* يعني لا إثم عليهم \* (إذا نصحوا لله ورسوله) \* يعني إذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية \* (ما على المحسنين من سبيل) \* يعني ليس على الموحدين المطيعين من حرج إذا تخلفوا بالعذر \* (والله غفور) \* لهم بتخلفهم \* (رحيم) \* بهم قوله تعالى \* (ولا على الذين) \* يعني ولا حرج على الذين \* (إذا ما أتوك لتحملهم) \* على الجهاد روى أسباط عن السدي أنه قال أقبل رجلان من الأنصار أحدهما عبد الله بن الأزرق والآخر أبو ليلي فسألاه أن يحملهما \* (قلت لا أجد ما أحملكم عليه) \* فبكيا حزنا ألا يجدوا ما ينفقون وروي عن محمد بن كعب القرظي أنه قال أتاه سبعة نفر من أصحابه سالم بن عمير وحزن بن عمرو وعبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلي وسليمان بن صخر وعتبة بن زيد وعمرو بن عتبة وعبد الله بن عمرو المزني يستحملونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم \* (لا أجد ما أحملكم عليه) \* \* (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع) \* يعني تسيل \* (من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) \* في الخروج إلى الجهاد

سورة التوبة ٩٣ - ٩٦

قوله تعالى \* (إنما السبيل) \* يعني إثم الخروج \* (على الذين يستأذنونك) \* في  
التخلف \* (وهم أغنياء) \* يعني لهم سعة للخروج \* (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف  
وطبع الله على قلوبهم) \* يعني ختم \* (فهم لا يعلمون) \* التوحيد  
قوله تعالى \* (يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم) \* من الغزو \* (قل لا تعتذروا لن نؤمن  
لكم) \* يعني لا نصدقكم أن لكم عذرا \* (قد نبأنا الله من أخباركم) \* يعني أخبرنا الله  
تعالى عنكم بأنه ليس لكم عذر ويقال أخبرنا الله عن نفاقكم ويقال أخبرنا الله عن  
أعمالكم وسرائركم \* (وسيرى الله عملكم ورسوله) \* فيما تستأنفون وسيراه المؤمنون  
\* (ثم تردون) \* يعني ترجعون بعد الموت \* (إلى عالم الغيب والشهادة) \* يعني إلى  
الذي يعلم ما غاب عن العباد وما شاهدوا \* (فينبئكم بما كنتم تعملون) \* في الدنيا  
قوله تعالى \* (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم) \* يعني إذا رجعتم إليهم من الغزو \*  
(لتعرضوا عنهم) \* يعني تتجاوزوا وتصفحوا عنهم \* (فأعرضوا عنهم) \* يعني اصفحوا  
عنهم وتجاوزوا عنهم في الدنيا \* (إنهم رجس) \* يعني قدر نجس \* (ومأواهم جهنم)  
\* يعني مصيرهم في الآخرة إلى جهنم \* (جزاء بما كانوا يكسبون) \* من النفاق  
قوله تعالى \* (يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم) \* يقول إن أنت رضيت  
عنهم يا محمد والمؤمنون \* (فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) \* يعني المنافقين

سورة التوبة ٩٧ - ٩٨

قوله تعالى \* (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) \* يعني أسد وغطفان وأعراب حاضري المدينة  
هم أشد في كفرهم ونفاقهم من غيرهم \* (وأجدر ألا يعلموا) \* يعني أحرى وأولى  
وأحق ألا يعلموا \* (حدود ما أنزل الله على رسوله) \* لأنهم كانوا أجهل وأقل علما من  
غيرهم وقال



الكلبي يعني لا يعلمون من الفرائض التي أنزل الله تعالى وقال مقاتل هم أقل علما بالسنن من غيرهم

وروى الأعمش عن إبراهيم قال كان زيد بن صوحان جالسا يحدث وقد أصيبت يده يوم نهاوند فجاء أعرابي وقال إن حديثك ليعجبني وإن يدك لتريني فقال له زيد أوليس الشمال قال الأعرابي والله لا أدري الشمال تقطع أو اليمين فقال زيد صدق الله " الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله " ويقال أن لا يعلموا أحكام الله في كتابه \* (والله عليهم) \* بهم \* (حكيم) \* في أمرهم ونزل فيهم \* (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) \* يعني ما ينفق في الجهاد يحسبه غرما ولا يحسبه فيه الأجر \* (ويتربص بكم الدوائر) \* يعني ينتظر بكم الموت يعني محمدا صلى الله عليه وسلم خاصة وقال القتبي الدوائر دوائر الزمان ودوائر الزمان صروفه التي تأتيه مرة بالخير ومرة بالشر بقول الله تعالى \* (عليهم دائرة السوء) \* يعني عاقبة السوء والهلاك قرأ ابن كثير وأبو عمرو \* (دائرة السوء) \* بضم السين يعني عاقبة المضرة والشر وقرأ الباقر بالنصب يقال رجل سوء إذا كان خبيثا وعن الفراء أنه قال الفتح مصدر والضم اسم \* (والله سميع عليم) \* يعني سميعا لمقاتلهم عليما بهلاكهم سورة التوبة ٩٩

ثم ذكر من أسلم من الأعراب من جهينة وغفار وأسلم فقال الله تعالى \* (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق) \* في الجهاد \* (قربات عند الله) \* يعني قربة إلى الله تعالى \* (وصلوات الرسول) \* يعني طلب دعاء الرسول عليه السلام واستغفاره يقول الله تعالى \* (ألا إنها قربة لهم) \* يعني نفقاتهم قربة لهم إلى الله تعالى وفضيلة ونجاة لهم \* (سيدخلهم الله في رحمته) \* يعني في جنته \* (إن الله غفور) \* لذنوبهم \* (رحيم) \* بهم قرأ نافع في رواية ورش \* (قربه) \* بضم الراء وقرأ الباقر بجزم الراء ومعناها واحد

سورة التوبة ١٠٠

قوله تعالى \* (والسابقون الأولون) \* وهم الذين صلوا إلى القبيلتين \* (من المهاجرين والأنصار) \* وشهدوا بدرًا وروي عن قتادة قال قلت لسعيد بن المسيب من المهاجرون الأولون قال من صلى إلى القبيلتين مع النبي صلى الله عليه وسلم فهو من المهاجرين الأولين وقال السدي كانت الهجرة قبل أن تفتح مكة فلما فتحت مكة كان من أسلم بعده ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو تابع

وروي عن مجاشع بن مسعود البهزي أنه جاء بابن أخيه لبياعه على الهجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل بايع على الإسلام فإنه لا هجرة بعد الفتح ويكون من التابعين بإحسان قرأ العامة \* (والأنصار) \* بالكسر وقرأ الحضرمي \* (والأنصار) \* بالضم فمن قرأ بالضم فهو عطف على التابعين ومعناه والسابقون والأنصار ومن قرأ بالكسر فهو عطف على المهاجرين ومعناه ومن المهاجرين ومن الأنصار وروي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقرأ "الذين اتبعوهم بإحسان" بغير واو وقراءة العامة بالواو فمن قرأ بغير واو يكون نعتاً للأنصار ومن قرأ بالواو يكون نعتاً لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة

وروي عن محمد بن كعب القرظي أنه قال سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقرأ هذه الآية \* (والذين اتبعوهم بإحسان) \* فقال له عمر من أقرأك هذه الآية فقال أقرأنيها أبي بن كعب فقال لا تفارقني حتى أذهب بك إليه قال فلما جاءه قال يا أبي أنت أقرأته هذه الآية هكذا قال نعم قال أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال كنت أظن أنا قد إرتفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا قال أبي تصديق هذه الآية أول سورة الجمعة وأوسط سورة الحشر وآخر سورة الأنفال أما أول سورة الجمعة \* (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) \* [الجمعة: ٣] وأوسط سورة الحشر "والذين جاءوا من بعدهم" [الحشر: ١٠] وآخر سورة الأنفال \* (والذين آمنوا من بعد وهاجروا) \* [الأنفال: ٧٥]

وقال الشعبي "السابقون الأولون" من أدرك بيعة الرضوان وبايع تحت الشجرة \* (اتبعوهم بإحسان) \* يعني اتبعوهم على دينهم بإحسانهم \* (رضي الله عنهم) \* بأعمالهم \* (ورضوا عنه) \* يعني عن الله تعالى بثوابه إياهم في الجنة \* (وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار) \* قرأ ابن كثير \* (جنات تجري من تحتها الأنهار) \* بزيادة من وقرأ الباقر \* (جنات تجري تحتها الأنهار) \* بغير "من" صار \* (تحتها) \* نصبا لنزع الحافض \* (خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) \* يعني الثواب الوافر سورة التوبة ١٠١ - ١٠٢

قوله تعالى \* (وممن حولكم من الأعراب منافقون) \* يعني الأعراب الذين حوالي المدينة \* (ومن أهل المدينة) \* وهو عبد الله بن أبي وأصحابه \* (مردوا على النفاق) \* يعني مرنوا وثبتوا على النفاق فلا يرجعون عنه ولا يتوبون \* (لا تعلمهم) \* يقول لا تعرفهم أنت بسبب إيمانهم بالعلانية \* (نحن نعلمهم) \* لأنني عالم السر والعلانية ونعلم نفاقهم ونعرفك حالهم

\* (سنعذبهم مرتين) \* قال مقاتل أحد العذابين عند الموت ضرب الملائكة الوجوه والأدبار الثاني عذاب القبر وهو ضرب منكر ونكير وقال الكلبي أول العذابين أنه أخرجهم من المسجد والعذاب الثاني عذاب القبر

وروى أسباط بن النضر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الملك السدي عن أبي مالك عن ابن عباس أنه قال قام صلى الله عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة فقال يا فلان أخرج فإنك منافق ثم قال يا فلان أخرج إنك منافق فأخرجهم بأسمائهم وكان عمر لم يشهد الجمعة لحاجة كانت له فلقبهم وهم يخرجون من المسجد فاخترت منهم إستحياء أنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا هم قد إختبئوا من عمر وظنوا أنه قد علم بأمرهم فدخل عمر المسجد فإذا الناس لم يصلوا فقال له رجل من المسلمين أبشر يا عمر قد فضح الله المنافقين وهذا هو العذاب الأول والعذاب الثاني عذاب القبر وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد \* (سنعذبهم مرتين) \* قال الجوع والقتل ويقال القتل والسبي وقال الحسن عذاب الدنيا وعذاب الآخرة \* (ثم يردون إلى عذاب عظيم) \* يعني عذاب جهنم أعظم مما كان في الدنيا

قوله تعالى \* (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) \* يعني بتخلفهم عن الغزو وهم أبو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعه بن خزام \* (خلطوا عملاً صالحاً) \* وهو التوبة \* (وآخر سيئات) \* بتخلفهم عن غزوة تبوك وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال تخلف أبو لبابة عن غزوة تبوك فربط نفسه بسارية المسجد ثم قال والله لا أحل نفسي منها ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى كاد يخر مغشياً عليه حتى تاب الله عليه فقبل له قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحله بيده ثم قال أبو لبابة يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن إنخلع من مالي كله صدقة لله تعالى ولرسوله فقال يجزيك الثلث يا أبا لبابة

وروي عن الزهري عن كعب بن مالك قال أول أمر عتب على أبي لبابة أنه كان بينه وبين يتيمة عذق فاختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى به لأبي لبابة فبكى اليتيم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دعه فأبى ثم قال فأعطه إياه ولك مثله في الجنة قال لا فانطلق أبو الدحداح فقال لأبي لبابة بعني هذا العذق بحدیقتي قال نعم ثم انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت إن أعطيت هذا اليتيم هذا العذق ألي مثله في الجنة قال نعم

فأعطاه إياه قال وأشار أبو لبابة إلى بني قريظة حين نزلوا على حكم سعد بن معاذ وأشار إلى حلقه يعني الذبح وتخلف عن غزوة تبوك ثم تيب عليه فذلك قوله \* (عسى الله أن يتوب عليهم) \* وعسى من الله واجب أن يتجاوز عنهم \* (إن الله غفور رحيم) \*

سورة التوبة ١٠٣ - ١٠٤

قوله تعالى \* (خذ من أموالهم صدقة) \* يعني من الذين قبلت توبتهم جاؤوا بأموالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه أموالنا فخذها وتصدق بها عنا فكره أن يأخذها فنزل \* (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) \* بها من ذنوبهم ويقال هذا ابتداء يعني خذ من أموال المسلمين صدقة يعني الصدقة المفروضة \* (تطهرهم) \* يعني تطهر أموالهم \* (وتزكهم بها) \* يعني تصلح بها أعمالهم \* (وصل عليهم) \* يعني استغفر لهم وادع لهم \* (إن صلاتك) \* يعني دعاءك واستغفارك \* (سكن لهم) \* يعني طمأنينة لأن الله تعالى قد قبل منهم الصدقة ويقال إن الله قبل منهم التوبة \* (والله سميع) \* لقولهم ولصدقاتهم \* (عليم) \* بثوابهم قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر " إن صلواتك " بلفظ الجماعة وقرأ الباقون \* (صلواتك) \* وقال أبو عبيدة وهذا أحب إلي لأن الصلاة أكثر من الصلوات ألا ترى إلى قول الله تعالى \* (وأقيموا الصلاة) \* [الأنعام: ٧٢] وإنما هي صلاة الأبد

قوله تعالى \* (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) \* يعني ويقبل الصدقات ومعناه وما منعهم عن التوبة والصدقة فكيف لم يتوبوا ولم يتصدقوا ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده والصدقة وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يقبل الصدقة إذا كانت من طيب فيريها كما يربي أحدكم فصيله أو مهره حتى تكون اللقمة مثل أحد \* (وأن الله هو التواب) \* يعني المتجاوز لمن تاب \* (الرحيم) \* بالمؤمنين

سورة التوبة ١٠٥ - ١٠٦

قوله تعالى \* (وقل اعملوا) \* أي اعملوا خيرا \* (فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) \* يعني ويراه رسوله ويراه المؤمنون وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الناس قد أحسنوا

القول كلهم فمن وافق قوله فعله فذلك الذي أصاب حظه ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه \* (وستردون إلى عالم الغيب والشهادة) \* يعني يوم القيامة \* (فينبئكم بما كنتم تعملون) \* في الدنيا

قوله تعالى \* (وآخرون مرجون لأمر الله) \* يعني موفقون لأمر الله وقال القنبي مؤخرون على أمر الله ويقال متروكون لأمر الله تعالى لهم ويقال مؤخر أمرهم ولم يبين شيء فنزلت هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ثم بين توبتهم في الآية التي بعد هذه \* (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) \* قرأ حمزة والكسائي ونافع \* (مرجون) \* بغير همز وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالهمز واختلف عن عاصم وابن عامر وأصله من التأخير \* (إما يعذبهم) \* بتخلفهم \* (وإما يتوب عليهم) \* يعني يتجاوز عنهم \* (والله عليم) \* بهم \* (حكيم) \* يحكم في أمرهم ما يشاء  
سورة التوبة ١٠٧ - ١٠٨

قوله تعالى \* (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا) \* يعني بنوا مسجدا مضره للمسلمين وقال القنبي يعني مضارة ليضاروا به مخالفهم أي ليدخلوا عليهم المضرة \* (وكفرا) \* يعني وإظهارا للكفر \* (وتفريقا بين المؤمنين) \* قرأ نافع وابن عامر \* (الذين اتخذوا) \* بغير واو وقرأ الباقون بالواو ومعناها واحد إلا أن الواو للعطف

نزلت الآية في سبعة عشر من المنافقين من بني عمرو بن عوف قالوا تعالوا نبني مسجدا يكون فيه متحدنا ومجمع رأينا فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يأذن لهم في بناء المسجد وقالوا قد بعد علينا المسير إلى الصلاة معك فتفوتنا الصلاة فأذن لنا أن نبني مسجدا لذوي العلة واليلة المطيرة فأذن لهم وكانوا ينتظرون رجوع أبي عامر الراهب من الشام وكان النبي صلى الله عليه وسلم سماه فاسقا وقال لا تقولوا راهب ولكن قولوا فاسق وقد كان آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم مرتين ثم رجع عن الإسلام فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات كافرا فلما ظهر أمرهم ونفاقهم جاؤوا يحلفون \* (إن أردنا إلا الحسنى) \* أي أردنا بنيانه خيرا فنزل \* (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا) \* يعني بنوا المسجد للضرار والكفر وللتفريق بين المؤمنين لكي يصلي بعضهم في مسجد قباء وبعضهم في مسجدهم وليجتمع الناس إلى مسجدهم ويتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم \* (وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) \* يعني انتظارا لمن هو كافر بالله ورسوله

من قبل بناء المسجد أن يقدم عليهم لهم من قبل الشام وهو أبو عامر الراهب \* (وليلحن إن أردنا إلا الحسنى) \* يعني ما أردنا ببناء المسجد إلا صوابا لكيلا تفوتنا الصلاة بالجماعة ولكي يرجع أبو عامر الراهب ليسلم \* (والله يشهد إنهم لكاذبون) \* فيما حلفوا وإنما اجتمعوا فيه لإظهار النفاق والكفر ثم قال تعالى \* (لا تقم فيه أبدا) \* يعني لا تصل فيه أبدا لأنهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي ويصلي فيه لكي يتبركوا بصلاته فيه فنهاه الله تعالى عن ذلك ونزل \* (لا تقم فيه أبدا) \* حتى للصلاة فيه ثم قال \* (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) \* يعني المسجد الذي بني على التوحيد من أول يوم قال الأخفش بني لوجه الله تعالى يعني منذ أول يوم ويقال بني للذكر والتكبير والتهليل وإظهار الإسلام وقهر الشرك من أول يوم بني ثم قال \* (أحق أن تقوم فيه) \* يعني أولى وأجدر أن تصلي فيه

ثم قال \* (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) \* يعني الاستنجاء بالماء ويقال \* (يحبون أن يتطهروا) \* يعني يطهروا أنفسهم من الذنوب وذلك أن ناسا من أهل قباء كانوا إذا أتوا الخلاء إستنجوا بالماء وهم أول من فعل ذلك واقتدى بهم من بعدهم وروي في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف بباب المسجد بعد نزول الآية وقال لمن فيه إن الله قد أحسن عليكم الثناء في طهوركم فبم تطهرون قالوا نستنجي بالماء فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية فذلك قوله \* (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) \* يعني المتطهرين

وقال سعيد بن المسيب المسجد الذي أسس على التقوى مسجد المدينة الأعظم وعن سهل بن سعد الساعدي قال اختلف رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر هو مسجد قباء فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال هو مسجدي هذا وروي عن ابن عباس أنه قال هو مسجد قباء

سورة التوبة ١٠٩ - ١١٠

ثم قال تعالى \* (أفمن أسس بنيانه) \* يعني أصل بنيانه يعني مسجد قباء وقيل مسجد

رسول الله صلى الله عليه وسلم \* (على تقوى) \* يعني على توحيد الله تعالى \*  
(ورضوان) \* من الله قرأ نافع وابن عامر \* (أفمن أسس) \* بضم الألف وكسر السين \*  
(بنيانه) \* بضم النون على معنى فعل ما لم يسم فاعله وقرأ الباقون \* (أسس) \* بنصب  
الألف و \* (بنيانه) \* بنصب النون ومعنى الآية إن البناء الذي يراد  
به الخير ورضاء الرب تبارك وتعالى \* (خير أم من أسس بنيانه) \* يعني مسجد الضرار  
الذي \* (أسس بنيانه) \* يعني أصل بنيانه \* (على شفا جرف هار) \* يعني على طرف  
هوة ليس له أصل قرأ حمزة وابن عامر وأبي بكر عن عاصم \* (على شفا جرف) \*  
بجزم الراء والباقون بالضم ومعناها واحد وقال القتيبي يعني على حرف جرف هائر  
والجرف ما ينحرف بالسيول من الأودية والهائر الساقط يقال تهور البناء وانهار وهار  
إذا سقط وهذا على سبيل المثل يعني إن الذي بنى المسجد إنما بنى على جرف جهنم  
فانهار بأهله في نار جهنم وقال الكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين بعد  
رجوعه من غزوة تبوك فأحرقاه وهدماه  
ثم قال \* (والله لا يهدي القوم الظالمين) \* يعني لا يرشدهم إلى دينه وهم الذين كفروا  
في السر

قوله تعالى \* (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) \* يعني حسرة وندامة بما  
أنفقوا فيه وبما ظهر من أمرهم ونفاقهم \* (إلا أن تقطع قلوبهم) \* يعني لا يزال حسرة  
في قلوبهم إلى أن يموتوا لأنهم إذا ماتوا انقطعت قلوبهم ويقال \* (إلا أن تقطع قلوبهم)  
\* يعني في القبر قرأ حمزة وابن عامر وعاصم في رواية حفص \* (إلا أن تقطع) \*  
بالنصب فيكون الفعل للقلوب يعني إلا أن تتقطع قلوبهم وتنفق والباقون بالرفع على  
فعل ما لم يسم فاعله \* (والله عليم حكيم) \* بهدم مسجدهم

سورة التوبة ١١١ - ١١٢

قوله تعالى \* (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) \* معناه إنه  
طلب من المؤمنين أن يقدوا أنفسهم وأموالهم ويخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله  
ليشبههم الجنة وذكر الشراء على وجه المثل لأن الأموال والأنفس كلها لله تعالى وهي  
عند أهلها عارية ولكنه أراد به التحريض والترغيب في الجهاد وهذا كقوله \* (من ذا  
الذي يقرض الله قرضا حسنا) \* [البقرة: ٢٤٥] ثم قال \* (يقاتلون في سبيل الله) \*  
يعني في طاعة الله تعالى مع العدو

\* (فيقتلون ويقتلون) \* يعني يقتلون العدو ويقتلهم العدو قرأ حمزة والكسائي \*  
\* (فيقتلون) \* بالرفع \* (ويقتلون) \* بالنصب على معنى التقديم والتأخير وقرأ الباقون \*  
\* (يقتلون) \* بالنصب \* (ويقتلون) \* بالرفع \* (وعدا عليه حقا) \* يعني واجبا لهم ذلك  
بأن يفى لهم ما وعد وبين لهم ذلك \* (في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده  
من الله) \* يعني ليس أحد أوفى من الله تعالى في عهده وشرطه لأنه عهد أن من قتل في  
سبيل الله فله الجنة فيفي عهده ذلك وينجز وعده

ثم قال \* (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) \* وهذا إعلام لهم أنهم يربحون في  
مبايعتهم \* (ذلك هو الفوز العظيم) \* يعني الثواب الوافر والنجاة الوافرة  
قوله تعالى \* (التائبون العابدون) \* إلى آخره يعني لهم الجنة ويقال هم التائبون ويقال  
صار رفعا بالابتداء وجوابه مضمرة قرأ عاصم " التائبين العابدين " يعني اشترى من  
المؤمنين التائبين العابدين إلى آخره ويقال اشترى من عشرة نفر أولهم الغزاة ومن  
التائبين الذين يتوبون عن الذنوب والذين هم العابدون يعني الموحدون ويقال المطيعون  
لله تعالى في الطاعة والجهاد \* (الحامدون) \* الذين يحمدون الله على كل حال \*  
(السائحون) \* قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والحسن يعني الصائمين وأصله  
السائح في الأرض لأن السائح في الأرض يكون ممنوعا عن الشهوات فشبه الصائم به  
وذكر عن بعضهم أنه قال هم الذين يصومون شهر الصبر وهو شهر رمضان وأيام البيض  
\* (الراكعون) \* يعني الذين يحافظون على الصلوات \* (الساجدون) \* الذين يسجدون  
لله تعالى في الصلوات \* (الأمرون بالمعروف) \* يعني يأمررون الناس بالتوحيد وأعمال  
الخير \* (والناهون عن المنكر) \* الذين ينهون الناس عن الشرك والأعمال الخبيثة \*  
(والحافظون لحدود الله) \* يعني العاملين بما فرض الله عليهم وذكر عن خلف بن  
أيوب أنه أمر امرأته في بعض الليل أن تمسك الرضاع عن الولد فقالت لم فقال لأنه قد  
تمت سنتان فقليل له لو تركتها حتى ترضع تلك الليلة وأيش يكون فقال أين قول الله  
تعالى \* (والحافظون لحدود الله) \* ثم قال \* (وبشر المؤمنين) \* يعني المصدقين بهذا  
الشرط والعاملين به

سورة التوبة ١١٣ - ١١٤

قوله تعالى \* (ما كان للنبي والذين آمنوا) \* يعني ما ينبغي وما جاز للنبي والذين آمنوا \*  
(أن يستغفروا للمشركين) \* وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال سمعت رجلا يستغفر  
لأبويه وهما مشركان فقلت له أتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال ألم يستغفر إبراهيم



لأبويه وهما مشركان فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزل \* (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) \* \* (ولو كانوا أولي قربى) \* يعني ذا قرابة في الرحم \* (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) \* يعني أهل النار وماتوا على الكفر وهم في النار

ويقال أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لأبويه وهما مشركان واستأذن منه المسلمون أن يستغفروا لآبائهم فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقال \* (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) \* وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجنا معه حتى انتهينا إلى قبر فجلس إليه فناجاه طويلاً ثم رفع رأسه باكية فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل إلينا فتلناه عمر رضي الله عنه فقال ما الذي أبكاك يا رسول الله فأخذ بيد عمر وأقبل إلينا فأتيناه فقال أفرعكم بكائي فقلنا نعم يا رسول الله فقال إن القبر الذي رأيتموني أناجيه قبر آمنة بنت وهب بن عبد مناف وإني استأذنت ربي بالاستغفار لها فلم يأذن لي فأنزل الله تعالى \* (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) \* فأخذني ما يأخذ الولد للوالدين من الرقة فذلك الذي أبكاني وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال استأذنت ربي أن أستغفر لوالدي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرهما فأذن لي فنزلت هذه الآية \* (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) \* الآية

ثم قال تعالى \* (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) \* وذلك أن أباه وعد إبراهيم أن يسلم فكان يستغفر له رجاء أن يسلم وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات \* (فلما) \* مات \* (تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) \* يعني ترك الدعاء ولم يستغفر له بعد لأنه مات على الكفر وللآية هذه وجه آخر روي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب بن حرب قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أمية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب يا عم قل لا إله إلا الله كلمة النجاة أشهد لك بها عند الله تعالى فقال أبو جهل أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعانده أبو جهل بتلك المقالة حتى قال أبو

طالب آخر مما كلمهم على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنه) فأنزل الله تعالى \* (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) \* [القصص: ٥٦] ونزل \* (ما كان للنبي والذين آمنوا) \* الآية

قوله تعالى \* (إن إبراهيم لأواه حلیم) \* وروى سماك عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال كل القرآن أعلمه إلا أربعة غسلين وحنانا والأواه والرقيم وروي عن عبد الله بن عباس في رواية أخرى أنه قال الأواه الذي يذكر الله في أرض الوحشة وروي عن ابن مسعود أنه قال الأواه الرحيم وقال مجاهد الأواه الموقن وقال الضحاك الأواه الداعي الذي يلح في الدعاء إلى الله تعالى المقبل إليه بطاعته ويقال الأواه المؤمن بلغة الحبشة ويقال الأواه معلم الخير وقال كعب الأواه الذي إذا ذكر الله قال أواه من النار وقال القتيبي المتأوه حزنا وخوفا \* (حلیم) \* يعني حلیمًا عن الجهل

سورة التوبة ١١٥ - ١١٦

قوله تعالى \* (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم) \* وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أنزل الله تعالى عليه الفرائض فعمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ثم إن الله تعالى أنزل ما ينسخ به الأمر الأول وقد غاب الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبلغهم ذلك فعملوا بالمنسوخ وكانوا يصلون إلى القبلة الأولى ولا يعلمون ويشربون الخمر ولا يعلمون تحريمها فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى \* (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم) \* وإن عملوا بالمنسوخ \* (حتى يبين لهم ما يتقون) \* يعني ما نسخ من القرآن يعني إنه قبل منهم ما عملوا بعد النسخ ولا يؤاخذهم بذلك ويقال وما كان الله ليهلك قوما في الدنيا حتى يقيم عليهم الحجة ويقال ما كان الله ليعذبهم في الآخرة حتى يبين لهم ما يتقون ويقال لا يتركهم بلا بيان بعد أن أكرمهم بالإيمان حتى يبين لهم ما يحتاجون أن يتقوه ويقال لا ينزع الإيمان عنهم بعد أن هداهم إلى الإيمان حتى يبين لهم الحدود والفرائض فإذا تركوا ذلك ولم يروه حقا عذبهم الله تعالى ونزع عنهم المعرفة ويقال \* (وما كان الله ليضل قوما) \* على الابتداء \* (حتى يبين لهم ما يتقون) \* فيصيروا فيه ضلالا وهذا طريق المعتزلة والطريق الأول أصح وبه نأخذ

ثم قال تعالى " إن الله بكل شيء عليم " يعني عليم بكل ما يصلح للخلق  
ثم قال تعالى \* (أن الله له ملك السماوات والأرض) \* يعني يحكم فيهما بما يشاء بالأمر

بعد الأمر يأمر بأمر ثم يأمر بغيره ويقر ما يشاء فلا ينسخه \* (يحيي ويميت) \* يعني يحيي الموتى ويميت الأحياء \* (وما لكم من دون الله) \* يعني من عذاب الله تعالى \* (من ولي) \* يعني من قريب ينفعكم \* (ولا نصير) \* يعني مانعا يمنعكم وقال الكلبي \* (يحيي) \* يعني في السفر \* (ويميت) \* في الحضر يعني إن هذا ترغيب في الجهاد لكي لا يمتنعوا مخافة الموت القتل والموت

سورة التوبة ١١٧

قوله تعالى \* (لقد تاب الله على النبي) \* يعني تجاوز الله عن النبي إذنه للمنافقين بالتخلف كقوله \* (عفا الله عنك لم أذنت لهم) \* [التوبة: ٤٣] ويقال \* (لقد تاب الله على النبي) \* يعني غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما ذكر في أول سورة الفتح ثم قال \* (والمهاجرين والأنصار) \* يعني تجاوز عنهم ذنوبهم لما أصابهم من الشدة في ذلك الطريق

ثم نعتهم فقال \* (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) \* يعني وقت الشدة في غزوة تبوك كانت لهم العسرة في أربعة أشياء عسرة النفقة والركوب والحر والخوف \* (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) \* يعني تميل قلوب طائفة منهم عن الخروج إلى الغزو ويقال من بعد ما كادوا أن يرجعوا من غزوتهم من الشدة ويقال هم قوم تخلفوا عنه ثم خرجوا فأدركوه في الطريق \* (ثم تاب عليهم) \* يعني تجاوز عنهم \* (إنه بهم رؤوف رحيم) \* حين تاب عليهم قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص \* (يزيغ قلوب) \* بالياء بلفظ التذكير والباقون بالتاء بلفظ التأنيث ولفظ التأنيث إذا لم يكن حقيقيا جاز والتأنيث والتذكير لأن الفعل مقدم فيجوز التذكير والتأنيث

سورة التوبة ١١٨

قوله تعالى \* (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) \* يعني وتاب الله على الثلاثة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية قال الفقيه سمعت أبي رحمه الله يذكر بإسناده عن معمر عن الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة له غزاها حتى كانت غزوة تبوك إلا بدرا فلم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم أحدا تخلف عن بدر إنما خرج يريد العير فخرجت قريش معينين لعيرهم فالتقوا على غير موعدهم ثم لم أتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاها فأذن للناس بالرحيل وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوتهم وذلك حين طابت الظلال وطابت الثمار وكان

قل ما أراد غزوة إلا ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة فأراد في غزوة أن يتأهب الناس أهبتهم وأنا أيسر ما كنت قد جمعت راحلتين وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحال وأنا في ذلك أصبو إلى الظلال وطيب الثمار فلم أزل كذلك حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم غازيا بالغداة وذلك يوم الخميس وكان يحب أن يخرج يوم الخميس فأصبح غاديا فقلت انطلق غاديا إلى السوق غدا فأشتري ثم ألحق بهم فانطلقت إلى السوق من الغد فعسر علي بعض شأني فرجعت فقلت أرجع غدا إن شاء الله فألحق بهم فعسر علي بعض شأني فلم أزل كذلك حتى التبس بي الريب وتخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت أمشي في الأسواق وأطوف في المدينة فيحزنني أن لا أرى أحدا تخلف إلا رجلا مغموسا عليه في النفاق وكان جميع من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وثمانين رجلا ولم يذكرني النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فلما بلغ تبوك قال فما فعل كعب بن مالك فقال رجل من قومي خلفه يا رسول الله حسن برديه والنظر إلى عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا نبي الله ما نعلم منه إلا خيرا فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وقفل ودنا من المدينة جعلت أتذكر بماذا أخرج من سخطة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي حتى إذا أقبل النبي صلى الله عليه وسلم زاح عني الباطل وعرفت ألا أنجو إلا بالصدق ودخل النبي صلى الله عليه وسلم ضحى فصلى في المسجد ركعتين وكان إذا جاء من السفر فعل ذلك فدخل المسجد وصلى ركعتين ثم جلس فجعل يأتيه من تخلف فيحلفون له ويعتذرون إليه ويستغفر لهم ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى

فدخلت المسجد فإذا هو جالس فلما رأني تبسم تبسم المغضب فجئت فجلست بين يديه فقال ألم تكن ابتعت ظهرك فقلت بلى يا رسول الله فقال ما خلفك فقلت والله لو أني بين يدي أحد من الناس غيرك لخرجت من سخطة علي بعذر ولقد أوتيت جدلا ولكني قد علمت يا رسول الله أني لو أخبرتك اليوم بقول تجد علي فيه وهو حق فإنني أرجو فيه عفو الله وإن حدثتك حديثا ترضى عني فيه وهو كذب يوشك الله أن يطلعك علي والله يا نبي الله ما كنت قط أيسر ولا أخف حالا حين تخلفت عنك قال أما هذا فقد صدقكم الحديث قم حتى يقضي الله فيك فقامت فنازعني ناس من قومي يؤنبونني وقالوا والله ما نعلمك أذنبت ذنبا قط قبل هذا فهلا اعتذرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بما يرضى عنك فيه فكان إستغفاره سيأتي من وراء ذلك ولم توقف نفسك موقفا ما تدري ما يقضى لك فيه

فلم يزالوا يؤنبونني حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي فقلت هل قال هذا القول أحد غيري قالوا نعم فقلت من هو فقالوا هلال بن أمية ومرارة بن الربيع فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة فقلت والله لا أرجع إليه في هذا أبدا ولا أكذب



(۹۴)

نفسى قال فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامنا نحن الثلاثة قال فجعلت أخرج إلى السوق فلا يكلمني أحد وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذين نعرفهم وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالتى نعرف

وكنت أقوى أصحابي فكنت أخرج وأطوف بالأسواق وآتي المسجد وآتي النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وأقول هل حرك شفثيه بالسلام فإذا قمت أصلي إلى سارية فأقبلت على صلاتي نظر إلي بمؤخر عينيه فإذا نظرت إليه أعرض عني واستكان أصحابي فجعلوا يبكيان الليل والنهار ولا يطلعان رؤوسهما فيبينما أنا أطوف بالسوق إذا برجل نصراني جاء بطعام له يبيعه يقول من يدلني على كعب بن مالك فانطلق الناس يشيرون إلي فأتاني بصحيفة من ملك غسان وإذا فيها أما بعد فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولست بدار مضیعة ولا هوان فالحق بنا نواسيك فقلت هذا أيضا من البلاء يعني الدعوة إلى الكفر فسجرت لها التنور فأحرقتها فيه

فلما مضت أربعون ليلة إذا رسول من النبي صلى الله عليه وسلم قد أتاني وقال اعتزل امرأتك فقلت أطلقها فقال لا ولكن لا تقربها فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت يا نبي الله إن هلالا شيخ ضعيف فهل تأذن لي أن أخدمه قال نعم ولكن لا يقربنك فقالت يا نبي الله والله ما به من حركة من شيء يبكي الليل والنهار منذ كان من أمره ما كان قال كعب فلما طال علي البلاء إقتحمت على أبي قتادة حائطه وهو ابن عمي فسلمت عليه فلم يرد علي السلام فقلت أنشدك الله يا أبا قتادة أتعلم أني أحب الله ورسوله فسكت ثم قلت أنشدك بالله يا أبا قتادة أتعلم أني أحب الله ورسوله حتى عاودته ثلاث مرات قال الله تعالى ورسوله أعلم فلم أملك نفسي أن بكيت ثم إقتحمت الحائط خارجا حتى إذا مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي صلى الله عليه وسلم الناس عن كلامنا صليت على ظهر بيت لنا صلاة الفجر ثم جلست وأنا في المنزلة التي قال الله تعالى \* (ضائق عليهم الأرض بما رحبت وضائق عليهم أنفسهم) \* إذ سمعت نداء من ذروة سلع أن أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وعرفت أن الله تعالى قد جاء بالفرج ثم جاء رجل يركب على فرس يبشرنني فكان الصوت أسرع من فرسه فأعطيته ثوبي بشارة ولبست ثوبين آخرين وانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وجعل الأنصار يستقبلونني فوجا فوجا ويهثونني ويبشرونني ولم يقم أحد من المهاجرين غير طلحة بن عبيد الله قام وتلقاني بالتهنئة فما نسيت ذلك منه وانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو يستنير كاستنارة القمر وكان إذا بشر بالأمر إستنار وجهه كالقمر فجئت فجلست بين يديه فقال أبشر يا كعب بخير يوم أتى عليك منذ ولدتك أمك فقلت يا نبي الله أمن عندك أم من عند الله قال بل من عند الله ثم تلا قوله تعالى \* (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) \* إلى



قوله \* (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) \* الآية فقلت يا نبي الله إن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا وأن أنخلع من مالي كله صدقة لله ورسوله قال أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فما أنعم الله علي نعمة بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صدقته أنا وصاحباي ألا نكون كذبتنا فهلكنا كما هلكوا وإني لأرجو ألا يكون الله أبلي أحدا في الصدق كما أبلاني ما تعمدت لكذبة قط مذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي

وروى الزهري عن كعب بن مالك قال كانت توبتنا نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في ثلث الليل فقالت أم سلمة يا نبي الله ألا نبشر كعبا بن مالك قال إذا يحطمنكم الناس ويمنعونكم النوم سائر الليلة وكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن بأمرى وذلك قوله تعالى \* (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) \* يعني وتاب الله على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ويقال " وعلى الثلاثة الذين تخلفوا " عن التوبة يعني أبا لبابة \* (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) \* يعني بسعتها \* (وضاقت عليهم أنفسهم) \* يعني ضاقت قلوبهم \* (وظنوا أن لا ملجأ من الله) \* يعني علموا وأيقنوا أن لا مفر من عذاب الله \* (إلا إليه) \* يعني إلا بالتوبة إليه \* (ثم تاب عليهم ليتوبوا) \* يعني تجاوز عنهم حتى تابوا ويقال أكرمهم الله فوقفهم للتوبة لكي يتوبوا ويقال تاب عليهم ليتوب من بعدهم ويقندي بهم " إن الله هو التواب الرحيم " يعني المتجاوز لمن تاب \* (الرحيم) \* بهم بعد التوبة

سورة التوبة ١١٩ - ١٢١

قوله تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) \* أي إخشوا الله ولا تعصوه وهم من أسلم من أهل الكتاب \* (وكونوا مع الصادقين) \* قال الضحاك يعني مع الذين صدقت نياتهم



واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو بإخلاص نية ويقال هذا الخطاب للمنافقين الذين كانوا يعتذرون بالكذب ومعناه \* (يا أيها الذين آمنوا) \* في العلانية \* (اتقوا الله) \* \* (وكونوا مع الصادقين) \* أي مع الذين صدقوا

وروي عن كعب بن مالك أنه قال فينا نزلت \* (وكونوا مع الصادقين) \* وقال الكلبي \* (وكونوا مع الصادقين) \* يعني المهاجرين والأنصار الذين صلوا إلى القبليتين وقال مقاتل هم الذين وصفهم الله تعالى في آية أخرى \* (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) \* [النور: ٦٢] الآية ويقال \* (مع الصادقين) \* في إيمانهم يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضوان الله عليهم أجمعين حدثنا الفقيه أبو جعفر قال حدثنا أبو بكر القاضي قال حدثنا أحمد بن جرير قال حدثنا قتيبة قال حدثنا عبد الرحمن المحاربي عن جوير عن الضحاك في قوله \* (وكونوا مع الصادقين) \* قال أمروا أن يكونوا مع أبي بكر وعمر وأصحابهما

قوله تعالى \* (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب) \* يعني المنافقين الذين بالمدينة وحوالي المدينة \* (أن يتخلفوا عن رسول الله) \* في الغزو \* (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) \* يعني لا ينبغي أن يكونوا بأنفسهم أبر وأشفق من نفس محمد صلى الله عليه وسلم وأن يتركوا محبته ويقال \* (ولا يرغبوا بأنفسهم) \* يعني لا يركنوا بإبقاء أنفسهم على إبقاء نفسه يعني ينبغي لهم أن يتبعوه حيث ما يريد \* (ذلك) \* يعني النهي عن التخلف ويقال ذلك التحضيض الذي حضهم عليه \* (بأنهم لا يصيبهم) \* في غزوهم \* (ظماً ولا نصب) \* يعني ولا تعب ولا مشقة في أجسادهم ثم قال \* (ولا مخمصة) \* يعني مجاعة \* (في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً) \* يعني لا يطؤون أرضاً وموضعاً من سهل أو جبل \* (بغيب الكفار) \* يعني يحزن الكفار بهم \* (ولا ينالون من عدو نيلاً) \* يعني لا يصيبون من عدو قتلاً أو غارة أو هزيمة \* (إلا كتب لهم به عمل صالح) \* يعني يضاعف حسناتهم على حسنات القاعدين \* (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) \* يقول لا يبطل ثواب المجاهدين وفي هذه الآية دليل أن ما أصاب الإنسان من الشدة يكتب له بذلك ثواب قال بعضهم لا يكتب له بالشدة ثواب ولكن يحط عنه الخطيئة وقال بعضهم لا يكون بالمشقة أجر ولكن بالصبر على ذلك ثم قال تعالى \* (ولا ينفقون نفقة) \* يعني في الجهاد \* (صغيرة ولا كبيرة) \* يعني قليلاً ولا كثيراً \* (ولا يقطعون وادياً) \* من الأودية مقبلين إلى العدو أو مدبرين \* (إلا كتب لهم) \* يعني كتب لهم ثواب \* (ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون) \* يقول ليجزيهم بأعمالهم ويقال يجزئهم أحسن من أعمالهم لأنه يعطي بحسنة واحدة عشرة إلى سبعمائة إلى ما لا يدرك حسابه ويقال ليجزيهم بأحسن أعمالهم وتصير سائر أعمالهم فضلاً



سورة التوبة ١٢٢

قوله تعالى \* (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) \* روي عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله \* (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) \* يعني ما كان للمؤمنين لينفروا جميعا ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده بالمدينة \* (فلولا نفر) \* يقول فهلا خرج \* (من كل فرقة منهم طائفة) \* يعني عصابة وجماعة ويقيم طائفة مع النبي صلى الله عليه وسلم \* (ليتفقهوا في الدين) \* يعني ليتعلموا العلم وشرائع الدين فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون عن النبي صلى الله عليه وسلم فيعلمونهم ويقولون إن الله تعالى قد أنزل على نبيكم بعدكم كذا وكذا وهذا قوله \* (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) \* يعني يتعظون بما أمروا ونهوا عنه ولها وجه آخر وهو ما روي أيضا عن معاوية بن صالح عن علي بن طلحة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا على مضر بالسنين أجذبت بلادهم وكانت القبيلة تقبل بأسرها حتى يلحقوا بالمدينة ويعلموا بالإسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فأنزل الله تعالى يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا بمؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشائرتهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم بعد ذلك وهو قوله \* (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) \*

وروي أسباط بن السدي قال أقبلت أعراب هذيل وأصابتهم مجاعة واستعانوا بتمر المدينة وأظهروا الإسلام وكانوا يفتخرون على المؤمنين فيقولون نحن أسلمنا طائعين يعني بغير قتال وأنتم قوتلتم فنحن خير منكم فأذوا المؤمنين فأنزل الله تعالى فيهم يخبرهم بأمرهم قال \* (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) \* أي جميعا \* (فلولا نفر من كل فرقة منهم) \* يعني من كل بطن طائفة فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعوا كلامه ثم رجعوا إلى قومهم فأخبروهم \* (لعلهم يحذرون) \* يعني يتعظون فيعملون به ولا يعملون بخلافه وفي هذه الآية دليل أن أخبار الآحاد مقبولة ويجب العمل بها لأن الله تعالى أخبر أن الفرقة من الطائفة إذا تفقعت في الدين وأنذرت قومهم صح ذلك ولفظ الطائفة يتناول الواحد والأكثر لأن أقل الفرقة اثنان والطائفة من الاثنین واحد

سورة التوبة ١٢٣ - ١٢٥

قوله تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) \* يعني ما حولكم  
وبقربكم من عدوكم وهم بنو قريظة والنضير وفدك وخيبر فأمر الله تعالى كل قوم بأن  
يقاتلوا الذين يلونهم من الكفار قال أبو جعفر الطحاوي منع الله تعالى نبيه عن قتال  
الكفار بقوله \* (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) \* ثم أباح قتال من يليه  
بقوله \* (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) \* ثم أباح قتال جميع الكفار بقوله \* (فاقتلوا  
المشركين حيث وجدتموهم) \* [التوبة: ٥] ثم قال \* (وليجدوا فيكم غلظة) \* يعني  
شدة عليهم \* (واعلموا أن الله مع المتقين) \* ينصرهم على عدوهم  
قوله تعالى \* (وإذا ما أنزلت سورة) \* يعني القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
\* (فمنهم) \* يعني من المنافقين \* (من يقول) \* بعضهم لبعض \* (أيكم زادته هذه) \*  
السورة \* (إيماناً) \* يعني تصديقاً استهزاء بها  
قال الله تعالى \* (فأما الذين آمنوا) \* يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم \*  
(فزادتهم إيماناً) \* يعني تصديقاً بهذه السورة مع تصديقهم بالله تعالى وثباتاً على  
الإيمان \* (وهم يستبشرون) \* يقول يفرحون بما أنزل الله من القرآن  
قال الفقيه حدثنا محمد بن الفضل وأبو القاسم الشنابازي قالا حدثنا فارس بن مردويه  
قال حدثنا محمد بن الفضل العابد قال حدثنا يحيى بن عيسى قال حدثنا أبو مطيع عن  
حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة أنه قال جاء وفد ثقيف إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان يزيد وينقص قال  
لا الإيمان مكمل في القلب زيادته ونقصانه كفر  
قال الفقيه حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستلم قال حدثنا أبو عمران المؤدب  
الدستجدي قال حدثنا صخر بن نوح قال حدثنا مسلم بن سالم عن أبي الحويرث عن  
عون بن عبد الله قال سمعت عمر بن عبد العزيز يقول في خطبته لو كان الأمر على ما  
يقول الشكاك الضلال أن الذنوب تنقص الإيمان لأمسي أحدنا حين ينقلب إلى أهله  
وهو لا يدري ما ذهب من إيمانه أكثر أو ما بقي  
قوله تعالى \* (وأما الذين في قلوبهم مرض) \* يعني شكاً ونفاقاً \* (فزادتهم رجساً إلى  
رجسهم) \* قال الكلبي أي شكاً إلى شكهم وقال مقاتل إنما على إثمهم وقال القتيبي  
أصل الرجس التنن ثم قال الكفر والنفاق رجس لأنهما نتنان \* (وماتوا وهم كافرون) \*  
يعني ماتوا على الكفر لأنهم كانوا كفاراً في السر ولم يكونوا مؤمنين في الحقيقة  
سورة التوبة ١٢٦ - ١٢٧

قوله تعالى \* (أو لا يرون أنهم يفتنون) \* قرأ حمزة " أو لا ترون " بالتاء ويكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقرأ الباقون بالياء يعني \* (أو لا يرون) \* المنافقون ولا يعتبرون \* (أنهم يفتنون في كل عام) \* يقول يتلون بإظهار ما في صدورهم من النفاق في كل عام \* (مرة أو مرتين ثم لا يتوبون) \* من نفاقهم وكفرهم في السر \* (ولا هم يذكرون) \* يعني لا يتعظون ولا يتفكرون قال الكلبي كانوا ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين فيعاقبون ثم لا يتوبون عن نقض العهد وقال مقاتل وذلك أنهم إذا خلوا تكلموا بما لا يحل لهم فإذا أتوا النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بما تكلموا به فيعرفون أنه نبي ثم يأتيهم الشيطان فيحدثهم أنه يخبرهم بما بلغه عنهم فيشكون فيه فذلك قوله \* (يفتنون في كل عام مرة أو مرتين) \* يعني يعرفون مرة أنه نبي وينكرون مرة أخرى \* (ثم لا يتوبون) \* عن ذلك \* (ولا هم يذكرون) \* فيما أخبرهم ويقال \* (يفتنون) \* يعني يتلون بالأمراض والأسقام ويعاهدون الله تعالى لو زال عنا لفعلنا كذا وكذا ثم لا يوفون به ولا يتوبون من النفاق \* (ولا هم يذكرون) \* أي لا يتعظون بما أنزل الله عليهم

قوله تعالى \* (وإذا ما أنزلت سورة) \* يعني من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل سورة براءة فيها عيب المنافقين \* (نظر بعضهم إلى بعض) \* أي ويتغامزون ويقولون فيما بينهم \* (هل يراكم من أحد) \* من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فإذا رآهم أحد قاموا وصلوا وإن لم يره أحد انصرفوا يعني خرجوا من المسجد ويقال انصرفوا عن الإيمان \* (صرف الله قلوبهم) \* عن الإيمان وحذلهم عن الفهم بخروجهم وانصرفهم عن الإيمان ويقال هذا على وجه الدعاء واللعن كقوله تعالى \* (قاتلهم الله) \* [التوبة: ٣٠] ويقال هذا على معنى التقديم ومعناه صرف الله قلوبهم لأنهم انصرفوا عن الإيمان \* (بأنهم قوم لا يفقهون) \* أمر الله تعالى

سورة التوبة ١٢٨ - ١٢٩

قوله تعالى \* (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) \* قال مقاتل يعني يا أهل مكة قد جاءكم رسول من أنفسكم تعرفونه ولا تنكرونه ويقال هذا الخطاب لجميع العرب \* (لقد جاءكم رسول) \* يعني محمدا صلى الله عليه وسلم \* (من أنفسكم) \* يعني من جميع العرب لأنه لم يكن في العرب قبيلة إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيها قرابة وهذا من المجاز والاستعارة لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان فيهم ولم يجئ من موضع آخر ولكن معناه ظهر فيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال هذا الخطاب لجميع

الناس \* (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) \* يعني آدمياً مثلكم قرأ بعضهم \* (من أنفسكم) \* بنصب الفاء يعني من أشرفكم وأعزكم وهي قراءة شاذة ثم قال تعالى \* (عزيز عليه ما عنتم) \* يعني شديد عليه ما أتمتم وعصيتم \* (حريص عليكم) \* قال الكلبي يعني على إيمانكم وقال مقاتل \* (حريص عليكم) \* بالرشد والهدى وقال قتادة \* (حريص) \* على من لم يسلم أن يسلم ثم قال \* (بالمؤمنين رؤوف رحيم) \* أي رفيق بجميع المؤمنين رحيم بهم ثم قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم \* (فإن تولوا) \* يعني إن أعرضوا عنك ولم يؤمنوا بك \* (فقل حسبي الله) \* يعني قل كفاني الله وفوضت أمري إلى الله ووثقت به \* (لا إله إلا هو) \* يعني لا ناصر ولا رازق ولا معين إلا هو \* (عليه توكلت) \* يعني به أثق \* (وهو رب العرش العظيم) \* يعني خالق السرير العظيم الذي هو أعظم من السماوات والأرض وقرأ بعضهم \* (العظيم) \* بالرفع فجعل العظيم من نعت الله تعالى وقراءة العامة \* (العظيم) \* بالخفض ويكون العظيم نعتاً للعرش

وذكر عن عثمان بن عفان أنه لما جمع القرآن في المصحف كان لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد بها رجلان فجاء خزيمة بن ثابت بهاتين الآيتين \* (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) \* إلى آخر السورة فلم يطلب منه البينة وأثبتها في المصحف وروي عن حذيفة أنه قال يسمون سورة براءة سورة التوبة وهي سورة العذاب عن ابن عباس أنه قال كنا نسميها الفاضحة فما زالت تنزل في المنافقين فيهم ومنهم حتى أشفق كل واحد على نفسه والله أعلم بالصواب

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

سورة يونس ١ - ٢

قال الله عز وجل \* (الر) \* قال ابن عباس معناه أنا الله أرى وهكذا عن الضحاك وقد ذكرنا تفسير الحروف في أول سورة البقرة قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر \* (الر) \* بإمالة الراء وقرأ ابن كثير وحفص بنص الراء وقرأ نافع بين ذلك

\* (تلك آيات الكتاب) \* يعني هذه آيات الكتاب الذي أنزل عليك يا محمد ويقال تلك الآيات التي وعدتك يوم الميثاق أن أوحينا إليك الكتاب \* (الحكيم) \* قال مقاتل يعني المحكم من الباطل لا كذب فيه ولا إختلاف وقال الكلبي يعني أحكم بحلاله وحرامه ويقال \* (الكتاب الحكيم) \* يعني الحاكم على الكتب كلها ويقال \* (تلك آيات) \* يعني حجج وبراهين وهي التي احتج بها النبي صلى الله عليه وسلم على دعواه ثم قال تعالى \* (أكان للناس عجبا) \* لأن أهل مكة كانوا يتعجبون ويقولون \* (أبعث الله بشرا رسولا) \* فنزل \* (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم) \* يقول أعجب أهل مكة أن أختار عبدا من عبيدي وأرسله إلى عبادي من جنسهم وحسبهم حتى يقدروا أن ينظروا إليه فيعرفونه ولا ينكرونه ثم بين ما أوحى الله تعالى إليه فقال \* (أن أنذر الناس) \* يعني خوف أهل مكة بما في القرآن من الوعيد ويقال في الآية تقديم ومعناه تلك آيات الكتاب الحكيم للناس أكان عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وقال عامة المفسرين على ظاهر التنزيل ثم قال \* (وبشر الذين آمنوا) \* أي بما في القرآن من الثواب في الجنة \* (أن لهم قدم صدق عند ربهم) \* قال مقاتل يعني بأن أعمالهم التي قدموها بين أيديهم ستكون خيرا عند

ربهم وهي الجنة وقال ابن عباس يعني السعادة عند ربهم وهي الجنة وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال يعني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لهم شفيع صدق عند ربهم وقال الحسن هي رضوان الله في الجنة وقال القتيبي \* (قدم صدق) \* يعني عملاً صالحاً قدموه

\* (قال الكافرون إن هذا لساحر مبين) \* قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر \* (لسحر) \* بغير ألف يعني إن هذا القرآن لساحر مبين يعني كذب بين ظاهر وقرأ الباقون \* (لساحر مبين) \* يعني أن الذي يقرأ عليهم القرآن لساحر مبين فالساحر اسم والسحر فعل فإن قيل إذا قال الكفار هذا القول فما الحكمة في حكاية كلامهم في القرآن قيل له الحكمة فيه من وجوه أحدها أنهم كانوا يقولون قولاً فيما بينهم فيظهر قولهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فكان في ذلك علامة لنبوته لمن أيقن به والثاني أن في ذلك تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على ذلك كما قال \* (فاصبر على ما يقولون) \* والثالث أن في ذلك تنبيهاً لمن بعده أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يمتنع بما يسمع من المكروه

سورة يونس ٣ - ٥

قوله تعالى \* (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) \* وقد ذكرناه ثم قال \* (يدبر الأمر) \* يعني يقضي القضاء وينظر في تدبير الخلق وروى الأعمش عن عمرو بن مرة عن ابن سابط قال مدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل أما جبريل فعلى الرياح والوحي والجنود وأما ميكائيل فعلى النبات والمطر وأما ملك الموت فعلى الأنفس وأما إسرافيل فينزل إليهم بما يؤمرون \* (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) \* لأن الكفار كانوا يعبدون الأصنام ويقولون هم شفعاؤنا عند الله وبعضهم كانوا يعبدون الملائكة فأخبر الله تعالى أنه لا شفاعة لأحد إلا بإذن الله ويقال \* (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) \* يعني لا يشفع أحد لأحد يوم القيامة من الملائكة ولا من المرسلين إلا من بعد إذنه في الشفاعة لهم \* (ذلكم الله ربكم) \* يعني الذي يفعل هذا من خلق السماوات والأرض وتدبير الخلق هو ربكم وخالقكم \* (فاعبدوه) \* فدل أولاً على وحدانيته وتدبيره ثم أمرهم بالتوحيد والطاعة



فقال \* (فاعبدوه) \* يعني وحدوه وأطيعوه \* (أفلا تذكرون) \* يعني أفلا تتعظون بالقرآن ويقال أفلا تتعظون بأن لا تعبدوا من لا يملك شيئاً وتعبدون من يملك الدنيا وما فيها قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص \* (تذكرون) \* بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد لأن أصله تتذكرون فأدغم إحدى التاءين في الذال وأقيم التشديد مقامه ثم خوفهم فقال \* (إليه مرجعكم جميعاً) \* يعني مرجع الخلائق كلهم يوم القيامة \* (وعد الله حقاً) \* يعني البعث كائناً وصدقا وقال الزجاج \* (وعد الله) \* صار نصبا على معنى وعدكم الله وعدا لأن قوله \* (إليه مرجعكم) \* معناه الوعد بالرجوع إليه " إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده " قال أهل اللغة الياء صلة ومعناه إنه بدأ الخلق ثم يعيده يعني خلق الخلق في الدنيا ثم يحييهم بعد الموت يوم القيامة \* (ليجزى الذين آمنوا) \* يعني لكي يثبت الذين آمنوا بالبعث بعد الموت \* (وعملوا الصالحات بالقسط) \* يعني عملوا الطاعات بالعدل وقال الضحاك يعني الذين قاموا بالعدل وأقاموا على توحيدهم يعطيهم من رياض الجنة حتى يرضوا \* (والذين كفروا) \* يعني ويجزي الذين كفروا \* ثم بين جزاءهم فقال تعالى \* (لهم شراب من حميم) \* يعني ماء حارا قد إنتهى حره \* (وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) \* يعني يجحدون بالرسالة والكتاب ثم ذكروهم النعم لكي يستحيوا منه ولا يعبدوا غيره فقال تعالى \* (هو الذي جعل الشمس ضياء) \* بالنهار \* (والقمر نورا) \* بالليل ويقال جعل الشمس ضياء مع الحر والقمر نورا بلا حر \* (وقدره منازل) \* يعني جعل الليل والنهار منازل يزيد أحدهما وينقص الآخر ولا يجاوزان المقدار الذي قدره ويقال \* (قدره) \* يعني القمر \* (منازل) \* كل ليلة بمنزلة من النجوم وهي ثمانية وعشرون منزلا في كل شهر وهذا كقوله \* (والقمر قدرناه منازل) \* [يس: ٣٩] \* (لتعلموا عدد السنين والحساب) \* يعني لتعلموا بالقمر حساب السنين والشهور كقوله تعالى " يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس " [البقرة: ١٨٩]

ثم قال (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) يعني لتعلموا عدد السنين والحساب ولتعتبروا وتعلموا أن له خالقا ومدبرا وهو قادر على أن يحيي الموتى ثم قال \* (يفصل الآيات) \* يعني يبين العلامات يعني علامة وحدانيته \* (لقوم يعلمون) \* يعني لمن كان له عقل وذهن وتمييز قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص \* (يفصل الآيات) \* بالياء وقرأ الباقون بالنون ومعناها قريب

سورة يونس ٦ - ١٠

قوله تعالى \* (إن في اختلاف الليل والنهار) \* وذلك أن أهل مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إئتنا بعلامة كما أتت بها الأنبياء قومهم فنزل \* (إن في اختلاف الليل والنهار) \* يعني في مجيء الليل وذهاب النهار ومجئ النهار وذهاب الليل ويقال ما يأخذ النهار من الليل وما يأخذ الليل من النهار \* (وما خلق الله في السماوات والأرض) \* من العجائب يعني فيما خلق الله \* (آيات) \* يعني علامات \* (لقوم يتقون) \* الله ويخشون عقوبته ويقال لقوم يتقون الشرك

ثم قال تعالى \* (إن الذين لا يرجون لقاءنا) \* يعني لا يخافون البعث بعد الموت ويقال لا يرجون ثوابنا بعد الموت \* (ورضوا بالحياة الدنيا) \* يعني اختاروا ما في الحياة الدنيا يعني على ثواب الآخرة \* (واطمأنوا بها) \* يقول ورضوا بها وسكنوا إليها وآثروها وفرحوا بها \* (والذين هم عن آياتنا غافلون) \* يعني عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن معرضون فلا يؤمنون ويقال تاركين لها ومكذبين بها ويقال لم يتفكروا فيها قوله تعالى \* (أولئك مأواهم النار) \* يعني أهل هذه الصفة مصيرهم إلى النار \* (بما كانوا يكسبون) \* يعني جزاء لكفرهم وتكذيبهم

ثم أنزل فيما أعد الله للمؤمنين فقال \* (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) \* وقال مقاتل يهديهم على الصراط إلى الجنة بالنور \* (بإيمانهم) \* يعني بتوحيدهم الله تعالى في الدنيا وقال الضحاك يدعوهم ربهم بإيمانهم إلى الجنة وقال الكلبي نحو هذا ويقال هذا على معنى التقديم ومعناه إن الذين يهديهم ربهم بإيمانهم حتى آمنوا وعملوا الصالحات ويقال يهديهم ربهم في الدنيا حتى يثبتهم على الإيمان ويدخلهم في الآخرة الجنة بإيمانهم ويقال ينجيهم ربهم بإيمانهم وقال الحسن يرحمهم ربهم بإيمانهم

ثم قال تعالى \* (تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم) \* ينتعمون فيها ثم قال \* (دعواهم فيها) \* يعني قولهم في الجنات \* (سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام) \* فهذه علامة بينهم وبين خدمهم في الجنة فإذا قالوا هذه المقالة جاءهم الخدم بالموائد ووضعوها بين أيديهم وأوتوا بما يشتهون فإذا فرغوا من الطعام قالوا الحمد لله رب العالمين فذلك قوله تعالى \* (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) \* يعني وآخر قولهم بعد ما فرغوا من الطعام أن يقولوا الحمد لله رب العالمين \* (وتحيتهم فيها سلام) \* على معنى التقديم وقال الضحاك في قوله تعالى \* (دعواهم فيها سبحانك اللهم) \* وذلك أن أهل الجنة إذا خلفوا القيامة وصاروا إلى دار الكرامة يكون فاتحة كلامهم سبحانك اللهم على ما مننت به علينا \* (وتحيتهم فيها سلام) \* يقول يسلم عليهم الملائكة من الله تعالى ويقال يسلم بعضهم على بعض

ويقال يسلمون على الله تعالى ويقال تحيتهم لله تعالى بالسلام كقوله \* (تحيتهم يوم يلقونه سلام) \* [الأحزاب: ٤٤] \* (وآخر دعواهم) \* يعني بعدما رأوا من الكرامات وبعد ما أكلوا من الطعام حمدوا الله تعالى على ما أعطاهم من الخير

سورة يونس ١١ - ١٢

قوله تعالى \* (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير) \* قال مقاتل وذلك حين تمنى النضر بن الحارث السهمي العذاب فنزل قوله \* (ولو يعجل الله للناس الشر) \* يقول له أستجيب لهم في الشر استعجالهم بالخير يعني كما يحبون أن يستجاب لهم في الخير \* (لقضي إليهم أجلهم) \* في الدنيا بالهلاك وقال مجاهد والضحاك والكلبي \* (ولو يعجل الله للناس الشر) \* يعني العقوبة إذا دعا على نفسه وولده وعلى صاحبه أخزأك الله ولعنك الله كما يعجل لهم الخير إذا دعوه بالرحمة والرزق والعافية لماتوا وهلكوا وقال القتيبي هذا من الإضمار ومعناه \* (لو يعجل الله للناس الشر) \* يعني إجابتهم بالشر \* (استعجالهم بالخير) \* يعني كإجابتهم بالخير وإنما صار \* (استعجالهم) \* نصبا على معنى مثل استعجالهم قرأ ابن عامر \* (لقضي إليهم أجلهم) \* بالنصب يعني لقضى الله أجلهم لأنه اتصل بقوله \* (ولو يعجل الله) \* وقرأ الباقون \* (لقضي إليهم أجلهم) \* بالضم على معنى فعل ما لم يسم فاعله ثم قال \* (فندر الذين لا يرجون لقاءنا) \* يعني بترك الذين لا يخافون البعث بعد الموت \* (في طغيانهم يعمهون) \* يعني يتحiron ويترددون فيها مجازاة لهم قوله تعالى \* (وإذا مس الإنسان الضر) \* يقول إذ مس الكافر ما يكره من المرض والفقر والبلاء \* (دعانا) \* يقول أخلص في الدعاء إلينا \* (لجنبه) \* يعني وهو مطروح على جنبه إذا اشتد به المرض \* (أو قاعدا) \* إذا كانت العلة أهون \* (أو قائما) \* إذا بقي فيه أثر العلة ويقال دعانا في الأحوال كلها مضطجعا كان أو قائما أو قاعدا \* (فلما كشفنا عنه ضره) \* يعني فلما رفعنا عنه بلاءه \* (مر) \* يقول استمر على ترك الدعاء ونسي الدعاء ويقال \* (مر) \* في العافية على ما كان عليه قبل أن يبتلى ولم يتعظ بما ناله \* (كأن لم يدعنا إلى ضره) \* يعني إلى بلاء أصابه قبل ذلك فلم يشكره ويقال معناه أمن من أن يصيبه مثل الضر الذي دعا فيه حين \* (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) \* يعني المشركين \* (ما كانوا يعملون) \* يعني بالدعاء عند الشدة وترك الدعاء عند الرخاء

سورة يونس ١٣  
قوله تعالى \* (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) \* يعني أهلكتناهم بالعذاب حين  
كذبوا الرسل أقاموا على كفرهم خوف أهل مكة بمثل عذاب الأمم الخالية لكيلا  
يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم \* (وجاءتهم رسلهم بالبينات) \* يعني بالآيات  
بالأمر والنهي \* (وما كانوا ليؤمنوا) \* يعني لم يصدقوا الرسل ولم يرغبوا في الإيمان  
ويقال وما كانوا ليصدقوا بنزول العذاب بما كذبوا من قبل يوم الميثاق " كذلك نجزي  
" يعني نعاقب \* (القوم المجرمين) \* يعني الكافرين

سورة يونس ١٤ - ١٦  
قوله تعالى \* (ثم جعلناكم خلائف) \* يعني جعلناكم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم  
\* (خلائف في الأرض من بعدهم) \* يعني من بعد هلاكهم \* (لننظر كيف تعملون) \*  
وهذا على معنى التهديد يعني إن كانت معاملتكم مثل معاملتهم في تكذيب الرسل  
أهلكتكم كما أهلكت تلك القرون  
قوله تعالى \* (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) \* يعني القرآن \* (قال الذين لا يرجون  
لقاءنا) \* يعني كفار قريش لما سمعوا القرآن قالوا \* (أنت بقرآن غير هذا أو بدله) \*  
يعني إمحه وانسخه فإننا نجد فيه تحريم عبادة الأوثان وما نحن عليه وهذا قول الضحاك  
وقال الكلبي \* (وإذا تتلى عليهم) \* يعني المستهزئين وكانوا خمسة رهط \* (قال الذين  
لا يرجون لقاءنا) \* يعني لا يخافون البعث بعد الموت \* (أنت بقرآن غير هذا أو بدله)  
\* إئت يا محمد أو اجعل مكان آية الرحمة آية العذاب ومكان آية العذاب آية الرحمة  
وقال الزجاج معناه إئت بقرآن ليس فيه ذكر البعث والنشور وليس فيه عيب آلهتنا أو  
بدل منه ذكر البعث والنشور  
قال الله تعالى \* (قل ما يكون لي) \* يعني قل ما يجوز لي \* (أن أبدله من تلقاء نفسي)  
\* يقول من قبل نفسي \* (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) \* يعني لا أعمل إلا ما أوامر به  
وأنزل علي من القرآن \* (إني أخاف إن عصيت ربي) \* يعني إني أعلم أن لو فعلت ما  
لم أوامر به " عذاب

يوم عظيم) يعني يوم القيامة قال مقاتل والكلبي نسختها \* (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) \* [الفتح: ٢] ويقال هذا على وجه المثل ومعناه إني أعلم أن من عصى الله وخالف أمره له عذاب يوم عظيم يعني يصيبه العذاب \* (ولا أدراكم به) \* ولا أعلمكم به ومعناه أن الله تعالى لو لم يجعلني رسولا إليكم ما تلوته عليكم كما لم أتل عليكم قبل الوحي ويقال معناه لو رضي الله لكم ما أنتم عليه من الكفر والجهل ما بعثني إليكم رسولا قرأ أبو عمرو وحمزة ونافع في رواية ورش والكسائي " ولا أدريكم " بكسر الراء وقرأ الباقون بالنصب وهما لغتان ومعناهما واحد وعن الحسن أنه قرأ " ولا أدراكم " بالتاء قال أبو عبيدة ما أرى ذلك إلا غلطا منه في الرواية لأنه لا مخرج لها في العربية

ثم قال \* (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) \* يعني إلى أربعين سنة من قبل هذا القرآن فهل سمعتموني أقرأ شيئا من هذا عليكم \* (أفلا تعقلون) \* أني لم أتقوله من تلقاء نفسي ولكنه هو القرآن الذي أوحى الله من عنده لأنه لو كان من تلقاء نفسي لسمعت مني قبل هذا شيئا منه

سورة يونس ١٧ - ١٨

قوله تعالى \* (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) \* يعني من أشد في كفره ممن إختلق على الله كذبا أن معه شريكا \* (أو كذب بآياته) \* بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن \* (إنه لا يفلح المجرمون) \* يعني المشركين وقال الضحاك \* (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) \* يعني مسيلمة الكذاب \* (إنه لا يفلح المجرمون) \* يعني أتباعه وأشياعه ونظراؤه

قوله تعالى \* (ويعبدون من دون الله) \* يعني الأصنام \* (ما لا يضرهم) \* إن لم يعبدوها \* (ولا ينفعهم) \* إن عبدوها ولا تضرهم إن لم يعبدوها \* (ويقولون هؤلاء) \* يعني الأصنام \* (شفعاؤنا عند الله) \* يشفعون لنا في الآخرة \* (قل أتنبئون الله) \* يعني أتخبرون الله \* (بما لا يعلم) \* من الآلهة \* (في السماوات ولا في الأرض) \* أنها تشفع لأحد يوم القيامة ويقال معناه أتخبرون الله بشفاعة آلهتكم أما علموا أنها لا تكون أبدا ويقال معناه أتشركون مع الله بجاهل لا يعلم ما في السماوات ولا ما في الأرض ثم نزه نفسه عن الولد والشريك فقال تعالى \* (سبحانه) \* يعني تنزيها له \* (وتعالى) \* يعني إرتفع \* (عما يشركون) \* من الآلهة ويقال معناه هو أعلى وأجل من أن يوصف له شريك قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر \* (يشركون) \* بالياء على معنى المغيبة وقرأ الباقون بالتاء على وجه المخاطبة

سورة يونس ١٩

قوله تعالى \* (وما كان الناس إلا أمة واحدة) \* قال مقاتل وما كان الناس إلا علي ملة واحدة يعني علي عهد آدم وعلى عهد نوح من بعد الغرق كانوا كلهم مسلمين \* (فاختلفوا) \* في الدين بعد ذلك وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال \* (وما كان الناس إلا أمة واحدة) \* علي عهد آدم فاختلّفوا حين قتل أحد ابني آدم أخاه فتنفروا مؤمنا وكافرا وقال الكلبي \* (وما كان الناس إلا أمة واحدة) \* كافرة علي عهد إبراهيم فتنفروا مؤمنا وكافرا وقال الزجاج \* (وما كان الناس) \* يعني العرب كانوا علي الشرك قبل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم فتنفروا واختلفوا بعده فأمن بعضهم وكفر بعضهم وقال الزجاج وقيل أيضا \* (وما كان الناس إلا أمة واحدة) \* يعني ولدوا علي الفطرة واختلفوا بعد الفطرة " ولولا كلمة سبقت من ربك " أي لو أن الله جعل لهم أجلا للقضاء بينهم في اللوح المحفوظ بأن لا يعجل عقوبة العصاة ويتركهم لكي يتوبوا \* (لقضي بينهم) \* في وقت اختلافهم وقال مقاتل " ولولا كلمة سبقت من ربك " بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة \* (لقضي بينهم) \* في الدنيا وقال الكلبي لولا أن الله تعالى أخبر هذه الأمة أن لا يهلكهم كما أهلك الذين من قبلهم \* (لقضي بينهم) \* في الدنيا \* (فيما فيه يختلفون) \* من الدين

سورة يونس ٢٠ - ٢١

قوله تعالى \* (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) \* وذلك حين قال عبد الله بن أمية \* (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) \* [الإسراء: ٩٠] وسألته قريش أن يأتيهم بآية فقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم \* (فقل إنما الغيب لله) \* أي نزول الآية من عند الله تعالى \* (فانتظروا) \* نزولها \* (إني معكم من المنتظرين) \* لنزولها ويقال فانتظروا بي الموت إني معكم من المنتظرين لهلاككم قوله تعالى \* (وإذا أذقنا الناس) \* يعني أصبنا الناس \* (رحمة) \* يعني المطر ويقال العافية \* (من بعد ضراء مستهم) \* من بعد القحط ويقال من بعد الشدة والبلاء أصابتهم " إذا لهم

مكر في آياتنا) يعني تكذيبا بالقرآن ويقال تكذيبا بنعمة الله تعالى ويقولون سقيننا بنوء كذا ولا يقولون هذا من رزق الله تعالى وقال القتيبي \* (إذا لهم مكر في آياتنا) \* يعني قولهم بالطعن والحيلة ليجعلوا لتلك الرحمة سببا آخر \* (قل الله أسرع مكرًا) \* يعني أشد عذابا وأشد أخذًا \* (إن رسلنا) \* الحفظة \* (يكتبون ما تمكرون) \* يعني ما تقولون من التكذب

سورة يونس ٢٢ - ٢٣

قوله تعالى \* (هو الذي يسيركم في البر والبحر) \* يعني يحملكم في البر على الدواب وفي البحر على السفن ويقال هو الذي يحفظكم إذا سافرتم في بر أو بحر قرأ ابن عامر " ينشركم " بالنون والشين من النشر يعني ييشكم والقراءة المعروفة \* (يسيركم) \* من التسيير يعني يسهل لكم السير \* (حتى إذا كنتم في الفلك) \* يعني في السفن \* (وجرين بهم بريح) \* يقال للسفينة الواحدة جرت وللجماعة جرين واسم الفلك يقع على الواحد وعلى الجماعة ويكون مذكرا إذا أريد به الواحد ومؤنثا إذا أريد به الجماعة كقوله \* (في الفلك المشحون) \* [يس: ٤١] وقال \* (والفلك التي تجري في البحر) \* [البقرة: ١٦٤] ذكرا بلفظ التأنيث مرة و بلفظ التذكير مرة وفيه الدليل أن الكلام يكون بعضه على وجه المخاطبة وبعضه على وجه المغايبه كما قال ها هنا \* (حتى إذا كنتم في الفلك) \* ذكر بلفظ المخاطبة ثم قال \* (وجرين بهم) \* بلفظ المغايبه بريح \* (طيبة) \* يعني لينة ساكنة \* (وفرحوا بها) \* بالريح الطيبة \* (جاءتها) \* يعني السفينة \* (ريح عاصف) \* يعني شديدة \* (وجاءهم الموج من كل مكان) \* يعني من كل ناحية \* (وظنوا أنهم أحيط بهم) \* يعني علموا وأيقنوا أنه قد دنا هلاكهم وقال القتيبي وأصل هذا أن العدو إذا أحاط بالقرية يقال دنا أهلها من الهلكة قال الله تعالى \* (وأحيط بثمره) \* [الكهف: ٤٢] فصار ذلك كناية عن الهلاك \* (دعوا الله مخلصين له الدين) \* يعني إذا دنا هلاكهم أخلصوا لله تعالى يعني بالدعاء وقالوا \* (لئن أنجيتنا من هذه) \* يعني من هذه الريح العاصف ويقال من هذه الأهوال \* (لنكونن من الشاكرين) \* يعني من الموحدين المطيعين \* (فلما أنجاهم إذا هم يبغون) \* يعني يعصون \* (في الأرض بغير الحق) \* يعني الدعاء إلى غير عبادة الله تعالى والعمل بالمعاصي والفساد

قوله تعالى \* (يا أيها الناس إنما بغيتكم على أنفسكم) \* يعني إثم معصيتكم عليكم وهو كقوله \* (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) \* [فصلت: ٤٦] ويقال مظالمكم فيما بينكم \* (على أنفسكم) \* يعني جنائتكم عليكم وهذا كما يقال في المثل المحسن سيجزى بإحسانه والمسيء ستكفيه مساويه يعني وباله يرجع إليه ثم قال \* (متاع الحياة الدنيا) \* يعني تمتعون فيها أيام حياتكم \* (ثم إلينا مرجعكم) \* ويقال عيشكم في الدنيا قليل ويقال عمر الدنيا في حياة الآخرة قليل \* (ثم إلينا مرجعكم) \* أي بعد الموت في الآخرة \* (فنبئكم) \* يعني نخبركم \* (بما كنتم تعملون) \* قرأ عاصم في رواية حفص \* (متاع) \* بالنصب ويكون نصبا على المصدر ومعناه تمتعون متاع الحياة الدنيا وقرأ الباقون بالضم \* (متاع) \* ومعناه هو متاع الحياة الدنيا

سورة يونس ٢٤

ثم ضرب للحياة الدنيا مثلا فقال \* (إنما مثل الحياة الدنيا) \* يعني في فنائها وبقائها \* (كماء أنزلناه من السماء) \* يعني المطر \* (فاختلط به نبات الأرض) \* يعني يدخل الماء في الأرض فينبت به النبات فاتصل كل واحد بالآخر فاختلط \* (مما يأكل الناس والأنعام) \* يعني مما يأكل الناس من الحبوب والثمار ومما تأكل الدواب والأنعام من العشب والكلأ \* (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) \* يعني زينتها \* (وازينت) \* يعني حسنت بألوان النبات وأصله تزينت فحذفت التاء وأقيم التشديد مقامها وهذا كقوله \* (أدراكم) \* [الحاقة: ٣] وأصله تدارك ثم قال \* (وظن أهلها) \* يعني وحسب أهل الزرع \* (أنهم قادرون عليها) \* يعني على غلاتها وأنها ستتم لهم الآن \* (أتأها أمرنا) \* يعني عذابنا \* (ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا) \* قال أبو عبيدة الحصيد المستأصل ويقال الحصيد كحصيد السيف \* (كأن لم تغن بالأمس) \* يعني صار كأن لم يكن بالأمس فكذلك الدنيا والإنسان يجمع المال ويشترى الضياع ويبنى البنيان فيظن أنه قد نال مقصوده فيأتيه الموت فيصير كأنه لم يكن أو رجل ولد له مولود فإذا بلغ فظن أنه قد نال به مقصوده فيموت ويصير كأنه لم يكن \* (كذلك نفصل الآيات) \* يعني نبين علامات غرور الدنيا وزوالها لكيلا يغتروا ونبين بقاء الآخرة ليطلبوها \* (لقوم يتفكرون) \* بأمثال القرآن ويعتبرون بها

سورة يونس ٢٥

قوله تعالى \* (والله يدعو إلى دار السلام) \* يعني يدعو إلى عمل الجنة " ويهدي من



يشاء إلى صراط مستقيم) وهو الدين القيم ويقال إن عطاءه على وجهين خاص وعام فأما العطاء الخاص فالتوفيق والعصمة واليقين وأما العطاء العام فالصحة والنعمة والفراغ والأمن والدعوة هنا عامة والهداية خاصة فقد دعا جميع الناس بقوله تعالى \* (والله يدعو إلى دار السلام) \* ثم قال \* (ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) \* فجعل الهداية خاصا لأنها فضله وفضل الله يؤتیه من يشاء وقال قتادة \* (والله يدعو إلى دار السلام) \* والله هو السلام وداره الجنة ويقال السلام هو السلامة وإنما سميت الجنة دار السلام لأنها سالمة من الآفات والأمراض وغير ذلك روى أبو أيوب عن أبي قلابة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نامت عيني وعقل قلبي وسمعت أذني ثم قيل لي إن سيدا بنى دارا وصنع مائدة وأرسل داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ورضي عنه السيد ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة ولم يرض عنه السيد فالله تعالى هو السيد والدار الإسلام والمائدة الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم \* (ويهدي من يشاء) \* يعني يكرم من يشاء بالمعرفة من كان أهلا لذلك \* (إلى صراط مستقيم) \* يعني إلى دين الإسلام

سورة يونس ٢٦ - ٢٧

قوله تعالى \* (للذين أحسنوا الحسنى) \* للذين وحدوا الله وأطاعوه في الدنيا لهم الجنة في الآخرة \* (وزيادة) \* يعني فضلا قال عامة المفسرين هي النظر إلى وجه الله تعالى وهكذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعري وغيرهم

قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا أبو العباس السراج قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال حدثنا عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية \* (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) \* قال إذا دخل أهل الجنة الجنة ودخل أهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند ربكم موعدا يحب أن ينجزكموه فيقولون وما هو الموعد ألم يثقل موازيننا وبيض وجوهنا وأدخلنا الجنة ونجانا من النار قال ثم يكشف الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إلى وجه الله تعالى

قال الفقيه رضي الله عنه وأخبرنا الثقة بإسناده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وحذيفة قالوا الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وعن أبي موسى الأشعري قال الحسنى هي الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وعن عامر بن سعد وعن قتادة وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعن عكرمة مثله

قال الفقيه سمعت محمد بن الفضل العابد قال سمعت علي بن عاصم قال أجمع أهل السنة والجماعة أن الله تعالى لم يره أحد من خلقه وأن أهل الجنة يرونه يوم القيامة وقال الزجاج القول في النظر إلى وجه الله تعالى كثير في القرآن وفي التفسير مروى بالأسانيد الصحاح أنه لا شك في ذلك وقال مجاهد \* (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) \* قال الحسنى مثلها والزيادة المغفرة والرضوان وروى عن علقمة قال الحسنى مثلها وزيادة عشر أمثالها ويقال الحسنى الجنة وما فيها من الكرامة والزيادة ما يأتيهم كل يوم من التحف والكرامات من الله تعالى فيأتيهم رسول الله فيقول لهم أنا رضيت عنكم

فهل رضيتم عني

ثم قال تعالى \* (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) \* يعني لا يعلو ولا يغشى وجوههم \* (قتر) \* يعني سواد وهو كسوف الوجوه عند معاينة النار ويقال حزن \* (ولا ذلة) \* يعني ولا مذلة \* (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) \* يعني دائمين لا يموتون فيها ولا يخرجون منها

ثم بين حال أهل النار فقال تعالى \* (والذين كسبوا السيئات) \* يعني أشركوا بالله وعبدوا الأصنام والشمس والقمر والملائكة فهذا كله من السيئات \* (جزاء سيئة بمثلها) \* بلا زيادة يعني لا يزداد على ذلك وهذا موصول بما قبله فكأنه قال " وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة " \* (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) \* بلا زيادة وهذا كقوله تعالى \* (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) \* [الأنعام: ١٦٠] ويقال \* (جزاء سيئة بمثلها) \* يعني جزاء الشرك النار فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أشد من النار فيكون العذاب موافقا لسيئاتهم كقوله تعالى \* (جزاء وفاقا) \* [النبا: ٢٦] أي موافقا لشركهم

ثم قال تعالى \* (وترهقهم ذلة) \* يعني يغشى وجوههم المذلة يعني سواد الوجوه والعذاب \* (ما لهم من الله من عاصم) \* يعني مانع يمنعهم من عذاب الله ثم وصف سواد وجوههم فقال \* (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) \* يعني سواد الليل مظلما ويقال \* (قطعا من الليل) \* يعني بعضا من الليل وساعة منه قال الفقيه حدثنا الفقيه أبو جعفر قال حدثنا محمد بن عقيل قال حدثنا العباس الدوري قال حدثنا يحيى بن أبي بكر عن شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد على النار ألف سنة حتى إحمرت ثم أوقد عليها ألف



سنة حتى إبيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى إسودت فهي سوداء كالليل المظلم قرأ ابن كثير والكسائي \* (قطعا) \* بجزم الطاء وهو اسم ما قطع منه يعني طائفة من الليل قرأ الباقون \* (قطعا) \* بنصب الطاء يعني جمع قطعة وإنما أراد به سواد الليل \* (مظلما) \* صار نصبا للحال أي في حالة الظلام \* (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) \* أي مقيمون

سورة يونس ٢٨ - ٣٠

قوله تعالى \* (ويوم نحشرهم جميعا) \* هذا كله في يوم نجمعهم جميعا يعني الكفار وآلهتهم \* (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم) \* يعني قفوا أنتم وآلهتكم ويقال الرؤساء والأتباع \* (فزيلنا بينهم) \* يعني ميزنا وفرقنا بين المشركين وبين آلهتهم وأصله في اللغة من زال يزول وأزلته وزيلته بمعنى واحد ويقال فرقنا ما بينهم من التواصل والألفة يعني بين الرؤساء والأتباع ويقال يأمر الله تعالى أن تلحق كل أمة بما كانوا يعبدون من دون الله فيفرق بين أهل الملل فذلك قوله \* (فزيلنا بينهم) \* يعني بين أهل الشرك وأهل الإسلام

ثم قال للمشركين ماذا كنتم تعبدون فينكرون ويحلفون ثم يقرون بعدما يختم على أفواههم وتشد أعضاؤهم أنهم كان يعبدون الأصنام \* (وقال شركاؤهم) \* يعني آلهتهم لمن عبدها \* (ما كنتم إيانا تعبدون) \* في الدنيا بأمرنا ولا نعلم بعبادتكم إيانا ولم تكن فينا روح فنعقل عبادتكم إيانا فيقول من عبدها قد عبدناكم وأمرتمونا فأطعناكم فقالت الآلهة \* (فكفى بالله شهيدا) \* يعني عالما \* (بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين) \* يعني ولم نعلم أنكم تعبدوننا والفائدة في إحضار الأصنام أن يظهر عند المشركين ضعف معبودهم فيزيدهم حسرة على ذلك

ثم قال تعالى \* (هنالك تبلو كل نفس) \* قرأ حمزة والكسائي " تتلوا كل نفس " بالتاءين يعني عند ذلك تقر كل نفس برة أو فاجرة \* (ما أسلفت) \* يعني ما عملت من خير أو شر وهذا قوله \* (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) \* [الإسراء: ٧١] ويقال تتلو يعني تتبع كقوله تعالى \* (والقمر إذا تلاها) \* [الشمس: ٢] يعني يتبعها وقرأ الباقون \* (تبلو) \* بالتاء والباء يعني عند ذلك تجد ويقال تظهر كقوله \* (يوم تبلى السرائر) \* [الطارق: ٩] وقال القتيبي أي يختبر

ثم قال \* (وردوا إلى الله مولاهم الحق) \* يعني رجعوا في الآخرة إلى الله مولاهم

الحق \* (وضل عنهم) \* يعني اشتغل عنهم آلهتهم بأنفسهم \* (ما كانوا يفترون) \* يعني يختلفون من الكذب الأوثان فلا يكون لهم شفاعة ويقال بطل افتراؤهم وإضمحل  
سورة يونس ٣١ - ٣٣

قوله تعالى \* (قل من يرزقكم من السماء) \* يعني قل يا محمد للمشركين من يرزقكم من السماء المطر ومن \* (والأرض) \* النبات " أمن يملك السمع والأبصار " يعني يخلق لكم السمع والأبصار \* (ومن يخرج الحي من الميت) \* يعني ومن يقدر أن يخرج الحي من الميت يعني الفرخ من البيضة \* (ويخرج الميت من الحي) \* يعني البيضة من الطير والنطفة من الإنسان والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن \* (ومن يدبر الأمر) \* يعني من يقدر أن يدبر الأمر بين الخلق وينظر في تدبير الخلائق ويقال من يرسل الملائكة بالأمر \* (فسيقولون الله) \* يفعل ذلك كله لا الأصنام لأن الأصنام لم يكن لهم قدرة في هذه الأشياء \* (فقل أفلا تتقون) \* الشرك فتوحدونه إذ تعلمون أنه لا يقدر أحد أن يفعل هذه الأشياء إلا الله تبارك وتعالى ويقال \* (أفلا تتقون) \* أي تطيعون الله الذي يملك ذلك

ثم قال تعالى \* (فذلكم الله ربكم الحق) \* وغيره من الآلهة باطل ليس بشيء \* (فماذا بعد الحق إلا الضلال) \* يعني فما عبادتكم بعد ترك عبادة الله تعالى إلا عبادة الشيطان ويقال فماذا بعد التوحيد إلا الشرك \* (فأنى تصرفون) \* يعني فمن أين تمتنعون عن الإيمان بالله ويقال \* (فأنى تصرفون) \* عن هذا الأمر بعد المعرفة وقال مقاتل فمن أين تعدلون به غيره ويقال كيف ترجعون عن هذا الإقرار

ثم قال \* (كذلك حقت كلمة ربك) \* يعني هكذا وجبت كلمة العذاب من ربك كقوله \* (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) \* [الزمر: ٧١] ويقال وجبت كلمة ربك وهو قوله \* (لأملأن جهنم) \* [الأعراف: ١٨] وقوله تعالى \* (على الذين فسقوا) \* يعني كفروا بربهم \* (أنهم لا يؤمنون) \* يعني لا يصدقون بعلم الله تعالى السابق فيهم ويقال \* (أنهم لا يؤمنون) \* يعني لأنهم لا يؤمنون فوجب عليهم العذاب بترك إيمانهم قرأ نافع وابن عامر " كلمات ربك " بلفظ الجماعة وقرأ الباقون \* (كلمة ربك) \* وكذلك الاختلاف في قوله " إن الذين حقت عليهم كلمت ربك " [يونس: ٩٦]

سورة يونس ٣٤ - ٣٥

قوله تعالى \* (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) \* يعني أصنامكم التي تعبدونها هل يقدر أن يخلقوا خلقاً من غير شيء ثم يبعثونهم في الآخرة كما يفعل الله تعالى فإن أجابوك وإلا ف \* (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) \* يعني إن معبودكم لا يستطيع ذلك \* (فأني تؤفكون) \* يعني من أين تكذبون \* (قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق) \* يقول هل يقدر أحد من آلهتكم أن يهدي إلى الحق يقول يدعو الخلق إلى الإسلام فإن قالوا لا \* (قل الله يهدي للحق) \* يعني يدعو الخلق إلى الإسلام ويوفق من كان أهلاً لذلك \* (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع) \* يقول من يدعو إلى الحق أحق أن يعمل بأمره ويعبد " أمن لا يهدي " طريقاً ولا يهتدي \* (إلا أن يهدي) \* يعني يمشي بنفسه إلا أن يحمل من مكان إلى مكان قرأ نافع وأبو عمرو " أمن لا يهدي " بجزم الهاء وتشديد الدال لأن أصله في اللغة يهتدي فأدغم التاء في الدال وأقيم التشديد مقامه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع في رواية ورش \* (يهدي) \* بنصب الهاء وتشديد الدال لأن حركة التاء وقعت على الهاء وقرأ عاصم في رواية حفص \* (يهدي) \* بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال لأنه لما اجتمع الساكنان حرك أحدهما بالكسر وقرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (يهدي) \* بكسر الياء والهاء وتشديد الدال فأتبع الكسرة الكسرة وقرأ حمزة والكسائي \* (يهدي) \* بجزم الهاء وتخفيف الدال ويكون معناه لا يهتدي قال الكسائي قوم من العرب يقول هديت الطريق بمعنى اهتديت فهذه خمس من القراءات في هذه الآية

ثم قال \* (فما لكم كيف تحكمون) \* يعني كيف تقضون لأنفسكم يعني تقولون قولاً ثم ترجعون عنه ويقال \* (ما لكم) \* كلام تام فكأنه قيل لهم فأي شيء لكم في عبادة الأوثان ثم قيل لهم \* (كيف تحكمون) \* أي على أي حال تحكمون ويقال معناه كيف تعبدون آلهتكم بلا حجة ولا تعبدون الله ولا توحدونه بعد هذا البيان لكم

سورة يونس ٣٦ - ٣٩

ثم قال \* (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً) \* يعني لا يستيقنون أن اللات والعزى آلهة إلا

بالظن ومعناه أنهم يتركون عبادة الله وهو الحق لأنهم يقرون بأن الله خالقهم فيتركون الحق ويتبعون الظن\* (إن الظن لا يعني من الحق شيئاً)\* يعني علمهم لا يعني من عذاب الله شيئاً ويقال\* (وما يتبع أكثرهم)\* يعني ما كذب الشيطان في أوهامهم لا يستطيعون أن يدفعوا الباطل بالحق ويقال\* (وما يتبع)\* يعني وما يعمل أكثرهم\* (إلا ظناً)\* يظنون في غير يقين وهم الرؤساء وأما السفلة فيطيعون رؤساءهم\* (إن الظن لا يعني من الحق شيئاً)\* (إن الله عليهم بما يفعلون)\* من عبادتهم الأصنام وما يقولون من القول المختلق والكذب

ثم قال\* (وما كان هذا القرآن أن يفترى)\* يعني لهذا القرآن أن يختلق\* (من دون الله)\* تعالى وقال القتيبي أي وما كان هذا القرآن أن يضاف إلى غير الله أو يختلق\* (ولكن تصديق الذي بين يديه)\* يعني نزل بتصديق الذي بين يديه من التوراة والإنجيل ويقال معناه ولكن بتصديق النبي الذي أنزل القرآن\* (الذي بين يديه)\* يعني الذي هو قبل سماعكم لأن القرآن تصديق لما جاء من أنباء الأمم السابقة وأقاصيص أنبيائهم\* (وتفصيل الكتاب)\* يعني بيان كل شيء ويقال بيان الحلال والحرام\* (لا ريب فيه)\* يعني لا شك فيه عند المؤمنين إنه نزل من عند\* (رب العالمين)\* قوله تعالى\* (أم يقولون)\* يعني أيقولون إفتراه وهم كفار مكة\* (افتراه)\* يقول تقوله من تلقاء ذات نفسه\* (قل فأتوا بسورة مثله)\* يعني مثل القرآن\* (وادعوا)\* يعني استعينوا على ذلك\* (من استطعتم)\* ممن تعبدون\* (من دون الله إن كنتم صادقين)\* بأنه تقوله من تلقاء نفسه فلما قال لهم ذلك سكتوا ولم يحييوا فنزل قوله\* (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه)\* يعني بما لم يعلموا بعلمه يعني القرآن لم يعلموا بما فيه ويقال لم يعلموا ما عليهم بتكذيبهم\* (ولما يأتهم تأويله)\* يعني ولما يأتهم عاقبة ما وعدوا في هذا القرآن يعني سيأتهم ما وعد لهم وهو كائن في الدنيا بالعذاب وفي الآخرة بالنار

ثم قال\* (كذلك كذب الذين من قبلهم)\* يعني هكذا كذب الأمم الخالية رسلهم\* (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)\* يعني كيف صار جزاء المكذبين لرسولهم فيه تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحث له على الصبر وتخويف لهم بالعقوبة

سورة يونس ٤٠ - ٤٣

قوله تعالى\* (ومنهم من يؤمن به)\* يعني بالقرآن " ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم

بالمفسدين) يعني بعقوبة من لم يؤمن به قال مقاتل \* (ومنهم من يؤمن به) \* من أهل الكتاب \* (ومنهم من لا يؤمن به) \* من أهل مكة وقال الكلبي \* (ومنهم من يؤمن به) \* من اليهود يعني يؤمن به من قبل موته ولا يموت حتى يقر به \* (ومنهم من لا يؤمن به) \* يعني بعلم الله تعالى السابق فيه وقال الزجاج معناه \* (ومنهم من يؤمن) \* أي يعلم أنه حق فيصدق بقلبه ويعاند فيظهر الكفر \* (ومنهم من لا يؤمن به) \* أي يشك ولا يصدق

قوله تعالى \* (وإن كذبوك) \* يعني المشركين بما أتيتهم به \* (فقل لي عملي) \* يعني ديني \* (ولكم عملكم) \* يعني دينكم \* (أنتم بريئون مما أعمل) \* وأدين " وأنا بريء مما تعملون " وتدينون به غير الله وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ولما نزلت آية القتال نسخت هذه الآية

ثم قال تعالى \* (ومنهم من يستمعون إليك) \* قال الكلبي نزلت في شأن اليهود قدموا مكة وكانوا يسمعون قراءة القرآن فيعجبون به ويشتهونه وتغلب عليهم الشقاوة ولا يسلمون

قال الله تعالى \* (أفأنت تسمع الصم) \* يعني تفقه الكافر الذي لا يعقل الموعظة وقال الضحاك \* (ومنهم من يستمعون إليك) \* وذلك أن كفار قريش دخلوا المسجد الحرام والنبى صلى الله عليه وسلم قائم عند المقام يصلي وهو يقرأ سورة طه قال الوليد بن المغيرة يا معشر قريش إنما يتلو محمد ليأخذ بقلوبكم فقال أبو جهل وأصحابه لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فنزل \* (أفأنت تسمع الصم) \* وذلك أنهم صموا عن الحق ويقال \* (أفأنت تسمع الصم) \* يعني من يتصامم ولا يستمع إليك \* (ولو كانوا لا يعقلون) \* يقول فإن كانوا مع ذلك لا يرغبون في الحق \* (ومنهم من ينظر إليك) \* يعني بغير رغبة \* (أفأنت تهدي العمي) \* يقول أفأنت ترشد من يتعمى \* (ولو كانوا لا يبصرون) \* الحق ولا يرغبون فيه قال القتيبي هذا من جوامع الكلم حيث بين فضل السمع والبصر حيث جعل مع الصم فقدان العقل ولم يجعل مع العمى إلا فقدان البصر سورة يونس ٤٤ - ٤٦

ثم قال تعالى \* (إن الله لا يظلم الناس شيئاً) \* يقول لا ينقص من أجور الناس شيئاً ولا يحمل عليهم من أوزار غيرهم \* (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) \* يعني يضرون أنفسهم بتركهم الحق قرأ حمزة والكسائي \* (ولكن الناس) \* بكسر النون مع التخفيف وضم السين وقرأ الباقون \* (ولكن الناس) \* بالنصب

قوله تعالى \* (ويوم يحشرهم) \* يقول يجمعهم في الآخرة \* (كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار) \* قال الكلبي كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة من النهار وقال الضحاك كأن لم



(118)

يلبثوا في القبور إلا ما بين العصر إلى غروب الشمس أو ما بين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس ويقال يعني بين النفختين لأنه يرفع عنهم العذاب فيما بين ذلك وقال مقاتل كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار \* (يتعارفون بينهم) \* قال الكلبي يعني يتعارفون بينهم حين خرجوا من قبورهم ثم تنقطع عنهم المعرفة فلا يعرف أحد أحدا وقال الضحاک يتعارفون بينهم حين خرجوا وذلك أن أهل الإيمان يبعثون يوم القيامة على ما كانوا عليه في الدنيا من التواصل والتراحم يعرف بعضهم بعضا محسنهم لمسيئهم وأما أهل الشرك فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال الله تعالى \* (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) \* يعني بالبعث بعد الموت \* (وما كانوا مهتدين) \* يقول لم يكونوا مؤمنين في الدنيا وقال تعالى \* (وإما نرينك بعض الذي نعدهم) \* من العذاب \* (أو نتوفينك) \* قبل أن نريك \* (فإلينا مرجعهم) \* يعني مصيرهم في الآخرة وروي عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله أنهما قالاً أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستخلف أمته من بعده \* (ثم الله شهيد) \* في الآخرة \* (على ما يفعلون) \* في الدنيا من الكفر والتكذيب

سورة يونس ٤٧ - ٤٩

قوله تعالى \* (ولكل أمة رسول) \* يعني لأهل كل دين رسول أتاهم \* (فإذا جاء رسولهم) \* يعني فأبلغهم فكذبوه \* (قضي بينهم) \* وبين رسولهم \* (بالقسط) \* يعني بالعدل \* (وهم لا يظلمون) \* يعني لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئا وقال مجاهد \* (فإذا جاء رسولهم) \* يعني يوم القيامة \* (قضي بينهم) \* بالعدل \* (وهم لا يظلمون) \*

قوله تعالى \* (ويقولون متى هذا الوعد) \* وهو قوله تعالى \* (فإما نرينك بعض الذي نعدهم) \* \* (إن كنتم صادقين) \* أن العذاب ينزل بنا \* (قل) \* يا محمد \* (لا أملك نفسي ضرا ولا نفعا) \* يعني ليس في يدي دفع مضرة ولا جر منفعة \* (إلا ما شاء الله) \* أن يقويني عليه قال مقاتل معناه قل لا أملك نفسي أن أدفع عنها سوءا حين ينزل ولا أن أسوق إليها خيرا إلا ما شاء الله فيصيبني فكيف أملك على نزول العذاب بكم وقال القتيبي الضر بضم الضاد الشدة والبلاء كقوله \* (وإن يمسسك الله بضر) \* [الأنعام: ١٧] وكقوله \* (ثم إذا كشف الضر عنكم) \* [النحل: ٥٤] والضر بفتح الضاد ضد النفع ومنه قوله تعالى " قل لا أملك نفسي ضر ولا نفعا " [يونس: ٤٩] يعني قل لا أملك جر نفع ولا دفع ضر ثم قال \* (لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم) \* يعني وقتنا ويقال \* (لكل أمة أجل) \* أي

مهلة ويقال أجل الموت بالعذاب \* (فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) \* يعني لا يتأخرون عنه ساعة ولا يتقدمون عنه ساعة فكذلك هذه الأمة إذا نزل بهم العذاب لا يتأخر عنهم ساعة

سورة يونس ٥٠ - ٥٢

قوله تعالى \* (قل أرأيتم) \* يا أهل مكة \* (إن أتاكم عذابه) \* يعني عذاب الله تعالى \* (بياتا) \* ليلا كما جاء إلى قوم لوط \* (أو نهارا) \* يعني مجاهرة كما جاء إلى قوم شعيب عليه السلام \* (ماذا يستعجل منه المجرمون) \* يقول بأي شيء يستعجل منه المجرمون يعني المشركين ويقال ماذا ينفعهم إستعجالهم منه أي من عذاب الله قوله تعالى \* (ثم إذا ما وقع آمنتم به) \* يعني إذا وقع العذاب صدقتم به يعني بالعذاب ويقال صدقتم بالله تعالى \* (الآن) \* يعني يقال لهم آمنتم بالعذاب حين لا ينفعكم \* (وقد كنتم به تستعجلون) \* وهذا اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التهديد قوله تعالى \* (ثم قيل للذين ظلموا) \* يعني قالت لهم خزنة جهنم \* (ذوقوا عذاب الخلد) \* الذي لا ينقطع \* (هل تجزون) \* يقول هل تثابون \* (إلا بما كنتم تكسبون) \* من الكفر والتكذيب

سورة يونس ٥٣ - ٥٦

قوله تعالى \* (ويستنبئونك أحق هو) \* قال قتادة ومقاتل وذلك أن حيي بن أخطب حين قدم مكة قال للنبي صلى الله عليه وسلم أحق هذا العذاب قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم \* (قل إي وربي) \* يعني إي والله إنه لكائن ويقال معناه ويسألونك عن البعث أحق هو ويسألونك عن دينك أحق هو \* (قل إي وربي) \* يعني قل يا محمد نعم \* (إنه لحق) \* يعني العذاب نازل بكم إن لم تؤمنوا \* (وما أنتم بمعجزين) \* بفائتين من العذاب حتى يجزيكم به ثم أخبر عن حالهم حين نزل بهم العذاب فقال تعالى \* (ولو أن لكل نفس ظلمت) \*

يعني كفرت وأشركت بالله تعالى \* (ما في الأرض) \* يعني لو كان لها ما في الأرض \* (جميعاً) \* يعني النفس \* (لافتدت به) \* يعني النفس لافتدت من سوء العذاب أي لا ينفعها لها ولا يقبل منها \* (وأسروا الندامة) \* يعني أخفوا الندامة يعني أن القادة أخفوا الندامة من السفلة \* (لما رأوا العذاب) \* حين نزل بهم العذاب وعاینوه وشاهدوه \* (وقضي بينهم بالقسط) \* بين القادة والسفلة بالعدل ويقال \* (قضي بينهم) \* يعني الخلق بالعدل فيعطي ثوابهم على قدر أعمالهم ويقال يقضي بين الكفار بالعدل وبين المؤمنين بالفضل ثم قال \* (وهم لا يظلمون) \* يعني لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً ثم بين إستغناؤه عن عبادة الخلق وقدرته عليهم فقال \* (ألا إن لله ما في السماوات والأرض) \* يعني كلهم عبيده وإماؤه وهو قادر عليهم ويقال كل شيء يدل على توحيده وأن له صناعاً \* (ألا إن وعد الله حق) \* يعني بالبعث بعد الموت هو كائن \* (ولكن أكثرهم لا يعلمون) \* يعني لا يصدقون به ثم قال تعالى \* (هو يحيي ويميت وإليه ترجعون) \* في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم

سورة يونس ٥٧ - ٥٨

قوله تعالى \* (يا أيها الناس) \* يعني يا أهل مكة ويقال جميع الناس \* (قد جاءكم موعظة من ربكم) \* يعني نهياً من ربكم عن الشرك على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم \* (وشفاء لما في الصدور) \* يعني القرآن شفاء للقلوب من الشرك ويقال شفاء من العمى لأن فيه بيان الحلال والحرام \* (وهدى) \* من الضلالة ويقال صواباً وبيانا \* (ورحمة للمؤمنين) \* يعني القرآن نعمة من الله تعالى على المؤمنين يمنع العذاب عن آمن وعمل بما فيه

قوله تعالى \* (قل بفضل الله) \* يعني قل يا محمد للمؤمنين بفضل الله والإسلام \* (وبرحمته) \* القرآن وروي عن ابن عباس أنه \* (بفضل الله) \* يعني القرآن \* (وبرحمته) \* الإسلام يعني بنعمته عليكم إذ أكرمكم بالإسلام والقرآن وهكذا قال أبو سعيد الخدري وقال الضحاك ومجاهد بفضل القرآن وبرحمته الإسلام وقال مقاتل بفضل الله الإسلام وبرحمته القرآن وعن الحسن مثله وقال القتيبي مثله \* (فبذلك فليفرحوا) \* يعني بالقرآن والإيمان \* (هو خير مما يجمعون) \* من الأموال قرأ ابن عامر " فبذلك فلتفرحوا هو خير مما يجمعون " بالتاء كلاهما على معنى المخاطبة وقرأ الباقون بالياء على معنى المغايبة

سورة يونس ٥٩ - ٦٠

قوله تعالى \* (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) \* في الكتاب ويقال من السماء ويقال ما أعطاكم الله من الرزق والحرث والأنعام والبحيرة والسائبة وبين في كتاب الله تحليلها \* (فجعلتم منه حراماً وحلالاً) \* يعني حراماً على النساء وحلالاً على الرجال \* (قل آله أذن لكم) \* يعني الله عز وجل أمركم بتحريمه وتحليله \* (أم على الله تفترون) \* يعني تختلقون على الله كذباً ما لم يقله ولم يأمر به ويقال \* (قل آله

أذن لكم) \* أي أمركم بتحريمه فقالوا بلى أمرنا بها فقال الله تعالى \* (أم على الله تفترون) \* يعني على الله تختلقون  
ثم قال تعالى \* (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) \* يعني وما ظنهم حين ينزل بهم العذاب \* (يوم القيامة) \* وكيف ينجون منه \* (إن الله لذو فضل على الناس) \*  
يعني لذو من على الناس بتأخير العذاب عنهم \* (ولكن أكثرهم لا يشكرون) \* نعمة الله تعالى عليهم بتأخير العذاب عنهم

سورة يونس ٦١

قوله تعالى \* (وما تكون في شأن) \* يقول وما تكون يا محمد في أمر من الأمور " وما تتلوا منه من قرآن " يعني وما تقرأ من الله من قرآن يعني مما أوحى إليك فخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وخاطب أمته أيضا فقال تعالى " ولا تعلمون من عمل إلا كنا عليكم شهودا " يعني عالما بكم وبأعمالكم فلا تنسوه ويقال إلا جعل عليكم شاهدا من الملائكة وهم الحفظة \* (إذ تفيضون فيه) \* يعني حين تأخذون في قراءة القرآن ويقال حين تخوضون فيه \* (وما يعزب عن ربك) \* قرأ الكسائي \* (وما يعزب) \* بكسر الزاي وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان وهكذا روي عن الفراء يعني وما يغيب \* (عن ربك من مثقال ذرة) \* قال الكلبي الذرة هي النملة الحميراء وقال مقاتل أصغر نملة في الأرض ويقال الذرة ما يرى في شعاع الشمس والمثقال عبارة عن الوزن يعني لا يغيب عنه وزن الذرة \* (في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك) \* يعني ولا أخف من وزن الذرة \* (ولا أكبر) \* يعني ولا أثقل من وزن الذرة ويقال لا أقل منه ولا أعظم \* (إلا في كتاب مبين) \* يعني مكتوبا في اللوح المحفوظ قرأ حمزة \* (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) \* بضم الراءين ومعناه ولا يغيب عنه أصغر من ذلك ولا أكبر منه فيصير رفعا لأنه فاعل وقرأ الباقون بالنصب لأن معناه ولا

قوله تعالى \* (يا أيها الناس) \* يعني يا أهل مكة ويقال لجميع الناس \* (قد جاءكم موعظة من ربكم) \* يعني نهيا من ربكم عن الشرك على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم \* (وشفاء لما في الصدور) \* يعني القرآن شفاء للقلوب من الشرك ويقال شفاء من العمى لأن فيه بيان الحلال والحرام \* (وهدى) \* من الضلالة ويقال صوابا وبيانا \* (ورحمة للمؤمنين) \* يعني القرآن نعمة من الله تعالى على المؤمنين يمنع العذاب عن آمن وعمل بما فيه

قوله تعالى \* (قل بفضل الله) \* يعني قل يا محمد للمؤمنين بفضل الله والإسلام \* (وبرحمته) \* القرآن وروي عن ابن عباس أنه \* (بفضل الله) \* يعني القرآن \* (وبرحمته) \* الإسلام يعني بنعمته عليكم إذ أكرمكم بالإسلام والقرآن وهكذا قال أبو سعيد الخدري وقال الضحاك ومجاهد بفضل القرآن وبرحمته الإسلام وقال مقاتل بفضل الله الإسلام وبرحمته القرآن وعن الحسن مثله وقال القتيبي مثله \* (فبذلك فليفرحوا) \* يعني بالقرآن والإيمان \* (هو خير مما يجمعون) \* من الأموال قرأ ابن عامر " فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون " بالتاء كلاهما على معنى المخاطبة وقرأ الباقون بالياء على معنى المغايبة

سورة يونس ٥٩ - ٦٠

قوله تعالى \* (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) \* في الكتاب ويقال من السماء ويقال ما أعطاكم الله من الرزق والحرث والأنعام والبحيرة والسائبة وبين في كتاب الله تحليلها \* (فجعلتم منه حراما وحلالا) \* يعني حراما على النساء وحلالا على الرجال \* (قل آله أذن لكم) \* يعني الله عز وجل أمركم بتحريمه وتحليله \* (أم على الله تفترون) \* يعني تختلقون على الله كذبا ما لم يقله ولم يأمر به ويقال \* (قل آله أذن لكم) \* أي أمركم بتحريمه فقالوا بلى أمرنا بها فقال الله تعالى \* (أم على الله تفترون) \* يعني على الله تختلقون

ثم قال تعالى \* (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) \* يعني وما ظنهم حين ينزل بهم العذاب \* (يوم القيامة) \* وكيف ينجون منه \* (إن الله لذو فضل على الناس) \* يعني لذو من على الناس بتأخير العذاب عنهم \* (ولكن أكثرهم لا يشكرون) \* نعمة الله تعالى عليهم بتأخير العذاب عنهم

سورة يونس ٦١

قوله تعالى \* (وما تكون في شأن) \* يقول وما تكون يا محمد في أمر من الأمور " وما تتلوا منه من قرآن " يعني وما تقرأ من الله من قرآن يعني مما أوحى إليك فخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وخاطب أمته أيضا فقال تعالى \* (ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا) \* يعني عالما بكم وبأعمالكم فلا تنسوه ويقال إلا جعل عليكم شاهدا من الملائكة وهم الحفظة \* (إذ تفيضون فيه) \* يعني حين تأخذون في قراءة القرآن

ويقال حين تخوضون فيه \* (وما يعزب عن ربك) \* قرأ الكسائي \* (وما يعزب) \*  
بكسر الزاي وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان وهكذا روي عن الفراء يعني وما يغيب \*  
(عن ربك من مثقال ذرة) \* قال الكلبي الذرة هي النملة الحميراء وقال مقاتل أصغر  
نملة في الأرض ويقال الذرة ما يرى في شعاع الشمس والمثقال عبارة عن الوزن يعني  
لا يغيب عنه وزن الذرة \* (في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك) \* يعني ولا  
أخف من وزن الذرة \* (ولا أكبر) \* يعني ولا أثقل من وزن الذرة ويقال لا أقل منه ولا  
أعظم \* (إلا في كتاب مبين) \* يعني مكتوبا في اللوح المحفوظ قرأ حمزة \* (ولا أصغر  
من ذلك ولا أكبر) \* بضم الراءين ومعناه ولا يغيب عنه أصغر من ذلك ولا أكبر منه  
فيصير رفعا لأنه فاعل وقرأ الباقون بالنصب لأن معناه ولا

يغيب عنه بمثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا بمثقال ذرة أصغر من ذلك  
فموضعه خفض إلا أنه لا ينصرف فصار نصبا

سورة يونس ٦٢ - ٦٤

قوله تعالى \* (ألا إن أولياء الله) \* يعني المؤمنين ويقال أحباء الله وهم حملة القرآن  
والعلم ويقال الذين يجتنبون الذنوب في الخلوات ويعلمون أن الله تعالى مطلع عليهم  
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أولياء الله تعالى فقال هم الذين أداموا  
ذكر الله تعالى وقال وهب بن منبه قال الحواريون لعيسى ابن مريم يا روح الله من  
أولياء الله قال الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ونظروا إلى أجل  
الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها فأحبوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة ويحبون الله  
تعالى ويحبون ذكره وقال الضحاك \* (ألا إن أولياء الله) \* يعني المخلصين لله \* (لا  
خوف عليهم) \* يعني لا يخافون من أهوال يوم القيامة \* (ولا هم يحزنون) \* حين  
زفرت جهنم

ثم نعتهم فقال تعالى \* (الذين آمنوا وكانوا يتقون) \* يعني أقروا وصدقوا بوحدانية الله  
تعالى ويتقون الشرك والفواحش \* (لهم البشرى في الحياة الدنيا) \* يعني البشارة وهي  
الرؤيا الصالحة يراها العبد المسلم لنفسه أو يرى له غيره وروي عن عبد الله بن عمر  
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءا من النبوة  
وفي خبر آخر من أربعين جزءا من النبوة وفي خبر آخر من ستة وأربعين جزءا وروي  
عطاء بن يسار عن رجل كان يفتي بالبصرة قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية \* (لهم  
البشرى في الحياة الدنيا) \* قال أبو الدرداء ما سألتني أحد منذ سألت عنها رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقال ما سألتني عنها أحد قبلك هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو  
ترى له

ثم قال \* (وفي الآخرة) \* الجنة وعن عبادة بن الصامت أنه سأل النبي صلى الله عليه  
وسلم فأجابه بمثل ذلك ويقال \* (لهم البشرى في الحياة الدنيا) \* يعني عند الموت  
تبشرهم الملائكة كما



قال في آية أخرى " تنزل عليكم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون " \* (وفي الآخرة) \* تبشرهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم \* (لا تبديل لكلمات الله) \* يقول لا تغيير ولا تحويل لقول الله لأن قوله حق بأن \* (لهم البشرى في الحياة الدنيا) \* ويقال \* (لا تبديل لكلمات الله) \* يعني لا خلف لمواعيده التي وعد في القرآن \* (ذلك هو الفوز العظيم) \* يعني الثواب الوافر ويقال النجاة الوافرة  
سورة يونس ٦٥ - ٦٦

قوله تعالى \* (ولا يحزنك قولهم) \* يقول يا محمد لا يحزنك تكذيبهم \* (إن العزة لله جميعا) \* يعني بأن النعمة والقدرة لله تعالى وجميع من يتعزز إنما هو بإذن الله تعالى \* (هو السميع العليم) \* يعني \* (السميع) \* لمقاتلهم \* (العليم) \* بهم وبعقوبتهم على ترك توحيدهم

ثم قال \* (ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض) \* يعني من الخلق كلهم عبده وإماؤه \* (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) \* يعني وما يعبد الذين يعبدون من دون الله الأوثان والأصنام ولم يأت بجوابه وجوابه مضمر ومعناه وما هم لي شركاء ولا نفع لهم في عبادتهم \* (إن يتبعون إلا الظن) \* يقول ما يعبدون الأصنام إلا بالظن \* (وإن هم إلا يخرصون) \* يقول وما هم إلا يكذبون يقول ما أمرهم الله تعالى بعبادتها ولا تكون لهم شفاعاة

سورة يونس ٦٧ - ٦٨

ثم دل بصنعه على وحدانيته فقال تعالى \* (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) \* يعني خلق لكم الليل لتقروا فيه من النصب والتعب \* (والنهار مبصرا) \* يعني خلق النهار مطلباً للمعيشة \* (إن في ذلك) \* يعني في قلب الليل والنهار \* (آيات) \* يعني لعبرات وعلامات لوحدانية الله \* (لقوم يسمعون) \* يعني المواعظ

ثم رجع إلى ذكر كفار مكة فقال تعالى \* (قالوا اتخذ الله ولدا) \* حين قالوا الملائكة بنات الله تعالى \* (سبحانه) \* نزه نفسه عن الولد فقال \* (هو الغني) \* عن الولد \* (له ما في السماوات وما في الأرض) \* من الخلق كلهم عبده وإماؤه \* (إن عندكم من سلطان بهذا) \* يعني ما عندكم من حجة بهذا القول " أتقولون على الله ما لا تعلمون " بغير حجة

سورة يونس ٦٩ - ٧٠

قوله تعالى \* (قل إن الذين يفترون على الله الكذب) \* بأن له ولدا \* (لا يفلحون) \*  
يعني لا يأمنون من عذابه ولا ينجون منه \* (متاع) \* قليل يعني منفعتهم \* (في الدنيا) \*  
قليل \* (ثم إينا مرجعهم) \* يعني مصيرهم في الآخرة \* (ثم نذيقهم) \* يعني نصيبهم  
العذاب الشديد \* (بما كانوا يكفرون) \* أي بكفرهم

سورة يونس ٧١ - ٧٣

قوله تعالى \* (واتل عليهم نبأ نوح) \* فإن لم تعتبروا بذلك فآتل عليهم يعني إقرأ عليهم  
خبر نوح في القرآن \* (إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبير عليكم) \* يعني عظم وثقل  
عليكم \* (مقامي) \* يعني طول مقامي فيكم \* (وتذكيري بآيات الله) \* يعني وعظي  
لكم بالله تعالى وهو ما قال الله تعالى في سورة نوح \* (استغفروا ربكم إنه كان غفارا)  
\* [نوح: ١٠] إلى قوله \* (الذي خلق سبع سماوات طباقا) \* [الملك: ٣] الآية فلما  
وعظهم بذلك أرادوا قتله حين قالوا "لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين"  
[الشعراء: ٢٦] يعني من المقتولين بالحجارة فقال لهم نوح \* (إن كان كبير عليكم  
مقامي) \* فيكم وعظتي لكم \* (فعلى الله توكلت) \* يقول وثقت وفوضت أمري إلى  
الله تعالى \* (فأجمعوا أمركم) \* يعني كيدكم ويقال قولكم وعملككم \* (وشركاءكم) \*  
يعني وادعوا شركاءكم \* (ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة) \* يقول أظهروا أمركم فلا  
تكتموا يعني القتل وقال القتيبي الغم والغمة واحد كما يقال كربة وكرب يعني لا يكون  
أمركم غما عليكم \* (ثم اقضوا إلي) \* يعني إمضوا إلي ويقال اعملوا ما تريدون كقوله  
تعالى \* (فاقض ما أنت قاض) \* [طه: ٧٢] \* (ولا تنظرون) \* يعني ولا تمهلون يعني  
إقضوا إلي ما أنتم قاضون واستعينوا بالهتك  
ويقال اعملوا بما في أنفسكم من الشر وروي عن نافع أنه قرأ \* (فأجمعوا) \* بالوصل  
والجزم من جمعت وقرأ الباقون \* (فأجمعوا) \* بالقطع من الإجماع وقرأ الحسن  
البصري ويعقوب الحضرمي \* (شركاؤكم) \* بالرفع يعني أين شركاؤكم ليجمعوا  
أمرهم معكم ويعينوكم \* (فإن توليتهم) \* يعني أعرضتم وأبيتتم عن الإيمان وأبيتتم أن  
تقبلوا ما أتيتكم به ونهيتكم عنه \* (فما سألتكم من أجر) \* يعني ما سألتكم بذلك أجرا  
في الدنيا

ومعناه إن أعرضتم عن الإيمان لا يضرني لأنني لا أطلب منكم بذلك أجرا في الدنيا \*  
(إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) \* يعني وأمرت أن أستقيم على  
التوحيد مع المسلمين

قوله تعالى \* (فكذبوه) \* بالعذاب بأنه غير نازل بهم \* (فنجيناه ومن معه في الفلك) \*  
من الغرق \* (وجعلناهم خلائف) \* يعني خلفاء من بعد هلاك كفارهم \* (وأغرقنا الذين  
كذبوا بآياتنا) \* يعني أهلكتنا الذين كذبوا نوحا بما أتاهم به \* (فانظر كيف كان عاقبة  
المنذرين) \* يعني كيف كان آخر أمر من أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا

سورة يونس ٧٤ - ٧٨

قوله تعالى \* (ثم بعثنا من بعده) \* أي من بعد هلاك قوم نوح \* (رسلا إلى قومهم) \*  
مثل هود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام \* (فجاؤوهم  
بالبينات) \* يعني بالأمر والنهي ويقال بالآيات والعلامات \* (فما كانوا ليؤمنوا بما  
كذبوا به من قبل) \* قال مقاتل يعني ما كان كفار مكة ليصدقوا بالعذاب أنه نازل بهم  
كما لم يصدق به أوائلهم من قبل كفار مكة وقال الكلبي \* (فما كانوا ليؤمنوا بما  
كذبوا به) \* عند الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم وقال \* (فما كانوا ليؤمنوا) \*  
يعني أولئك القوم ما بعد دعاهم الرسل بما كذبوا به من قبل أن يأتيهم الرسل \* (كذلك  
نطبع على قلوب المعتدين) \* يعني نختم على قلوبهم المتجاوزين من الحلال وإلى  
الحرام ويقال صار تكذيبهم طبعاً على قلوبهم فمنعهم عن الإيمان

قوله تعالى \* (ثم بعثنا من بعدهم) \* أي من بعد الرسل \* (موسى وهارون إلى فرعون  
وملئه بآياتنا) \* التسع ثم قال \* (فاستكبروا) \* يعني تكبروا عن الإيمان \* (وكانوا قوما  
مجرمين) \* يعني مشركين

قوله تعالى \* (فلما جاءهم الحق) \* يعني ظهر لهم الحق \* (من عندنا) \* من عند الله  
تعالى \* (قالوا إن هذا لسحر مبين) \* يعني الذي أتيتنا به كذب بين \* (قال موسى  
أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) \* وفي الآية مضمرة ومعناه أتقولون للحق لما  
جاءكم إنه سحر ثم قال

أسحر هذا يعني أيكون مثل هذا سحرا فليس ذلك بسحر ولكن ذلك علامة النبوة \*  
(ولا يفلح الساحرون) \* في الدنيا والآخرة ويقال لا ظفر لهم  
قوله تعالى \* (قالوا أجبنا لتلفتنا) \* يعني قال فرعون وقومه لموسى \* (أجبنا) \* يعني  
لتصرفنا وتصدنا \* (عما وجدنا عليه آباءنا) \* يقول عما كان يعبد آباؤنا \* (وتكون  
لكما الكبرياء) \* يعني السلطان والشرف والملك \* (في الأرض) \* يعني في أرض مصر  
\* (وما نحن لكما بمؤمنين) \* يعني بمصدقين بأنكما رسولا رب العالمين

سورة يونس ٧٩ - ٨٦

ثم قال \* (وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم) \* يعني حاذقا بالسحر قرأ حمزة  
والكساني \* (سحار) \* على معنى المبالغة وقرأ الباقون \* (بكل ساحر) \* \* (فلما جاء  
السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) \* يعني اطرحوا ما في أيديكم من العصي  
والحبال إلى الأرض \* (فلما ألقوا) \* ما معهم من الحبال والعصي إلى الأرض \* (قال  
موسى ما جئتم به السحر) \* يعني العمل الذي عملتم به هو السحر \* (إن الله سيبيطله)  
\* يعني سيهلكه \* (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) \* يعني لا يرضى عمل المفسدين  
قرأ أبو عمرو السحر بالمد على وجه الاستفهام ويكون معناه \* (قال موسى ما جئتم به)  
\* يعني ما الذي جئتم به وتم الكلام ثم قال \* (السحر إن الله سيبيطله إن الله لا يصلح  
عمل المفسدين) \* يعني عمل السحرة

قوله تعالى \* (ويحق الله الحق بكلماته) \* يعني يظهر دينه الإسلام بتحقيقه وبنصرته \*  
(ولو كره المجرمون) \* يعني فرعون وقومه

قال الله تعالى \* (فما آمن لموسى) \* يعني ما صدق بموسى \* (إلا ذرية من قومه) \*  
يعني قبيلته من قومه الذين كانت أمهاتهم من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط وروى  
مقاتل عن ابن عباس أنه قال \* (إلا ذرية من قومه) \* يعني من قوم موسى وهم بنو  
إسرائيل وهم ستمائة ألف وكان يعقوب حين ركب إلى مصر من كنعان في اثنين  
وسبعين إنسانا فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ستمائة ألف ويقال \* (إلا ذرية من قومه) \*  
يعني خربيل وهو الذي قال في آية أخرى " وقال رجل مؤمن من آل فرعون " [غافر:

[٢٨

ثم قال تعالى " على خوف من فرعون وملائهم " أي فما أمن لموسى خوفا من فرعون " وملائهم " أي قومهم إشارة إلى فرعون بلفظ الجماعة كقوله " فإلم يستجيبوا لكم " [هود: ١٤] يعني محمدا صلى الله عليه وسلم خاصة \* (أن يفتنهم) \* يعني يقتلهم \* (وإن فرعون لعال في الأرض) \* يعني لعات ويقال لغالب ويقال المخالف والمتكبر في أرض مصر \* (وإنه لمن المسرفين) \* يعني لمن المشركين روى موسى بن عبيدة عن محمد بن المنكدر قال عاش فرعون ثلاثمائة سنة منها مائتين وعشرين سنة لم ير مكروها ودعاه موسى عليه السلام ثمانين سنة

\* (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) \* يعني ثقوا بالله وذلك حين قالوا له \* (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) \* [الأعراف: ١٢٩] فلما قال لهم هذا موسى عليه السلام \* (قالوا على الله توكلنا) \* يعني فوضنا أمرنا إليه \* (ربنا لا تجعلنا فتنة) \* يقول بلية وعبرة \* (للقوم الظالمين) \* يعني لا تنصرهم علينا قال مجاهد يعني لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كانوا على الحق ما عذبوا وما سلطنا عليهم فيفتنوا بنا \* (ونجنا برحمتك) \* يعني بنعمتك \* (من القوم الكافرين) \* يعني فرعون وقومه

سورة يونس ٨٧ - ٨٩

قال الله تعالى \* (وأوحينا إلى موسى وأخيه) \* هارون وذلك لما منعهم فرعون وقومه الصلاة علانية وخرّبوا مساجدهم " أن تبوءا لقومكما بيوتا " يعني اتخذوا لقومكما بمصر مساجد في جوف البيوت \* (واجعلوا بيوتكم قبلة) \* يعني مساجد فتصلون فيها ويقال \* (واجعلوا بيوتكم قبلة) \* أي حولوا بيوتكم نحو القبلة وقال مجاهد كانوا يصلون في البيع فأمرهم أن يصلوا في البيوت وقال إبراهيم النخعي كانوا خائفين فأمرهم بالصلاة في بيوتهم وكان إبراهيم النخعي خائفا من الحجاج وكان يصلي في بيته ثم قال تعالى \* (وأقيموا الصلاة) \* يعني أتموها بركوعها وسجودها ولم يأمرهم بالزكاة لأن فرعون قد إستعبدهم وأخذ أموالهم فلم يكن لهم مال يجب عليهم الزكاة فيه ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم \* (وبشر المؤمنين) \* يعني المصدقين بتوحيد الله تعالى بالجنة قرأ عاصم في

رواية حفص " أن تبويا " بلا همز لأنه كره همزة بين حرفين فجعلها ياء وقرأ الباقون بغير ياء بالهمزة إلا أنه روي عن حمزة أنه كان يهمز قوله تعالى \* (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه) \* وذلك أن أهل مصر لما عذبوا بالطوفان والجراد والسنين قالوا \* (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك) \* [الأعراف: ١٣٤] ثم نكثوا العهد ولم يؤمنوا فغضب موسى عليهم ودعا الله تعالى عليهم وقال \* (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه) \* يعني أعطيت فرعون وملأه زينة يعني الأشراف من قومه أعطيتهم \* (زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا) \* أي ربنا أعطيتهم ليضلوا \* (عن سبيك) \* يعني عن دينك الإسلام قرأ أهل الكوفة وعاصم وحمزة الكسائي \* (ليضلوا) \* بضم الياء يعني ليضلوا الناس ويصرفونهم عن دينك وقرأ الباقون \* (ليضلوا) \* بنصب الياء يعني يرجعون عن دينك ويمتنعون عنه \* (ربنا اطمس على أموالهم) \* يعني غير دراهمهم ودنانيرهم وذلك حين وعد فرعون لموسى بأن يؤمن ويرسل معه بني إسرائيل ثم نقض العهد فدعا عليهم موسى عليه السلام وروى معمر عن قتادة في قوله تعالى \* (ربنا اطمس على أموالهم) \* قال بلغنا أن حروثا لهم صارت حجارة وعن السدي أنه قال صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة وعن أبي العالية أنه قال صارت أموالهم حجارة وقال مجاهد في قوله تعالى \* (ربنا اطمس على أموالهم) \* يعني أهلكها وقال القتيبي في قوله \* (ربنا اطمس) \* يعني أهلكها وهو من قولك طمس الطريق إذا عفى ودرس

ثم قال تعالى \* (واشدد على قلوبهم) \* أي إقسها ويقال إطبغ قلوبهم وأمتهم على الكفر ولا توفقهم للإيمان يعني لكي \* (لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) \* وهو الغرق فدعا موسى عليه السلام وأمن هارون قال الله \* (قد أجيبت دعوتكما) \* قال ومحمد بن كعب القرظي " قد أجبت دعوتكما " دعا موسى وأمن هارون وعن أبي العالية وعكرمة وأبي صالح مثله وعن أبي هريرة مثله وعن أنس بن مالك أنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله تعالى أعطاني خصالا ثلاثا أعطاني صلاة بالصفوف وأعطاني تحية إنها تحية أهل الجنة وأعطاني التأمين ولم يعط أحدا من النبيين قبلي إلا أن يكون الله تعالى أعطاه لهارون يدعو موسى ويؤمن هارون قال مقاتل فمكث موسى بعد هذه الدعوة أربعين سنة وهكذا روى الضحاك إن الإجابة ظهرت بعد أربعين سنة وقال بعضهم بعد أربعين يوما وقال بعضهم كان هذا الدعاء حين خرج موسى ببني إسرائيل وأيس من إيمانهم

ثم قال الله تعالى \* (فاستقيما) \* أي قال لموسى وهارون \* (استقيما) \* على الرسالة والدعوة وإستقيما على ما أمرتكما \* (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) \* يعني طريق فرعون وآله من أهل مصر وروى ابن ذكوان عن ابن عامر أنه قرأ \* (تتبعان) \* بجزم التاء ونصب الباء



وقرأ الباقون \* (تتبعان) \* بنصب التاء والتشديد و كسر الباء ومعناها واحد وهذه النون  
أدخلت مؤكدة

سورة يونس ٩٠ - ٩٢

ثم قال تعالى \* (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر) \* يعني بحر القلزم ويقال هو نهر مصر  
وهو النيل \* (فأتبعهم فرعون وجنوده) \* يعني لحقهم وقال القتبي أتبعتم القوم أي  
لحقتمهم وتبعتمهم كنت في أثرهم ثم قال \* (بغيا) \* يعني تكبرا \* (وعدوا) \* يعني ظلما  
ويقال \* (بغيا) \* في المقالة حيث قال \* (إن هؤلاء لشرذمة قليلون) \* [الشعراء: ١٨]  
\* (وعدوا) \* يعني أعتدي عليهم وأرادوا قتلهم \* (حتى إذا أدركه الغرق) \* يعني كربة  
الموت ويقال ألجمه الماء ويقال بلغه الموت والأجل وذلك أن بني إسرائيل لما رأوا  
فرعون ومن معه قالوا هذا فرعون وقد كنا نلقى منه ما نلقى فكيف بنا وأين المخرج في  
البحر فأوحى الله إلى موسى \* (أن اضرب بعصاك البحر) \* [الشعراء: ٦٣] فضرب  
فصار اثني عشر طريقا يابسا فلما إنتهى فرعون إلى البحر فرآها قد يبست فقال لقومه  
إن البحر قد يبس خوفا مني فصدقوه وهو قوله \* (وأضل فرعون قومه وما هدى)  
[طه: ٧٩] ولما جاوز قوم موسى ودخل قوم فرعون فلما هم أولهم أن يخرج من البحر  
ودخل آخرهم طم عليهم البحر فغرقهم و " قال " فرعون عند ذلك \* (آمنت) \* أي  
صدقت \* (أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) \* على دينهم  
ويقال أنا ممن المخلصين على التوحيد قرأ حمزة والكسائي \* (إنه) \* بالكسر على  
معنى الابتداء الباقون بالنصب على معنى البناء أي صدقت بأنه لا إله إلا الذي آمنت به  
بنو إسرائيل

قال الله تعالى \* (الآن وقد عصيت قبل) \* يعني أتؤمن في هذا الوقت حين عاينت  
العذاب وقد عصيت \* (قبل) \* يعني قبل نزول العذاب وهذا موافق لقوله تعالى \*  
(وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت  
الآن) \* [النساء: ١٨] الآية ويقال إن جبريل هو الذي قال له \* (الآن وقد عصيت قبل  
وكنت من المفسدين) \* يعني من الكافرين  
قال الفقيه أبو الليث حدثنا الفقيه أبو جعفر قال حدثنا علي بن أحمد قال حدثنا نصر بن  
يحيى قال حدثنا أبو مطيع عن الحسن بن دينار عن حميد بن هلال قال كان



جبريل عليه السلام يناجي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ذات يوم يا محمد ما غاظني عبد من عباد الله تعالى مثل ما غاظني فرعون لما أدركه الغرق قال \* (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل) \* فخشيت أن تدركه الرحمة فضربت بيدي في البحر فأخذت كفا من حمئه وربما قال من طينه فكبسته في فيه فما نبس بكلمة قوله تعالى \* (فاليوم ننجيك بيدنك) \* يقول نخرجك من البحر بجسدك وقال أبو عبيدة نلقيك على نجوة من الأرض والنجوة من الأرض ما إرتفع منها \* (بيدنك) \* أي وحدك \* (لتكون لمن خلفك آية) \* يعني عبرة لمن بعدك من الكفار لكيلا يدعوا الربوبية وقال قتادة لما أغرق الله فرعون لم تصدق طائفة من الناس بذلك فأخرجه الله تعالى من البحر ليكون لهم عظة وآية \* (وإن كثيرا من الناس عن آياتنا) \* يعني عن هلاك فرعون \* (لغافلون) \* يخالفون ولا يعتبرون

سورة يونس ٩٣

ثم قال تعالى \* (ولقد بوأنا بني إسرائيل) \* يعني أنزلنا بني إسرائيل \* (مبواً صدق) \* يعني منزل صدق وهو أرض مصر وذلك أن الله تعالى قد وعد لهم بأن يورثهم أرض مصر فلما غرق فرعون رجع موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى أرض مصر فنزلوا بها وسكنوا الديار ويقال \* (مبواً صدق) \* يعني أرضاً كريمة يعني أرض الأردن وفلسطين ويقال منزلاً حسناً وقال قتادة أرض الشام ويقال الأرض المقدسة \* (ورزقناهم من الطيبات) \* يعني من ميراث أهل مصر وأهل الشام \* (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) \* فما اختلفوا في الدين حتى جاءهم الكتاب يعني جاءهم موسى عليه السلام بعلم التوراة فاختلفوا من بعد يوشع بن نون ويقال فما اختلفوا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم حتى جاءهم العلم يعني خرج النبي صلى الله عليه وسلم وجاء بالقرآن إليهم لأنهم لم يزالوا مؤمنين به وذلك أنهم يجدونه مكتوباً عندهم فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم جحدوا به بعد العلم \* (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) \* من الذين آمن به بعضهم وكفر به بعضهم

سورة يونس ٩٤ - ٩٧

قوله تعالى \* (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) \* والله أعلم أنه لم يشك ولا يشك

ولكن أراد أن يقول ما أشك كما قال لعيسى \* (أأنت قلت للناس) \* علم أنه لم يقل  
ولكن أراد أن يقول ما قلت لهم وذلك أن كفار قريش قالوا إن هذا الوحي يلقيه إليه  
الشیطان فأنزل الله تعالى \* (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) \* من القرآن " فاسأل  
الذين يقرأون الكتاب من قبلك " يعني مؤمني أهل الكتاب فسيخبرونك أنه مكتوب  
عندهم في التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أسأل أحدا ولا أشك فيه بل  
أشهد أنه الحق وقال القتيبي فيه تأويلان أحدهما أن تكون المخاطبة للنبي صلى الله عليه  
وسلم والمراد فيه غيره من الشكاك لأن القرآن نزل عليه بمذاهب العرب وهم يخاطبون  
الرجل بشيء ويريدون به غيره كما قالوا إياك أعني واسمعي يا جارية وكقوله \* (يا أيها  
النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) \* [الأحزاب: ١] أراد به الأمة يدل ذلك عليه  
قوله تعالى في آخره \* (إن الله كان بما تعملون خبيرا) \* [النساء: ٩٤] وكقوله "   
وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن إلهة يعبدون " [الزخرف:  
٤٥] ووجه آخر أن الناس كانوا على ثلاث مراتب منهم من كان مؤمنا ومنهم من كان  
كافرا ومنهم من كان شاكا وإنما خاطب بهذا الشاك  
ثم قال تعالى \* (لقد جاءك الحق من ربك) \* يعني القرآن \* (فلا تكونن من الممترين)  
\* يعني من الشاكين \* (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) \* يعني بالكتاب  
وبالرسول \* (فتكونن من الخاسرين) \* يعني من المغبونين  
قوله تعالى \* (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك) \* يعني وجبت عليهم كلمة ربك  
بالسخط وقدر عليهم الكفر \* (لا يؤمنون) \* يعني لا يصدقون بالقرآن أنه من الله تعالى  
\* (ولو جاءتهم كل آية) \* يعني علامة \* (حتى يروا العذاب الأليم) \* يعني الهلاك في  
الدنيا والعذاب في الآخرة قرأ نافع وابن عامر " كلمات ربك " وقرأ الباقون \* (كلمة  
ربك) \*

سورة يونس ٩٨

قوله تعالى \* (فلولا كانت قرية آمنت) \* يقول لم يكن أهل قرية كافرة آمنت عند نزول  
العذاب \* (فنفعها إيمانها) \* وقبل منها الإيمان ودفع عنهم العذاب \* (إلا قوم يونس) \*  
عليه السلام قال مقاتل \* (فلولا) \* على ثلاثة أوجه الأول \* (لولا) \* يعني فلم مثل قوله  
تعالى \* (فلولا كانت قرية آمنت) \* " فلولا كان من القرون " الثاني \* (فلولا) \* يعني  
فهلا كقوله \* (فلولا إذ جاءهم بأسنا) \* [الأنعام: ٤٣] \* (فلولا إن كنتم غير مدينين) \*  
[الواقعة: ٨٦] والثالث

\* (فلولا) \* يعني فلوما كقوله \* (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) \* [النساء: ٨٣] \*  
\* (فلولا أنه كان من المسبحين) \* [الصفات: ١٤٣]

ويقال \* (فلولا) \* ها هنا بمعنى فهلا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها ومعناه فهلا آمنت في وقت ينفعها إيمانها فأعلم الله تعالى أن الإيمان لا ينفع عند وقوع العذاب ثم قال \* (إلا قوم يونس) \* معناه لكن قوم يونس \* (لما آمنوا كشفنا عنهم) \* يعني أنهم آمنوا قبل المعاينة فكشفنا عنهم وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال \* (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها) \* كما نفع يونس وعن قتادة إن قوم يونس عليه السلام خرجوا ونزلوا على تل فدعوا الله تعالى أربعين ليلة حتى تاب الله عليهم وروى عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أن يونس بعثه الله تعالى إلى قومه فدعاهم إلى عبادة الله تعالى وترك ما هم فيه من الكفر فأبوا فدعا ربه فقال يا رب قد دعوتهم فأبوا فأوحى الله تعالى إليه أن إدعهم فإن أجابوك وإلا فأعلمهم أن العذاب يأتيهم إلى ثلاثة أيام فدعاهم فلم يجيبوه فأخبرهم بالعذاب فقالوا ما جربنا عليه كذبة مذ كان معنا فإن لم يلبث معكم وخرج من عندكم فاحتالوا لأنفسكم فلما كان بعض الليل خرج يونس من بينهم فلما كان اليوم الثالث رأوا حمرة وسوادا في السماء كهيئة النار والدخان فظنوا أن العذاب نازل بهم فجعلوا يطلبون يونس فلم يجدوه فلما كان آخر النهار أيسوا من يونس وجعل يهبط السواد والحمرة فقال قائل منهم إن لم تجدوا يونس عليه السلام فإنكم تجدون رب يونس فادعوه وتضرعوا إليه

فخرجوا من القرية إلى الصحراء وأخرجوا النساء والصبيان والبهائم وفرقوا بين كل إنسان وولده وبين كل بهيمة وولدها ثم عجوا إلى الله تعالى مؤمنين به مصدقين وارتفعت أصوات الرجال والنساء والصبيان وخوار البهائم وأولادها واختلطت الأصوات وقربت منهم الحمرة والدخان حتى غشي السواد سطوحهم وبلغهم حر النار فلما عرف الله تعالى منهم صدق التوبة رفع عنهم العذاب بعدما كان غشيهم فذلك قوله تعالى \* (فلولا كانت قرية آمنت) \* يعني لم يكن أهل قرية آمنت \* (فنفعها إيمانها) \* عند نزول العذاب \* (إلا قوم يونس لما آمنوا) \* يعني صدقوا بالألسن والقلوب عرف الله تعالى منهم الصدق \* (كشفنا عنهم) \* يعني رفعنا وصرفنا عنهم \* (عذاب الخزي في الحياة الدنيا) \* يعني عذاب الهون \* (ومتعناهم إلى حين) \* يعني إلى منتهى آجالهم وفي هذه الآية تخويف وتهديد لكفار مكة ولجميع الكفار إلى يوم القيامة أنهم إن لم يؤمنوا ينزل بهم العذاب فلا ينفعهم إيمانهم عند نزول العذاب

سورة يونس ٩٩ - ١٠٠

قوله تعالى \* (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا) \* يعني وفقهم لذلك وهداهم ويقال في الآية مضمرة ومعناه ولو شاء ربك أن يؤمنوا لآمنوا كلهم جميعا \* (أفأنت تكره الناس) \* يعني الكفار \* (حتى يكونوا مؤمنين) \* ويقال هو عمه أبو طالب ولها وجه آخر \* (ولو شاء ربك) \* لأراهم علامة ليضطروا إلى الإيمان كما فعل بقوم يونس ولكن لم يفعل ذلك لأن الدنيا دار ابتلاء ومحنة ثم قال تعالى \* (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله) \* يعني بإرادة الله تعالى وتوفيقه \* (ويجعل الرجس) \* يعني الكفر \* (على الذين لا يعقلون) \* يعني يترك حلاوة الكفر في قلوب الذين لا يرغبون في الإيمان ويقال \* (ويجعل الرجس) \* يعني الإثم ويقال \* (الرجس) \* يعني العذاب قرأ عاصم في رواية أبي بكر " ونجعل الرجس " بالنون وقرأ الباقون بالياء ثم أخبر أنه لا عذر لمن تخلف عن الإيمان لأنه قد بين العلامات

سورة يونس ١٠١ - ١٠٣

قوله تعالى \* (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض) \* من الدلائل من الشمس والقمر والنجوم " و " ما في " (الأرض) \* من الجبال والبحار والأشجار والثمار فاعتبروا به ثم قال حين لم يعتبروا به \* (وما تغني الآيات) \* يعني ما تنفع العلامات التي في السماوات والأرض \* (والنذر) \* يعني الرسل \* (عن قوم لا يؤمنون) \* يعني لا يرغبون في الإيمان ولا يطلبون الحق وقال أبو العالية لا تنفع الآيات والرسل \* (عن قوم لا يؤمنون) \* أي علم الله في سابق علمه أنهم لا يؤمنون ويقال \* (عن) \* ها هنا صلة ومعناه وما تغني الآيات والنذر قوما لا يؤمنون يعني علم الله في الأزل أنهم لا يؤمنون ثم خوفهم فقال تعالى \* (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) \* يعني أن يصيبهم العذاب مثل ما أصاب الأمم الخالية \* (قل فانتظروا) \* يعني انتظروا العذاب \* (إني معكم من المنتظرين) \* ويقال انتظروا لهلاككم فإني معكم من المنتظرين لهلاككم قوله تعالى \* (ثم ننجي رسلنا) \* يعني أنجيناهم من العذاب والهلاك \* (والذين آمنوا) \* معهم انصرف هذا إلى قوله " مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ثم ننجي رسلنا " يعني أنجيناهم من العذاب \* (والذين آمنوا) \* يعني أنجيناهم معهم ومعناه إذا جاءهم العذاب ينجي الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه كما أنجى سائر الرسل والذين آمنوا معهم \* (كذلك حقا علينا) \* يعني هكذا واجب علينا \* (ننج المؤمنين) \* من العذاب قرأ الكسائي وعاصم في رواية حفص \* (ثم ننجي) \* بجزم النون وتخفيف الجيم وقرأ الباقون \* (ننجي) \*

بالنصب والتشديد وكذلك في قوله \* (نجم) \* المؤمنين ومعناها واحد نجيته وأنجيته  
سورة يونس ١٠٤ - ١٠٧

ثم قال عز وجل \* (قل يا أيها الناس) \* يعني يا أهل مكة وذلك حين دعوه إلى دين  
آبائهم فقال \* (إن كنتم في شك من ديني) \* الإسلام وترجون أن أرجع إلى دينكم  
وأترك هذا الدين فلا أفعل ذلك وهو قوله \* (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) \* من  
الآلهة ويقال معناه إن كنتم في شك من ديني فأنا مستيقن في دينكم ومعبودكم أنهما  
باطلان \* (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) \* \* (ولكن أعبد الله) \* يعني أوحده  
وأطيعه \* (الذي يتوفاكم) \* يعني يميتكم عند انقضاء آجالكم \* (وأمرت أن أكون من  
المؤمنين) \* يعني مع المؤمنين على دينهم ولا أرجع عن ذلك

قوله تعالى \* (وأن أقم وجهك) \* يعني إن الله تعالى قال لي في القرآن أن أخلص  
عملك ودينك \* (للدين حنيفا) \* يعني إستقم على التوحيد مخلصا \* (ولا تكونن من  
المشركين) \* أو يقال وأمرت أن أكون من المسلمين إلى ها هنا أمر النبي صلى الله  
عليه وسلم أن يقول ذلك للكفار وقد تم الكلام إلى هذا الموضع ثم قال الله تعالى للنبي  
صلى الله عليه وسلم بهذا أمرتك \* (وأن أقم وجهك للدين حنيفا) \* يعني وأمرت أن  
تخلص عملك ودينك \* (للدين حنيفا) \* يعني إستقم على ذلك مستقيما والحنف في  
اللغة هو الميل والإقبال على شيء لا يرجع عنه أبدا لهذا سمي الرجل أحنف إذا كان  
أصابع رجله مائلا بعضها إلى بعض

ثم قال تعالى \* (ولا تدع من دون الله) \* يعني لا تعبد غير الله \* (ما لا ينفعك ولا  
يضرك) \* يعني ما لا ينفعك إن عبدته ولا يضرك إن عصيته وتركت عبادته \* (فإن  
فعلت) \* ذلك يعني فإن عبدت غير الله \* (فإنك إذا من الظالمين) \* يعني الضارين  
أنفسهم

قوله تعالى \* (وإن يمسسك الله بضر) \* يعني إن يصيبك الله بشدة أو بلاء \* (فلا  
كاشف له إلا هو) \* يعني لا دافع لذلك الضر إلا هو يعني لا تقدر الأصنام على دفع  
الضر عنك \* (وإن يردك بخير) \* يعني إن يصبك بسعة في الرزق وصحة في الجسم \*  
(فلا راد لفضله) \* يعني لا مانع لعطائه \* (يصب به) \* يعني بالفضل \* (من يشاء من  
عباده) \* من كان أهلا لذلك \* (وهو الغفور) \* لذنوب المؤمنين \* (الرحيم) \* بهم

فأعلم الله تعالى أنه كاشف الضر ومعطي الفضل في الدنيا وهو الغفور في الآخرة  
للمؤمنين الرحيم بقبول حسناتهم قال الفقيه رضي الله عنه حدثنا محمد بن الفضل قال  
حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا شيخ بصري عن الحسن  
أنه قال قال عامر بن قيس ما أبالي ما أصابني من الدنيا وما فاتني منها بعد ثلاث آيات  
ذكرهن الله تعالى في كتابه قوله " وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن  
يردك فلا راد لفضله " وقوله \* (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما  
يمسك فلا مرسل له من بعده) \* [فاطر: ٢] وقوله \* (وما من دابة في الأرض إلا على  
الله رزقها) \* [هود: ٦]

سورة يونس ١٠٨ - ١٠٩

قوله تعالى \* (قل يا أيها الناس) \* يعني يا أهل مكة \* (قد جاءكم الحق من ربكم) \*  
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن \* (فمن اهتدى) \* يعني من آمن بمحمد  
صلى الله عليه وسلم والقرآن \* (فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل) \* يعني ومن كفر ولم  
يؤمن به \* (فإنما يضل عليها) \* يعني جنايته على نفسه وإثم الضلالة على نفسه \* (وما  
أنا عليكم بوكيل) \* يعني لست عليكم بمسلط وهذا قبل الأمر بالقتال  
ثم قال تعالى \* (واتبع ما يوحى إليك) \* يعني إن لم يصدقك فاعمل بما أنزل إليك من  
القرآن \* (واصبر) \* على تكذيبهم \* (حتى يحكم الله) \* يعني يقضي الله تعالى بعذابهم  
في الدنيا وفي الآخرة \* (وهو خير الحاكمين) \* يعني أعدل العادلين ويقال \* (واصبر  
حتى يحكم الله) \* يعني حتى يأمر الله تعالى المؤمنين بقتالهم ويقال \* (فمن اهتدى  
فإنما يهتدي لنفسه) \* يعني من اجتهد حتى اهتدى فإنما يهتدي لنفسه \* (ومن ضل  
فإنما يضل عليها) \* يعني ومن تغافل عن الحق حتى ضل فعقوبته عليها والله أعلى  
وأعلم وصلى الله على سيدنا محمد

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

سورة هود ١ - ٤

قال الله تعالى \* (الر) \* قال ابن عباس يعني أنا الله أرى ويقال الألف الله آلاؤه واللام لطفه والراء ربوبيته \* (كتاب) \* يعني هذا الكتاب وهو القرآن \* (أحكمت آياته) \* من الباطل فلم يوجد فيه عوج ولا تناقض \* (ثم فصلت) \* يعني بين أمره ونهيه وقال الحسن \* (أحكمت آياته) \* بالأمر والنهي وفصلت بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وقال مجاهد \* (فصلت) \* أي فسرت وقال القتيبي \* (أحكمت) \* فلم تنسخ ثم \* (فصلت) \* بالحلال والحرام ويقال \* (فصلت) \* يعني أنزلت شيئاً بعد شيء فلم تنزل جملة \* (من لدن حكيم خبير) \* يعني أنزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى قال \* (حكيم) \* في أمره \* (خبير) \* بالعباد وبأعمالهم \* (ألا تعبدوا إلا الله) \* يعني نزل جبريل بالقرآن وقد بين فيه ألا توحّدوا ولا تطيعوا غير الله \* (إنني لكم منه) \* يعني قل لهم يا محمد إنني لكم من الله تعالى \* (نذير) \* يعني مخوفاً من عذابه للكافرين \* (وبشير) \* بالجنة للمؤمنين \* (وأن استغفروا ربكم) \* من الذنوب ويقال صلوا لربكم \* (ثم توبوا إليه) \* يعني وتوبوا إليه من الشرك والذنوب \* (يمتعكم متاعاً حسناً) \* يعني يعيشكم في الدنيا عيشاً حسناً في خير وعافية \* (إلى أجل مسمى) \* إلى منتهى آجالكم وقال القتيبي أصل الإمتاع الإطالة يقال حبل ممتع وقد متع النهار إذا طال \* (يمتعكم) \* يعني يعمركم ويقال \* (يمتعكم متاعاً حسناً) \* يعني يجعلكم راضين بما يعطيكم ويقال ويجعل حياتكم في الطاعة ثم قال \* (ويؤت كل ذي فضل فضله) \* يعني يعطي في الآخرة كل ذي فضل في العمل في الدنيا فضله والدرجات وروى جويبر عن الضحاك قال يؤت كل ذي عمل ثواب عمله وقال سعيد بن جبير في قوله \* (ويؤت كل ذي فضل فضله) \* قال من عمل حسنة

كتبت له عشر حسنات ومن عمل سيئة كتبت عليه سيئة واحدة فإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من العشرة واحدة وبقيت له تسع حسنات وهكذا قال ابن مسعود ثم قال ابن مسعود هلك من غلب آحاده أعشاره

\* (وإن تولوا) \* يعني أعرضوا عن الإيمان \* (فإني أخاف عليكم) \* يعني قل لهم يا محمد إني أخاف عليكم \* (عذاب يوم كبير) \* يعني القحط قال مقاتل حبس الله تعالى عنهم القطر سبع سنين حتى أكلوا الموتى ويقال \* (فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) \* يعني عذاب النار يوم القيامة ويقال \* (إني أخاف) \* يعني أعلم فيوضع الخوف موضع العلم لأن فيه طرفا من العلم  
ثم قال \* (إلى الله مرجعكم) \* يعني مصيركم في الآخرة " وهو على كل شيء قدير " يعني هو قادر على بعثكم بعد الموت

سورة هود ٥ - ٦

قوله تعالى \* (ألا إنهم يثنون صدورهم) \* قال الكلبي يقول يكتمون ما في صدورهم من العداوة \* (ليستخفوا منه) \* يعني ليستروا ذلك منه \* (ألا حين يستغشون ثيابهم) \* يعني يلبسون ثيابهم يعني حين يغشي الرجل نفسه بثيابه يعني ما تحت ثيابه و \* (يعلم ما يسرون) \* من العداوة \* (وما يعلنون) \* بألسنتهم قال الكلبي نزلت في شأن أخنس بن شريق وقال مقاتل \* (ألا إنهم يثنون صدورهم) \* يعني يلوون وذلك أن كفار مكة كانوا إذا سمعوا القرآن نكسوا رؤوسهم على صدورهم كراهية استماع القرآن \* (ليستخفوا منه) \* يعني من النبي صلى الله عليه وسلم

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال أخفى ما يكون للإنسان إذا أسر في نفسه شيئا ويغطي بثوبه فذلك أخفى ما يكون والله تعالى مطلع على ما في نفوسهم \* (إنه عليم بذات الصدور) \* يعني ما في قلوب العباد من الخير والشر  
قوله تعالى \* (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) \* يعني إلا الله القائم على رزقها ويقال الله ضامن لرزقها ويقال يرزقها الله حيث ما توجهت \* (ويعلم مستقرها ومستودعها) \* يعني \* (يعلم مستقرها) \* حيث تأوي بالليل \* (ومستودعها) \* حيث تموت وتدفن وروي عن عبد الله بن مسعود قال مستقرها الأرحام ومستودعها الأرض التي تموت فيها وقال عبد الله إذا كان الرجل بأرض وقد دنا أجله عرضت له الحاجة حتى إذا كان عند انقضاء أجله قبض فتقول الأرض يوم القيامة هذا ما إستودعني وقال سعيد بن جبير ومجاهد المستقر الرحم والمستودع الأصلاب \* (كل في كتاب مبين) \* يعني المستقر



والمستودع وبيان كل شيء ورزق كل دابة مكتوب في اللوح المحفوظ وهو خلق من  
درة بيضاء

سورة هود ٧

قوله تعالى \* (وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام) \* قال ابن عباس يعني  
من أيام الآخرة وقال الحسن من أيام الدنيا \* (وكان عرشه على الماء) \* قبل خلق  
السماوات والأرض لأنه لم يكن تحته شيء سوى الماء  
قال الفقيه حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عوف قال حدثنا فارس بن مردويه قال  
حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا أبو مطيع عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن  
عبد الله بن مسعود أنه قال بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة  
وبين الكرسي مسيرة خمسمائة عام وبين الكرسي وبين الماء خمسمائة عام والعرش  
فوق الماء والله فوق العرش بعلوه وقدرته يعلم ما أنتم فيه  
وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال كان عرشه على الماء فلما خلق الله  
تعالى السماوات والأرض قسم ذلك الماء قسمين فجعل نصفه تحت العرش وهو البحر  
المسجور وجعل النصف الآخر تحت الأرض السفلى وهو مكتوب في الكتاب الأول  
ويسمى اليم

وعن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس عن قول الله تعالى \* (وكان عرشه على الماء)  
\* على أي شيء كان الماء قال على متن الريح ويقال \* (وكان عرشه على الماء) \*  
يعني فوق الماء كقولك السماء فوق الأرض لا أنه ملتزم بالماء  
\* (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) \* يعني ليختبركم \* (أيكم أحسن عملا) \* أي أخلص  
عملا وأزهد في الدنيا والاختبار من الله تعالى هو إظهار ما يعلم من خلقه  
ثم قال \* (ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت) \* يعني يوم القيامة \* (ليقولن الذين  
كفروا) \* يعني أهل مكة \* (إن هذا إلا سحر مبين) \* يعني ما هذا إلا كذب بين حتى  
يخبرنا أنه يكون البعث قرأ حمزة والكسائي \* (ساحر مبين) \* بالألف وقرأ الباقون \*  
(سحر مبين) \* بغير ألف

سورة هود ٨ - ١١

قوله تعالى \* (ولئن أحرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة) \* يعني سنين معلومة يعني إلى الوقت الذي جعل أجلهم وقال القتيبي يعني إلى حين توفته وفي قوله \* (وادكر بعد أمة) \* [يوسف: ٤٥] إنما هو سبع سنين \* (ليقولن ما يحبسه) \* يعني العذاب على وجه الاستهزاء \* (ألا يوم يأتيهم) \* يعني العذاب \* (ليس مصروفا عنهم) \* يعني ليس أحد يصرف العذاب عنهم إذا نزل بهم في الدنيا وفي الآخرة \* (وحاق بهم) \* يعني نزل بهم " ما كانوا به يستهزئون " أنه غير نازل بهم

قوله تعالى \* (ولئن أذقنا الإنسان) \* يعني أصبنا الإنسان \* (منا رحمة) \* يعني نعمة وخيرا وعافية \* (ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور) \* يعني آيس من رحمة الله كفور بنعم الله تعالى

ثم قال \* (ولئن أذقناه نعماء) \* يعني أعطيناه خيرا وعافية وسعة في الرزق \* (بعد ضراء مسته) \* يعني أصابته \* (ليقولن ذهب السيئات عني) \* يعني فلا يشكر الله تعالى ذكر في الابتداء \* (ليقولن) \* بنصب اللام بلفظ الواحد لتقديم الفعل على الاسم وفي الثاني بضم اللام لأنه فعل جماعة ولم يذكر الاسم وفي الثالث ذكر بنصب اللام لأنه فعل الواحد ويقول ذهب السيئات عني \* (إنه لفرح فخور) \* يعني بطرا فرحا بما أعطاه الله تعالى وهو الطغيان في النعمة \* (فخور) \* في نعم الله تعالى ومتكبر على الناس ثم استثنى فقال تعالى \* (إلا الذين صبروا) \* وهم المؤمنون الذين صبروا على الطاعات والشدائد ليسوا كذلك وليسوا من أهل هذه الصفة إذا إبتلوا صبروا وإذا أعطوا شكروا \* (وعملوا الصالحات) \* بينهم وبين ربهم \* (أولئك لهم مغفرة) \* لذنوبهم في الدنيا \* (وأجر كبير) \* يعني ثوابا عظيما في الجنة

سورة هود ١٢ - ١٤

قوله تعالى \* (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) \* وذلك أن كفار مكة قالوا كيف لا ينزل الله إليه ملكا أو يكون له كنز وطلبوا منه بأن لا يعيب آلهتهم فهم النبي صلى الله عليه وسلم بأن يترك عيبها رجاء أن يتبعوه فنزل \* (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) \* من أمر الآلهة " وضائق به

صدرك) في البلاغ \* (أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز) \* يعني المال \* (أو جاء معه ملك) \*  
يعينه ويصدقه فأمر بأن لا يترك تبليغ الرسالة بقولهم وقال قل يا محمد \* (إنما أنت  
نذير) \* يعني إنما عليك تبليغ الرسالة والتخويف " والله على كل شيء وكيل " يعني  
شاهد بأنك رسول الله تعالى

قوله تعالى \* (أم يقولون افتراه) \* يعني أتقولون و \* (أم) \* صلة افتراء يعني إختلقه من  
تلقاء نفسه \* (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) \* يعني مختلقات قال الكلبي يعني  
بعشر سور مثله مثل سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف  
والتوبة ويونس وهود لأن العاشرة هي سورة هود وقال بعضهم هذا التفسير لا يصح لأن  
سورة هود مكية والبقرة وآل عمران والنساء والمائدة مدنيات أنزلت بعد سورة هود  
بمدة طويلة ولكن معناه \* (فأتوا بعشر سور) \* مثل سور القرآن أي سورة كانت \*  
(مفتريات) \* يعني مختلقات إن كنتم تزعمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم يخلقه

من ذات نفسه \* (وادعوا من استطعتم من دون الله) \* يعني  
استعينوا بالهتكم \* (إن كنتم صادقين) \* في مقاتلكم فسكتوا ولم يجيبوا فنزل قوله  
تعالى \* (فإن لم يستجيبوا لكم) \* يعني فإن لم يجيبوك خاطب النبي صلى الله عليه  
وسلم بلفظ الجماعة كما قال \* (يا أيها الرسل) \* [المؤمنون: ٥١] ويقال أراد النبي  
صلى الله عليه وسلم وأصحابه \* (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) \* يقال فاعلموا يا أهل  
مكة إنما أنزل بعلم الله يعني أنزل جبريل هذا القرآن بإذن الله تعالى وبأمره وقال القتيبي  
\* (بعلم الله) \* يعني من علم الله والباء مكان من

ثم قال تعالى \* (وأن لا إله إلا هو) \* يعني فاعلموا أن لا إله إلا هو يعني أن الله تعالى  
هو منزل الوحي وليس أحد ينزل الوحي غيره \* (فهل أنتم مسلمون) \* يعني مقرين بأن  
الله أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ويقال مخلصون بالتوحيد ويقال \* (فهل أنتم  
مسلمون) \* هذا على وجه الأمر يعني أسلموا

سورة هود ١٥ - ١٦

قوله تعالى \* (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) \* يعني من كان يريد بعمله الدنيا ولا  
يريد به وجه الله تعالى \* (نوف إليهم أعمالهم فيها) \* يعني ثواب أعمالهم في الدنيا \*  
(وهم فيها لا يبخسون) \* يعني لا ينقص من ثواب أعمالهم شيء في الدنيا \* (أولئك  
الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار) \* قال ابن عباس نزلت هذه الآية في أهل القبلة وقال  
الحسن نزلت في المنافقين والكافرين

\* (وحبط ما صنعوا فيها) \* يعني ثواب أعمالهم لأنه لم يكن لوجه الله تعالى \* (وباطل  
ما كانوا يعملون) \* وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا  
كان يوم القيامة صارت أمتي

(۱۴۱)

ثلاث فرق فرقة يعبدون الله تعالى خالصا وفرقة يعبدون الله تعالى رياء وفرقة يعبدون الله تعالى ليصيبوا بها الدنيا فيقول الله تعالى للذي كان يعبد الله للدنيا وماذا أردت بعبادتك فيقول الدنيا فيقول الله عز وجل لا جرم ولا ينفعك ما جمعت ولا ترجع إليه ويقول إنطلقوا به إلى النار ويقول للذي كان يعبد الله رياء ماذا أردت بعبادتك فيقول الرياء فيقول الله تعالى إنطلقوا به إلى النار ويقول للذي كان يعبد الله تعالى خالصا ماذا أردت بعبادتك فيقول أنت أعلم به مني كنت أعبدك لوجهك وذاتك قال صدق عبدي إنطلقوا به إلى الجنة

سورة هود ١٧

ثم قال تعالى \* (أفمن كان على بينة من ربه) \* يعني على بيان من ربه وهو محمد صلى الله عليه وسلم \* (ويتلوه شاهد منه) \* يقول يقرأ جبريل هذا القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهو \* (شاهد منه) \* يعني من الله تعالى وهذا قول ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وقتادة وإبراهيم النخعي ويقال \* (أفمن كان على بينة من ربه) \* يعني أن الله بين أمره ونبوته بدلائل أعطاهها محمدا صلى الله عليه وسلم \* (ويتلوه) \* يعني يقرأ القرآن جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم \* (شاهد منه) \* أي ملك أمين من الله تعالى وهو جبريل وقال شهر بن حوشب القرآن شاهد من الله تعالى ومعناه يتلو القرآن وهو شاهد من الله تعالى وقال الحسن \* (ويتلوه شاهد منه) \* يعني لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة لسانه شاهد منه وكذلك قال عكرمة قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا السراج قال حدثنا أبو إسماعيل قال حدثنا صفوان بن صالح قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا الخليل عن قتادة عن عروة عن محمد بن علي قال قلت لعلي إن الناس يزعمون في قوله تعالى \* (ويتلوه شاهد منه) \* أنك أنت التالي قال وددت أني أنا هو ولكنه لسان محمد صلى الله عليه وسلم ويقال الشاهد القرآن \* (ويتلوه) \* يعني بعده ويقال \* (يتلوه) \* يعني يتبعه كقوله \* (والقمر إذا تلاها) \* [الشمس: ٢] قال القتيبي هذا كلام على الاختصار ومعناه أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه كالذي يريد الحياة الدنيا وزينتها فاكتفى من الجواب بما تقدم كقوله " أمن هو قانت ءاناء الليل ساجدا وقائما " [الزمر: ٩] يعني كمن هو بخلاف ذلك

ثم قال تعالى \* (ومن قبله كتاب موسى) \* يعني جبريل قرأ التوراة على موسى عليه

السلام من قبل أن يتلو القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال عبد الله بن سلام يتلو القرآن وكان من قبله يتلو التوراة والتأويل الأول أصح لأن هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم في بالمدينة ويقال هم الذين آمنوا بمكة من أهل الكتاب حين قدموا من الحبشة

ثم قال \* (إماما ورحمة) \* يعني \* (إماما) \* يهتدى به ويعمل به \* (ورحمة) \* يعني ونعمة من العذاب لمن آمن به يعني كتاب موسى عليه السلام \* (أولئك يؤمنون به) \* يعني بالقرآن وهذا كقوله " فالذين آتينهم الكتاب يؤمنون به " [العنكبوت: ٤٧] يعني بالقرآن

ثم قال \* (ومن يكفر به من الأحزاب) \* يعني من يجحد بالقرآن \* (فالنار موعده) \* يعني مصيره قال سعيد بن جبير ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وجدت مصداقه في كتاب الله تعالى حتى بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يسمع بي أحد من هذه الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار فجعلت أقول وأتفكر أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية \* (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) \* قال هي في أهل الملل كلها

ثم قال \* (فلا تك في مرية منه) \* يعني فلا تك في شك منه أن موعده النار و \* (إنه الحق من ربك) \* وهذا قول الكلبي وقال مقاتل فلا تك في شك أن القرآن من الله تعالى و \* (إنه الحق من ربك) \* أي الصدق من ربك ردا لقولهم إنه يقول ذلك من شيطان يلقيه إليه يقال له الري

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد إلا ومعه شيطان فاغر بين يديه إلا أن الله تعالى أعانني عليه وأسلم ثم قال \* (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) \* يعني لا يصدقون بالقرآن يعني أهل مكة بأنه من عند الله تعالى

سورة هود ١٨ - ٢٣

ثم قال \* (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) \* يعني ومن أشد في كفره \* (ممن افترى) \* يقول ممن إختلق على الله كذبا بأن معه شريكا \* (أولئك يعرضون على ربهم) \* يعني يساقون إلى ربهم يوم القيامة \* (ويقول الأشهداء) \* يعني الرسل قد بلغناهم الرسالة وقال الضحاك \* (ويقول الأشهداء) \* يعني الأنبياء وقال قتادة ومجاهد \* (ويقول الأشهداء) \* يعني الملائكة وقال الأخفش \* (الأشهداء) \* واحدها شاهد مثل أصحاب وصاحب ويقال شهيد وأشهداء مثل شريف وأشراف قال الله تعالى \* (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) \* يعني افتروا على الله عز وجل بأن معه شريكا وقال الله \* (ألا لعنة الله على الظالمين) \* يعني عذابه وغضبه على المشركين

ثم وصفهم فقال تعالى \* (الذين يصدون عن سبيل الله) \* يعني يصرفون الناس عن دين الإسلام \* (ويبغونها عوجا) \* يطلبون بملة الإسلام زيفا وغيرا \* (وهم بالآخرة هم كافرون) \* أي ينكرون البعث

قوله تعالى \* (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) \* يعني لم يفوتوا ولم يهربوا من عذاب الله تعالى حتى يجزيهم بأعمالهم الخبيثة \* (وما كان لهم من دون الله من أولياء) \* يعني ما كان لهم من عذاب الله تعالى مانع يمنعهم من العذاب \* (يضاعف لهم العذاب) \* يعني الرؤساء يكون لهم العذاب بكفرهم وبما أضلوا غيرهم \* (ما كانوا يستطيعون السمع) \* يعني ما كانوا في العذاب \* (يستطيعون السمع) \* يعني لا يقدر أن يسمعوا \* (وما كانوا يبصرون) \* في النار شيئا

ويقال ذلك التضعيف لهم لأنهم كانوا لا يستطيعون الاستماع إلى محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا من بغضه \* (وما كانوا يبصرون) \* أي عميا لا ينظرون إليه من بغضه وقال الكلبي \* (يضاعف لهم العذاب) \* بما كانوا يستطيعون السمع والهدى وبما كانوا لا يبصرون الهدى ويقال ما كانوا يستطيعون السمع فلم يسمعوا وكانوا يستطيعون أن يبصروا فلم يبصروا ويقال \* (ما كانوا يستطيعون السمع) \* يعني لم يكن لهم سمع القلب \* (وما كانوا يبصرون) \* أي لم يكن لهم بصر القلب قرأ ابن كثير وابن عامر " يضاعف لهم " بتشديد العين بغير ألف وقرأ الباقون \* (يضاعف) \* بالألف ومعناها واحد

ثم بين أن ضرر ذلك يرجع إلى أنفسهم فقال تعالى \* (أولئك الذين خسروا أنفسهم) \* يعني غبنوا حظ أنفسهم \* (وضل عنهم ما كانوا يفترون) \* يعني وبطل عنهم ما كانوا يعملون ويعبدون من دون الله تعالى فات عنهم ولا ينفعهم شيئا ثم قال تعالى \* (لا جرم) \* قال الكلبي يعني حقا ويقال نعم ويقال \* (لا جرم) \*

يعني لا شك ويقال لا كذب ويقال \* (لا جرم) \* أي بلى وذكر عن الفراء أنه قال \* (لا جرم) \* كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة فكثير إستعمالهم إياها حتى صارت بمنزلة حقا \* (أنهم في الآخرة هم الأخسرون) \* يعني الخاسرين ويقال الأخسر إذا قلت بالألف واللام يكون بمعنى الخاسر وإذا قلت أخسر بغير الألف واللام يكون أخسر من غيره

ثم أخبر عن المؤمنين وما أعد لهم في الآخرة فقال \* (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) \* يعني صدقوا بوحداية الله تعالى \* (وعملوا الصالحات) \* يعني الطاعات فيما بينهم وبين ربهم \* (وأحبوا إلى ربهم) \* قال القتيبي يعني تواضعوا والإخبات التواضع وقال مقاتل \* (وأحبوا) \* يقول أخلصوا ويقال يخشعون فرقا من عذاب ربهم \* (أولئك أصحاب الجنة) \* يعني أهل الجنة \* (هم فيها خالدون) \* يعني دائمون لا يموتون ولا يخرجون منها

سورة هود ٢٤ - ٢٧

ثم ضرب مثل المؤمنين والكافرين فقال تعالى \* (مثل الفريقين) \* يعني مثل المؤمن والكافر مثل الذي يبصر الحق ومثل الذي لا يبصر الحق \* (كالأعمى) \* يعني عن الإيمان ولا يبصره \* (والأصم) \* عن الإيمان ولا يسمعه وهو الكافر \* (والبصير والسميع) \* وهو المؤمن \* (هل يستويان مثلا) \* في الشبه ويقال معناه مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع يعني الذي لا يسمع من الذي لا يسمع ولا يبصر هل يستوي بالذي يسمع ويبصر ويقال معناه كالأعمى والبصير والأصم والسميع وقال النبي صلى الله عليه وسلم لكفار مكة هل يستوي الأعمى والبصير والأصم والسميع قالوا لا قال \* (أفلا تذكرون) \* يعني أنهما لا يستويان قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم \* (أفلا تذكرون) \* بالتخفيف وقرأ الباقون \* (أفلا تذكرون) \* بالتشديد ثم قال تعالى \* (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنني لكم نذير مبين) \* قرأ نافع وعاصم وابن عامر \* (إنني لكم) \* بكسر الألف ومعناه قال لهم إنني لكم نذير وقرأ الباقون بالنصب ومعناه ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه بالإنذار وفي الآية تهديد لأهل مكة ومعناه واتل عليهم نبأ نوح يعني إن لم يتعظوا بما ذكرت فآتلت عليهم خبر نوح



وروى أبو صالح عن ابن عباس أن نوحا أوحى إليه وهو ابن أربعمائة وثمانون سنة فدعا قومه مائة وعشرين سنة وركب السفينة وهو ابن ستمائة سنة ومكث بعد هلاك قومه ثلاثمائة وخمسين سنة فذلك ألف سنة إلا خمسين عاما وذكر عن وهب بن منبه قال أوحى الله تعالى إلى نوح وهو ابن خمسين سنة ولبث فيما بينهم تسعمائة وخمسين سنة فلما هلك قومه عاش بعدهم خمسين سنة فتمام عمره ألف وخمسون سنة وقال عكرمة إنما سمي نوحا لأنه كان ينوح على أهله ونفسه ويقال كان اسمه شاكرا فمن كثرة نواحه على نفسه سمي نوحا فدعا قومه إلى الله تعالى وقال لهم \* (إني لكم نذير مبين) \* من العذاب ويقال \* (مبين) \* يعني بين بلغة تعرفونها \* (أن لا تعبدوا إلا الله) \* يعني ألا تطيعوا ولا توحّدوا إلا الله \* (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) \*

يعني الغرق

قال الله تعالى \* (فقال الملاء الذين كفروا من قومه) \* يعني الأشراف من قومه \* (ما نراك إلا بشرا مثلنا) \* يعني آدميا مثلنا \* (وما نراك اتبعك) \* يعني ما آمن بك \* (إلا الذين هم أراذلنا) \* يعني سفلتنا وضعفأؤنا \* (بادي الرأي) \* قال الكلبي ظاهر الرأي يعني إنهم يعرفون الظاهر فلا تمييز لهم وقال مقاتل يعني أراذلنا أي سفلتنا وضعفأؤنا وقال القتبي \* (أراذلنا) \* يعني شرارنا وهو جمع أرذل وقوله \* (بادي الرأي) \* بغير همز أي ظاهر الرأي من بدا يبدو وأما بالهمز فيعني أول الرأي من قولك بدأ يبدأ قرأ أبو عمرو " باديء الرأي " بالهمز وقرأ الباقون على ضد ذلك ثم قال \* (وما نرى لكم علينا من فضل) \* أي قوم نوح قالوا لنوح \* (ما نرى لكم علينا من فضل) \* في ملك ولا مال \* (بل نظنكم كاذبين) \* يعني نحسبكم من الكاذبين وقد يخاطب الواحد بلفظ الجماعة ويقال إنما أراد به نوحا ومن آمن معه

سورة هود ٢٨ - ٢٩

قوله تعالى \* (قال يا قوم) \* يعني قال نوح لقومه \* (أرايتم إن كنت على بينة من ربي) \* يعني أخبروني إن كنت على دين ويقين من ربي وبيان \* (وآتاني رحمة من عنده) \* يقول أكرمني بالرسالة والنبوة \* (فعميت عليكم) \* يعني عميت عليكم هذه البينة ويقال عميت عن ذلك يقال عمي عليه هذا إذا لم يفهم ويقال التبتت عليكم هذه النعمة وهذه البينة التي هي من الله تعالى فلم تبصروها ولم تعرفوها قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص \* (فعميت) \* بضم العين وتشديد الميم على معنى فعل ما لم يسم فاعله وقرأ الباقون

بنصب العين والتخفيف ومعناه واحد يعني فخفيت عليكم هذه النعمة والرحمة واتفقوا في سورة القصص \* (فعميت عليهم الأنباء) \* [القصص: ٦٦] بالنصب ثم قال \* (أنزلكموها وأنتم لها كارهون) \* يعني نعرفكموها وأنتم للنبوة كارهون قال قتادة أما والله لو استطاع نبي الله لألزمها قومه ولكن لم يملك ذلك ويقال أفأريكموها يعني أنفهمكموها \* (وأنتم لها كارهون) \* أي منكرون ويقال أنحملكموها أي معرفتها ويقال أنعلمكموها وأنتم تكذبونني ولا تناظرونني في ذلك ثم أخبرهم عن شفقتة وقلة طمعه في أموالهم فقال \* (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا) \* يعني لا أطلب منكم على الإيمان أجرا يعني رزقا ولا جعلاً \* (إن أجري إلا على الله) \* يعني ما ثوابي إلا على الله \* (وما أنا بطارد الذين آمنوا) \* لأنهم طلبوا منه أن يطرد من عنده من الفقراء والضعفاء فقال \* (أنهم ملاقو ربهم) \* فيجزئهم بأعمالهم ويقال \* (أنهم ملاقو ربهم) \* فيشكونني إلى الله تعالى إن لم أقبل منهم الإيمان وأطردهم \* (ولكني أراكم قوما تجهلون) \* ما أمرتكم به وما جئتكم به

سورة هود ٣٠ - ٣٥

ثم قال تعالى \* (ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم) \* يعني لو طردتهم فيعذبني الله بذلك فمن يمنعني من عذاب الله إن طردتهم عن مجلسي \* (أفلا تذكرون) \* أي أفلا تتعظون ولا تفهمون أن من آمن بالله لا يطرد ثم قال \* (ولا أقول لكم عندي خزائن الله) \* يعني مفاتيح الله في الرزق \* (ولا أعلم الغيب) \* أن الله يهديكم أم لا ويقال \* (ولا أعلم الغيب) \* يعني علم ما غاب عني \* (ولا أقول إنني ملك) \* من الملائكة \* (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) \* يعني تحتقر أعينكم من السفلة \* (لن يؤتيهم الله خيرا) \* يعني لا أقول إن الله تعالى لا يكرمهم بالإيمان ولا يهدي من هو حقير في أعينكم ولكن الله يهدي من يشاء

ثم قال \* (الله أعلم بما في أنفسهم) \* يعني بما في قلوبهم من التصديق والمعرفة \* (إني إذا لمن الظالمين) \* يعني إن طردتهم فلم أقبل منهم الإيمان بسبب إحتقاركم إياهم ما لم أعلم ما في قلوبهم كنت ظالما على نفسي فعجز قومه عن جوابه \* (قالوا يا نوح قد جادلتنا) \* قال مقاتل يعني ماريتنا \* (فأكثر جدالنا) \* يعني مرآنا وقال الكلبي دعوتنا فأكثر دعاءنا ويقال وعظتنا فأكثر موعظتنا \* (فأتنا بما تعدنا) \* يعني لا نقبل موعظتك فأتنا بما تعدنا من العذاب \* (إن كنت من الصادقين) \* بأن العذاب نازل بنا " قال " لهم نوح \* (إنما يأتيكم به الله إن شاء) \* إن شاء يعذبكم وإن شاء يصرفه عنكم \* (وما أنتم بمعجزين) \* يعني إن أراد أن يعذبكم لا تفوتون من عذابه ثم قال \* (ولا ينفعكم نصحي) \* يعني دعائي وتحذيري ونصيحتي \* (إن أردت أن أنصح لكم) \* يعني إن أردت أن أدعوكم من الشرك إلى التوحيد والتوبة والإيمان \* (إن كان الله يريد أن يغويكم) \* يعني لا تنفعكم دعوتي إن أراد الله أن يضلكم عن الهدى ويترككم على الضلالة ويهلككم \* (هو ربكم) \* يعني هو أولى بكم ويقال هو ربكم رب واحد ليس له شريك \* (وإليه ترجعون) \* يعني بعد الموت فيجزئكم بأعمالكم ثم قال تعالى \* (أم يقولون افتراه) \* قال مقاتل هذا الخطاب لأهل مكة معناه أتقولون إن محمداً تقوله من ذات نفسه \* (قل) \* لهم \* (إن افتريته) \* من ذات نفسي \* (فعلي إجرامي) \* يعني خطيئتي " وأنا بريء مما تجرمون " يعني من خطاياكم وقال الكلبي هذا الخطاب أيضا لقوم نوح يعني قوم نوح \* (أم يقولون افتراه) \* يعني إختلقه من ذات نفسه فقال لهم نوح \* (إن افتريته فعلي إجرامي) \* يعني آثامي " وأنا بريء مما تجرمون " يعني مما تأثمون

سورة هود ٣٦ - ٣٧

قوله تعالى \* (وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) \* قال الحسن إن نوحا عليه السلام لم يدع على قومه حتى نزلت هذه الآية \* (أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) \* فدعا عليهم عند ذلك \* (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) \* [نوح: ٢٦]

ثم قال تعالى \* (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) \* من الكفر وذلك أن نوحا ندم على دعائه وجعل يبكي ويتأسف عليهم فقال الله تعالى \* (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) \* يعني لا يحزنك إذا نزل بهم الغرق بما كانوا يفعلون من الكفر ثم قال تعالى \* (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا) \* يقول إعمل السفينة ويقال للواحد وللجماعة الفلك \* (بأعيننا) \* قال الكلبي يعني بمنظر منا \* (ووحينا) \* يعني بوحينا إليك

(١٤٨)

وقال مقاتل يعني بتعليمنا وأمرنا \* (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) \* يعني فلا تراجعني في قومك ولا تدعني بصرف هذا العذاب عنهم \* (إنهم مغرقون) \* بالطوفان ويقال \* (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) \* يعني ابنه كنعان

وقال عكرمة كان طول سفينة نوح ثلاثمائة ذراع وعمقها في الماء ثلاثون ذراعاً وعرضها خمسون ذراعاً وقال الحسن كان طول سفينة نوح ألف ومائتا ذراع وعمقها في الماء ثلاثون ذراعاً وعرضها ستمائة ذراع وقال ابن عباس كان طول سفينة نوح ثلاثمائة وطولها في الماء ثلاثون ذراعاً وعرضها خمسون ذراعاً وقال القتيبي قرأت في التوراة إن الله تعالى أوحى إلى نوح أن أصنع الفلك وليكن طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً وارتفاعها ثلاثون ذراعاً وليكن بابها في عرضها وادخل أنت في الفلك وإمرأتك وبنوك ونساء بنيك ومن كل زوجين من الحيوان ذكرانا وإناثا فإني منزل المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة فأتلّف كل شيء خلقته على الأرض فأرسل الله تعالى ماء الطوفان على الأرض في سنة ستمائة من عمر نوح عليه السلام ولبث في الماء مائة وخمسين يوماً وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة وروى عن وهب بن منبه أنه قال مكث نوح ينجر السفينة مائة سنة فلما فرغ من عملها أمره الله تعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين من كل حيوان فحمل فيها امرأته وبنيه ونساءهم فركب فيها لسبع عشرة ليلة خلت من صفر فمكث في الماء سبعة أشهر لم يقر لها قرار فأرسيّت على الجودي خمسة أشهر فأرسل الغراب لينظر كم بقي من الماء فمكث على جيفة فغضب عليه نوح ولعنه ثم أرسل الحمامة فوقعت في الماء فبلغ الماء قدر حمرة رجليها فجاءت فأرته فبارك عليها نوح

سورة هود ٣٨ - ٤٠

قوله تعالى \* (ويصنع الفلك) \* يعني ينحت السفينة ويقال إن الله تعالى أمره بأن يغرس الأشجار فغرسها حتى أدركت وقطعها حتى يبست ثم اتخذ منها السفينة فاستأجر أجراء ينحتون معه \* (وكلما مر عليه ملاً من قومه) \* يعني الأشراف من قومه \* (سخرّوا منه) \* يعني إستهزؤوا به وكانوا يقولون إن الذي يزعم أنه نبي صار نجاراً ومرة كانوا يقولون أتجعل

للماء إكافا فأين الماء " قال " لهم نوح \* (إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم) \* يعني إن تسخروا منا اليوم فإننا نسخر منكم بعد الهلاك يعني يصيبكم جزاء السخرية \* (كما تسخرون) \* منا يعني بما تسخرون ويقال إن تستجهلوا بنا بهذا الفعل فإننا نستجهلكم بترك الإيمان كما تستجهلوننا \* (فسوف تعلمون) \* يعني تعرفون بعد هذا من أحق بالسخرية وهذا وعيد لهم \* (فسوف تعلمون) \* يعني تعرفون \* (من يأتيه عذاب يخزيه) \* يعني يهلكه ويذله \* (ويحل عليه عذاب مقيم) \* يعني ينزل عليه عذاب دائم لا ينقطع عنه أبدا

قوله تعالى \* (حتى إذا جاء أمرنا) \* يعني قولنا بالعذاب ويقال حتما إذا جاء عذابنا وهو الغرق \* (وفار التنور) \* يعني نبع الماء من أسفل التنور وقال مقاتل التنور الذي يخبز فيه في أقصى ديار بالشام وقال ابن عباس \* (وفار التنور) \* يعني نبع الماء من وجه الأرض وقال علي بن أبي طالب \* (وفار التنور) \* يعني طلوع الفجر أي تنور الصبح يعني إذا طلع الفجر كان وقت الهلاك وروي عن علي رضي الله عنه أيضا أنه قال فار منه التنور وجرت منه السفينة إلى مسجد بالكوفة \* (قلنا احمل فيها) \* يعني في السفينة \* (من كل زوجين اثنين) \* يعني من كل صنفين \* (وأهلك) \* يعني واحمل أهلك فيها معك \* (إلا من سبق عليه القول) \* بالغرق يعني سوى من قدرت عليه الشقاوة والكفر فلا تحمله يعني امرأته الكافرة وابنه كنعان \* (ومن آمن) \* يعني واحمل في السفينة من آمن معك

قال الفقيه أخبرني الثقة بإسناده عن وهب بن منبه قال أمر نوح بأن يحمل من كل زوجين اثنين فقال رب كيف أصنع بالأسد والبقرة وكيف أصنع بالذئب والعناق وكيف أصنع بالحمام والهرة قال يا نوح من ألقى بينهم العداوة قال أنت يا رب قال فإني أولف بينهم حتى يتراضوا

قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا الماسرخسي قال حدثنا إسحاق قال حدثنا قبيصة بن عقبة قال حدثنا سفيان عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال كثر الفأر في السفينة حتى خافوا على حبال السفينة فأوحى الله تعالى إلى نوح أن إمسح عن جبهة الأسد فمسحها فعطس فخرج منها سنوران فأكلا الفئران وكثرت العذرة في السفينة فشكوا إلى نوح فأوحى الله تعالى إلى نوح إن إمسح ذنب الفيل فمسحه فخرج خنزير فأكل العذرة وفي خبر آخر فخرج منه خنزيران فأكلا العذرة قال الفقيه أبو الليث رحمه الله وفي خبر وهب بن منبه دليل أن الهرة كانت من قبل وفي هذا الخبر أن الهرة لم تكن من قبل والله أعلم بالصواب منهما وروي عن ابن عباس أنه قال لما فار الماء من التنور فأرسل الله تعالى من السماء مطرا

شديدا فأقبلت الوحوش حين أصابتها المطر إلى نوح وسخرت له فحمل في السفينة من كل طير زوجين ومن كل دابة زوجين ومن كل بهيمة زوجين ومن كل سبع زوجين يعني الذكر والأنثى فقال نوح رب هذه الحية والعقرب كيف أصنع بهما فبعث الله تعالى جبريل فقطع فقار العقرب وضرب فم الحية وكان نوح عليه السلام جعل للسفينة ثلاثة أبواب بعضها أسفل من بعض فجعل في الباب الأسفل السباع والهوام وجعل في الباب الأوسط البهائم والوحوش وجعل في الباب الأعلى بني آدم من ذكر منهم فذلك قوله تعالى \* (وما آمن معه إلا قليل) \* قال ابن عباس هم ثمانون إنسانا وقال الأعمش في قوله \* (وما آمن معه إلا قليل) \* قال كان نوح وثلاثة بنين ونساؤهم وقال مقاتل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة قرأ عاصم في رواية حفص \* (من كل) \* بالتنوين يعني من كل شيء ثم قال \* (زوجين) \* على وجه التفسير للكل وقرأ الباقون \* (من كل زوجين) \* بغير تنوين على معنى الإضافة

سورة هود ٤١ - ٤٢

قوله تعالى \* (وقال اركبوا فيها) \* يعني أدخلوا في السفينة ويقال إجهؤوا فيها من الغرق \* (بسم الله مجراها) \* يعني إذا ركبتموها فقولوا \* (بسم الله مجراها ومرساها) \* قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص " بسم الله مجريها " بنصب الميم وهكذا قرأ ابن مسعود والأعمش وقرأ الباقون بضم الميم واتفقوا في \* (مرساها) \* أنها بضم الميم إلا أن حمزة والكسائي قرأ بالإمالة فأما من قرأها بضم الميم فيكون بمعنى المصدر ومعناه يعني إجراؤها إرساؤها بأمر الله تعالى وهذا قول الفراء ويقال معناه بسم الله من حيث تجري وتحبس ومن قرأ بالنصب فمعناه بسم الله جريها وحبسها يعني بأمر الله تعالى \* (إن ربي لغفور رحيم) \* بالمؤمنين قوله تعالى \* (وهي تجري بهم في موج) \* يعني السفينة تجري بهم في أمواج \* (كالجبال ونادى نوح ابنه) \* كنعان وقرأ بعضهم " ونادى ابنها " يعني ابن امرأته ولم يكن ابنه حقيقة وقرأ بعضهم \* (ونادى نوح ابنه) \* بضم الألف وهي بلغة طيء ويقال إنه لم يكن ابنه ولكن كان ابن امرأته وقراءة العامة \* (ونادى نوح ابنه) \* قالوا \* (وكان) \* ابن نوح \* (في معزل) \* يعني في ناحية من السفينة ويقال من الجبل \* (يا بني اركب معنا) \* يعني أسلم واركب في السفينة معنا \* (ولا تكن مع الكافرين) \* يعني لا تثبت على الكفر وتتخلف مع الكافرين قرأ عاصم \* (يا بني اركب) \* بنصب الياء قرأ الباقون \* (يا بني اركب) \* بالكسر وقال أبو عبيدة

القراءة عندنا بالكسر للإضافة إلى نفسه كما اتفقوا في قوله " يا بني لا تقصص رءياك " [يوسف: ٥] وفي لقمان " يا بني إنها " [لقمان: ١٦] وإنما فرق عاصم فيهما لمكان يرى الألف الحقيقية التي في قوله \* (اركب) \*

سورة هود ٤٣ - ٤٤

\* (قال ساوي) \* يعني قال ابنه سأصعد \* (إلى جبل يعصمني من الماء) \* يعني يمنني من الغرق ولا أؤمن ولا أركب السفينة " قال " نوح \* (لا عاصم اليوم من أمر الله) \* يقول لا مانع اليوم من عذاب الله أي الغرق لا جبل ولا غيره \* (إلا من رحم) \* يعني إلا من آمن فعصمه تعالى

ثم قال \* (و حال بينهما الموج) \* يعني فرق بين كنعان وبين الجبل الموج وهذا قول الكلبي وقال مقاتل \* (و حال بينهما) \* يعني بين نوح وابنه الموج \* (فكان من المغرقين) \* يعني فصار من المغرقين

وروي عن ابن عباس أنه أمطرت السماء أربعين يوماً وخرج ماء الأرض أربعين يوماً الليل والنهار فذلك قوله تعالى \* (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر) \* [القمر: ١١ - ١٢] وارتفع الماء على كل جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً وروي عن الحسن أنه قال إرتفع الماء فوق كل جبل وكل شيء ثلاثين ذراعاً وسارت بهم السفينة فطافت بهم الأرض كلها في خمسة أشهر ما استقرت على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعاً ورفع البيت الذي بناه آدم إلى السماء السادسة وهو البيت المعمور وجعل الحجر الأسود على أبي قبيس ويقال أودع فيه ثم ذهبت السفينة في الأرض حتى انتهت بهم إلى الجودي وهو جبل بأرض الموصل فاستقرت عليه بعد خمسة أشهر

قال ابن عباس ركب نوح السفينة لعشر مضيئ من رجب وخرج منها يوم عاشوراء فذلك ستة أشهر فلما استقرت على الجودي كشف نوح الطبق الذي فيه الطير فبعث الغراب ليأتيه بالخبر فأبصر جيفة فوقه فإبطاً على نوح فلم يأتته ثم أرسل الحدأة على أثره فأبطأت عليه ثم أرسل بالحمامة فلم تجد في الأرض موضعاً فجاءت بورق الزيتون فعرف نوح أن الماء قد نقص فظهرت الأشجار ثم أرسلها فوقعت على الأرض فغابت رجلاها في الطين فجاءت إلى نوح فعرف أن الأرض قد ظهرت وذلك قوله تعالى \* (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) \* معناه ماءك الذي خرج منك \* (ويا سماء أقلعي) \* يعني إحبسي وأمسكي \* (وغيض الماء) \* يعني نقص الماء وظهرت الجبال والأرض \* (وقضي الأمر) \* يعني فرغ من الأمر



ومعناه نجا من نجا وهلك من هلك \* (واستوت على الجودي) \* يعني إستقرت السفينة على الجودي

وروي في الخبر أن الله تعالى أوحى إلى الجبال أني أنزل السفينة على جبل فتشامت الجبال وتواضع الجودي لله تعالى فأرست عليه السفينة وقال الحكيم خرج قوس قزح بعد الطوفان أمانا لأهل الأرض من الغرق أن يغرقوا جميعا \* (وقيل بعدا للقوم الظالمين) \* يعني سحقا ونكسا للقوم الكافرين وهو البعد من رحمة الله

سورة هود ٤٥ - ٤٧

قوله تعالى \* (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي) \* فإنك قد وعدتني أن تنجيهم من العذاب \* (وإن وعدك الحق) \* يعني أنت الصادق في وعدك \* (وأنت أحكم الحاكمين) \* يعني أعدل العادلين " قال " الله تعالى \* (يا نوح إنه ليس من أهلك) \* الذي وعدتك أن أنجيهم وروي عن الحسن أنه قال إنه تخلف لأنه لم يكن ابن نوح

وروي عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال كنت عند الحسن قال \* (ونادى نوح ابنه) \* فقال لعمر الله ما هو ابنه قلت يا أبا سعيد يقول الله تعالى \* (ونادى نوح ابنه) \* وأنت تقول هو ليس بابنه قال أفرأيت قوله \* (إنه ليس من أهلك) \* الذي وعدتك أن أنجيهم ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه قال إن أهل الكتاب يكذبون وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة أنه ابنه غير أنه خالفه في العمل وقال بعض الحكماء إن الابن إذا لم يفعل ما يفعل الأب انقطع عنه والأمة إذا لم يفعلوا ما فعل نبيهم أخاف أن ينقطعوا عنه

ثم قال \* (إنه عمل غير صالح) \* قرأ الكسائي \* (إنه عمل غير صالح) \* بكسر الميم ونصب الراء " وغير صالح " بنصب الراء وروت أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ هكذا ومعناه إن ابنك عمل عمل المشركين ولم يعمل عمل المؤمنين وقرأ الباقون \* (عمل غير) \* بالتنوين والضم \* (غير صالح) \* بضم الراء ومعناه إن سؤالك ودعاءك لابنك الكافر عمل غير صالح \* (فلا تسألن ما ليس لك به علم) \* يعني بيانا وقرأ أهل الكوفة \* (فلا تسألن) \* بتخفيف النون بغير ياء لأن الكسر يقوم مقام الياء وروي عن أبي عبيدة أنه قال رأيت في مصحف عثمان هكذا

وقرأ أبو عمرو \* (فلا تسألني) \* بإثبات الياء بغير تشديد وهو الأصل في اللغة وقرأ ابن كثير \* (فلا تسألن) \* بنصب النون والتشديد بغير ياء ويكون معناه التأكيد في النهي وقرأ ابن عامر ونافع في رواية قالون \* (فلا تسألن) \* بالكسر بغير ياء مع التشديد وقرأ نافع في رواية ورش \* (فلا تسألني) \* بالياء مع التشديد ثم قال \* (إني أعظك) \* أي أنهاك \* (أن تكون من الجاهلين) \* يعني ممن يترك أمري ويقال من المكذبين بقدره الله تعالى وقضائه " قال " نوح عليه السلام \* (رب إني أعوذ بك) \* يعني أعتصم وأمتنع بك \* (أن أسألك ما ليس لي به علم) \* يعني إحفظني بعد اليوم لكيلا أسألك ما ليس به علم \* (وإلا تغفر لي وترحمني) \* يعني إن لم تغفر لي ولم ترحمني \* (أكن من الخاسرين) \* أي أكن من المغبونين

سورة هود ٤٨

قوله تعالى \* (قيل يا نوح اهبط بسلام منا) \* يعني إنزل من السفينة مسلماً من عذابنا وغرقنا ويقال بسلامي عليك كما قال \* (سلام على نوح في العالمين) \* [الصفات: ٧٩] \* (وبركات) \* يعني وسعادات \* (عليك وعلى أمم ممن معك) \* يعني الذين كانوا معه في السفينة \* (وأمم سمنتهم) \* يعني من كان من أهل الشقاء سمنتهم في الدنيا \* (ثم يمسه) \* يعني يصيبهم \* (منا عذاب أليم) \* في الآخرة وقال مقاتل إهبط من السفينة بسلام منا فسلمه الله ومن معه من الغرق \* (وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) \* يعني بالبركة أنهم توالدوا وكثروا \* (وأمم سمنتهم) \* وهم قوم هود وشعيب ولوط

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله " إهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سمنتهم ثم يمسه منا عذاب أليم " قال دخل في السلام والبركة كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة ودخل في المتاع والعذاب كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة ويقال إنهم لما خرجوا من السفينة بنوا مدينة وسموها مدينة الثمانين ويقال ماتوا كلهم ولم يكن منهم نسل إلا من أولاد نوح عليه السلام وكان له ثلاثة بنين سام وحام ويافث سوى الذي غرق كما قال في موضع آخر \* (وجعلنا ذريته هم الباقين) \* [الصفات: ٧٧]

سورة هود ٤٩

قوله تعالى \* (تلك من أنباء الغيب) \* يعني ما سبق من ذكر نوح وقومه يعني من أخبار الغيب يعني أحاديث ما غاب عنك فكان في إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن قصته دلالة نبوته لأنه لا

يعرف ذلك إلا بالوحي \* (نوحيتها إليك) \* يعني أخبار الغيب ينزل بها عليك جبريل \*  
(ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) \* يعني القرآن \* (فاصبر) \* يعني إن لم  
يصدقوك فاصبر على تكذيبهم \* (إن العاقبة للمتقين) \* يعني آخر الأمر للموحدين الذين  
يتقون الشرك والفواحش

سورة هود ٥٠ - ٥٢

قوله تعالى \* (وإلى عاد) \* يعني أرسلنا إلى عاد \* (أخاهم) \* نبيهم \* (هودا قال يا قوم  
اعبدوا الله) \* يعني وحدوا الله \* (ما لكم من إله غيره) \* يعني ليس لكم رب سواه \*  
(إن أنتم إلا مفترون) \* يعني ما أنتم إلا تكذبون في مقالتم بأن لله شريكا  
قوله تعالى \* (يا قوم لا أسألكم عليه) \* أي لا أسألكم على الإيمان \* (أجرا) \* يعني  
جعلا ورشوة ومعناه لست بطامع في أموالكم \* (إن أجري) \* يعني ما ثوابي \* (إلا على  
الذي فطرني) \* يعني خلقتني \* (أفلا تعقلون) \* أن الذي خلقكم هو ربكم وهو أحق  
بعبادتكم من غيره

ثم قال \* (ويا قوم استغفروا ربكم) \* قال الضحاك يعني وحدوا ربكم وقال الكلبي  
يعني صلوا لربكم ويقال معناه قولوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا \* (ثم توبوا إليه) \* يعني توبوا  
إليه من شرككم \* (يرسل السماء عليكم مدرارا) \* يعني إن تبتم يغفر لكم ذنوبكم  
ويرسل عليكم المطر متتابعاً دائماً كلما تحتاجون إليه \* (ويزدكم قوة إلى قوتكم) \*  
يعني شدة مع شدتكم بالماء والولد ويقال صحة الجسم وطول العمر \* (ولا تتولوا  
مجرمين) \* يقول لا تعرضوا كافرين ويقال لا تعرضوا عما أدعوكم إليه من الإيمان  
والتوحيد وثبتوا على الشرك

سورة هود ٥٣ - ٥٦

قال له قومه \* (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) \* يقولون لم تأتنا بحجة وبيان \* (وما نحن  
بتاركي آلهتنا عن قولك) \* يقول لا نترك عبادة آلهتنا بقولك \* (وما نحن لك بمؤمنين)  
\* يعني لا

نصدقك بأنك رسول الله \* (إن نقول إلا اعتراك) \* يعني ما نقول إلا أصابك \* (بعض آلهتنا بسوء) \* يعني إعتراك من بعض الأوثان الخبل والجنون فاجتنبها سالما ويقال أن نقول لك إلا نصيحة كيلا يصيبك بعض آلهتنا بشدة فرد عليهم هود عليه السلام ف \* (قال إني أشهد الله واشهدوا) \* أنتم " أني بريء مما تشركون من دونه " من الأوثان \* (فكيدوني جميعا) \* يعني اعملوا بي أنتم وآلهتكم ما استطعتم واحتالوا في هلاكه \* (ثم لا تنظرون) \* أي لا تمهلون

ثم قال \* (إني توكلت على الله) \* يعني فوضت أمري إلى الله \* (ربي وربكم) \* يعني خالقي وخالقكم ورازقي ورازقكم \* (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) \* يعني هو قادر عليها يحييها ويميتها وهو يرزقها وهي في ملكة وسلطانه

ثم قال \* (إن ربي على صراط مستقيم) \* يعني على الحق فإن كان هو قادرا على كل شيء فإنه لا يشاء إلا العدل وقال مجاهد \* (إن ربي على صراط مستقيم) \* يعني على الحق ويقال \* (على صراط مستقيم) \* يعني بيده الهداية وهو يهدي إلى صراط مستقيم وهو دين الإسلام ويقال يدعوكم إلى طريق الإسلام ويقال معناه أمرني ربي أن أدعوكم إلى صراط مستقيم

سورة هود ٥٧

\* (فإن تولوا) \* يعني إن تولوا ومعناه إن عرضتم عن الإيمان فلم تؤمنوا وهذا كقوله \* (وإن تولوا يستبدل قوما غيركم) \* [محمد: ٣٨] ثم قال \* (فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم) \* يعني إن تولوا فأنا معذور لأنني قد أبلغتكم الرسالة \* (ويستخلف ربي قوما غيركم) \* إن شاء ويقال قد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم من التوحيد ونزول العذاب في الدنيا \* (ويستخلف ربي) \* بعد هلاككم \* (قوما غيركم) \* يعني خيرا منكم وأطوع لله تعالى \* (ولا تضرونه شيئا) \* يعني إن لم تؤمنوا به فلا تنقصون من ملكه شيئا ويقال إهلاككم لا ينقصه شيئا " إن ربي على كل شيء حفيظ " يعني حافظا لا يغيب عنه شيء ويقال معناه حفظ كل شيء عليه

سورة هود ٥٨ - ٦٠

ثم قال \* (ولما جاء أمرنا) \* يعني عذابنا وهو الريح العقيم \* (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا) \* يعني بنعمة منا \* (ونجيناهم من عذاب غليظ) \* يعني من العذاب الذي عذب به عاد في الدنيا ومما يعذبون به في الآخرة

قال تعالى \* (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم) \* يعني كذبوا بعذاب ربهم أنه غير نازل بهم ومعناه يا أهل مكة أنظروا إلى حالهم كيف عذبوا في الدنيا وفي الآخرة وهذا كقوله تعالى \* (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) \* [النمل: ٥٢] فكذلك ها هنا \* (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم) \* بين جرمهم ثم بين عقوبتهم فقال \* (وعصوا رسله) \* يعني عادا خاصة ويقال معناه كذبوا هودا بما أخبرهم عن الرسل وقيل إنما جمع لأن من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل \* (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) \* يعني عملوا بقول كل جبار ويقال أخذوا بدين كل جبار والجبار الذي يضرب ويقتل عند الغضب \* (عنيد) \* يعني معرضا ومجانبا عن الحق

ثم بين عقوبتهم فقال \* (واتبعوا) \* يعني ألحقوا \* (في هذه الدنيا لعنة) \* يعني العذاب والهلاك وهو الريح العقيم \* (ويوم القيامة) \* لعنة أخرى وهو عذاب النار إلى الأبد \* (ألا إن عادا كفروا ربهم) \* فهذا تنبيه للكفار أن عادا كفروا ربهم فأهلكهم الله تعالى فاحذروا كيلا يصيبكم بكفركم ما أصابهم بكفرهم ويقال \* (ألا إن عادا كفروا ربهم) \* يعني ينادي مناد يوم القيامة لإظهار حالهم \* (ألا إن عادا كفروا ربهم) \* وقال الضحاك ترفع لهم راية الغدر يوم القيامة فينادي مناد يوم القيامة هذه غدرة قوم عاد فيلعنهم الملائكة وجميع الخلق فذلك قوله تعالى \* (ألا بعدا) \* يعني خزيا وسحقا \* (لعاد قوم هود)

سورة هود ٦١ - ٦٣

قوله تعالى \* (وإلى ثمود أخاهم صالحا) \* يعني وأرسلنا إلى ثمود وإنما لم ينصرف لأنه اسم القبيلة وفي الموضع الذي ينصرف جعله اسما للقوم \* (قال يا قوم اعبدوا الله) \* أي وحدوا الله وأطيعوه \* (ما لكم من إله غيره) \* يعني ليس لكم رب غيره \* (هو أنشأكم) \* يعني هو الذي خلقكم \* (من الأرض) \* يعني خلق آدم من أديم الأرض وأنتم ولده \* (واستعمركم فيها) \* يعني أسكنكم وأنزلكم فيها وأصله أعمركم يقال أعمرته الدار إذا جعلتها له أبدا

وهي العمرى وقال مجاهد \* (واستعمركم) \* يعني أطلال عمركم فيها (فاستغفروه ثم توبوا إليه) يعني توبوا من شرككم \* (إن ربي قريب مجيب) \* يعني قريبا ممن دعاه مجيبا بالإجابة لمن دعاه من أهل طاعته

قوله تعالى \* (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) \* يعني كنا نرجو أن ترجع إلى ديننا قبل أن تدعونا إلى دين غير دين آبائنا \* (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإنما لفي شك مما تدعونا إليه مريب) \* يعني يربينا أمرك ودعاؤك إيانا إلى هذا الدين ومعناه إنا مريبون في أمرك

" قال " لهم صالح \* (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي) \* يقول أخبروني إن كنت على بيان وحجة ودين أتاني من ربي \* (وأتاني منه رحمة) \* يقول أكرمني الله تعالى بالإسلام والنبوة أيجوز لي أن أترك أمره ولا أدعوكم إلى الله وإلى دينه \* (فمن ينصرنى من الله إن عصيته) \* يقول فمن يمنعني من عذاب الله إن رجعت إلى دينكم وتركت دين الله تعالى \* (فما تزيدونني غير تخسير) \* يقول ما تزيدونني في مقاتلتكم إلا بصيرة في خسارتكم ويقال معناه فما تزيدونني غير تكذيب لأن التكذيب سبب لخسارتهم ويقال معناه فما تزيدونني إن تركت ما أوجب الله علي من الدعوة غير تخسير لأن العذاب إذا نزل بي لا تقدرين على منعه عني

سورة هود ٦٤ - ٦٨

ثم قال تعالى \* (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) \* وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن صالحا لما دعا قومه إلى الإسلام كذبوه فضاق صدره فسأل ربه أن يأذن له بالخروج من عندهم فإذن له فخرج وانتهى إلى ساحل البحر فإذا رجل يمشي على الماء فقال له صالح ويحك من أنت فقال أنا من عباد الله قال كنت في سفينة كان قومها كفرة غيري فأهلكهم الله تعالى ونجاني منهم فخرجت إلى جزيرة أتعبد هناك فأخرج أحيانا وأطلب شيئا من رزق الله تعالى ثم أرجع إلى مكاني فمضى صالح وانتهى إلى تل عظيم فرأى رجلا يتعبد هناك فأنتهى إليه وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له صالح من أنت قال كانت ها هنا قرية كان أهلها كفارا غيري

فأهلكهم الله تعالى ونجاني منهم فجعلت على نفسي أن أعبد الله تعالى ها هنا إلى أن أموت وقد أنبت الله تعالى لي شجرة رمان وأظهر لي عين ماء فأكل من الرمان وأشرب من ماء العين وأتوضأ منه

فذهب صالح وانتهى إلى قرية كان أهلها كفارا كلهم غير أخوين مسلمين يعملان عمل الخوص فضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً قال لو أن مؤمناً دخل قرية فيها ألف رجل كلهم كفار وفيها مؤمن واحد فلا يسكن قلبه مع أحد حتى يجد المؤمن ولو أن منافقاً دخل قرية فيها ألف رجل مؤمن ومنافق واحد فلا يسكن قلب المنافق مع أحد ما لم يجد المنافق

فدخل صالح فأنتهى إلى الأخوين ومكث عندهما أياماً وسألهما عن حالهما فأخبراه أنهما يصبران على إيذاء المشركين وأنهما يعملان عمل الخوص ويمسكان قوتهما ويتصدقان بالفضل فقال صالح الحمد لله الذي أراني في الأرض من عباده الصالحين الذين صبروا على أذى الكفار فأنا أرجع إلى قومي وأصبر على أذاهم فرجع إليهم وقد كانوا خرجوا إلى عيد لهم فدعاهم إلى الإيمان فسألوا منه أن يخرج لهم ناقة من الصخرة فدعا الله تعالى فأخرج لهم ناقة عشراء فذلك قوله \* (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) \* أي علامة وعبرة \* (فذروها تأكل في أرض الله) \* يعني في أرض الحجر \* (ولا تمسوها بسوء) \* يعني لا تعقروها \* (فياخذكم) \* يعني يصيبكم \* (عذاب قريب) \*

فولدت الناقة ولدا وكانت لهم بئر واحدة عذبة قال ابن عباس كان للناقة شرب يوم لا يقربونها ولهم شرب يوم وهي لا تحضره وكانوا يستقون الماء في يومهم ما يكفيهم للغد فيقتسمونه فيما بينهم فإذا كان يوم شربها كانت ترتع في الوادي ثم تجيء إلى البئر فتبرك فتدلي رأسها في البئر فتشرب منها ثم تعود فترعى ثم تعود إلى البئر فتشرب منها فتفعل ذلك نهارها كله

وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون منهم قذار بن سالف ومصدع بن دهر وكانت في تلك القرية امرأة جميلة غنية وكانت تتأذى بالناقة لأجل سائمتها فقالت من عقر الناقة أزوج نفسي منه فخرج قذار بن سالف ومصدع بن دهر وكمن لها مصدع في مضيق من ممرها ورمها بسهم فأصاب رجلها فمرت بقذار وهي تجر رجلها فضربها بالسيف فعقرها وقسموا لحمها على جميع أهل القرية وكان في القرية تسعمائة أهل بيت ويقال ألف وخمسمائة فذلك قوله \* (فعقروها فقال) \* لهم صالح \* (تمتعوا في داركم) \* يعني عيشوا وانتفعوا في داركم \* (ثلاثة أيام) \* ثم يأتيكم العذاب \* (ذلك وعد غير مكذوب) \* فقالوا له ما العلامة في ذلك قال أن تصبحوا في اليوم الأول وجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة ثم خرج صالح من بينهم

قوله تعالى \* (فلما جاء أمرنا) \* يعني عذابنا \* (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة

\* (منا)

(١٥٩)



يعني بنعمة منا \* (ومن خزي يومئذ) \* يعني من عذاب يومئذ قرأ نافع والكسائي \*  
(ومن خزي يومئذ) \* بنصب الميم لأنها إضافة إلى اسم غير متمكن فيجوز النصب وقرأ  
الباقون \* (يومئذ) \* بكسر الميم على معنى الإضافة \* (إن ربك هو القوي العزيز) \*  
أخبر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم أنه قادر في أخذه المنيع ممن عصاه  
ثم قال تعالى \* (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) \* يعني كفروا صيحة جبريل صاح صيحة  
فماتوا كلهم \* (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) \* يعني صاروا خامدين ميتين \* (كأن لم  
يغنوا فيها) \* يعني صاروا كأن لم يكونوا في الدنيا ويقال كأن لم ينزلوا في ديارهم ولم  
يكونوا

" ألا إن ثمودا كفروا ربهم " يعني جحدوا وحادانية ربهم فهذا تنبيه وتخويف لمن  
بعدهم \* (ألا بعدا لثمود) \* يعني خزيا وسحقا لثمود في الهلاك قرأ الكسائي \* (ألا  
بعدا لثمود) \* بكسر الدال مع التنوين وجعله اسما للقوم فلذلك جعله منصرفا وقرأ  
الباقون بنصب الدال لأنه اسم القبيلة وإنما يجري في قوله " إلا إن ثمودا " اتباعا للكتابة  
في مصحف الإمام وأما الكسائي فأجراه لقربه من قوله " إلا إن ثمودا كفروا ربهم " أي  
جحدوا بوحدانية ربهم

سورة هود ٦٩ - ٧٣

قوله تعالى \* (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) \* يعني ببشارة الولد وذلك أن مدينة  
يقال لها سدوما ويقال سدوم وكانت بلدة فيها من السعة والخير ما لم يكن في سائر  
البلدان وكان الغرباء يحضرون من سائر البلدان في أيام الصيف ويجمعون من فضل  
ثمارهم مما كان خارجا من الكروم والحدائق فجاء إبليس عليه اللعنة فشبه نفسه بسلام  
أمرد وجعل يدخل كرومهم وحدائقهم ويروادهم إلى نفسه حتى أظهر فيهم الفاحشة  
وجاء إلى نسائهم وقال إن الرجال قد إستغنوا عنكم فعلمهن أن يستغنين عن الرجال  
حتى إستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فأوحى الله تعالى إلى لوط ليدعوهم إلى  
الإيمان ويمتنعوا عن الفواحش فلم يمتنعوا فبعث الله جبريل ومعه أحد عشر من  
الملائكة بإهلاكهم فجاءوا إلى إبراهيم كهيئة الغلمان فدخلوا على إبراهيم فنظر فرأى  
اثني عشر غلاما أمرد ويقال كانوا

ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل ويقال كانوا أربعة فسلموا عليه \* (قالوا سلاما قال) \* إبراهيم \* (سلام) \* يعني رد عليهم السلام

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر \* (قالوا سلاما قال سلام) \* كلاهما سلام إلا أن الأول صار نصبا لوقوع الفعل عليه والآخر رفعا بالحكاية ومعناه قال قولا فيه سلام وقرأ حمزة والكسائي " قالوا سلاما قال سلم " بكسر السين وسكون اللام يعني أمري سلم ما أريد إلا السلامة \* (فما لبث) \* يعني فما مكث \* (أن جاء بعجل حنيد) \* قال السدي الحنيد السمين كما قال في آية أخرى \* (بعجل سمين) \*

[الذاريات: ٢٦] ويقال \* (حنيد) \* يعني نضيج ويقال المشوي الذي يقطر منه الودك وقال أهل اللغة بأجمعهم الحنيد المشوي بغير تنور وهو أن يتخذ له في الأرض حنذا فيلقى فيه قال مقاتل إنما جائهم بعجل لأنه كان أكثر ماله البقر فلما قربه إليهم ووضع بين أيديهم كفوا ولم يأكلوا ولم يتناولوا منه

قوله \* (فلما رأى) \* إبراهيم \* (أيديهم لا تصل إليه) \* يعني إلى الطعام ولم يمدوا أيديهم إلى الطعام \* (نكرهم) \* يقول أنكرهم \* (وأوجس منهم خيفة) \* يعني وأضمر منهم خوفا حيث لم يأكلوا من طعامه وظن أنهم لصوص وذلك أنه في ذلك الزمان إذا لم يأكل أحد من طعام إنسان يخاف عليه غائلته \* (قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط) \* بهلاكهم وقال السدي لما لم يأكلوا من الطعام قال لهم إبراهيم عليه السلام ما لكم لا تأكلون طعامي قالوا إنا قوم لا نأكل طعاما إلا بثمن فقال إبراهيم إن لطعامي ثمنا فأصيبوا منه قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله عليه في أوله وتحمدونه في آخره فقال جبريل لميكائيل حق لهذا أن يتخذه الله خليلا

قوله تعالى \* (وامراته قائمة فضحكت) \* وفي الآية تقديم يعني بشرناها بإسحاق فضحكت سرورا ويقال ضحكت تعجبا من خوف إبراهيم ورعدته في حشمه وخدمه ولم يخف ولم يرتعد من نمرود الجبار حين قذفه في النار وهذا قول القتيبي وقال عكرمة في قوله \* (فضحكت) \* يعني حاضت يقال ضحكت الأرنب إذا حاضت وغيره من المفسرين جعلها الضحك بعينه وكذلك هو في التوراة قرأت فيها أنها حين بشرت بالغلام ضحكت في نفسها وقالت من بعد ما بليت أعود شابة وقال قتادة ضحكت من أمر القوم وغفلتهم وجبريل جاءهم بالعذاب يعني قوم لوط \* (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) \* قال الشعبي الورا ولد الولد وروى حبيب بن أبي ثابت أن رجلا دخل على ابن عباس ومعه ابن ابنه فقال له من هذا فقال ابن ابني فقال ابنك من وراء فوجد الرجل في نفسه فقرا ابن عباس \* (ومن وراء إسحاق يعقوب) \* وقال مقاتل يعني ومن بعد حدثنا إسحاق

يعقوب وقال أبو عبيدة الورا ولد الولد



وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم في رواية حفص \* (يعقوب) \* بنصب الباء وقرأ الباقون بالضم فمن قرأ بالضم فهو على معنى الابتداء يعني ويكون من وراء إسحاق يعقوب ومن قرأ بالنصب فهو عطف على قوله \* (بإسحاق) \* فيكون في موضع خفض إلا أنه لا ينصرف

" وقالت يا ويلتا ألد وأنا عجوز " يعني عقيما لم ألد قط وقد كبرت في السن \* (وهذا بعلي شيخا) \* قال الكلبي كانت سارة ابنة ثمان وتسعين سنة وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة أكبر منها بسنة وقال الضحاك كان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة وسارة بنت تسع وتسعين سنة " إن هذا لشيء عجيب " أي لأمر عجيب \* (قالوا أتعجبين من أمر الله) \* يعني من قدرة الله \* (رحمة الله وبركاته عليكم) \* يعني نعمته وسعادته عليكم \* (أهل البيت) \* يعني يا أهل البيت ويقال \* (أتعجبين) \* أي ألا تعلمين أن رحمة لله وبركاته عليكم أن يستخرج الأنبياء كلهم من هذا البيت وقال السدي أخذ جبريل عودا من الأرض يابسا فدلكه بين أصبعيه فإذا هو شجرة تهتز فعرفت أنه من الله تعالى ثم قال \* (إنه حميد) \* في فعاله ويقال حميد لأعمالكم \* (مجيد) \* يعني شريفا سورة هود ٧٤ - ٧٦

قوله تعالى \* (فلما ذهب عن إبراهيم الروح) \* يعني الفزع من الرسل \* (وجاءته البشرى) \* بالولد \* (يجادلنا في قوم لوط) \* يعني يخاصم ويتشفع في قوم لوط وكان لوط ابن أخيه وهو لوط بن هازر بن آزر وإبراهيم بن آزر ويقال ابن عمه وسارة كانت أخت لوط فلما سمعا بهلاك قوم لوط إغتما لأجل لوط وروى معمر عن قتادة في قوله \* (يجادلنا في قوم لوط) \* قال لهم أرأيتم لو كان فيهم من المسلمين خمسون أتعدبونهم قالوا لا نعذبهم قال أربعون قالوا ولا أربعون قال ثلاثون قالوا ولا ثلاثون حتى بلغوا عشرة قال مقاتل فما زال ينقص خمسة خمسة حتى إنتهى إلى خمسة أبيات يعني لو كان فيها خمسة أبيات من المسلمين لم يعذبهم ثم قال \* (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) \* الأواه الذي إذا ذكر الله تعالى تأوه \* (منيب) \* أي راجع إليه بالتوبة

وقد ذكرناه في سورة التوبة ثم قال جبريل \* (يا إبراهيم أعرض عن هذا) \* يعني أترك جدالك \* (إنه قد جاء أمر ربك) \* أي عذاب ربك \* (وإنهم آتيهم عذاب غير مردود) \* يعني غير مصروف عنهم

ثم خرجوا من عند إبراهيم متوجهين إلى قوم لوط فانتهوا إليهم نصف النهار فإذا هم

بجواري يستقين من الماء فأبصرتهم ابنة الوط وهي تستقي الماء فقالت لهم ما شأنكم ومن أين أقبلتم وأين تريدون قالوا أقبلنا من مكان كذا ونريد مكان كذا فأخبرتهم عن حال أهل المدينة وحبثهم فأظهروا الغم وقالوا هل أحد يضيفنا قالت ليس فيها أحد يضيفكم إلا ذلك الشيخ فأشارت إلى أبيها لوط وهو على بابه فأتوا لوطا فلا رآهم وهيئتهم ساءه ذلك فذلك قوله تعالى

سورة هود ٧٧ - ٨٣

قوله تعالى " ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم " يقول ساءه مجيئهم " وضاق بهم ذرعا " يعني صدره إغتماما ومخافة عليهم لا يدري أي أمرهم بالرجوع أم بالنزول " وقال هذا يوم عصيب " يعني شديد ثم قال لامرأته ويحك قومي واخبري ولا تعلمي أحدا وكانت امرأته كافرة منافقة فانطلقت تطلب بعض حاجاتها وجعلت لا تدخل على أحد إلا أعلمته وتقول إن عندنا قوما من هيئتهم كذا وكذا فلما علموا بذلك جاؤوا إلى باب لوط عليه السلام فذلك قوله تعالى " وجاءه قومه يهرعون إليه " يعني يسرعون إليه وهو مشيء بين المشيتين ويقال يدفعون إليه دفعا ويقال يشتدون إليه شدا " ومن قبل كانوا يعملون السيئات " يعني من قبل أن يبعث إليهم لوط ويقال من قبل إتيان الرسل كانوا يعملون الفواحش وهي اللواط والكفر فلما أرادوا الدخول " قال " لهم لوط " يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم " أي أحل لكم من ذلك وكان لوط يناظرهم ويقول هن أطهر لكم وكان جبريل مع أحد عشر من الملائكة وكسروا الباب فضرب أعينهم قال الضحاك " هؤلاء بناتي " عرض عليهم بنات قومه وقال قتادة أمرهم لوط أن يتزوجوا النساء وقال " هن أطهر لكم " ولم يعرض عليهم بناته وروى سفيان عن ليث عن مجاهد قال لم يكن بناته ولكن كن من أمته وكل نبي هو أب أمته وروى عن ابن مسعود أنه كان يقرأ \* (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) \* [الأحزاب: ٦] وهو أب لهم وهي قراءة أبي بن

كعب وهكذا قال سعيد بن جبير إنه أراد بنات أمته ويقال إن رؤساءهم كانوا خطبوا بناته وكان يابى فقال لهم إني أزوجهم بناتي هن أطهر لكم من الحرام وكان النكاح بين الكافر والمسلم جائزا

ثم قال تعالى " فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي " يقول لا تفضحوني في أضيافي " أليس منكم رجل رشيد " يعني مرشدا صالحا يزجركم عن هذا الأمر ويقال رجل عاقل ويقال رجل على الحق يستحي مني " قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق " يعني من حاجة يقولون ما لنا في النساء من حاجة " وإنك لتعلم ما نريد " إنما نريد الأضياف ف " قال " لوط " لو أن لي بكم قوة " يعني منعة بالولد " أو آوي إلى ركن شديد " أي أرجع إلى عشيرة كبيرة يعني لو كانت لي عشيرة ومنعة لمنعتكم مما تريدون وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال رحم الله أخي لوطا لقد أوى إلى ركن شديد يعني إن الله تعالى ناصره وروى عكرمة عن ابن عباس قال ما بعث الله نبيا بعد لوط إلا في منعة في قومه وعز ويقال لما أرادوا الدخول وضع جبريل يده على الباب فلم يقدروا على فتحه فكسروا الباب ودخلوا فامتألت داره فمسح جبريل جناحه على وجوههم فذهبت أعينهم كما قال في آية أخرى \* (فطمسنا أعينهم) \* [القمر: ٣٧] فرجعوا وقالوا يا لوط جئت بالسحرة حتى طمسوا أعيننا والله لنهلكك غدا فلما سمع لوط تهديدهم إياه ساءه صنيع القوم وخاف فلما رأى جبريل ما دخله " قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك " يعني لن يقدرُوا أن يصنعوا بك شيئا " فأسر بأهلك " يعني سر وأدلىج بأهلك " بقطع من الليل " قال الكلبي القطع من الليل آخر السحر وقد بقيت منه قطعة وقال السدي سألت أعرابيا عن قوله " بقطع من الليل " قال ربع الليل " ولا يلتفت منكم أحد " يعني لا يتخلف منكم أحد " إلا امرأتك إنه مصيبتها " من العذاب \* (ما أصابهم) \*

قرأ ابن كثير ونافع " فاسر " بجزم الألف وقرأ الباقون " فأسر " بقطع الألف ومعناها واحد يقال سررت وأسريت إذا سرت بالليل وقرأ ابن كثير وأبو عمرو " إلا امرأتك " بضم التاء وقرأ الباقون بالنصب فمن قرأ بالنصب انصرف إلى الإسراء يعني أسر بأهلك إلا امرأتك على معنى الاستثناء وفي قراءة ابن مسعود فاسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ومن قرأ بالضم فهو ظاهر يعني أنها تتخلف مع الهالكين وقال لوط لجبريل عليه السلام إن أبواب المدينة قد أغلقت فجمع لوط أهله وابنتيه ريثا وزغورا فحمل جبريل لوطا وابنتيه وماله على جناحه إلى مدينة زغر وهي إحدى مدائن لوط

وهي خمس مدائن وهي على أربعة فراسخ من سدوما ولم يكونوا على مثل عملهم فقال له جبريل " إن موعدهم الصبح " يعني وقت هلاكهم وقت الصبح فقال لوط يا جبريل الآن عجل هلاكهم فقال له جبريل " أليس الصبح بقريب " فلما كان وقت الصبح أدخل جبريل جناحه تحت أرض المدائن الأربعة فاقتلعها من الماء الأسود ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديك ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فأقبلت تهوي من السماء إلى الأرض فذلك قوله " فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة "

قال وهب بن منبه لما رفعت إلى السماء أمطر الله عليهم حجارة الكبريت والنار ثم قلبت وقال مقاتل أمطر على أهلها من كان خارجا من المدائن الأربعة حجارة " من سجيل " يعني من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر " منضود " يعني متتابعا بعضه على أثر بعض وقال مجاهد " سجيل " بالفارسية سنج وجك كقوله \* (لنرسل عليهم حجارة من طين) \* [الذاريات: ٣٣] وروي عن ابن عباس في بعض الروايات قال سنك وكل وقال أبو عبيدة السجيل الشديد " منضود " أي ملتزق بالحجارة \* (مسومة) \* قال الفراء مخططة بالحمرة والسواد وقال أبو عبيدة \* (مسومة) \* أي معلمة ويقال مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يصيبه ويقال مختمة وقال وكيع رفع إلي حجر من تلك الحجارة المختمة بطرسوس

ثم قال " وما هي من الظالمين ببعيد " يعني من قوم لوط عليه السلام ويقال هذا تهديد لأهل مكة وغيرهم من المشركين فقال " وما هي من الظالمين ببعيد " لكيلا يعملوا مثل عملهم ويقال ما هن من الظالمين ببعيد قريات لوط ليست ببعيدة من أهل مكة فأمرهم بأن يعتبروا بها وقال الزجاج " سجيل " يعني ما كتب لهم أن يعذبوا به ويقال " سجيل " من سجلته يعني أرسلته ومعناه حجارة مرسله عليهم ويقال كثيرة شديدة

سورة هود ٨٤ - ٨٦

قوله تعالى \* (وإلى مدين أخاهم) \* يعني وأرسلنا إلى مدين أخاهم \* (شعبيا قال يا قوم اعبدوا الله) \* يعني وحدوا الله وأطيعوه \* (ما لكم من إله غيره) \* يعني ليس لكم رب سواه " ولا تنقصوا المكيال والميزان " في البيع والشراء " إني أراكم بخير " يعني بسعة في المال والنعمة " وأني أخاف عليكم عذاب يوم محيظ " يعني إن لم ترجعوا عن نقصان المكيال

والميزان تزول عنكم النعمة والسعة ويصيبكم القحط والشدة وعذاب الآخرة وقال مجاهد " إني أراكم بخير " يعني برخص السعر " ويا قوم أوفوا المكيال والميزان " يعني أتموا الكيل والوزن \* (بالقسط) \* يقول بالعدل \* (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) \* يعني لا تنقصوا الناس حقوقهم \* (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) \* يعني لا تسعوا في الأرض بالفساد والمعاصي ونقصان الكيل والوزن وقال سعيد بن المسيب إذا أتيت أرضا يوفون المكيال والميزان فأطل المقام بها وإذا أتيت أرضا ينقصون المكيال والميزان فأقل المقام بها وقال عكرمة أشهد أن كل كيل ووزن في النار قيل له فمن وفى الكيل والوزن قال ليس رجل في المدينة يكيل كما يكتال ولا يزن كما يوزن والله تعالى يقول \* (ويل للمطففين) \* [المطففين: ١] ثم قال " بقية الله خير لكم " قال ابن عباس ما أبقي الله لكم من الحلال خير لكم من الحرام \* (إن كنتم مؤمنين) \* يعني مصدقين فصدقوني فيما أقول لكم ويقال ثواب الله خير لكم في الآخرة وقال مجاهد " بقية الله خير لكم " يعني طاعة الله \* (إن كنتم مؤمنين) \* خير لكم ويقال ثواب الله خير لكم في الآخرة \* (وما أنا عليكم بحفيظ) \*

يعني رقيبا ووكيلا وإنما علي البلاغ

سورة هود ٨٧ - ٨٩

قوله " قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك " يعني قال له قومه قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص " أصلاتك " بلفظ الوجدان يعني أقرأتك ويقال أدعاؤك يأمرك وقرأ الباقون " أصلواتك " بلفظ الجماعة يعني أكثره صلواتك تأمرك " أن نترك ما يعبد آباؤنا " وكان شعيب كثير الصلاة " أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء " من نقصان الكيل والوزن " إنك لأنت الحلیم الرشید " يعني السفیه الضال استهزاء منهم به " قال " شعيب \* (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي) \* يعني على دين وطاعة وبيان وأتاني رحمة من ربي " ورزقني منه رزقا حسنا " يعني بعثني بالرسالة فهداني لدينه ووسع علي من رزقه وقال الزجاج جواب الشرط ها هنا متروك والمعنى إن كنت على بينة من ربي أتبع الضلال فترك الجواب لعلم المخاطبين بالمعنى



ثم قال " وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه " يعني لا أنهاكم عن شيء وأعمل ذلك العمل من نقصان الكيل والوزن ويقال ومعناه أختار لكم ما أختار لنفسي نصيحة لكم وشفقة عليكم " إن أريد إلا الإصلاح " يقول ما أريد إلا العدل \* (ما استطعت) \*  
يعني ما قدرت يعني لا أترك جهدي في بيان ما فيه مصلحة لكم  
ثم قال " وما توفيتي إلا بالله " يعني وما تركي هذه الأشياء ودعوتي لكم " إلا بالله " أي إلا بتوفيق الله وبأمره \* (عليه توكلت) \* يعني وثقت به " وإليه أنيب " أقبل إليه وأدعو الله بالطاعة

ثم قال " ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي " يعني لا يحملنكم بغضي وعداوتي أن لا تتوبوا إلى ربكم \* (أن يصيبكم) \* يعني يقع بكم العذاب " مثل ما أصاب قوم نوح " يعني مثل عذاب قوم نوح بالغرق " أو قوم هود " بالريح " أو قوم صالح " بالصيحة فإن طال عهدكم بهم فاعتبروا بمن أقرب منكم وهم قوم لوط فقال " وما قوم لوط منكم ببعيد " يعني كان هلاكهم قريبا منكم ولا يخفى عليكم أمرهم  
سورة هود ٩٠ - ٩١

قوله تعالى " واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه " يعني وتوبوا إلى الله " إن ربي رحيم " بعباده " ودود " يعني يتودد إلى أوليائه بالمغفرة ويقال محب لأهل طاعته  
قوله تعالى " قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول " يعني لا نعقل ما تدعوننا إليه من التوحيد ومن وفاء الكيل والوزن يعنون إنك تدعوننا إلى شيء خلاف ما كنا عليه وخلاف ما كان عليه آبائنا " وإنا لنراك فينا ضعيفا " يعني ومع ذلك أنت ضعيف العين عنا وقال مقاتل يعني ذليلا لا قوة لك ولا حيلة وقال الكلبي يعني ضرير البصر ويقال إنه ذهب بصره من كثرة بكائه من خشية الله تعالى ويقال وحيدا لم يوافقك من عظمائنا أحد " ولولا رهطك لرجمناك " يعني لولا عشيرتك لقتلناك لأنهم كانوا يقتلون رجما وقال القنبي أصل الرجم الرمي كقوله تعالى \* (وجعلناها رجوما للشياطين) \* [الملك: ٥] ثم قد يستعار ويوضع موضع الشتم إذ الشتم رمي كقوله \* (لئن لم تنته لأرجمنك) \* [مريم: ٤٦] يعني لأشتمنك ويوضع موضع الظن كقوله \* (رجمنا بالغيب) \*  
[الكهف: ٢٢] أي ظنا

والرجم أيضا الطرد واللعن وقيل للشيطان رجم لأنه طريد يرحم بالكواكب وقد يوضع الرجم موضع القتل لأنهم كانوا يقتلون بالرجم ولأن ابن آدم قتل أخاه بالحجارة فلما كان أول القتل رجما سمي القتل رجما وإن لم يكن القتل بالحجارة

ثم قالوا " وما أنت علينا بعزیز " یعنی بکریم ویقال بعظیم أي لا خطر لك عندنا لولا حرمة عشیرتك ویقال ما قتلك علینا بشدید

سورة هود ۹۲ - ۹۳

ثم قال " لهم شعيب علیه السلام " یا قوم أرهطي أعز علیکم من الله " یعنی حرمة قرابتي أعظم عندکم من حرمة الله تعالی ویقال خوفکم من عقوبة قرابتي أكبر عندکم من خوف الله ویقال عشیرتي أعظم علیکم من کتاب الله تعالی ومن أمره " واتخذتموه وراءکم ظهريا " یقول ترکتم أمر الله خلف ظهورکم وتعظمون أمر رهطي وتتركون تعظیم الله تعالی ولا تخافونه وهذا قول الفراء وقال الزجاج معناه اتخذتم أمر الله " وراءکم ظهريا " أي نبذتموه وراء ظهورکم والعرب تقول لكل من لا یعبأ بأمره قد جعل فلان هذا الأمر بظهره وقال الأخفش " وراءکم ظهريا " یقول لم تلتفتوا إليه " إن ربي بما تعملون محیط " یعنی عالما بأعمالکم من نقصان الكیل والوزن وغيره والإحاطة إدراك الشيء بکماله

ثم قال تعالی " ویا قوم اعملوا علی مکانتکم " یعنی اعملوا فی هلاکي وفي أمری \* (إني عامل) \* فی أمرکم ومکانتکم والمکانة والمکان بمعنی واحد ثم قال \* (سوف تعلمون) \* وهذا وعید لهم ستعلمون من هو کاذب ویقال \* (من یأتیه عذاب یخزيه) \* یعنی یهلكه ویهينه " ومن هو کاذب " یعنی ستعلمون من هو کاذب ویقال معناه من یأتیه عذاب یخزيه ویخزي أمره من هو کاذب علی الله بأن معه شریکا " وارتقبوا " یعنی انتظروا بی العذاب " إني معکم رقیب " یعنی منتظر بکم العذاب فی الدنيا

سورة هود ۹۴ - ۹۵

قوله تعالی \* (ولما جاء أمرنا) \* یعنی عذابنا وذلك أنه أصابهم حر شدید فخرجوا إلى غیضة لهم فدخلوا فیها فظهرت لهم سحابة کهیئة الظلة فأحدقت بالأشجار وأشعلت فیها النار وصاح فیهم جبریل صیحة فماتوا کلهم كما قال فی آية أخرى \* (فأخذهم عذاب يوم الظلة) \* [الشعراء: ۱۸۹] وذلك قوله \* (ولما جاء أمرنا) \* یعنی عذابنا " نجینا شعبیا والذین آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذین ظلموا الصیحة " یعنی صیحة جبریل \* (فأصبحوا فی ديارهم جائمین) \* یعنی صاروا فی مواضعهم میتین لا یتحرکون

قوله تعالى \* (كأن لم يغنوا فيها) \* يعني كأن لم يعمرُوا ولم يكونوا فيها " ألا بعدا لمدين " يعني بعدوا من رحمة الله " كما بعدت ثمود " من رحمته وروى أبو صالح عن ابن عباس قال لم تعذب أمتان بعذاب واحد إلا قوم شعيب بن ذؤيب وصالح بن كاثوا صاح بهم جبريل فأهلكهم  
سورة هود ٩٦ - ٩٩

قوله تعالى " ولقد أرسلنا موسى بآياتنا " التسع " وسلطان مبين " يعني حجة بينة \* (إلى فرعون وملئه) \* يعني قومه " فاتبعوا أمر فرعون " يعني أطاعوا قول فرعون وقومه وطاعتهم حين قال \* (ما أريكم إلا ما أرى) \* [غافر: ٢٩] فأطاعوه في ذلك حين قال لهم \* (ما علمت لكم من إله غيري) \* [القصص: ٣٨] فأطاعوه وتركوا أمر موسى عليه السلام قال الله تعالى " وما أمر فرعون برشيد " يعني ما قول فرعون بصواب

قوله تعالى " يقدم قومه يوم القيامة " يقول يتقدم أمام قومه يوم القيامة وهم خلفه كما كانوا يتبعونه في الدنيا ويقودهم إلى النار " فأوردهم النار " يقول أدخلهم النار " وبئس الورد المورود " يقول بئس المدخل المدخول يعني بئس المصير الذي صاروا إليه  
قوله تعالى " وأتبعوا في هذه لعنة " يعني جعل عليهم اللعنة في الدنيا وهو الغرق \* (ويوم القيامة) \* لعنة أخرى وهي النار " بئس الرfid المرفود " يعني اللعنة على أثر اللعنة ومعناه بئس الغرق وزفرة النار ترادفت عليهم اللعنتان لعنة الدنيا الغرق ولعنة الآخرة النار وقال القنبي " بئس الرfid المرفود " يعني بئس العطاء المعطى يقال رfidته أي أعطيته وقال الزجاج كل شيء جعلته عوناً لشيء وأسندت به شيئاً فقد رfidته وقال قتادة في قوله " يقدم قومه " يعني يمضي بين أيديهم حتى يهجم بهم على النار وفي قوله " بئس الرfid المرفود " قال وزيدوا بها اللعنة في الآخرة على اللعنة في الدنيا  
سورة هود ١٠٠ - ١٠١

قوله تعالى " ذلك من أنباء القرى " يعني هذا الذي وصفت لك وقصصت عليك من أخبار الأمم والقرون الماضية " نقصه عليك " يعني ينزل جبريل ليقرأ عليك ليكون فيها دليل نبوتك " منها قائم وحصيد " يعني من تلك القرى قائم ومنها ما هو حصيد والقائم

يعني الظاهر ينظر إليه الناظر والحصيد يعني خرب وهلك أصحابه ويقال القائم على بنيانه والحصيد ما خرب وقال قتادة " منها قائم " يعني خاوية على عروشها " وحصيد " يعني مستأصلة وقال الضحاك " منها قائم " يعني مدينة عاد هلكوا وبقيت مساكنهم " وحصيد " يعني مدائن قوم لوط حصدت أي قلعت من الأرض السفلى ثم قال تعالى " وما ظلمناهم " يعني لم نعذبهم بغير ذنب " ولكن ظلموا أنفسهم " يعني أضروا بأنفسهم حيث أكلوا رزق الله وعبدوا غيره وكذبوا رسله " فما أغنت عنهم آلهتهم " يعني ما نفعتهم عبادة آلهتهم " التي يدعون من دون الله من شيء " إنما سماهم آلهة على وجه المجاز يعني آلهتهم بزعمهم ولم يكونوا آلهة في الحقيقة ومعناه أصنامهم لا تقدر أن تمنعهم من عذاب الله من شيء " لما جاء أمر ربك " يعني حين جاء عذاب ربك وقال القتبي إذا رأيت للما جوابا بمعنى حين كقوله تعالى \* (فلما آسفونا انتقمنا منهم) \* [الزخرف: ٥٥] يعني حين أغضبونا وكقوله " لما جاء أمر ربك " يعني حين جاء أمر ربك يعني عذاب ربك " وما زادوهم غير تنبيب " يعني غير تخسير كقوله \* (تبت يدا أبي لهب) \* [المسد: ١] أي خسرت

سورة هود ١٠٢ - ١٠٧

قوله تعالى " وكذلك أخذ ربك " يعني هكذا عقوبة ربك " إذا أخذ القرى " يعني إذا عاقب القرى " وهي ظالمة " يعني أهلها كفار جاحدون بوحداية الله تعالى قرأ عاصم الجحدري \* (إذا أخذ) \* بألف واحدة لأن إذ تستعمل للماضي وإذا تستعمل للمستقبل وهذه حكاية عن الماضي يعني حين أخذ ربك القرى وهي قراءة شاذة وقراءة العامة \* (إذا أخذ) \* بألفين ومعناه هكذا أخذ ربك متى أخذ القرى ثم قال " إن أخذه أليم شديد " يعني عقوبته مؤلمة شديدة وروى أبو موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته

ثم قرأ " وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة " الآية  
ثم قال \* (إن في ذلك لآية) \* يعني في الذي أخبرتك عن الأمم الخالية لعبرة " لمن  
خاف عذاب الآخرة " ويقال في عذابهم موعظة وعبرة بالغة لمن آمن بالله واليوم الآخر  
ويقال فيه عبرة لمن أيقن بالنار وأقر بالبعث " ذلك يوم مجموع له الناس " يعني  
مجموع فيه الناس يعني يجمع فيه الأولون والآخرون " وذلك يوم مشهود " يشهده أهل  
السموات وأهل الأرض

قوله تعالى " وما تؤخره إلا لأجل معدود " يعني إلى حين معلوم ويقال لانقضاء أيام  
الدنيا ومعناه أنا قادر على إقامتها الآن ولكن أؤخرها إلى وقت معدود \* (يوم يأت) \*  
يعني إذا جاء يوم القيامة ويقال \* (يوم يأت) \* ذلك اليوم " لا تكلم نفس إلا بإذنه "  
يعني لا تتكلم نفس بالشفاعة إلا بأمره ويقال معناه لا يجترىء أحد أن يتكلم من هيئته  
وسلطانه بالاحتجاج وإقامة العذر إلا بإذنه

قرأ عاصم وابن عامر وحمزة \* (يوم يأت) \* بغير ياء في الوصل والقطع وقرأ الباقون  
بالياء عند الوصل قال أبو عبيدة القراءة عندنا على حذف الياء في الوصل والوقف قال  
ورأيت في مصحف الإمام عثمان \* (يوم يأت) \* بغير ياء وهي لغة هذيل قال وروي  
عن عثمان أنه عرض عليه المصحف فوجد فيه حروفا من اللحن فقال لو كان الكاتب  
من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف فكأنه قدم هذيلاً في الفصاحة  
ثم قال تعالى " فمنهم شقي وسعيد " يعني يوم القيامة من الناس " شقي " يعني يعذب  
في النار " وسعيد " يعني مكرم في الجنة

قوله تعالى " فأما الذين شقوا " يعني كتب عليهم الشقاوة " ففي النار لهم فيها زفير  
وشهيق " قال الربيع بن أنس الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وروي عن ابن عباس  
أنه قال زفير كزفير الحمار وهو أول ما ينهق الحمار والشهيق وهو أول ما يفرغ من  
نهيقه في آخره ويقال زفير وشهيق معناه أنينا وصراخا \* (خالدين فيها) \* يعني مقيمين  
دائمين في النار " ما دامت السماوات والأرض " يعني سماء الجنة وأرضها " إلا ما شاء  
ربك " يعني إلا من أخرجهم منها وهم الموحدون

وقال الكلبي ومقاتل " خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض " يعني كما تدوم  
السماوات والأرض لأهل الدنيا فكذلك يدوم الأشقياء في النار " إلا ما شاء ربك " أي  
يخرجون من النار وقال الضحاك يعني سماء القيامة وأرضها وهما باقيتان ويقال العرب  
كانت من عاداتهم أنهم إذا ذكروا الأبد يقولون ما دامت السماوات والأرض فذكر  
على عاداتهم على ما يتعاهدون ويتفاهمون ومعناه أنهم خالدون فيها أبداً ثم قال " إن  
ربك فعال لما يريد " إن شاء أدخل النار خالداً وإن شاء أخرجهم إن كان موحداً وأدخله  
الجنة

(17)

سورة هود ١٠٨ - ١٠٩

قوله تعالى " وأما الذين سعدوا " قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص " سعدوا " بضم السين وقرأ الباقون بنصب السين فمن قرأ بالنصب فمعناه الذين إستوجبوا السعادة في الجنة ومن قرأ بالضم فمعناه وأما الذين سعدوا أي قدر عليهم السعادة وخلقوا للسعادة " ففي الجنة خالدون فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك " أن يحبس في المحشر وعلى الصراط ويقال الذين شقوا يعني الكفار والذين سعدوا المؤمنين ومعناه الكفار في النار إلا ما شاء الله أن يسلموا والمؤمنون في الجنة إلا ما شاء الله أن يرجعوا عن الإسلام ويقال " إلا ما شاء ربك " يعني قد شاء ربك ثم قال " عطاء غير مجذوذ " يعني رزقا غير منقطع عنهم ولا ينقص من ثمارهم ولا من نعمتهم

ثم قال تعالى \* (فلا تك في مرية) \* يعني في شك " مما يعبد هؤلاء " إن الله تعالى يعاقبهم بذلك " ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل " يعني لا يرغبون في التوحيد كما لم يرغب آباؤهم من قبل الذين هلكوا " وأنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص " يعني نوف لهم ولآبائهم حظهم من العذاب غير منقوص عنهم وهو قول مقاتل وقال سعيد بن جبير معنى نصيبهم من الكتاب الذي كتب في اللوح المحفوظ من السعادة والشقاوة وقال مجاهد " وإنا لموفوهم نصيبهم " يعني ما قدر لهم من خير أو شر

سورة هود ١١٠ - ١١٢

قوله تعالى \* (ولقد آتينا موسى الكتاب) \* يعني أعطينا موسى التوراة " فاختلف فيه " يعني آمن به بعضهم وكفر به بعضهم وهذا تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يصبر على تكذيبهم كما صبر موسى على تكذيبهم

ثم قال \* (ولولا كلمة سبقت من ربك) \* يعني وجب قول ربك بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم \* (لقضي بينهم) \* يعني لجاءهم العذاب ولفرغ من هلاكهم " وإنهم لفي شك منه " يعني من القرآن \* (مريب) \* يعني ظاهر الشك

قوله تعالى " وإن كلا " قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر " وإن كلا " بحزم

النون وقرأ الباقون بالنصب والتشديد فمن قرأ بالجزم يكون معناه وما كل إلا ليوفينهم كقوله \* (وإن كل لما جميع) \* [يس: ٣٢] يعني ما كل جميع ومن قرأ بالتشديد يكون إن لتأكيد الكلام وقرأ حمزة وابن عامر وعاصم في رواية حفص \* (لما) \* بتشديد الميم وقرأ الباقون بالتخفيف فمن قرأ بالتخفيف يكون لما لصلة الكلام ومعناه وإن كلا ليوفينهم فتكون ما صلة كقولهم عما قليل يعني عن قليل ومن قرأ بالتشديد يكون بمعنى إلا يعني وإن كلا إلا ليوفينهم كقوله " إن كل نفس لما عليها حافظ [الطارق: ٤] فمن قرأ بالتشديد كذلك الآية يكون معناه إلا عليها حافظ ومعنى الآية إن كلا الفريقين " ليوفينهم ربك \* (ثواب) \* أعمالهم " بالخير خيرا وبالشر شرا " إنه بما يعملون خبير " من الخير والشر قوله تعالى " فاستقم كما أمرت " يعني استقم على التوحيد والطاعة كما أمرت " ومن تاب معك " أيضا يستقيموا على التوحيد " ولا تطغوا " أي لا تعصوا الله في التوحيد وطاعته " إنه بما تعملون " من الخير والشر " بصير " قال الفقيه حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا أبو حفص عن سعيد عن قتادة في قوله تعالى " فاستقم كما أمرت " أي إمض على ما أمرت قال إن الله تعالى أمر بالإستقامة على التوحيد وأن لا يطغى في نعمته وقال القتيبي " فاستقم كما أمرت " يعني إمض على ما أمرت به إن الله أمر بأن يمضى ما أمر به

سورة هود ١١٣ - ١١٥

قوله تعالى " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار " قال قتادة ولا ترجعوا إلى الشرك فتمسكم النار يعني تصيبكم النار وقال أبو العالية ولا ترضوا بأعمال أهل البدع والركون هو الرضا ويقال ولا تميلوا إلى دين الذين كفروا ويقال ولا ترضوا قول الذين ظلموا وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وعن عبد الله بن مسعود أنه قال اعتبروا الناس بأخذانهم ثم قال تعالى " وما لكم من دون الله من أولياء " يعني حين تمسكم النار لم يكن لكم من عذاب الله " من أولياء " يعني من أقرباء ينفعونكم " ثم لا تنصرون " يعني لا تمنعون من العذاب



قوله تعالى " وأقم الصلاة " يعني واستقم كما أمرت " وأقم الصلاة " أي أتم الصلاة " طرفي النهار " أي صلاة الفجر والظهر والعصر " وزلفا من الليل " يعني دخولا من الليل ساعة بعد ساعة واحدها زلفة وهي صلاة المغرب والعشاء " إن الحسنات يذهبن السيئات " يعن الصلوات الخمس يكفرن السيئات فيما دون الكبائر " ذلك ذكرى للذاكرين " يعني الصلوات الخمس توبة للتائبين

قال الكلبي نزلت الآية في عمرو بن غزية الأنصاري ويقال نزلت في شأن أبي اليسر كان يبيع التمر فجاءته امرأة تشتري تمرا فأدخلها في الحانوت وفعل بها كل شيء إلا الجماع ثم ندم فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ويقال نزلت في شأن أبي مقبل التمار وروي عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنني لقيت امرأة في البستان فضممتها إلي وقبلتها وفعلت بها كل شيء غير أنني لم أجامعها فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل وقرأها عليه فقال عمر أله خاصة أم للناس كافة قال بل للناس كافة

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد قال قال عن أبي عثمان قال كنت مع سلمان فأخذ غصنا من شجرة يابسة فحته ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى تحات خطاياها كما تحات هذا الورق ثم قرأ هذه الآية " وأقم الصلاة طرفي النهار " إلى آخرها

ثم قال تعالى \* (واصبر) \* نفسك يا محمد على التوحيد ولا تركز إلى الظلمة \* (واصبر) \* على ما أصابك ويقال \* (واصبر) \* أي أقم على هذه الصلوات الخمس حتى لا تترك منها شيئا " فإن الله لا يضيع أجر المحسنين " يعني ثواب الموحدين المخلصين ويقال المقيمين على الصلوات

سورة هود ١١٦ - ١١٧

قوله تعالى \* (فلولا كان) \* يعني فهلا كان " من القرون من قبلكم أولو بقية " يعني ذوو بقية من آمن وقال مقاتل يعني فلم يكن من القرون من قبلكم " أولو بقية " يعني ذوو بقية من دين " ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم " وهم الذين ينهون عن الفساد في الأرض وقال القتيبي فهلا كان أولو بقية من دين يقال قوم لهم بقية إذا كان فيهم خير قال القتيبي إذا رأيت فلولا بغير جواب يريد به هلا كقوله \* (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) \* [الأنعام: ٤٣] \* (فلولا كانت قرية آمنت) \* [يونس: ٩٨]

وقال بعض المفسرين جعل لولا هلا ها هنا وفي سورة يونس بمعنى لم وقال الزجاج " أولو بقية " معناه أولو تمييز ويجوز أولو طاعة وفضل ومعنى بقية إذا قلت في فلان بقية معناه فيه فضل فيما يمدح به " إلا قليلا ممن أنجينا منهم " استثناء منقطع والمعنى لكن قليلا ممن أنجينا ممن ينهى عن الفساد وروى سيف بن سليمان المكي بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الخاصة والعامة ثم قال " واتبع الذين ظلموا " يقول اشتغل الذين كفروا " ما أترفوا فيه " يقول ما أنعموا وأعطوا من المال ويقال إرتكنوا على ما حولوا في الدنيا واشتغلوا عما سواها من أمر الآخرة ويقال " واتبع الذين ظلموا " يعني السفلة " ما أترفوا في " يعني من أترفوا وهم القادة والرؤساء وقال الفراء اتبعوا في دنياهم ما عودوا من النعيم وإيثار الدنيا على الآخرة " وكانوا مجرمين " يعني مشركين

قوله " وما كان ربك ليهلك القرى بظلم " يقول لم يكن ربك ليعذب أهل قرية \* (بظلم) \* يعني بغير جرم " وأهلها مصلحون " يعني موحدين مطيعين وروى عن ابن عباس أنه قال ما أهلك الله قوما إلا بعملهم ولم يهلكهم بالشرك يعني لم يهلكهم بشركهم وهم مصلحون لا يظلم بعضهم بعضا لأن مكافأة الشرك النار لا دونها وإنما أهلكهم الله بمعاصيهم زيادة على شركهم مثل قوم صالح بعقر الناقة وقوم لوط بالأفعال الخبيثة وقوم شعيب بنقصان الكيل والوزن وقوم فرعون بإيذائهم موسى وبني إسرائيل ويقال " وما كان ربك ليهلك القرى بظلم " يعني وفيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وقال لم يكن ليهلكهم وهم يتعاطون الحق فيما بينهم وإن كانوا مجرمين

سورة هود ١١٨ - ١٢٠

قوله تعالى " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة " يقول لجميع الناس على ملة واحدة وأكرمهم بدين الإسلام كلهم ولكن علم أنهم ليسوا بأهل لذلك " ولا يزالون مختلفين " يعني أهل الباطل في الدين " إلا من رحم ربك " يعني عصم ربك من الاختلاف وقال عطاء ولا يزالون مختلفين يعني اليهود والنصارى والمجوس " إلا من رحم ربك " بالحنيفية " ولذلك خلقهم " يعني الحنيفية خلقهم للرحمة وقال الحسن " لذلك خلقهم " يقول للاختلاف هؤلاء لجنته وهؤلاء لناره

وقال ابن عباس " ولذلك خلقهم " يعني فريقين فريقاً يرحم ولا يختلف وفريقاً لا يرحم ويختلف ويقال " ولذلك خلقهم " يعني للأمر والنهي بدليل قوله تعالى \* (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) \* [الذاريات: ٥٦] يعني للأمر والنهي وقال الضحاك وللرحمة خلقهم وقال مقاتل وللرحمة خلقهم وهو الإسلام وروى حماد بن سلمة عن الكلبي قال خلقهم أهل الرحمة أن لا يختلفوا وقال قتادة " ولذلك خلقهم " للرحمة والعبادة " ولا يزالون مختلفين " يقول لا يزال أهل الأديان مختلفين في دين الإسلام ثم استثنى بعضاً وقال " إلا من رحم ربك " وهم المؤمنون أهل الحق \* (وتمت كلمة ربك) \* يقول سبق ووجب قول ربك للمختلفين " لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين " فهذا لام القسم فكأنه أقسم أن يملأ جهنم من كفار الجنة والناس أجمعين قوله تعالى " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل " يعني نزل عليك من أخبار الرسل " ما ثبت به فؤادك " يقول ما نشدد به قلبك ونحفظه ونعلم أن الذي فعل بك قد فعل بالأنبياء قبلك " وجاءك في هذه الحق " قال قتادة أي في الدنيا وقال ابن عباس يعني في هذه السورة وروى سعيد بن عامر عن عوف عن أبي رجاء قال خطبنا ابن عباس على منبر البصرة فقرأ سورة هود وفسرها فلما أتى على هذه الآية " وجاءك في هذه الحق " قال في هذه السورة وقال سعيد بن جبير وأبو العالية ومجاهد مثله وهكذا قال مقاتل عن الفراء ثم قال \* (وموعظة) \* يعني تأدبة لهذه الأمة \* (وذكرى) \* يعني عظة وعبرة \* (للمؤمنين) \* يعني للمصدقين بتوحيد الله تعالى

سورة هود ١٢١ - ١٢٣

قال الله تعالى " وقل للذين لا يؤمنون " يعني لا يصدقون بتوحيد الله تعالى " واعملوا على مكانتكم " يعني على منازلكم على إهلاكهم " إنا عاملون " في أمركم يقال " وانتظروا " بهلاكي \* (إنا منتظرون) \* بكم العذاب والهلاك فهذا تهديد لهم ثم قال تعالى " ولله غيب السماوات والأرض " يعني غيب نزول العذاب متى ينزل

بكم ويقال سر أهل السماوات وسر أهل الأرض " وإليه يرجع الأمر كله " يعني عواقب الأمور كلها ترجع إليه يوم القيامة " فاعبده " يقول أطعه واستقم على التوحيد " وتوكل عليه " يقول فوض إليه جميع أمورك " وما ربك بغافل عما تعملون " يعني بما يفعل الكفار قرأ نافع وعاصم في رواية حفص " وإليه يرجع الأمر كله " بضم الياء ونصب الجيم على معنى فعل ما لم يسم فاعله وقرأ الباقون بنصب الياء وكسر الجيم فيكون الفعل للأمر وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص \* (عما تعملون) \* بالتاء على وجه المخاطبة وقرأ الباقون بالياء على وجه المغايبه وروي عن كعب الأحبار أنه قال خاتمة السورة هذه الآية " ولله غيب السماوات والأرض " إلى آخر السورة وصلى الله على سيدنا محمد

سورة يوسف مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

سورة يوسف ١ - ٢

قوله تعالى \* (الر تلك) \* وذلك أن اليهود والنصارى قالوا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سلوا صاحبكم ما كان سبب انتقال يعقوب وأولاده من كنعان إلى مصر ومبدأ أمرهم فنزل \* (الر) \* يقول أنا الله أرى وأسمع سؤالهم إياك يا محمد عن هذه القصة ويقال \* (الر) \* أنا الله أرى صنيع إخوة يوسف ومعاملتهم معه ويقال أنا الله أرى ما يرى الخلق وما لا يرى \* (تلك آيات الكتاب) \* يعني حججه وبراهينه ويقال هذه الآيات التي وعدتكم في التوراة أن أنزلها على محمد صلى الله عليه وسلم وعدهم بأن ينزل عليه كتابا في كثير من أوائل سورة حروف الهجاء \* (المبين) \* يعني مبين حاله وحرامه ويقال بين فيه خبر يوسف وإخوته وروى معمر عن قتادة قال بين الله رشده وهداه

قوله تعالى \* (إنا أنزلناه قرآنا عربيا) \* يقول إنا أنزلنا جبريل ليقرأ على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن بلسان العرب \* (لعلكم تعقلون) \* يعني لعلكم تفهمون ما فيه

سورة يوسف ٣ - ٤

ثم قال تعالى \* (نحن نقص عليك أحسن القصص) \* وذلك أن المسلمين قالوا لسلمان أخبرنا عن التوراة فإن فيها العجائب فأنزل الله تعالى \* (نحن نقص عليك أحسن القصص) \* في هذا القرآن ويقال لا يصح هذا لأن سلمان أسلم بالمدينة وهذه السورة مكية ولكن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تمنوا نزول سورة عليهم لا يكون فيها أمر ونهي وأحكام وحدود فنزلت هذه السورة ويقال كانت اليهود تفاخروا بأن لهم قصة يوسف مذكورة في التوراة فنزلت هذه السورة أفصح من لغة اليهود فذهب إفتخارهم على المسلمين فقال تعالى \* (نحن نقص عليك أحسن القصص) \* سماه الله في ابتدائه أحسن القصص وفي آخره عبرة فقال " لقد كان في

قصصهم عبرة لأولي الألباب) [يوسف: ١١١] ويقال ينزل عليك جبريل بأحكام الخبر \* (بما أوحينا إليك) \* يقول بالذي أوحينا إليك \* (هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) \* عن خبر يوسف لم تعلمه قوله تعالى \* (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت) \* أي نقص عليك \* (إذ قال يوسف لأبيه) \* ويقال معناه واذكر \* (إذ قال يوسف لأبيه) \* قرأ ابن عامر \* (يا أبت) \* بنصب التاء في جميع القرآن لأن أصلها يا أبتاه وقرأ الباقون بالكسر لأجل الإضافة \* (إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) \* يعني رأيت في المنام أحد عشر كوكبا نزلت من السماء والشمس والقمر نزلا من السماء يسجدون لي وروي عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال الكواكب إخوته والشمس والقمر أبواه وقال معمر قال بعض أهل العلم أبوه وخالته وفي رواية الكلبي قال رؤياه كانت ليلة القدر في ليلة جمعة

#### سورة يوسف ٥ - ٦

قال تعالى \* (قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك) \* فلما قصها على أبيه إنتهره وزجره وقال ليوسف في السر إذا رأيت رؤيا بعد هذا فلا تقصها على إخوتك فذلك قوله تعالى \* (فيكيدوا لك كيذا) \* يعني يعملوا بك عملا ويحتالوا بك حيلة في هلاكك فإن قيل قوله \* (رأيتهم) \* هذا اللفظ يستعمل في العقلاء ولا يستعمل في غير العقلاء يقال رأيتها ورأيتهن فكيف قال ها هنا \* (رأيتهم) \* قيل له لأنه حكى عنها الفعل الذي يكون من العقلاء وهي السجدة فذكر باللفظ الذي يوصف به العقلاء \* (إن الشيطان للإنسان عدو مبين) \* ظاهر العداوة قرأ أبو جعفر القارئ المدني \* (أحد عشر) \* بجزم الدال وقراءة العامة \* (أحد عشر) \* بالنصب قال أبو عبيدة هكذا تقرأها لأنها أعرف اللغتين والناس عليها

ثم قال \* (وكذلك يجتبيك ربك) \* يقول يصطفيك ويختارك بالنبوة ويقال بالحسن والجمال والمحبة في القلوب \* (ويعلمك من تأويل الأحاديث) \* يعني من تعبير الرؤيا ويقال هي الكتب المنزلة ويقال عواقب الأمور يعني يفهمك ويعلمك \* (من تأويل الأحاديث) \* حتى تكون عالما بعواقبها \* (ويتم نعمته عليك) \* يعني يثبتك على الإسلام ويقال بالنبوة والإسلام \* (وعلى آل يعقوب) \* يعني إخوة يوسف \* (كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق) \* وأكرمهما بالنبوة وثبتهما على الإسلام

قال الزجاج وقد فسر له يعقوب الرؤيا فالتأويل أنه لما قال يوسف \* (إني رأيت أحد عشر كوكبا) \* تأول لأحد عشر نفسا لهم فضل وأنهم يستضاء بهم لأن الكواكب لا شيء أضوء منها وتأول الشمس والقمر أبويه فالقمر الأب والشمس الأم والكواكب إخوته فتأول ليوسف أنه يكون نبيا وأن إخوته يكونون أنبياء لأنه أعلمه أن الله تعالى يتم نعمته عليه وعلى إخوته كما أتمها على أبويه إبراهيم وإسحاق ويقال \* (كما أتمها على أبويك) \* حين رأى إبراهيم في المنام أنه يذبح ابنه فأمره الله تعالى أن يفديه وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يجعل الجد أبا ثم يقرأ هذه الآية \* (كما أتمها على أبويك) \* ثم قال \* (إن ربك عليم حكيم) \* يعني \* (عليم) \* بما صنع به إخوته \* (حكيم) \* بما حكم من إتمام النعمة عليه

سورة يوسف ٧ - ٩

قوله تعالى \* (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) \* قرأ ابن كثير آية بلفظ الوجدان وهكذا قرأ مجاهد يعني فيه علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الباقر بلفظ الجماعة \* (آيات) \* وهذا موافق لمصحف الإمام عثمان حكى أبو عبيدة أنه رأى في مصحف الإمام هكذا ومعنى الآية أن في خبر يوسف وإخوته عبرة وموعظة لمن سأل عن أمرهم

قال ابن عباس وذلك أن حبرا من أحبار اليهود دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وكان قارئاً للتوراة فوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة يوسف كما أنزلت في التوراة فقال له الحبر يا محمد من علمكها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله علمنيها فرجع الحبر إلى اليهود فقال لهم أتعلمون والله إن محمداً يقرأ في القرآن سورة يوسف كما أنزلت في التوراة فانطلق بنفر منهم حتى جاؤوا ودخلوا عليه فجعلوا يستمعون إلى قراءته ويتعجبون فقالوا يا محمد من علمكها قال الله علمنيها فنزلت \* (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) \*

قال الشيخ وكان بدء أمرهم أن يعقوب عليه السلام كان مع خاله وكان لخاله ابنتان إحداهما يقال لها لايا ويقال لاوى وهي أكبرهما والأخرى راحيل وهي أصغرهما فخطب يعقوب إلى خاله بأن يزوجه إحداهما فقال له هل لك مال قال لا ولكن أعمل لك قال صدقها أن ترعى لي سبع سنين وفي بعض الروايات قال أن تخدمني سبع سنين وقال يعقوب أخدمك سبع سنين على أن تزوجني راحيل وهي شرطي قال ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما قضى الأجل زفت إليه الكبرى وهي لايا فقال له يعقوب إنك خدعتني وإنما أردت راحيل فقال له خاله إنا لا ننكح الصغيرة قبل الكبيرة

ولكن هلم فاعمل سبع سنين أخرى فأزوجك أختها وكان الناس في ذلك الزمان يجمعون بين الأختين إلى أن بعث الله موسى عليه السلام فرعى له سبع سنين أخرى فزوجه راحيل وكان خاله حين جهزها دفع إلى كل واحدة منهما أمة تخدمها فوهبتا الأمتين ليعقوب فولدت لايا أربعة بنين وولدت له راحيل ابنتين وولدت كل واحدة من الأمتين ثلاثة بنين فجملة بنيه إثنا عشر سوى البنات

قال الفقيه أبو الليث سمعت أهل التوراة يقولون إن أسماء أولاد يعقوب مثبتة في التوراة روبييل وشمعون ويهوذا ولاوي فهؤلاء من امرأته لايا ويوسف وبنيامين من امرأته الأخرى راحيل والستة الباقون من الأمتين يستر وبالعربية يساخر وزوبولون وبالعربية زبالون ودون وبالعربية دان وفتال وبالعربية يفتايل وحوذ وبالعربية حاذ وروى بعضهم هاذ بالهاء وأشير وبالعربية أشير فأراد يعقوب أن يخرج إلى بيت المقدس ولم يكن له نفقة وكان ليوسف خال له أصنام من ذهب فقالت لايا ليوسف إذهب واسرق من أصنامه فلعلنا نستنفق به فذهب يوسف وأخذ واحدا وكان يوسف أعطف على أبيه وكان أحب أولاده إليه فحسده إخوته مما رأوا من حب أبيه له ورأى يوسف في المنام أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له فقالوا عند ذلك \* (ليوسف وأخوه) \* بنيامين \* (أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة) \* يعني جماعة عشرة فهو يؤثرهما علينا في المنزلة والحب \* (إن أبانا لفي ضلال مبين) \* يقول في خطأ بين في حب يوسف وأخيه حيث قدم الصغيرين في المحبة علينا ونحن جماعة ونفعنا أكثر من نفعهما وقال مقاتل كان فضل حسن يوسف على الناس في زمانه كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال القتيبي العصبة ما بين العشرة إلى الأربعين

ثم قال بعضهم لبعض \* (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا) \* بعيدا من أبيكم \* (يخل لكم وجه أبيكم) \* يقول يقبل إليكم أبوكم بوجهه ويصف لكم وجهه ويقال يصلح حالكم عند أبيكم \* (وتكونوا من بعده قوما صالحين) \* يعني إذا غاب عنكم صلحت أحوالكم عند أبيكم بعد ذهاب يوسف ويقال وتكونوا من بعد هلاكه قوما تائبين إلى الله تعالى وقال بعض الحكماء هكذا يكون المؤمن يهيب أمر التوبة قبل المعصية

سورة يوسف ١٠ - ١٤



قوله تعالى \* (قال قائل منهم) \* يعني من إخوة يوسف لا تقتلوه يعني \* (لا تقتلوا يوسف) \* فإن قتله عظيم وقال الكلبي كان صاحب هذا القول يهودا لم يكن أكبرهم في السن ولكن كان أعقلهم وقال قتادة والضحاك صاحب هذا القول روبيل وكان أكبر القوم سنا \* (وألقوه في غيابة الجب) \* يعني إطرحوه في أسفل الجب وقال الزجاج الغيابة كل ما غاب عنك أو غيبت شيئاً عنك قرأ نافع " غيابات " بلفظ الجماعة وقرأ الباقون \* (غيابة الجب) \* لأن المعنى فيها على موضع واحد وروي عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ " غيبة الجب " وقال الزجاج الجب البئر التي ليست بمطوية سميت جبا لأنها قطعت قطعاً ولم يحدث فيها غير القطع

ثم قال \* (يلتقطه بعض السيارة) \* يعني يأخذه بعض من يمر عليه من المسافرين \* (إن كنتم فاعلين) \* يعني إن كنتم لا بد فاعلين من الشر الذي تريدون وروي عن الحسن ومجاهد أنهما قرأ " تلتقطه " بالتاء ومعناه تلتقطه السيارة وينصرف إلى المعنى فلما قال لهم ذلك يهودا أو روبيل أطاعوه بذلك وجاءوا إلى أبيهم و \* (قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف) \* بأن ترسله معنا \* (وإننا له لناصحون) \* يعني لحافظون ويقال محبوبون مشفقون قرأ أبو جعفر القارئ المدني \* (لا تأمنا) \* بجزم النون وقرأ الباقون \* (تأمنا) \* بإشمام النون إلى الرفع لأن أصلها تأمنا فأدغمت إحداهما في الأخرى وأقيم التشديد مقامها وبقي رفعه

ثم قال \* (أرسله معنا غدا) \* يعني إخوة يوسف قالوا لأبيهم أرسل يوسف معنا إلى الغنم \* (يرتع ويلعب) \* قال مجاهد يحفظ بعضنا بعضاً ونتحارس وقال قتادة نشط ونسعى ونلهو وقال القتيبي من قرأ بتسكين العين أي نأكل يقال رتعت الإبل إذا رعت ومن قرأ بكسر العين أراد به نتحارس ويرعى بعضنا بعضاً أي يحفظ قرأ ابن كثير " نرتع " بالنون وكسر العين \* (ونلعب) \* بالنون وقرأ نافع \* (يرتع) \* بالياء وكسر العين وقرأ حمزة والكسائي وعاصم \* (يرتع ويلعب) \* بالياء وجزم العين وقرأ أبو عمرو وابن عامر " نرتع ونلعب " بالنون وجزم العين واتفقوا في جزم الباء

قال أبو عبيدة قلت لأبي عمرو كيف يقولون نلعب وهم أنبياء قال لم يكونوا يومئذ أنبياء قال الفقيه أبو الليث لم يريدوا به اللعب الذي هو منهي عنه وإنما أرادوا به المطايب في خروجهم وفيه دليل أن القوم إذا خرجوا من المصر فلا بأس بالمطايب والمزاح في غير مأثم ويقال " نرتع ونلعب " يعني نجيء ونذهب حتى نتشجع ونترحل ويقال حتى نجمع النفع والسرور \* (وإننا له لحافظون) \* لا يصيبه أذى ولا مكروه وإننا مشفقون عليه " قال " لهم يعقوب \* (إني ليحزني أن تذهبوا به) \* يعني إن ذهابكم به ليحزني قرأ نافع \* (ليحزني) \* بضم الياء وكسر الزاي وقرأ الباقون بنصب الياء وضم الزاي ومعناها واحد

ثم قال \* (وأخاف أن يأكله الذئب) \* يعني أخاف أن تضعوه فيأكله الذئب " وأنتم عنه



غافلون) يعني مشغولين بأمركم قرأ أبو عمرو والكسائي ونافع في رواية ورش " الذيب " بغير همز وقرأ الباقون بالهمز وهما لغتان وروي عن بعض الصحابة أنه قال لا ينبغي أن يلحق الخصم حجته لأن إخوة يوسف كانوا لا يعلمون أن الذئب يأكل الناس إلى أن قال لهم يعقوب ذلك وإنما قال ذلك يعقوب لأنه رأى في المنام ذئبا كان يعدو على يوسف فأنجاه بنفسه

\* (قالوا) \* يعني إخوة يوسف \* (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) \* يعني جماعة عشرة \* (إنا إذا لخاسرون) \* يعني لعاجزين فلما قالوا ذلك رضي بخروجه معهم فبعثه معهم وأوصاهم عند خروجه أن يحسنوا إليه ويتعاهدوا أمره ويردوه إذا طلب الرجوع فقبلوا ذلك منه ويقال إنه أبي أن يرسله معهم حتى أتوا يوسف فقالوا له أطلب من أبيك ليبعثك معنا وطلب يوسف ذلك من أبيه فبعثه معهم

سورة يوسف ١٥ - ١٨

قال \* (فلما ذهبوا به) \* يعني فلما برزوا به إلى البرية \* (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) \* يقول واتفقوا أن يلقوه في أسفل الجب ثم أظهروا له العداوة فجعل أحدهم يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه الآخر فجعل لا يرى منهم رحيمًا فضربوه حتى كادوا أن يقتلوه فقال يهوذا أليس قد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه قوله \* (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) \* أي فانطلقوا به إلى الجب وهي بئر على رأس فرسخين من كنعان ويقال أربع فراسخ فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفة البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى في الجب فقالوا له أدع الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر يؤنسوك فدلوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه وأرادوا أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة في البئر وقام عليها وجعل يبكي فجاءه جبريل يؤنسه ويطعمه

قال الله تعالى \* (وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا) \* أي لتخبرهم بصنيعهم \* (وهم لا يشعرون) \* يعني تخبرهم بأمرهم أو بصنيعهم هذا بمصر \* (وهم لا يشعرون) \* يعني لا يعرفونك بمصر ويقال معناه \* (وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) \* أن الله تعالى أوحى إليه وهم لا يعرفونه ويقال لما أرادوا أن يلقوه في البئر تعلق بإخوته فقال له

جبريل لا تتعلق بهم فإنك تنجو من البئر فألقوه حتى وقع في قعرها فارتفع حجر حتى قام عليه ثم إنهم أخذوا جديا من الغنم فذبحوه ثم لطحوا القميص بدمه ثم أقبلوا إلى أبيهم كما قال الله تعالى \* (وجاؤوا أباهم عشاء بيكون) \* يعني بعد العصر فلما سمع يعقوب أصواتهم فرع وقال يا بني ما لكم \* (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) \* يعني نتصيد ويقال نتضل أي يسابق بعضنا البعض في الرمي \* (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب) \* فلما قالوا هذا القول بكى يعقوب وصاح بأعلى صوته ثم قال أين قميصه فأخذ القميص وبكى ثم قال إن هذا الذئب كان بابني رحيمًا كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه وروى سماك عن عامر أنه قال في قميص يوسف ثلاث آيات حين قد قميصه من دبر وحين ألقى على وجه أبيه فارتد بصيرا وحين جاؤوا على قميصه بدم كذب علم أن الذئب لو أكله لخرق قميصه فقال لهم كذبتهم فقالوا له \* (وما أنت بمؤمن لنا) \* يعني بمصدق لنا في مقالتنا \* (ولو كنا صادقين) \* في مقالتنا \* (وجاؤوا على قميصه بدم كذب) \* يعني بدم السخلة ولم يكن دم يوسف ويقال بدم كذب أي مكذوب به وقرأ بعضهم " بدم كذب " بالبدال يعني بدم طري فأروه القميص بالدم ليعرف به وهي قراءة شاذة وقراءة العامة بالذال وقال يعقوب \* (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) \* يقول زينب واشتهت لكم أنفسكم أمرا فضيعةتموا يوسف \* (فصبر جميل) \* يعني علي صبر جميل بلا جزع ويقال معناه لا حيلة لي إلا الصبر ويقال معناه فصبري صبر جميل وروي عن بعض الصحابة أنه كان يقرأ " فصبرا جميلا " يعني أصبر صبورا جميلا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن قوله \* (فصبر جميل) \* قال صبر لا شكوى فيه ومن بث فلم يصبر ثم قال \* (والله المستعان على ما تصفون) \* يقول أستعين بالله وأطلب العون من الله وأستعين بالله على ما تقولون وتكذبون من أمر يوسف

سورة يوسف ١٩ - ٢٠

قوله تعالى \* (وجاءت سيارة) \* أي قافلة يمرون من قبل مدين إلى مصر فنزلوا بقرب البئر \* (فأرسلوا واردهم) \* أي طالب مائهم ويقال أرسل كل قوم ساقهم يستقي لهم الماء فجاء مالك بن دعر إلى الجب الذي فيه يوسف \* (فأدلى دلوه) \* يقول أرخى وأرسل دلوه في البئر فتعلق يوسف بالدلو فنظر مالك بن دعر فإذا هو بسلام أحسن ما يكون من الغلمان \* (قال يا بشرى هذا غلام) \* قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر " يا بشرى " بالألف والياء ونصب الياء وقرأ عاصم \* (يا بشرى) \* بنصب الراء وسكون الياء وقرأ نافع في رواية

ورش بالألف والياء مع السكون وكذلك يقرأونه في \* (مثنوي) \* و " محياي " و \* (عصاي) \* بسكون بالياء وقرأ حمزة والكسائي \* (يا بشرى) \* بغير ألف وسكون الياء وكسر الراء

فمن قرأ " يا بشراي " يكون بمعنى الإضافة إلى نفسه ومن قرأ \* (يا بشرى) \* يكون على معنى تنبيه المخاطبين كقوله يا عجباً وإنما أراد به اعجبوا ومن قرأ \* (يا بشرى) \* كأنه اسم رجل دعاه بإسمة بشرى وقال أبو عبيدة هذه القراءة تقرأ لأنها تجمع المعنيين إن أراد به الاسم أو أراد به البشرى بعينها

وقال السدي تعلق يوسف بالحبل فخرج فلما رآه صاحب الدلو نادى رجلاً من أصحابه يقال له البشرى وقال يا بشراي هذا غلام وقال قتادة وغيره إنه بشر واردهم حين وجد يوسف

ثم قال \* (وأسروه بضاعة) \* يعني التجار بعضهم بعضاً وقال بعضهم لبعض أكتموه عن أصحابكم لكيلا يسألوكم فيه بشركة فإن قالوا لكم ما هذا الغلام قولوا إستبضعنا بعض أهل الماء لنبيعه لهم بمصر فذلك قوله \* (وأسروه بضاعة) \* يعني أسروه وأعلنوه بضاعة فرجع إخوته بعد ثلاثة أيام فرأوا يوسف في أيديهم فقالوا هذا غلام أبق منا منذ ثلاثة أيام فقالوا لهم ما بال هذا الغلام لا يشبه العبيد وإنما هو يشبهكم فقالوا إنما ولد في حجرنا وإنه ابن وليدة منا أمرتنا ببيعه وقالوا ليوسف بلسانهم لئن أنكرت أنك عبد لنا لنأخذنك ونقتلنك أترى أنا نرجع بك إلى يعقوب أبداً وقد أخبرناه أن الذئب قد أكلك فقال يا إخوتاه إرجعوا بي إلى أبي وأنا ضامن لكم رضاه وأنا لا أذكر له هذا أبداً فأبوا عليه فذلك قوله تعالى \* (والله عليم بما يعملون) \* يعني بما يصنع به إخوته قوله تعالى \* (وشروه بثمن) \* يعني باعوه \* (بثمن بخس) \* يعني ظلماً وحرماً لم يحل بيعه ويقال \* (بثمن بخس) \* أي بدراهم رديئة ويقال البخنس الخسيس \* (دراهم معدودة) \* أي يسير عددها وقال مجاهد البخنس القليل والمعدودة عشرون درهماً وقال كان في ذلك الزمان ما كان فوق الأوقية وزنوه وزنا وما كان دون الأوقية عدوه عدا وقال بعضهم باعوه بعشرة دراهم لأن اسم الدرهم يقع على ما بين الثلاثة إلى العشرة فأصاب كل واحد منهم درهماً

وروي عن الضحاك أنه قال باعوه باثني عشر درهماً وقال ابن مسعود بيع بعشرين درهماً وقال عكرمة البخنس أربعون درهماً وقال بعضهم لم يبعه إخوته ولكن الذين وردوا الماء وجدوه في البئر وأخرجوه من البئر فباعوه بثمن بخس \* (دراهم معدودة) \* وهو قول المعتزلة لأن مذهبهم أن الأنبياء معصومون عن الكبيرة قبل النبوة لأن الكبيرة عندهم تخرج

المؤمن عن الإيمان وعند أهل السنة الكبيرة لا تخرج المؤمن عن الإيمان وجاز جريان المعصية قبل النبوة وقال عامة المفسرين إن إخوته باعوه وروي عن ابن عباس أن إخوته باعوه بعشرين درهما وكتب يهوذا شراءه على رجل منهم ثم قال \* (وكانوا فيه من الزاهدين) \* يعني الذين اشتروه لم يعلموا بحاله وقصته ويقال يعني إخوة يوسف في ثمنه لم يكونوا محتاجين إليه ثم إن مالك بن دعر لما أدخله مصر باعه قال مقاتل باعه بعشرين دينارا ونعلين وحلة وقال الكلبي بعشرين درهما ونعلين وحلة وقال بعضهم باعه بوزنه فضة وقال بعضهم باعه بوزنه ذهباً وقال وهب بن منبه باعه مالك بن دعر بعدما عرضه في بيع من يزيد ثلاثة أيام فزاد الناس بعضهم على بعض حتى بلغ ثمنه بحيث لا يقدر أحد عليه فاشتراه عزيز مصر وكان خازن الملك وصاحب جنوده لامراته زليخا بوزنه مرة مسكا ومرة لؤلؤا ومرة ذهباً ومرة فضة ومرة حللا وسلم كلها

سورة يوسف ٢١ - ٢٢

قوله تعالى \* (وقال الذي اشتراه من مصر لامراته) \* قال ابن عباس كان اسمه قوطيفر وهو العزيز قال لامراته واسمها زليخا \* (أكرمي مثواه) \* يعني منزله وولايته \* (عسى أن ينفعنا) \* في ضياعنا وغلالتنا على وجه التبرك به \* (أو نتخذه ولدا) \* يقول نتبناه فيكون ابنا لنا وروى أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة العزيز حين قال لامراته \* (أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا) \* وبنت شعيب التي قالت \* (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) \* [القصص: ٢٦] وأبو بكر حين تفرس في عمر رضي الله عنها وولاه من بعده قال الله تعالى \* (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) \* يعني في أرض مصر وهي أربعون فرسخا في أربعين فرسخا \* (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) \* يعني كي يلهمه تعبیر الرؤيا وغير ذلك من العلوم \* (والله غالب على أمره) \* إذا أمر بشيء لا يقدر أحد أن يرد أمر الله تعالى إذا أراد بأحد من خلقه ويقال \* (والله غالب على أمره) \* يعني والله متم لئتم أمر يوسف الذي

هو كائن \* (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) \* يعني أهل مصر ويقال يعني أهل مكة لا يعلمون أن الله تعالى غالب علي أمره

قوله تعالى \* (ولما بلغ أشده) \* يعني يوسف تمت قوة نفسه وعقله ويقال بلغ مبلغ الرجال ويقال الأشد بلوغ ثلاثين سنة وقال الضحاك يعني بلغ ثلاثا ثلاثين سنة ويقال الأشد ما بين ثمانية عشرة سنة إلى ثلاثين سنة ويقال إلى ست وثلاثين سنة ويقال من خمسة عشر إلى ثمان وثلاثين سنة \* (آتيناه حكما وعلما) \* يقول أكرمناه بالنبوة والعلم والفهم والفقہ فجعلناه حكيمًا وعليماً \* (وكذلك نجزي المحسنين) \* يعني هكذا نكافئ من أحسن ويقال هكذا نجزي المخلصين في العمل بالفهم والعلم

سورة يوسف ٢٣ - ٢٤

قوله تعالى \* (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) \* يعني راودته عما أرادت عليه مما تريد النساء من الرجال فعلم بذلك ذكر الفاحشة الذي راودته عليه ومعناه طلبت إليه أن يمكنها من نفسه يعني امرأة العزيز واسمها زليخا \* (وغلقت الأبواب) \* عليها وعلى يوسف وجعلت تغمزه وتمازحه ويوسف يعظها بالله ويزجرها

وروي عن ابن عباس أنه قال كان يوسف إذا تبسم رثيت النور في ضواحه وإذا تكلم رأيت شعاع النور في كلامه يذهب من بين يديه ولا يستطيع آدمي أن ينعت نعتة فقالت له يا يوسف ما أحسن عينيك قال هما أول شيء يسيلان إلى الأرض من جسدي ثم قالت يا يوسف ما أحسن ديباج وجهك قال هو للتراب يأكله ثم قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتشر من جسدي \* (وقالت) \* يا يوسف \* (هيت لك) \* قرأ حمزة والكسائي وعاصم \* (هيت لك) \* بنصب الهاء والتاء بمعنى أقبل ويقال هلم إلي والعرب تقول هيت فلان لفلان إذا دعاه وصاح به وهكذا قرأ ابن مسعود وابن عباس والحسن وقرأ ابن عامر في رواية هشام " هئت " بكسر الهاء وبالهمز وضم التاء بمعنى تهيأت لك وقرأ ابن كثير \* (هيت) \* لك بنصب الهاء وضم التاء ومعناه أنا لك وأنا فداؤك وقرأ نافع وابن عامر في إحدى الروايتين \* (هيت) \* بكسر الهاء ونصب التاء بغير همز \* (قال معاذ الله) \* قال يوسف أعوذ بالله أن أعصيه وأخونه \* (إنه ربي أحسن مثواي) \* يعني إنه سيدي الذي إشتراي أحسن إكرامي فلم أكن لأفعل بامرأته ذلك \* (إنه لا يفلح الظالمون) \* يعني لا ينجو الزناة من عذاب الله تعالى وفي هذه الآية دليل أن معرفة الإحسان واجب لأن يوسف امتنع عنها لأجل شيئين لأجل المعصية والظلم ولأجل إحسان الزوج إليه

قوله تعالى \* (ولقد همت به وهم بها) \* روى حماد بن سلمة عن الكلبي أنه قال كان من همها أنها دعته إلى نفسها واضطجعت وهم بها بالموعظة والتخويف من الله تعالى وقيل إنه حل سراويله وجلس بين رجلها \* (لولا أن رأى برهان ربه) \* يقول مثل له يعقوب في الحائط عاضا على شفثيه فاستحيا فتنحى بنفسه وقال وهب بن منبه لم تزل تخدعه حتى هم بها ودخل معها في فراشها فنودي من السماء مهلا يا يوسف فإنك لو وقعت في خطيئة محي اسمك عن ديوان النبوة وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه سئل عن قوله \* (لقد همت به وهم بها) \* ما بلغ من همه قال أطلق هميانه فنودي يا يوسف لا تكن كالطائر له ريش فزنى فسقط ريشه ويقال كان همها هم إرادة وشهوة وهمه هم اضطراب وغلبة وقال بعضهم كان همه حديث النفس والفكر وهما مرفوعان وقال بعضهم " هم بها " يعني يضربها وقال بعضهم يعني هم بالفرار عنها وقال بعضهم \* (ولقد همت به) \* تم الكلام ثم قال \* (وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) \* يعني لما رأى البرهان لم يهم بها فقد قيل هذه الأقاويل والله أعلم وقد روي في الخبر أنه ليس من نبي إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة غير يحيى بن زكريا ولكنهم كانوا معصومين من الفواحش

وقوله تعالى \* (لولا أن رأى برهان ربه) \* روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال محمد بن كعب \* (لولا أن رأى برهان ربه) \* قال لولا أن قرأ القرآن من تحريم الزنى وذلك أنه استقبل بكتاب لله " ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا " [الإسراء: ٣٢]

قال الله تعالى \* (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) \* يقول هكذا صرفت السوء والفحشاء عن يوسف بالبرهان حين استعاذ إلي بقوله معاذ الله ثم قال \* (إنه من عبادنا المخلصين) \* بالتوحيد والطاعة قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر \* (المخلصين) \* بكسر اللام ومعناه ما ذكرناه وقرأ الباقون \* (المخلصين) \* بالنصب يعني المعصومين من الذنوب والفواحش ويقال أخلصه الله بالنبوة والرسالة والإسلام

سورة يوسف ٢٥ - ٢٩

قوله تعالى \* (واستبقا الباب) \* يعني تبادرا إلى الباب يعني يوسف وزليخا أما يوسف



فاستبق ليخرج من الباب وأما زليخا فاستبقت لتغلق الباب فأدركته قبل أن يخرج من الباب فتعلقت به قبل أن يخرج من الباب \* (وقدت قميصه من دبر) \* يعني مزقت وخرقت قميصه من خلفه \* (وألفيا سيدها) \* يعني صادفا ووجدا سيدها \* (لدى الباب) \* يعني زوجها عند الباب \* (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) \* يعني قالت لزوجها \* (ما جزاء) \* يعني ما عقاب \* (من أراد بأهلك سوءا) \* يعني قصد بها الزنى \* (إلا أن يسجن) \* يعني يحبس في السجن \* (أو عذاب أليم) \* يعني يضرب ضربا وجيعا وذلك أن الزوج قال لهما ما شأنكما قالت له زليخا كنت نائمة في الفراش عريانة فجاء هذا الغلام العبراني وكشف عن ثيابي وراودني عن نفسي فدفعته عن نفسي فانشق قميصه " قال " يوسف بل \* (هي راودتني عن نفسي) \* يعني دعنتني إلى نفسها \* (وشهد شاهد من أهلها) \* قال مجاهد قميصه شاهد أنه قد قد من دبر فظهر أن الذنب كان لها بتلك العلامة وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال كان صبي في المهد لم يتكلم بعد فتكلم وقال " إن كان قد قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين " الآية وقال قتادة كان رجلا حكيم من أهلها ويقال كان رجل من خواص الملك وروي عن عكرمة أنه قيل له إنه صبي قال لا ولكنه رجل حكيم وقال الحسن ولكن كان رجلا له رأي فقال برأيه وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال كان زوجها على الباب مع ابن عم لها يقال له تملیخا وكان رجلا حكيما فقال قد سمعنا الإشتداد والجلبة من وراء الباب ولا ندري أيكما قدام صاحبه فقال ابن عمها إن كان قد شق القميص من قدامه فأنت صادقة فيما قلت وإن كان مشقوقا من خلفه فهو صادق فنظروا إلى قميصه فإذا هو مشقوق من خلفه فذلك قوله تعالى \* (وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت) \* يعني زليخا \* (وهو) \* يعني يوسف \* (من الكاذبين) \* \* (وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت) \* يعني زليخا \* (وهو) \* يعني يوسف \* (من الصادقين) \* وذلك أن الرجل لا يأتيها إلا مقبلا \* (فلما رأى قميصه قد من دبر) \* يعني مقدودا من دبر " قال " ابن عمها \* (إنه من كيدكن) \* يعني من صنعكن ويقال قال الزوج \* (إن كيدكن عظيم) \* يعني صنعكن عظيم يخلص إلى البريء والسقيم والصالح والطالح وفي هذه الآية دليل أن القضاء بشهادة الحال جائز وقال بعض الحكماء سمى الله كيد الشيطان ضعيفا وسمى كيد النساء عظيما لأن كيد الشيطان بالوسوسة والخيال وكيد النساء بالمواجهة والعيان ثم أقبل على يوسف فقال \* (يوسف أعرض عن هذا) \* يعني يا يوسف أعرض عن هذا القول ولا تذكره واكتم هذا الحديث ثم أقبل عليها فقال \* (واستغفري لذنبك) \* يعني توبي وارجعي عن ذنبك ويقال ابن عمها هو الذي قال لها واستغفري لذنبك واعتذري إلى زوجك من ذنبك \* (إنك كنت من الخاطئين) \* يعني من المذنبين وفشا ذلك الخبر في مصر وتحدثت النساء فيما بينهن



سورة يوسف ٣٠ - ٣٣

قوله تعالى \* (وقال نسوة في المدينة) \* قال الكلبي هن أربع نسوة امرأة ساقية يعني ساقى الملك وامرأة الخباز وامرأة صاحب السجن وامرأة صاحب دوابه ويقال هن خمس خامستهن امرأة صاحب الملك ويقال أربعون امرأة ويقال جماعة كثيرة من النساء إجتمعن في موضع وقلن فيما بينهن \* (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) \* يعني تطلب عبدها وتدعوه إلى نفسها \* (قد شغفها حبا) \* قال الحسن يعني قد شق شغاف قلبها حبه وقال عامر الشعبي الشغوف المحب والمشغوف المحبوب وقال القتيبي \* (قد شغفها حبا) \* أي بلغ الحب شغافها وهو غلاف القلب ومن قرأ \* (قد شغفها) \* أي فتنها من قولك فلان شغوف بفلانة ويقال شغف الشيء الشيء إذا علاه \* (قد شغفها) \* أي علاها ويقال أهلكتها فلا تعقل غيره \* (إنا لنراها في ضلال مبين) \* يعني في خطأ بين ويقال في عشق بين فلا تعقل غيره قوله تعالى \* (فلما سمعت بمكرهن) \* يعني سمعت زليخا بمقاتلتهن وإنما سمي قولهن مكرًا والله أعلم لأن قولهن لم يكن على وجع النصيحة والنهي عن المنكر ولكن كان على وجه الشماتة والتعبير \* (أرسلت إليهن) \* فدعتهن " وأعدت لهن متكأ " يعني اتخذت لهن وسائد يتكئن عليها لجلوسهن وذلك أنها اتخذت ضيافة ودعت النسوة ووضعت الوسائد لجلوسهن وقال الفراء من قرأ \* (متكأ) \* غير مهموز فإنه الأترج وكذلك قال ابن عباس روى منصور عن مجاهد أنه قال من قرأ مثقلة قال يعني الطعام ومن قرأ مخففة قال الأترج ويقال الزماورد وهو نوع من التمر وقال عكرمة كل شيء يقطع بالسكين \* (وأتت كل واحدة منهن سكيناً) \* يعني أعطت زليخا كل واحدة من النسوة سكيناً وأمرت يوسف بأن يلبس أحسن ثيابه وزينته أحسن الزينة \* (وقالت اخرج عليهن) \* يعني أخرج على النساء فخرج عليهن روى أبو الأحوص عن ابن مسعود قال أوتي يوسف وأمه ثلث حسن الناس في الوجه والبياض وغير ذلك وكانت المرأة إذا رأت يوسف غطى وجهه مخافة أن تفتن به فلما خرج يوسف إلى النسوة غطى وجهه فنظرن إليه \* (فلما رأينه أكبرنه) \* يقول أعظمه أي

أعظم شأنه وتحيرن وبقين مدهوشات طائفة عقولهن \* (وقطعن أيديهن) \* يقول  
حززن وخذشن أيديهن بالسكين ولم يشعروا بذلك \* (وقلن حاش لله) \* يعني معاذ الله  
\* (ما هذا بشرا) \* قرأ بعضهم بالرفع \* (ما هذا بشر) \* وقرأ بعضهم " ما هذا بشر "   
يعني مثل هذا لا يكون بشرا وقراءة العامة \* (ما هذا بشرا) \* بنصب الراء والتنوين لأنه  
خبر ما ولأنه صار نصبا لنزع الخافض ومعناه \* (ما هذا بشرا) \* يعني مثل هذا لا يكون  
آدميا \* (إن هذا إلا ملك كريم) \* يعني على ربه فإن قيل إنهم لم يرين الملك فكيف  
شبهه بشيء لم يرينه قيل له لأن المعروف عند الناس أنهم إذا وصفوا أحدا بالحسن  
يقولون هذا يشبه الملك كما أنهم إذا وصفوا أحدا بالقبح يقولون هو كالشيطان وإن لم  
يروا الشيطان

قرأ أبو عمرو " حاشا لله " بالألف وقرأ الباقون بغير ألف وكذلك الذي بعده \* (قالت)  
\* زليخا للنسوة \* (فذلكن الذي لمتني فيه) \* يقول عدلتي فيه وعبتني فيه فهل  
عذرتني فقلن لها أنت معذورة قالت \* (ولقد راودته عن نفسه) \* يعني طلبت إليه أن  
يمكنني من نفسه \* (فاستعصم) \* أي فامتنع بنفسه مني \* (ولئن لم يفعل ما أمره  
ليسجنن) \* يعني أحبسه في السجن " وليكونا من الصاغرين " يعني من المهانين  
بالسجن ويقال من المذلين وقرأ بعضهم \* (ليكونن) \* بتشديد النون وهذا خلاف  
مصحف الإمام وقراءة العامة " وليكونا " لأن النون الخفيفة تبدل منها في الوقف  
بالألف

" قال " يوسف \* (رب) \* يقول يا سيدي \* (السجن أحب إلي مما يدعونني) \* النسوة  
\* (إليه) \* من العمل القبيح قرأ بعضهم \* (قال رب السجن) \* بنصب السين على معنى  
المصدر يقال سجنته سجنا وهي قراءة شاذة وقراءة العامة الكسر يعني نزول بيت  
السجن أحب إلي مما يدعونني إليه يعني به امرأة العزيز خاصة ويقال أراد به النسوة  
اللاتي حضرن هناك لأنهن قلن له أطع مولاتك ولا تخالفها فإن لها عليك حقا وقد  
إشترتك بمالها وهي تحسن إليك وتحبك وتطلب هواك فقال \* (رب السجن أحب  
إلي) \* وقال بعض الحكماء لو أنه قال رب العافية أحب إلي لعافاه الله تعالى ولكن لما  
نجا بدينه لم يبال بما أصابه في الله

ثم قال \* (وإلا تصرف عني كيدهن) \* يعني إذا لم تصرف عني عملهن وشرهن \*  
(أصب إليهن) \* أي أمل إليهن \* (وأكن من الجاهلين) \* يعني من المذنبين

سورة يوسف ٣٤ - ٣٥

قوله تعالى \* (فاستجاب له ربه) \* فيما دعاه يوسف \* (فصرف عنه كيدهن) \* يعني  
فعلهن وشرهن \* (إنه هو السميع العليم) \* يسمع لمن دعاه ويقال \* (السميع) \* للدعاء  
فيما دعاه يوسف \* (العليم) \* به



ثم إن المرأة قالت لزوجها إن هذا الغلام العبراني لا يقلع عني وقد فضحني في الناس يعتذر إليهم ويخبرهم ويقول أنني راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذري فيما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر إلى الناس وأخبرهم بحالي وإما أن تحبسه حتى ينقطع حديثه فذلك قوله تعالى \* (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات) \* يعني ثم بدا للزوج من بعد ما رأى شق القميص وقضاء ابن عمها بينهما \* (ليسجنه حتى حين) \* قال الكلبي فسجنه خمس سنين ويقال \* (حتى حين) \* يعني إلى يوم من الأيام أو إلى وقت من الأوقات سورة يوسف ٣٦ - ٣٧

قوله تعالى \* (ودخل معه السجن فتيان) \* يعني حبس معه في السجن الخباز والساقى عبدان لملك غضب عليهما يعني صاحب شرابه وصاحب مطبخه \* (قال أحدهما) \* ليوسف \* (إني أراني) \* في المنام \* (أعصر خمرا) \* يعني عبا بلغة عمان قال الضحاك إن ناسا من العرب يسمون العنب خمرا ويقال معناه أعصر العنب الذي يكون عصيره خمرا وذلك أنه قال رأيت في المنام كأنني دخلت كرما فيه حبله حسنة فيها ثلاث من القضبان وفي القضبان ثلاثة عناقيد عنب قد أئنع وبلغ فأخذته وعصرته في الكأس ثم أتيت به الملك فسقيته

\* (وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا) \* يقول رأيت في المنام كأنني أحمل فوق رأسي ثلاث سلال خبزا \* (تأكل الطير منه نبئنا بتأويله) \* يقول أخبرنا بتفسير هذه الرؤيا \* (إنا نراك من المحسنين) \* أي من الموحددين وذلك أنه ينصر المظلوم ويعين الضعيف وكان يداوي مرضاهم ويعزي مكروبهم فإذا احتاج واحد منهم قام وجمع له شيئا ويقال \* (إنا نراك من المحسنين) \* يعني من الصادقين في القول ويقال كان متعبدا لربه ويقال كان أهل السجن يجتمعون عنده ويسألونه أشياء فيخبرهم فقالا \* (إنا نراك من المحسنين) \* يعني نراك عالما وقد أحسنت العلم " قال " لهما يوسف \* (لا يأتيكما طعام ترزقانه) \* يعني تطعمانه \* (إلا نبأتكما بتأويله) \* يقول أخبرتكما بتفسيره وألوانه \* (قبل أن يأتيكما) \* الطعام وإنما أراد بذلك أن يبين لهما علامة نبوته وهذا مثل قول عيسى عليه السلام لقومه \* (وأنبئكم بما تأكلون وما

تدخرون في بيوتكم) \* [آل عمران: ٤٩] فلما أخبر يوسف بذلك قال وكيف تعلم ولست بساحر ولا عراف ولا كاهن قال يوسف \* (ذلكم مما علمني ربي) \* أراد أن يبين لهما علامة نبوته لكي يسلم

ثم قال \* (إني تركت) \* يعني تبرأت من \* (ملة قوم) \* يعني دين قوم \* (لا يؤمنون بالله) \*

أي لا يصدقون بوحدانية الله \* (وهم بالآخرة هم كافرون) \* يعني بالبعث جاحدون  
سورة يوسف ٣٨

ثم قال تعالى \* (واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب) \* يعني اتبعت دينهم \*  
(ما كان لنا) \* أي ما جاز لنا " أن نشرك بالله من شيء " من الآلهة \* (ذلك من فضل  
الله) \* يعني ويقال ذلك الإرسال الذي أرسل إليه بالنبوة من فضل الله \* (علينا وعلى  
الناس) \* يعني المؤمنين \* (ولكن أكثر الناس) \* يعني أهل مصر \* (لا يشكرون) \*  
النعمة

سورة يوسف ٣٩ - ٤١

ثم دعاهما إلى الإسلام فقال \* (يا صاحبي السجن) \* يعني الخباز والساقي \* (أرباب  
متفرقون) \* أي الآلهة وعبادتها \* (خير أم) \* عبادة \* (الله الواحد القهار) \*  
ثم قال \* (ما تعبدون من دونه) \* أي من الآلهة \* (إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما  
أنزل الله بها من سلطان) \* يعني لا عذر ولا حجة بعبادتكم إياها \* (إن الحكم) \* يعني  
ما القضاء فيكم \* (إلا لله) \* في الدنيا والآخرة \* (أمر ألا تعبدوا إلا إياه) \* يعني أمر  
في الكتاب أن لا تطيعوا في التوحيد إلا إياه \* (ذلك الدين القيم) \* يعني هذا التوحيد  
هو الدين المستقيم وهو دين الإسلام الذي لا عوج فيه \* (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)  
\* أن دين الله هو الإسلام

ثم أخبرهما بتأويل الرؤيا بعد ما نصحهما ودعاهما إلى الإسلام وأخذ عليهما الحجة  
فقال \* (يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا) \* وهو الساقي قال له يوسف  
تكون في السجن ثلاثة أيام ثم تخرج فتكون على عملك وتسقي سيدك خمرا وقرأ  
بعضهم \* (فيسقي) \* بضم الياء من أسقيته إذا جعلت له سقيا يعني تتخذ الشراب الذي  
تسقي للملك قراءة العامة \* (فيسقي) \* بنصب الياء يقال سقيته إذا ناولته  
ثم بين تأويل رؤيا الآخر فقال \* (وأما الآخر) \* وهو الخباز \* (فيصلب) \* يعني يخرج  
من السجن بعد ثلاثة أيام ويصلب \* (فتأكل الطير من رأسه) \* فلما أخبرهما يوسف  
بتأويل الرؤيا قال ما رأينا شيئا فقال لهما يوسف عليه السلام " قضي الأمر الذي كنتم  
فيه تستفتيان " يعني تسألان رأيتماها أو لم تريها قلتما لي وقلت لكما فكذلك يكون  
وروى إبراهيم النخعي

عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أنه قال إنهما كان يتحاكما ليجرباه فلما أول رؤياهما قالاً إنما كنا نلعب قال يوسف \* (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) \*

سورة يوسف ٤٢ - ٤٤

قوله تعالى \* (وقال للذي ظن أنه ناج منهما) \* يعني قال يوسف عليه السلام للذي علم أنه ينجو من السجن والقتل وهو الساقى \* (اذكرني عند ربك) \* قال يوسف للساقى إذا دعاك الملك وسقيته فاذكرني عنده فإنني مظلوم قد عدا علي إخوتي فباعوني \* (فأنساه الشيطان ذكر ربه) \* يعني أنسى الشيطان يوسف أن يستغيث بالله تعالى فاستغاث بالملك وقال الفراء أنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند الملك وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى \* (فأنساه الشيطان) \* قال هو يوسف أنساه الشيطان ذكر ربه وأمره بذكر الملك وابتغى الفرج من عنده \* (فلبث في السجن بضع سنين) \* بقوله \* (اذكرني عند ربك) \*

وروى معمر عن قتادة أنه قال بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لم يستعن يوسف على ربه لما لبث في السجن طول ما لبث وروى عن أبي عبيدة أنه قال البضع ما دون نصف العقد يعني من واحد إلى أربعة وقال الأصمعي ما بين الثلاث إلى التسع هكذا قال قطرب والسدي وروى منصور عن مجاهد قال البضع ما بين الثلاث إلى السبع وذكر عبد العزيز بن عمر الكندي أن يوسف رأى جبريل في السجن فقال له يا أبا المنذرين ما لي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر الطاهرين رب العزة يقرئك السلام ويقول أما إستحييت مني إذا إستشفعت بالآدميين فبعزتي لألبثك في السجن بضع سنين قال بعضهم بضع سنين أي سبع سنين سوى الخمس الذي مكث فيه وذلك اثنتا عشرة سنة وقال بعضهم جميع ما أقام فيه سبع سنين وقال بعضهم ثماني عشرة سنة

ثم إن الملك رأى في المنام واسم الملك ريان بن الوليد فذلك قوله تعالى \* (وقال الملك إني أرى) \* يعني رأيت في المنام \* (سبع بقرات سمان) \* خرجن من نهر مصر ثم خرج من بعدهن " سبع بقرات عجاف " هزلى فابتلع العجاف السمان فدخلن في بطونهن فلم ير منهن شيء ورأيت \* (وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) \* يعني سنبلات أخر يابسات " يا أيها



الملا) يعني العرافين والسحرة والكهنة \* (أفتوني في رؤياي) \* يعني عبروا رؤياي وبينوا تفسيرها \* (إن كنتم للرؤيا تعبرون) \* أي تفسرون \* (قالوا أضغاث أحلام) \* يعني أباطيل أحلام مختلطة \* (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) \* يعني ليس للرؤيا المختلطة عندنا تفسير وقال أهل اللغة كل رؤيا لا تأويل لها فهي \* (أضغاث أحلام) \* أي أباطيل أحلام مختلطة واحدها ضغث

سورة يوسف ٤٥ - ٥٠

قوله تعالى \* (وقال الذي نجا منهما) \* وهو الساقى \* (وادكر بعد أمة) \* يعني تذكر بعد حين أي بعد سبع سنين وقال الزجاج أصل \* (ادكر) \* إدتكر ولكن التاء أبدلت بالبدال وأدغم الدال في الدال وقال القتيبي الأمة الصنف من الناس والجماعة كقوله تعالى \* (إلا أمم أمثالكم) \* [الأنعام: ٣٨] ثم تستعمل الأمة في الأشياء المختلفة يقال للإمام أمة كقوله \* (إن إبراهيم كان أمة) \* [النحل: ١٢٠] لأنه سبب للاجتماع ويسمى الدين أمة كقوله \* (إنا وجدنا آباءنا على أمة) \* [الزخرف: ٢٢] أي على دين لأن القوم يجتمعون على دين واحد فيقام ذلك اللفظ مقامه ويسمى الحين أمة كقوله \* (وادكر بعد أمة) \* وكقوله \* (إلى أمة معدودة) \* [هود: ٨] وإنما سمي الحين أيضا أمة لأن الأمة من الناس ينقضون في حين فيقام الأمة مقام الحين وقرأ بعضهم \* (وادكر بعد أمة) \* يعني بعد نسيان يقال أمهت أي نسيت وقال الفراء يقال رجل مأموه كأنه ليس معه عقل فلما تذكر الساقى حال يوسف جاء وجثا بين يدي الملك وقال \* (أنا أنبئكم بتأويله) \* يعني بتأويل ما رأيت من الرؤيا وروي عن الحسن أنه كان يقرأ " أنا آتيكم بتأويله " وقراءة العامة \* (أنبئكم بتأويله) \* فقال وما يدريك يا غلام ولست بمعبر ولا كاهن فقص عليه أمره الذي كان وقت كونه في السجن برؤيته الرؤيا وتعبير يوسف لها وصدق تعبيره علي نحو ما وصفه له وأخبره بحال يوسف وحكمته وعلمه وفهمه قال \* (فأرسلون) \* يعني أرسلني أيها الملك إلى " يوسف " خاطبه بلفظ الجماعة كما يخاطب الملوك فأرسله الملك فلما جاء إلى يوسف في السجن فدخل عليه واعتذر إليه بما أنساه الشيطان ذكر ربه وقال \* (يوسف أيها الصديق) \* يعني يا يوسف أيها الصديق و \* (الصديق) \*

الكثير الصدق يعني أيها الصادق فيما عبرت لنا \* (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن) \* أي يتلعهن \* (سبع عجاف) \* هزلى \* (وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلني أرجع إلى الناس) \* يعني إلى أهل مصر \* (لعلهم يعلمون) \* قدرك ومنزلتك ويقال أرجع إلى الناس يعني إلى الملك لكي يعلم مكانك فيكون ذلك سببا لخلاصك إذا علم تعبير رؤياه فعبير يوسف رؤياه وهو في الحبس فقال أما السبع البقرات السمان فهي سبع سنين خصب أما السبع العجاف فهي سبع سنين شدة وقحط ولا يكون في أرض مصر البر وأما السبع السنبلات الخضر فهي الخصب واليابسات هي القحط \* (قال تزرعون سبع سنين دأبا) \* يعني إزرعوا سبع سنين \* (دأبا) \* يعني دائما \* (فما حصدتم) \* من الزرع \* (فذروه في سنبله) \* يعني في كعبته فهو أبقى لكم لكي لا يأكله السوس إذا كانت في الكعبرة \* (إلا قليلا مما تأكلون) \* يعني تدرسون بقدر ما تحتاجون إليه فتأكلون

\* (ثم يأتي من بعد ذلك) \* الخصب \* (سبع شداد) \* يعني القحط سنين مجدبات \* (يأكلن ما قدمتم لهن) \* يعني ما وراء السبع السنين ويقال \* (ما قدمتم) \* يعني ما جمعتم لهن \* (إلا قليلا مما تحصنون) \* يعني تدخرون وتخزنون \* (ثم يأتي من بعد ذلك) \* القحط \* (عام فيه يغال الناس) \* يعني يمطر الناس والغيث المطر ويقال هو من الإغاثة يعني يغاثون بسعة الرزق \* (وفيه يعصرون) \* يعني ينجون من الشدة ويقال يعصرون العنب والزيتون قرأ حمزة والكسائي " تعصرون " بالتاء على معنى المخاطبة وقرأ الباقون بالياء على معنى المغاية يعني الناس وقرأ بعضهم \* (يعصرون) \* بضم الياء ونصب الصاد يعني يمطرون من قوله تعالى \* (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) \*

[النبأ: ١٤] فرجع الساقى إلى الملك وأخبره بذلك قال تعالى \* (وقال الملك ائتوني به) \* قال بعضهم كان الملك رأى الرؤيا ونسيها فأتاه يوسف فأخبره بما رأى وأخبره بتفسيره ولكن في ظاهر الآية دليل أن الملك كان ذاكرا لرؤياه وأن يوسف عبر رؤياه وهو في السجن قبل أن ينتهي إلى الملك \* (وقال الملك ائتوني به) \* يعني بيوسف \* (فلما جاءه الرسول) \* برسالة الملك أن الملك يدعوك " قال " يوسف للرسول \* (ارجع إلى ربك) \* يعني إلى سيدك وهو الملك " فأسأله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن " يعن سله حتى يتبين له أني مظلوم في حبسي أو ظالم \* (إن ربي بكيدهن عليم) \* يعني إن سيدي وخالقي عالم بما كان منهن

قال حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا إبراهيم الديبلي قال حدثنا أبو عبيد الله عن سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الكلمة التي قال يوسف \* (للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك) \* ما لبث في السجن طول ما لبث ولقد



عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله لو كنت أنا الذي دعيت إلى الخروج لبادرتهم إلى الباب ولكن أحب أن يكون له العذر بقوله " فلما جاءه الرسول قال إرجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن " قال ابن عباس لو خرج يوسف حين دعيت لم يزل في قلب الملك منه شيء فلذلك \* (قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة) \*

سورة يوسف ٥١ - ٥٣

قوله تعالى \* (قال ما خطبكن) \* وذلك أن الملك أرسل إلى النسوة وجمعهن ثم سألهن فقال \* (ما خطبكن) \* يعني ما حالكن وشأنكن في أمركن \* (إذ راودتن يوسف عن نفسه) \* يعني طلبت امرأة العزيز إلى يوسف المرادة عن نفسه هل ليوسف في ذلك ذنب فأخبرن الملك ببراءة يوسف فقال \* (قلن حاش لله) \* يعني معاذ الله \* (ما علمنا عليه من سوء) \* يعني ما رأينا منه شيئاً من الفاحشة ولم يكن له ذنب فلما رأت امرأة العزيز أن النسوة شهدن عليها اعترفت على نفسها وأقرت بذلك فذلك قوله تعالى \* (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) \* يعني ظهر الحق ووضح ويقال إستبان قال الزجاج إشتقاقه في اللغة من الحصاة أي بانت حصاة الحق وجهته من حصاة الباطل ومن جهته \* (أنا راودته عن نفسه) \* يعني طلبت إليه أن يمكنني من نفسه \* (وإنه لمن الصادقين) \* إنه لم يراودني وهو صادق فيما قال ذلك اليوم حيث قال هي راودتني عن نفسي قال يوسف عند ذلك إنما فعلت \* (ذلك ليعلم) \* العزيز \* (أني لم أخنه بالغيب) \* يعني لم أخنه في امرأته إذا غاب عني فذلك قوله \* (ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) \* يعني لا يرضى عمل الزانين وروى إسماعيل بن سالم عن أبي صالح قال \* (ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب) \* قال هو يوسف لم يخن العزيز في امرأته وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه لما قال يوسف \* (ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب) \* قال له جبريل عند ذلك ولا يوم هممت بما هممت به قال يوسف عليه السلام \* (وما أبرئ نفسي) \* يعني من الهم الذي هممت به \* (إن النفس لأماراة بالسوء) \* يعني بالمعصية ويقال القلب أمر للجسد بالسوء والإثم يقال في اللغة إذا أمرت النفس بشيء فهي آمرة وإذا أكثر الأمر يقال هي أماراة فقال " إن النفس لأماراة

بالسوء) يعني مائلة إلى الشهوات " إلا من رحم ربي " أي إلا من عصمه الله تعالى من المعصية \* (إن ربي غفور) \* اللهم الذي هممت به \* (رحيم) \* حين تاب وعصمني وغفر لي

سورة يوسف ٥٤ - ٦٠

قوله تعالى \* (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) \* يعني أجعله في خاصه نفسي فلما خرج يوسف من السجن ودع أهل السجن ودعا لهم وقال اللهم اعطف قلوب الصالحين عليهم ولا تستر الأخبار عليهم فمن ثم تقع الأخبار عند أهل السجن قبل أن تقع عند عامة الناس ولما دخل يوسف على الملك وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً فأجابه يوسف بذلك كله ثم تكلم يوسف بالعبرانية فلم يحسنها الملك فقال ما هذا اللسان يا يوسف قال هذا لسان آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ثم كلمه بالعربية فلم يحسنها الملك فقال ما هذا اللسان فقال لسان عمي إسماعيل \* (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) \* في المنزلة \* (أمين) \* على ما وكلتك قال له يوسف عليه السلام \* (اجعني على خزائن الأرض) \* يعني على خراج مصر \* (إني حفيظ) \* للتدبير ويقال \* (حفيظ) \* بما وكلت به \* (عليم) \* بجميع الألسن ويقال \* (عليم) \* بأخذها ووضعها مواضعها وإنما سأل ذلك صلاحاً للخلق لأنه علم أنه ليس أحد يقوم بإصلاح ذلك الأمر مثله ويقال \* (حفيظ عليم) \* يعني عليمًا بساعة الجوع وكان الملك يأكل في كل يوم نصف النهار فلما كانت الليلة التي قضى الله بالقحط فيها أمر يوسف بأن يتخذ طعام الملك بالليل فلما أصبح الملك قال الجوع الجوع فأتي بطعام مهيء قال وما يدريكم بذلك قالوا أمرنا بذلك يوسف ففوض الملك أموره كلها إلى يوسف وهو قوله تعالى \* (وكذلك مكنا ليوسف) \* يعني صنعنا ليوسف \* (في الأرض) \* يعني أرض مصر \* (يتبوأ منها) \* يعني ينزل منها \* (حيث يشاء) \* قرأ ابن كثير \* (حيث نشاء) \* بالنون يعني حيث يشاء الله وقرأ الباقون بالياء \* (حيث يشاء) \* يوسف \* (نصيب برحمتنا من نشاء) \* نختص بنعمتنا النبوة والإسلام والنجاة من نشاء \* (ولا نضيع أجر المحسنين) \* يعني لا نبطل ثواب الموحدين حتى نوفيه جزاءه في الدنيا ومع ذلك له ثواب في الآخرة فذلك قوله تعالى \* (ولأجر الآخرة خير) \*

يعني ثواب الآخرة أفضل مما أعطي في الدنيا \* (للذين آمنوا) \* أي صدقوا بوحدانية الله تعالى \* (وكانوا يتقون) \* الشرك

وروي في الخبر أن زوج زليخا مات وبقيت امرأته زليخا فجلست يوماً على الطريق فمر عليها يوسف في حشمه فقالت زليخا الحمد لله الذي جعل العبد ملكاً بطاعته وجعل الملك مملوكاً بمعصيته وتزوجها يوسف فوجدتها عذراء وأخبرت أن زوجها كان عنيماً لم يصل إليها ثم وقع القحط بالناس حتى أكلوا جميع ما في أيديهم واحتاجوا إلى ما عند يوسف وكان يوسف قد جمع في وقت الخصب مقدار ما يكفي السنين المجدبة للأكل والبيع فجعل الناس يعطونه أموالهم العروض والرقيق والعقار وغير ذلك ويأخذون منه الطعام ووقع القحط بأرض كنعان حتى أصاب آل يعقوب الحاجة إلى الطعام فقال يعقوب لبنيه إنهم يزعمون أن بمصر ملكاً يبيع الطعام فخرج بنو يعقوب وهم عشرة نحو مصر حتى أتوا يوسف فدخلوا عليه وعليه زي الملوك فلم يعرفوه فعرفهم يوسف وكلموه بالعبرانية فأرسل يوسف إلى الترجمان وهو يعلم لسانهم ولكنه أراد أن يشتبه عليهم فذلك قوله تعالى \* (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم) \* يعني عرف يوسف أنهم إخوته \* (وهم له منكرون) \* يعني لم يعرفوا أنه يوسف لأنهم كانوا فارقوه في حال الصغر وكان يوسف عليه زي الملوك بخلاف ما كانوا كانوا رأوه في حال الصغر

روى أسباط عن السدي وغيره قال استعمله الملك على مصر وكان صاحب أمره الذي يلي البيع والتجارة فبعث يعقوب بنيه إلى مصر فلما دخلوا على يوسف عرفهم فلما نظر إليهم قال أخبروني ما أمركم فإني أنكر شأنكم قالوا نحن قوم من أرض الشام قال فما جاء بكم قالوا جئنا نمتار طعاماً قال كأنكم عيون كم أنتم قالوا عشرة قال أنتم عشرة آلاف كل رجل منكم أمير ألف رجل فأخبروني خبركم قالوا إنا إخوة بنو رجل صديق وإنا كنا اثني عشر فكان أبونا يحب أحبا لنا وهو هلك في الغنم ووجدنا قميصه ملطخاً بالدم فأتينا به أبانا فكان أحبنا إلى أبينا منا قال فإلى من سكن منكم أبوكم بعده قالوا إلى أخ له أصغر منه قال فكيف تخبروني أنه صديق وهو يختار الصغير منكم دون الكبير وكيف تخبروني أنه هلك وبقي قميصه فلو كان اللصوص قتلوه لأخذوا قميصه ولو كان الذئب أكله لمزق قميصه فإذا كلامكم متناقض إحسوهم ثم قال إن كنتم صادقين في مقالكم فخلفوا عندي بعضكم وأتوني بأخيكم هذا حتى أنظر إليه \* (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) \* قالوا اختر أينا شئت فارتهن شمعون ثم أمر يوسف بوفاء كيلهم فذلك قوله تعالى \* (ولما جهزهم بجهازهم) \* يعني كال لهم كيلهم وأعطى كل واحد منهم حمل بعير ثم " قال اتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المنزلين " يعني أفضل من يضيف ويكرم الذي نزل به \* (فإن لم تأتوني به) \* يعني بأخيكم " فلا



كيل لكم عندي) فيما تستقبلون \* (ولا تقربون) \* يعني ولا تستقبلوا إلي مرة أخرى  
فإني لا أعطي لكم الطعام قال الزجاج القراءة بالكسر يعني بكسر النون وهو الوجه  
ويجوز \* (ولا تقربون) \* بفتح النون لأنها نون الجماعة كما قال \* (فبم تبشرون) \*  
[الحجر: ٥٤] بفتح النون قال ويكون \* (ولا تقربون) \* لفظه لفظ الخبر ومعناه معنى  
النهى

سورة يوسف ٦١ - ٦٤

قوله تعالى \* (قالوا سناود عنه أباه) \* يعني سنطلب من أبيه أن يبعثه معنا \* (وإنا  
لفاعلون) \* يعني لصانعون ذلك فطلبه من أبيه لبعثه ويقال وإنا لضامنون ذلك \* (وقال  
لفتيانه) \* قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص \* (لفتيانه) \* بالألف والنون  
وقرأ الباقون " لفتيته " فقال أهل اللغة الفتيان والفتية بمعنى واحد وهم الغلمان والخدم  
يعني قال يوسف لغلمانه وقومه الذين يكيلون يعني الطعام " واجعلوا بضاعتهم في  
رحالهم " يعني دسوا دراهمهم في رحالهم يعني في جواليقهم \* (لعلهم  
يعرفونها) \* يعني يعرفون كرامتي عليهم \* (إذا انقلبوا) \* يعني إذا رجعوا \* (إلى أهلهم  
لعلهم يرجعون) \* الثانية

قال الفراء فيها قولان أحدهما أن يوسف خاف ألا يكون عند أبيهم دراهم فجعل  
البضاعة في رحالهم لعلهم يرجعون ولا يتأخرون عن الرجوع بسبب الدراهم والآخر  
أنهم إذا عرفوا بضاعتهم وقد إكتالوا الطعام ردوها عليه ولا يستحلون إمساكها لأنهم  
أنبياء الله تعالى لا يستحلون إمساك مال الغير \* (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع  
منا الكيل) \* فيما نستقبل يعني الحنطة وأخبروه بالقصة قالوا \* (فأرسل معنا أخانا) \*  
بنيامين \* (نكتل) \* يعني يشتري هو ويكيلون لنا \* (وإنا له لحافظون) \* من الضيعة  
حتى نرده إليك قرأ حمزة والكسائي " يكتل " بالياء وقرأ الباقون بالنون فمن قرأ بالياء  
يعني هو يكتال لنفسه لأنهم كانوا لا يبيعون من كل رجل إلا وقرأ واحد ومن قرأ  
بالنون فمعناه أن الملك قد أخبر أنه لا كيل لنا في المستقبل فلو أرسلته معنا فإننا نكتال  
منه فلما أخبروه بذلك " قال " يعقوب عليه السلام \* (هل آمنكم عليه) \* يعني هل  
أئتمنكم عليه \* (إلا كما أمنتكم على أخيه) \* يوسف \* (من قبل) \* ومعناه هكذا قلت  
لي في أمر يوسف ولا أقدر أن آخذ عليكم من العهد أكثر ما أخذت عليكم في يوسف  
من قبل قرأ ابن مسعود هل تحفظونه إلا كما حفظتم من قبل أخاه يوسف \* (فالله خير  
حافظا) \* منكم إن أرسلته معكم \* (وهو أرحم الراحمين) \* حين خلصه من الجوع ولا  
بد من



أن أرسله قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص \* (حافظا) \* بالألف وقرأ  
الباقون \* (حفظا) \* بغير ألف والحافظ الاسم والحفظ المصدر  
سورة يوسف ٦٥ - ٦٧

قوله تعالى \* (ولما فتحوا متاعهم) \* يعني أوعيتهم وجواليقهم \* (وجدوا بضاعتهم) \*  
يعني دراهمهم \* (ردت إليهم قالوا) \* لأبيهم \* (يا أبانا ما نبغي) \* يعني ما نكذب إنه  
الطف علينا وأكرمنا \* (هذه بضاعتنا) \* أي دراهمنا \* (ردت إلينا ونمير أهلنا) \* يعني  
نمتار لأهلنا يعني مار أهله وأمار لأهله إذا حمل إليهم قوتهم من غير بلده يعني أبعثه  
معنا لكي نحمل الطعام لأهلنا \* (ونحفظ أخاننا) \* من الضيعة \* (ونزداد كيل بعير) \*  
أي حمل بعير من أجله

روى الأعمش عن إبراهيم عن علقمة أنه كان يقرأ \* (ردت إلينا) \* بكسر الراء لأن  
أصله رددت فأدغمت إحدى الدالين في الأخرى ونقل الكسر إلى الراء وهي قراءة شاذة  
ثم قال \* (ذلك كيل يسير) \* يعني سريع لا حبس فيه إن أرسلته معنا ويقال ذلك أمر  
هين الذي نسأل منك

" وقال " لهم يعقوب \* (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله) \* يعني تعطوني  
عهدا وثيقا من الله \* (لتأتني به إلا أن يحاط بكم) \* قال الكلبي إلا أن ينزل بكم أمر  
من السماء أو من الأرض وروى معمر عن قتادة أنه قال إلا أن تغلبوا حتى لا تطيقوا  
ذلك وقال مجاهد \* (إلا أن يحاط بكم) \* يعني تهلكوا جميعا وقال الفراء إلا أن  
يأتيكم من أمر الله تعالى ما يعذركم \* (فلما آتوه موثقهم) \* يعني أعطوه عهدهم "

قال " يعقوب \* (الله على ما نقول وكيل) \* يعني كفيلا ويقال شهيدا  
ثم قال تعالى \* (قال يا بني لا تدخلوا من باب واحد) \* يعني قال يعقوب لبنيه حين  
أرادوا الخروج يا بني لا تدخلوا من باب واحد يعني إذا دخلتم مصر فلا تدخلوا من  
سكة واحدة ومن طريق واحد ويقال من درب واحد \* (وادخلوا من أبواب متفرقة) \*  
يعني من سلك متفرقة ومن طرق شتى لكي لا يظن بكم أحد أنكم جواسيس ويقال  
خاف يعقوب عليهم العين لجمالهم وقوتهم وهم كلهم بنو رجل واحد فإن قيل أليس  
هذا بمنزلة الطيرة

وقد نهى عن الطيرة قيل له لا ولكن أمر العين حق وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يرقى من العين ويتعوذ منها للحسن والحسين  
ثم قال \* (وما أغني عنكم من الله) \* يعني من قضاء الله " من شيء إن الحكم " يعني ما القضاء \* (إلا لله) \* إن شاء أصابكم العين وإن شاء لم يصيبكم \* (عليه توكلت) \* يعني فوضت أمري وأمركم إليه \* (وعليه فليتك كل المتوكلون) \* يعني فليثق الوائقون  
سورة يوسف ٦٨

قوله تعالى \* (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) \* من السكك المتفرقة " ما كان يعني عنهم من الله من شيء " يعني حذرهم لا يعني من قضاء الله من شيء يعني إن العين لو قدرت أن تصيبهم لأصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم وهم مجتمعون  
ثم قال \* (إلا حاجة في نفس يعقوب) \* يعني حزازة في قلبه وهي الحزن \* (قضاها) \* يعني أبادها وتكلم بها ويقال معناه لكن لحاجة في نفس يعقوب قضاها \* (وإنه لذو علم لما علمناه) \* يعني علم يعقوب أنه لا يصيبهم إلا ما أراد الله تعالى وقدر عليهم وعلم أن دخولهم في سكك متفرقة لا ينفعهم من قضاء الله تعالى من شيء ويقال معناه أنه عالم بما علمناه ويقال \* (لذو علم لما علمناه) \* أي لتعليمنا إياه ويقال لذو حظ لما علمناه

ثم قال \* (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) \* أنه لا يصيبهم إلا ما قدر الله تعالى عليهم  
سورة يوسف ٦٩ - ٧٥

قوله تعالى \* (ولما دخلوا على يوسف) \* يعني إخوته \* (آوى إليه أخاه) \* يعني ضم إليه أخاه بنيامين \* (قال إني أنا أخوك) \* قال بعضهم أخبره في السر أنه أخوه وقال بعضهم لم يخبره ولكن معناها إني لك كأخيك الهالك فأنزلهم يوسف منزلاً وأجرى عليهم الطعام والشراب فلما كان الليل أتاهم بالفرش وقال لينام كل أخوين منكم على فراش واحد ففعلوا وبقي الغلام وحده فقال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه يوسف يشم ريحه

ويقال لما كان عند الطعام أمر كل اثنين أن يأكلا في قصعة واحدة وبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي في الأحياء لأكلت معه فقال له يوسف إني أنا أخوك يعني بمنزلة أخيك \* (فلا تبتئس بما كانوا يعملون) \* يقول لا تحزن بما يعيرون يوسف وأخاه بشيء

قوله تعالى \* (فلما جهزهم بجهازهم) \* يعني كال لهم كيلهم \* (جعل السقاية) \* يعني وضع ودس الإناء \* (في رحل أخيه) \* بنيامين فخرجوا وحملوا الطعام وذهبوا فخرج يوسف على أثرهم حتى أدركهم \* (ثم أذن مؤذن) \* يعني نادى مناد بينهم واسم المنادي أفرايم من فتیان يوسف قال \* (أيتها العير إنكم لسارقون) \* إناء الملك فانقطعت ظهورهم وساء ظنهم

قوله تعالى \* (قالوا وأقبلوا عليهم) \* يعني وأقبلوا إليهم وقالوا \* (ماذا تفقدون) \* يعني ماذا تطلبون \* (قالوا) \* يعني قال المنادي والغلمان \* (نفقد صواع الملك) \* قال قتادة (صواع) إناء الملك الذي يشرب فيه وقال عكرمة هو إناء من فضة وقال سعيد بن جبیر هو المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه وكانت الأعاجم تشرب فيه وروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس أنه قال كان إناء من فضة مثل المكوك وكان للعباس واحد منها في الجاهلية

وروي عن أبي هريرة أنه قرأ " صاع الملك " يعني الصاع الذي يكال به الحنطة وقرأ بعضهم " صوع الملك " وقرأ يحيى بن عمرو " صوغ الملك " بالعين يعني إناء مصوغا وقراءة العامة \* (صواع الملك) \* يعني الإناء وهي المشربة من فضة وكان الشرب في إناء الفضة مباحا في الشريعة الأولى وأما في شريعتنا فالشراب في إناء الفضة حرام ثم قال \* (ولمن جاء به حمل بعير) \* يعني قال المنادي من جاء بالصوع فله حمل بعير من بر \* (وأنا به زعيم) \* أي أنا كفيل بتسليم ذلك إليه لأن الملك يتهمني في ذلك \* (فقالوا) \* أي أخوة يوسف \* (تالله) \* والله \* (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض) \* يعني ما جئنا لنعمل بالمعاصي في أرض مصر ونخون أحدا \* (وما كنا سارقين) \* وكان الحكم في أرض مصر للسارق الضرب والتضمين وكان الحكم بأرض كنعان أنهم يأخذون السارق ويسترقونه ففوضوا الحكم إلى بني يعقوب ليحكموا بحكم بلادهم \* (قالوا) \* يعني المؤذن وأصحابه لأولاد يعقوب \* (فما جزاؤه) \* يعني فما جزاء السارق \* (إن كنتم كاذبين قالوا) \* يعني إخوة يوسف \* (جزاؤه) \* يعني عقابه \* (من وجد في رحله) \* يعني في وعائه \* (فهو جزاؤه) \* يعني الاستعباد جزاء سرقة \* (كذلك نجزي الظالمين) \* يعني هكذا نعاقب السارق في سنة آل يعقوب

سورة يوسف ٧٦ - ٧٧

ثم قال \* (فبدأ) \* يعني المنادي ويقال يوسف \* (بأوعيتهم) \* يعني أوعية إخوته وطلب في أوعيتهم \* (قبل وعاء أخيه) \* فلم يجد فيها شيئا وروى معمر عن قتادة أنه قال كلما فتح متاع رجل استغفر الله تائبا مما صنع حتى بقي متاع الغلام فقال ما أظن هذا

أخذ شيئاً قالوا بلى فاستبرأه فطلب فوجد فيه فاستخرجها من وعاء أخيه فلما  
استخرجت من رحله انقطعت ظهور القوم وتحيروا وقالوا يا بنيامين لا يزال لنا منكم  
بلاء ما لقينا من ابني راحيل فقال بنيامين بل لقي ابنا راحيل منكم فأما يوسف فقد فعلتم  
به ما فعلتم وأما أنا فسرقتموني قالوا فمن جعل الإناء في متاعك قال الذي جعل الدراهم  
في متاعكم فسكتوا فذلك قوله \* (ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف)  
\* يعني كذلك صنعنا ليوسف والكيد الحيلة يعني كذلك إحتلنا له وألهمناه الحيلة  
ثم قال \* (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) \* يعني في قضاء ملك مصر لأنه لم يكن  
في قضائه أن يستعبد الرجل في سرقة ثم قال \* (إلا أن يشاء الله) \* يعني وقد شاء الله  
أن يأخذه بقضاء أبيه ويقال ما كان يقدر أن يأخذ في ولاية الملك بغير حكم إلا  
بمشيئة الله تعالى ويقال إلا أن يشاء الله ذلك ليوسف ثم قال \* (نرفع درجات من  
نشأ) \* يعني من نشأ بالفضائل  
وقرأ أهل الكوفة \* (نرفع درجات) \* بتنوين التاء وقرأ الباقون \* (درجات من نشأ) \*  
بغير تنوين على معنى الإضافة \* (وفوق كل ذي علم عليم) \* يعني ليس من عالم إلا  
وفوقه أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى وروى وكيع عن أبي معشر عن محمد  
بن كعب أن رجلاً سأل علياً عن مسألة فقال فيها قولاً فقال الرجل ليس هو كذا ولكنه  
كذا فقال علي أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم وروى عن سعيد بن جبير أن  
ابن عباس حدث بحديث فقال رجل عنده الحمد لله \* (وفوق كل ذي علم عليم) \*  
فقال ابن عباس إن الله تعالى هو العالم وهو فوق كل عالم  
ثم قال تعالى \* (قالوا إن يسرق) \* يعني قال إخوة يوسف إن يسرق بنيامين \* (فقد  
سرق أخ له من قبل) \* يعنون يوسف \* (فأسرها يوسف) \* يعني فأضمر الكلمة يوسف  
\* (في نفسه) \* أي في قلبه \* (ولم يبدها لهم) \* يعني لم يعلن لهم جواباً \* (قال أنتم  
شر مكانا) \* يعني صنيعاً من يوسف لأن يوسف سرق الوثن وأنتم تسرقون الصواع  
وذلك أن يوسف كان سرق صنماً من

ثم قال \* (فبدأ) \* يعني المنادي ويقال يوسف \* (بأوعيتهم) \* يعني أوعية إخوته وطلب في أوعيتهم \* (قبل وعاء أخيه) \* فلم يجد فيها شيئاً وروى معمر عن قتادة أنه قال كلما فتح متاع رجل استغفر الله تائباً مما صنع حتى بقي متاع الغلام فقال ما أظن هذا أخذ شيئاً قالوا بلى فاستبرأه فطلب فوجد فيه فاستخرجها من وعاء أخيه فلما إستخرجت من رحله انقطعت ظهور القوم وتحيروا وقالوا يا بنيامين لا يزال لنا منكم بلاء ما لقينا من ابني راحيل فقال بنيامين بل لقي ابنا راحيل منكم فأما يوسف فقد فعلتم به ما فعلتم وأما أنا فسرقتموني قالوا فمن جعل الإناء في متاعك قال الذي جعل الدراهم في متاعكم فسكتوا فذلك قوله \* (ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف) \* يعني كذلك صنعنا ليوسف والكيد الحيلة يعني كذلك إحتلنا له وألهمناه الحيلة ثم قال \* (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) \* يعني في قضاء ملك مصر لأنه لم يكن في قضائه أن يستعبد الرجل في سرقة ثم قال \* (إلا أن يشاء الله) \* يعني وقد شاء الله أن يأخذه بقضاء أبيه ويقال ما كان يقدر أن يأخذ في ولاية الملك بغير حكم إلا بمشيئة الله تعالى ويقال إلا أن يشاء الله ذلك ليوسف ثم قال \* (نرفع درجات من نشاء) \* يعني من نشاء بالفضائل وقرأ أهل الكوفة \* (نرفع درجات) \* بتنوين التاء وقرأ الباقون \* (درجات من نشاء) \* بغير تنوين على معنى الإضافة \* (وفوق كل ذي علم عليم) \* يعني ليس من عالم إلا وفوقه أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى وروى وكيع عن أبي معشر عن محمد بن كعب أن رجلاً سأل علياً عن مسألة فقال فيها قولاً فقال الرجل ليس هو كذا ولكنه كذا فقال علي أصبت وأخطأت " وفوق كل ذي علم عليم وروى عن سعيد بن جبير أن ابن عباس حدث بحديث فقال رجل عنده الحمد لله " وفوق كل ذي علم عليم " فقال ابن عباس إن الله تعالى هو العالم وهو فوق كل عالم ثم قال تعالى " قالوا إن يسرق " يعني قال إخوة يوسف إن يسرق بنيامين " فقد سرق أخ له من قبل " يعنون يوسف " فأسرهما يوسف " يعني فأضمر الكلمة يوسف " في نفسه " أي في قلبه " ولم يبيدها لهم " يعني لم يعلن لهم جواباً " قال أنتم شر مكانا " يعني صنيعاً من يوسف لأن يوسف سرق الوثن وأنتم تسرقون الصواع وذلك أن يوسف كان سرق صنماً من

ذهب من خاله لاوي وقال قتادة ذكر لنا أنه سرق صنما كان لجده أبي أمه فعيروه بذلك " فقال أنتم شر مكانا " لأن سرقتمكم قد ظهرت وسرقة أخيه لم تظهر إلا بقولكم ولا ندري أنتم صادقون في مقالكم أم لا \* (والله أعلم بما تصفون) \* يعني بما تقولون وروى عكرمة عن ابن عباس قال عوقب يوسف ثلاث مرات حين هم بها فسجن وحين قال " أذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين " وحين قال \* (إنكم لسارقون) \* فردوا عليه وقالوا فقد سرق أخ له من قبل

سورة يوسف ٧٨ - ٨١

قوله تعالى \* (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) \* يعني ضعيفا حزينا على ابن له مفقود \* (فخذ أحدنا مكانه) \* رهنا \* (إنا نراك من المحسنين) \* إن فعلت ذلك إلينا فقد أحسنت إلينا الإحسان كله ويقال \* (إنا نراك من المحسنين) \* إلى من أتاك من الآفاق فأحسن إلينا فقال يوسف عليه السلام \* (قال معاذ الله) \* يعني أعوذ بالله \* (أن نأخذ) \* رهنا \* (إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون) \* لو أخذنا غيره قوله تعالى \* (فلما استأسوا منه) \* يعني أسوا من بنيامين أن يرد عليهم ويقال أسوا من الملك أن يقضي حاجتهم \* (خلصوا نجيا) \* يعني اعتزلوا يتناجون بينهم ليس فيهم غيرهم \* (قال كبيرهم) \* يعني كبيرهم في العقل وهو يهوذا ولم يكن أكبرهم في السن وهذا في رواية الكلبي ومقاتل وقال في قوله تعالى \* (كبيرهم) \* أي أعلمهم وهو شمعون وكان رئيسهم وقال في قوله تعالى \* (كبيرهم) \* أي كبيرهم في السن روبيل وهو الذي أشار إليهم ألا يقتلوه \* (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) \* يعني عهدا من الله في هذا الغلام \* (لتأتني به) \* أي لتردنه إلي \* (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) \* يعني ما تركتم وضيعتم العهد في أمر يوسف من قبل هذا الغلام \* (فلن أبرح الأرض) \* يعني فلن أترك أرض مصر " حتى يأذن لي ربي " أي حتى يبعث إلي أحدا أن آتية \* (أو يحكم الله لي) \* فيرد علي أخي بنيامين \* (وهو خير الحاكمين) \* يعني أعدل العادلين وأفضل الفاضلين وروى أسباط عن السدي أنه قال كان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا فغضب

روبييل فقال أيها الملك والله لتركنا أو لأصبحن صيحة لا تبقى امرأة حامل إلا ألقى ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وقال ابن عباس كان يهوذا إذا غضب وصاح لم تسمع صوته امرأة حامل إلا وضعت حملها وتقوم كل شعرة في جسده فلا يسكن حتى يضع بعض آل يعقوب يده عليه فيسكن فقال يوسف لابن له صغير إذهب وضع يدك عليه فذهب ووضع يده عليه فسكن غضبه فقال إن في هذا الدار أحدا من آل يعقوب

ثم قال لإخوته \* (ارجعوا إلى أبيكم) \* يعني قال يهوذا \* (فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق) \* أي سرق الصواع يعني إنا الملك وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ \* (إن ابنك سرق) \* بضم السين وكسر الراء مع التشديد يعني إتهم بالسرقة \* (وما شهدنا إلا بما علمنا) \* أي وما قلنا إلا ما رأينا حين أخرج من رحله \* (وما كنا للغيب حافظين) \* يعني وما كنا نرى أنه سرق ولو علمنا ما ذهبنا به ويقال إنا لم نطلع على أنه سرق ولكنهم سرقوه

سورة يوسف ٨٢ - ٨٤

قوله تعالى \* (واسأل القرية التي كنا فيها) \* يعني سل أهل القرية قال الكلبي وهي قرية من قرى مصر ويقال هي مصر بعينها ويقال هو المنزل الذي أذن المؤذن فيه إنكم لسارقون \* (والعير التي أقبلنا فيها) \* يعني سل أهل العير الذين كانوا معنا من أرض كنعان \* (وإنا لصادقون) \* في قولنا فرجعوا إلى يعقوب بذلك القول فاتهمهم يعقوب فقال كلما خرجتم من عندي نقصتم واحدا ذهبتم مرة فنقصتم يوسف وذهبتم مرة فنقصتم شمعون وذهبتم الآن ونقصتم بنيامين فقد صرتم كالذئاب يأكل بعضهم بعضا ثم قال تعالى " قال بل سولت لكم أنفسهم أمرا " يعني قال يعقوب إشتهت وزينت لكم قلوبكم \* (أمرا) \* فصنعتموه \* (فصبر جميل) \* يعني علي صبر جميل حسن من غير جزع لا أشكو فيه إلى أحد \* (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) \* يعني لعل الله أن يرد علي يوسف ويهوذا وبنيامين \* (إنه هو العليم) \* بمكانهم \* (الحكيم) \* أن يحكم بردهم علي

قوله تعالى \* (وتولى عنهم) \* يعني أعرض عن بنيه وخرج عنهم \* (وقال يا أسفى على يوسف) \* يعني يا حزنا على يوسف والأسف أشد الحسرة \* (وابيضت عيناه من الحزن) \* يعني من البكاء \* (فهو كظيم) \* يعني مغموما مكروبا يتردد الحزن في جوفه والكظيم والكاظم بمعنى واحد مثل القدير والقادر وهو الممسك على حزنه لا يظهره ولا يشكوه وروي عن الحسن أنه قال مكث يعقوب ثمانين سنة ما تجف دموعه ولا يفارق قلبه الحزن يوما وما كان على الأرض يومئذ أحد أكرم على الله منه قال وألقى يوسف في الحب وهو

(۲۰۶)



يومئذ ابن سبع سنين وغاب عن أبيه ثمانين سنة وعاش بعدما جمع الله شمله ثلاثا وعشرين سنة وروى عن ابن عباس أنه قال غاب يوسف عنه اثنين وعشرين سنة وقال سعيد بن جبير ما أعطيت أمة من الأمم \* (إنا لله وإنا إليه راجعون) \* [البقرة: ١٥٦] غير هذه الأمة ولو كان أوتيتها أحد قبلكم لأوتيتها يعقوب حين قال \* (يا أسفى على يوسف) \* وروى عن إبراهيم بن ميسرة أنه قال لو أن الله أدخلني الجنة لعاتبته يوسف بما فعل بأبيه حيث لم يكتب إليه كتابا ولم يعلمه حاله ليسكن ما به من الغم  
سورة يوسف ٨٥ - ٨٧

قوله تعالى \* (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف) \* يعني أن بنيه قالوا ليعقوب لا تزال تذكر يوسف \* (حتى تكون حرضا) \* أي دنفا من الوجد ويقال حتى تبلى وتهرم وقال القتيبي لا تحذف من الكلام ويراد به إثباتها لقوله " تفتؤ " أي لا تفتأ أي لا تزال تذكر يوسف كقوله \* (أن تحبط أعمالكم) \* [الحجرات: ٢] أي لكيلا تحبط أعمالكم \* (حتى تكون حرضا) \* وقال الربيع بن أنس حتى تكون باليا يابس الجلد وقال محمد بن إسحاق \* (حتى تكون حرضا) \* يعني لا عقل لك \* (أو تكون من الهالكين) \* يعني من الميتين وقال مجاهد الحرض ما دون الموت والهالك الميت " قال " يعقوب \* (إنما أشكو بثي وحزني) \* يعني همي وغمي \* (إلى الله) \* لما رأى من فظاظتهم وسوء لفظهم ولا أشكو ذلك إليكم وقال القتيبي البث أشد الحزن إنما سمي الحزن البث لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه أي يفشوه

ثم قال " وأعلم من الله ما لا تعلمون " أن يوسف حي وليس بميت وإنما كان يعلم ذلك من تحقيق رؤيا يوسف حين رأى في المنام أحد عشر كوكبا أن ذلك سيكون ويقال إن يعقوب رأى ملك الموت في المنام وسأله هل قبضت روح قرّة عيني يوسف قال لا ولكن هو في الدنيا حي فلذلك قال \* (وأعلم من الله ما لا تعلمون) \*  
ثم قال تعالى \* (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) \* يعني إنطلقوا إلى مصر فاطلبوا خبر يوسف \* (وأخيه) \* قالوا له أما بنيامين فلا نترك الجهد في أمره وأما يوسف فإنه ميت وإنما لا نطلب الأموات فقال لهم يعقوب \* (ولا تيأسوا من روح الله) \* يعني لا تقنطوا من رحمة الله \* (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) \* يعني الجاحدين لنعمة الله

سورة يوسف ٨٨ - ٨٩

قوله تعالى \* (فلما دخلوا عليه) \* يعني رجعوا إلى يوسف ودخلوا عليه \* (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) \* يعني أصابنا وأهلنا الجوع \* (وجئنا ببضاعة مزجاة) \* قال الحسن يعني قليلة وقال المزجاة النفاية وكان لا يؤخذ في الطعام إلا جيدا في ذلك الوقت لأن الطعام كان عزيزا فلا يؤخذ فيها إلا الجيد وعن عبد الله بن الحارث في قوله \* (وجئنا ببضاعة مزجاة) \* قال متاع الأعراب الصوف والسمن واللبن ونحو ذلك وعن ابن عباس قال يعني جئنا بدرهم رديئة وقال سعيد بن جبير بدرهم زيوف \*

(فأوف لنا الكيل) \* يعني أتمم لنا الكيل \* (وتصدق علينا) \* يعني وتصدق علينا ما بين الثمنين يعني ما بين الجيد والرديء \* (إن الله يجزي المتصدقين) \* يعني يثيبهم في الآخرة بما صنعوا وقال ابن عباس لو علموا أنه مسلم لقالوا إن الله يجزيك بالصدقة يعني إنه كان يلبس عليهم فلا يعرفون حاله ومذهبه فأخرج يوسف الكتاب الذي كان كتبه يهوذا حين باعوا يوسف ودفعه إليهم فعرف يهوذا خطه وقالوا نحن بعنا هذا الغلام إذ كنا نرعى الغنم فقال لهم ظلمتم وبعتم الحر فدعا يوسف بالسيافين وأمرهم بأن يقتلوا إخوته جميعاً فاستغاثوا كلهم وصرخوا وقالوا إن لم ترحمنا فارحم الشيخ الضعيف فإنه قد جزع على ولد واحد فكيف إن هلك أولاده كلهم " قال " لهم يوسف \* (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) \* يعني مذنبون ووصف لهم ما فعلوا به

سورة يوسف ٩٠ - ٩٣

" قالوا أنك لأنك يوسف " قرأ ابن كثير " إنك لأنك يوسف " بهمزة واحدة وكسر الألف يعني حققوا أنه يوسف وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر " أنك " بهمزتين على معنى الاستفهام يعني إنك يوسف أم لا وقرأ نافع وأبو عمرو " آينك " بهمزة واحدة مع المد ومعناه مثل الأول على معنى الاستفهام \* (قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا) \* يعني أنعم علينا بالصبر \* (إنه من يتق) \* الله تعالى \* (ويصبر) \* على البلاء " فإن الله لا يضيع أجر المحسنين " أي ثواب الصابرين قوله تعالى \* (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) \* يعني إخوة يوسف إعتذروا إليه فقالوا لقد فضلك الله علينا واختارك \* (وإن كنا لخاطئين) \* يقول وقد كنا لعاصين لله تعالى فيما صنعنا بك

قوله تعالى \* (فلما دخلوا عليه) \* يعني رجعوا إلى يوسف ودخلوا عليه \* (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) \* يعني أصابنا وأهلنا الجوع \* (وجئنا ببضاعة مزجاة) \* قال الحسن يعني قليلة وقال المزجاة النفاية وكان لا يؤخذ في الطعام إلا جيدا في ذلك الوقت لأن الطعام كان عزيزا فلا يؤخذ فيها إلا الجيد وعن عبد الله بن الحارث في قوله \* (وجئنا ببضاعة مزجاة) \* قال متاع الأعراب الصوف والسمن واللبن ونحو ذلك وعن ابن عباس قال يعني جئنا بدراهم رديئة وقال سعيد بن جبير بدراهم زيوف \* (فأوف لنا الكيل) \* يعني أتمم لنا الكيل \* (وتصدق علينا) \* يعني وتصدق علينا ما بين الثمنين يعني ما بين الجيد والرديء \* (إن الله يجزي المتصدقين) \* يعني يشيهم في الآخرة بما صنعوا وقال ابن عباس لو علموا أنه مسلم لقالوا إن الله يجزيك بالصدقة يعني إنه كان يلبس عليهم فلا يعرفون حاله ومذهبه فأخرج يوسف الكتاب الذي كان كتبه يهوذا حين باعوا يوسف ودفعه إليهم فعرف يهوذا خطه وقالوا نحن بعنا هذا الغلام إذ كنا نرعى الغنم فقال لهم ظلمتم وبعتم الحر فدعا يوسف بالسيافين وأمرهم بأن يقتلوا إخوته جميعا فاستغاثوا كلهم وصرخوا وقالوا إن لم ترحمنا فارحم الشيخ الضعيف فإنه قد جزع على ولد واحد فكيف إن هلك أولاده كلهم " قال " لهم يوسف \* (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) \* يعني مذنبون ووصف لهم ما فعلوا به

سورة يوسف ٩٠ - ٩٣

" قالوا أنك لأنك يوسف " قرأ ابن كثير " إنك لأنك يوسف " بهمزة واحدة وكسر الألف يعني حققوا أنه يوسف وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر " أنك " بهمزتين

على معنى الاستفهام يعني إنك يوسف أم لا وقرأ نافع وأبو عمرو " آينك " بهمزة واحدة مع المد ومعناه مثل الأول على معنى الاستفهام \* (قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا) \* يعني أنعم علينا بالصبر \* (إنه من يتق) \* الله تعالى \* (ويصبر) \* على البلاء " فإن الله لا يضيع أجر المحسنين " أي ثواب الصابرين قوله تعالى \* (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) \* يعني إخوة يوسف إعتذروا إليه فقالوا لقد فضلك الله علينا واختارك \* (وإن كنا لخاطئين) \* يقول وقد كنا لعاصين لله تعالى فيما صنعنا بك

" قال " يوسف عليه السلام \* (لا تثريب عليكم اليوم) \* يعني لا تعبير عليكم اليوم ولا عيب ولا عار عليكم وأصل التثريب الإفساد ويقال ثرب الأمر علينا إذا أفسد ثم قال \* (يغفر الله لكم) \* فيما فعلتم \* (وهو أرحم الراحمين) \* من غيره  
ثم قال تعالى \* (اذهبوا بقميصي هذا) \* وروي عن وهب بن منبه قال كان القميص من الجنة وهو القميص الذي ألبس جبريل لإبراهيم حين ألقى في النار فبردت عليه النار فصار عند إسحاق ثم صار عند يعقوب فجعله يعقوب في عودته وعلقه في عنق يوسف فكان معه حين ألقى في الحب ونزع عنه قميصه فبشره جبريل وألبسه في الحب وكان القميص معه وقال لإخوته \* (اذهبوا بقميصي هذا) \* \* (فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا) \* أي يعود إليه بصره وذلك أنه سألهم فقال ما فعل أبي بعدى قالوا لما فارقه بنيامين عمي من الحزن قال \* (اذهبوا بقميصي هذا) \* فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا كما كان أول مرة

ثم قال " وائتوني بأهلكم أجمعين " فاختلفوا فيما بينهم فقال كل واحد منهم أنا أذهب به فقال يوسف يذهب به الذي ذهب بقميصي الأول فقال يهوذا أنا ذهبت بالقميص الأول وهو ملطخ بالدم وأخبرته بأنه قد أكله الذئب وأنا اليوم أذهب بالقميص فأخبره أنه حي وأفرحه كما أحزنته وأمر لهم بالهدايا والدواب والرواحل فتوجهوا نحو كنعان  
سورة يوسف ٩٤ - ٩٨

قوله تعالى \* (ولما فصلت العير) \* يعني خرجت العير من مصر \* (قال أبوهم إنني لأجد ريح يوسف) \* قال ابن عباس لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت بريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال فقال يعقوب إنني لأشم ريح يوسف \* (لولا أن تفندون) \* يقول لولا أن تعيرونني وتجهلونني يقال فنده الهرم إذا خلط في كلامه \* (قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم) \* يعني ولد ولده قالوا ليعقوب إنك مختلط في الكلام كما كنت في القديم من ذكر يوسف

قوله تعالى \* (فلما أن جاء البشير) \* يعني جاء يهوذا بالبشارة \* (ألقاه على وجهه) \* يعني دفع القميص إليه ووضع على وجهه فذلك قوله تعالى \* (فارتد بصيرا) \* يعني رجع بصيرا كما كان " قال " يعقوب لولد ولده \* (ألم أقل لكم إنني أعلم من الله ما لا تعلمون) \* ويقال قال لولده ألم أقل لكم حين قلت لكم " إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا

تعلمون) أن يوسف في الأحياء \* (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) \* فاعتذروا إليه لما فعلوا به وطلبوا منه أن يستغفر لهم واعترفوا بذنبهم أنهم كانوا خاطئين حيث قالوا \* (إنا كنا خاطئين) \* " قال " لهم يعقوب عليه السلام \* (سوف أستغفر لكم) \* يعني عند السحر أستغفر لكم ويقال معناه سوف أستغفر لكم إن شاء الله على وجه التقديم في قوله \* (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) \* فأخر الاستغفار إلى أن قدموا مصر فاستغفر لهم ليلة الجمعة عند السحر \* (إنه هو الغفور الرحيم) \* لمن تاب ورجع وندم على ما فعل فخرجوا كلهم بأثقالهم وأهاليهم ومواشيهم وكانوا اثنين وسبعين رأساً وروى أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود أنه قال كان أهل بيت يعقوب حين دخلوا مصر ثلاثة وسبعين إنساناً رجالهم ونسأؤهم فخرجوا مع موسى عليه السلام وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً فلما دنوا من مصر خرج يوسف بجماعته وحاشيته حتى أدخلهم مصر

سورة يوسف ٩٩ - ١٠٠

قوله تعالى \* (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه) \* أي ضم إليه \* (أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) \* قال أبو عبيدة هذا من كلام يعقوب حيث قال سوف أستغفر لكم إن شاء الله وكذلك قال ابن جريج ويقال هذا من كلام يوسف قال لهم حين دخلوا مصر انزلوا بأرض مصر ويقال إنما قال لهم قبل أن يدخلوها \* (ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) \* من الجوع ويقال من الخوف لأنها أرض الجبابرة قوله تعالى \* (ورفع أبويه على العرش) \* يعني على السرير أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله قال مقاتل يعني أباه وخالته وكانت أمه راحيل قد ماتت وخالته تحت يعقوب أبيه وعن وهب بن منبه قال أبوه وخالته وعن سفيان الثوري مثله وهو قول ابن عباس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الخالة أم ويقال إن أمه راحيل قد ماتت في ولادة بنيامين ولذلك سمي بنيامين واليامين وجع الولادة بلسانهم ثم قال \* (وخرّوا له سجداً) \* على وجه التقديم يعني \* (وخرّوا له سجداً) \* \* (ورفع أبويه على العرش) \* وكانت تحيتهم أن يسجد الوضيع للشريف فسجد له إخوته وأبوه وخالته " وقال " يعني يوسف عند ذلك \* (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) \* يعني هذا السجود تحقيق رؤياي من قبله \* (قد جعلها ربي حقاً) \* يعني جعل رؤياي صدقاً ويقال كائنا وروي

" وقال " يعني يوسف عند ذلك \* (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) \* يعني هذا السجود تحقيق رؤياي من قبله \* (قد جعلها ربي حقا) \* يعني جعل رؤياي صدقا ويقال كائنا وروي عن ابن عباس أنه قال كان بين رؤياه وبين ذلك اثنان وعشرون سنة وروى أبو عثمان النهدي عن سلمان أنه قال كان بين رؤياه وبين أن رأى تأويلها أربعين سنة وعن عبد الله بن شداد بن الهاد أنه قال وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة وإليه ينتهي الرؤيا وقال السدي كان بينهما تسع وثلاثون سنة وقال حين رأى رؤياه كان يوسف ابن تسع سنين فظهر تأويلها وهو ابن أربعين سنة

ثم قال تعالى \* (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو) \* يعني جاء بكم معافين سالمين من البادية يعني أرض كنعان و \* (من بعد أن نزغ الشيطان) \* يعني من بعد أن أفسد وألقى الشيطان \* (بينني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء) \* من الفرقة والجماعة ويقال " لطيف " في فعالة إن يشأ فرق وإن يشأ جمع \* (إنه هو العليم) \* بما صنعوا \* (الحكيم) \* إذ رد علي أبي وجمع بيني وبين إخوتي

سورة يوسف ١٠١

قوله تعالى \* (رب قد آتيتني من الملك) \* قال الفقيه أبو الليث رحمه الله إن الله تعالى مدح يوسف في هذه السورة في ثمانية مواضع أولها أن أخوته لما فعلوا به ما فعلوا صرف العداوة من إخوته إلى الشيطان فقال \* (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) \* والثاني حين راودته المرأة قال \* (إنه ربي أحسن مثواي) \* فعرف حرمة سيده ولم يهتك حرمة الثالث \* (قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) \* فاختر السجن على الشهوة الحرام والرابع قال \* (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) \* بعد ما ظهر أن الذنب كان من غيره والخامس لما اعتذر إليه إخوته قال لهم " لا تثريب عليكم واليوم " والسادس أنه بعث القميص على يد إخوته كما أدخلوا على أبيهم الحزن في الابتداء أراد أن يدخلوا عليه السرور فقال \* (اذهبوا بقميصي هذا) \* والسابع لما لقي أباه لم يذكر عنده ما لقي من الشدة وإنما ذكر المحاسن حيث قال \* (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو) \* والثامن لما تم أمره تمنى الموت وترك الدنيا قال \* (رب قد آتيتني من الملك) \* أي أعطيتني من الملك يعني بعض الملك وهو ملك مصر \* (وعلمتني من تأويل الأحاديث) \* يعني بعض التأويل ويقال " من " هاهنا لإبانة الجنس لا للتبعض ومعناه " رب قد آتيتني من الملك وعلمتني تأويل الأحاديث " يعني تعبير الرؤيا \* (فاطر السماوات والأرض) \* يعني خالق السماوات والأرض " أنت وليي في الدنيا

والآخرة) يعني ولي نعمتي في الدنيا والآخرة ويقال أنت حافظي وناصري وربّي في الدنيا والآخرة\* (توفني مسلماً)\* يعني أمتني مخلصاً بتوحيديك\* (وألحقني بالصالحين)\* يعني بآبائي المرسلين ويقال عاش يعقوب في أرض مصر سبع عشرة سنة وكان عمره مائة وسبعاً وأربعين سنة وعاش يوسف بعده ثلاثاً وعشرين سنة ومات يوسف وهو ابن مائة وعشرين سنة ويقال ابن مائة وعشر سنين وأوصى يعقوب بأن يدفن عند آباءه فحمل إلى الأرض المقدسة فدفن مع أخيه عيصو بن إسحاق عليهم السلام فلما مات يوسف أرادوا أن يحملوه إلى الأرض المقدسة فلم يتركهم أهل مصر واختلفوا في دفنه وأراد أهل كل محلة أن يدفن في مقابرهم وكاد أن يقع بينهم قتال حتى إصطلحوا واتفقوا على أن يدفن عند قسمة مياههم في أعلى مصر لكي يصيب بركته أهل مصر وكان هناك إلى زمن موسى عليه السلام فرفعه موسى وحمله إلى الأرض المقدسة ووضعها عند آباءه وقد كان يوسف أوصى إلى بني إسرائيل أن يحملوا عظامه من أرض مصر إذا خرجوا من أرض مصر

سورة يوسف ١٠٢ - ١٠٦

قوله تعالى\* (ذلك من أنباء الغيب)\* يقول من أخبار ما غاب عنك علمه يا محمد\* (نوحيه إليك)\* يعني ننزل عليك جبريل بالقرآن ليقرأه عليك\* (وما كنت لديهم)\* يعني وما كنت عند إخوة يوسف\* (إذ أجمعوا أمرهم)\* يعني قولهم أن يطرحوا يوسف في البئر\* (وهم يمكرون)\* أي يحتالون ليوسف ثم قال\* (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)\* في الآية تقديم ومعناه وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت لعلم الله السابق فيهم ويقال\* (ولو حرصت بمؤمنين)\* يعني من قدرت عليه الكفر وعلمت أنه أهل لذلك لا يؤمن بك ثم قال تعالى\* (وما تسألهم عليه من أجر)\* يعني على الإيمان يعني إن لم يجيبوك فلا تبال لأنهم لا ينقصون من رزق ربك شيئاً\* (ان هو)\* يعني ما هذا القرآن\* (إلا ذكر للعالمين)\* من الجن والإنس قوله تعالى\* (وكأين من آية)\* يعني وكم من علامة\* (في السماوات والأرض)\* يعني الشمس والقمر والنجوم وفي الأرض الأمم الخالية والأشياء التي خلقت في الأرض\* (يمرون عليها وهم عنها معرضون)\* يعني مكذبين لا يتفكرون فيما قال

ثم قال تعالى \* (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) \* قال ابن عباس قال الله تعالى \* (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) \* فهذا إيمان منهم ثم هم يشركون وقال القتبي وهم في غيره مشركون قد يكون في معان فمن الإيمان تصديق ببعض وتكذيب ببعض قال الله تعالى \* (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) \* [يوسف: ١٠٦] يعني مقرون أن الله خالقهم وهم مع ذلك يجعلون لله شريكا وقال الضحاك كانوا مشركين في تلبيتهم وقال عكرمة يعلمون أنه ربهم وهم مشركون به من دونه

سورة يوسف ١٠٧ - ١٠٨

ثم قال تعالى \* (أفأمنوا) \* يعني أهل مكة \* (أن تأتيهم غاشية) \* يعني يغشاهم العذاب ويقال غاشية قطعة \* (من عذاب الله) \* في الدنيا \* (أو تأتيهم الساعة بغتة) \* يعني فجأة \* (وهم لا يشعرون) \* بقيامها \* (قل) \* يا محمد \* (هذه سبيلي) \* يعني ديني الإسلام ويقال هذه دعوتي \* (ادعوا) \* الخلق \* (إلى الله) \* تعالى ويقال ادعوكم إلى توحيد الله وعبادته \* (على بصيرة) \* أي على يقين وحقيقة ويقال على بيان \* (أنا ومن اتبعني) \* يعني من اتبعني على ديني فهو أيضا على بصيرة \* (وسبحان الله) \* تنزيها له عن الشرك \* (وما أنا من المشركين) \* على دينهم

سورة يوسف ١٠٩ - ١١٠

قوله تعالى \* (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم) \* يعني الأنبياء كانوا من الأدميين ولم يكونوا من الملائكة قرأ عاصم في رواية حفص \* (نوحى إليهم) \* بالنون وقرأ الباقون بالياء " يوحى إليهم " ومعناها واحد \* (من أهل القرى) \* يعني منسوبين إليها ثم أمرهم بأن يعتبروا فقال تعالى \* (أفلم يسيروا) \* يعني يسافروا \* (في الأرض) \* ويقال يقرؤوا القرآن \* (فينظروا) \* يعني يعتبروا \* (كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) \* يعني كيف كان آخر المنذرين من قبلهم من الأمم الخالية \* (ولدار الآخرة) \* وهي الجنة \* (خير للذين اتقوا) \* الشرك \* (أفلا تعقلون) \* أن الآخرة أفضل من الدنيا

ثم رجع إلى حديث الرسل الذين كذبهم قومهم فقال تعالى \* (حتى إذا استيأس الرسل) \* يعني أيسوا من إيمان قومهم أن يؤمنوا \* (وظنوا أنهم قد كذبوا) \* قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي \* (كذبوا) \* بتخفيف الذال وقرأ الباقون بالتشديد وروى الأعمش عن أبي



الضحى عن ابن عباس أنه قرأ \* (كذبوا) \* بتخفيف الذال ويقال لما أيسر الرسل أن يستجيب لهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم جاءهم بالنصرة وروى ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه قال \* (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) \* قال كانوا بشرا فضعفوا وسئموا وظنوا أنهم قد كذبوا وأشار بيده إلى السماء قال ابن أبي مليكة فذكرت ذلك لعروة فقال قالت عائشة رضي الله عنها معاذ الله ما حدث رسوله شيئا إلا وعلم الله أنه سيكون قبل أن يموت قالت ولكن نزل بالأنبياء البلاء حتى خافوا أن يكون من معهم من المؤمنين كذبوهم وكانت تقرأ \* (قد كذبوا) \* بالتشديد وعن عائشة قالت استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم وظنوا أن من قد آمن بهم من قومهم قد كذبوهم وقال القتيبي الذي قالت عائشة أحسنها في الظاهر وأولاها بأنبياء الله تعالى \* (جاءهم نصرنا) \* أي للأنبياء بالنصرة

ثم قال \* (فنجي من نشاء) \* يعني من آمن بالأنبياء قرأ عاصم وابن عامر \* (فنجي من نشاء) \* بنون واحدة مع التشديد وقرأ الباقون بالنونين إلا أن من قرأ بنون واحدة أدغم إحداهما في الأخرى ثم قال \* (ولا يرد بأسنا) \* يعني عذابنا \* (عن القوم المجرمين) \* يعني الكافرين

سورة يوسف ١١١

قوله تعالى \* (لقد كان في قصصهم) \* يعني في قصة يوسف وإخوته \* (عبرة لأولي الألباب) \* يعني لذوي العقول يعني عجيبة لمن له عقل لكيلا يحسد أحد أحدا ويقال لمن أراد أن يعتبر بيوسف ويقتدي به ولا يكافىء أحدا بسيئة ويقال \* (عبرة) \* يعني دلالة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لمن أراد أن يؤمن به \* (ما كان حديثا يفترى) \* يعني مثل هذا الكلام لا يكون اختلافا وكذبا \* (ولكن تصديق الذي بين يديه) \* من الكتب التوراة والإنجيل " وتفصيل كل شيء " يعني بيان الحلال والحرام \* (وهدى) \* من الضلالة \* (ورحمة) \* يعني رحمة من العذاب \* (لقوم يؤمنون) \* يعني يصدقون بتوحيد الله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن والله أعلم

سورة الرعد وهي أربعون وخمس آيات كلها مكية غير آيتين قوله تعالى " ولا يزال  
الذين كفروا " " ومن عنده علم الكتاب " ويقال كلها مكية

سورة الرعد ١ - ٢

قوله تعالى \* (الم) \* قال ابن عباس أنا الله أعلم وأرى ويقال معناه أنا الله أعلم وأرى  
ما تحت العرش إلى الثرى وما بينهما ويقال أنا الله أعلم وأرى ما لا يعلم الخلق وما لا  
يرى ويقال أنا الله أعلم وأرى ما يعملون ويقولون ويقال هذا قسم أقسم الله به \* (تلك  
آيات الكتاب) \* قال قتادة يعني التي قبل القرآن من التوراة والإنجيل \* (والذي) \* يعني  
القرآن \* (أنزل إليك من ربك الحق) \* يعني الكتب التي قبل القرآن والقرآن الذي أنزل  
إليك كله من الله تعالى وهو الحق والإيمان به واجب وقال ابن عباس \* (تلك آيات  
الكتاب) \* يعني تلك آيات القرآن ومعناه هذه آيات الكتاب " والذي أنزل من ربك هو  
الحق " يعني القرآن

ويقال \* (تلك آيات الكتاب) \* يعني الأحكام والحجج والدلائل \* (والذي أنزل إليك)  
\* يعني جبريل ليقرأ عليك من ربك الحق يعني اتبعوه واعملوا به \* (ولكن أكثر الناس)  
\* يعني أهل مكة \* (لا يؤمنون) \* يعني لا يصدقون أنه من الله تعالى

فلما ذكر أنهم لا يؤمنون بين في الدلائل التي توجب التصديق بالخالق فقال تعالى \*  
(الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها) \* يعني ليس لها عمد ترونها يعني بلا عمد  
تبصرونها وهذا قول الحسن وقتادة وقال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه لها عمد  
ولكن لا ترونها يعني أنتم ترونها بغير عمد في المشاهدة ولكن لها عمد وكلا  
التفسيرين معناهما واحد لأن من قال إن لها عمدا ولكن لا ترونها يقول العمدة هو قدرة  
الله تعالى التي تمسك السماوات والأرض

\* (ثم استوى على العرش) \* قال ابن عباس كان فوق العرش حين خلق السماوات  
والأرض وقد ذكرناه من قبل \* (وسخر الشمس والقمر) \* يعني ضوء الشمس بالنهار  
وضوء

القمر بالليل وذلك لبني آدم \* (كل يجري لأجل مسمى) \* يقول يسير إلى وقت معلوم لا يجاوزه وللشمس والقمر منازل كل واحد منهما يغرب في كل ليلة في منزل ويطلع في منزل حتى ينتهي إلى أقصى منازلها \* (يدبر الأمر) \* يعني يقضي القضاء ويبعث الملائكة بالوحي والتنزيل \* (يفصل الآيات) \* يقول يبين العلامات في القرآن \* (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) \* يعني تصدقون بالبعث

سورة الرعد ٣ - ٤

قوله تعالى \* (وهو الذي مد الأرض) \* يعني بسط الأرض من تحت الكعبة على الماء وكانت تكفي بأهلها كما تكفي السفينة فأرساها الله بالجبال الثقال وهو قوله تعالى \* (وجعل فيها رواسي) \* يعني الجبال الثوابت من فوقها \* (وأنهارا) \* يعني خلق في الأرض أنهارا \* (ومن كل الثمرات) \* يعني خلق فيها من ألوان كل الثمرات \* (جعل فيها زوجين اثنين) \* يعني خلق من كل شيء لونين من الثمار حلوا وحامضا ومن الحيوان ذكرا وأنثى

\* (يغشي الليل النهار) \* يعني يعلو الليل على النهار ويعلو النهار على الليل واقتصر بذكر أحدهما إذا كان في الكلام دليل عليه قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر \* (يغشى) \* بنصب الغين وتشديد الشين وقرأ الباقون بالجزم والتخفيف ثم بين أن ما ذكر من هذه الأشياء فيه برهان وعلامات لمن تفكر فيها فقال \* (إن في ذلك) \* يعني فيما ذكر من صنعه \* (آيات) \* يعني لعبرات \* (لقوم يتفكرون) \* في اختلاف الليل والنهار في وحدونه

ثم بين أن في الأرض علامات كثيرة ودلائل كثيرة لوحدانيته لمن له عقل سليم فقال تعالى \* (وفي الأرض قطع متجاورات) \* يعني بالقطع الأرض السبخة والأرض العذبة \* (متجاورات) \* يعني ملتصقات متدليات قريبة بعضها من بعض فتكون أرضا سبخة وتكون إلى جنبها أرض طيبة جيدة وقال قتادة \* (قطع متجاورات) \* أي قرى متجاورات ويقال العمران والخراب والقرى والمفاوز \* (وجنات من أعناب) \* يعني الكروم \* (وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) \* قرأ بعضهم بضم الصاد وقراءة العامة بالكسر وهما لغتان ومعناهما واحد قال مجاهد وقتادة الصنوان النخلة التي في أصلها نخلتان وثلاث أصلهن واحد وقال الضحاك يعني النخل المتفرق والمجتمع ويقال \* (صنوان) \* النخلة التي بجنبها نخلات \* (وغير صنوان) \* يعني المنفردة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تؤذوني في العباس فإنه

بقية آبائي وإن عم الرجل صنو أبيه قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص \*  
(وزرع ونخيل صنوان) \* كلها بالضم على معنى الابتداء وقرأ الباقون بالكسر على معنى  
النعث للجنات ويقال على وجه المجاورة لأن الزرع لا يكون في الجنات  
ثم قال \* (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل) \* يعني أن الماء  
والتراب واحد وتكون الثمار مختلفة في ألوانها وطعومها فدل على نفسه وبراهينه على  
من ضل عنه لأنه لو كان ظهور الثمار بالماء والتراب لوجب في القياس أن لا تختلف  
الألوان والطعوم ولا يقع التفاضل في الجنس الواحد إذا ثبت في مغرس واحد وسقى  
بماء واحد ولكنه صنع اللطيف الخبير وقال مجاهد هذا مثل لبني آدم أصلهم من أب  
واحد ومنهم صالح ومنهم خبيث

ثم قال تعالى \* (إن في ذلك) \* يعني فيما ذكر \* (آيات لقوم يعقلون) \* أنه من الله  
تعالى قرأ حمزة والكسائي \* (يسقى) \* بالياء و " يفضل " بالياء وقرأ عاصم وابن عامر  
في إحدى الروايتين \* (يسقى) \* بالياء بلفظ التذكير \* (ونفضل) \* بالنون وقرأ الباقون  
\* (تسقى) \* بالتاء \* (ونفضل) \* بالنون

سورة الرعد ٥

ثم قال تعالى \* (وإن تعجب فعجب قولهم) \* قال الكلبي يعني إن تعجب من تكذيب  
أهل مكة لك وكفرهم بالله \* (فعجب قولهم) \* يقول أعجب من ذلك قولهم \* (أئذا  
كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) \* وقال مقاتل \* (وإن تعجب) \* مما أوحينا إليك من  
القرآن فعجب قولهم \* (أئذا كنا ترابا) \* \* (أئنا لفي خلق جديد) \* إكذابا منهم بالبعث  
قرأ الكسائي " أئذا " بهمزتين على وجه الاستفهام وقرأ عاصم وحمزة كليهما بهمزتين  
وقرأ أبو عمرو " أئذا " بهمزة واحدة مع المد وكذلك في قوله \* (أئنا) \* بالمد وقرأ  
ابن كثير " أئذا " بالياء وكذلك \* (أئنا) \* وقرأ ابن عامر " إئذا كنا " بهمزة واحدة بغير  
استفهام \* (أئنا) \* بالهمزة والمد قال لأنهم لم يشكوا في الموت وإنما شكوا في البعث  
فينبغي أن يكون الاستفهام في الثاني دون الأول

ثم قال تعالى \* (أولئك الذين كفروا بربهم) \* يعني جحدوا بوحدانية الله تعالى \*  
(وأولئك الأغلال في أعناقهم) \* يعني تغل أيمنهم على أعناقهم بالحديد في النار \*  
(وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) \* أي دائمون فيها ولا يخرجون منها

سورة الرعد ٦

قوله تعالى \* (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) \* قال ابن عباس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم العذاب استهزاء منهم بذلك فنزل \* (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) \* يعني بالعذاب قبل العافية \* (وقد خلت من قبلهم المثالات) \* يعني قد مضت من قبلهم العقوبات والنقمة قبل قريش فيمن هلك وأصل المثلة الشبه وما يعتبر به وجمعه المثالات \* (وإن ربك لذو مغفرة) \* يقول تجاوز \* (للناس على ظلمهم) \* يعني على شركهم إن تابوا ويقال بتأخير العذاب عنهم \* (وإن ربك لشديد العقاب) \* لمن مات منهم على شركه

سورة الرعد ٧ - ٨

قوله تعالى \* (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) \* يعني هلا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم علامة من ربه لنبوته  
قال الله تعالى \* (إنما أنت منذر) \* يعني مخوفا ومبلغا لهذه الأمة الرسالة \* (ولكل قوم هاد) \* قال الكلبي داع يدعوهم إلى الضلالة أو إلى الحق وقال الضحاك يعني \* (إنما أنت منذر) \* وأنا الهادي وقال سعيد بن جبير الهادي هو الله وقال عكرمة محمد صلى الله عليه وسلم هو النذير وهو الهادي يعني يدعوهم إلى الهدى \* (ولكل قوم هاد) \* وقال مجاهد يعني لكل قوم نبي قرأ ابن كثير \* (هادي) \* بالياء عند الوقف وكذلك قوله " ما لك من الله من ولي ولا واق " [الرعد: ٣٧] وقرأ الباقون بغير ياء  
قوله تعالى \* (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) \* ذكرنا أو أنثى ويعلم ما في الأرحام سويًا أو غير سوي ثم قال \* (وما تغيض الأرحام) \* يعني ما تنقص الأرحام من تسعة أشهر في الحمل \* (وما تزداد) \* يعني على التسعة أشهر في ذلك الحمل " وكل شيء عنده بمقدار " قال قتادة رزقهم وأجلهم وقال ابن عباس من الزيادة والنقصان والمكث في البطن والخروج كل ذلك بمقدار قدره الله تعالى فلا يزيد ولا ينقص على ذلك وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى \* (وما تغيض الأرحام) \* يعني الحامل إن ترى الدم نقص من الولد وإن لم تر الدم يزيد في الولد وروى أسباط عن السدي قال إن المرأة إذا حملت واحتبس حيضها كان ذلك الدم رزقا للولد فإذا حاضت على ولدها خرج وهو أصغر من الذي لم تحض عليه \* (وما تغيض الأرحام) \* وهي الحيضة التي على الولد \* (وما تزداد) \* فحين يستمسك الدم فلا تحيض وهي حبلى قال الفقيه هذا الذي قال السدي إن الحامل تحيض إنما هو على سبيل المجاز لأن دم الحامل لا يكون حيضا ولكن معناه إذا سال منها الدم فيكون ذلك استحاضة  
قال حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا ابن خزيمة قال حدثنا علي قال حدثنا

إسماعيل عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام أحد إلا الله ولا يعلم ما في غد أحد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله تعالى  
سورة الرعد ٩ - ١٢

ثم قال تعالى \* (عالم الغيب والشهادة) \* يعني ما غاب عن العباد وما شاهدوه ويقال عالم بما كان وبما لم يكن ويقال عالم السر والعلانية \* (الكبير المتعال) \* يعني هو أكبر وأعلى من أن تكون له صاحبة وولد  
قوله تعالى \* (سواء منكم من أسر القول) \* يعني سواء عند الله من أسر القول \* (ومن جهر به) \* يعني من أخفى العمل ومن أعلن بالعمل \* (ومن هو مستخف بالليل) \* يعني في ظلمة الليل \* (وسارب بالنهار) \* أي منصرف في حوائجه يقال سرب يسرب إذا انصرف ومعناه المختفي والظاهر عنده سواء وقال مجاهد المستخفي بالمعصية والسارب يعني الظاهر بالمعاصي \* (له معقبات) \* قال ابن عباس له حافظات \* (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) \* يعني بأمر الله حتى ينتهوا به إلى المقادير فإذا جاءت المقادير خلوا بينه وبين المقادير المعقبات يعني الملائكة يعقب بعضهم بعضا في الليل والنهار إذا مضى فريق يخلفه بعده فريق وروي عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة \* (له معقبات) \* قال الملائكة يتعاقبون بالليل والنهار \* (يحفظونه من أمر الله) \* يعني بأمر الله ويقال للمؤمن طاعات وصدقات \* (يحفظونه من أمر الله) \* أي من عذاب الله عند الموت وفي القبر وفي يوم القيامة  
ثم قال \* (إن الله لا يغير ما بقوم) \* يعني لا يبدل ما بقوم من النعمة التي أنعمها عليهم \* (حتى يغيروا) \* يقول يبدلوا \* (ما بأنفسهم) \* بترك الشكر قال مقاتل \* (إن الله لا يغير ما بقوم) \* يعني كفار مكة نظيرها في الأنفال \* (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم) \* [الأنفال: ٥٣] إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم وأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف فلم يعرفوها فغير ما بهم فجعل ذلك لأهل المدينة قال الفقيه أبو الليث رحمه الله في الآية تنبيه لجميع الخلق ليعرفوا نعمة الله عليهم ويشكروه لكيلا تزول عنهم النعم

ثم قال تعالى \* (وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له) \* يعني إذا أراد بهم عذاباً أو هلاكاً فلا مرد لقضائه \* (وما لهم من دونه من وال) \* يعني ليس لهم من عذابه ولي ولا قريب يمنعهم ولا ملجأ يلجؤون إليه

قوله تعالى \* (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً) \* يعني خوفاً للمسافر وطمعاً للمقيم الحاضر ويقال \* (خوفاً) \* لمن يخاف ضرر المطر \* (وطمعاً) \* لمن يحتاج إلى المطر لأن المطر يكون لبعض الأشياء ضرراً ولبعضها رحمة  
ثم قال \* (وينشئ السحاب الثقيل) \* يعني يخلق السحاب الثقيل من الماء

سورة الرعد ١٣ - ١٤

قوله تعالى " ويسبح الرعد بحمده " يعني بأمره قال حدثنا عمرو بن محمد قال حدثنا أبو بكر الواسطي قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا وكيع عن عمرو بن أبي زائدة أنه قال سمعت عكرمة يقول الرعد ملك يزرع السحاب بصوته كالحادي بالإبل وروى وكيع عن المسعودي عن سلمة بن كهيل أنه سئل عن الرعد فقال هو ملك يزرع السحاب وسئل عن البرق فقال هو مخاريق بأيدي الملائكة وسئل وهب بن منبه عن الرعد فقال ثلاث ما أظن أحداً يعلمهن إلا الله عز وجل الرعد والبرق والغيث وما أدري من أين هن وما هن ف قيل له \* (أنزل من السماء ماء) \* قال نعم ولا ندري أنزل من السماء أو من السحاب فتلقحت فيه أو يخلق في السحاب فيمطر وسمى السحاب سماء وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الرعد فقال هو ملك في السماء واسمه الرعد والصوت الذي يسمع هو زجر السحاب ويؤلف بعضه إلى بعض فيسوقه ثم قال " والملائكة من خيفته " يقول يسبح الملائكة كلهم خائفين لله تعالى " ويرسل الصواعق " وهي نار من السماء لا دخان لها " فيصيب بها من يشاء " من خلقه " وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال " قال ابن عباس يعني الله تعالى " شديد المحال " ويقال أصله في اللغة الحيلة وقال قتادة يعني الحيلة والقوة لله ويقال هو شديد القدرة والعذاب ويقال " المحال " في اللغة هو الشدة وقال بعضهم هو كناية عن الذي يجادل ويكون معناه " فيصيب بها من يشاء " وهم يجادلون في الله " يعني يصيبهم في حال جدالهم وقال مجاهد جاء يهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني من أي شيء ربك أمن لؤلؤ هو

فأرسل الله عليه صاعقة فقتلته فنزل " وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال " يعني شديد العداوة وقال قتادة دخل عامر بن الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أسلم على أن لك المدر ولي الوبر يعني لك ولاية القرى ولي ولاية البوادي فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنت من المسلمين لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال عامر لك الوبر ولي المدر فأجابه بمثل ذلك قال عامر ولي الأمر من بعدك فأجابه بمثل ذلك فغضب عامر وقال لأملأنها عليك رجالا ألفا رجل أشعر وألفا أمرد فخرج ولقي أربد بن قيس فقال له ادخل على محمد واله بالكلام حتى أدخل فأقتله فدخلا عليه فجعل عامر يسأله ويقول أخبرنا يا محمد عن إلهك أمن ذهب هو أم من فضة فلما طال حديثه قاما وخرجا فقال عامر مالك لم تقتله قال كلما أردت أن أقتله وجدتك بيني وبينه فجاء جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فدعا عليه فأصابته صاعقة فقتلته فنزل " ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال "

قوله تعالى " له دعوة الحق " يعني كلمة الإخلاص لا إله إلا الله يدعو الخلق إليها ويقال معناه له على العباد دعوة الحق أن يدعوهم فيجيئهم " والذين يدعون من دونه " يعني الأصنام والأوثان " لا يستجيبون لهم بشيء " يقول لا ينفعهم بشيء " إلا كباسط كفيه " يعني كماء يديه " إلى الماء ليلبغ فاه " والعرب تقول لمن طلب شيئا لا يجده هو كقباض الماء يعني كمن هو مشرف يدعو الماء بلسانه ومشرف يدعو الماء بلسانه فلا يجيبه أبدا أو يشير باليد " وما هو ببالغه " يقول فلا يناله أبدا وقال مجاهد كالذي يشير بيده إلى الماء فيدعوه بلسانه فلا يجيبه أبدا هذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك الذي عبد مع الله إلها آخر أنه لا يجيبه الصنم ولا ينفعه كمثل العطشان الذي ينظر إلى الماء من بعيد ولا يقدر عليه " وما دعاء الكافرين " يقول ما عبادة أهل مكة " إلا في ضلال " يضل عنهم إذا احتاجوا إليه في الآخرة

سورة الرعد ١٥

قوله تعالى " ولله يسجد من في السماوات والأرض " من الخلق \* (طوعا وكرها) \* قال قتادة أما المؤمن فيسجد لله طائعا وأما الكافر فيسجد كرها ويقال أهل الإخلاص يسجدون لله طائعين وأهل النفاق يسجدون له كرها ويقال من ولد في الإسلام يسجد \* (طوعا) \* ومن سبي في دار الحرب يسجد \* (كرها) \* ويقال " يسجد لله " يعني يخضع له من في السماوات والأرض ولا يقدر أحد أن يغير نفسه عن خلقته " وظلالهم " يعني تسجد ظلالهم



وسجود الظل دورانه ويقال ظل المؤمن يسجد معه وظل الكافر يسجد لله تعالى إذا سجد الكافر للصنم \* (بالغدو والآصال) \* يعني أول النهار وآخره وقال أهل اللغة الأصيل ما بين العصر إلى المغرب وجمعه أصل والآصال جمع الجمع  
سورة الرعد ١٦ - ١٧

قوله تعالى " قل من رب السماوات والأرض " يعني قل يا محمد لأهل مكة من خالق السماوات والأرض فإن أجابوك وإلا ف \* (قل الله) \*  
ثم قال " قل أفأخذتم من دونه أولياء " يعني أفعبدتم غيره " لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير " أي كما لا يستوي الأعمى والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن ويقال \* (الأعمى) \* الجاهل الذي لا يتفكر ولا يرغب في الحق \* (والبصير) \* العالم الذي يتفكر ويرغب في الحق " أم هل تستوي الظلمات والنور " أي كما لا تستوي الظلمات والنور فكذلك لا يستوي الإيمان والكفر قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر \* (يستوي) \* بلفظ التذكير وقرأ الباقون بالتاء بلفظ التأنيث لأن تأنيثه ليس بحقيقي فيجوز أن يذكر ويؤنث ولأن الفعل مقدم على الاسم

ثم قال " أم جعلوا لله شركاء " يعني بل جعلوا لله شركاء من الأصنام ويقال معناه أ جعلوا لله شركاء والميم صلة ثم قال " خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم " يعني هل خلق الأوثان خلقا كما خلق الله فاشتبه عليهم خلق الله تعالى من خلق غيره فلما ضرب الله مثلا لآلهتهم سكتوا

قال الله تعالى " قل الله خالق كل شيء " قل يا محمد الله عز وجل خالق جميع الموجودات " وهو الواحد القهار " يعني الذي لا شريك له القاهر لخلقه القادر عليهم ثم ضرب الله تعالى مثلا للحق والباطل لأن العرب كانت عادتهم أنهم يوضحون الكلام بالمثل وقد أنزل الله تعالى القرآن بلغة العرب فأوضح لهم الحق من الباطل بالمثل فقال \* (أنزل من السماء ماء) \* يعني المطر " فسالت أودية بقدرها " يعني سال في الوادي الكبير بقدره وفي الوادي الصغير بقدره فشبه القرآن بالمطر وشبه القلوب بالأودية وشبه الهدى بالسييل " فاحتمل السييل زبدا رابيا " يعني عاليا على الماء فشبه الزبد بالباطل يعني احتملته القلوب

على قدر أهوائها باطلا كبيرا فكما أن السيل يجمع كل قدر كذلك الأهواء تحتمل الباطل وكما أن الزبد لا وزن له فكذلك الباطل لا ثواب له فذلك قوله " فأما الزبد فيذهب جفاء " يعني يذهب كما جاء ويقال يذهب " جفاء " أي سريعا وقال مقاتل " جفاء " أي يابس فلا ينتفع به ويقذفه السيل وقال القتبي الجفاء ما رمى به الوادي في جنباته ويقال جفأت القدر بزبدها إذا ألقته عنها " وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض " يعني يبقى الماء الصافي في الأرض فكذلك الإيمان واليقين ينتفع به أهله في الآخرة كما ينتفع بالماء الصافي في الدنيا والباطل لا ينتفع به لا في الدنيا ولا في الآخرة ثم ضرب مثلا آخر بالذهب والفضة فقال تعالى " ومما يوقدون عليه في النار " من الذهب والفضة " ابتغاء حلية " يعني التماس حلية تلبسونها يخرج منها الخبث ويبقى الذهب والفضة خالصا

ثم ضرب مثلا آخر فقال " أو متاع زبد مثله " يعني النحاس والحديد والصفير يزول عنها الخبث ويبقى الصفير والحديد خالصا فيتخذ منها المتاع فهذه ثلاثة أمثال ضربها الله تعالى في مثل واحد كما يضمحل هذا الزبد ويبقى خالص الماء وخالص الذهب والفضة والحديد والصفير فكذلك يضمحل الباطل عن أهله وكما يمكث الماء في الأرض ويخرج نباتها وكما يبقى خالص الذهب والفضة حين يدخلان النار فكذلك يبقى الحق وثوابه لصاحبه وقال القتبي في قوله " فاحتمل السيل زبدا رابيا " قال هذا مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل يقول الحق الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلا فإن الله سيمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله مثل مطر سال في الأودية بقدرها " فاحتمل السيل زبدا رابيا " أي عاليا على الماء كما يعلو الباطل تارة على الحق ومن جواهر الأرض التي تدخل الكور توقدون عليها يعني الذهب والفضة للحلية " أو متاع " يعني الشبه والحديد والآنك يكون للآنية له خبث يعلوها مثل زبد الماء فأما الزبد فيذهب جفاء يتعلق بأصول الشجر وكنبات الوادي وكذلك خبث الفلز يعني الجوهر يقذفه فهذا مثل الباطل وأما ما ينفع الناس وينبت المرعى فيمكث في الأرض فكذلك الصفير من الفلز يبقى صالحا فهو مثل الحق

ثم قال " كذلك يضرب الله الحق والباطل " على وجه التقديم والتأخير يعني هكذا يضرب الله المثل للحق والباطل ويقال معناه هكذا يبين الله الحق من الباطل " فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض " على معنى التقديم والتأخير وقد ذكرناه من قبل " كذلك يضرب الله الأمثال " يعني يبين الله الأشباه ويوضح الطريق

ويقوم الحجة

سورة الرعد ١٨

ثم قال " للذين استجابوا لربهم الحسنى " يعني للذين أجابوا ربهم بالطاعات في الدنيا لهم الجنة في الآخرة  
ثم قال " والذين لم يستجيبوا له " يعني لم يجيبوه ولم يطيعوه في الدنيا \* (لو أن لهم ما في الأرض جميعاً) \* يوم القيامة \* (ومثله معه) \* يعني وضعفه معه " لافتدوا به " يقول لفادوا به أنفسهم من العذاب ولو فادوا به لا يقبل منهم " أولئك لهم سوء الحساب " يعني شديد العقاب ويقال " سوء الحساب " المناقشة في الحساب وروي عن إبراهيم النخعي أنه قال أتدرون ما سوء الحساب قالوا لا قال هو الذنب يحاسب عليه العبد ثم لا يغفر له وعن الحسن أنه سئل عن سوء الحساب قال يؤخذ العبد بذنوبه كلها فلا يغفر له منها ذنب

ثم قال \* (ومأواهم جهنم) \* أي مصيرهم ومرجعهم إلى جهنم \* (وبئس المهاد) \* يعني الفراش من النار ويقال بئس موضع القرار في النار

سورة الرعد ١٩ - ٢٥

قوله تعالى " أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق " يعني يعلم أن القرآن الذي أنزل من الله تعالى هو الحق " كمن هو أعمى " يعني كمن هو لا يعلم ويقال " أفمن يعلم " أن ما ذكر من المثل حق كمن لا يعلم وهذا كقوله \* (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) \* [البقرة: ٢٦] يعني المثل ويقال " أفمن يعلم " يقول أفمن يرغب في الحق أي يعلم أن ما أنزل إليك من ربك هو الحق " كمن هو أعمى " يعني كمن لا يرغب فيه ثم قال " إنما يتذكر أولو الألباب " يعني يتعظ بما أنزل إليك من القرآن ذوو العقول من الناس وهم المؤمنون

ثم وصفهم فقال تعالى " الذين يوفون بعهد الله " يعني العهد الذي بينهم وبين الله تعالى والعهد الذي بينهم وبين الناس " ولا ينقضون الميثاق " يعني الميثاق الذي أخذ عليهم يوم الميثاق ويقال يعني الميثاق الذي أخذ على أهل الكتاب في كتابهم قوله " والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل " يعني يصلون الأرحام ولا يقطعونها

وقال يعني الإيمان بجميع الأنبياء " ويخشون ربهم " يعني يمتنعون عما نهاهم الله تعالى عنه والخشية من الله الامتناع عن المحرمات والمعاصي " ويخافون سوء الحساب " يعني شدة الحساب

قوله " والذين صبروا " يعني صبروا عن المعاصي وصبروا عن أداء الفرائض وصبروا على المصائب والشدائد وصبروا على أذى الكفار والمنافقين " ابتغاء وجه ربهم " يعني صبروا على ما ذكر ابتغاء مرضاة الله تعالى \* (وأقاموا الصلاة) \* يعني أتموها بركوعها وسجودها في مواقيتها " وأنفقوا مما رزقناهم " يعني من الأموال \* (سرا وعلانية) \* يعني يتصدقون في الأحوال كلها ظاهرا وباطنا ويقال مرة يتصدقون سرا مخافة الرياء ومرة يتصدقون علانية لكي يقتدى بهم ويقال يتصدقون صدقة التطوع في السر ويتصدقون صدقة الفريضة في العلانية " ويدروؤون بالحسنة السيئة " يقول يدفعون بالكلام الحسن السيئة يعني الكلام القبيح فهذا كله صفة ذوي الألباب وهم الذين استجابوا لربهم

ثم بين ثوابهم ومرجعهم في الآخرة فقال " أولئك لهم عقبى الدار " يعني هؤلاء لهم الجنة وهم المهاجرون والأنصار ومن كان في مثل حالهم إلى يوم القيامة ثم قال تعالى " جنات عدن يدخلونها ومن صلح " يعني ومن آمن وأطاع الله تعالى " من آباءهم وأزواجهم وذرياتهم " يدخلون أيضا جنات عدن وهذا كقوله \* (ألحقنا بهم ذريتهم) \* [الطور: ٢١] " والملائكة يدخلون عليهم من كل باب " ويسلمون عليهم ويقولون لهم " سلام عليكم بما صبرتم " على أمر الله تعالى وطاعته " فنعم عقبى الدار " يعني نعم العاقبة الجنة فقد بين حال الذين استجابوا لربهم والذين يعلمون أن الذي أنزل إليك هو الحق

ثم بين حال الذين لم يستجيبوا له وهم الذين ينقضون الميثاق فقال تعالى " والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه " يعني من بعد تأكيده وتخليظه يعني بعد إقرارهم بالتوحيد يوم الميثاق \* (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) \* يعني الأرحام ويقال الإيمان بالنبيين \* (ويفسدون في الأرض) \* بالدعاء إلى عبادة غير الله تعالى أي عبادة الأوثان " أولئك لهم اللعنة " يعني يلعنهم في الدنيا والآخرة " ولهم سوء الدار " يعني سوء المرجع ويقال " لهم اللعنة " يعني هم مطرودون من رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة " ولهم سوء الدار " يعني عذاب النار في الآخرة

سورة الرعد ٢٦

قوله تعالى " الله ييسر الرزق لمن يشاء " يعني يوسع الرزق لمن يشاء من عباده " ويقدر " يعني يقتدر في الرزق يعني يختار للغني الغنى وللفقير الفقر في رزق الله تعالى لأنه يعلم أن صلاحه فيه وروي عن ابن عباس أنه قال إن الله تعالى خلق الخلق وهو بهم

(۲۲۵)

عليه فاجعل الغنى لبعضهم صلاحاً وجعل الفقر لبعضهم صلاحاً فذلك الخيار للفريقين وقال الحسن البصري ما أحد من الناس يبسط الله له في الدنيا فلم يخف أن يكون قد مكر به فيها إلا كان قد نقص علمه وعجز رأيه وما أمسكها الله من عبد فلم يظن أنه خير له فيها إلا كان قد نقص علمه وعجز رأيه

ثم قال " وفرحوا بالحياة الدنيا " يقول استأثروا الحياة الدنيا على الآخرة " وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع " يعني الدنيا بمنزلة الأواني التي لا تبقى مثل السكرجة والزجاجة وأشباه كل ذلك التي يتمتع بها ثم يذهب فكذلك هذه الدنيا تذهب وتفتنى وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ماء يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وقال مجاهد \* (إلا متاع) \* أي قليل ذاهب وهكذا قال مقاتل

سورة الرعد ٢٧ - ٢٩

قوله تعالى \* (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) \* يعني هلا أنزل عليه آية من ربه يعني علامة لنبوته " قل إن الله يضل من يشاء " يعني من عباده عن الهدى يعني إذا لم يرغب فيه " ويهدي إليه " يعني يرشد إلى دينه " من أناب " يعني من رجع إلى الحق ويقال رجع عن الشرك

ثم قال تعالى \* (الذين آمنوا) \* هذا مقرون بالأول يعني ويهدي الذين آمنوا " وتطمئن قلوبهم " يعني تسكن قلوبهم وترضى " بذكر الله " يعني إذا ذكروا الله تعالى بوحدانيته آمنوا به غير شاكين وقال الكلبي يعني وتسكن وترضى قلوبهم لمن يحلف لهم بالله " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " يعني تسكن وترضى قلوب المؤمنين \* (الذين آمنوا) \* يعني صدقوا بالله وبمحمد وبالقرآن \* (وعملوا الصالحات) \* يعني الطاعات " طوبى لهم " يعني غبطة لهم قال مجاهد " طوبى لهم " يعني الجنة ويقال " طوبى " شجرة في الجنة

قال الفقيه حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي اليسر عن أبي أوفى عن مغيث بن سمي في قوله تعالى " طوبى لهم " قال طوبى شجرة في الجنة ليس لأهل الجنة من دار إلا ويظللهم غصن من أغصانها قال ابن عباس " طوبى " شجرة في الجنة ساقها من ذهب الورقة منها تغطي الدنيا ليس في الجنة منزل إلا وفيه غصن من أغصانها وقال أبو

هريرة " طوبى " شجرة في الجنة وقال قتادة هي كلمة عربية يقول الرجل طوبى لك إذا أصبت خيرا وقال عكرمة " طوبى لهم " أي نعمى لهم ويقال " طوبى لهم " أي خير لهم ثم قال تعالى " وحسن مآب " يعني حسن المرجع في الآخرة  
سورة الرعد ٣٠

قوله تعالى " كذلك أرسلناك في أمة " يقول هكذا بعثناك في أمة كما بعثنا إلى من كان قبلك من الرجال في الأمم الخالية " قد خلت من قبلها أمم " يعني قد مضت من قبل قومك " أمم لتتلو عليهم " يعني أرسلناك لتقرأ عليهم " الذي أوحينا إليك " من القرآن " وهم يكفرون بالرحمن " يعني يجحدون ويكذبون وذلك أن عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه قالوا ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب

قال الله تعالى " قل هو ربي " يعني قل يا محمد الرحمن الذي تكفرون به هو الله ربي الذي \* (لا إله إلا هو عليه توكلت) \* يعني فوضت أمري إليه " وإليه متاب " يعني وإليه أتوب وأرجع

سورة الرعد ٣١

قوله تعالى " ولو أن قرآنا سيرت به الجبال " وذلك أن عبد الله بن أمية وغيره من كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم سير لنا جبال مكة ذهباً وفضة حتى نعلم أنك صادق في مقاتلتك أو قرب أسفارنا كما فعل سليمان بن داود بريحه أو كلم موتانا كما فعل عيسى بدعائه فنزل " ولو أن قرآنا سيرت به الجبال " عن أماكنها " أو قطعت به الأرض " غدوها شهر ورواحها شهر " أو كلم به الموتى " فلم يذكر جوابه لأن في الكلام دليلاً عليه يعني لو فعلنا ذلك بقرآن قبل قرآن محمد صلى الله عليه وسلم لفعلنا ذلك بقرآن محمد صلى الله عليه وسلم ويقال لو فعل أحد من الأنبياء ما سألتموني لفعلت لكم ولكن الأمر إلى الله تعالى إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل فذلك قوله تعالى " بل لله الأمر جميعاً " ويقال معناه ولو أن قرآنا سيرت به الجبال عن أماكنها أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لم يؤمنوا به وهذا كقوله " ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً " [الأنعام: ١١١] الآية إلى قوله \* (ما كانوا ليؤمنوا) \* [الأنعام: ١١١] " بل لله الأمر جميعاً " إن شاء هدى من كان أهلاً لذلك وإن شاء لم يهد من لم يكن أهلاً لذلك

قوله تعالى " أفلم ييأس الذين آمنوا " قال الحسن وقتادة أفلم يعلم الذين آمنوا وقال الفراء لم أجد في العربية مثل هذا ويقال معناه أفلم يتبين للذين آمنوا ويقال هو من الإيأس ومعناه أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى بأنهم لا يؤمنون " أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا " يعني إنهم لم يكونوا أهلا لذلك فلم يهدهم وروى ابن أبان بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ " أفلم يتبين للذين آمنوا " فقليل له إنها " أفلم ييأس الذين آمنوا " فقال إني أرى الكاتب كتبها وهو ناعس وروي في خبر آخر أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن قوله " أفلم ييأس " قال أفلم يعلم الذين آمنوا وقال ابن عباس أما سمعت مالك بن عوف وهو يقول

(قد يئس الأقبام أني أنا ابنه

\* وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا)

ثم قال " ولا يزال الذين كفروا " يعني أهل مكة " تصيبهم بما صنعوا قارعة " يعني نكبة وشدة ويقال " قارعة " داهية تفرع ويقال لكل مهلكة قارعة ويقال نازلة تنزل لأمر شديد فالمراد هنا سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم تأتيهم وتصيبهم من ذلك شدة " أو تحل قريبا من دارهم " يعني تنزل أنت يا محمد بجماعة أصحابك قريبا من دارهم يعني من مكة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم سار بجنوده حتى أتى عسفان ثم بعث مائتي راكب حتى انتهوا قريبا من مكة ثم قال " حتى يأتي وعد الله " يعني فتح مكة قالوا هذه الآية مدنية

ثم قال \* (إن الله لا يخلف الميعاد) \* أي بفتح مكة على النبي صلى الله عليه وسلم

سورة الرعد ٣٢

قوله تعالى \* (ولقد استهزئ برسلك من قبلك) \* كما استهزأ بك قومك " فأملت للذين كفروا " يعني أمهلتهم بعد الاستهزاء ولم أعاقبهم " ثم أخذتهم " بالعذاب عند المعصية بالتكذيب فأهلكتهم " فكيف كان عقاب " يعني فكيف رأيت إنكاري وتعيري عليهم بالعذاب لم ير النبي صلى الله عليه وسلم عقوبتهم إلا أنه علم بحقيقته فكأنه رأى عيانا

سورة الرعد ٣٣ - ٣٤

قوله تعالى " أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت " يقول هو الله القائم على كل نفس برة وفاجرة بالرزق لهم والدفع عنهم وجوابه مضمرة يعني كمن هو ليس بقائم على ذرة وهذا كقوله \* (أفمن يخلق كمن لا يخلق) \* [النحل: ١٧] ثم قال \* (وجعلوا لله شركاء) \* يعني قالوا ووصفوا لله شركاء وقال مقاتل \* (وجعلوا لله شركاء) \* يقول يعني السواء أنا القائم



على كل نفس بأرزاقهم وأطعمتهم كالذين يصفون أن لي شريكا معناه لا تكون عبادة الله كعبادة غيره " قل سموهم " يعني قل يا محمد سمو هؤلاء الشركاء يعني سمو دلائلهم وبراهينهم وحججهم ويقال سمو منفعتهم وقدرتهم ثم قال " أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض " يعني تخبرونه بما علم أنه لا يكون ويقال معناه أتشركون معه جاهلا لا يعلم ما في الأرض ويقال معناه أتخبرون الله بشيء لا يعلم من آلهتكم يعني يعلم الله أنه ليس لها في الأرض قدرة " أم بظاهر من القول " يعني أتقولون قولا بلا برهان ولا حجة ويقال بباطل من القول يعني إن قلت إن لها قدرة لقلت باطلا وقال قتادة الظاهر من القول الباطل وكذلك قال مجاهد ثم قال " بل زين للذين كفروا مكرهم " يقول ولكن زين للذين كفروا من أهل مكة كفرهم وقولهم الشرك " وصدوا عن السبيل " قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو " وصدوا عن السبيل " بنصب الصاد يعني إن الكافرين صدوا الناس عن دين الله الإسلام وقرأ الباقون \* (وصدوا) \* بضم الصاد على فعل ما لم يسم فاعله مثل قوله \* (فزين لهم) \* [فاطر: ٨]

ثم قال \* (ومن يضل الله) \* يعني من يخذه الله عن دينه الإسلام ولا يوفقه " فما له من هاد " يعني ما له من مرشد إلى دينه غير الله تعالى قوله تعالى " لهم عذاب في الحياة الدنيا " يعني لهم في الدنيا الشدائد والأمراض ويقال عند الموت ويقال القتل على أيدي المسلمين والغلبة عليهم " ولعذاب الآخرة أشق " يعني أشد " وما لهم من الله من واق " يعني ملجأ يلجؤون إليه يقيهم من عذاب الله سورة الرعد ٣٥ - ٣٧

قوله تعالى " مثل الجنة التي وعد المتقون " قال بعضهم المثل هنا أراد به الصفة ولم يرد به التشبيه لأنه قد ذكر من قبل حديث الجنة وهو قوله تعالى " للذين استجابوا لربهم الحسنى " [الرعد: ١٨] وقال بعد ذلك " جنات عدن يدخلونها " [الرعد: ٢٣] ثم بين ها هنا صفة الجنة يعني صفة الجنة " التي وعد المتقون " الذين يتقون الشرك والفواحش روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقرأ " أمثال الجنة التي وعد المتقون " يعني صفاتها وأحاديثها " تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم " يعني حملها ونعيمها لا ينقطع عنهم أبدا " وظلها "

يقول وهكذا ظلها دائم أبدا ليس فيها شمس وقال بعضهم أراد به التشبيه لأن الله عرفنا نعيم الجنة وأمورها التي لم نرها ولم نشاهدها بما شهدنا من أمور الدنيا ومعناه " مثل الجنة التي وعد المتقون " جنة تجري من تحتها الأنهار  
ثم قال " تلك عقبي الذين اتقوا " يعني تلك الجنة جزاء الذين اتقوا الشرك والفواحش " وعقبى الكافرين النار " يعني مصيرهم وجزاؤهم النار  
ثم قال تعالى \* (والذين آتيناهم الكتاب) \* أي التوراة " يفرحون بما أنزل إليك " وهم مؤمنو أهل الكتاب يعجبون بذكر الرحمن " ومن الأحزاب من ينكر بعضه " يعني أهل مكة ينكرون ذكر الرحمن ويقولون ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب ويقال " ومن الأحزاب من ينكر بعضه " يعني من أهل الكتاب من ينكر ما كان فيه نسخ شرائعهم (قل) يا محمد " إنما أمرت أن أعبد الله " يعني أمرت أن أقيم على التوحيد " ولا أشرك به " شيئا  
ثم قال " إليه أدعو " يقول أدعو الخلق إلى توحيد " وإليه مآب " يعني المرجع في الآخرة

ثم قال " وكذلك أنزلناه " يعني القرآن أنزلنا جبريل ليقرأ عليك القرآن \* (حكما) \* يعني القرآن حكما على الكتب كلها ويقال محكما \* (عربيا) \* يعني القرآن بلغة العرب \* (ولئن اتبعت أهواءهم) \* قال الكلبي يعني لئن صليت إلى قبلتهم نحو بيت المقدس \* (بعد ما جاءك من العلم) \* يعني من بعد ما أتاك العلم بأن قبلتك نحو الكعبة ويقال \* (ولئن اتبعت أهواءهم) \* يعني أهل مكة فيما يدعونك إلى دين آبائك بعد ما ظهر لك أن الإسلام هو الحق \* (ما لك من الله) \* يعني من عذابه \* (من ولي) \* ينفعك " ولا واق " يقيق من عذاب الله والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أصحابه  
سورة الرعد ٣٨ - ٣٩

قوله تعالى " ولقد أرسلنا رسلا من قبلك " وذلك أن اليهود عيروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لو كان هذا نبيا كما يزعم لشغلته النبوة عن تزوج النساء فنزل " ولقد أرسلنا رسلا من قبلك " يا محمد " وجعلنا لهم أزواجا وذرية " قال الكلبي كان لسليمان بن داود عليه السلام ثلاثمائة امرأة مهرية وتسعمائة سرية وكان لداود مائة امرأة

ثم قال " وما كان لرسول " يعني ليس ينبغي لرسول " أن يأتي بآية " إلى قومه \* (إلا بإذن الله) \* يعني بأمر الله تعالى ويقال معناه ما كان أحد يقدر أن يأتي بآية من الآيات إلا بإذن الله " لكل أجل كتاب " أي لكل أجل من آجال الدنيا كتاب مكتوب لا يزداد عليه ولا ينقص

منه ويقال لكل أجل وقت قد كتب فيه وقال الفراء هذا مقدم ومؤخر أي لكل كتاب أجل مثل قوله \* (وجاءت سكرة الموت بالحق) \* [ق: ١٩] أي سكرة الحق بالموت وكذلك قال ابن عباس

ثم قال تعالى " يمحو الله ما يشاء ويثبت " روى شباة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن قريشا لما نزلت هذه الآية " وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله " [الرعد: ٣٨] قالوا ما نراك يا محمد تملك من شيء ولقد فرغ من الأمر فنزلت هذه الآية تخويفا ووعيدا لهم فإننا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ما نشاء فيمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء من أرزاق العباد ومصائبهم فيما يعطيهم وبما يرزقهم ويقسم لهم وروى وكيع عن الأعمش عن أبي وائل أنه كان يقول في دعائه اللهم إن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا وإن كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ما تشاء وعندك أم الكتاب

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال " يمحو الله ما يشاء ويثبت " إلا الشقاوة والسعادة والموت والحياة وروى منصور عن مجاهد أنه قال الشقاوة والسعادة لا يتغيران ويقال " يمحو الله ما يشاء " يعني من أعمال بني آدم وما كتبت الحفظة ما ليس فيه جزاء خير ولا شر \* (ويثبت) \* ما فيه جزاء خير أو شر وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت إن الحفظة إذا رفعت ديوان العبد فإن كان في أوله وآخره خير يمحو الله ما بينهما من السيئات وإن لم يكن في أوله وآخره حسنات يثبت ما فيه من السيئات وقال مقاتل " يمحو الله " يعني ينسخ الله ما يشاء من القرآن \* (ويثبت) \* يقول ويقر المحكم الناسخ ما يشاء فلا ينسخه ويقال " يمحو الله ما يشاء " يعني المعرفة عن قلب من يشاء \* (ويثبت) \* في قلب من يشاء وهو مثل قوله " يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب " [الرعد: ٢٧] وفي آية أخرى " يمحو الله ما يشاء ويثبت " أي يمحو من الشرائع والكتب المحمودة التوراة والإنجيل والزبور والمثبت هو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول هو المختار ويقال يقضي على العبد البلاء فيدعو العبد فيزول عنه كما روي في الخبر الدعاء يرد البلاء ثم قال تعالى " وعنده أم الكتاب " يعني أصل الكتاب وجملته وهو اللوح المحفوظ كتب فيه كل شيء قبل أن يخلقهم

سورة الرعد ٤٠ - ٤٢

قوله تعالى " وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم " من العذاب والزلازل والمصائب في الدنيا إذ كذبوك وأنت حي \* (أو نتوفينك) \* يقول أو نميتنك قبل أن نرينك \* (فإنما عليك البلاغ) \* بالرسالة " وعلينا الحساب " يعني الجزاء

ثم قال " أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها " يعني نفتحها من نواحيها وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هو ذهاب العلماء وقال ابن عباس ذهاب فقهاءها وخيار أهلها وعن ابن مسعود نحوه وقال الضحاك أو لم ير المشركون أنا

ننقصها من أطرافها يعني يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم ما حولهم من أراضيهم وقراهم وأموالهم أفهم الغالبون يعني أو لا يرون أنهم المغلوبون والمنتقصون وعن عكرمة أنه قال الأرض لا تنقص ولكن تنقص الثمار وينقص الناس وعن عطاء أنه قال هو موت فقهاؤها وخيارها وقال السدي يعني ينقص أهلها من أطرافها ولم تهلك قرية إلا من أطرافها يعني تخرب قبل ثم يتبعها الخراب " والله يحكم لا معقب لحكمه " يقول لا راد لحكمه ولا مغير له ولا مرد لما حكم لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنصر والغنيمة " وهو سريع الحساب " إذا حاسب فحسابه سريع قوله تعالى " وقد مكر الذين من قبلهم " يعني صنع الذين من قبلهم كصنيع أهل مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم " فله المكر جميعا " يعني يجازيهم جزاء مكرهم وينصر أنبياءه ويبطل مكر الكافرين ثم قال " يعلم ما تكسب كل نفس " برة أو فاجرة " وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار " يعني الجنة سورة الرعد ٤٣

قوله تعالى " ويقول الذين كفروا لست مرسلا " يعني كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر اليهود ويقال يعني أهل مكة " قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم " يقول كفى بالله شاهدا بيني وبينكم على مقاتلكم " ومن عنده علم الكتاب " يعني ومن آمن من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه " شهيدا بيني وبينكم " لأنهم وجدوا نعتهم وصفته في كتبهم قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم " يمحو الله ما يشاء ويثبت " بجزم الثاء والتخفيف وقرأ الباقون بنصب الثاء وتشديد الباء ومعناها واحد وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو " وسيعلم الكافر " بلفظ الجماعة وروي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ " ومن عنده " بالكسر

قوله تعالى " وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم " من العذاب والزلازل والمصائب في الدنيا إذ كذبوك وأنت حي \* (أو نتوفينك) \* يقول أو نميتنك قبل أن نرينك \* (فإنما عليك البلاغ) \* بالرسالة " وعلينا الحساب " يعني الجزاء  
ثم قال " أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها " يعني نفتحها من نواحيها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هو ذهاب العلماء وقال ابن عباس ذهاب فقهاءها وخيار أهلها وعن ابن مسعود نحوه وقال الضحاک أو لم ير المشركون أنا ننقصها من أطرافها يعني يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم ما حولهم من أراضيهم وقراهم وأموالهم أفهم الغالبون يعني أو لا يرون أنهم المغلوبون والمنتقصون وعن عكرمة أنه قال الأرض لا تنقص ولكن تنقص الثمار وينقص الناس وعن عطاء أنه قال هو موت فقهاءها وخيارها وقال السدي يعني ينقص أهلها من أطرافها ولم تهلك قرية إلا من أطرافها يعني تخرب قبل ثم يتبعها الخراب " والله يحكم لا معقب لحكمه " يقول لا راد لحكمه ولا مغير له ولا مرد لما حكم لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنصر والغنيمة " وهو سريع الحساب " إذا حاسب فحسابه سريع  
قوله تعالى " وقد مكر الذين من قبلهم " يعني صنع الذين من قبلهم كصنيع أهل مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم " فله المكر جميعا " يعني يجازيهم جزاء مكرهم وينصر أنبياءه ويبطل مكر الكافرين ثم قال " يعلم ما تكسب كل نفس " برة أو فاجرة " وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار " يعني الجنة  
سورة الرعد ٤٣

قوله تعالى " ويقول الذين كفروا لست مرسلنا " يعني كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر اليهود ويقال يعني أهل مكة " قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم " يقول كفى بالله شاهدا بيني وبينكم على مقاتلكم " ومن عنده علم الكتاب " يعني ومن آمن من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه " شهيدا بيني وبينكم " لأنهم وجدوا نعتهم وصفته في كتبهم قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم " يمحو الله ما يشاء ويثبت " بجزم الثاء والتخفيف وقرأ الباقون بنصب الثاء وتشديد الباء ومعناها واحد وقرأ ابن كثير ونافع  
وأبو عمرو " وسيعلم الكافر " بلفظ الجماعة وروي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ " ومن عنده " بالكسر

يعني القرآن من عند الله تعالى وروي عنه أيضا " وسيعلم الكافرون " وقرأ أبي بن كعب " وسيعلم الذين كفروا " وقال عبد الله بن مسعود هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بعد ذلك بمدة فكيف يجوز أن يكون المراد به عبد الله بن سلام وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قرأ بالكسر وقرأ بعضهم " ومن عنده علم الكتاب " بضم العين وكسر اللام على معنى فعل ما لم يسم فاعله وروي عن ابن عباس أنه كان يقول هذه الآية مدنية وكان يقرأ " ومن عنده " بالنصب والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

سورة إبراهيم مكية وهي اثنتان وخمسون آية إلا آيتين مدنيتين

سورة إبراهيم ١ - ٣

قال الله عز وجل \* (الر كتاب أنزلناه إليك) \* يعني هذا كتاب أنزلنا جبريل ليقرأ عليك وهو القرآن \* (لتخرج الناس) \* أي لتدعو الناس \* (من الظلمات إلى النور) \* يعني من الكفر إلى الإيمان وسمى الكفر ظلمات لأن الكفر طريق الضلالة فمن وقع فيه ضل الطريق وسمى الإيمان نورا لأنه طريق واضح مبين \* (بإذن ربهم) \* يقول بأمر ربهم \* (إلى صراط العزيز الحميد) \* يعني دين الإسلام العزيز المنيع بالنقمة لمن لم يجب الرسول \* (الحميد) \* لمن وحده ويقال \* (الحميد) \* في فعالة ويقال \* (الحميد) \* لأفعال الخلق يشكر لهم اليسير من أعمالهم ويعطي الجزيل ثم قال الله تعالى \* (الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض) \* من الخلق قرأ ابن عامر ونافع \* (الله) \* بالضم على معنى الابتداء وقرأ الباقون \* (الله) \* بالكسر على معنى البناء

ثم قال \* (وويل للكافرين) \* يعني الكافرين بوحداية الله تعالى \* (من عذاب شديد) \* أي غليظ دائم والويل الشدة من العذاب ويقال الويل واد في جهنم ثم نعتهم فقال \* (الذين يستحبون الحياة الدنيا) \* يعني يستأثرون ويختارون الدنيا الفانية \* (على الآخرة) \* الباقية \* (ويصدون عن سبيل الله) \* يعني يصرفون الناس عن ملة الإسلام \* (وييغونها عوجا) \* يعني يريدون بملة الإسلام غيرا وزيجا \* (أولئك في ضلال بعيد) \* عن الحق يعني في خطأ طويل بعيد عن الحق

سورة إبراهيم ٤

قوله تعالى \* (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) \* يعني بلغة قومه ليفهموه وليكون

أبين لهم يعني \* (ليبين لهم) \* طريق الهدى \* (فيضل الله من يشاء) \* عن دين الإسلام من لم يكن أهلاً لذلك \* (ويهدي من يشاء) \* إلى دينه الإسلام من كان أهلاً لذلك \* (وهو العزيز) \* في ملكه \* (الحكيم) \* في أمره وقضائه ويقال \* (الحكيم) \* حكم بالضلالة والهدى لمن يشاء

سورة إبراهيم ٥

قوله تعالى " ولقد أرسلنا موسى بآياتنا " يعني باليد والعصا \* (أن أخرج قومك) \* يعني ادع قومك \* (من الظلمات إلى النور) \* يعني من الكفر إلى الإيمان \* (وذكرهم بأيام الله) \* يعني خوفهم بمثل عذاب الأمم الخالية ليحذروا فليؤمنوا وقال مجاهد أيام نعمه وكذلك قال قتادة والسدي يعني ذكرهم نعمائي ليؤمنوا بي وروي في الخبر أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن حببني إلى عبادي قال رب كيف أحبيك إلى عبادك والقلوب بيدك فأوحى الله إليه أن ذكرهم نعمائي

ثم قال \* (إن في ذلك لآيات) \* يعني في الذي فعلت بالأمم الخالية وما أعطيتهم من النعم لعلامات \* (لكل صبار) \* على طاعة الله والصبار هو المبالغ في الصبر \* (شكور) \* يعني شكور لنعم الله تعالى وهو على ميزان فعول وهو المبالغة في الشكر

سورة إبراهيم ٦ - ٨

ثم قال تعالى \* (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون) \* يعني من فرعون وآله كما قال في آية أخرى \* (وأغرقنا آل فرعون) \* [الأنفال: ٥٤] يعني فرعون وآله \* (يسومونكم سوء العذاب) \* يقول يعذبونكم بأشد العقاب \* (ويذبون أبناءكم) \* الصغار \* (ويستحيون نساءكم) \* يعني يستخدمون نساءكم \* (وفي ذلكم) \* يعني ذبح الأبناء واستخدام النساء \* (بلاء من ربكم عظيم) \* يعني بلية عظيمة لكم من خالقكم ويقال في إنجاء الله نعمة عظيمة لكم قوله تعالى \* (وإذ تأذن ربكم) \* يعني قد قال ربكم ويقال أعلم ربكم \* (لئن شكرتم) \* نعمتي عليكم \* (لأزيدنكم) \* من النعمة \* (ولئن كفرتم) \* بتوحيد الله ووجدتم نعمتي عليكم \* (إن عذابي لشديد) \* في الآخرة قال الفقيه حدثنا أبي رحمه الله بإسناده عن أبي هريرة أنه قال من رزق ستا لم يحرم ستا من رزق الشكر لم يحرم الزيادة لقوله تعالى \* (لئن شكرتم لأزيدنكم) \*



ومن رزق الصبر لم يحرم الثواب لقوله تعالى \* (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) \* [الزمر: ١٠] ومن رزق التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى \* (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) \* [الشورى: ٢٥] ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة لقوله تعالى \* (استغفروا ربكم إنه كان غفارا) \* [نوح: ١٠] ومن رزق الدعاء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى \* (ادعوني أستجب لكم) \* [غافر: ٦٠] ومن رزق النفقة لم يحرم الخلف لقوله تعالى " وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه " [سبأ: ٣٩] قوله تعالى \* (وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا) \* يعني إن جحدتم نعمة الله ولم تؤمنوا به \* (فإن الله لغني) \* يعني غنيا عن إيمانكم وطاعتكم \* (حميد) \* لمن عبده منكم بالمغفرة

سورة إبراهيم ٩

قوله تعالى \* (ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم) \* يقول ألم يأتكم في القرآن خبر الذين من قبلكم من الأمم الماضية كيف عذبهم الله تعالى عند تكذيب رسلهم \* (قوم نوح) \* كيف أهلكهم الله بالغرق \* (وعاد) \* كيف أهلكهم الله بالريح \* (وثمود) \* كيف أهلكهم بالصيحة فهذا تهديد لأهل مكة ليعتبروا بهم قوله تعالى \* (والذين من بعدهم) \* كيف عذبوا \* (لا يعلمهم إلا الله) \* يعني لا يعلم عددهم إلا الله قال ابن مسعود كذب النسابون وقرأ هذه الآية \* (والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) \* \* (جاءتهم رسلهم بالبينات) \* يعني الأمم الخالية جاءتهم رسلهم بالأمر والنهي \* (فردوا أيديهم في أفواههم) \* قال مقاتل وضع الكفار أيديهم على أفواههم فقالوا للرسول إسكنوا فإنكم كذبة وإن العذاب غير نازل بنا وروى هبيرة بن يزيد عن عبد الله بن مسعود في قوله \* (فردوا أيديهم في أفواههم) \* قال جعلوا أصابعهم في فيهم وقال القتيبي أي عضوا عليها حنقا وغيظا قال مجاهد وقتادة يعني ردوا عليهم قولهم وكذبوهم ويقال \* (فردوا أيديهم) \* يعني نعم رسلهم لأن مجيئهم بالبينات نعم يعني قوله \* (في أفواههم) \* أي بأفواههم أي ردوا تلك النعمة بالنطق بالكذب \* (وقالوا إنا كفرنا) \* فهذا هو ردهم \* (بما أرسلتم به) \* يعني بما تدعوننا إليه \* (وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب) \* وهو المبالغة في الشك يعني ظاهر الشك

سورة إبراهيم ١٠ - ١٢

قوله تعالى \* (قالت رسلهم أفي الله شك) \* يقول أفي وحدانية الله شك وعلامات وحدانيته ظاهرة هو قوله \* (فاطر السماوات والأرض) \* يعني أتشكون في الله خالق السماوات والأرض \* (يدعوكم ليغفر لكم) \* يعني يدعوكم إلى الإقرار بوحدانية الله تعالى ليتجاوز عنكم \* (من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى) \* يعني منتهى آجالكم فلا يصيبكم فيه العذاب فأجابهم قومهم \* (قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا) \* يقول ما أنتم إلا آدميون مثلنا لا فضل لكم علينا بشيء \* (تريدون أن تصدونا) \* أي تصرفونا \* (عما

كان يعبد آباؤنا) \* من الآلهة \* (فأتونا بسلطان مبين) \* يعني بحجة بينة \*  
\* (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم) \* يقول ما نحن إلا آدميون مثلكم كما  
تقولون \* (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) \* ويختاره للنبوة \* (وما كان لنا أن  
نأتيكم بسلطان) \* جوابا لقولهم \* (فأتونا بسلطان مبين) \* يعني لا ينبغي أن نأتيكم  
بسلطان \* (إلا بإذن الله) \* لأن الأمر بيد الله تعالى \* (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) \*  
يعني على المؤمنين أن يتوكلوا على الله  
قوله \* (وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) \* يعني وفقنا لطريق الإسلام ويقال  
أكرمنا بالنبوة " ولنصبرن على ما آذيتمونا على الله فليتوكل المتوكلون " أي فليثق  
الواثقون

سورة إبراهيم ١٣ - ١٤

قوله تعالى \* (وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن في ملتنا) \*  
يقول لتدخلن في ديننا فهذا كله تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذى  
المشركين كما صبر من قبله من الرسل \* (فأوحى إليهم ربهم) \* يقول أوحى الله تعالى  
إلى الرسل \* (لنهلكن الظالمين) \* فهذا لام القسم ويراد به التأكيد للكلام أن يهلك  
الكافرين من قومهم \* (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) \* يقول لننزلنكم في الأرض من  
بعد هلاكهم فأهلك الله تعالى قومهم فسكن الرسل ومن معهم من المؤمنين ديارهم \*  
(ذلك لمن خاف مقامي) \* يقول ذلك الثواب \* (لمن خاف مقامي) \* يعني مقامه يوم  
القيامة بين يدي رب العالمين

وروي عن أبي بن كعب أنه قال يقومون ثلاثمائة عام لا يؤذن لهم فيقعدون أما  
المؤمنون فيهون عليهم كما تهون عليهم الصلاة المكتوبة وروي عن منصور عن خيشمة  
أنه

قوله تعالى \* (قالت رسلهم أفي الله شك) \* يقول أفي وحدانية الله شك وعلامات وحدانيته ظاهرة وهو قوله \* (فاطر السماوات والأرض) \* يعني أتشكون في الله خالق السماوات والأرض \* (يدعوكم ليغفر لكم) \* يعني يدعوكم إلى الإقرار بوحدانية الله تعالى ليتجاوز عنكم \* (من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى) \* يعني منتهى آجالكم فلا يصيبكم فيه العذاب فأجابهم قومهم \* (قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا) \* يقول ما أنتم إلا آدميون مثلنا لا فضل لكم علينا بشيء \* (تريدون أن تصدونا) \* أي تصرفونا \* (عما كان يعبد آباؤنا) \* من الآلهة \* (فأتونا بسلطان مبين) \* يعني بحجة بينة \* (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم) \* يقول ما نحن إلا آدميون مثلكم كما تقولون \* (ولكن الله يمين على من يشاء من عباده) \* ويختاره للنبوة \* (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان) \* جواباً لقولهم \* (فأتونا بسلطان مبين) \* يعني لا ينبغي أن نأتيكم بسلطان \* (إلا بإذن الله) \* لأن الأمر بيد الله تعالى \* (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) \* يعني على المؤمنين أن يتوكلوا على الله قوله \* (وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) \* يعني وفقنا لطريق الإسلام ويقال أكرمنا بالنبوة \* (ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) \* أي فليثق الواثقون

سورة إبراهيم ١٣ - ١٤

قوله تعالى \* (وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) \* يقول لتدخلن في ديننا فهذا كله تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذى المشركين كما صبر من قبله من الرسل \* (فأوحى إليهم ربهم) \* يقول أوحى الله تعالى إلى الرسل \* (لنهلكن الظالمين) \* فهذا لام القسم ويراد به التأكيد للكلام أن يهلك الكافرين من قومهم \* (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) \* يقول لننزلنكم في الأرض من بعد هلاكهم فأهلك الله تعالى قومهم فسكن الرسل ومن معهم من المؤمنين ديارهم \* (ذلك لمن خاف مقامي) \* يقول ذلك الثواب \* (لمن خاف مقامي) \* يعني مقامه يوم القيامة بين يدي رب العالمين وروي عن أبي بن كعب أنه قال يقومون ثلاثمائة عام لا يؤذن لهم فيقعدون أما المؤمنون فيهون عليهم كما تهون عليهم الصلاة المكتوبة وروي عن منصور عن خيشمة أنه

قال كنا عند عبد الله بن عمر فقلنا إن عبد الله بن مسعود كان يقول إن الرجل ليعرق حتى يسبح في عرقه ثم يرفعه العرق حتى يلجمه فقال ابن عمر هذا للكفار فما للمؤمنين فقلنا الله أعلم فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن حدثكم أول الحديث ولم يحدثكم آخره إن للمؤمنين كراسي يجلسون عليها ويظلل عليهم بالغمام ويكون يوم القيامة عليهم كساعة من نهار

ثم قال تعالى \* (وخاف وعيد) \* أي وخشي عذابي عليه قرأ نافع في رواية ورش " وخاف وعيدي " بالياء يعني خاف عذاب الله وقرأ الباقر بغير ياء لأن الكسرة تقوم مقامه وأصله الياء

سورة إبراهيم ١٥ - ١٧

ثم قال تعالى \* (واستفتحوا) \* يقولوا واستنصروا قال قتادة استنصرت الرسل على قومهم وقال مقاتل يعني قومهم دعوا الله فقالوا اللهم إن كانت رسلنا صادقين فعذبنا ويقال استنصر كلا الفريقين \* (وخاب كل جبار عنيد) \* يقول خسر عند الدعاء كل متكبر عن الإيمان معرض عن التوحيد وقال الزجاج الجبار الذي لا يرى لأحد عليه حقا والعنيد الذي يعدل عن القصد ويقال الجبار الذي يضرب عند الغضب ويقتل عند الغضب وقال مجاهد \* (كل جبار عنيد) \* أي المعاند للحق مجانبه ويقال هذه الآية نزلت في أبي جهل

قوله تعالى \* (من ورائه جهنم) \* يقول من قدامه جهنم يعني بعد الموت ويقال من بعده جهنم ويقال \* (من ورائه جهنم) \* يعني أمامه كقوله تعالى \* (وكان وراءهم ملك) \* [الكهف: ٧٩] يعني أمامهم

ثم قال \* (ويسقى من ماء صديد) \* يعني بماء يسيل من جلودهم من القيح والدم ويقال ماء كهيئة الصديد

قوله تعالى " ويتجرعه " يعني يرده في حلقه \* (ولا يكاد يسيغه) \* يقول ولا يقدر على ابتلاعه لكراهيته وقال ابن عباس \* (ويأتيه الموت من كل مكان) \* يعني يجتره من كل مكان من جسده ويقال من كل ناحية ومن كل عرق ومن كل موضع شعرة يجد طعم الموت \* (وما هو بميت) \* يعني لا يموت أبدا \* (ومن ورائه) \* يعني من بعد الصديد \* (عذاب غليظ) \* يعني شديد لا يفتر عنه

سورة إبراهيم ١٨ - ٢٠

قوله تعالى \* (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم) \* يقول صفة الذين كفروا ويقال مثل أعمال الذين كفروا بربهم يوم القيامة \* (كرماد اشتدت به الريح) \* يقول ذرته الريح \* (في يوم عاصف) \* يعني عاصف شديد الريح فكذلك الكفار أحبط الله ثواب أعمالهم وهذا كقوله \* (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) \* [الفرقان: ٢٣] لأن أعمالهم كانت بغير إيمان ولا تقبل الإيمان إذا لم يكن بالإخلاص ولا تقبل الأعمال إلا بالإيمان ولا ثواب لهم بها قرأ نافع " اشتدت به الرياح " بالألف وقرأ الباقون بغير ألف " لا يقدرון مما كسبوا على شيء " يقول لا يقدرون على ثواب أعمالهم \* (ذلك هو الضلال البعيد) \* يعني الخطأ البعيد عن الحق قوله تعالى \* (ألم تر أن الله خلق) \* يقول ألم تعلم أن الله \* (خلق السماوات والأرض) \* قرأ حمزة والكسائي " خالق السماوات والأرض " بكسر الضاد على معنى الإضافة وقرأ الباقون \* (خلق السماوات والأرض) \* بنصب الضاد على معنى الفعل الماضي وقوله \* (بالحق) \* يعني بالعدل ويقال ببيان الحق \* (إن يشأ يذهبكم) \* يقول يميئتم ويهلكهم إن عصيتموه \* (ويأت بخلق جديد) \* يعني قوما غيركم خيرا منكم وأطوع لله تعالى فهذا تهديد من الله تعالى ليخافوه ثم قال \* (وما ذلك على الله بعزيز) \* يعني إهلاككم ليس على الله بشديد

سورة إبراهيم ٢١

قوله تعالى \* (وبرزوا لله جميعا) \* يقول وخرجوا من قبورهم لأمر الله تعالى يعني القادة والأتباع اجتمعوا للحشر والحساب وهذا كقوله \* (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) \* [الكهف: ٤٧] \* (فقال الضعفاء) \* يعني الأتباع والسفلة \* (للذين استكبروا) \* وهم القادة \* (إنا كنا لكم تبعا) \* في الدنيا نطيعكم فيما أمرتمونا به \* (فهل أنتم مغنون عنا) \* يقول هل أنتم حاملون عنا " من عذاب الله من شيء قالوا " يعني القادة للسفلة \* (لو هدانا الله لهديناكم) \* يقول لو أكرمنا الله

بالهدي والتوحيد لهديناكم لدينه وأنا أمرناكم بأعمالنا التي كنا عليها ويقال معناه لو  
أدخلنا الله الجنة لشفعنا لكم  
ثم قالت القادة للسفلة \* (سواء علينا) \* العذاب \* (أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص)  
\* يعني من مفر ولا ملجأ من عذاب الله وروى أسباط عن السدي أنه قال يقول أهل  
النار تعالوا فلنصبر لعل الله يرحمنا بصبرنا فيصبرون فلا يرحمون فيقولون تعالوا فلنجزع  
لعل الله يرحمنا بجزعنا فيجزعون فلا يغني عنهم شيئاً فيقولون \* (سواء علينا أجزعنا أم  
صبرنا ما لنا من محيص) \*

سورة إبراهيم ٢٢

قوله تعالى \* (وقال الشيطان لما قضي الأمر) \* روى سفيان عن رجل عن الحسن أنه  
قال إذا كان يوم القيامة ودخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة قام إبليس خطيباً على  
منبر من نار فقال " إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم " ويقال إنهم لما  
دخلوا النار أقبلوا على إبليس وجعلوا يتهمون ويلومونه ويقولون أنت الذي أضللتنا فيرد  
عليهم إبليس عليه اللعنة فبين الله تعالى رده عليهم لكيلا يغتروا به في الدنيا فذلك قوله \*  
(وقال الشيطان لما قضي الأمر) \* يعني لما فرغ من الأمر حين دخل أهل الجنة الجنة  
وأهل النار النار فقال إبليس لأهل النار \* (إن الله وعدكم وعد الحق) \* يعني البعث بعد  
الموت والجنة والنار \* (ووعدتكم) \* بأنه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب \*  
(فأخلفتكم) \* فكذبتكم الوعد \* (وما كان لي عليكم من سلطان) \* يعني لم يكن لي  
قدرة على الإكراه والقهر ويقال لم أكن ملكاً فقهرتكم على عبادتي ويقال لم يكن لي  
حجة على ما قلت لكم \* (إلا أن دعوتكم) \* يعني سوى أن دعوتكم إلى طاعتي \*  
(فاستجبت لي) \* يعني أجبتم لي طوعاً واختياراً \* (فلا تلوموني) \* بدعوتي إياكم \*  
(ولوموا أنفسكم) \* بالإجابة \* (ما أنا بمصرحكم) \* أي بمغيثكم فأخرجكم من النار \*  
(وما أنتم بمصرحي) \* يقول ولا أنتم بمغيثي فتخرجونني من النار " إني كفرت بما  
أشركتموني من قبل " قال الكلبي فيه تقديم وتأخير يقول إني كفرت من قبل ما  
عبدتموني به وكنت كافراً قبل ذلك فليس لكم عندي صراخ ولا إجابة وقال مقاتل  
معناه إني تبرأت اليوم بما أشركتموني مع الله في طاعتي من قبل في الدنيا وقال القنبي  
في قوله \* (إني كفرت) \* أي تبرأت كقوله في سورة الممتحنة \* (كفرنا بكم) \*  
[الممتحنة: ٤] أي تبرأنا منكم وكذلك في العنكبوت " ثم يوم القيامة يكفر بعضهم  
ببعض " [العنكبوت: ٢٥] يعني يتبرأ بعضهم من بعض وهذا موافق لقوله تعالى \*  
(يكفرون بشرككم) \* [فاطر: ١٤]

ثم قال \* (إن الظالمين لهم عذاب أليم) \* يعني الكافرين لهم عذاب دائم قرأ حمزة \* (ما أنتم بمصرحي) \* بكسر الياء وهي قراءة الأعمش وقرأ الباقون بنصب الياء قال أبو عبيدة النصب أحسن والأول ما نراه إلا غلطا وهكذا قال الزجاج ويقال هي لغة لبعض العرب والنصب هي اللغة الظاهرة وهو موافق للعربية قرأ أبو عمرو " أشركتموني " بالياء عند الوصل وقرأ الباقون بغير الياء وقرأ نافع " اشتدت به الرياح " بالألف والباقون بغير ألف

سورة إبراهيم ٢٣

قوله تعالى \* (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) \* يعني وحدوا الله وأدوا الفرائض وانتهوا عن المحارم \* (جنات تجري من تحتها الأنهار) \* وهي الأنهار التي ذكر في قوله فيها \* (أنهار من ماء غير آسن) \* [محمد: ١٥] الآية \* (خالدين فيها) \* مقيمين في الجنة لا يموتون فيها ولا يخرجون منها أبدا \* (بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام) \* يعني يسلم بعضهم على بعض ويقال لهم التحية من الله تعالى

سورة إبراهيم ٢٤ - ٢٥

قوله تعالى \* (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) \* يقول كيف بين الله شيئا \* (كلمة طيبة) \* وهي كلمة الإخلاص لا إله إلا الله لا تكون في كلمة التوحيد زيادة ولا نقصان ولكن يكون لها مدد وهو التوفيق للطاعة في الأوقات \* (كشجرة طيبة) \* وهي النخلة كما أنه ليس في الثمار شيء أحلى وأطيب من الرطب فكذلك ليس في الكلام شيء أطيب من كلمة الإخلاص

ثم وصف النخلة فقال \* (أصلها ثابت) \* يعني في الأرض \* (وفرعها في السماء) \* يعني رأسها في الهواء فكذلك الإخلاص يثبت في قلب المؤمن كما تثبت النخلة في الأرض فإذا تكلم المؤمن بالإخلاص فإنها تصعد في السماء كما أن النخلة رأسها في السماء وكما أن النخلة لها فضل على سائر الشجر في الطول واللون والطيب والحسن فكذلك كلمة الإخلاص لها فضل على سائر الكلام فهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن يقول \* (أصلها ثابت) \* يعني أن المعرفة في قلب المؤمن ثابتة كالشجرة الثابتة في الأرض بل هي أثبت في الشجرة في الأرض لأن الشجرة تقطع ومعرفة العارف لا يقدر أحد أن يخرجها من قلبه إلا المعرف الذي عرفه ويقال \* (وفرعها في السماء) \* يعني ترفع أعمال المؤمن المصدق إلى السماء لأن الأعمال لا تقبل بغير إيمان فالإيمان أصل والأعمال فرع الإيمان فترفع أعماله وتقبل منه

ثم قال \* (تؤتي أكلها كل حين) \* يعني تخرج ثمارها في كل وقت وتخرج منها في كل

وقت من ألوان المنفعة \* (كل حين) \* يعني في كل وقت روى الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس أنه قال \* (تؤتي أكلها كل حين) \* قال غدوة وعشية وروي عن سعيد بن المسيب أنه قال النخلة يكون حملها شهرين فنرى أن الحين شهران وروي هشام بن حسان عن عكرمة أنه قال حلف رجل فقال إن فعلت كذا إلى حين فعلي كذا فأرسل عمر بن عبد العزيز إلى ناس من الفقهاء فسألهم فلم يقولوا شيئاً قال عكرمة فقلت إن من الحين حيناً لا يدرك كقوله تعالى \* (ولتعلمن نبأه بعد حين) \* [ص: ٨٨] \* (ومتعناهم إلى حين) \* [يونس ٩٨] ومنها ما يدرك كقوله تعالى \* (تؤتي أكلها كل حين) \* فأراد ما بين خروج الثمرة إلى صرامها فأراد به ستة أشهر قال فأعجب بذلك أي فرح بذلك عمر بن عبد العزيز وروي عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن امرأة حلفت ألا تدخل على أهلها حيناً قال الحين ما بين أن يطلع الطلع إلى أن يجد فبين أن يجد إلى أن يطلع الطلع ستة أشهر وعن عكرمة عن ابن عباس أنه قال الحين ما بين الثمرتين أي سنة وروي عن وهب بن منبه أنه قال الحين السنة وعن مقاتل سنة وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال الحين ستة أشهر وقال عكرمة النخلة لا يزال فيها شيء ينتفع به إما ثمرة وإما حطبها فكذلك الكلمة الطيبة ينتفع بها صاحبها في الدنيا والآخرة

ثم قال تعالى \* (بإذن ربها) \* أي بأمر ربها \* (ويضرب الله الأمثال للناس) \* يعني يبين الله الأشباه \* (للناس لعلهم يتذكرون) \* يعني يتعظون ويتفكرون في الأمثال فيوحدونه سورة إبراهيم ٢٦ - ٢٧

قوله تعالى \* (ومثل كلمة خبيثة) \* يعني كلمة الشرك \* (كشجرة خبيثة) \* وهي الحنظلة ليس لها حلاوة ولا رائحة طيبة فكذلك الشرك بالله خبيث ثم وصف الشجرة فقال \* (اجتثت من فوق الأرض) \* أي اقتلعت من فوق الأرض \* (ما لها من قرار) \* يعني ليس لها أصل تجيء بها الريح وتذهب فكذلك الكفر ليس له أصل ولا حجة في الأرض ولا في السماء

ثم قال تعالى \* (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) \* بلا إله إلا الله \* (في الحياة الدنيا) \* يعني يثبتهم على ذلك القول عند النزع \* (وفي الآخرة) \* يعني في القبر وقال البراء بن عازب نزلت الآية في عذاب القبر يسأل من ربك ومن نبيك وما دينك يعني إذا أجاب فقد ثبته الله تعالى وقال الضحاك إذا وضع المؤمن في قبره وانصرف عنه الناس دخل عليه ملكان فيجلسانه ويسألانه من ربك ومن نبيك وما دينك وما كتابك وما قبلك فيثبته الله في القبر كما يثبت في الحياة الدنيا بالإقرار بالله تعالى وكتبه ورسله وروى ابن طاوس عن أبيه



أنه قال \* (في الحياة الدنيا) \* يعني قول لا إله إلا الله يثبتهم عليها في الدنيا \* (وفي الآخرة) \* عند المسألة في القبر وهكذا قال قتادة وقال الربيع بن أنس \* (في الحياة الدنيا) \* يعني في القبر \* (وفي الآخرة) \* يعني يوم الحساب ويقال \* (في الحياة الدنيا وفي الآخرة) \* يعني يموت مع الإيمان ويبعث على الإيمان يوم القيامة ثم قال \* (ويضل الله الظالمين) \* يعني يضلهم عن الحجة فلا يقولونها في القبر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا دخل الكافر والمنافق قبره قال له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت ويضربانه بمرزبة فيصيح صيحة يسمعها ما بين الخافقين إلا الجن والإنس فذلك قوله تعالى \* (ويضل الله الظالمين) \* \* (ويفعل الله ما يشاء) \* يعني ما شاء للمؤمنين أن يثبتهم وللكافرين أن يضلهم عن الجواب

سورة إبراهيم ٢٨ - ٣٠

قوله تعالى \* (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) \* قال مقاتل كانت النعمة أن الله أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف يعني من الخوف والقتل ثم بعث فيهم رسولا منهم فكفروا بهذه النعمة وبدلوها وهم بنو أمية وبنو المغيرة \* (وأحلوا قومهم دار البوار) \* يعني وأنزلوا سائر قريش \* (دار البوار) \* أي دار الهلاك بلغة عمان أهلكتهم قومهم ثم يصيرون بعد القتل إلى النار يوم القيامة فذلك قوله تعالى \* (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) \* أي غيروا نعمة الله عليهم بالكفر \* (وأحلوا قومهم دار البوار) \* يعني دار الهلاك قال قتادة وهم قادة المشركين يوم بدر قال الكلبي \* (أحلوا قومهم دار البوار) \* يعني \* (جهنم يصلونها) \* هي دارهم في الآخرة وقال الكلبي \* (أحلوا قومهم دار البوار) \* يعني مصرعهم ببدر \* (جهنم يصلونها) \* يعني يدخلونها يوم القيامة \* (وبئس القرار) \* يعني بئس المستقر جهنم

ثم قال تعالى \* (وجعلوا لله أندادا) \* يعني شركاء \* (ليضلوا عن سبيله) \* يعني ليصرفوا الناس عن دين الإسلام قرأ أبو عمرو وابن كثير \* (ليضلوا) \* بنصب الياء يعني إنهم أخطؤوا الطريق وضلوا وقرأ الباقر بالضم يعني ليصرفوا الناس عن الهدى قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم \* (قل تمتعوا) \* يعني عيشوا في الدنيا \* (فإن مصيركم إلى النار) \* يعني مرجعكم يوم القيامة إلى النار

قوله تعالى \* (قل لعبادي الذين آمنوا) \* قرأ حمزة والكسائي وابن عامر " قل لعباد الذين " بغير ياء وقرأ الباقون \* (قل لعبادي الذين) \* بالياء مع النصب وأصله الياء إلا أن الكسرة تغني عن الياء وقال بعض الحكماء شرف الله تعالى عباده بهذه الياء وهي خير لهم من الدنيا وما فيها لأن فيه إضافة إلى نفسه والإضافة تدل على العتق لأن رجلا لو قال لعبده يا ابن أو يا ولد لا يعتق ولو قال يا ولدي أو يا ابني يعتق بالإضافة إلى نفسه فكذلك إذا أضاف الله العباد إلى نفسه وفيه دليل على أنه يعتقهم من النار قوله \* (يقيموا الصلاة) \* يعني يتمونها بركوعها وسجودها ومواقيتها \* (وينفقوا مما رزقناهم) \* من الأموال \* (سرا وعلانية) \* يعني \* (سرا) \* على المتعفين \* (وعلانية) \* على السائلين \* (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) \* يعني لا فداء فيه \* (ولا خلال) \* يعني لا محالة تنفعه وهي الصداقة لأنه إذا نزل بهم شدة في الدنيا يفادون ويشفع خليلهم وليس في الآخرة شيء من ذلك وإنما هي أعمالهم قرأ ابن كثير وأبو عمرو " لا بيع ولا خلال " بنصب العين واللام وقرأ الباقون بالرفع والتنوين فيهما وهذا الاختلاف مثل قوله \* (ولا حلة ولا شفاعة) \* [البقرة: ٢٥٤]

ثم بين دلائل وحدانيته فقال تعالى \* (الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء) \* وهو المطر \* (فأخرج به) \* يعني فأنبت بالمطر \* (من الثمرات) \* يعني من ألوان الثمرات \* (رزقا لكم) \* يعني طعاما لكم \* (وسخر لكم الفلك) \* يعني ذلل لكم ركوب الفلك \* (لتجري في البحر بأمره) \* يقول بإذنه \* (وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) \* يعني دائمين مطيعين يعني ذلل لكم ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل \* (وسخر لكم الليل والنهار) \* يعني جعل بني آدم يلتمسون فيها المعيشة وينتشرون في النهار إلى حوائجهم وفي الليل مستقرهم ومنامهم \* (وآتاكم من كل ما سألتموه) \* يعني أعطاكم من كل شيء لم تحسنوا أن تسألوا فأعطيتكم برحمتي وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنه قال لم تسألوه بكل الذي أعطاكم وقال معمر والحسن آتاكم من كل الذي سألتموه قال مجاهد كل ما سألتموه أي رغبتم إليه فيه قرأ بعضهم \* (من كل) \* بالتنوين يعني أعطاكم من كل شيء

وقراءة العامة \* (من كل ما سألتموه) \* من غير تنوين على معنى الإضافة يعني من جميع ما سألتموه

ثم قال \* (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) \* يعني لا تقدرُوا على أداء شكرها ويقال \* (لا تحصوها) \* يعني لا تحفظوها \* (إن الإنسان) \* يعني الكافر \* (لظلوم كفار) \* يعني يظلم نفسه بالكفر بنعم الله تعالى

سورة إبراهيم ٣٥ - ٣٧

قوله تعالى \* (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً) \* يعني مكة آمناً من القتل والغارة ويقال من الجذام والبرص \* (واجنبي وبني) \* وذلك أن إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت سأل ربه أن يجعل هذا البلد آمناً وخاف على بنيه لأنه رأى القوم يعبدون الأوثان فسأل ربه أن يجنبهم عبادة الأوثان فقال \* (واجنبي وبني) \* يقول إحفظني وبني \* (أن نعبد الأصنام) \* يعني لكي لا نعبد الأصنام وفيه دليل أن المؤمن لا ينبغي له أن يأمن على إيمانه وينبغي أن يكون متضرعاً إلى الله ليثبته على الإيمان كما سأل إبراهيم لنفسه ولبنيه الثبات على الإيمان وروي عن يحيى بن معاذ أنه كان يقول إن جميع سروري بهذا الإسلام وأخاف أن تنزعه مني فما دام هذا الخوف معي رجوت أن لا تنزعه مني

ثم قال \* (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس) \* يقول بهن ضل كثير من الناس فكأن الأصنام سبب لضلالتهم فنسب الإضلال إليهن وإن لم يكن منهن عمل في الحقيقة وقال بعضهم كان الإضلال منهن لأن الشياطين كانت تدخل أجواف الأصنام وتتكلم فذلك الإضلال منهن

ثم قال تعالى \* (فمن تبعني فإنه مني) \* يعني من آمن بي فهو معي على ديني ويقال فهو من أمتي \* (ومن عصاني) \* يعني لم يطعني ولم يوحدك \* (فإنك غفور رحيم) \* إن تاب وأن توفقه حتى يسلم

ثم قال تعالى \* (ربنا إنني أسكنت من ذريتي) \* يعني أنزلت بعض ذريتي وهو إسماعيل \* (بواد غير ذي زرع) \* يعني بأرض مكة وذلك أن سارة كانت لها جارية يقال لها هاجر فوهبتها من إبراهيم فولدت منه إسماعيل فغارت سارة وناشدته أن يخرج بهما من أرض الشام فأخرجهما إبراهيم عليه السلام إلى أرض مكة ثم رجع إلى سارة فلما كبر إسماعيل

رجع إبراهيم إليه وبنى معه البيت فذلك قوله \* (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع) \* أي بعض ذريتي وهو إسماعيل بأرض ليس فيها زرع \* (عند بيتك المحرم) \* الذي حرم فيه القتال والاصطياد وأن يدخل فيه أحد بغير إحرام \* (ربنا ليقيموا الصلاة) \* يعني وفقهم ليطموا الصلاة وإنما ذكر الصلاة خاصة لأن الصلاة أولى العبادات وأفضلها \* (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) \* يعني تشتاق إليهم قال مجاهد لو قال إبراهيم فاجعل أفئدة الناس تهوى إليهم لزاحمتهم الروم وفارس ولكنه قال \* (أفئدة من الناس) \* \* (وارزقهم) \* يعني أطعمهم \* (من الثمرات لعلهم يشكرون) \* يعني لكي يشكروا فيما رزقتهم

سورة إبراهيم ٣٨ - ٤٤

ثم قال تعالى \* (ربنا إنك تعلم ما نخفي) \* من الوجد بإسماعيل وهاجر والحب لهما \* (وما نعلن) \* عند سارة من الصبر عنهما " وما يخفى على الله من شيء " يعني لا يذهب على الله شيء \* (في الأرض ولا في السماء) \* يعني من عمل أهل السماء وأهل الأرض قال بعضهم هذا كلام إبراهيم وقال بعضهم هذا كلام الله تعالى ثم رجع إلى كلام إبراهيم فقال \* (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) \* يعني بعد الكبر وهو ابن تسع وتسعين سنة في رواية الكلبي وفي رواية الضحاك ابن مائة وعشرين سنة \* (إسماعيل وإسحاق) \* وكان إسماعيل أكبرهما بثلاث عشرة سنة \* (إن ربي لسميع الدعاء) \* يعني مجيب الدعاء قوله تعالى \* (رب اجعلني مقيم الصلاة) \* يعني أكرمني بإتمام الصلاة \* (ومن ذريتي) \* يعني فأكرمهم أيضا لإتمام الصلاة \* (ربنا وتقبل دعاء) \* أي استجب دعائي ويقال معناه تقبل عملي واستجب دعائي \* (ربنا اغفر لي ولوالدي) \* قرأ بعضهم " ولوالدي " لأن أمه كانت مسلمة وقرأ بعضهم " ربنا اغفر لي ولولدي " يعني إسماعيل وإسحاق وقراءة العامة \* (ولوالدي) \* لأنه كان يستغفر لأبيه عن موعدة وعدّها إياه \* (وللمؤمنين) \* يعني اغفر لجميع المؤمنين \* (يوم يقوم الحساب) \* يعني يوم القيامة

قوله تعالى \* (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) \* قرأ حمزة وعاصم وابن عامر \* (ولا تحسبن) \* بنصب السين وقرأ الباقون بالكسر ومعناها واحد يعني لا تظن يا محمد أن الله غافل عما يعمل الظالمون أي المشركين يعني إن أعمالهم لا تخفى علي ولو شئت لعجلت عقوبتهم في الدنيا قال ميمون بن مهران هذه الآية تعزية للمظلوم ووعيد الظالم \* (إنما يؤخرهم) \* يعني يمهلهم ويؤجلهم قرأ أبو عمرو في إحدى الروايتين " نؤخرهم " بالنون وقرأ الباقون بالياء \* (ليوم تشخص فيه الأبصار) \* يعني تشخص فيه أبصار الكافرين وذلك حين عاينوا النار شخصت فيه أبصارهم فلا يطفون فيها

\* (مهطعين) \* أي مسرعين يقال أهطع البعير في السير إذا أسرع ويقال \* (مهطعين) \* أي ناظرين قاصدين نحو الداعي وقال قتادة \* (مهطعين) \* أي مسرعين \* (مقنعي رؤوسهم) \* المقنع الذي يرفع رأسه شاخصاً بصره لا يطف ولا يجاهد \* (مهطعين) \* مديمي النظر \* (مقنعي رؤوسهم) \* رافعي رؤوسهم وقال الخليل بن أحمد المهطع الذي قد أقبل إلى الشيء ينظره ولا يرفع عينيه عنه \* (مقنعي) \* يعني رافعي رؤوسهم مادي أعناقهم \* (لا يرتد إليهم طرفهم) \* يعني لا يرجع إلى الكفار بصرهم \* (وأفئدتهم هواء) \* يعني خالية من كل خير كالهواء ما بين السماء والأرض وقال السدي هوت أفئدتهم بين موضعها وبين الحنجرة فلم ترجع إلى موضعها ولم تخرج كقوله \* (إذ القلوب لدى الحناجر) \* [غافر: ١٨] وهكذا قال مقاتل وقال أبو عبيدة \* (هواء) \* أي مجوفة لا عقول فيها

ثم قال \* (وأندر الناس) \* يعني خوف أهل مكة \* (يوم يأتيهم العذاب) \* في الآخرة قوله تعالى \* (فيقول الذين ظلموا) \* يعني أشركوا \* (ربنا أخرنا) \* يعني أجلنا \* (إلى أجل قريب) \* لندرج إلى الدنيا \* (نحب دعوتك) \* يعني الإسلام \* (ونتبع الرسل) \* على دينهم يقول الله تعالى " أو لم تكونوا أقسمتم من قبل " يقول حلفتكم وأنتم في الدنيا من قبل هذا اليوم \* (ما لكم من زوال) \* أي لا تزولون عن الدنيا ولا تبعثون سورة إبراهيم ٤٥ - ٤٧

قوله تعالى \* (وسكنتهم) \* يقول نزلتم \* (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) \* أي أشركوا يعني منازل قوم عاد وثمود \* (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) \* يقول كيف عاقبناهم عند التكذيب \* (وضربنا لكم الأمثال) \* يقول بينا ووصفنا لكم عصيانهم وجحودهم والعذاب الذي نزل بهم يعني إنكم سمعتم هذا كله في الدنيا فلم تعتبروا فلو رجعتم بعد هذا اليوم لا تنفعكم الموعظة أيضاً

ثم قال تعالى \* (وقد مكروا مكروهم) \* يعني علم الله مكروهم وقد صنعوا صنيعهم يعني الأمم الخالية \* (وعند الله مكروهم) \* يعني علم الله مكروهم ولا يخفى عليه قال علي بن أبي طالب \* (وعند الله مكروهم) \* أي التابوت والنسور وهو نمروذ بن كنعان وقومه وروى وكيع بإسناده عن علي رضي الله عنه قال إن جبارا من الجبابرة قال لا أنتهي حتى أعلم ما في السماء يعني نمروذ فاتخذ فراخ نسور ثم أمر بها فأطعمت اللحم حتى اشتدت وغلظت واستفاحت وأخذ تابوتا يسع فيه رجلا ثم أمر بالنسور فجمعت ثم ربط أرجلها بالأوتاد وشدت بقوائم التابوت وجعل في وسط التابوت اللحم ثم جلس في التابوت هو ورجل معه ثم أرسل النسور وجعل اللحم على رأس خشبة على التابوت فطارت النسور إلى السماء ما شاء الله ثم قال لصاحبه انظر ماذا ترى فنظر فقال أرى الجبال كأنها ذباب ثم طارت ما شاء الله ثم قال انظر ماذا ترى فنظر فقال ما أرى إلا السماء وما تزداد منها إلا بعدا قال نكس الخشبة فنكسها فانقضت النسور حتى سقطت على الأرض فسمع هزته الجبال فكادت تزول عن أماكنها ثم قرأ علي رضي الله عنه \* (وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال) \* أي وقد كاد مكروهم ليزيل الجبال عن أماكنها ويقال إن نمروذ بن كنعان هو أول من تجبر وقهر وسن سنن السوء وأول من لبس التاج فأهلكه الله تعالى ببعوضة دخلت في خياشمه فعذب بها أربعين يوما ثم مات وقال قتادة \* (وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال) \* يعني الكفار حين ادعوا لله تعالى ولدا فكاد أن تزول الجبال ويقال أهل مكة مكروا في دار الندوة وقد كاد مكروهم أن يزول منه أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأمر دين الإسلام إذ ثبوت كذب الجبال لأن الله تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم إظهار دين الإسلام بدليل ما قال بعد هذا \* (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) \* قرأ الكسائي \* (لتزول) \* بنصب اللام الأولى ورفع الثانية وقرأ الباقر بكسر اللام الأولى ونصب الثانية ومعناه ما كان مكروهم ليزول به أمر دين الإسلام إذ ثبوت كذب الجبال ومن قرأ " ليزول " فمعناه وإن كان مكروهم يعني مكر الكفار ليبلغ إلى إزالة الجبال فإن الله ينصر دينه وروى عن ابن مسعود أن قرأ " وإن كاد مكروهم "

قوله تعالى \* (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) \* يعني في نزول العذاب بكفر مكة إن شاء عجل لهم العقوبة في الدنيا \* (إن الله عزيز ذو انتقام) \* ذو انتقام للكفار

سورة إبراهيم ٤٨ - ٥٢

قوله تعالى \* (يوم تبدل الأرض غير الأرض) \* قال علي بن أبي طالب يعني أي غير هذه الأرض التي عليها بنو آدم بأرض بيضاء نقية لم يعمل فيها بالمعاصي ولا سفك عليها الدماء وهكذا قال ابن مسعود

قال حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا أبو يعقوب قال حدثنا محمد بن يونس العامري قال حدثنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا القاسم بن الفضل عن الحسن عن عائشة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تذكر أهلكم يوم القيامة قال أما عند مواطن ثلاثة فلا عند الصراط والكتاب والميزان قالت ألم يقل الله تعالى \* (يوم تبدل الأرض غير الأرض) \* أين يكون الناس يومئذ قال سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك فقال الناس يومئذ على الصراط وروي عن ابن عباس أنه قال تمد الأرض مد الأديم ويزاد في سعتها

ثم قال \* (وبرزوا لله الواحد القهار) \* يعني خرجوا من قبورهم وظهروا \* (لله الواحد القهار) \* لخلقها

قوله تعالى \* (وترى المجرمين) \* يعني المشركين \* (يومئذ مقرنين) \* مسلسلين \* (في الأصفاد) \* يعني في الأغلال يقرن كل كافر مع شيطان \* (سرايلهم) \* يعني قمصهم \* (من قطران) \* أي قمصهم من النحاس المذاب هكذا قال قتادة وقال الحسن البصري " القطران " الآنك وقال عكرمة هو القطران الذي يطلى به الأشياء حتى يشتعل نارا وقال الضحاك \* (من قطران) \* يعني من صفر حار قد انتهى حره وقال القتيبي \* (مقرنين) \* أي قرن بعضهم إلى بعض في الأغلال وروي عن أبي هريرة أنه كان يقرأ من \* (قطران) \* ويقول القطر النحاس والآنك الذي انتهى حره و \* (سرايلهم) \* أي قمصهم ثم قال تعالى \* (وتغشى وجوههم النار) \* يعني تغلو وجوههم النار ولا يمتنعون منها قوله تعالى \* (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) \* من خير أو شر \* (إن الله سريع الحساب) \* يقول إذا حاسب فحسابه سريع

قوله \* (هذا بلاغ للناس) \* يعني هذا القرآن إرسال وبيان من الله تعالى ويقال أبلغكم عن الله تعالى \* (ولينذروا به) \* يعني ليخوفوا بالقرآن عن معصية الله تعالى \* (وليعلموا) \* يعني لكي يعلموا \* (إنما هو إله واحد) \* صادق \* (وليدكر) \* أي ليتعظ بما أنزل من التخويف في القرآن " أولو الألباب " يعني ذوو العقول من الناس والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم

سورة الحجر مكية وهي تسعون وتسع آيات

سورة الحجر ١ - ٣

قال الله عز وجل \* (الر تلك آيات الكتاب) \* أي هذه آيات الكتاب \* (وقرآن مبين) \*  
أي بين حاله وحرامه والكتاب والقرآن واحد وقال قتادة في قوله \* (وقرآن مبين) \*  
بين الله هداه ورشده وخيره \* (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) \* قرأ نافع  
وعاصم \* (ربما) \* بالتخفيف وقرأ الباقر بالتشديد وقال عاصم قرأت عند زر بن  
حبيش \* (ربما) \* بالتشديد فقال إنك لتحب الرب وقال هي ربما مخففة ولكن  
معناها واحد فالتخفيف لغة بعض العرب واللغة الظاهرة بالتشديد أي ربما يأتي على  
الكافر يوم يتمنى أنه كان أسلم ويقال أقسم الله بالألف واللام والراء إن هذا القرآن حق  
وهو يبين لكم الحق من الباطل وأقسم أنه رب يوم يأتي على الكافر يتمنى أنه ليت كان  
مؤمنًا في الدنيا يقول الكافر يا ليتني كنت مؤمنًا في الدنيا أي يوم القيامة وذلك أن  
الكافر كلما رأى حالا من أحوال العذاب ورأى حالا من أحوال المسلمين ود أن  
لو كان مسلمًا وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال يخرج من النار حين يقال  
أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ف يتمنى الكافر أن لو كان مؤمنًا  
فذلك قوله \* (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) \*

وروي حماد بن أبي سليمان قال سألت إبراهيم النخعي عن هذه الآية قال نزلت في  
الكفار يعيرون أهل التوحيد ويقولون ما أغنى عنكم إيمانكم وأنتم معنا فيغضب الله لهم  
فيأمر الله النبيين والملائكة فيشفعون فيخرج أهل التوحيد من النار حتى إن إبليس  
يتطاول رجاء أن يخرج ويتمنى الكافر أن لو كان مسلمًا في الدنيا  
قال حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا محمد بن شوكر قال حدثنا القاسم قال حدثنا  
أبو حنيفة عن يزيد بن صهيب عن جابر بن عبد الله قال سألته عن الشفاعة فقال يعذب  
الله قوما من أهل الإيمان ثم يخرجهم منها بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم قلت له  
فأين قوله \* (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) \* [المائدة: ٣٧] قال  
اقرأ ما قبلها \* (إن الذين كفروا) \* [غافر: ١٠] الآية يعني إن تلك الآية نزلت في  
الكفار وقال مجاهد إذا أخرج من



النار من قال لا إله إلا الله فعند ذلك يقولون يا ليتنا كنا مسلمين وعن أبي العالية مثله  
ثم قال تعالى \* (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) \* يقول اتركهم واخل عنهم يا محمد في الدنيا  
يأكلوا ويتمتعوا \* (يأكلوا) \* كالأنعام \* (ويعتصموا) \* بعيشهم في الدنيا لا تهمهم  
الآخرة ولا يعرفون ما في غد \* (ويلهم الأمل) \* يعني يشغلهم الأمل الطويل عن  
الطاعة وعن ذكر الله تعالى ويقال يشغلهم طول الأمل عن الطاعة وذكر الأجل \*  
(فسوف يعلمون) \* وهذا وعيد لهم أي يعرفون ما نزل بهم من العذاب والشدة يوم  
القيامة

#### سورة الحجر ٤ - ٩

قوله تعالى \* (وما أهلكنا من قرية) \* يعني أهل قرية \* (إلا ولها كتاب معلوم) \* أي  
أجلا مؤقتا ووقتا معروفا \* (ما تسبق من أمة أجلها) \* يعني لا يموت أحد قبل أجله \*  
(وما يستأخرون) \* بعد أجلهم طرفة عين \* (وقالوا) \* يعني أهل مكة \* (يا أيها الذي  
نزل عليه الذكر) \* أي الذي يزعم أنه ينزل عليه القرآن \* (إنك لمجنون) \* نزلت في  
عبد الله بن أمية \* (لو ما تأتينا بالملائكة) \* يعني هلا تأتينا بالملائكة فتخبرنا بأنك  
رسول الله \* (إن كنت من الصادقين) \* بأنك نبي مرسل وأن العذاب نازل بنا  
قال الله تعالى \* (ما ننزل الملائكة إلا بالحق) \* أي بالوحي والعذاب وبقبض الأرواح \*  
(وما كانوا إذا منظرين) \* يعني إذا نزلت عليهم الملائكة لا يؤجلون بعد نزول الملائكة  
قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص ما \* (ننزل) \* بالنون وتشديد الزاي  
ونصب \* (الملائكة) \* من قولك نزل ينزل وقرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (ما تنزل)  
\* بالتاء والضم ونصب الزاي مع التشديد على معنى فعل ما لم يسم فاعله وقرأ الباقون \*  
(ما تنزل) \* بنصب التاء وتشديد الزاي فجعل الفعل للملائكة  
ثم قال \* (إنا نحن نزلنا الذكر) \* أي القرآن \* (وإننا له لحافظون) \* يعني القرآن ويقال  
محمد صلى الله عليه وسلم من القتل وقال قتادة يعني القرآن يحفظه الله تعالى من أن  
يزيد فيه الشيطان باطلا أو يبطل منه حقا وكذلك قال مقاتل  
سورة الحجر ١٠ - ١٥

ثم قال عز وجل \* (ولقد أرسلنا من قبلك) \* يعني قد أرسلنا قبلك يا محمد رسلاً \* (في شيع الأولين) \* أي في أمم وقرون الأولين قبل أمتك " وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون " أي كانوا يسخرون منهم كما سخر منك قومك \* (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) \* قرأ بعضهم \* (نسلكه) \* بضم النون وكسر اللام وقراءة العامة بنصب النون وضم اللام وهما لغتان يقال سلكت الخيط في الإبرة إذا أدخلته فيها ومعناه هكذا ندخل الإضلال في قلوب المجرمين أي المشركين عقوبة ومجازاة لكفرهم ويقال معناه هكذا نطبع على قلوب المجرمين ويقال نجعل حلاوة التكذيب بالعذاب ويقال للشرك في قلوب المشركين الذين \* (لا يؤمنون به) \* يعني لا يصدقون بالله ويقال بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال بالعذاب إنه غير نازل بهم \* (وقد خلت سنة الأولين) \* أي مضت بالعذاب عند التكذيب ويقال تقدمت سيرة الأولين بالهلاك قوله عز وجل \* (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) \* أي فصاروا يصعدون فيه وينزلون يعني الملائكة ويراهم المشركون وهم أهل مكة \* (لقالوا إنما سكرت أبصارنا) \* يقول أخذت وأغشيت أبصارنا \* (بل نحن قوم مسحورون) \* أي ولقالوا سحرنا فلا نبصر وروى قتادة عن ابن عباس أنه قال لو فتح الله عليهم بابا من السماء فظلت الملائكة يعرجون فيه لقالوا أخذت أبصارنا قرأ ابن كثير \* (سكرت) \* بالتخفيف وهكذا قرأ الحسن وقرأ الباقون بالتشديد وقال القتيبي \* (سكرت) \* بالتشديد أي غشيت ومنه يقال سكر النهر إذا سد ومنه إذا أسكر الشراب وهو الغطاء على العقل ومن قرأ \* (سكرت) \* بالتخفيف أي سحرت يعني إنهم لا يعتبرون به كما لم يعتبروا بانشقاق القمر حين رأوه معاينة

سورة الحجر ١٦ - ٢١

ثم قال \* (ولقد جعلنا في السماء بروجاً) \* أي نجوماً ويقال هي القصور في السماء وقال الضحاك وسعيد بن المسيب ومجاهد هي النجوم \* (وزيناها للناظرين) \* أي زينا السماء بالكواكب لمن نظر إليها \* (وحفظناها) \* يعني السماء \* (من كل شيطان رجيم) \* أي مرجوم ويقال ملعون مبعود من الرحمة \* (إلا من استرق السمع) \* أي لکن من اختلس السمع خلسة

\* (فأتبعه شهاب مبین) \* أي لحقه نجم حار متوهج متوقد لا يخطئه الشهاب أن يصيبه فإما أن يأتي على نفسه وإما أن يخبله حتى لا يعود إلى الاستماع إلى السماء وقال ابن عباس إن أهل الجاهلية من الكهنة قالوا لا يكون كاهن إلا ومعه تابع من الجن فينطلق الشياطين الذين كانوا مع الكهنة فيقعدون من السماء مقاعد السمع ويستمعون إلى ما هو كائن في الأرض من الملائكة فينزلون به على كهنتهم فيقولون إنه قد كان كذا وكذا من الأمر فتفشييه كهنتهم إلى الناس فيتكلمون به قبل أن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم فإذا تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم قالوا قد علمنا قبله وكانت الشياطين لا تحجب عن الاستماع في السماوات حتى بعث عيسى ابن مريم فمنعوا من ثلاث سماوات وكانوا يصعدون في أربع سماوات فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السماوات السبع وكان الشيطان المارد منهم يصعد ويكون آخر أسفل منه فإذا استمع قال للذي أسفل منه قد كان من الأمر كذا وكذا فيهرب الأسفل ويرمي الذي استمع بالشهاب ويأتي الأسفل بالأمر الذي سمع إلى كهنتهم فذلك قوله \* (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبین) \*

ثم قال \* (والأرض مددناها) \* يقول بسطناها على الماء \* (وألقينا فيها رواسي) \* أي الجبال الثابت لكي لا تتحرك من أمكنتها \* (وأنبتنا فيها) \* أي في الجبال " من كل شيء موزون " أي مقسوم معلوم ويقال " من كل شيء موزون " مما يخرج من الجبال من الحديد والرصاص والفضة والذهب \* (وجعلنا لكم فيها معاش) \* أي من الزرع والنبات ويقال \* (وأنبتنا فيها) \* أي في الأرض " من كل شيء موزون " أي معدود من الحبوب وغيره \* (ومن لستم له برازقين) \* أي خلقنا فيها معاش البهائم والوحوش والطيور يعني أنتم لستم ترزقونها وأنا أرزقها قوله " وإن من شيء إلا عندنا خزائنه " أي مفاتيح رزقه ويقال علمه كقوله \* (وعنده مفاتيح الغيب) \* [الأنعام: ٥٩] وهو المطر \* (وما ننزله) \* أي المطر \* (إلا بقدر معلوم) \* أي بكييل ووزن معروف قال ابن عباس أي يعلمه الخزان إلا يوم الطوفان الذي أغرق الله به قوم نوح فإنه طغى على خزانه وخرج وكثر فلم يحفظوا ما خرج منه يومئذ وخرج أربعين يوماً

سورة الحجر ٢٢ - ٢٥

قوله عز وجل \* (وأرسلنا الرياح لواقح) \* قال بعث الله الريح فتلقح السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر هذا قول ابن مسعود وقال ابن عباس في قوله \* (وأرسلنا الرياح لواقح) \* أي ملقحات تلقح الأشجار وقال قتادة \* (لواقح) \* أي تلقح السحاب

وهكذا قال الكلبى قرأ حمزة " وأرسلنا الريح " بلفظ الوجدان وقرأ الباقر بلفظ الجماعة

ثم قال \* (فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه) \* يعنى بماء المطر فأرويناكم به وحبستم الماء في الغدران والحياض لتسقوا الضياع والمواشي \* (وما أنتم له بخازنين) \* أي بمالكين وحافظين ويقال ليس مفاتيحه بأيديكم  
ثم قال عز وجل \* (وإننا لنحن نحيي ونميت) \* أي نحيي للبعث ونميت في الدنيا ويقال \* (نحيي) \* الأرض بالمطر أيام الربيع ونميتها أيام الخريف \* (ونحن الوارثون) \* أي المالكون ويقال معناه يهلك الخلق ويبقى الرب تبارك وتعالى  
قوله عز وجل \* (ولقد علمنا المستقدمين منكم) \* أي الأموات \* (ولقد علمنا المستأخرين) \* يعنى الأحياء ويقال \* (ولقد علمنا المستقدمين منكم) \* في الصف الأول \* (ولقد علمنا المستأخرين) \* في الصف الآخر وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس أنه قال كانت امرأة حسناء تصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يتقدم في الصف الأول لكي يراها ويتأخر بعضهم فإذا ركع نظر من تحت إبطيه فنزل \* (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) \* ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم حرض الناس على الصف الأول وكان قوم بيوتهم قاصية من المسجد فقالوا لنبيعن دورنا ونشترى دوراً قريبة من المسجد حتى ندرك الصف الأول فصارت الديار البعيدة خالية فقال النبي صلى الله عليه وسلم من أتى المسجد فإنه يكتب آثاره ويكتب له بكل خطوة كذا وكذا حسنة وترفع له كذا وكذا درجة فجعل الناس يشترى الدور البعيدة من المسجد لكي يكتب لهم آثارهم فنزل \* (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) \* وإنما يؤجرون بالنية فاطمأنوا وسكنوا وقال مجاهد \* (ولقد علمنا المستقدمين) \* أي ما مضى \* (ولقد علمنا المستأخرين) \* ما بقي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة \* (المستقدمين) \* آدم ومن مات قبل نزول هذه الآية " والمستأخرين " من لم يخلق بعد كلهم قد علمهم وقال الحسن \* (المستقدمين) \* في الخير " والمستأخرين " يقول المبطلين  
قوله \* (وإن ربك هو يحشرهم) \* يوم القيامة \* (إنه حكيم) \* حكم بحشر الأولين والآخرين \* (عليم) \* بهم  
سورة الحجر ٢٦ - ٢٧

قوله عز وجل \* (ولقد خلقنا الإنسان) \* أي آدم \* (من صلصال) \* أي من طين يتصلصل إذا مشيت عليه يتقلقل وإذا تركته يتفلق \* (من حمأ مسنون) \* أي من طين أسود متن وقال الأخفش أي من طين مصبوب ويقال \* (مسنون) \* أي متغير الرائحة كقوله \* (لم يتسنه) \* [البقرة: ٢٥٩] ويقال الذي أتت عليه السنون وقال القتيبي " الصلصال " الطين اليابس الذي لم تصبه نار إذا ضربته صوت وإذا مسته النار فهو فخار والمسنون المتغير الرائحة



(٢٥٤)

والحمأ جمع حمئة وهو الطين المتغير \* (والجان خلقناه من قبل) \* آدم \* (من نار السموم) \* وهي نار لا دخان لها وهم في الأرض مع إبليس سكان الأرض  
سورة الحجر ٢٨ - ٣٥

قوله عز وجل \* (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا) \* يعني قال ربك للملائكة سأخلق خلقاً \* (من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته) \* أي جمعت خلقه \* (ونفخت فيه من روحي) \* أي جعلت الروح فيه \* (فقعوا له ساجدين) \* أي فخرؤا له سجداً \* (فسجد الملائكة) \* سجدة تحية لا سجدة عبادة وكانت التحية لآدم عليه السلام والعبادة لله تعالى \* (كلهم أجمعون) \* روي عن الخليل أنه قال \* (أجمعون) \* على معنى توكيد بعد توكيد وذكر عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال معناه سجدوا كلهم في حالة واحدة وقال الزجاج الأول أجود لأن أجمعين معرفة ولا يكون حالاً \* (إلا إبليس) \* قال بعضهم لكن إبليس لم يكن من الساجدين لأن إبليس لم يكن من الملائكة فلا يكون الاستثناء من غير جنس ما تقدم بدليل قوله \* (إلا إبليس كان من الجن) \* [الكهف: ٥٠] وقال بعضهم استثنى إبليس من الملائكة وكان من جنسهم إلا أنه لما لم يسجد لعن وغير عن صورة الملائكة فذلك قوله \* (إلا إبليس) \* \* (أبى أن يكون مع الساجدين) \* أي تعظم عن السجود لآدم مع الملائكة قوله عز وجل \* (قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين) \* أي مع الملائكة " قال " إبليس \* (لم أكن لأسجد لبشر خلقتة من صلصال من حمأ مسنون قال فأخرج منها) \* أي من الأرض ويقال من الجنة \* (فإنك رجيم) \* أي ملعون مطرود فألحقه بجزائر البحور \* (وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) \* أي طرد من رحمته إلى يوم الحساب

سورة الحجر ٣٦ - ٤١

قوله \* (قال رب فأنظرني) \* أي أجلني \* (إلى يوم يبعثون) \* من قبورهم \* (قال فإنك من المنظرين) \* أي من المؤجلين \* (إلى يوم الوقت المعلوم) \* أي النفخة الأولى " قال رب بما

أغويتني) يقال معناه بإغوائك إياي ويقال أضللتني عن الهدى لأجل آدم قال القتيبي أي بالذي أغويتني \* (لأزين لهم في الأرض) \* أي ما في الأرض من الشهوات واللذات \* (ولأغوينهم) \* أي لأضلنهم عن الهدى \* (أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) \* قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر \* (المخلصين) \* بكسر اللام أي المخلصين في العبادة ويقال الموحدين وقرأ الكسائي ونافع وحمزة وعاصم \* (المخلصين) \* بنصب اللام أي المعصومين من الشرك

قال حدثنا الفقيه أبو جعفر قال حدثنا أبو القاسم قال حدثنا محمد بن سلمة قال حدثنا أحمد بن عبد الله قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن هشام عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لعن إبليس قال فبعزتك لا أفارق قلب ابن آدم حتى يموت قال قيل له وعزتي لا أحجب عنه التوبة حتى يغرغر بالموت ثم قال عز وجل \* (قال هذا صراط علي) \* أي هذا التوحيد صراط \* (مستقيم) \* وعلى دلالاته وهذا قول الحسن ويقال معناه على ممر من أطاعك ومن عصاك كقوله \* (إن ربك لبالمرصاد) \* [الفجر: ١٤] ويقال معناه هذا بيدي لا بيدك وقال الضحاك هذا سبيل الله علي مستقيم أي علي هدايته ودلالته كقوله \* (وعلى الله قصد السبيل) \* [النحل: ٩] وروي عن ابن سيرين أنه كان يقرأ \* (هذا صراط علي مستقيم) \* بكسر اللام ورفع الياء مع التنوين ومعناه هذا صراط رفيع مستقيم وهو قول قتادة أي طريق شريف لا عوج فيه

سورة الحجر ٤٢ - ٤٤

قوله عز وجل \* (إن عبادي) \* أي عبادي الذين لا يطيعونك \* (ليس لك عليهم سلطان) \* أي حجة ولا ملكا ولا أسطك عليهم كقوله \* (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا) \* [النحل: ٩٩]

ثم قال تعالى \* (إلا من اتبعك من الغاوين) \* أي من أطاعك من الكافرين ويقال معناه إنما نفاذ دعوتك ووسوستك لمن اتبعك من المشركين ثم بين مصير من اتبعه ومصير من لم يتبعه فقال \* (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) \* أي لمصير من اتبعه \* (لها سبعة أبواب) \* أي سبعة منازل \* (لكل باب منهم جزء مقسوم) \* أي لكل منزل صنف ممن يعذب من الكفار على قدر منزلته من الذنب نصيب معروف أسفلها هاوية وهي لآل فرعون ولأصحاب المائدة الذين كفروا بعيسى وللمنافقين والزنادقة والثانية لظى وهي منزلة المجوس والثنوية الذين قالوا بالهين والثالثة سقر وهي منزلة المشركين وعبدة

الأوثان والرابعة الجحيم وهي منزلة اليهود الذين كذبوا الرسل وقتلوا أنبياء الله بغير حق والخامسة الحطمة وهي منزلة النصارى الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقالوا قولا عظيما والسادسة السعير وهي منزلة الصابئين ومن أعرض عن دين الإسلام وخرج منه والسابعة جهنم وهي أعلى المنازل وعليها ممر الخلق كلهم وهي منزل أهل الكبائر من المسلمين قال ابن عباس في رواية أبي صالح الباب الأول جهنم والثاني السعير والثالث سقر والرابع جهنم والخامس لظى والسادس الحطمة والسابع الهاوية وقال بعضهم جهنم اسم عام يقع على الإدراك كلها والأول أصح إن جهنم اسم لا يقع على الإدراك وهكذا روي عن جماعة من الصحابة

سورة الحجر ٤٥ - ٤٨

ثم قال تعالى \* (إن المتقين في جنات وعيون) \* أي الذين يتقون الشرك والفواحش ويتقون إجابة الشيطان في بساتين وعيون ظاهرة \* (ادخلوها) \* أي الجنة \* (بسلام) \* أي مسلمين ويقال سالمين ناجين من العذاب \* (أمنين) \* أي من الموت والخوف قوله \* (ونزعنا ما في صدورهم من غل) \* أي من حسد وعداوة كانت بينهم في الدنيا ويكونون في الآخرة \* (إخوانا) \* صار نصبا على الحال \* (على سرر متقابلين) \* أي متزاورين متحدثين وروى سفيان عن منصور عن إبراهيم أن عليا قال أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم \* (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) \* وروى ربعي بن خراش قال قام رجل من همدان فقال يا أمير المؤمنين الله أعدل من ذلك فصاح به علي فقال إذا لم نكن نحن فمن هم ثم قال \* (لا يمسهم فيها نصب) \* يقول لا يصيبهم في الجنة تعب ولا مشقة \* (وما هم منها بمخرجين) \* أي من الجنة

سورة الحجر ٤٩ - ٥٦

قوله عز وجل \* (نبي عبادي) \* أي أخبر عبادي يا محمد \* (أني أنا الغفور الرحيم) \* لمن تاب منهم \* (وأن عذابي هو العذاب الأليم) \* لمن مات على الكفر ولم يتب قال حدثنا أبو



جعفر قال حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن قال حدثنا محمد بن شاذان الجوهري قال حدثنا محمد بن مقاتل قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا مصعب بن ثابت عن عاصم بن عبيد عن عطاء عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه ونحن نضحك فقال أتضحكون ثم قال لا أراكم تضحكون ثم أدبر فكأن على رؤوسنا الرخم حتى إذا كان عند الحجر ثم رجع إلينا القهقري فقال جاء جبريل فقال يا محمد إن الله تعالى يقول لم تقنط عبادي \* (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم) \* وقال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر رحمة الله ما تورع عن حرام قط ولو علم قدر عقوبة الله لبخع نفسه أي أهلك نفسه في عبادة الله تعالى

ثم قال \* (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) \* أي عن أضياف إبراهيم إلا أن هذا اللفظ مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع وذلك حين بعث الله تعالى جبريل في اثني عشر من الملائكة

قوله \* (إذ دخلوا عليه) \* أي على إبراهيم \* (فقالوا سلاما) \* أي فسلموا عليه فرد عليهم السلام كما قال في موضع آخر \* (فقالوا سلاما قال سلام) \* [الذاريات: ٢٥] وقال الكلبي فأنكرهم إبراهيم في تلك الأرض لأنهم لم يطعموا من طعامه \* (قال إنا منكم وجلون) \* أي خائفين \* (قالوا لا توجل) \* أي لا تخف منا وبشروه فقالوا \* (إنا نبشرك) \* قرأ حمزة \* (نبشرك) \* بجزم الباء مع التخفيف ونصب النون وضم الشين وقرأ الباقون بالتشديد \* (بغلام عليم) \* أي بإسحاق \* (عليم) \* في صغره حليم في كبره \* (قال أبشرتموني على أن مسني الكبر) \* أي بعدما أصابني الكبر والهرم \* (فبم تبشرون) \* قرأ نافع \* (تبشرون) \* بكسر النون مع التخفيف لأن أصله تبشروني بالياء فأقيم الكسر مقامه وقرأ ابن كثير \* (فبم تبشرون) \* بكسر النون مع التشديد لأنه في الأصل بنونين فأدغم إحداهما في الأخرى مثل قوله " تأمروني " و " تحاجوني " في الأصل وقرأ الباقون \* (تبشرون) \* بنصب النون مع التخفيف لأنها نون الجماعة وقال أبو عبيدة هذا أعجب إلي لصحتها في العربية \* (قالوا بشرناك بالحق) \* أي بالولد ويقال بالصدق \* (فلا تكن من القانطين) \* أي من الآيسين من الولد ويقال من نعم الله " قال إبراهيم ومن يقنط من رحمة ربه " أي من نعمته ربه \* (إلا الضالون) \* أي الجاهلون قرأ الكسائي وأبو عمرو \* (يقنط) \* بكسر النون وقرأ الباقون \* (يقنط) \* بالنصب ومعناها واحد

سورة الحجر ٥٧ - ٦٥

ثم قال \* (قال فما خطبكم أيها المرسلون) \* أي قال إبراهيم ما حالكم وشأنكم وبماذا  
جئتم \* (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) \* أي مشركين قال إبراهيم من هم قالوا قوم  
لوط قال إبراهيم أتهلكونهم وفيهم لوط فقالوا \* (إلا آل لوط) \* يعني ابنتيه زعورا وريثا  
ويقال امرأة له أخرى غير التي أهلكت \* (إنا لمنجوهم أجمعين) \* قرأ حمزة والكسائي  
\* (إنا لمنجوهم) \* بالتخفيف وقرأ الباقون بنصب النون وتشديد الجيم من أنجي ينجي  
ونجي ينجي بمعنى واحد \* (إلا امرأته قدرنا) \* عليها الهلاك \* (إنها لمن الغابرين) \*  
أي لمن المتخلفين للهلاك قرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (قدرنا) \* بالتخفيف وهو من  
القدر وقرأ الباقون بالتشديد وهو من التقدير  
قوله عز وجل \* (فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون) \* أي لما دخلوا  
عليه أنكرهم ولم يعرفهم \* (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) \* أي بما كانوا  
يشكون من نزول العذاب بهم \* (وأتينك بالحق) \* أي بالعذاب وهو العدل والصدق \*  
(وإنا لصادقون) \* بأن العذاب نازل بهم " فأسر بأهلك بقطع من الليل " أي في بعض  
الليل قرأ ابن كثير ونافع " فاسر " بجزم الألف والباقون بالنصب سرية وأسريت إذا  
سرت ليلاً \* (واتبع أدبارهم) \* يقول امش وراءهم " ولا يلتفت منكم أحد " لا يتخلف  
منكم أحد \* (وامضوا) \* أي انطلقوا \* (حيث تؤمرون) \* أي إلى المدينة وهي مدينة  
زغر

سورة الحجر ٦٦ - ٧١

قوله \* (وقضينا إليه ذلك الأمر) \* أي أمرناه بالخروج إلى الشام إلى مدينة زغر \* (أن  
دابره هؤلاء مقطوع مصبحين) \* أي إنهم مستأصلون عند الصباح  
ثم قال \* (وجاء أهل المدينة يستبشرون) \* بدخول الرجال منزل لوط " قال " لوط  
إن هؤلاء ضيافي " يقول أضيافي \* (فلا تفضحون) \* فيهم \* (واتقوا الله ولا تخزون) \*  
أي لا تذلوني في أضيافي \* (قالوا أو لم ننهك عن العالمين) \* أي ألم ننهك أن تضيف  
أحدًا من الغرباء \* (قال هؤلاء بناتي) \* أي بنات قومي أزوجكم بهن \* (إن كنتم  
فاعلين) \* أي فتزوجوا النساء فإن الله تعالى خلق النساء للرجال وأمر بتزويجهن

ثم قال \* (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) \* أي بحياتك يا محمد إنهم لفي جهالتهم وضاللتهم \* (يعمهون) \* أي يترددون ويتجبرون يعني إن أهل مكة يسمعون هذه العجائب ولا تنفعهم وهم على جهلهم مصرون قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا ابن معاذ قال حدثنا عبد العزيز بن أبان عن سعيد بن زيد عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قال ما خلق الله نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره فقال \* (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) \*

ثم رجع إلى قصة قوم لوط فقال تعالى \* (فأخذتهم الصيحة مشرقين) \* أي أخذتهم صيحة جبريل عند طلوع الشمس وذلك أن جبريل قلع الأرض وقت الصبح فرفعها مع الملائكة إلى قريب من السماء ثم قلبها وأهواها إلى الأرض وصاح بهم وقت طلوع الشمس فذلك قوله \* (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) \* وقد ذكرناها \* (إن في ذلك) \* أي في هلاك قوم لوط \* (آيات) \* أي علامات \* (للمتوسمين) \* يقول للمتفكرين وقال قتادة للمعتبرين وقال الضحاك للناظرين وقال مجاهد للمفتشرين قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا أبو يعقوب قال حدثنا عمار بن الربيع الباهلي عن أبي صالح بن محمد بن محمد عن مروان بن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فإسامة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ \* (إن في ذلك آيات للمتوسمين) \* وقال الزجاج حقيقته في اللغة النظر المثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا وكذا أي عرفت ذلك من هيئته

ثم قال \* (وإنها) \* أي قريات لوط \* (لبسبيل مقيم) \* أي بطريق واضح بين يرونها حين مروا بها \* (إن في ذلك) \* أي في هلاك قوم لوط \* (لآية) \* أي لعلامة وعبرة \* (للمؤمنين وإن كان) \* يقول وقد كان \* (أصحاب الأيكة) \* أي أصحاب الغيضة والغيضة والأيكة الشجرة وهم قوم شعيب قال قتادة ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة وقال بعضهم بعث شعيب إلى قومين أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة وقال بعضهم آل مدين والأيكة واحد لأن الأيكة كانت عند مدين وهذا أصح \* (لظالمين) \* أي لكافرين

قوله \* (فانتقمنا منهم) \* بالعذاب \* (وإنهما) \* أي قريات لوط وشعيب \* (لبإمام مبین) \* أي لطريق واضح وقال القتيبي أصل الإمام ما يؤتم به قال الله تعالى \* (إني جاعلك للناس إماما) \* أي يؤتم ويقتدى بك ثم تستعمل لمعاني منها يسمى الكتاب إماما لأنه يؤتم بما أحصاه الكتاب قال الله تعالى \* (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) \* [الإسراء: ٧١] أي بكتابهم وقال تعالى " وكل شيء أحصيناه في إمام مبین " [يس: ١٢] أي في اللوح المحفوظ وهو الكتاب ويسمى الطريق إماما لأن المسافر يأتيه به ويستدل به قال الله تعالى \* (وإنهما لبإمام مبین) \* أي بطريق واضح أي قرية شعيب وقريات قوم لوط عليهما السلام

سورة الحجر ٨٠ - ٨٤

قوله تعالى \* (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) \* وهم قوم صالح كذبوا صالحا والحجر أرض ثمود \* (وآتيناهم آياتنا) \* أي الناقة \* (فكانوا عنها معرضين) \* يقول مكذبين لها \* (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمينين) \* من أن تقع عليهم الجبال ويقال \* (أمينين) \* من نزول العذاب فلم يعرفوا نعمة الله تعالى فعفروا الناقة وقسموا لحمها فأهلكهم الله تعالى بصيحة جبريل فذلك قوله \* (فأخذتهم الصيحة مصبحين) \* أي حين أصبحوا ويقال \* (أمينين) \* من العذاب بعقر الناقة \* (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) \* من الكفر والشرك

سورة الحجر ٨٥ - ٨٦

قوله عز وجل \* (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) \* أي للحق والباء توضع موضع اللام أي لينظر عبادي إليها فيعتبروا ويقال وما خلقناهما إلا عذرا وحجة على خلقي \* (وإن الساعة لآتية) \* أي لكائنة لا محالة \* (فاصفح الصفح الجميل) \* أي أعرض عنهم إعراضا جميلا بلا جزع منك \* (إن ربك هو الخلاق العليم) \* أي عليما بمن يؤمن وبمن لا يؤمن ويقال \* (العليم) \* متى تقوم الساعة

سورة الحجر ٨٧ - ٩١

قوله \* (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) \* أي فاتحة الكتاب \* (والقرآن العظيم) \* أي سائر القرآن وهذا قول ابن عباس وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وروى مجاهد عن ابن عباس

أنه قال السبع المثاني السبع الطوال وعن سعيد بن جبير قال البقرة آل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس قال لأنه يثنى فيها حدود الفرائض والقرآن ويقال السبع المثاني والقرآن كله وهو سبعة أسباع سمي مثاني لأن ذكر الأقسام فيه مثني كقوله \* (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني) \* [الزمر: ٢٣] وقال طاوس القرآن كله مثاني وقال أبو العالية المثاني فاتحة الكتاب سبع آيات وإنما سمي مثاني لأنه يثنى مع القرآن كلما قرئ القرآن قيل إنهم يزعمون أنها السبع الطوال قال لقد أنزلت هذه الآية وما أنزل شيء من الطوال وسئل الحسن عن قوله \* (سبع من المثاني) \* قال \* (الحمد لله رب العالمين) \* حتى أتى على آخرها وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الحمد لله رب العالمين أم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني وقال قتادة السبع المثاني هي فاتحة الكتاب تثنى في كل ركعة مكتوبة أو تطوع يعني في كل صلاة ويقال \* (من المثاني) \* أي مما أثنى به على الله تعالى لأن فيها حمد الله تعالى وتوحيده و " من " ها هنا على ضربين يكون للتبويض من القرآن أي أعطيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يثنى بها على الله تعالى وآتيناك القرآن العظيم ويجوز أن يكون السبع هي المثاني كقوله \* (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) \* [الحج: ٣٠] أي اجتنبوا الأوثان

قوله \* (لا تمدن عينيك) \* أي لا تنظرن بعين الرغبة \* (إلى ما متعنا به) \* أي إلى ما أعطيناك في الدنيا من القرآن خير وأفضل مما أعطيناكم من الأموال فاستغن بما أعطيناك من القرآن والدين والعلم ولا تنظر إلى أموالهم \* (أزواجا منهم) \* أي أصنافا منهم وألوانا من الأموال وقوله \* (منهم) \* أي أعطينا رجلا من المشركين منهم \* (ولا تحزن عليهم) \* أي على كفار مكة إن لم يؤمنوا لأن مقدوري عليهم الكفر ويقال \* (ولا تحزن عليهم) \* إن نزل بهم العذاب \* (واخفض جناحك للمؤمنين) \* يقول لين جناحك عليهم أي تواضع للمؤمنين \* (وقل إني أنا النذير المبين) \* أخوفكم بعذاب مبين بلغة تعرفونها

قال عز وجل \* (كما أنزلنا على المقتسمين) \* أي كما أنزلنا العذاب \* (على المقتسمين) \* وهم الذين إقتسموا على عقاب مكة ليردوا الناس عن دين الإسلام وعن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال \* (إني أنا النذير المبين) \* بالقرآن كما أنزلنا التوراة والإنجيل على المقتسمين وهم اليهود والنصارى إقتسموا فأمنوا ببعض وكفروا ببعض وقال مجاهد هم اليهود والنصارى فرقوا القرآن آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ويقال إن أهل مكة قالوا أقاويل مختلفة " الذين جعلوا القرآن غصين " أي فرقوا القول فيه قال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وهذا قول قتادة ويقال أصله في اللغة الفرقة يقال فرقوه أي عضوه أعضاء يقال ليس دين الله بالتعضية أي بالتفريق وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال جزؤوه وجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور



سورة الحجر ٩٢ - ٩٦

ثم قال \* (فوربك لنسألنهم أجمعين) \* أقسم بنفسه ليسألنهم يوم القيامة \* (عما كانوا يعملون) \* من الشرك وعن ترك قول لا إله إلا الله وعن الإيمان بالله والرسول \* (فاصدع بما تؤمر) \* أي أظهر أمرك وامض لما أمرتك \* (وأعرض عن المشركين) \* أي اتركهم حتى يجيء أمر الله تعالى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية مستخفيا لا يظهر شيئا مما أنزل الله عليه حتى نزلت هذه الآية فأعرض عن المشركين

قوله عز وجل \* (إنا كفيناك المستهزئين) \* أي أظهر أمرك فقد أهلك الله المستهزئين وهم خمسة رهط فأهلكوا كلهم في يوم وليلة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد الخروج إلى الموسم أيام الحج ليدعو الناس فمنعه المستهزئون وبعثوا على كل طريق رجلا فإذا سألهم أحد من الغرباء عن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا هو ساحر كاهن ثم قالوا هذا دأبنا كل سنة فشق على النبي صلى الله عليه وسلم فأهلكهم الله تعالى منهم الوليد بن المغيرة فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف تجد هذا فقال بئس الرجل فقال كفيناكه فمضى وهو يتبختر في ردائه ويقال ببردته فمر رجل يصنع السهام فتعلق سهم بردائه وأخذ طرف ردائه ليحمله على كتفه فأصاب السهم أكحله فنزف فمات

ومنهم العاص بن وائل السهمي مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال بئس الرجل هو فقال كفيناكه فوطيء على شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك ومنهم الحارث بن حنظلة أصاب ساقه شيء فانتفخ فمات ومنهم أسود بن عبد يغوث أصابه العطش فجعل يشرب الماء حتى انتفخ بطنه فمات ومنهم أسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى ضربه جبريل بجناحه فمات ويقال خرج مع غلام له فأتاه جبريل عليه السلام وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال غلامه لا أرى أحدا يصنع بك شيئا غير نفسك حتى مات وهو يقول قتلني رب محمد وفي رواية الكلبي أن أسود بن عبد يغوث خرج من أهله فأصابه السواد حتى عاد حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب حتى مات وروي في خبر آخر أن العاص بن وائل السهمي خرج في يوم مطير على راحلته مع ابنين له فنزل شعبا من الشعاب فلما وضع قدمه على الأرض لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا فانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه وعن أبي بكر الهذلي أنه قال قلت

للزهري إن سعيد بن جبير وعكرمة قد اختلفا في رجل من المستهزئين فقال سعيد هو الحارث بن عيطلة وقال عكرمة هو الحارث بن قيس فقال صدقا كانت أمه اسمها عيطلة وأبوه قيس ويقال إنه أكل حوتا مالحا فأصابه عطش فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقذ فمات وهو يقول قتلني رب محمد فنزل \* (إنا كفيناك المستهزئين) \* \* (الذين يجعلون) \* أي يقولون \* (مع الله إلها آخر فسوف يعلمون) \* ماذا يفعل بهم هذا وعيد لسائر الكفار

سورة الحجر ٩٧ - ٩٩

قوله عز وجل \* (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) \* من تكذيبهم إياك \* (فسبح بحمد ربك) \* يقول صل بأمر ربك ويقال إستعن بعبادة ربك ولا تشغل قلبك بهم \* (وكن من الساجدين) \* من المصلين \* (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) \* أي واستقم على التوحيد \* (حتى يأتيك اليقين) \* أي الموت  
قال الفقيه حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا المحاربي عن إسماعيل بن عياش عن شرحبيل عن مسلم عن جبير بن نفيير عن أبي مسلم الخولاني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أوحى الله تعالى إلي أن أجمع المال وأكون من التجار ولكن أوحى إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين والله أعلم



سورة النحل مكية وهي مائة وعشرون وثمان آيات  
قال الفقيه أبو الليث رحمه الله أخبرنا الثقة بإسناده عن الشعبي قال نزلت سورة النحل  
كلها بمكة إلا هذه الآية \* (وإن عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) \* الآية وقال ابن  
عباس سورة النحل كلها مكية إلا أربع آيات نزلت بالمدينة قوله \* (والذين هاجروا في  
الله من بعد ما ظلموا) \* وقوله \* (إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) \* وقوله \*  
(وإن عاقبتكم فعاقبوا) \* وقوله \* (واصبر وما صبرك إلا بالله) \* إلى آخرها

سورة النحل ١ - ٣

قوله تعالى \* (أتى أمر الله) \* أي يوم القيامة ويقال يعني العذاب كقوله \* (حتى إذا جاء  
أمرنا وفار التنور) \* [هود: ٤٠] وقوله \* (أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً) \* [يونس: ٢٤] أي  
أتى أمر الله بمعنى يأتي أي هو قريب لأن ما هو آت آت وهذا وعيد لهم إنها كائنة  
وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية \* (اقرب للناس حسابهم) \* [الأنبياء: ١] ثم نزل  
بعدها \* (اقتربت الساعة) \* [القمر: ١] قالوا يا محمد تزعم أن الساعة قد اقتربت ولا  
نرى من ذلك شيئاً فنزل \* (أتى أمر الله) \* أي عذاب الله فوثب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قائماً لا يشك أن العذاب قد أتاهم فقال لهم جبريل \* (فلا تستعجلوه) \* قال  
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم بعد قيامه ثم قال \* (سبحانه) \* نزه نفسه عن الولد  
والشريك ويقال إرتفع وتعاضم عن صفة أهل الكفر فقال عز وجل \* (وتعالى عما  
يشركون) \* به من الأوثان قرأ حمزة والكسائي \* (تشركون) \* بالتاء على معنى  
المخاطبة وقرأ الباقون بالياء بلفظ المغايبة وكذلك ما بعده  
ثم قال \* (ينزل الملائكة) \* أي جبريل \* (بالروح) \* أي بالوحي وبالنبوة والقرآن \*  
(من أمره) \* أي بأمره قال القتيبي " من " توضع موضع الباء كقوله \* (يحفظونه من أمر  
الله) \* [الرعد: ١١] أي بأمر الله وقال ها هنا يلقي الروح \* (من أمره) \* أي بأمره \*  
(على من يشاء من عباده) \*

أي يختار للنبوّة والرّسالة وقال قتادة ينزل الملائكة بالرحمة والوحي \* (على من يشاء من عباده) \* من كان أهلاً لذلك قرأ ابن كثير وأبو عمرو \* (ينزل) \* بحزم النون من قولك أنزل ينزل وقرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (تنزل) \* بالتاء ونصب النون والزاي مع التشديد على معنى فعل ما لم يسم فاعله وقرأ الباقون \* (ينزل) \* بالياء وكسر الزاي مع التشديد من قولك ننزل

ثم قال تعالى \* (أن أنذروا أنه) \* أي خوفوا بالقرآن الكفار وأعلموهم أنه \* (لا إله إلا أنا فاتقون) \* يعني إن الله واحد لا شريك له فوحده وأطيعوه \* (خلق السماوات والأرض بالحق) \* أي للحق ويقال للزوال والفناء " تعالى " أي تبرأ \* (عما يشركون) \* به من الأوثان

#### سورة النحل ٤ - ٩

قوله عز وجل \* (خلق الإنسان من نطفة) \* يقول من ماء الرجل \* (فإذا هو خصيم مبين) \* يقول جدل باطل ظاهر الخصومة وهو أبي بن خلف حيث أخذ عظاماً باليا ففتته بيده وقال عجباً لمحمد يزعم أنه يعيدنا بعد ما كنا عظاماً ورفاتاً وإنا نعاد خلقاً جديداً فنزل " أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة " [يس: ٧٧] الآية  
ثم بين النعمة فقال تعالى \* (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع) \* أي ما يستدفاً به من الأكسية وغيرها والذي يتخذ منه البيوت من الشعر والوبر والصوف وأما المنافع فظهورها التي تحمل عليها وألبانها ويقال الدفء الصغار من الإبل وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال \* (لكم فيها دفء) \* أي في نسل كل دابة \* (ومنها تأكلون) \* أي من لحمها

قوله \* (ولكم فيها جمال) \* أي ولكم يا بني آدم في الأنعام \* (جمال) \* حسن المنظر \* (حين تريحون) \* أي حتى تروح الإبل راجعة إلى أهلها \* (وحين تسرحون) \* أي تسرح إلى الرعي أول النهار \* (وتحمل أثقالكم) \* أي أمتعتكم وزادكم \* (إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) \* قال هي مكة ويقال هذا الخطاب لأهل مكة كانوا يخرجون إلى الشام وإلى اليمن ويحملون أثقالهم على الإبل \* (إن ربكم لرؤوف رحيم) \* إذ لم يعجلكم بالعقوبة

ثم قال \* (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) \* أي خلقها لكم لتركبوها \* (وزينة) \* أي جمالاً ومنظراً حسناً وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن لحوم الخيل فكرها وتلا هذه الآية \* (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) \* يعني إنما خلق هذه

الأصناف الثلاثة للركوب والزينة لا للأكل وسائر الأنعام خلقت للركوب وللأكل كما قال \* (ومنها تأكلون) \* وبه كان يقول أبو حنيفة إن لحم الخيل مكروه \* (ويخلق ما لا تعلمون) \* أي خلق أشياء تعلمون وخلق أشياء مما لا تعلمون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله خلق أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثين مرة محشوة خلقاً من خلق الله تعالى لا يعلمون أن الله تعالى يعصى طرفة عين قالوا يا رسول الله أمن ولد آدم هم قال ما يعلمون أن الله خلق آدم قالوا فأين إبليس منهم قال ما يعلمون أن الله خلق إبليس ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم \* (ويخلق ما لا تعلمون) \* قوله عز وجل \* (وعلى الله قصد السبيل) \* أي بيان الهدى ويقال هداية الطريق \* (ومنها جائر) \* أي من الطرق ما هو مائل من طريق الهدى إلى طريق اليهودية والنصرانية وروى جوير عن الضحاك أنه قال \* (وعلى الله قصد السبيل) \* يعني بيان الهدى \* (ومنها جائر) \* أي سبيل الضلالة وقال قتادة في قراءة عبد الله بن مسعود \* (ومنها جائر) \* أي مائلاً عن طريق الهدى \* (ولو شاء لهداكم أجمعين) \* أي لو علم الله تعالى أن الخلق كلهم أهلاً للتوحيد لهداهم ويقال لو شاء الله لأنزل آية يضطر الخلق إلى الإيمان

سورة النحل ١٠ - ١٣

قال عز وجل " هو الذي أنزل من السماء ماء " أي المطر \* (لكم منه شراب) \* وهو ما يستقر في الأرض من الغدران وتشربون منه وتسقون أنعامكم \* (ومنه شجر) \* أي ومن الماء ما يتشرب في الأرض فينبت منه الشجر والنبات \* (فيه تسيمون) \* أي ترعون أنعامكم \* (ينبت لكم به الزرع) \* أي يخرج لكم بالمطر الزرع \* (والزيتون والنخيل والأعناب) \* أي الكروم \* (ومن كل الثمرات) \* أي من ألوان الثمرات قرأ عاصم في رواية أبي بكر " نبت لكم " بالنون وقرأ الباقون بالياء ومعناها واحد \* (إن في ذلك لآية) \* يعني فيما ذكر من نزول المطر وخروج النبات لعبرة \* (لقوم يتفكرون) \* في آياته

ثم قال عز وجل \* (وسخر لكم الليل والنهار) \* أي ذلل لكم الليل والنهار لمعايشكم

\* (والشمس والقمر) \* أي خلق الشمس والقمر \* (والنجوم مسخرات بأمره) \* أي  
مذلللات بإذنه \* (إن في ذلك لآيات) \* أي لعبرات \* (لقوم يعقلون) \* أي لمن له ذهن  
الإنسانية

ثم قال عز وجل \* (وما ذرأ لكم في الأرض) \* أي وما خلق لكم في الأرض من  
الدواب والأشجار والثمار \* (مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية) \* أي في اختلاف ألوانها  
لعبرة " لقوم يتذكرون " أي يتعظون قرأ ابن عامر \* (والشمس والقمر والنجوم) \* كلها  
بالرفع على معنى الابتداء وقرأ عاصم في رواية حفص \* (والشمس والقمر) \* بالنصب  
على معنى البناء أي سخر لكم الشمس والقمر ثم ابتداء فقال \* (والنجوم) \* بالضم على  
معنى الابتداء وقرأ الباقون الثلاثة كلها بالنصب ويكون بمعنى المفعول

سورة النحل ١٤ - ١٧

قوله عز وجل \* (وهو الذي سخر البحر) \* أي ذلل لكم البحر ويقال ذلل لكم ما في  
البحر \* (لتأكلوا منه) \* أي من البحر \* (لحما طريا) \* أي السمك الطري \*  
(وتستخرجوا منه) \* يعني من البحر \* (حلية تلبسونها) \* يعني لؤلؤا تتزينون بها يعني  
زينة للنساء \* (وترى الفلك مواخر فيه) \* أي مقبلة ومدبرة فيه ويقال تذهب وتجيء  
بريح واحدة وقال عكرمة يعني السفينة حين تشق الماء يقال منخرت السفينة إذا جرت  
لأنها إذا جرت تشق الماء \* (ولتبتغوا من فضله) \* أي لكي تطلبوا من رزقه حين  
تركبون السفينة للتجارة \* (ولعلكم تشكرون) \* أي لكي تشكروا الله فيما صنع لكم  
من النعم

قوله عز وجل \* (وألقي) \* أي وضع \* (في الأرض رواسي) \* يعني الجبال الثوابت \*  
(أن تميد بكم) \* يعني لكيلا تميد بكم وقد يحذف لا ويراد إثباته كما قال ها هنا \*  
(أن تميد بكم) \* أي لا تميد بأهلها وروى معمر عن قتادة أنه قال لما خلقت الأرض  
كادت تميد فقالت الملائكة ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصبحوا وقد خلقت  
الجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال وقال القتيبي الميّد الحركة والميل ويقال \*  
(أن تميد) \* أي كراهة أن تميد بكم \* (وأنهارا) \* أي وجعل لكم فيها أنهارا \*  
(وسبلا) \* أي طرقا \* (لعلكم تهتدون) \* أي تعرفون بها الطرق \* (وعلامات) \* أي  
جعل في الأرض علامات من الجبال وغيرها تهتدون به الطرق في حال السفر \*  
(وبالنجم هم يهتدون) \* أي بالجمدي والفرقدين تعرفون بها الطرق في البر والبحر  
وروى عبد الرزاق عن معمر في قوله \* (وعلامات) \* قال قال الكلبي الجبال وقال

قتادة النجوم وروى سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله \* (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) \* قال منها ما يكون علامة ومنها ما يهتدى به وقال عمر بن الخطاب تعلموا من النجوم ما تهتدون به في طرقكم وقبلتكم ثم كفوا وتعلموا من الأنساب ما تصلون به أرحامكم وقال السدي \* (وعلامات) \* أي الجبال بالنهار يهتدون بها الطرق والنجوم بالليل

ثم قال \* (أفمن يخلق) \* يعني \* (أفمن يخلق) \* هذه الأشياء التي وصفت لكم \* (كمن لا يخلق) \* أي لا يقدر أن يخلق شيئاً وهم الأصنام \* (أفلا تذكرون) \* أي أفلا تتعظون في صنعه وتوحيده وتعبده ولا تعبدوا غيره

سورة النحل ١٨ - ٢٣

ثم قال عز وجل \* (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) \* أي لا تطيقوا إحصاءها فكيف تقدرون على أداء شكرها \* (إن الله لغفور رحيم) \* لمن تاب ورجع \* (والله يعلم ما تسرون) \* في قلوبكم \* (وما تعلنون) \* بالقول ويقال ما تخفون من أعمالكم \* (وما تعلنون) \* أي تظهرون منها فالسر والعلانية عنده سواء  
ثم قال تعالى \* (والذين يدعون من دون الله) \* أي يعبدون من دون الله من الأوثان \* (لا يخلقون شيئاً) \* أي لا يقدر أن يخلقوا شيئاً \* (وهم يخلقون) \* أي ينحتون من الأحجار والخشب وغيره \* (أموات غير أحياء) \* قال الكلبي يعني أن الأصنام أموات ليس فيها روح \* (وما يشعرون) \* يعني الأصنام \* (أيان يبعثون) \* أي متى يحيون فيحاسبون ويقال \* (أموات) \* يعني أن الكفار غير أحياء يعني كأنهم أموات لا يعقلون شيئاً \* (وما يشعرون أيان يبعثون) \* يعني أن الكفار لا يعلمون متى يبعثون و \* (أيان) \* كلمة اختصار أصله أي أوان \* (فالذين لا يؤمنون بالآخرة) \* يعني الذين لا يصدقون بالبعث \* (قلوبهم منكورة) \* للتوحيد ويقال قلوبهم خبيثة لا تدخل المعرفة فيها \* (وهم مستكبرون) \* أي متعظمون عن الإيمان

ثم قال تعالى \* (لا جرم) \* أي حقا وذكر عن الفراء أنه قال \* (لا جرم) \* بمنزلة لا بد ولا محالة ثم كثرت في الكلام حتى صارت بمنزلة حقا \* (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) \* أي ما يكتُمون وما يظهرون من الكفر والمكر في أمر محمد صلى الله عليه وسلم \* (إنه لا يحب المستكبرين) \* أي المتعظمين عن الإيمان ويقال لا يحب المتكبرين الذين يتكبرون على الناس

قال الفقيه حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا الفضل بن دكين عن مسعر بن كدام عن أبي مصعب عن أبيه عن أبي كعب قال سيأتي المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر في صور الرجال يغشاهم أو يأتيهم الذل من كل مكان

سورة النحل ٢٤ - ٢٥

قوله عز وجل \* (وإذا قيل لهم) \* يعني الخراصين من أهل مكة وروى أسباط عن السدي قال اجتمعت قريش فقالوا إن محمدا رجل حلو اللسان إذ كلمه رجل ذهب بعقله فانظروا أناسا من أشرافكم فابعثوهم في كل طريق من طرق مكة على رأس ليلة أو ليلتين فمن جاء يريده ردوه عنه فخرج ناس منهم في كل طريق فكان إذا جاء رجل وافد قوم ينظر ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فنزل بهم فقالوا له أنا فلان بن فلان فيعرفه بنسبه ثم يقول أنا أخبرك عن محمد فلا تتبعه هو رجل كذاب لم يتبعه إلا السفهاء والعبيد ومن لاخير فيه أما أشياخ قومه وأخبارهم فهم مفارقوه فيرجعون أي الوافدون وإذا كان الوافد ممن عزم الله له على الرشد يقول بئس الوافد أنا لقومي إن كنت جئت حتى إذا بلغت مسيرة يوم رجعت قبل أن ألقى هذا الرجل وأنظر ماذا يقول فيدخل مكة فيلقى المؤمنين فيسألهم ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون \* (خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) \* [النحل: ٣٠] فذلك قوله \* (وإذا قيل لهم) \* أي للمقتسمين من أهل مكة \* (ماذا أنزل ربكم) \* على محمد صلى الله عليه وسلم \* (قالوا أساطير الأولين) \* يعني الذين يذكر أنه منزل هو كذب الأولين وأحاديثهم قال عز وجل \* (ليحملوا أوزارهم) \* أي آثامهم \* (كاملة) \* أي وافرة \* (يوم القيامة) \* أي لا يغفر لهم شيء وذنوب المؤمنين تكفر عنهم من الصلاة إلى الصلاة ومن رمضان إلى رمضان ومن الحج إلى الحج وتكفر بالشدائد والمصائب وذنوب الكفار لا تغفر لهم ويحملونها كاملة يوم القيامة أي وبال الذنوب التي عملوا بأنفسهم \* (ومن أوزار الذين يضلونهم) \* أي يصدونهم عن الإيمان \* (بغير علم) \* أي بغير عذر وحنة وبرهان ويقال \* (من أوزار الذين يضلونهم) \* أي أوزار إضلالهم وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة \* (ألا ساء ما يزررون) \* أي بئس ما يحملون من الذنوب ويقال بئس الزاد زادهم الذنوب

سورة النحل ٢٦ - ٢٧

ثم قال تعالى " قد مكر الذين من قبلهم " أي قد صنع الذين من قبلهم مثل المقتسمين فأبطل الله كيدهم \* (فأتى الله بنيانهم من القواعد) \* أي قلع بنيانهم من أساس البيت

)  
فخر عليهم السقف من فوقهم) \* أي سقف البيت قال الكلبي وهو نمرود بن كنعان بنى صرحا طوله في السماء خمسة آلاف ذراع وكان عرضه ثلاثة آلاف ذراع وخمسون ذراعا فهدم الله بنيانه وخر عليهم السقف من فوقهم فأهلكهم الله وقال القتيبي هذا مثل

أي أهلك من قبلهم من الكفار كما أهلك من هدم مسكنه من أسفله فخر عليه ويقال هدم بنيان مكرهم من الأصل فخر عليهم السقف أي رجع وبال مكرهم إليهم كقوله تعالى " ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله " [فاطر: ٤٣] \* (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) \* أي لا يعلمون

قوله عز وجل \* (ثم يوم القيامة يخزيهم) \* أي يعذبهم وما أصابهم في الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم \* (ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم) \* أي تعادوني وتخالفوني بسببهم وعبادتهم قرأ نافع \* (تشاقون) \* بكسر النون على معنى الإضافة والباقون بالنصب لأنها نون الجماعة

قوله \* (قال الذين أوتوا العلم) \* أي الملائكة ويقال المؤمنون \* (إن الخزي اليوم) \* أي العقاب \* (والسوء) \* أي الشدة من العذاب \* (على الكافرين) \*

سورة النحل ٢٨

قوله عز وجل \* (الذين تتوفاهم الملائكة) \* أي يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه \* (ظالمي أنفسهم) \* أي الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله تعالى \* (فألقوا السلم) \* أي إنقادوا واستسلموا حين رأوا العذاب قالوا \* (ما كنا نعمل من سوء) \* أي ما كنا نشرك وقال الكلبى هم قوم خرجوا مع المشركين يوم بدر وقد تكلموا بالإيمان فلما رأوا قلة المؤمنين رجعوا إلى الشرك فقتلوا ويقال جميع المشركين قال الله تعالى \* (بلى) \* أشركتم بالله \* (إن الله عليم بما كنتم تعملون) \* من الشرك

سورة النحل ٢٩ - ٣١

ثم قال تعالى " قد مكر الذين من قبلهم " أي قد صنع الذين من قبلهم مثل المقتسمين فأبطل الله كيدهم \* (فأتى الله بنيانهم من القواعد) \* أي قلع بنيانهم من أساس البيت \* (فخر عليهم السقف من فوقهم) \* أي سقف البيت قال الكلبي وهو نمرود بن كنعان بنى صرحا طوله في السماء خمسة آلاف ذراع وكان عرضه ثلاثة آلاف ذراع وخمسون ذراعا فهدم الله بنيانه وخر عليهم السقف من فوقهم فأهلكهم الله وقال القتيبي هذا مثل أي أهلك من قبلهم من الكفار كما أهلك من هدم مسكنه من أسفله فخر عليه ويقال هدم بنيان مكرهم من الأصل فخر عليهم السقف أي رجع وبال مكرهم إليهم كقوله تعالى " ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله " [فاطر: ٤٣] \* (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) \* أي لا يعلمون

قوله عز وجل \* (ثم يوم القيامة يخزيهم) \* أي يعذبهم وما أصابهم في الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم \* (ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم) \* أي تعادوني وتخالفوني بسببهم وعبادتهم قرأ نافع \* (تشاقون) \* بكسر النون على معنى الإضافة والباقون بالنصب لأنها نون الجماعة

قوله \* (قال الذين أوتوا العلم) \* أي الملائكة ويقال المؤمنون \* (إن الخزي اليوم) \* أي العقاب \* (والسوء) \* أي الشدة من العذاب \* (على الكافرين) \*

سورة النحل ٢٨

قوله عز وجل \* (الذين تتوفاهم الملائكة) \* أي يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه \* (ظالمي أنفسهم) \* أي الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله تعالى \* (فألقوا السلم) \* أي انقادوا واستسلموا حين رأوا العذاب قالوا \* (ما كنا نعمل من سوء) \* أي ما كنا نشرك وقال الكلبي هم قوم خرجوا مع المشركين يوم بدر وقد تكلموا بالإيمان فلما رأوا قلة المؤمنين رجعوا إلى الشرك فقتلوا ويقال جميع المشركين قال الله تعالى \* (بلي) \* أشركتم بالله \* (إن الله عليم بما كنتم تعملون) \* من الشرك

سورة النحل ٢٩ - ٣١



ثم قال \* (فأدخلوا أبواب جهنم) \* أي تقول لهم خزنة جهنم ادخلوا أبواب جهنم \* (خالدين فيها) \* أي مقيمين فيها أبدا \* (فلبئس مثوى المتكبرين) \* عن الإيمان ثم نزل في المؤمنين الذين يدعون الناس إلى الإيمان وذلك أن أهل مكة لما بعثوا إلى عقاب مكة رجالا ليصدوا الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا من أصحابه إلى عقاب مكة فكان الوافد إذا قدم قالوا له إن هؤلاء المشركين كذبوا بل محمد صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الحق ويأمر بصلة الرحم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الخير فذلك قوله تعالى \* (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) \* أي يدعو إلى الخير \* (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) \* أي للذين وحدوا الله في هذه الدنيا لهم الحسنة في الآخرة أي الجنة \* (ولدار الآخرة خير) \* أي أفضل من الدنيا \* (ولنعلم دار المتقين) \* يعني المطيعين قال مقاتل في قوله \* (قالوا خيرا) \* أي قالوا للوافد إنه يأمر بالخير وينهى عن الشر \* (قالوا خيرا) \* ثم قطع الكلام

يقول الله تعالى \* (للذين أحسنوا الحسنى) \* أي أحسنوا العمل في هذه الدنيا لهم حسنة في الآخرة أي في الجنة \* (ولدار الآخرة خير) \* يعني الجنة أفضل من ثواب المشركين الذين يحملون أوزارهم ويقال هذه كلها حكاية كلام المؤمنين إلى قوله \* (المتقين) \* قرأ عاصم في رواية أبي بكر " تسرون وتعلنون " بالتاء على معنى المخاطبة \* (ويدعون) \* بالياء على معنى المغايبية وروي عنه حفص الثالث كلها بالياء على معنى المغايبية وقرأ الباقون كلها بالتاء على معنى المخاطبة ثم وصف دار المتقين فقال \* (جنات عدن) \* يعني الدار التي هي للمتقين هي جنات عدن \* (يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون) \* أي يحبون \* (كذلك يجزي الله المتقين) \* أي هكذا يثيب الله المتقين الشرك

سورة النحل ٣٢ - ٣٣

قوله عز وجل \* (الذين تتوفاهم الملائكة) \* أي ملك الموت \* (طيبين) \* يقول زاكين طاهرين من الشرك والذنوب \* (يقولون) \* أي يقول لهم خزنة الجنة في الآخرة \* (سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) \* في الدنيا ويقال هذا مقدم ومؤخر أي جنات عدن يدخلونها

ثم قال \* (الذين تتوفاهم الملائكة) \* قرأ حمزة " الذين يتوفاهم " بالياء بلفظ التذكير والباقون بالتاء بلفظ التأنيث لأن الفعل إذا كان قبل الاسم جاز التذكير والتأنيث

قوله \* (هل ينظرون) \* يقول ما ينظرون وهم أهل مكة \* (إلا أن تأتيهم الملائكة) \* أي ملك الموت ليقبض أرواحهم \* (أو يأتي أمر ربك) \* أي عذاب ربك يوم بدر ويقال يوم القيامة \* (كذلك فعل) \* أي كذلك كذب \* (الذين من قبلهم) \* رسلهم كما كذبك قومك فأهلكهم الله تعالى \* (وما ظلمهم الله) \* يعني بإهلاكه إياهم \* (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) \* بتكذيبهم رسلهم قرأ حمزة والكسائي \* (إلا أن يأتيهم) \* بالياء بلفظ التذكير والباقون بلفظ التأنيث لأن الفعل مقدم

سورة النحل ٣٤ - ٣٧

ثم قال \* (فأصابهم سيئات ما عملوا) \* أي جزاء ما عملوا \* (وحاق بهم) \* أي نزل بهم " ما كانوا به يستهزئون " من العذاب أنه غير نازل بهم قوله \* (وقال الذين أشركوا) \* أي أهل مكة " لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء " قالوا ذلك على وجه الاستهزاء يعني إن الله قد شاء لنا ذلك الذي \* (نحن) \* فيه \* (ولا آباؤنا) \* ولكن شاء لنا وآباؤنا " ولا حرمننا من دونه من شيء " ولكن شاء لنا وآباؤنا من تحريم البحيرة والسائبة وأمرنا به ولو لم يشأ ما " حرمننا من دونه من شيء " قال الله تعالى \* (كذلك فعل الذين من قبلهم) \* يقول هكذا كذب الذين من قبلهم من الأمم \* (فهل على الرسل إلا البلاغ) \* أي تبليغ الرسالة \* (المبين) \* أي يبينوا لهم ما أمروا به

قوله \* (ولقد بعثنا في كل أمة) \* أي في كل جماعة \* (رسولا) \* كما بعثناك إلى أهل مكة \* (أن اعبدوا الله) \* أي وحدوا الله وأطيعوه \* (واجتنبوا الطاغوت) \* أي اتركوا عبادة الطاغوت وهو الشيطان والكاهن والصنم \* (فمنهم من هدى الله) \* لدينه وهم الذين أجابوا الرسل للإيمان \* (ومنهم من حقت عليه الضلالة) \* فلم يجب الرسل إلى الإيمان \* (فسيروا في الأرض) \* يقول سافروا في الأرض \* (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) \* يقول اعتبروا كيف كان آخر أمر المكذبين

فلما نزلت هذه الآية قرأها صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يؤمنوا فنزل \* (إن تحرص على هداهم) \* يعني على إيمانهم \* (فإن الله لا يهدي من يضل) \* يقول من يضل الله وعلم أنه أهل لذلك

وقدر عليه ذلك قال مقاتل فإن الله لا يهدي من يضل يقول \* (من يضل الله فلا هادي له) \* [الأعراف: ١٨٦] قرأ أهل الكوفة حمزة وعاصم والكسائي \* (لا يهدي) \* بنصب الياء وكسر الدال أي لا يهدي من يضلله الله وقرأ الباقون \* (لا يهدي) \* بضم الياء ونصب الدال على معنى فعل ما لم يسم فاعله وقال إبراهيم بن الحكم سألت أبي عن قوله تعالى \* (فإن الله لا يهدي من يضل) \* فقال قال عكرمة قال ابن عباس من يضلله الله لا يهدى \* (وما لهم من ناصرين) \* أي من مانعين من نزول العذاب

سورة النحل ٣٨ - ٣٩

قوله \* (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) \* وكل من حلف بالله فهو جهد اليمين وكانوا ينكرون البعث فحلفوا بالله حين قالوا \* (لا يبعث الله من يموت) \* فكذبهم الله عز وجل في مقاتلتهم فقال \* (بلى وعدا عليه حقا) \* أوجه على نفسه ليعتثهم بعد الموت \* (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) \* أي لا يصدقون بالبعث بعد الموت ثم قال \* (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) \* من الدين يوم القيامة يعني يبعثهم ليبين لهم أن ما وعدهم حق \* (وليعلم الذين كفروا) \* يعني ليستبين لهم عندما خرجوا من قبورهم \* (أنهم كانوا كاذبين) \* في الدنيا

سورة النحل ٤٠ - ٤٢

قوله عز وجل " إنما قولنا لشيء " يعني إن بعثهم على الله يسير \* (إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) \* قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة \* (فيكون) \* بضم النون وقرأ الباقون بالنصب

قوله \* (والذين هاجروا في الله) \* أي هاجروا من مكة إلى المدينة في طاعة الله \* (من بعد ما ظلموا) \* أي عذبوا \* (لنبؤئهم في الدنيا حسنة) \* أي لننزلهم بالمدينة ولنعطينهم الغنيمة فهذا الثواب في الدنيا \* (ولأجر الآخرة) \* أي الجنة \* (أكبر) \* أي أفضل \* (لو كانوا يعلمون) \* أي يصدقون بالثواب

ثم نعتهم فقال \* (الذين صبروا) \* على العذاب \* (وعلى ربهم يتوكلون) \* أي يثقون به ولا يثقون بغيره منهم بلال بن حمامة وعمار بن ياسر وصهيب بن سنان وخباب بن الأرت قال مقاتل نزلت الآية في هؤلاء الأربعة عذبوا على الإيمان بمكة وقال في رواية

الكلي نزلت في ستة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرهم أهل مكة وذكر هؤلاء الأربعة واثنين آخرين عابس وجبير مولى لقريش فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الإسلام فأما صهيب فابتاع نفسه بماله ورجع إلى المدينة وأما سائر أصحابه فقالوا بعض ما أرادوا ثم هاجروا إلى المدينة بعد ذلك

سورة النحل ٤٣ - ٤٧

ثم قال \* (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم) \* كما أوحى إليك وذلك أن مشركي قريش لما بلغهم النبي صلى الله عليه وسلم الرسالة ودعاهم إلى عبادة الله تعالى أنكروا ذلك وقالوا لن يبعث الله رجلا إلينا ولو أراد الله أن يبعث إلينا رسولا لبعث إلينا من الملائكة الذين عنده فنزل \* (وما أرسلنا من قبلك) \* إلى الأمم الماضية \* (إلا رجالا) \* مثلك \* (نوحى إليهم) \* كما نوحى إليك قرأ عاصم في رواية حفص \* (نوحى) \* بالنون وقرأ الباقون بالياء

قوله عز وجل \* (فاسألوا أهل الذكر) \* أي أهل التوراة والإنجيل \* (إن كنتم لا تعلمون) \* ذلك \* (بالبينات والزبر) \* وفي الآية تقديم وتأخير أي وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم بالبينات والزبر وروى أسباط عن السدي قال \* (البينات) \* الحلال والحرام \* (والزبر) \* كتب الأنبياء وقال الكلبي \* (البينات) \* أي بالآيات الحلال والحرام والأمر والنهي ما كانوا يأتون به قومهم منها وهو كتاب النبوة ويقال \* (البينات) \* التي كانت تأتي بها الأنبياء مثل عصا موسى وناقاة صالح وقال مقاتل \* (والزبر) \* يعني حديث الكتب

ثم قال \* (وأنزلنا إليك الذكر) \* يعني القرآن \* (لتبين للناس) \* لتقرأ للناس \* (ما نزل إليهم) \* أي ما أمروا به في الكتاب \* (ولعلمهم يتفكرون) \* يتفكروا فيه ليؤمنوا به ثم خوفهم فقال \* (أفأمن الذين مكروا السيئات) \* أي أشركوا بالله \* (أن يخسف الله بهم الأرض) \* يعني أن تغور الأرض بهم حتى يدخلوا فيها إلى الأرض السفلى \* (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) \* أي من حيث لا يعلمون بهلاكهم \* (أو يأخذهم في تقلبهم) \* أي في سفرهم في ذهابهم ومجيئهم في تجارتهم \* (فما هم بمعجزين) \* أي بفائتين \* (أو يأخذهم على تخوف) \* أي على تنقص ويقال يأخذ قرية بالعذاب ويترك أخرى قريبة منها فيخوفها بمثل ذلك وهذا قول مقاتل وروى عن بعض التابعين أن عمر سأل جلساءه عن قوله \* (أو يأخذهم على تخوف) \* فقالوا ما نرى إلا عند بعض ما يرون من الآيات يخوفهم فقال عمر

ما أراه إلا عند بعض ما يتنقصون من معاصي الله فخرج رجل فلقي أعرابيا فقال يا فلان ما فعل دينك تخوفته أي تنقصته فرجع إلى عمر فأخبره بذلك ثم قال تعالى " فإن ربكم لرءوف رحيم " أي لا يعجل عليهم بالعقوبة

سورة النحل ٤٨ - ٥٠

قوله \* (أولم يروا) \* قرأ حمزة والكسائي \* (تروا) \* بالتاء على معنى المخاطبة وقرأ الباقون بالياء على معنى المغايبة يعني أولم يعتبروا " إلى ما خلق الله من شيء " عند طلوع الشمس وعند غروبها " يتفيؤا ظلاله " يعني يدور ظلاله \* (عن اليمين والشمال) \* قال القتيبي أصل الفيء الرجوع وتفيؤ الظلال رجوعها من جانب إلى جانب \* (سجدا لله وهم داخرون) \* أي صاغرون ويقال وهم مطيعون وأصل السجود التطأطؤ والميل يقال سجد البعير إذا تطأطأ وسجدت النخلة إذا مالت ثم قد يستعار السجود ويوضع موضع الاستسلام والطاعة ودوران الظل من جانب إلى جانب هو سجوده لأنه مستسلم منقاد مطيع فذلك قوله \* (سجدا لله وهم داخرون) \*

ثم قال تعالى " ولله يسجد " أي يستسلم \* (ما في السماوات) \* من الملائكة والشمس والقمر والنجوم \* (وما في الأرض من دابة) \* أي يسجد لله جميع ما في الأرض من دابة \* (والملائكة) \* يعني وما على الأرض من الملائكة ويقال فيه تقديم وتأخير ومعناه ما في السماوات من الملائكة وما في الأرض من دابة ويقال معناه يسجد له جميع ما في السماوات وما في الأرض يعني الدواب والملائكة يعني الذين هم في السماوات والأرض \* (وهم لا يستكبرون) \* أي لا يتعظمون عن السجود لله تعالى \* (يخافون ربهم من فوقهم) \* أي يخافون الله تعالى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله تعالى ملائكة في السماء السابعة سجودا مذ خلقهم الله تعالى إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافة الله تعالى فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم فقالوا ما عبدناك حق عبادتك فذلك قوله \* (يخافون ربهم من فوقهم) \* أي يخافون خوفا معظمين مجلين ويقال خوفهم بالقهر والغلبة والسلطان ويقال معناه يخافون ربهم الذي على العرش كما وصف نفسه والطريق الأول أصح كقوله \* (يد الله فوق أيديهم) \* [الفتح: ١٠] أي بالقهر والغلبة والسلطان \* (ويفعلون ما يؤمرون) \* أي لا يعصون الله تعالى طرفة عين قرأ أبو عمرو " يتفيؤا " بالتاء بلفظ التأنيث وقرأ الباقون بالياء لأن تأنيثه ليس بحقيقي ولأن الفعل مقدم فيجوز أن يذكر ويؤنث

سورة النحل ٥١ - ٥٦

قوله عز وجل \* (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين) \* أي لا تقولوا ولا تصفوا إلهين اثنين أي نفسه والأصنام ويقال نزلت الآية في صنّف من المجوس وصفوا إلهين اثنين قال الله تعالى \* (إنما هو إله واحد فيأي فارهبون) \* أي فاخشوني ووحّدوني وأطيعوني ولا تعبدوا غيري \* (وله ما في السماوات) \* من الملائكة \* (والأرض) \* من الخلق الجن والإنس كلهم عبّده وإماؤه \* (وله الدين واصبا) \* أي دائما خالصا ويقال الألوهية والربوبية له خالصا ويقال دينه واجبا أبدا لا يجوز لأحد أن يميل عنه ويقال معناه وله الدين والطاعة رضي العبد بما يؤمر به أو لم يرض والوصب في اللغة الشدة والتعب \* (أفغير الله تتقون) \* أي تعبدون غيره قوله عز وجل \* (وما بكم من نعمة فمن الله) \* يعني إن الذي بكم من الغنى وصحة الجسم من قبل الله تعالى \* (ثم إذا مسكم الضر) \* أي الفقر والبلاء في جسدكم \* (فإليه تجأرون) \* يعني إليه تتضرعون ليكشف الضر عنكم كما قال في سورة الدخان \* (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) \* [الدخان: ١٢] \* (ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم) \* أي الكفار \* (بربهم يشركون) \* أي الكفار يعبدون غيره \* (ليكفروا بما آتيناهم) \* أي يجحدوا بما أعطيناهم من النعمة \* (فتمتعوا) \* بقية آجالكم \* (فسوف تعلمون) \* أي تعرفون في الآخرة ماذا نفعل بكم ثم قال \* (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا) \* أي يجعلون لآلهتهم نصيبا من الحرث والأنعام كقوله \* (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) \* [الأنعام: ١٣٦] وقوله \* (لما لا يعلمون نصيبا) \* [النحل: ٥٦] قال بعضهم يعني الكفار جعلوا لأصنامهم نصيبا ولا يعلمون منهم ضرا ولا نفعا وبعضهم قالوا معناه يجعلون للأصنام الذين لا يعلمون شيئا نصيبا أي حظا \* (مما رزقناهم) \* من الحرث والأنعام قال تعالى " تالله أي والله لتسألن عما كنتم تفترون " أي تكذبون على الله لأنهم كانوا يقولون إن الله أمرنا بهذا سورة النحل ٥٧ - ٥٩

قوله \* (ويجعلون لله البنات) \* يعني يصفون لله ويقولون الملائكة بنات الله فقال \* (سبحانه) \* أي تنزيها له عن الولد \* (ولهم ما يشتهون) \* يعني الأولاد الذكور أي يصفون لغيرهم البنات ولأنفسهم الذكور ثم وصف كراحتهم البنات لأنفسهم فقال \* (وإذا بشر أحدهم بالأنثى) \* يقول إذا بشر أحد الكفار بالأنثى \* (ظل وجهه مسودا) \* أي صار وجهه متغيرا من الحزن والخجل \* (وهو كظيم) \* أي مكروبا مغموما من الحزن يتردد حزنه في جوفه ثم قال \* (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) \* يعني يكتم ما به من القوم ويستتر ويختفي من سوء ما بشر به أي ما ظهر على وجهه من الكراهية ويدبر في نفسه كيف أصنع بها \* (أيمسكه على هون) \* أي الأنتى التي ولدت له على هوان يعني أيحفظه على هوان \* (أم يدسه) \* أي يدفنه \* (في التراب ألا ساء ما يحكمون) \* أي بئسما يقضون به لأنفسهم الذكور وله الإناث

سورة النحل ٦٠ - ٦٢

ثم قال عز وجل \* (للذين لا يؤمنون بالآخرة) \* أي المشركين \* (مثل السوء) \* أي جزاء السوء النار في الآخرة ويقال عاقبة السوء ويقال لألتهم صفة السوء صم بكم عمي ويقال للكفار هم صم بكم عمي \* (ولله المثل الأعلى) \* أي الصفة العليا وهي شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له " ليس كمثل شيء وهو السميع البصير" [الشورى: ١١] \* (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) \* [الإخلاص: ٣ - ٤] فهذا وصفه الأعلى \* (وهو العزيز) \* في ملكه \* (الحكيم) \* في أمره أمر الخلق أن لا يعبدوا غيره

قوله \* (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) \* أي بشركهم ومعصيتهم \* (ما ترك عليها من دابة) \* أي لم يترك على ظهر الأرض من دابة ودل الإضمار على الأرض لأن الدواب إنما هي على الأرض يقول أنا قادر على ذلك \* (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) \* أي إلى وقت معلوم ويقال \* (ما ترك عليها من دابة) \* لأنه لو أخذهم بذنوبهم لمنع المطر وإذا منع المطر لم يبق في الأرض دابة إلا أهلكت ولكن يؤخر العذاب إلى أجل مسمى وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال لو عذب الله الخلائق بذنوب بني آدم لأصاب العذاب جميع الخلائق حتى الجعلان في جحرها ولأمسكت السماء عن الأمطار ولكن يؤخرهم بالفضل والعفو

ثم قال \* (فإذا جاء أجلهم) \* أي أجل العذاب \* (لا يستأخرون) \* أي لا يتأخرون عن الوقت \* (ساعة ولا يستقدمون) \* أي لا يتقدمون قبل الوقت قوله \* (ويجعلون) \* أي يقولون ويصفون لله ما يكرهونه لأنفسهم من البنات \* (وتصف ألسنتهم الكذب) \* أي يقولون الكذب \* (أن لهم الحسنى) \* أي الذكور من الولد ويقال الجنة أي يصفون لأنفسهم مع أعمالهم القبيحة أن لهم في الآخرة الجنة ثم قال عز وجل \* (لا جرم) \* أي حقا ويقال لا بد ولا محالة \* (أن لهم النار) \* وهو كقوله \* (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) \* [الجاثية: ٢١] إلى قوله \* (ساء ما يحكمون) \* [الجاثية: ٢١] \* (وأنهم مفرطون) \* قرأ نافع بكسر الراء يعني أفرطوا في القول وأفرطوا في المعصية وقرأ الباقون \* (مفرطون) \* بفتح الراء أي متروكون في النار ويقال منسيون في النار وهو قول سعيد بن جبير وقال قتادة أي معلقون في النار ويقال الفارط في اللغة الذي يتقدم إلى الماء وهذا قول يوافق قول قتادة

سورة النحل ٦٣ - ٦٤

قوله تعالى \* (تالله) \* يقول والله \* (لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) \* أي بعثنا إلى أمم من قبلك الرسل كما أرسلناك إلى قومك \* (فزين لهم الشيطان أعمالهم) \* أي ضلالهم حتى أطاعوا الشيطان وكذبوا الرسل \* (فهو وليهم اليوم) \* أي قرينهم في النار \* (ولهم عذاب أليم) \* فهذا تهديد لكفار مكة أنه يصيبهم مثل ما أصابهم وهو تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذاهم

ثم قال \* (وما أنزلنا عليك الكتاب) \* أي القرآن \* (إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) \* من الدين لأنهم كانوا في طرق مختلفة اليهودية والنصرانية والمجوسية وغير ذلك فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يبين لهم طريق الهدى \* (وهدى ورحمة) \* أي أنزلنا القرآن بيانا من الضلالة ونعمة من العذاب لمن آمن به \* (لقوم يؤمنون) \* بالقرآن

سورة النحل ٦٥ - ٦٧

قوله عز وجل \* (والله أنزل من السماء ماء) \* أي المطر \* (فأحيا به الأرض بعد موتها) \* أي بعد يبسها \* (إن في ذلك لآية) \* أي علامة لوحدايته وعلموا أن معبودهم لا يستطيع شيئا \* (لقوم يسمعون) \* أي يطيعون ويصدقون ويعتبرون ويصبرون



قوله عز وجل \* (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه) \* قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر \* (نسقيكم) \* بنصب النون وقرأ الباقون بضم النون ومعناها واحد يقال سقيته وأسقيته بمعنى واحد \* (مما في بطونه) \* ولم يقل مما في بطونها والأنعام جماعة مؤنثة وفي هذا قولان إن شئت رددت إلى واحد من الأنعام وواحدنا نعم والنعم تذكر وتؤنث كقوله \* (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) \* [البقرة: ٧٤] أي من الحجر وإن شئت قلت على تأويل آخر \* (نسقيكم مما في بطونه) \* أي بطون ما ذكرنا وهذا مثل قوله \* (جنات معروشات وغير معروشات) \* إلى آخره [الأنعام: ١٤١] وقال \* (إنما الخمر والميسر) \* إلى آخره [المائدة: ٩٠] ولم يقل فاجتنبوها أي فاجتنبوا ما ذكرنا

ثم قال تعالى \* (من بين فرث ودم) \* يعني يخرج اللبن من بين الفرث والدم قال ابن عباس في رواية أبي صالح إن الدابة تأكل العلف فإذا استقر في كرشها طحنه الكبد فكان أسفل فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلط على هذه الأصناف الثلاثة فيقسم الدم فيجري في العروق ويجري اللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو في الكرش

وقال بعضهم إذا استقر العلف في الكرش صار دما بحرارة الكبد ثم ينصرف الدم في العروق فمقدار ما ينتهي إلى الضرع صار لبنا لبرودة الضرع بدليل أن الضرع إذا كانت فيه آفة يخرج منه الدم مكان اللبن \* (لبنا خالصا) \* صار اللبن نصبا على معنى التفسير \* (سائغا للشاربين) \* أي سهلا في الشرب لا يغص به شاربه ويقال ليشتهي شاربه ثم قال تعالى \* (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا) \* أي من الثمرات سكرا ويقال \* (منه) \* كناية عن الأول وهو قوله \* (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون) \* من ذلك \* (سكرا) \* والسكر هو نقيع التمر إذا غلى واشتد قبل أن يطبخ ويقال يعني خمرا قال ابن عباس نزلت هذه الآية وهي يومئذ لهم حلال وهكذا قال الحسن والقتيبي إن هذه الآية نزلت في الخمر \* (ورزقا حسنا) \* يعني الخل والزبيب والرب وروي عن ابن عباس أنه قال \* (تتخذون منه سكرا) \* يعني ما حرم منه \* (ورزقا حسنا) \* ما أحل منه وقال الشعبي السكر هو النبيذ والخل والرزق الحسن التمر والزبيب وقال الضحاك السكر الحرام والرزق الحسن الحلال وهؤلاء كلهم قالوا كان هذا قبل تحريم الخمر وقال الأخفش \* (سكرا) \* طعاما يقال هذا سكر لك أي طعام لك وقال القتيبي لست أدري هذا

ثم قال \* (إن في ذلك لآية) \* أي لعبرة \* (لقوم يعقلون) \* توحيد الله تعالى

سورة النحل ٦٨ - ٦٩

قوله عز وجل \* (وأوحى ربك إلى النحل) \* أي ألهمها إلهاما مثل قوله \* (بأن ربك أوحى لها) \* [الزلزلة: ٥] \* (أن اتخذي من الجبال بيوتا) \* أي مسكنا \* (ومن الشجر) \* يعني أن اتخذي من الجبال ومن الشجر مسكنا \* (ومما يعرشون) \* قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر \* (يعرشون) \* بضم الراء والباقون بالكسر ومعناها واحد أي ومما يبنون من سقوف البيت مسكنا \* (ثم كلي من كل الثمرات) \* أي من ألوان الثمرات أي ألهمها بأكل الثمرات \* (فاسلكي سبل ربك ذللا) \* أي ادخلي الطريق الذي يسهل عليك ويقال خذي طرق ربك مذللا أي مسخرا لك وقال مقاتل \* (فاسلكي سبل ربك) \* يعني ادخلي طرق ربك في الجبال وفي خلال الشجر \* (ذللا) \* لأن الله تعالى ذلل لها طرقها حيثما توجهت \* (يخرج من بطونها) \* أي من بطون النحل من قبل أفواها مثل اللعاب \* (شراب) \* أي العسل \* (مختلف ألوانه) \* أي العسل أبيض وأصفر وأحمر ويقال يخرج من أفواه الشبان من النحل الأبيض ومن الكهول الأصفر ومن الشيوخ الأحمر \* (فيه) \* أي في العسل \* (شفاء للناس) \* روى أبو المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي استطلق بطنه فقال له اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال سقيته فلم يزد إلا استطلاقا فقال له إسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال سقيته فلم يزد إلا استطلاقا فقال له اسقه عسلا صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرئ

قال الفقيه أبو الليث إنما يكون العسل شفاء إذا عرف الإنسان مقداره ويعرف لأي داء هو فإذا لم يعرف مقداره ولم يعرف موضعه فربما يكون فيه ضرر كما أن الله تعالى جعل الماء حياة كل شيء وربما يكون الماء سببا للهلاك وقال السدي العسل شفاء الأوجاع التي يكون شفاؤها فيه وقال مجاهد \* (فيه شفاء للناس) \* أي في القرآن بيان للناس من الضلالة وروى أبو الأحوص عن عبد الله بن مسعود أنه قال العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور وروى الأسود عن ابن مسعود أنه قال عليكم بالشفاءين القرآن والعسل \* (إن في ذلك لآية) \* أي فيما ذكر من أمر النحل لعلامة لوحدايتي \* (لقوم يتفكرون) \* يعني أن معبودهم لم يغنهم من شيء

سورة النحل ٧٠ - ٧١

ثم قال عز وجل \* (والله خلقكم ثم يتوفاكم) \* أي يقبض أرواحكم \* (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) \* أي إلى أسفل العمر وهو الهرم \* (لكي لا يعلم بعد علم شيئا) \* أي صار بحال لا يعلم ما علم من قبل ويقال لكيلا يعقل من بعد عقله الأول شيئا ويقال إن الهرم أسوأ

العمر وشره وقوله \* (لكي لا يعلم) \* أي حتى لا يعلم بعد علمه بالأمر شيئاً لشدة هرمه بعد ما كان يعلم الأمور قبل الهرم \* (إن الله عليكم) \* بكم \* (قدير) \* على تحويلكم ويقال معناه \* (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) \* يعني أنه يحولكم من حال إلى حال تكرهونه ولا يقدر معبودكم أن يمنعني من تغيير ذلك والله عليكم قدير على ذلك

قوله عز وجل \* (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) \* أي فضل الموالي على العبيد في المال \* (فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيماهم) \* أي الموالي لا يرضون بدفع المال إلى المماليك \* (فهم فيه سواء) \* أي لا ترضون أن يكون عبيدكم معكم شركاء في أموالكم فكيف ترضون لله تعالى أن تصفوا له شريكاً في ملكه وصفاته وتصفوا له ولداً من عباده وقال قتادة هو الذي فضل في المال والولد لا يشرك عبيده في ماله فقد رضيتم بذلك لله تعالى ولم ترضوا به لأنفسكم وقال مجاهد ضرب الله مثلاً للآلهة الباطلة مع الله تعالى ويقال نزلت الآية في وفد نجران حين قالوا في عيسى ما قالوا

ثم قال تعالى \* (أفبئعنا الله يجهلون) \* يقول بوحداية الله تعالى تكفرون وترضون له ما لا ترضون لأنفسكم  
سورة النحل ٧٢ - ٧٤

قوله عز وجل \* (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً) \* أي خلق لكم من جنسكم إناثاً \* (وجعل لكم من أزواجكم بنين) \* أي خلق لكم من نسائكم بنين \* (وحفدة) \* أي ولد الولد ويقال هم الأعوان والخدم والأصهار وروي عن زر بن حبیش عن ابن مسعود أنه قال الحفدة الأختان وقال مجاهد الخدم وأنصاره وأعوانه وعن ابن مسعود أنه قال هم أصهاره وقال الربيع بن أنس البنون ابن الرجل من امرأته والحفدة ابن المرأة من غيره وقال زر بن حبیش الحفدة حشم الرجل وروي عكرمة عن ابن عباس أنه قال الولد الصالح وقال أهل اللغة أصله في اللغة السرعة في المشي ويقال في دعاء التوترو ونحفد أي ونجتهد في الخدمة والطاعة

قوله تعالى \* (ورزقكم من الطيبات) \* قال الكلبي يعني الحلال إن أخذتم به وقال مقاتل \* (الطيبات) \* الخبز والعسل وغيرهما من الأشياء الطيبة بخلاف رزق البهائم والطيور

ثم قال \* (أفبالباطل يؤمنون) \* قال الكلبي يعني الآلهة وقال مقاتل \* (أفبالباطل) \* يقول بالشیطان يصدقون بأن مع الله إلهاً آخر ويقال \* (أفبالباطل يؤمنون) \* يعني أفيعبدون الأصنام التي لا تقدر على قوتهم ولا على منفعتهم \* (وبنعمة الله هم يكفرون) \* أي يجحدون

(۲۸۲)

بوحداية الله تعالى ويقال \* (وبنعمة الله هم يكفرون) \* فلا يؤمنون برب هذه النعمة قوله \* (ويعبدون من دون الله) \* أي الأصنام \* (ما لا يملك لهم) \* أي لا يقدر لهم \* (رزقا من السماوات) \* أي من إنزال المطر \* (والأرض) \* والنبات \* (شيئا) \* يعني لا يملكون شيئا من ذلك وقال القنبي إنما نصب \* (شيئا) \* بإيقاع الرزق عليه ومعناه يعبدون ما لا يملك أن يرزقهم شيئا كما تقول ويخدم من لا يستطيع إعطائه درهما \* (ولا يستطيعون) \* ذلك \* (فلا تضربوا لله الأمثال) \* أي لا تصفوا لله شريكا فإنه لا إله إلا غيره \* (أن الله يعلم) \* أنه لا شريك له ويقال إن الله يعلم ضرب الأمثال \* (وأنتم لا تعلمون) \* ضرب الأمثال

سورة النحل ٧٥ - ٧٦

ثم قال عز وجل \* (ضرب الله مثلا) \* أي وصف الله شبيها \* (عبدا مملوكا) \* وهو الكافر " لا يقدر على شيء " يقول لا يقدر على مال ينفقه في طاعة الله \* (ومن رزقناه منا رزقا حسنا) \* أي مالا حلالا \* (فهو ينفق منه) \* أي يتصدق منه \* (سرا وجهرا) \* يقول يتصدق خفية وعلانية وهو المؤمن \* (هل يستوون) \* في الطاعة مثلا \* (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) \* ضرب المثل وروي عن ابن عباس أنه قال نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان والآخر أبو العيص بن أمية وهو كافر لا يقدر أن ينفق خيرا لمعاده وعثمان أنفق لآخرته فهل يستويان أي هل يستوي الكافر والمؤمن ويقال ضرب المثل للآلهة ومعناه أن الاثنين المتساويين في الخلق إذا كان أحدهما قادرا على الإنفاق والآخر عاجزا لا يستويان فكيف يسوون بين الحجارة التي لا تتحرك ولا تعقل وبين الذي هو على كل شيء قدير فبين الله تعالى علامة ضلالتهم ثم حمد نفسه ودل خلقه على حمده فقال \* (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) \*

ثم ضرب مثلا آخر فقال \* (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) \* أي أخرس وهو الصنم " لا يقدر على شيء " من مال ولا منفعة \* (وهو كل على مولاه) \* أي ثقل على وليه وقرابته يعني الصنم عيال ووبال على عابده \* (أينما يوجهه لا يأت بخير) \* أي حيث يبعثه لا يجيء بخير \* (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل) \* يعني بالتوحيد \* (وهو على صراط مستقيم) \* يدل الخلق إلى التوحيد ويقال هذا المثل للكافر مع النبي صلى الله عليه وسلم يعني الكافر الذي لا يتكلم بخير هل يستوي هو \* (ومن يأمر بالعدل) \* أي التوحيد ويدعو الناس إليه \* (وهو على صراط مستقيم) \* يدعو الناس إليه وهو على دين الإسلام وقال السدي المثان ضربهما الله لنفسه وللآلهة

سورة النحل ٧٧ - ٧٨

ثم قال تعالى " ولله غيب السماوات والأرض " أي ما غاب عن العباد \* (وما أمر الساعة) \* أي قيام الساعة \* (إلا كلمح البصر) \* أي كرجع البصر \* (أو هو أقرب) \* أي بل هو أقرب أي أسرع قال الزجاج أخبر الله تعالى أن البعث والإحياء في قدرة الله تعالى ومشيبته كلمح البصر ولم يرد أن الساعة تأتي في لمح البصر ولكنه وصف سرعة القدرة على الإتيان بها ويقال \* (أو هو أقرب) \* الألف زائدة ومعناه وهو أقرب " إن الله على كل شيء قدير " يعني من البعث وغيره

قوله عز وجل \* (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) \* قرأ حمزة والكسائي \* (أمهاتكم) \* بكسر الألف وقرأ الباقون بالضم ومعناها واحد وقال الزجاج الأصل في الأمهات أمات ولكن الهاء زيدت مؤكدة كما زادوها في قولهم أهرقت الماء وأصله أرتت الماء \* (لا تعلمون شيئاً) \* أي لا تعقلون شيئاً ويقال لا تعلمون الأشياء كلها \* (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) \* أي لكي تشكروا النعمة

سورة النحل ٧٩ - ٨٠

ثم بين لهم العبرة ليعتبروا بها ويعرفوا بها وحدانيته فقال تعالى " ألم تروا إلى الطير مسخرات " يقول مذلللات \* (في جو السماء) \* أي في الهواء \* (ما يمسكهن) \* عند قبض الأجنحة وعند بسطها \* (إلا الله إن في ذلك لآيات) \* أي لعلامات لوحدانية الله تعالى لمن علم أن معبوده لم يعنه في ذلك \* (لقوم يؤمنون) \* أي لمن آمن به قرأ ابن عامر وحمزة \* (ألم تروا) \* بالتاء على المخاطبة وقرأ الباقون بالياء

ثم قال \* (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً) \* أي خلق لكم البيوت قراراً ومأوى لكم ويقال معناه سخر لكم الأرض لتبنوا فيها البيوت ويقال معناه وفقكم لبناء البيوت لسكناكم وقراركم فذكر النعم والمنن والدلائل لوحدانيته

وقال عز وجل \* (وجعل لكم من جلود الأنعام) \* أي من الشعر والصوف والوبر \* (بيوتا) \* أي الفساطيط والخيام \* (تستخفونها) \* أي تستخفون حملها \* (يوم ظعنكم ويوم إقامتكم) \* أي يوم انتقالكم وسفركم ويوم نزولكم \* (ومن أصوافها) \* أي من أصواف الغنم \* (وأوبارها) \* أي

الإبل \* (وأشعارها) \* أي أشعار المعز \* (أثاثا) \* متاع البيت أي من الأكسية والفرش  
وقال قتادة والكلبي \* (أثاثا) \* أي المال \* (ومتاعا إلى حين) \* أي المنفعة تعيشون فيه  
إلى الموت ويقال تنتفعون بها إلى حين تبلى وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو \* (يوم  
ظعنكم) \* بنصب العين والباقون بالجزم ومعناها واحد  
سورة النحل ٨١ - ٨٣

قوله عز وجل \* (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) \* أي أشجارا تستظلون بها ويقال  
بيوتا تسكنون فيها \* (وجعل لكم من الجبال أكنانا) \* أي الغيران والأسراب واحدها  
كن \* (وجعل لكم سراييل) \* أي القمص \* (تقيكم الحر) \* والبرد اكتفى بذكر  
أحدهما إذا كان يدل على الآخر وقال قتادة في قوله \* (مما خلق ظلالا) \* أي من  
الشجر وغيره \* (وجعل لكم من الجبال أكنانا) \* قال غيرنا في الجبال يسكن فيها "  
تقيكم من الحر " أي من القطن والكتان والصوف قال وكانت تسمى هذه السورة  
سورة النعم \* (وسراييل تقيكم بأسكم) \* وهي الدروع من الحديد تدفع عنكم قتال  
عدوكم \* (كذلك يتم نعمته عليكم) \* أي ما ذكر من النعم في هذه السورة \* (لعلكم  
تسلمون) \* أي تعرفون رب هذه النعم فتوحده وتخلصوا له بالعبادة وروي عن ابن  
عباس أنه كان يقرأ \* (لعلكم تسلمون) \* بنصب التاء واللام ومعناه تسلمون من  
الجراحات إذا لبستم الدروع وتسلمون من الحر والبرد إذا لبستم القمص  
ثم قال بعد ما بين العلامات \* (فإن تولوا) \* أي عرضوا عن الإيمان \* (فإنما عليك  
البلاغ المبين) \* تبلغهم رسالتي وتبين لهم الهدى من الضلالة  
قوله تعالى \* (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) \* أي يعرفون أن خالق هذه الأشياء هو الله  
تعالى \* (ثم ينكرونها) \* ويقولون هي بشفاعة آلهتنا وهذا قول الكلبي وقال السدي  
يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم أنه نبي وأنه صادق ولا يؤمنون به وروى ابن أبي  
نجيح عن مجاهد في قوله \* (يعرفون نعمة الله) \* قال هي المساكن والأنعام وما  
يرزقون منها وسراييل الحديد والثياب يعرف هذا الكافرون \* (ثم ينكرونها) \* أي  
البعث \* (وأكثرهم الكافرون) \* بالتوحيد ويقال جاحدون بالنعم  
سورة النحل ٨٤ - ٨٦

قوله تعالى \* (ويوم نبعث) \* أي واذكر يوم نبعث \* (في كل أمة شهيدا) \* أي نبيا شاهدا على أمته بالرسالة أنه بلغها \* (ثم لا يؤذن للذين كفروا) \* أي في الكلام \* (ولا هم يستعتبون) \* أي لا يرجعون من الآخرة إلى الدنيا وقال أهل اللغة عتب يعتب إذا وجد عليه وأعتب يعتب إذا رجع عن ذنبه واستعتب يستعتب إذا طلب منهم الرجوع أي لا يطلب منهم الرجوع إلى الدنيا

وقوله \* (وإذا رأى الذين ظلموا العذاب) \* أي الكفار \* (فلا يخفف عنهم) \* أي العذاب حين رأوها \* (ولا هم ينظرون) \* أي لا يمهلون ولا يؤجلون ولا يتركون ساعة ليستريحوا

وقوله عز وجل \* (وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) \* أي آلهتهم " قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا " يقولون نعبد من دونك وهم أمرونا بذلك ويقال يعني السفلة إذا رأوا شركاءهم يعني أمراءهم ورؤساءهم قالوا ربنا هؤلاء الذين كنا ندعو من دونك أي هم أمرونا بالمعصية فأطعناهم \* (فألقوا إليهم القول) \* يعني القادة والآلهة وأجابوهم \* (إنكم لكاذبون) \* ما أمرناكم بذلك

سورة النحل ٨٧ - ٨٩

قوله عز وجل \* (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) \* أي استسلموا وخضعوا وانقادوا العابد والمعبود والتابع والمتبوع خضعوا كلهم يومئذ لله تعالى \* (وضل عنهم) \* أي اشتغل عنهم آلهتهم بأنفسهم \* (ما كانوا يفترون) \* أي يختلفون ويقال بطل عنهم ما كانوا يقولون من الكذب في الدنيا

ثم بين عذابهم فقال \* (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) \* أي صرفوا الناس عن دين الإسلام \* (زدناهم عذابا فوق العذاب) \* فوق عذاب السفلة ويقال التابع والمتبوع زدناهم في كل وقت عذابا مع العذاب وقال مقاتل يجري الله عليهم خمسة أنهار من نحاس ذائب ثلاثة أنهار في وقت الليل واثنان في وقت النهار \* (بما كانوا يفسدون) \* في الدنيا وقال الكلبي نحو هذا

قال الفقيه أبو الليث حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا



إبراهيم بن يوسف عن عبيد الله عن إسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود في قوله \* (زدناهم عذابا فوق العذاب) \* قال أفاعي في النار وعن ابن مسعود قال زيدوا عقارب في النار أنيابها كالنخل الطوال وعن مجاهد قال في النار عقارب كالبغال أنيابهن كالرماح تضرب إحداهن على رأسه فيسقط لحمه على قدميه ويقال يسألون الله تعالى المطر في ألف سنة ليسكن ما بهم من شدة الحر والغم فتظهر لهم سحابة فيظنون أنها تمطر عليهم الغيث فإذا هي تمطر عليهم الحيات والعقارب ويقال يسلط عليهم الجوع ويقال الجرب

قوله عز وجل \* (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) \* أي رسولا من الآدميين \* (وجئنا بك) \* يا محمد \* (شهيدا على هؤلاء) \* أي على أمتك \* (ونزلنا عليك الكتاب) \* أي القرآن " تبيانا لكل شيء " من الأمر والنهي إلا أن بعضه مفسر وبعضه مجمل يحتاج إلى الإستخراج والاستنباط وقال مجاهد ما يسأل الناس عن شيء إلا في كتاب الله تبيانه ثم قرأ " تبيانا لكل شيء " وقال علي بن أبي طالب كل شيء علمه في الكتاب إلا أن آراء الرجال تعجز عنه

ثم قال \* (وهدى ورحمة) \* أي \* (هدى) \* من الضلالة \* (ورحمة) \* أي نعمة من العذاب لمن آمن به وعمل بما فيه \* (وبشرى للمسلمين) \* بالجنة

سورة النحل ٩٠

قوله عز وجل \* (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) \* أي بتوحيد الله وشهادة أن لا إله إلا الله \* (والإحسان) \* إلى الناس والعفو عن الناس \* (وإيتاء ذي القربى) \* أي صلة الرحم \* (وينهى عن الفحشاء) \* أي عن الزنى ويقال جميع المعاصي \* (والمنكر) \* يعني ما لا يعرف في شريعة ولا في سنة ويقال المنكر ما وعد الله عليه النار \* (والبغي) \* يعني الإستطالة والكبر فقد أمر بثلاثة أشياء ونهى عن ثلاثة أشياء وجمع في هذه الأشياء الستة علم الأولين والآخرين وجميع الخصال المحمودة

وروي عن عثمان بن مظعون أنه قال ما أسلمت يوم أسلمت إلا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه كان يدعوني فيعرض علي الإسلام فاستحييت منه فأسلمت ولم يقر الإسلام في قلبي فمررت به ذات يوم وهو بفناء داره جالسا محتبيا فدعاني فجلست إليه فبينما هو يحدثني إذ رأيت بصره شخص إلى السماء حتى رأيت طرفه قد انقطع ثم رأيت خفضه عن يمينه ثم ولاني وركه ينفذ رأسه كأنه يستفهم شيئا يقال له ثم دعا فرفع رأسه إلى السماء ثم خفضه حتى وضعه عن يساره ثم أقبل علي محمرا وجهه فيفيض عرقا فقلت يا رسول الله ما رأيتك صنعت هذا في طول ما كنت أجالسك فقال ولقد رأيت ذلك قلت نعم قال

بينما أحدثك إذ رفعت بصري إلى السماء فرأيت جبريل ينزل علي فلم تكن لي همة غيره حتى نزل عن يميني فقال يا محمد \* (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى) \* إلى آخر الآية قال عثمان فوقر الإيمان في قلبي فأمنت به وصدقته فأنتيت أبا طالب فأخبرته بما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش اتبعوا ابن أخي ترشدوا وتفلقوا ولئن كان محمد صادقاً أو كاذباً ما يأمركم إلا بمكارم الأخلاق فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم من عمه اللين قال يا عماه أأمر الناس أن يتبعوني وتدع نفسك وجهد عليه فأبى أن يسلم فنزل \* (إنك لا تهدي من أحببت) \* [القصص: ٥٦] إلى آخر الآية

قال الفقيه أبو الليث حدثنا أبو منصور عبد الله الفرائضي بسمرقند بإسناده عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة \* (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر) \* إلى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد علي فأعاد عليه فقال والله يا ابن أخي إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هذا بقول البشر وقال قتادة في قول الله تعالى " إن الله يأمر بالعدل الإحسان " الآية قال ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يستحسنونه بينهم إلا أمر الله به وليس من خلق سئ يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه ثم قال تعالى \* (يعظكم) \* أي يأمركم وينهاكم عن هذه الأشياء التي ذكرها الله في الآية \* (لعلكم تذكرون) \* أي تتعظون

سورة النحل ٩١ - ٩٣

قوله عز وجل \* (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) \* يقول إذا حلفتكم بالله فأتتموا له بالفعل ويقال \* (أوفوا بعهد الله) \* أي العهود التي بينكم وبين الله تعالى والعهود التي بينكم وبين الناس  
ثم قال \* (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) \* أي لا تنكثوا العهود بعد تغليظها

وتشديدها \* (وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) \* أي شهيداً على إتمام العهود والوفاء بها ويقال حفيظاً على ما قال الفريقان \* (إن الله يعلم ما تفعلون) \* في وفاء العهد والنقض ثم ضرب الله تعالى مثلاً آخر فقال \* (ولا تكونوا) \* في نقض العهد \* (كالتى نقضت غزلها) \* وهي ربيعة الحمقاء بنت عمرو بن كعب بن سعد وهي أم الأحنس بن شريف الزهري \* (من بعد قوة أنكاثاً) \* أي من بعد ما أبرمته وأحكمته كانت إذا غزلت الشعر والكتان نقضته ثم غزلته فقال ولا تنقضوا العهد بعد توكيده كما نقضت المرأة غزلها وقال القتيبي أي لا تؤكدوا على أنفسكم الأيمان والعهود ثم تنقضوا ذلك فتكونوا كامراً غزلت ونسجت ثم نقضت ذلك النسج فجعلته أنكاثاً والأنكاث ما نقض من غزل الشعر وغيره واحدها نكث

ثم قال \* (تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم) \* أي دغلاً وخيانة \* (أن تكون أمة) \* أي فريقاً منكم \* (هي أربى من أمة) \* أي هي أكثر وأغنى من أمة قال ابن عباس نزلت هذه الآية في كندة ومراد وذلك أنه كان بينهم قتال حتى كل الظهر ثم تواعدوا لسته أشهر حتى يصلح الظهر أي الدواب ولحم الخيل فلما مضت خمسة أشهر أمر قيس بن معد يكرب بالجهاد إليهم فقالوا قد بقي من الأجل شهر فمكث حتى علم أنه يأتيهم بعد انقضاء الأجل فقتلوه وهزموا قومه فذلك قوله \* (ولا تتخذوا أيمانكم) \* [النحل: ٩٤] أي عهودكم بالله \* (دخلاً) \* أي مكراً وخديعة بينكم \* (أن تكون أمة هي أربى من أمة) \* يعني أن تكون أمة أكثر من أمة فينقضون العهد لأجل كثرتهم فلا تحملنكم الكثرة على نقض العهد \* (إنما ييلوكم الله به) \* يعني إنما يبتليكم الله بالكثرة لنقض العهد والوفاء وقال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا وحالفوا الأعز فنزل \* (إنما ييلوكم الله به) \* أي يختبركم بنقض العهود وبالكثرة \* (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) \* من الدين ويبين لكم ما نقضتم من العهود ويجازيكم به

قوله \* (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) \* أي على ملة واحدة وهي الإسلام \* (ولكن يضل من يشاء) \* أي يخذل من علم أنه ليس من أهل الإسلام \* (ويهدي من يشاء) \* أي يكرم بالإسلام من هو أهل لذلك \* (ولتسألن عما كنتم تعملون) \* فهذه اللام لام القسم والتأكيد أي يسألنكم \* (عما كنتم تعملون) \* من الوفاء والنقض بالعهد  
سورة النحل ٩٤ - ٩٧

قوله عز وجل \* (ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها) \* أي إن ناقض العهد يزل عن الطاعة كما تزل قدم الرجل بعد الإستقامة \* (وتذوقوا السوء) \* أي تتجرعوا العقوبة \* (بما صدقتم عن سبيل الله) \* أي صرفتم الناس عن دين الله \* (ولكم عذاب عظيم) \* أي شديد في الآخرة

\* (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً) \* أي لا تختاروا على عهد الله والحلف به عرضاً يسيراً من الدنيا \* (إنما عند الله) \* في الآخرة من الثواب الدائم \* (هو خير لكم) \* أي ثواب الجنة \* (إن كنتم تعلمون) \* أن الآخرة خير من الدنيا ويقال إن كنتم تصدقون بثوابه قال الكلبي نزلت الآية في رجل من حضرموت يقال له عبدان بن الأشوع قال يا رسول الله إن إمرأ القيس الكندي جاورني في الأرض فاقتطع أرضي فذهب بها وغلبني عليها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أيشهد لك أحد على ما تقول قال يا رسول الله إن القوم كلهم يعلمون أنني صادق فيما أقول ولكنه أكرم عليهم مني عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مريء القيس ما يقول صاحبك قال

الباطل والكذب فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف فقال عبدان إنه لفاجر وما يبالي أن يحلف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم يكن لك شهود فخذ يمينه فقال عبدان وما لي يا رسول الله إلا يمينه فقال لا فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلف فلما قام ليحلف أخره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له انصرف فانصرف من عنده فنزلت هذه الآية \* (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً) \* إلى قوله \* (ما عندكم ينفد) \* أي ما عندكم من أمر الدنيا يفنى \* (وما عند الله باق) \* أي ثواب الله في الجنة دائم لأهلها \* (ولنجزي الذين صبروا) \* عن اليمين وأقروا بالحق ويقال الذين صبروا على الإيمان وأقروا بالحق \* (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) \* يعني

بالإحسان الذي كانوا يعملون في الدنيا ويقال يجزيهم بأحسن أعمالهم ويبقى سائر الأعمال فضلاً قال الكلبي فلما نزلت هاتان الآيتان قال امرؤ القيس أما ما عندي فينفد وأما صاحبي فيجزي بأحسن ما كان يعمل اللهم إنه صادق فيما قال لقد اقتطعت أرضه والله ما أدري كم هي ولكنه يأخذ ما يشاء من أرضي ومثلها معها بما أكلت من ثمارها فنزلت \* (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) \* أي لا يقبل العمل منه ما لم يكن مؤمناً فإذا كان مؤمناً وعمل صالحاً يقبل منه

وقال \* (فلنجزيه حياة طيبة) \* في الجنة ويقال يجعل حياته في طاعة الله ويقال فلنقنعنه باليسير من الدنيا وروي عن ابن عباس أنه قال الكسب الطيب والعمل الصالح وعن علي قال القناعة وقال الحسن لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة وقال الضحاك الرزق الحلال وعبادة الله تعالى

ثم قال \* (ولنجزيهم أجرهم) \* أي ثوابهم \* (بأحسن ما كانوا يعملون) \* أي ليشيهم



بإحسانهم ويعفو عن سيئاتهم قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر في إحدى الروايتين \*  
(ولنجزين) \* بالنون وقرأ الباقون \* (ولنجزينهم) \* بالياء

سورة النحل ٩٨ - ١٠١

قوله عز وجل \* (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) \* يعني إذا أردت أن تقرأ القرآن في الصلاة وغير الصلاة \* (فاستعذ بالله) \* أي تعوذ بالله وهذا كقولك إذا أكلت فقل بسم الله يعني إذا أردت أن تأكل وهذا مثل قوله \* (إذا قمتم إلى الصلاة) \* [المائدة: ٦]

يعني إذا أردتم القيام للصلاة  
وقوله \* (من الشيطان الرجيم) \* يعني اللعين الخبيث ويقال \* (الرجيم) \* يعني المرجوم ويقال فيه تقديم ومعناه فاستعذ بالله إذا قرأت القرآن ثم قال \* (إنه ليس له سلطان) \* يقال ليس له غلبة ولا حجة ويقال ليس له نفاذ الأمر \* (على الذين آمنوا) \* أي صدقوا بتوحيد الله تعالى \* (وعلى ربهم يتوكلون) \* أي يثقون به ولا يثقون بغيره

قوله عز وجل \* (إنما سلطانه) \* أي غلبته وحجته \* (على الذين يتولونه) \* أي يطيعونه من دون الله تعالى فمن أطاعه فقد تولاه \* (والذين هم به مشركون) \* أي بالله وقال القتيبي \* (والذين هم به مشركون) \* لم يرد أنهم بإبليس كافرين ولو كانوا هكذا لكانوا مؤمنين وإنما أراد به الذين هم من أجله مشركون بالله تعالى كما يقال صار فلان بك عالما أي من أجلك

قوله \* (وإذا بدلنا آية) \* أي ناسخة \* (مكان آية) \* منسوخة أي نسخنا آية بآية قال ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزلت عليه آية فيها شدة أخذ الناس بها وعملوا ما شاء الله أن يعملوا فيشق ذلك عليهم فينسخ الله تعالى هذه الشدة ويأتيهم بما هو ألين منها وأهون عليهم منها قالوا أي كفار قريش ما يعلمه إلا عابس غلام حويطب بن عبد العزى ويسار بن فكيهة مولى ابن الحضرمي وكانا قد أسلما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهما فيحدثهما ويعلمهما وكانا يقرآن كتابهما بالعبرانية فنزل \* (وإذا بدلنا آية مكان آية) \* \* (والله أعلم بما ينزل) \* يعني بما يصلح للخلق \* (قالوا إنما أنت مفر) \* أي مختلق من تلقاء نفسك \* (بل أكثرهم لا يعلمون) \* أن الله أمرك بما شاء نظرا لصلاح العباد وقال مقاتل في الآية تقديم ومعناه \* (وإذا بدلنا آية مكان آية) \* \* (قالوا إنما أنت مفر) \* فتقول على الله تعالى الكذب قلت كذا ثم نقضته فجئت بغيره ثم قال في التقديم \* (والله أعلم بما ينزل) \*

سورة النحل ١٠٢ - ١٠٣

قال عز وجل \* (قل نزله روح القدس) \* أي قل يا محمد نزل جبريل بالقرآن والتشديد لكثرة نزوله ويقال نزله بمعنى تنزل كما يقال قدم بمعنى تقدم وبين بمعنى تبين ويقال \* (نزله) \* بمعنى تلاه والوحي بلغه ويقال \* (قل نزله روح القدس) \* يعني جبريل الذي يأتيك بالناسخ والمنسوخ \* (من ربك) \* أي من عند ربك ويقال من كلام ربك \* (بالحق) \* أي بالوحي ويقال بالصدق ويقال للحق ويقال لصلاح الخلق \* (ليثبت الذين آمنوا) \* أي ليحفظ قلوب الذين آمنوا على الإسلام ويقال لتطمئن إليه قلوب الذين آمنوا \* (وهدي) \* من الضلالة \* (وبشرى للمسلمين) \* بالجنة وقال \* (ولقد نعلم أنهم يقولون) \* يعني أن كفار قريش يقولون \* (إنما يعلمه بشر) \* يعنون جبراً ويساراً وروى حصين عن عبد الله بن مسلم قال كان لنا غلامان من أهل اليمن نصرانيان اسم أحدهما يسار والآخر جبر صيقليان وكانا يقرآن بلسانهما فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويستمع منهما فقال المشركون إنما يتعلم منهما فأكذبهم الله تعالى حيث قال \* (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي) \* أي رومي اللسان وقال مقاتل كان غلام لابن الحضرمي اسمه يسار وهو يهودي أعجمي اللسان فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا آذاه كفار قريش يدخل عليه ويحدثه فقال المشركون إنما يعلمه يسار فقال الله تعالى ردا عليهم \* (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي) \* أي يميلون إليه ويزعمون أنه يعلمه أعجمي أي عبراني وأصل الإلحاد الميل \* (وهذا) \* يعني القرآن \* (لسان عربي مبين) \* يعني مفقه بلغتهم وروى عن طلحة بن عمير أنه كان يقول بلغني أن خديجة كانت تختلف إلى غلام ابن الحضرمي وكان نصرانياً صاحب كتب يقال له جبر وكانت قريش تقول إن عبد الحضرمي يعلم خديجة وخديجة تعلم محمداً صلى الله عليه وسلم فنزل \* (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) \* ثم أسلم جبر بعد ذلك وحسن إسلامه وهاجر مع سيده قرأ ابن كثير \* (روح القدس) \* بجزم الدال وقرأ الباقون \* (القدس) \* بالضم وقرأ حمزة والكسائي \* (يلحدون) \* بنصب الياء والحاء وقرأ الباقون \* (يلحدون) \* بضم الياء وكسر الحاء ومعناهما واحد

سورة النحل ١٠٤ - ١٠٧

قوله عز وجل \* (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله) \* أي القرآن \* (لا يهديهم الله) \* أي لا يوفقهم الله ولا يكرمهم لقلة رغبتهم في الإيمان ويقال لا ينجيهم في الآخرة من النار \* (ولهم عذاب أليم) \* في الآخرة

ثم قال \* (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) \* أي إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله كذبوا بها وهؤلاء أكذب الكذبة \* (من كفر بالله من بعد إيمانه) \* فعليهم غضب من الله على معنى التقديم ثم استثنى فقال \* (إلا من أكره) \* أي أكره على الكفر وتكلم بالكفر مكرها \* (وقلبه مطمئن بالإيمان) \* يقول قلبه معتقد عليه وهو عمار بن ياسر وأصحابه وذلك أن ناسا من أهل مكة آمنوا فخرجوا مهاجرين فأدركتهم قريش بالطريق فعذبوهم فكفروا مكرهين فنزلت هذه الآية فيهم وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وروى عن قتادة أنه قال ذكر لنا أن عمار بن ياسر أخذه بنو المغيرة فطرحوه في بئر ميمونة حتى أمسى فقالوا له اكفر بمحمد وأشرك بالله فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فنزلت الآية وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى عمار بن ياسر وهو يبكي فجعل يمسح الدموع من عينيه ويقول أخذني الكفار ولم يتركوني حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئن بالإيمان فقال إن عادوا فعد وقال مقاتل أسلم جبر مولى ابن الحضرمي فأخذه مولاه وعذبه حتى رجع إلى اليهودية ثم رجع إلى هؤلاء النفر فنزلت الآية \* (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) \*

ثم بين حال الذين ثبتوا على الكفر فقال \* (ولكن من شرح بالكفر صدرا) \* أي فتح صدره بالقبول يعني قبل الكفر طائعا وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح ارتد ولحق بمكة \* (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) \* أي شديد في الآخرة \* (ذلك) \* العذاب \* (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا) \* أي اختاروا الدنيا \* (على الآخرة وأن الله لا يهدي) \* أي لا يرشد إلى دينه \* (القوم الكافرين) \* مجازاة لهم

سورة النحل ١٠٨ - ١١٠

قوله \* (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) \* مجازاة لهم \* (وسمعهم وأبصارهم) \* أي ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم \* (وأولئك هم الغافلون) \* أي التاركون لأمر الله تعالى



ثم قال \* (لا جرم) \* أي حقا \* (أنهم في الآخرة هم الخاسرون) \* \* (ثم إن ربك للذين هاجروا) \* قال ابن عباس نزلت في عمار بن ياسر وأبويه وبلال وصهيب وخباب بن الأرت حيث عذبهم المشركون ثم هاجروا إلى المدينة فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل \* (ثم إن ربك للذين هاجروا) \* \* (من بعد ما فتنوا) \* يقول عذبهم أهل مكة \* (ثم جاهدوا) \* مع النبي صلى الله عليه وسلم \* (وصبروا) \* على البلاء \* (وصبروا) \* على دينهم \* (وصبروا) \* مع النبي صلى الله عليه وسلم على طاعة الله تعالى \* (إن ربك من بعدها) \* أي من بعد الفتن ويقال من بعد الهجرة \* (لغفور) \* لذنوبهم \* (رحيم) \* ويقال نزلت الآية في عياش بن أبي ربيعة وقد ذكرناه في سورة النساء قرأ ابن عامر \* (ما فتنوا) \* بفتح الفاء والتاء أي أصابتهم الفتنة وقرأ الباقون \* (فتنوا) \* على معنى فعل ما لم يسم فاعله

سورة النحل ١١١

قوله عز وجل \* (يوم تأتي كل نفس) \* أي تحضر \* (تجادل عن نفسها) \* يعني كل إنسان يخاصم عن نفسه ويذب عنها ويقول نفسي نفسي وذلك حين زفرت جهنم زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه وقال رب نفسي نفسي أي أريد نجاتي نفسي \* (وتوفى كل نفس ما عملت) \* أي توفى كل نفس برة أو فاجرة جزاء ما عملت في دار الدنيا من خير أو شر \* (وهم لا يظلمون) \* أي لا ينقصون من حسناتهم ولا يزدون على سيئاتهم

سورة النحل ١١٢ - ١١٤

قوله عز وجل \* (وضرب الله مثلا) \* يقول وصف الله شيئا \* (قرية كانت آمنة مطمئنة) \* يعني مكة من العدو \* (مطمئنة) \* من العدو أي ساكنة مقيما أهلها بمكة \* (يأتيها رزقها) \* أي يحمل إليها طعامها ورزق أهلها \* (رغدا من كل مكان) \* أي موسعا من كل أرض يحمل إليها الثمار وغيرها \* (فكفرت بأنعم الله) \* أي طغت وبطرت ويقال كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم \* (فأذاقها الله لباس الجوع) \* أي عاقبهم الله تعالى بالجوع سبع سنين ومعنى اللباس هنا سوء الحال واصفرار الوجوه \* (والخوف) \* يعني خوف العدو وخوف سرايا النبي صلى الله عليه وسلم \* (بما كانوا يصنعون) \* وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها

عليهم سنين كسني يوسف فاستجاب الله دعاءه فوق القحط والجدوبة حتى اضطروا إلى أكل الميتة والكلاب قال القتيبي أصل الذوق بالفم ثم يستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار \* (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) \* أي ابتلاهم الله بالجوع والخوف وظهر عليهم من سوء آثارهم وتغير الحال عليهم قوله عز وجل \* (ولقد جاءهم رسول منهم) \* أي محمد صلى الله عليه وسلم \* (فكذبوه فأخذهم العذاب) \* أي الجوع \* (وهم ظالمون) \* أي كفرون ثم إن أهل مكة بعثوا أبا سفيان بن حرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما هذا البلاء هبك عاديت الرجال فما بال الصبيان والنساء فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحمل إليهم الطعام فحمل إليهم الطعام ولم يقطع عنهم وهم مشركون ثم قال \* (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) \* أي من الحرث والأنعام \* (حلالا طيبا) \* وهم خزاعة وثقيف \* (واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون) \* يعني إن كنتم تريدون بذلك وجه الله ورضاء الله وعبادته فإن رضاه أن تستحلوا ما أحل الله وتحرموا ما حرم الله

سورة النحل ١١٥ - ١١٧

ثم بين المحرمات فقال تعالى \* (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) \* أي ذبح بغير اسم الله \* (فمن اضطر) \* أي أجهد إلى شيء مما حرم الله عليه \* (غير باغ ولا عاد) \* في أكله أي لا يأكل فوق حاجته ويقال غير مفارق الجماعة \* (فإن الله غفور) \* فيما أكل \* (رحيم) \* حين رخص له في أكل الميتة عند الاضطراب

ثم قال \* (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) \* أي لا تقولوا يا أهل مكة فيما أحللت لكم \* (هذا حلال) \* على الرجال \* (وهذا حرام) \* على النساء ويقال في الآية تنبيه للقضاة والمفتين كي لا يقولوا قولا بغير حجة وبيان ثم قال \* (لتفتروا على الله الكذب) \* أي بتحريم البحيرة والسائبة \* (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) \* أي لا يفوزون ولا ينجون من العذاب \* (متاع قليل) \* أي عيشهم في الدنيا قليل \* (ولهم عذاب أليم) \* في الآخرة

سورة النحل ١١٨ - ١١٩

قوله عز وجل \* (وعلى الذين هادوا) \* يقول مالوا عن الإسلام وهم اليهود \* (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) \* أي في القرآن من قبل هذه السورة في سورة الأنعام " وما ظلمناهم " بتحريم ما حرمنا عليهم \* (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) \* بكفرهم فحرمنا عليهم الأشياء عقوبة لهم \* (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) \* أي عملوا المعصية بجهالة وروي عن ابن عباس أنه قال كل سوء يعمله العبد فهو فيه جاهل وإن كان يعلم أن ركوبه سيئة \* (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) \* أي العمل \* (إن ربك من بعدها) \* أي من بعد السيئة ويقال من بعد التوبة \* (لغفور) \* لذنوبهم \* (رحيم) \* بهم

سورة النحل ١٢٠ - ١٢٣

قوله تعالى \* (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله) \* أي إماما يقتدى به \* (قانتا) \* أي مطيعا لربه وروي عامر بن مسروق أنه قال ذكر عند عبد الله بن مسعود معاذ بن جبل فقال عبد الله بن مسعود كان معاذ بن جبل أمة قانتا فقال رجل وما الأمة قال الذي يعلم الناس الخير والقانت الذي يطيع الله ورسوله وقال القتيبي إنما سماه \* (أمة) \* لأنه كان سبب الاجتماع وقد يجوز أنه سماه أمة لأنه اجتمع عنده خصال الخير ويقال إنما سماه \* (أمة) \* لأنه آمن وحده حين لم يكن مؤمن غيره وهذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يجيء زيد بن عمرو بن نفيل يوم القيامة أمة وحده وقد كان أسلم قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يكن بمكة مؤمن غيره وتابعه ورقه بن نوفل وعاش ورقة بن نوفل إلى وقت خروج النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنزل عليه الوحي

ثم قال \* (حنيفا مسلما) \* أي مستقيما مائلا عن الأديان كلها \* (ولم يك من المشركين) \* أي مع المشركين على دينهم وأصله ولم يكن فحذفت النون لكثرة استعمال هذا الحرف \* (شاكرا لأنعمه) \* يقول بما أنعم الله عليه \* (اجتباه) \* أي اصطفاه واختاره للنبوته \* (وهده إلى صراط مستقيم) \* أي إلى دين قائم وهو الإسلام \* (وآتيناه في الدنيا حسنة) \* يقول أكرمناه بالثناء الحسن ويقال بالنبوته ويقال بالولد الطيب \* (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) \* يعني مع الأنبياء في الجنة قوله \* (ثم أوحينا إليك) \* أي بعده هذه الكرامة التي أعطيناها إبراهيم أمرناك \* (أن اتبع ملة إبراهيم) \* أي استقم على دين إبراهيم \* (حنيفا وما كان من المشركين) \* على دينهم

سورة النحل ١٢٤ - ١٢٦

قوله عز وجل \* (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) \* يقول إنما أمروا في السبت بالقعود عن العمل \* (على الذين اختلفوا فيه) \* أي في يوم الجمعة وذلك أن موسى عليه السلام أمرهم أن يتفرغوا لله تعالى في كل سبعة أيام يوما واحدا فيعبده ولا يعملوا فيه شيئا من أمر الدنيا وستة أيام لصناعتهم ومعايشهم ويتفرغوا في يوم الجمعة فأبوا أن

يقبلوا ذلك اليوم وقالوا إنما نختار السبت اليوم الذي فرغ الله فيه من أمر الخلق فجعل ذلك عليهم وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى بالجمعة فاختاروا يوم الأحد وقال مجاهد \* (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) \* أي في السبت اتبعوه وتركوا الجمعة وروى همام عن أبي هريرة أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة وأوتيناه من بعدهم يوم الجمعة فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع واليهود غدا والنصارى بعد غد ثم قال \* (وإن ربك ليحكم بينهم) \* أي يقضي بينهم \* (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) \* من الدين فيبين لهم الحق معاينة ثم قال عز وجل \* (ادع إلى سبيل ربك) \* أي إلى دين ربك وإلى طاعة ربك \* (بالحكمة) \* أي بالنبوة والقرآن \* (والموعظة الحسنة) \* أي عظمهم بالقرآن \* (وجادلهم بالتي هي أحسن) \* أي حاججهم وناظرهم بالحجة والبيان ويقال بالليلين وفي الآية دليل أن المناظرة والمجادلة في العلم جائزة إذا قصد بها إظهار الحق وهذا مثل قوله \* (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) \* [العنكبوت: ٤٦] وقوله \* (فلا تمار فيهم إلا مرء ظاهرا) \* [الكهف: ٢٢] ثم قال \* (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) \* أي عن دينة \* (وهو أعلم بالمهتدين) \* لدينه قوله عز وجل \* (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) \* قال ابن عباس وذلك حين قتل المشركون حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومثلوا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن أمكننا الله لنمثلن بالأحياء فضلا عن الأموات فنزل " وإن عاقبتهم فعاقبوا مثل ما عوقبتم به " الآية وقال محمد بن كعب القرظي لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بالحال التي هو بها حين

قوله عز وجل \* (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) \* يقول إنما أمروا في السبت بالقعود عن العمل \* (على الذين اختلفوا فيه) \* أي في يوم الجمعة وذلك أن موسى عليه السلام أمرهم أن يتفرغوا لله تعالى في كل سبعة أيام يوماً واحداً فيعبده ولا يعملوا فيه شيئاً من أمر الدنيا وستة أيام لصناعتهم ومعاشهم ويتفرغوا في يوم الجمعة فأبوا أن يقبلوا ذلك اليوم وقالوا إنما نختار السبت اليوم الذي فرغ الله فيه من أمر الخلق فجعل ذلك عليهم وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى بالجمعة فاختروا يوم الأحد وقال مجاهد \* (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) \* أي في السبت اتبعوه وتركوا الجمعة وروى همام عن أبي هريرة أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة وأوتيناها من بعدهم يوم الجمعة فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع واليهود غدا والنصارى بعد غد ثم قال \* (وإن ربك ليحكم بينهم) \* أي يقضي بينهم \* (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) \* من الدين فبين لهم الحق معاينة ثم قال عز وجل \* (ادع إلى سبيل ربك) \* أي إلى دين ربك وإلى طاعة ربك \* (بالحكمة) \* أي بالنبوة والقرآن \* (والموعظة الحسنة) \* أي عظمهم بالقرآن \* (وجادلهم بالتي هي أحسن) \* أي حاججهم وناظرهم بالحجة والبيان ويقال باللين وفي الآية دليل أن المناظرة والمجادلة في العلم جائزة إذا قصد بها إظهار الحق وهذا مثل قوله \* (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) \* [العنكبوت: ٤٦] وقوله \* (فلا تمار فيهم إلا مرء ظاهراً) \* [الكهف: ٢٢] ثم قال \* (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) \* أي عن دينه \* (وهو أعلم بالمهتدين) \* لدينه قوله عز وجل \* (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) \* قال ابن عباس وذلك حين قتل المشركون حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومثلوا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن أمكننا الله لنمثلن بالأحياء فضلاً عن الأموات فنزل \* (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) \* الآية وقال محمد بن كعب القرظي لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بالحال التي هو بها حين

مثل به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين منهم فلما رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما به من الوجع قالوا لئن ظفرنا بهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد فنزل \* (وإن عاقبتهم) \* أي فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به \* (ولئن صبرتم) \* فلم تعاقبوا ولم تمثلوا \* (لهو خير للصابرين) \* من المثلة أي ثواب الصبر خير من المكافأة ثم صارت الآية عامة في وجوب القصاص أنه لا يجوز إلا مثلاً بمثل والعفو أفضل

سورة النحل ١٢٧ - ١٢٨

قال عز وجل \* (واصبر) \* يقول \* (واصبر) \* أي أثبت على الصبر \* (وما صبرك إلا بالله) \* يعني ألهمك ووفئك للصبر \* (ولا تحزن عليهم) \* أي على كفار قريش إن لم يسلموا \* (ولا تك في ضيق مما يمكرون) \* قرأ ابن كثير \* (في ضيق) \* بكسر الضاد وقرأ الباقون بالنصب ومعناها واحد أي لا يضق صدرك مما يقولون لك ويصنعون بك وقال مقاتل نزلت الآية في المستهزئين  
ثم قال تعالى \* (إن الله مع الذين اتقوا) \* أي معين للذين اتقوا الشرك \* (والذين هم محسنون) \* في العمل ويقال معين الذين اتقوا مكافأة المسئ \* (والذين هم محسنون) \* إلى من أساء إليهم والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سورة الإسراء مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

سورة الإسراء ١

قوله تعالى \* (سبحان) \* أي عجب من أمر الله تعالى \* (الذي أسرى بعبده) \* ويقال تنزيه الله تعالى وروى موسى بن طلحة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن \* (سبحان) \* فقال نزه الله نفسه عن السوء وروى عن علي بن أبي طالب أن ابن أبي الكواء سأله عن سبحان الله فقال علي كلمة رضيها الله لنفسه ويقال معناه سبحوا الله \* (سبحان الذي أسرى بعبده) \* أي أدلج برسوله صلى الله عليه وسلم \* (ليلاً) \* أي في ليلة ويقال \* (أسري) \* يعني سار بعبده ليلاً \* (من المسجد الحرام) \* أي مكة وقال ابن عباس من بيت أم هانئ \* (إلى المسجد الأقصى) \* يعني إلى بيت المقدس قال الفقيه أخبرني الثقة بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الليلة التي أسرى به فيها فقال أوتيت بدابة هي أشبه الدواب بالبغل وهو البراق وهو الذي كان يركبه الأنبياء قال فانطلق بي يضع يده عند منتهى بصره فسمعت نداء عن يميني يا محمد على رسلك فمضيت ولم أعرج عليه أي ما التفت إليه ثم سمعت نداء عن شمالي فمضيت ثم استقبلتني امرأة عليها من كل زينة فمدت يديها وقالت على رسلك فمضيت ولم ألتفت إليها ثم أتيت البيت المقدس أو قال المسجد فنزلت وأوثقت بالحلقة التي كانت الأنبياء يوثقون بها ثم دخلت المسجد فصليت فقلت يا جبريل سمعت نداء عن يميني فقال ذاك داعي اليهودية أما إنك لو وقفت عليه لتهودت أمتك فقلت وسمعت نداء عن شمالي قال كان ذلك داعي النصارى أما إنك لو وقفت عليه لتنصرت أمتك وأما المرأة كانت الدنيا تزيت لك أما إنك لو وقفت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة قال ثم أوتيت بإناءين أحدهما فيه لبن والآخر فيه خمر فقال لي اشرب أيهما شئت فأخذت اللبن وشربت فقال أصبت الفطرة أي أعطيت أمتك الإسلام أما إنك لو أخذت الخمرة لغوت أمتك ثم جيء بالمعراج الذي تعرج فيه أرواح بني آدم فإذا هو أحسن ما رأيت فعرج بنا

فيه وذكر قصة طويلة فنزل \* (سبحان الذي أسرى بعبده) \* محمدا صلى الله عليه وسلم من أول الليل من المسجد الحرام يقول من الحرم من بيت أم هانئ بنت أبي طالب إلى المسجد الأقصى أي الأبعد يعني إلى مسجد إيلياء وهو بيت المقدس \* (الذي باركنا حوله) \* بالماء والأشجار وهو المدائن التي حوله مثل دمشق والأردن وفلسطين \* (لنزيه من آياتنا) \* أي لكي نزيه من آياتنا أراه الله تعالى في تلك الليلة من عجائب السماوات والأرض \* (إنه هو السميع) \* لمقالة أهل مكة وإنكارهم \* (البصير) \* أي العليم بهم

وذلك أنه لما أخبرهم عن قصة تلك الليلة أنكروا وروى الزهري عن عروة قال إنه لما أسرى به صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى فأخبر الناس بذلك فارتد ناس كثير ممن كان صدقه وفتنوا بذلك وكذبوا به وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا له هذا صاحبك يزعم أنه قد أسرى به الليلة إلى بيت المقدس ثم رجع من ليلته فقال أبو بكر أو قال ذلك قالوا نعم قال فإني أشهد إن كان قال ذلك أنه قد صدق فقالوا أتصدقه بأنه جاء إلى الشام ورجع في ليلة واحدة قبل أن يصبح فقال أبو بكر نعم إني أصدقه في أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء غدوة وعشية فذلك سمي أبو بكر الصديق قال الزهري أخبرني أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم فرضت عليه الصلاة ليلة أسرى به خمسين ثم نقصت إلى خمس ثم نودي يا محمد ما يبذل القول لدي وإن لك بالخمس خمسين

سورة الإسراء ٢ - ٥

ثم قال الله تعالى \* (وآتينا موسى الكتاب) \* أي التوراة جملة واحدة \* (وجعلناه) \* أي الكتاب \* (هدى لبني إسرائيل) \* أي بيانا لهم من الضلالة أي دللناهم به على الهدى \* (ألا تتخذوا من دوني وكيلا) \* يعني ألا تعبدوا من دوني ربا قوله \* (ذرية) \* يعني بالذرية \* (من حملنا مع نوح) \* في السفينة في أصلاب الرجال وأرحام النساء ويقال معناه ألا تعبدوا ذرية من حملنا مع نوح مثل عيسى وعزير قرأ أبو عمرو " أن لا يتخذوا " بالياء على معنى المغايبه والخبر عنهم أي أعطيناك الكتاب لكيلا يتخذوا إليها غيري وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة أي قل لهم لا تتخذوا إليها غيري



ثم أثنى على نوح فقال تعالى \* (إنه كان عبدا شكورا) \* أي كان يحمد الله إذا أكل وشرب واكتسى ويقال الشكور هو المبالغ في الشكر أي كان شاكرا في الأحوال كلها قوله \* (وقضينا إلى بني إسرائيل) \* يقول أعلمنا وبيننا كقوله \* (وقضينا إليه ذلك الأمر) \* [الحجر: ٦٠] أي أعلمناه وبيناه \* (في الكتاب) \* أي أخبرناهم في التوراة \* (لتفسدن في الأرض مرتين) \* أي لتعصن في الأرض ولتهلكن فيها مرتين \* (ولتعلن علوا كبيرا) \* أي لتقهرن قهرا شديدا

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنه قال أما المرة الأولى فسلط الله عليهم جالوت حتى بعث الله طالوت ومعه داود فقتله داود ثم ردت الكرة لبني إسرائيل ثم جاء وعد الآخرة من المرتين " ليسوؤا وجوهكم " [الإسراء: ٧] أي يقبحوا وجوهكم وليدمروا تدميرا وهو بختنصر وإن عدتم عدنا فعادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال وعد أولاهما جاءتهم فارس معهم بختنصر ثم رجعت فارس أي أهل فارس معهم ولم يكن قتال ونصرت بنو إسرائيل عليهم فذلك وعد الأولى فإذا كان وعد الآخرة جاءهم بختنصر ودمر عليهم

وروى أسباط عن السدي أن وعد الأولى كان ملك النبط فجاسوا خلال الديار ثم إن بني إسرائيل تجهزوا وغزوا النبط فأصابوا منهم واستنقذوا ما في أيديهم فردت الكرة عليهم وكان بختنصر في ذلك الوقت يتيما في ذلك العسكر وخرج ليسأل شيئا فلما كبر وجمع الجيوش وجاءهم وخوفهم وخرب البلدة قال القتيبي إن بختنصر غزاهم فرغبوا إلى الله وتابوا فرد الله عنهم بعد أن فتحوا المدينة وجالوا في أسواقهم ثم أحدثوا فبعث الله إليهم أرميا النبي عليه السلام فقام فيهم بوحي الله فضربوه وقيدوه وحبسوه فبعث الله تعالى إليهم عند ذلك بختنصر ففعل ما فعل وقال الكلبي لما عصوا الله تعالى وهو أول الفسادين سلط الله عليهم بختنصر خرج من بابل فأتاهم بالشام وظهر على بيت المقدس فقتل منهم أربعين ألفا ممن كان يقرأ التوراة وأدخل بقيتهم أرضه فمكثوا كذلك سبعين سنة حتى مات ثم إن رجلا من همدان يقال له كورش غزا أهل بابل فظهر عليهم وسكن الدار وتزوج امرأة من بني إسرائيل وطلبت إلى زوجها أن يرد قومها إلى أرضهم ففعل فردهم إلى أرض بيت المقدس فمكثوا فيها فرجعوا إلى أحسن ما كانوا عليه ثم عادوا فعصوا المرة الثانية فسلط الله عليهم ملكا من ملوك الروم يقال له إسبسيانوس فحاصرهم سنين ثم مات فبعث الله عليهم ابنه ططيوس بن إسبسيانوس الرومي فحاصرهم ثم بعد ذلك ملكهم فقتل منهم مائة ألف وثمانين ألفا حتى قتل يحيى بن زكريا وسبى منهم مثل ذلك وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المؤمنون في زمن عمر رضي الله عنه فذلك قوله \* (فإذا جاء وعد أولاهما) \*

يقول أول الفسادين " بعثنا

(३०१)

عليكم) أي سلطنا عليكم \* (عبادا لنا أولي بأس شديد) \* يعني ذوي قتال شديد \* (فجاسوا خلال الديار) \* يقول قتلوكم وسط الأزقة وقال القتيبي \* (فجاسوا) \* أي عاثوا وأفسدوا ويكون \* (جاسوا) \* بمعنى دخلوا بالفساد \* (وكان وعدا مفعولا) \* أي كائنا لئن فعلتم لأفعلن بكم

سورة الإسراء ٦ - ٨

وقال \* (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) \* يقول أعطيناكم الدولة ويقال الرجعة عليهم قوله \* (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) \* يعني أكثر رجالا وعددا وقال القتيبي \* (أكثر نفيرا) \* أي أكثر عددا أصله من نفر ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته والنفير والنافر مثل القدير والقادر

قوله \* (إن أحسنتم) \* يقول إن وحدتم الله وأطعتموه \* (أحسنتم لأنفسكم) \* أي يثاب لكم الجنة \* (وإن أسأتم) \* أي أشركتم بالله \* (فلها) \* رب يغفر لها \* (فإذا جاء وعد الآخرة) \* أي آخر الفسادين " ليسوءوا وجوهكم " أخذ من السوء أي بعثناكم إليكم ليقبحوا وجوهكم بالقتل والسبي قرأ حمزة وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر " ليسوء " بالياء ونصب الواو معه وقرأ الكسائي " لنسوء " بالنون فيكون الفعل لله تعالى وقرأ الباقون " ليسوءوا " بالياء وضم الواو بلفظ الجماعة يعني إن القوم يفعلون ذلك \* (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) \* يعني بيت المقدس \* (وليتبروا ما علوا تتبيرا) \* يقول وليخربوا ما ظهروا عليه \* (تتبيرا) \* أي هلاكا وقال الزجاج يقال لكل شيء منكسر من الحديد والذهب والفضة والزجاج تبر ومعنى \* (ما علوا) \* أي وليدمروا في حال علوهم

قوله \* (عسى ربكم أن يرحمكم) \* بعد هاتين المرتين فرحمهم وعادوا إلى ما كانوا عليه وبعث فيهم الأنبياء فكانوا رحمة لهم فذلك قوله \* (وإن عدتم عدنا) \* أي إن \* (عدتم) \* إلى المعصية \* (عدنا) \* إليكم بالعذاب ويقال \* (إن عدتم) \* إلى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم كما كذبتهم سائر الأنبياء \* (عدنا) \* يعني سلطناه عليكم فيعاقبكم بالقتل والحزبية والسبي في الدنيا \* (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) \* أي سجنا ومحسنا قال الحسن أي سجنا وقال قتادة أي وحسنا يحبسون فيها وقال مقاتل أي مجلسا يجلسون ولا يخرجون أبدا كقوله \* (للفقراء الذين أحصروا) \* [البقرة: ٢٧٣] ويقال هذا فعيل بمعنى فاعل وقال الزجاج

\* (حصيرا) \* أي حبيسا أخذ من قوله حصرت الرجل إذا حبسته وهو محصور والحصير المنسوج وإنما سمي \* (حصيرا) \* لأنه حصرت طاقاته بعضها فوق بعض سورة الإسراء ٩ - ١٢

ثم قال \* (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) \* أي يدعو ويدل ويرشد إلى التي هي \* (أقوم) \* وهو توحيد وشهادة أن لا إله إلا الله والإيمان برسول الله والعمل بطاعة الله هذه صفة الحال التي هي أقوم \* (ويبشر المؤمنين) \* يعني القرآن بشارة للمؤمنين \* (الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) \* في الجنة \* (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة) \* أي لا يصدقون بالبعث \* (اعتدنا لهم) \* أي هيأنا لهم \* (عذابا أليما) \* أي وجيعا قرأ حمزة والكسائي \* (ويبشر المؤمنين) \* بنصب الياء وحزم الباء والتخفيف وقرأ الباقون \* (ويبشر) \* برفع الياء والتشديد

قوله \* (ويدع الإنسان بالشر) \* وأصله في اللغة ويدعو بالواو إلا أن الواو والألف حذف في الكتابة لأن الضمة تقوم مقامها مثل قوله \* (سندع الزبانية) \* [العلق: ١٨] وأصله سندعو أي يدعو الإنسان باللحن على نفسه وأهله وولده وماله وخدمه \* (دعاه بالخير) \* أي دعاه بالرزق والعافية والرحمة وما يستجاب له فلو استجيب له إذا دعاه باللحن كما يجاب له بالخير لهلك ويقال نزلت في النضر بن الحارث حيث قال \* (فأمطر علينا حجارة من السماء) \* [الأنفال: ٣٢] \* (وكان الإنسان عجولا) \* يعني إن آدم عجل بالقيام قبل أن تتم فيه الروح وكذلك النضر بن الحارث استعجل بالدعاء على نفسه وهو يستعجل العذاب ويروي الحكم عن إبراهيم عن سلمان أنه قال لما خلق الله تعالى آدم بدأ بأعلاه قبل أسفله فجعل آدم ينظر وهو يخلق فلما كان بعد العصر قال يا رب عجل قبل الليل فذلك قوله \* (وكان الإنسان عجولا) \* قال ابن عباس لما جعل فيه الروح فإذا جاوز عن نصفه أراد أن يقوم فسقط فلذلك قيل له لا تعجل فذلك قوله \* (وكان الإنسان عجولا) \*

قوله عز وجل \* (وجعلنا الليل والنهار آيتين) \* أي خلقنا الشمس والقمر علامتين يدلان على أن خالقهما واحد \* (فمحونا آية الليل) \* أي ضوء القمر وهو السواد الذي في جوف القمر وقال محمد بن كعب القرظي كانت شمس بالليل وشمس بالنهار فمحييت شمس الليل وقال ابن عباس كان في الزمان الأول لا يعرف الليل من النهار فبعث الله جبريل فمسح جناحه بالقمر فذهب ضوءه وبقي علامة جناحه وهو السواد الذي في القمر فذلك

قوله \* (فمحونا آية الليل) \* \* (وجعلنا آية النهار مبصرة) \* أي وتركنا علامة النهار مضيئة مبينة \* (لتبتغوا فضلا من ربكم) \* أي لتطلبوا رزقا من ربكم في النهار \* (ولتعلموا عدد السنين والحساب) \* أي حساب الشهور والأيام " وكل شيء فصلناه تفصيلا " أي بيناه في القرآن  
سورة الإسراء ١٣ - ١٥

قوله عز وجل \* (وكل إنسان أئزمنه طائرته في عنقه) \* قال ابن عباس أي خيرته وشره مكتوب عليه لا يفارقه وقال قتادة سعادته وشقاوته قال الفقيه حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا يزيد بن ربيع عن يونس عن الحسن قال في قوله \* (وكل إنسان أئزمنه طائرته في عنقه) \* قال \* (طائرته) \* عمله وإليه هداه أميا كان أو غير أمي وروى الحكم عن مجاهد قال ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد وقال الضحاك \* (طائرته في عنقه) \* الشقاوة والسعادة والأجل والرزق \* (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) \* أي مفتوحا قرأ ابن عامر \* (يلقاه) \* بضم الياء وتشديد القاف أي يعطاه والباقون \* (يلقاه) \* أي يراه

وقوله \* (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) \* أي شاهدا ويقال محاسبا لما ترى فيه كل حسنة وسيئة محصاة عليك قال ابن عباس فإن كان مؤمنا أعطي كتابه يمينه وهي صحيفة يقرأ سيئاته في باطنها وحسناته في ظاهرها فيجد فيها عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا وصنعت كذا وكذا وقلت كذا وكذا في سنة كذا وكذا في شهر كذا وكذا وفي يوم كذا وفي ساعة كذا وكذا فإذا انتهى إلى أسفلها قيل له قد غفرها الله لك اقرأ ما في ظهرها فيقرأ حسناته فيسره ما يرى فيها ويشرق لونه عند ذلك يقول " هاؤم اقرأوا كتابيه " [الحاقة: ١٩] قال ويعطى الكافر كتابه بشماله ويقرأ حسناته في باطنها وسيئاته في ظاهرها فإذا انتهى إلى آخره قيل له هذه حسناتك قد ردت عليك اقرأ ما في ظهرها فيرى فيها سيئاته قد حفظت عليه كل صغيرة وكبيرة فيسوءه ذلك ويسود وجهه وتزرق عيناه ويقول عند ذلك " يا ليتني لم أوت كتابيه " [الحاقة: ٢٥] فذلك قوله \* (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) \* أي حفيظا وقال مقاتل وذلك حين جحد فحتم على لسانه وتكلمت جوارحه فشهدت جوارحه على نفسه وذلك قوله \* (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) \* أي شهيدا فلا شاهد عليك أفضل من نفسك

ثم قال \* (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) \* يعني من اجتهد حتى اهتدى فثوابه لنفسه

\* (ومن ضل) \* أي ومن تغافل حتى ضل \* (فإنما يضل عليها) \* أي إثمها عليها \* (ولا تزر وازرة وزر أخرى) \* أي لا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى وقال \* (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) \* حجة عليهم مع علمه أنهم لا يطيعون وينذرهم على ما هم عليه من المعصية فإن أجابوا وإلا عذبوا  
سورة الإسراء ١٦ - ١٩

قوله تعالى \* (وإذا أردنا أن نهلك قرية) \* أي أهل قرية \* (أمرنا مترفياً) \* أي أكثرنا جبارتها يقال أمر إذا أكثر وأمر إذا أكثر وهما لغتان وروي عن زينب بنت جحش أنها قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق إبهامه بالتي تليها قالت قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث ويقال أمر وأمر مثل فعل وأفعل بمعنى أكثر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم خير المال مهرة مأمورة أي خيل كثير التناج قرأ أبو عمرو في إحدى الروايتين وابن كثير في إحدى الروايتين ونافع في إحدى الروايتين أمرنا بالتشديد بغير مد وفي إحدى الروايتين عن ابن كثير ونافع أمرنا بالمد والتخفيف فمن قرأ بالمد يعني أكثرنا جبارتها وقرأ الباكون بالتخفيف بغير مد فمن قرأ بالتشديد فمعناه سلطنا جبارتها ومن قرأ بالتخفيف له معنيان أحدهما أكثرنا جبارتها وأشرفها وورؤها \* (ففسقوا فيها) \* أي فعصوا فيها ومعنى آخر أمرناهم بالطاعة وخذلناهم حتى تركوا الأمر وعصوا الله تعالى \* (فحق عليها القول) \* أي وجب عليها السخط بالعذاب \* (فدمرناها تدميراً) \* أي أهلكتناها بالعذاب إهلاكاً  
قوله عز وجل \* (وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً) \* يعني إن الله تعالى عالم بذنوبهم قادر على أخذهم ومجازاتهم فيه تهديد لهذه الأمة لكي يطيعوا الله ولا يعصوه فيصيبهم مثل ما أصابهم  
قوله عز وجل \* (من كان يريد العاجلة) \* أي من كان يريد بعمله الذي افترض الله عليه ثواب الدنيا \* (عجلنا له) \* أي أعطينا له \* (فيها ما نشاء) \* من عرض الدنيا \* (لمن نريد) \* أن نهلكه

سعيهم مشكورا) أي عملهم مقبولا ويقال معناه من كان غرضه وقصده وعزمه الدنيا وحطامها وزهرتها عجلنا له فيها للمزيد في الدنيا ما نشاء لمن نريد أن نعطيه بإرادتنا لا بإرادته ومن كان قصده وعزمه الآخرة وعمل عمل الآخرة فنعطي له ما يريد من الآخرة  
سورة الإسراء ٢٠ - ٢٢

قوله تعالى \* (كلا نمد هؤلاء) \* أي كلا الفريقين من المؤمنين والكافرين نعطي هؤلاء من أهل الطاعة \* (وهؤلاء) \* من أهل المعصية \* (من عطاء ربك) \* أي من رزق ربك وقال الحسن \* (كلا نمد) \* أي نعطي من الدنيا البر والفاجر \* (وما كان عطاء ربك محظورا) \* أي محبوسا عن البر والفاجر في الدنيا

\* (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) \* في الدنيا بالمال \* (وللآخرة أكبر درجات) \* يقول ولفضائل الآخرة أرفع درجات مما فضلوا في الدنيا \* (وأكبر تفضيلا) \* أي وأرفع في الثواب وقال الضحاك \* (وللآخرة أكبر درجات) \* في الجنة فالأعلى يرى فضله على من هو أسفل منه والأسفل لا يرى أن فوقه أحدا وقال مقاتل معناه فضل المؤمنين في الآخرة على الكفار أكبر من فضل الكفار على المؤمنين في المال في الدنيا وقال بعض الحكماء إذا أردت هذه الدرجات وهذا التفضيل فاستعمل هذه الخصال التي ذكر في هذه الآيات إلى قوله \* (عند ربك مكروها) \* وروي عن ابن عباس أنه قال هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى حيث كتب الله له فيها أنزلها الله تعالى على نبيه محمد عليه السلام وهي كلها في التوحيد وهي في الكتب كلها موجودة لم تنسخ قط وهو قوله تعالى \* (لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما) \* أي ويذمك الناس بفعلك \* (مخدولا) \* ويخذلك الذي تعبدته فتبقى في النار يذمك الله ويذمك الناس وتذم نفسك \* (مخدولا) \* أي يخذلك معبودك ولا ينصرك

سورة الإسراء ٢٣ - ٢٤

قوله عز وجل \* (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) \* أي أمر ربك أن ألا تطيعوا أحدا إلا إياه يعني إلا الله تعالى فلا تطيعوا أحدا في المعصية وتطيعوا الله في الطاعة ويقال لا توحيدوا إلا الله \* (وبالوالدين إحسانا) \* أي أمر بالإحسان إلى الوالدين برا بهما وعطفا عليهما \* (إما يبلغن عندك الكبر) \* قرأ حمزة والكسائي " إما يبلغان " بلفظ التثنية لأنه سبق ذكر الوالدين

وقرأ الباقون \* (يبلغن) \* بلفظ الوجدان لأنه انصرف إلى قوله \* (أحدهما) \* يعني إن يبلغ الكبير \* (أحدهما أو كلاهما) \* يعني إن بلغ أحد الأبوين عندك الهرم أو كلا الأبوين \* (فلا تقل لهما أف) \* أي لا تقذرهما ولا تقل لهما \* (أف) \* قولاً رديئاً عند خروج الغائط منهما إذا احتاجا إلى معالجتهم عند ذلك

قال الفقيه حدثنا أبو عبد الرحمن بن محمد قال حدثنا فارس بن مردويه قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا أصرم عن عيسى بن عبد الله الأشعري عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علم الله شيئاً من العقوق أعظم من أف لحرمه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار وقال مجاهد إذا كبرا فلا تأف لهما لأنهما قد رأيا منك مثل ذلك وقال القتيبي \* (لا تقل لهما أف) \* بكسر وبفتح وبضم وهو ما غلظ من الكلام يعني لا تستثقل شيئاً من كلامها ولا تغلظ لهما القول قرأ ابن كثير وابن عامر \* (أف) \* بنصب الفاء وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص \* (أف) \* بكسر الفاء مع التنوين وقرأ الباقون \* (أف) \* بكسر الفاء بغير تنوين ومعنى ذلك كله واحد \* (ولا تنهرهما) \* يقول لا تغلظ عليهما القول \* (وقل لهما قولاً كريماً) \* أي لينا حسناً قوله \* (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) \* أي كن ذليلاً رحيماً عليهما وروى هشام عن عروة عن أبيه في قوله \* (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) \* قال يكون لهما ذليلاً ولا يمتنع من شيء أحباه وقال عطاء جناحك يداك لا ينبغي أن ترفع يديك على والديك ولا ينبغي لك أن تحد بصرك إليهما تغيظاً وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا دعاك أبواك وأنت في الصلاة فأجب أمك ولا تجب أباك وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كان جريج الراهب فقيها لعلم أن إجابة أمه أفضل من صلاته

قال الفقيه أبو الليث رضي الله عنه لأن في ذلك الوقت كان الكلام الذي يحتاج إليه مباحاً في الصلاة وكذلك في أول شريعتنا ثم نسخ الكلام في الصلاة فلا يجوز أن يجيبها إلا إذا علم أنه وقع لها أمر مهم فيجوز له أن يقطع ثم يستقبل ثم قال تعالى \* (وقل رب ارحمهما) \* أي عند معالجتك في الكبير إياهما ويقال رب اجعل رحمتهم في قلبي حتى أريهما في كبرهما \* (كما ربياني صغيراً) \* أي كما عالجاني في صغري ويقال معناه أدع لهما بالرحمة بعد موتهم أي كن باراً بهما في حياتهما وادع لهما بعد موتهما

سورة الإسراء ٢٥ - ٢٧



ثم قال تعالى \* (ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين) \* أي بارين فإن لم تكونوا بارين فارجعوا إلى الله وتوبوا إليه \* (فإنه كان للأوابين غفورا) \* أي للراجعين من الذنوب إلى طاعة الله تعالى وقال مجاهد الأواب الذي يذكر ذنوبه في الخلوة ويستغفر منها وقال سعيد بن جبير الأواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الحسن الأواب الذي يقبل إلى الله بقلبه وعمله وقال السدي الأواب المحسن وقال القتيبي الأواب التائب مرة بعد مرة من قولك آب يؤوب ويقال الأواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء

قوله تعالى \* (وآت ذا القربى حقه) \* أي صلته \* (والمسكين) \* أي أعط السائلين \* (وابن السبيل) \* أي الضيف النازل وحقه ثلاثة أيام \* (ولا تبذر تبذيرا) \* أي لا تنفق مالك في غير طاعة الله تعالى وروي عن عثمان بن الأسود أنه قال سمعت مجاهدا ونحن نطوف بالبيت ورفع رأسه إلى أبي قبيس وقال لو كان أبو قبيس ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهما في طاعة الشيطان كان مسرفاً وروى الأعمش عن الحكم عن أبي عبيدة وكان ضريراً وكان عبد الله بن مسعود يذنيه فجاءه يوماً فقال من نسأل إن لم نسألك فقال سل فقال فما الأواه قال الرحيم قال فما التبذير قال إنفاق المال في غير حقه قال فما الماعون قال ما يعاره الناس فيما بينهم قال فما الأمة قال الذي يعلم الناس الخير

ثم قال تعالى \* (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) \* أي المنفقين أموالهم في غير طاعة الله تعالى كانوا أعوان الشياطين \* (وكان الشيطان لربه كفورا) \* أي كافراً

سورة الإسراء ٢٨ - ٢٩

قوله عز وجل \* (وإما تعرضن عنهم) \* أي عن قرابتك في الرحم وغيرهم ممن يسألك حياء منهم ورحمة لهم \* (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) \* أي انتظار رزق من ربك أن يأتيك أو قدوم مال غائب عنك ترجو حضوره \* (فقل لهم قولا ميسورا) \* أي هينا لينا وعدهم عدة حسنة وقال مقاتل نزلت الآية في خباب بن الأرت وبلال وعمار ونحوهم من أصحاب الصفة كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجد شيئاً يعطيهم فيعرض عنهم فنزلت الآية وقال السدي معناه لا تعرض عنهم ابتغاء أن تصيب مالا \* (فقل لهم قولا ميسورا) \* أي قل لهم نعم وكرامة ليس عندنا اليوم شيء فإن أتانا شيء نعرف حقكم وقال محمد بن الحنفية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول لشيء لا فإذا سئل وأراد أن يفعل يقول نعم وإذا لم يرد أن يفعل سكت فكان قد علم ذلك منه

قوله \* (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) \* يقول لا تمسك يدك في النفقة من البخل بمنزلة المغلولة يده إلى عنقه \* (ولا تبسطها كل البسط) \* في الإسراف فتعطي جميع ما عندك فيجيء الآخرون ويسألونك فلا تجد ما تعطيهم وهذا قول ابن عباس وقال قتادة لا تمسكها عن طاعة الله وعن حقه \* (ولا تبسطها كل البسط) \* يقول لا تنفقها في المعصية وفيما لا يصلح وقال مقاتل في قوله \* (لا تبسطها كل البسط) \* في العطيّة فلا يبقى عندك شيء وإذا سئلت لم تجد ما تعطيهم وقال بعض الحكماء كان النبي صلى الله عليه وسلم لأمتة كالوالد ولا ينبغي للوالد أن يعطي جميع ماله لبعض ولده ويترك الآخرين فنهاه الله تعالى أن يعطي جميع ماله لمسكين واحد وأمره أن يقسم بالسوية كي لا يياسوا منه

ثم قال تعالى \* (فتقعد ملوما محسورا) \* يعني لو أعطيت جميع مالك فتبقى \* (ملوما) \* يلومك الناس وتلوم نفسك \* (محسورا) \* منقطعا عن المال لا مال لك والمحسور في اللغة المنقطع وروي في الخبر أن امرأة بعثت ابنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له قل له إن أمي تستكسيك درعا فإن قال لك حتى يأتينا شيء فقل له إنها إذن تستكسيك قميصك فأتاه فقال له إن أمي تستكسيك درعا فقال له حتى يأتينا شيء فقال إنها تستكسيك قميصك قال فنزع قميصه ودفعه إليه ولم يبق له قميص يخرج به إلى الصلاة فنزلت هذه الآية \* (ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) \* أي تبقى عريانا لا تقدر أن تخرج إلى الصلاة بغير قميص قال الفقيه إذا أردت أن تعرف أن البخل قبيح فانظر إلى هذه الآية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أعطى قميصه حتى عجز عن الخروج إلى الصلاة عاتبه الله تعالى على ذلك فبدأ بالنهي عن الإمساك فقال \* (ولا تجعل يدك مغلولة) \* فنهاه أولا عن البخل ثم نهاه عن دفع الكل وهو التبذير

سورة الإسراء ٣٠ - ٣٣

ثم قال تعالى \* (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء) \* أي يوسع الرزق على من يشاء من كان صلاحه في ذلك " ويقدر " أي يضيق على من يشاء في الرزق وقال الحسن " إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر " لمن يشاء \* (إنه كان بعباده خبيرا بصيرا) \* من البسط والتقدير يعلم صلاح كل واحد من خلقه

قوله عز وجل \* (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) \* أي مخافة الفقر \* (نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيراً) \* أي ذنباً عظيماً ويقال ظلماً عظيماً وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال يا رسول الله ثم أي قال أن تزني بحليلة جارك قال ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قرأ ابن عامر \* (خطأ كبيراً) \* بنصب الخاء وجزم الطاء وقرأ ابن كثير " خطأ " بكسر الخاء وفتح الطاء ومد الألف وقرأ الباقون بكسر الخاء بغير مد أي إثماً كبيراً ويقال خطيء يخطأ خطأ مثل أثم يَأْثمُ إثماً ومن قرأ بالنصب معناه إن قتلهم كان غير صواب يقال أخطأ يخطئ خطأ وخطأ وقرأ بعضهم بنصب الخاء والطاء وهي قراءة شاذة ثم قال \* (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة) \* أي معصية \* (وساء سييلاً) \* أي بئس المسلك وروي عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود أنه قال لا أحد أغير من الله وبذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى ولذلك مدح نفسه ولا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى ولذلك بعث الرسل وأنزل الكتب

ثم قال تعالى \* (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) \* يعني إلا بإحدى ثلاث مواضع إذا قتل أحداً فيقتص به أو زنى وهو محصن فيرجم أو يرتد فيقتل \* (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) \* أي سييلاً وحنة عليه إن شاء قتله وإن شاء عفا عنه وإن شاء أخذ الدية يعني إذا إصطلحا وقال مجاهد كل سلطان في القرآن فهو حنة وكل ظن في القرآن فهو يقين \* (فلا يسرف في القتل) \* بالتاء على معنى المخاطبة أي لا تقتل غير القاتل حمية ولا تقتل بعد ما عفا أو أخذ الدية \* (إنه كان منصوراً) \* أي معاناً من الله تعالى في كتابه جعل الأمر إليه في القود قرأ حمزة والكسائي " فلا تسرف " بالتاء على معنى المخاطبة وقرأ الباقون بالياء

سورة الإسراء ٣٤ - ٣٨

ثم قال عز وجل \* (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) \* أي إلا على وجه التجارة لينمو مال اليتيم بالأرباح أو ينمو على وجه المضاربة \* (حتى يبلغ أشده) \* يعني حتى \* (يبلغ) \*

ويتم خلقه وقال القتيبي أشد الرجل غير أشد اليتيم وإن كان لفظهما واحدا لأن قوله تعالى \* (حتى إذا بلغ أشده) \* [الأحقاق: ٢٥] إنما هو الإكتهال وذلك ثلاثون سنة وأشد الغلام أن يشتد خلقه وذلك ثمان عشرة سنة وقال مقاتل هذه الآية منسوخة بقوله \* (وإن تخالطوهم فإخوانكم) \* [البقرة: ٢٢٠]

ثم قال \* (وأوفوا بالعهد) \* يعني العهد الذي بينكم وبين الله تعالى والعهد الذي بينكم وبين الناس \* (إن العهد كان مسؤولاً) \* يعني إن ناقض العهد يسأل عنه يوم القيامة ثم قال عز وجل \* (وأوفوا الكيل إذا كلتم) \* لغيركم \* (وزنوا بالقسطاس المستقيم) \* أي بالميزان العدل بلغة الروم قرأ حمزة والكسائي \* (بالقسطاس) \* بكسر القاف والباقون بالضم وهما لغتان يعني الميزان ويقال هو القبان \* (ذلك خير) \* أي الوفاء بجميع ما أمركم الله به ونهاكم عنه خير من البخس والنقصان \* (وأحسن تأويلاً) \* أي عاقبة ومرجعاً في الآخرة

وقال \* (ولا تقف ما ليس لك به علم) \* يقول لا تقل ما لم تعلم فتقول علمت ولم تعلم ورأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع أي كأنك تقفو الأمور يقال قفوت أثره والقائف الذي يعرف الآثار ويتبعها

ثم حذرهم فقال \* (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) \* أي يسأل العبد عن أعضائه يوم القيامة فيشهدن عليه ويقال معناه صاحب السمع والبصر والفؤاد يسأل يوم القيامة عن السمع والبصر والفؤاد ويقال معنى قوله \* (ولا تقف ما ليس لك به علم) \* أي لا تقل ما لم تعلم ولا تسمع اللغو ولا تنظر إلى الحرام ولا تحكم على الظن \* (كل أولئك كان عنه مسؤولاً) \* يعني عن الكلام باللسان والتسمع بالسمع والتبصر بالبصر على وجه الإضمار وهو من جوامع الكلم

ثم قال \* (ولا تمش في الأرض مرحاً) \* يعني بالتكبر والفخر \* (إنك لن تحرق) \* يعني لن تدخل \* (الأرض) \* ولن تجاوزها \* (ولن تبلغ الجبال طولا) \* يريد أنه ليس للعاجز أن يمدح نفسه ويستكبر \* (كل ذلك) \* أي كل ما أمرتك به ونهيتك عنه \* (كان سيئه عند ربك) \* أي ترك ذلك سيئة ومعصية عند الله \* (مكروها) \* أي منكراً قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع \* (سيئة) \* بنصب الهاء مع التنوين يعني خطيئة ومعناه ما ذكر في هذه الآية تركه كان معصية وسيئة وقرأ الباقر \* (سيئة) \* بضم الهاء على معنى الإضافة قال أبو عبيدة وبهذه القراءة نقراً وحجته قراءة أبي كان يقرأ سيئاته على معنى الإضافة

سورة الإسراء ٣٩ - ٤١

قوله عز وجل \* (ذلك مما أوحى إليك ربك) \* يعني مما بين الله تعالى وأمر ونهى وكان ذلك مكتوبا في اللوح وأوحى إليك ربك \* (من الحكمة) \* أي بيان الحلال والحرام \* (ولا تجعل) \* أي لا تقل \* (مع الله إلها آخر) \* فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته \* (فتلقى) \* أي تطرح \* (في جهنم ملوما) \* أي يلومك الناس \* (مدحورا) \* أي مقصيا من كل خير وقال القتيبي \* (مدحورا) \* أي مبعدا يقال في الدعاء اللهم إدر عني الشيطان أي أبعده عني

قوله عز وجل \* (أفأصفاكم ربكم بالبنين) \* أي أفاختاركم بالبنين \* (واتخذ) \* لنفسه \* (من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما) \* في العقوبة ويقال قولا منكرا قبيحا قال تعالى \* (ولقد صرفنا في هذا القرآن) \* أي من كل وجه \* (ليذكروا) \* أي ليتعظوا بالقرآن ويقال في القرآن من كل شيء يحتاج إليه الناس ويقال بينا في هذا القرآن من كل وعد ووعد \* (ليذكروا) \* أي ليتعظوا بما في القرآن فينتهوا عن عبادة الأوثان \* (وما يزيدهم) \* أي الوعيد في القرآن \* (إلا نفورا) \* أي تباعدا عن الإيمان قرأ حمزة والكسائي \* (ليذكروا) \* بالتخفيف يعني ليذكروا ما فيه وقرأ الباقون بالتشديد لأن أصله ليتذكروا فأدغم التاء في الذال وشد

سورة الإسراء ٤٢ - ٤٤

قوله عز وجل \* (قل لو كان معه آلهة) \* قال ابن عباس قل لأهل مكة \* (لو كان معه آلهة) \* \* (كما يقولون) \* من الأوثان \* (إذا لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلا) \* أي طريقا وكانوا كهيئته وقال قتادة أي يعرفوا فضل ذي العرش ومرتبته عليهم ويقال إبتغوا طريقا للوصول إليه وقال مقاتل لطلبوا سبيلا ليقهروه كفعل الملوك بعضهم بعضا

ثم نزه نفسه عن الشريك فقال تعالى \* (سبحانه) \* أي تنزيها له \* (وتعالى عما يقولون) \* أي عما يقول الظالمون أن معه شريكا \* (علوا كبيرا) \* أي بعيدا عما يقول الكفار

وقوله \* (تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن) \* من الخلق " وإن من شيء إلا يسبح بحمده " أي ما من شيء إلا يسبح له بأمره وبعلمه \* (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) \* وقال الكلبي كل شيء ينبت يسبح من الشجر وغير ذلك فإذا قطع منه صار ما قطع منه ميتا لا يسبح

وروي عن الحسن أنه قيل له أيسبح هذا الخوان قال كان يسبح في شجره فأما الآن فلا ويقال إذا قطع الشجر فإنه يسبح ما دام رطبا بدليل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مر بقبرين فقال إنهما ليعذبان في القبر ومما يعذبان بكبيرة فأما أحدهما كان يمشي بالنميمة

( ३१२ )

وأما الآخر فكان لا يستنزه عن البول ثم أخذ جريدتين من شجر وغرس إحداهما في قبر والأخرى في قبر الآخر فقال لعلهما لا يعذبان ما دامتا رطبتين قال الحكماء الحكمة في ذلك أنهما ما دامتا رطبتين تسبحان الله تعالى ويقال معناه ما من شيء إلا يسبح بحمده ويقال معناه " وإن من شيء إلا يسبح بحمده " يدل على وحدانية الله تعالى ويسبحه فإن الله خالقه \* (ولكن لا تفقهون تسيحهم) \* يعني أثر صنعه فيهم هذا بعيد وهو خلاف أقاويل المفسرين \* (إنه كان حليما) \* حيث لم يجعل العقوبة لمن اتخذ معه آلهة \* (غفورا) \* لمن تاب منهم

سورة الإسراء ٤٥ - ٤٧

قوله عز وجل \* (وإذا قرأت القرآن) \* يعني إذا أخذت في قراءة القرآن \* (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) \* قال بعضهم الحجاب المستور هو أن يمنعهم عن الوصول إليه كما روي أن امرأة أبي لهب جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده أبو بكر فدخلت فقالت لأبي بكر هجاني صاحبك قال أبو بكر والله هو ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت فقال أبو بكر أما رأيتك يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل بيني وبينها ملك يسترني عنها حتى رجعت وقال قتادة الحجاب المستور هو الأكنة وقال مقاتل الحجاب المستور هو قوله \* (وجعلنا على قلوبهم أكنة) \* أي جعلنا أعمالهم على قلوبهم أغطية حتى لا يرغبوا في الحق ويقال \* (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) \* يعني الجن والشياطين \* (حجابا مستورا) \* فلا يصلون إليك وقال الكلبي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا القرآن ستره الله وحجبه عن المشركين بثلاث آيات إذا قرأهن حجب عنهم إحداهن في سورة الكهف \* (وجعلنا على قلوبهم أكنة) \* [الكهف: ٥٧] والآية الثانية في النحل \* (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) \* [النحل: ١٠٨] والثالثة في حم الجاثية " أفريت من اتخذ إليه هواه " [ال جاثية: ٢٣] الآية قوله تعالى \* (وفي آذانهم وقرا) \* أي صمما وثقلا لا يسمعون الحق قرأ ابن كثير " قل لو

كان معه آلهة كما يقولون) [الإسراء: ٤٢] كلها بالتاء على معنى المخاطبة والآخرين بالياء وقرأ أبو عمرو الأوسط بالياء واختلفوا عن عاصم في رواية حفص الآخر خاصة بالتاء وروى أبو بكر مثل ابن عامر

وقال تعالى \* (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) \* يعني وحدانيته قول لا إله إلا الله \* (ولوا على أديبارهم نفورا) \* أي أعرضوا تباعدا عن الإيمان وقال القتيبي ولوا على أعقابهم هربا وهو مثل ما قال مقاتل ولوا على أعقابهم وذلك حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا إله إلا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم فنفروا من ذلك

ثم قال \* (نحن أعلم بما يستمعون به) \* يعني بالقرآن \* (إذ يستمعون إليك) \* أي إلى قراءتك القرآن \* (وإذ هم نجوى) \* يعني يتناجون فيما بينهم \* (إذ يقول الظالمون) \* أي المشركون للمؤمنين \* (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) \* أي ما تطيعون إلا رجلا مغلوب العقل وذكر القتيبي عن مجاهد أنه قال \* (مسحورا) \* أي مخدوعا لأن السحر حيلة وخديعة كقوله \* (فأنى تسحرون) \* [المؤمنون: ٨٩] أي من أيه تخدعون وذكر عن أبي عبيدة قال السحر الرثة يقال للرجل إنتفخ سحرك إذا جبن يعني إن تتبعون إلا رجلا ذرئة أي بشرا مثلكم

سورة الإسراء ٤٨ - ٤٩

ثم قال \* (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) \* أي وصفوا لك الأشباه حيث قالوا ساحر أو مجنون \* (فضلوا) \* أي أخطؤوا في المقالة وتحيروا \* (فلا يستطيعون سبيلا) \* أي لا يجدون مخرجا مما قالوا لتناقض كلامهم لأنهم قالوا مرة ساحر والساحر عندهم المبالغ في العلم ومرة قالوا مجنون والمجنون عندهم من هو في غاية الجهل قال ابن السائب وذلك أن أبا سفيان بن حرب وحويطب بن عبد العزى وأبا جهل بن هشام وأبا لهب وامراته جميلة أخت أبي سفيان والنضر بن الحارث وغيرهم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمعون إلى حديثه فقال النضر ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه ما أدري ما يقول محمد غير أنني أرى شفتيه تتحركان فقال أبو جهل هو مجنون وقال أبو لهب بل هو كاهن وقال حويطب بل هو شاعر فنزل \* (وإذا قرأت القرآن) \* إلى قوله \* (قل عسى أن يكون قريبا) \* وقوله \* (وقالوا أنذا كنا عظاما) \* أي صرنا عظاما \* (ورفاتا) \* أي ترابا \* (أئنا لمبعوثون) \* أي لمحيون في الآخرة \* (خلقنا جديدا) \* والاختلاف في قوله \* (ائنا) \* في القرآن مثل ما ذكرنا في الرعد



سورة الإسراء ٥٠ - ٥٣

قال الله تعالى \* (قل كونوا حجارة أو حديدا) \* اللفظ لفظ الأمر ومعناه معنى الخبر يعني لو كنتم من الحجارة أو من الحديد \* (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) \* قال مجاهد معناه حجارة أو حديدا أو ما شئتم فكونوا فسيعيدكم الله الذي فطركم أول مرة كما كنتم ويقال \* (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) \* يعني السماء والأرض والجبال وقال الكلبي معناه لو كنتم الموت لأماتكم الله وعن الحسن وسعيد بن جبير وعكرمة قالوا \* (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) \* يعني الموت فبيعتكم كما خلقكم أول مرة قالوا لو كنا من الحجارة أو من حديد أو من الموت فمن يعيدنا وهو قوله تعالى \* (فسيقولون من يعيدنا قل) \* يا محمد فسيعيدكم الله \* (الذي فطركم) \* أي خلقكم \* (أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم) \* يهزون إليك رؤوسهم تعجبا من قولك وقال القتيبي يعني يحر كونها استهزاء بقولك وقال الزجاج أي سيحركون رؤوسهم تحريك من يستثقله ويستبطئه

\* (ويقولون متى هو) \* يعنون البعث \* (قل عسى أن يكون قريبا) \* وكل ما هو آت فهو قريب و \* (عسى) \* من الله واجب قالوا يا محمد فمتى هذا القريب فنزل \* (يوم يدعوكم) \* يعني إسرئيل وهي النفخة الأخيرة \* (فتستجيبون بحمده) \* يقول تخرجون من قبوركم بأمره وتقصدون نحو الداعي وقال مقاتل يوم يدعوكم من قبوركم فتستجيبون للداعي بأمره وذلك أن إسرئيل يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو أهل القبور في قرن أيتها العظام البالية واللحوم المتفرقة والعروق المتقطعة أخرجوا من قبوركم فيخرجون من قبورهم

ثم قال \* (وتظنون إن لبثتم) \* في القبور \* (إلا قليلا) \* أي ما لبثتم في القبور إلا يسيرا قال الكلبي وذلك أنه يرفع عنهم العذاب ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة فينسون العذاب فيظنون أنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا يسيرا وروي ذلك عن ابن عباس وهذا أصح ما قيل فيه لأن بعض المبتدعين قالوا إذا وضع الميت في قبره لا يكون عليه العذاب إلى وقت البعث فيظنون أنهم مكثوا في القبر قليلا قوله عز وجل \* (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) \* قال ابن عباس كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه المشركون بمكة بالقول فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل \* (وقل لعبادي) \* أي المسلمين \* (يقولوا التي هي أحسن) \* أي يجيبوا بجواب حسن برد السلام بلا

فحش وهذا كقوله \* (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) \* [الفرقان: ٦٣] ويقال  
نزلت الآية في شأن أبي بكر سبه رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله  
بالكف عنه ويقال نزلت في شأن عمر كان بينه وبين كافر كلام  
ثم قال تعالى " إن الشيطان ينزع بينهم " أي يوسوس ويوقع بينهم العداة لعنه الله ليفسد  
أمرهم \* (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) \* أي ظاهر العداوة وهذا كقوله " إن  
الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا [فاطر: ٦]

سورة الإسراء: ٥٤ - ٥٧

ثم قال عز وجل " ربكم أعلم بكم " أي أعلم بأحوالكم وما أنتم فيه من أذى  
المشركين " إن يشأ يرحمكم " فينجيكم من أهل مكة إذا صبرتم على ذلك " أو إن  
يشأ يعذبكم " فيسلطهم عليكم إذا جزعتم ولم تصبروا " وما أرسلناك عليهم وكيلا "  
يعني مسلطا وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ويقال " وما أرسلناك عليهم وكيلا " أي ليست  
المشيئة إليك في الهدى والضلالة

وقال " وربك أعلم بمن في السماوات والأرض " أي ربك عالم بأهل السماوات وأهل  
الأرض وهو أعلم بصلاح كل واحد منهم

قوله عز وجل " ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض " منهم من فضل الله بالكلام وهو  
موسى ومنهم من اتخذه خليلا وهو إبراهيم عليه السلام ومنهم من رفعه مكانا عليا وهو  
إدريس ومنهم من اصطفاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم " وآتينا داود زبوراً " أي  
كتابا قال مقاتل الزبور مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا فريضة إنما ثناء على  
الله عز وجل قرأ حمزة " زبوراً " بضم الزاي وقرأ الباقون بالنصب وهما لغتان ومعناهما  
واحد

قوله " قل ادعوا الذين زعمتم من دونه " قال ابن عباس إن ناسا من خزاعة كانوا يعبدون  
الجن وهم يرون أنهم هم الملائكة فقال الله تعالى " قل ادعوا الذين زعمتم من دونه "  
أي تعبدون من دون الله " فلا يملكون \* (لا يقدرون) \* كشف الضر عنكم " يقول  
صرف السوء عنكم من الأمراض والبلاء إذا نزل بكم " ولا تحويلا " يقول ولا تحويله  
إلى غيره ما هو أهون منه ويقال ولا يحولونه إلى غيرهم " أولئك " يعني الملائكة "  
الذين يدعون " أي يعبدونهم ويدعونهم آلهة قرأ ابن مسعود " تدعون " بالثناء على معنى

المخاطبة \* (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) \* يقول يطلبون إلى ربهم القربة والفضيلة والكرامة بالأعمال الصالحة \* (أيهم أقرب) \* أكرم على الله تعالى وأقرب في الفضيلة والكرامة \* (ويرجون رحمته) \* أي جنته \* (وينخافون عذابه) \* أي ناره \* (إن عذاب ربك كان محذورا) \* يعني لم يكن لأحد أمان من عذاب الله تعالى ويقال \* (محذورا) \* يعني ينبغي أن يحذر منه

وروى الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود أنه قال كان ناس من الإنس يعبدون قوما من الجن فأسلم الجن وبقي الإنس على كفرهم فأنزل الله \* (أولئك الذين يدعون) \* أي الجن \* (يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) \* وروى السدي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال \* (أولئك الذين يدعون) \* عيسى وعزيرا والملائكة وما عبد من دون الله وهو لله مطيع

سورة الإسراء ٥٨ - ٦٠

قوله عز وجل \* (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) \* قال ابن عباس يعني نमित أهلها \* (أو معذبوها عذابا شديدا) \* يعني بالسيف والزلازل والأمراض والخوف والغرق والحرق \* (كان ذلك في الكتاب مسطورا) \* أي في الذكر الذي عند الله وقال مجاهد \* (مهلكوها) \* أي ميبدوها أو معذبوها بالقتل

والبلاء ما كان من قرية في الأرض إلا سيصيبها بعض ذلك روى حماد بن سلمة عن أبي العلاء عن مكحول أنه قال أول أرض تصير خرابا أرض أرمينية وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال أول أرض تصير خرابا أرض الشام وروى ابن سيرين عن ابن عمر أنه قال البصرة أسرع الأرضين خرابا وأخبثهم ترابا عن علي بن أبي طالب أنه قال أكثروا الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فكأنني برجل من الحبشة حمش الساقين يهدمها حجرا حجرا

ثم قال تعالى \* (وما منعنا أن نرسل بالآيات) \* وذلك أن قريشا طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية فنزل \* (وما منعنا) \* أي ليس أحد يمنعنا أن نرسل الآيات عندما سألوها \* (إلا أن كذب بها الأولون) \* يعني تكذيب الأولين حين أتتهم الآيات فلم يؤمنوا فأتاهم العذاب

قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا أبو العباس بن السراج قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال حدثنا جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل الصفا لهم ذهباً وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعونها فقبل له إن شئت أن تستأني بهم لعلنا نتخير منهم وإن شئت أن نريهم الذي سألوها فإن كفروا أهلکوا كما هلك من كان قبلهم فقال بل أستأني بهم فنزل \* (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) \*

ثم قال \* (وآتينا ثمود الناقة مبصرة) \* أي معاينة يبصرونها ويقال علامة لنبوته \* (فظلموا بها) \* أي جحدوا بها فعقروها فعذبوا فقال الله تعالى \* (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) \* لهم ليؤمنوا فإن أبوا أتاهم العذاب

قوله عز وجل \* (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) \* قال الكلبي أحاط علمه بالناس ويقال هم في قبضته أي قادر عليهم وقال قتادة يعني يمنعك من الناس حتى تبلغ رسالات الله وقال السدي معناه إن ربك مظهرك على الناس قال عز وجل \* (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) \* قال حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا محمد بن إبراهيم بن أحمد الديلمي قال حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال في قوله \* (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) \* قال هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به \* (والشجرة الملعونة في القرآن) \* أي ذكر الشجرة الملعونة في القرآن فتنة لهم يعني بلية لهم وذلك أن المشركين قالوا يخبرنا هذا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجرة فصار ذلك فتنة لهم يعني بلية لهم

ويقال لما نزل \* (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) \* قالوا هي التمر والزبد فرجع أبو جهل إلى منزله فقال لجاريتته زقمينا وأمرها أن تأتي بالتمر والزبد فخرج به إلى الناس وقال كلوا فإن محمداً يخوفكم بهذا فصار ذكر الشجرة فتنة لهم ثم يخوفهم بذكر شجرة الزقوم فذلك قوله \* (ونخوفهم) \* \* (فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً) \* يعني تمادياً في المعصية قال الكلبي قوله \* (والشجرة) \* قال هي شجرة الزقوم ثم قال هي ليلة أسري به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس فنشر له الأنبياء كلهم فصلى بهم ثم صلى الغداة بمكة فكذبوه فذلك قوله \* (فتنة للناس) \* حين كذبه أهل مكة وقال عكرمة أما إنها رؤيا عين يقظة ليست برؤيا منام وقال سعيد بن المسيب أري النبي صلى الله عليه وسلم بني أمية على المنابر فسأه ذلك فقبل له إنما هي دنيا يعطونها فقرت عينه فنزل " وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة لنا " يعني بني أمية

سورة الإسراء ٦١

ثم قال تعالى \* (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أسجدت لئن خلقت طيناً) \* فتعظم عن السجود لآدم

(३१४)

وقال \* (قال أرايتك هذا الذي كرمت علي) \* الآية وفيها مضمرة معناه فلعله الله فقال إبليس أرايتك هذا الذي لعنتني لأجله وفضلته علي \* (لئن أخرتن إلى يوم القيامة) \* يعني لئن أجلتني إلى يوم البعث قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع " لئن أخرتني " بالياء عند الوصل وقرأ الباقر وغير ياء لأن الكسرة تقوم مقامه ثم قال \* (لأحتنكن ذريته) \* أي لأستزلن ذريته يقول أطلب زلتهم وقال القتيبي \* (لأحتنكن) \* أي لأستأصلن يقال إحتنك الجراد ما على الأرض إذا أكله كله ويقال هو من حنك الدابة يحنكها حنكا إذا شد في حنكها الأسفل حبلا يقودها به أي لأقودنهم حيث شئت \* (إلا قليلا) \* يعني الأنبياء والمخلصين لله ويقال إلا من عصمته مني

قوله عز وجل \* (قال اذهب فممن تبعك) \* أي من أطاعك \* (منهم فإن جهنم جزاؤكم) \* يعني نصيبكم من العذاب في النار \* (جزاء موفورا) \* أي نصيبا \* (موفورا) \* أي وافرا لا يفتر عنهم

ثم قال \* (واستفزز) \* يقول إستزل \* (من استطعت منهم بصوتك) \* يقول بدعائك ووسوستك ويقال بأصوات الغناء والمزامير \* (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) \* يعني إستعن عليهم بأعوانك من مردة الشياطين الذين يوسوسون للناس ويقال خيل المشركين ورجالهم وكل خيل تسعى في معصية الله تعالى فهي من خيل إبليس قرأ عاصم في رواية حفص \* (ورجلك) \* بنصب الرء وكسر الجيم فدل الواحد على الجنس وقرأ الباقر بجزم الجيم وهو جمع الراجل

\* (وشاركهم في الأموال) \* أي ما أكل من الأموال بغير طاعة الله تعالى وهو ما جمع من الحرام ويقال \* (وشاركهم في الأموال) \* وهو ما جعلوا من الحرث والأنعام نصيبا لآلهتهم ويقال كل طعام لم يذكر اسم الله عليه فللشيطان فيه شركة قال الفقيه رضي الله عنه حدثنا الفقيه أبو جعفر قال حدثنا أحمد بن حنبل قال حدثنا سفيان بن يحيى قال حدثنا أبو مطيع عن الربيع بن زيد عن أبي محمد وهو رجل من أصحاب أنس قال قال إبليس لربه يا رب جعلت لبني آدم بيوتا فما بيتي قال الحمام قال وجعلت لهم مجلسا فما مجلسي قال السوق قال وجعلت لهم قرآنا فما قرآني قال

الشعر قال وجعلت لهم حديثا فما حديثي قال الكذب قال وجعلت لهم أذانا فما أذاني قال المزمير قال وجعلت لهم رسلا فما رسلي قال الكهنة قال وجعلت لهم كتابا فما كتابي قال الوشم قال وجعلت لهم طعاما فما طعامي قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال وجعلت لهم شرابا فما شرابي قال كل مسكر قال وجعلت لهم مصايد فما مصايدي قال النساء

ثم قال \* (وشاركهم في الأموال) \* أي كل نفقة في معصية الله تعالى \* (والأولاد) \* أي أولاد الزنى فهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير ويقال هو ما سموا أولادهم عبد العزى وعبد الحارث ويقال كل معصية بسبب الولد ويقال إذا جامع الرجل أهله ولم يذكر اسم الله فيه جامع معه الشيطان ويقال المرأة النائحة والسكرانة يجمعها الشيطان فيكون له شركة في الولد قال الفقيه أبو الليث هذا الكلام مجاز لا على وجه الحقيقة إنما يراد به المثل

ثم قال " وعدهم " أي منهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث \* (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) \* أي باطلا

سورة الإسراء ٦٥ - ٦٩

قوله تعالى \* (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) \* أي حجة ويقال نفاذ الأمر \* (وكفى بربك وكيفا) \* أي كفيلا على ما قال ويقال حفيظا لهم وقال أبو العالية قوله \* (إن عبادي) \* الذين لا يطيعونك

ثم ذكر الدلائل والنعم ليطيعوه ولا يطيعوا الشيطان ثم قال \* (ربكم الذي يزجي لكم الفلك) \* أي يسير لكم الفلك \* (في البحر لتبتغوا من فضله) \* أي من رزقه \* (إنه كان بكم رحيمًا) \* يعني إن ربكم رحيم بكم

ثم قال \* (وإذا مسكم الضر في البحر) \* يقول إذا أصابكم الخوف وأهوال البحر \* (ضل من تدعون إلا إياه) \* أي بطل من تدعون من الآلهة وتخلصون بالدعاء لله تعالى \* (فلما نجاكم إلى البر) \* يعني من أهوال البحر \* (أعرضتم) \* أي تركتم الدعاء والتضرع ورجعتم إلى عبادة الأوثان \* (وكان الإنسان كفورا) \* أي كافرا \* (كفورا) \* بأنعم الله

قوله تعالى \* (أفأنتم) \* يعني إن عصيتموه \* (أن يخسف بكم) \* أي يغور بكم \*  
(جانب البر) \* إلى الأرض السفلى وقال مقاتل يعني ناحية من البر \* (أو يرسل عليكم  
حاصبا) \* أي حجارة من فوقكم كما أرسل على قوم لوط \* (ثم لا تجدوا لكم وكيلا)  
\* أي مانعا يمنعكم

قوله تعالى \* (أم أمتكم أن يعيدكم فيه) \* أي البحر \* (تارة أخرى) \* يعني مرة أخرى \*  
(فيرسل عليكم قاصفا من الريح) \* أي ريحا شديدا \* (فيغرقكم بما كفرتم) \* بالله  
وبنعمه \* (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) \* أي من يتبعنا ويطلبنا بدمائكم كقوله \*  
(فاتباع بالمعروف) \* [البقرة: ١٧٨] أي مطالبة حسنة ويقال يعني ثائرا ولا ناصرًا ينتقم  
لكم مني قرأ ابن كثير وأبو عمرو " أن نخسف بكم " " أو نرسل " " أن نعيدكم فنرسل  
عليكم فنغرقكم " هذه الخمسة كلها بالنون وقرأ الباقون كلها بالياء

سورة الإسراء: ٧٠ - ٧٢

ثم قال تعالى \* (ولقد كرمتنا بني آدم) \* بعقولهم وقال الضحاك \* (كرمتنا بني آدم) \*  
بالعقل والتميز ويقال إن الله تعالى خلق نبات الأرض والأشجار وجعل فيها الروح لأنه  
ينمو ويزداد بنفسه ما دام فيه الروح فإذا يبس خرج منه الروح وانقطع نماؤه وزيادته  
وخلق الدواب وجعل لهن زيادة روح تطلب بها رزقها وتسمع منه الصوت وخلق بني  
آدم وجعل لهم زيادة روح يعقلون بها ويميزون ويعلمون وخلق الأنبياء وجعل لهم  
زيادة روح يبصرون بها الملائكة ويأخذون بها الوحي ويعرفون أمر الآخرة  
ثم قال \* (وحملناهم في البر والبحر) \* أي \* (حملناهم في البر) \* على الرطوبة أي  
على ظهر الدواب وفي البحر على اليبوسة وهي السفن \* (ورزقناهم من الطيبات) \* أي  
الحلال ويقال من نبات الحبوب والفواكه والعسل وجعل رزق البهائم التبن والشوك \*  
(وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) \* يعني على الجن والشياطين والبهائم وروي  
عن ابن عباس أنه قال فضلوا على الخلائق كلهم غير طائفة من الملائكة جبريل  
وميكائيل وإسرافيل وأشباههم منهم وروي عن أبي هريرة أنه قال المؤمن أكرم على الله  
من الملائكة الذين عنده

قوله عز وجل " يوم ندعو كل أناس بإمامهم " أي بكتابهم ويقال بداعيهم الذي دعاهم  
في الدنيا إلى ضلالة أو هدى يدعى إمامهم قبلهم وقال أبو العالية \* (بإمامهم) \* أي



بأعمالهم وقال مجاهد بنبيهم وقال الحسن بكتابهم الذي فيه أعمالهم \* (فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم) \* أي يقرؤون حسناتهم ويعطون ثواب حسناتهم \* (ولا يظلمون فتيلًا) \* يعني لا يمنعون من ثواب أعمالهم مقدار الفتيل وهو ما فتلته

من الوسخ بين إصبعيك

ثم قال الله تعالى \* (ومن كان في هذه أعمى) \* أي من كان في هذه النعم أعمى يعني لم يعلم أنها من الله \* (فهو في الآخرة أعمى) \* عن حجته \* (وأضل سبيلاً) \* يعني أضل عن حجته قال مجاهد " من كان في هذه الدنيا أعمى " عن الحججة فهو في الآخرة أعمى عن الحججة \* (وأضل سبيلاً) \* أي أخطأ طريقاً وقال قتادة " من كان في هذه الدنيا أعمى " عما عاين من نعم الله وخلقه ومن عجائب الله فهو في الآخرة التي هي غائبة عنه ولم يرها أعمى

وقال مقاتل فيه تقديم ومعناه \* (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) \* ومن كان عن هذه النعم أعمى فهو عما غاب عنه من أمر الآخرة أعمى وقال الزجاج معناه إذا عمي في الدنيا وقد تبين له الهدى وجعل إليه التوبة وضل عن رشده فهو في الآخرة لا يجد متاباً ولا مخلصاً مما هو فيه فهو أشد عمى وأضل سبيلاً أي أضل طريقاً لأنه لا يجد طريقاً إلى الهداية فقد حصل على عمله وذكر عن الفراء أنه قال تأويله من كان في هذه النعم التي ذكرتها أعمى لا يعرف فضلها ولا يشكر عليها وهي محسوسة \* (فهو في الآخرة أعمى) \* يعني أشد شكاً في الذي هو غائب عنه في الآخرة من الثواب والعقاب

سورة الإسراء ٧٣

ثم قال تعالى \* (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) \* أي وقد كادوا ليصرفونك عن الذي أوحينا إليك إن قدروا على ذلك وذلك أن ثقيفا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن أحوالك وأصهارك وجيرانك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا تريدون قالوا نريد أن نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال فقال صلى الله عليه وسلم وما هن قالوا لا ننحني في الصلاة ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمتعنا بالأصنام سنة أي بطاعة الأصنام سنة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أما قولكم لا ننحني في الصلاة فإنه لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود قالوا فإننا نفعل ذلك وإن كان فيه دناءة وأما قولكم إنا لا نكسر أصنامنا بأيدينا فإننا سنأمر بكسرها قالوا فتمتعنا باللات فقال فإني غير ممتعكم بها سنة قالوا يا رسول الله فإننا نحب أن نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره أن يقول لا مخافة أن يأبوا الإسلام فنزل \* (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره) \*

وقال السدي إن قريشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إنك ترفض آلهتنا كل الرفض فلو أنك تأتيها فتمسها أو تبعث بعض ولدك فيمسها كان أرق لقلوبنا وأحرى أن نتبعك

فأراد أن يبعث ابنه

(٣٢٢)

الظاهر فيمسح فنهاه الله تعالى عن ذلك ونزل \* (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) \* وروى أبو معشر عن أصحابه منهم القرظي قال لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم فبلغ " أفريتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى " [النجم: ٢٠] جرى على لسانه تلك الغرائق العلى وأن شفاعتهن ترتجى فلما بلغ السجدة سجد فسجد معه المشركون ثم جاء جبريل فقال ما جئتكم بهذا فنزل \* (وإن كادوا ليفتنونك) \* إلى قوله \* (وإذا لاتخذوك خليلا) \* فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم مغموما حتى نزل \* (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) \* إلى قوله \* (ألقي الشيطان في أمنيه) \* الآية

وروى سعيد بن جبير عن قتادة قال ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونهم ويسودونه ويقاربونه وكان في قولهم أن قالوا يا محمد إنك تأتي بشيء لم يأت به أحد من الناس وأنت سيدنا وابن سيدنا فما زالوا يكلمونه حتى كاد أن يقاربهم ولا أن الله تعالى منعه وعصمه عن ذلك فقال تعالى \* (ولولا أن ثبتناك) \* [الإسراء: ٧٤] الآية وذلك قوله \* (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) \* في القرآن \* (لتفتري علينا غيره) \* يعني لتقول وتفعل غير الذي أمرتك في القرآن \* (وإذا لاتخذوك خليلا) \* أي صفياء وصديقا ويقال إن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أطرده عن مجلسك سقاط الناس ومواليهم حتى نجلس معك فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك فنزل \* (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) \* من تقريب المسلمين \* (وإذا لاتخذوك خليلا) \* لو فعلت ما طلبوا منك

سورة الإسراء: ٧٤ - ٧٦

ثم قال \* (ولولا أن ثبتناك) \* يقول عصمناك ويقال حفظناك \* (لقد كدت تركزن إليهم) \* أي هممت أن تميل إليهم \* (شيئا قليلا) \* وتعطي أمينتهم شيئا قليلا \* (إذا لأذقناك ضعف الحياة) \* أي عذاب الدنيا \* (وضعف الممات) \* أي عذاب الآخرة وهذا قول ابن عباس وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال \* (ضعف الحياة) \* عذابها أي عذاب الدنيا \* (وضعف الممات) \* أي عذاب الآخرة وهذا مثل الأول ويقال \* (ضعف الممات) \* أي عذاب القبر ويقال هذا وعيد للنبي صلى الله عليه وسلم أي لو فعلت ذلك يضاعف لك العذاب على عذاب غيرك كما قال تعالى " يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب

ضعفين) [الأحزاب: ٣٠] لأن درجة النبي صلى الله عليه وسلم ودرجة من وصفهم فوق درجة غيرهم فجعل لهم العذاب أشد وروى عن مالك بن دينار أنه قال سألت أبا الشعثاء عن قوله \* (ضعف الحياة وضعف الممات) \* فقال ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة

ثم قال \* (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) \* يقول مانعا يمنعك من ذلك ويقال مانعا يمنع منك العذاب \* (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) \* أي ليستزلونك وليخرجونك من أرض مكة \* (وإذا لا يلبثون خلافاك) \* أي بعدك \* (إلا قليلا) \* فيهلكهم الله تعالى

وروى عبد الرزاق عن معمر قال قد فعلوا ذلك فأهلكهم الله تعالى يوم بدر ولم يلبثوا بعده إلا قليلا وقال مقاتل \* (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض) \* يعني من أرض المدينة نزلت الآية في حيي بن أخطب وغيره من اليهود حين دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حسدوه وقالوا إنك لتعلم أن هذه ليست من أرض الأنبياء إنما أرض الأنبياء الشام فإن كنت نبيا فأخرج منها فخرج فنزل \* (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) \* أي من أرض المدينة إلى الشام \* (وإذا لا يلبثون خلافاك إلا قليلا) \* وأمر بالرجوع إلى المدينة  
سورة الإسراء: ٧٧ - ٧٨

ثم قال تعالى \* (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) \* أي هكذا سنتي فيمن قد مضى أن أهلك من عصوا الرسول ولم يتبعوه ولا أهلكهم ونبههم بين أظهرهم فإذا خرج نبهم من بين أظهرهم عذبهم \* (ولا تجد لستنا تحويلا) \* يعني تغييرا أو تبديلا قرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم في رواية حفص \* (لا يلبثون خلافاك) \* وقرأ الباقون \* (خلفك) \* ومعناها قريب أي بعدك

ثم قال عز وجل \* (أقم الصلاة لدلوك الشمس) \* أي بعد زوالها الظهر والعصر \* (إلى غسق الليل) \* أي إلى دخول الليل وهو المغرب والعشاء وروى سالم عن ابن عمر أنه قال دلوكها زيغها بعد نصف النهار وقال قتادة دلوكها زيغها عن كبد السماء وروى ابن طاوس عن أبيه أنه قال دلوكها غروبها وروى معمر عن الشعبي عن ابن عباس أنه قال \* (لدلوك الشمس) \* حين تزول الشمس وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال دلوكها غروبها وكذا قال ابن مسعود وقال القتيبي إلى غسق الليل والغسق ظلامه

ثم قال \* (وقرآن الفجر) \* أي صلاة الغداة وإنما سميت صلاة الغداة قرآنا لأن القراءة فيها أكثر وأطول ويقال لأنه يقرأ في كلتا الركعتين وفي كلتا الركعتين القراءة فريضة \* (إن قرآن الفجر كان مشهودا) \* أي صلاة الغداة مشهودة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار

(۳۲۴)

ويقال \* (كان) \* أي صار يعني صار مشهودا لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الغداة فينزل ملائكة النهار والقوم في صلاة الغداة قبل أن تعرج ملائكة الليل فإذا فرغ الإمام من صلاته عرجت ملائكة الليل فيقولون ربنا إنا تركنا عبادك وهم يصلون ويقول الآخرون ربنا أدركنا عبادك وهم يصلون \* (وقرآن الفجر) \* صار نصبا لأن معناه أقم قرآن الفجر ويقال صار نصبا على وجه الإغراء أي عليك بقرآن الفجر

سورة الإسراء ٧٩ - ٨١

ثم قال تعالى \* (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) \* يعني قم بالليل بعد النوم والتهجد القيام بعد النوم روى شهر بن حوشب عن أبي أمامة أنه قال كانت النافلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقال مجاهد لم تكن النافلة إلا للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويقال \* (نافلة لك) \* أي فضلا لك ويقال خاصة لك \* (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) \* قال مقاتل يعني إن الشفاعة لأصحاب الأعراف يحمده الخلق كلهم ويقال إخراج قوم من النار قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا محمد بن معاوية الأنماطي قال حدثنا الحسن بن الحسين عن عطية العوفي قال حدثنا أبو حنيفة عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله \* (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) \* قال يخرج الله أقواما من النار من أهل الإيمان بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فذلك المقام المحمود فيؤتى بهم نهرا يقال له الحيوان فيلقون فيه فينبتون كما ينبت التقارير ثم يخرجون فيدخلون الجنة فيسمون فيها الجهنميون ثم يطلبون إلى الله تعالى أن يذهب عنهم هذا الاسم فيذهب به عنهم وروي عن حذيفة بن اليمان أنه قال يجتمع الأولون والآخرون يوم القيامة في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم المنادي فيقول يا محمد فيقول لبيك وسعديك والخير بيدك وهو المقام المحمود ويغبطه به الأولون والآخرون ثم قال تعالى \* (وقل رب أدخلني مدخل صدق) \* أي قال هذا حين أمره الله بالرجوع إلى المدينة أي أدخلني في المدينة إدخال صدق \* (وأخرجني مخرج صدق) \* يعني من المدينة إلى مكة إخراج صدق ويقال \* (أدخلني) \* في الدين \* (مدخل صدق) \* أي ثبتني على

الدين \* (وأخرجني) \* أي احفظني من الكفر ويقال أخرجني من الدنيا إخراج صدق وأدخلني في الجنة ويقال أدخلني بعز وشرف وإظهار الإسلام ويقال أدخلني في القبر مدخل صدق وأخرجني من القبر مخرج صدق وقال مجاهد أدخلني في النبوة والرسالة مدخل صدق الجنة وقال السدي أدخلني المدينة وأخرجني من مكة وعن أبي صالح أدخلني في الإسلام وارفعتني في الإسلام \* (واجعل لي من لدنك) \* أي من عندك \* (سلطانا نصيراً) \* أي ملكاً مانعاً لا زوال فيه ولا يرد قولي ويقال حجة ثابتة ظاهرة قوله عز وجل \* (وقل جاء الحق) \* ظهر الإسلام والقرآن \* (وزهق الباطل) \* يقول وهلك الشرك وأهله \* (إن الباطل كان زهوقاً) \* يعني إن الشرك كان هالكا لم يكن له قرار ولا دوام روي عن عبد الله بن الشخير عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول \* (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) \* [الإسراء: ٨١] \* (جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) \* وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك والصنم ينكب لوجهه

سورة الإسراء ٨٢ - ٨٤

ثم قال تعالى \* (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) \* أي بيان من العمى ويقال شفاء للبدن إذا قرئ على المريض يبرأ أو يهون عليه \* (ورحمة للمؤمنين) \* أي ونعمة من العذاب لمن آمن بالقرآن \* (ولا يزيد الظالمين) \* أي المشركين ما نزل من القرآن \* (إلا خساراً) \* أي تخسيراً وغبناً

قوله عز وجل \* (وإذا أنعمنا على الإنسان) \* أي إذا وسعنا على الكافر الرزق ورفعنا عنه العذاب في الدنيا \* (أعرض) \* عن الدعاء ويقال النعمة هي إرسال محمد صلى الله عليه وسلم أعرض عنه الكافر \* (ونأى بجانبه) \* يعني تباعد عن الإيمان فلم يقربه قرأ ابن عامر " وناء " بمد الألف على وزن باع وقرأ أبو عمرو بنصب النون وكسر الألف وقرأ حمزة والكسائي بكسر النون والألف وقرأ الباقون بنصب النون \* (وإذا مسه الشر كان يؤوساً) \* يعني إذا أصابه الفقر في معيشته والسقم في الجسم كان آيساً من رحمة الله

ثم قال تعالى \* (قل كل يعمل على شاكلته) \* قال القتيبي أي على خليقته وطبيعته وهو من الشكل وقال الحسن \* (على شاكلته) \* أي على نيته وكذلك قال معاوية بن قرة وقال الكلبي على ناحيته ومنهاجه وحديثه وأمره الذي هو عليه \* (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً) \* أي بمن هو أصوب ديناً ويقال هو عالم بمن هو على الحق

سورة الإسراء ٨٥

قوله عز وجل \* (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) \* أي لا علم لي فيه وقال مجاهد الروح خلق من خلق الله تعالى له أيد وأرجل وقال مقاتل الروح ملك عظيم على صورة الإنسان أعظم من كل مخلوق وروى معمر عن قتادة والحسن أنهما قالاً هو جبريل وقال قتادة كان ابن عباس يكتمه أي يجعله من المكتوم الذي لا يفسر وروى الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه فقالوا يا محمد ما الروح فقام متوكئاً على عسيب فظننت أنه يوحى إليه فقال \* (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) \* فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه

ويقال الروح القرآن كقوله \* (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) \* [الشورى: ٧] وروى بعض الرواة عن ابن عباس قال الروح ملك له مائة ألف جناح كل جناح لو فتحه يأخذ ما بين المشرق والمغرب ويقال إن جميع الملائكة تكون صفاً واحداً والروح وحده يكون صفاً واحداً كقوله \* (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً) \* [النبأ: ٣٨] ويقال معناه \* (يسألونك عن الروح) \* الذي هو في الجسد كيف هو قل \* (الروح من أمر ربي) \* ويقال الروح جبريل كقوله \* (نزل به الروح الأمين) \* [الشعراء: ١٩٣] أي يسألونك عن إتيان جبريل كيف نزوله عليك \* (قل الروح من أمر ربي) \* \* (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) \* أي ما أعطيتم من العلم مما عند الله إلا قليلاً

سورة الإسراء ٨٦ - ٨٨

ثم قال تعالى \* (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) \* من القرآن من قلبك ويقال \* (لئن شئنا) \* لمحوناه من القلوب ومن الكتب حتى لا يوجد له أثر \* (ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً) \* أي لا تجد من تتوكل عليه في رد شيء منه ويقال ثم لا تجد لك مانعاً يمنعني من ذلك \* (إلا رحمة من ربك) \* يعني لكن الله رحمك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين وروى أبو حازم عن أبي هريرة أنه قال سيؤتى على كتاب الله فيرفع إلى السماء فلا تصبح



على الأرض من آية من القرآن وينزع من قلوب الرجال فيصبحون ولا يدرون ما هو وروي عن ابن مسعود أنه قال يصبح الناس كالبهائم ثم قرأ \* (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) \* الآية

ثم قال \* (إن فضله كان عليك كبيرا) \* أي بالنبوة والإسلام قوله عز وجل \* (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) \* أي بمثل هذا القرآن على نظمه وإيجازه ونسقه مع كثير مما ضمن فيه من الأحكام والحدود وفنونها ويقال مثل هذا القرآن من تعريه عن التناقض مع كثرة الأقاويص والأخبار ويقال \* (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) \* لأن فيه علم ما كان وعلم ما يكون ولا يعرف ذلك إلا بالوحي ويقال \* (بمثل هذا القرآن) \* لأنه كلام منثور لا على وجه الشعر لأن تحت كل كلمة معاني كثيرة \* (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) \* أي معينا

سورة الإسراء ٨٩ - ٩٣

قال تعالى " ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل " أي بينا للناس منه من كل لون من الحلال والحرام والأحكام والحدود والوعد والوعيد \* (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) \* أي ثباتا على الكفر ويقال أبوا عن الشكر \* (إلا كفورا) \* أي كفرانا مكان الشكر ويقال لم يقبلوه

قوله عز وجل \* (وقالوا لن نؤمن لك) \* أي لن نصدقك وهو عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم \* (لن نؤمن لك) \* (حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) \* أي عيوننا قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي \* (تفجر) \* بنصب التاء وجزم الفاء وضم الجيم مع التخفيف وقرأ الباقر \* (تفجر) \* بضم التاء ونصب الفاء مع التشديد وقال أبو عبيدة هذا أحب إلي لأنهم اتفقوا في الذي بعده ولا فرق بينهما في اللغة فمن قرأ بالتشديد فالتكثير والمبالغة كما يقال قتلوا تقتيلا للمبالغة ثم قال \* (أو تكون لك جنة) \* أي بستان \* (من نخيل وعنب) \* أي الكروم \* (فتفجر الأنهار) \* أي تشقق الأنهار \* (خلالها) \* وسطها \* (تفجيرا) \* أي تشقيا \* (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) \* أي قطعاً قرأ ابن عامر وعاصم ونافع \* (كسفا) \* بنصب السين وقرأ

الباقون بالحزم ومعناها واحد أي تسقط علينا طبقا واشتقاقه من كسفت الشيء إذا غطيته ومن قرأ بالنصب جعلها جمع كسفة وهي القطعة \* (أو تأتي بالله والملائكة قبلا) \* أي ضمينا وكفيلا والقبيل الكفيل ويقال من المقابلة أي معاينا شهيدا يشهدون لك بأنك نبي الله \* (أو يكون لك بيت من زخرف) \* أي من ذهب \* (أو ترقى في السماء) \* أي تصعد إلى السماء \* (ولن تؤمن لرقيك) \* أي لصعودك \* (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) \*

روى أسباط عن السدي أنه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاءه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أمية المخزومي أخو أم سلمة فأبى أن يبايعهما فقالت أم سلمة ما بال أخي يكون أشقى الناس بك يا رسول الله وابن عمك فقال أما ابن عمي فإنه كان يهجوناً وأما أخوك فإنه زعم أنه لا يؤمن بي حتى أرقى السماء ولو رقيت إلى السماء لن يؤمن حتى آتية بكتاب يقرؤه ثم دعاهما فقبل منهما وبايعهما

قال الله تعالى \* (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) \* فإنني لا أقدر على ما تسألوني قرأ ابن كثير وابن عامر \* (قال سبحان) \* على وجه الحكاية وقرأ الباقون \* (قل سبحان) \* على وجه الأمر

سورة الإسراء ٩٤ - ٩٦

قال تعالى \* (وما منع الناس أن يؤمنوا) \* يعني أهل مكة \* (إذ جاءهم الهدى) \* يعني القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم \* (إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) \* يعني الرسول من الآدميين ومعناه أنه ليست لهم حجة سوى ذلك القول  
قال الله تعالى \* (قل) \* يا محمد \* (لو كان في الأرض ملائكة يمشون) \* أي لو كان سكان الأرض ملائكة يمشون \* (مطمئنين) \* أي مقيمين في الأرض \* )  
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) \* أي لبعثنا عليهم رسولا من الملائكة وإنما يبعث الملك إلى الملائكة والبشر إلى البشر فلما قال لهم ذلك قالوا له من يشهد لك بأنك رسول الله قال الله تعالى " قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم " بأنني رسول الله \* (إنه كان بعباده خبيرا بصيرا) \*  
سورة الإسراء ٩٧ - ٩٨

ثم قال تعالى " ومن يهد الله فهو المهتدي " أي من يكرمه الله تعالى بالإسلام ويوفقه فهو على الهدى والصواب قرأ نافع وأبو عمرو \* (المهتدي) \* بالياء عند الوصل وقرأ الباقون بغير ياء \* (ومن يضل) \* أي يخذله عن دينه \* (فلن تجد لهم أولياء من دونه) \* أي يهدونهم من الضلالة \* (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) \* أي نبعثهم يوم القيامة ونسوقهم منكبين على وجوههم يسحبون عليها \* (عميا وبكما وصما) \* عن الهدى ويقال في ذلك الوقت يكونون عميا وبكما وصما كما وصفهم \* (مأواهم جهنم) \* أي مصيرهم إلى جهنم \* (كلما خبت زنادهم سعيرا) \* يقول كلما سكن لهبها ولم تجد شيئا تأكله \* (زنادهم سعيرا) \* أي وقودا وأعيدوا خلقا جديدا قال مقاتل أن النار إذا أكلتهم فلم تبق منهم غير عظام وصاروا فحما سكنت النار فهو الخبو يقال أخببت النار إذا سكن اللهب وإذا بقي في جمرها شيء ويقال خمدت وانطفأت ثم بدلوا جلودا غيرها فتشتعل وتسعر عليهم فذلك قوله تعالى \* (زنادهم سعيرا) \* وقال أهل اللغة وإذا لم يبق من جمرها شيء يقال همدت

ثم قال تعالى \* (ذلك جزاؤهم) \* أي ذلك العذاب عقوبتهم وجزاء أعمالهم \* (بأنهم كفروا بآياتنا) \* أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن \* (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) \* أي ترابا \* (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) \* بعد الموت

سورة الإسراء ٩٩ - ١٠٠

قال الله تعالى " أو لم يروا " يعني أو لم يخبروا في القرآن \* (أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) \* يعني يحييهم بعد الموت \* (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) \* يقول لا شك فيه عند المؤمنين أنه كائن \* (فأبى الظالمون إلا كفورا) \* أي أبى المشركون عن الإيمان ولم يقبلوا إلا الكفر

ثم قال تعالى \* (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) \* يقول لو تقدرون على مفاتيح رزق ربي \* (إذا لمسكتكم) \* يقول لبخلتم وامتنعتم عن الصدقة \* (خشية الإنفاق) \* أي مخافة الفقر \* (وكان الإنسان قتورا) \* أي ممسكا بخيلا قال الزجاج هذا جواب لقولهم \* (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) \* [الإسراء: ٩٠] وقال بعضهم هذا ابتداء وصف بخلهم

سورة الإسراء ١٠١ - ١٠٢

قوله تعالى \* (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) \* أي علامات واضحات مضيئات بالحجة عليهم وهاديات إذ جاءهم موسى بالبينات وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن ابن عباس في قوله \* (تسع آيات بينات) \* وهي في سورة الأعراف \* (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات) \* [الأعراف: ١٣٠] قال السنين لأهل البوادي والنقص من الثمرات لأهل القرى فهاتان آيتان والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وهذه خمس ويد موسى إذ أخرجها بيضاء من غير سوء وعصاه إذ ألغاهما فإذا هي ثعبان مبين

قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا أبو موسى محمد بن إسحاق وخزيمة قال حدثنا علي بن حزم قال حدثنا علي بن يونس عن شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال قال قال يهودي لصاحبه إذهب بنا إلى هذا النبي ففسأله عن هذه الآيات \* (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) \* فقال لا تقل فإنه لو سمعها صارت له أربعة أعين فأتوه فسألوه فقال ألا تشركون بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تقذفوا محصناً أو قال ولا تفروا يوم الزحف شك شعبة ولا تمشوا بيريء إلى سلطان ليقتله وعليكم خاصة يا معشر اليهود ألا تعدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه وقالوا نشهد إنك نبي الله ورسوله فقال وما يمنعكما أن تسلما فقالا لأن داود دعا ربه ألا يزال في ذريته نبي فنحاف أن تقتلنا اليهود

ثم قال تعالى \* (فاسأل بني إسرائيل) \* يعني موسى \* (إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا) \* أي مغلوب العقل \* (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء) \* الآيات قرأ الكسائي \* (علمت) \* بضم التاء يعني علمت أنا ما أنزل هؤلاء الآيات \* (إلا رب السماوات والأرض) \* يعني إن لم تصدقني فأنا على يقين من ذلك وقرأ الباقون بالنصب يعني إنك تعلم ذلك كما قال في آية أخرى \* (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) \* [النمل: ١٤] \* (بصائر) \* أي علامات لنبوتي \* (وإني لأظنك) \* أي لأعلمنك \* (يا فرعون مشبورا) \* أي ملعونا هالكا قال الحسن \* (مشبورا) \* أي مهلكا وكذا قال قتادة وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال \* (مشبورا) \* ملعونا وكذا روي عن الكلبي والضحاك

سورة الإسراء ١٠٣ - ١٠٦

وقال \* (فأراد أن يستفزه من الأرض) \* أي يستنزلهم ويخرجهم ويقال أي يستخفهم من الأرض يعني من أرض الأردن وفلسطين ومصر \* (فأغرقتنا ومن معه جميعا وقتلنا من بعده لبني إسرائيل) \* الذين مع موسى \* (اسكنوا الأرض) \* أي أنزلوا أرض الأردن وفلسطين ومصر \* (فإذا جاء وعد الآخرة) \* أي البعث بعد الموت \* (جئنا بكم لفيها) \* أي جميعا واللفيف الجماعة من كل قبيلة قوله عز وجل \* (وبالحق أنزلناه) \* أي أنزلنا عليك جبريل بالقرآن \* (وبالحق نزل) \* أي بالقرآن نزل جبريل ويقال أنزلناه بالحق والحكمة والحجة ثم قال \* (وما أرسلناك إلا مبشرا) \* بالجنة للمؤمنين \* (ونذيرا) \* بالنار للكافرين وقال تعالى \* (وقرآنا فرقناه) \* حين أنزلنا به جبريل متفرقا آية بعد آية وسورة بعد سورة \* (لتقرأه على الناس على مكث) \* أي على ترسل ومهل ليفهموه ويحفظوه وكان ابن عباس يقرأ \* (فرقناه) \* بالتشديد أي بينا فيه الحلال والحرام ويقال أنزلناه متفرقا \* (ونزلناه تنزيلا) \* أي بيناه بيانا

سورة الإسراء ١٠٧ - ١١١

قوله تعالى \* (قل آمنوا به) \* أي صدقوا بالقرآن \* (أو لا تؤمنوا) \* يعني أو لا تصدقوا ومعناه إن صدقتم به أو لم تصدقوا فإنه غني عن إيمانكم وتصديقكم \* (إن الذين أتوا العلم من قبله) \* يعني أعطوا علم كتابهم وهم مؤمنو أهل الكتاب من قبله أي من قبل القرآن \* (إذا يتلى عليهم) \* أي يعرض عليهم القرآن عرفوه \* (ينخرون للأذقان) \* أي يقعون على الوجه \* (سجدا ويقولون سبحان ربنا) \* أي تنزيها لربنا وقال الكلبي أي نصلي لربنا \* (إن كان وعد ربنا لمفعولا) \* وقد كان وعد ربنا \* (لمفعولا) \* أي كائنا مقدورا وقال تعالى \* (وينخرون للأذقان) \* أي يقعون على الوجه \* (يبكون ويزيدهم خشوعا) \*

أي تواضعا ومذلة \* (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) \* قال الكلبي كان ذكر الرحمن في القرآن قليلا في بديء ما نزل من القرآن وقد كان أسلم ناس من اليهود منهم عبد الله بن سلام وأصحابه وكان ذكره في التوراة كثيرا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزل \* (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) \* قرأ حمزة والكسائي \* (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) \* بكسر اللام والواو وقرأ أبو عمرو بكسر اللام وضم الواو وقرأ الباقون بالضم ومعناها واحد \* (أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) \* يعني بأي الإسمين تدعون فهو حسن \* (فله الأسماء الحسنى) \* أي له الصفات العلى قوله عز وجل \* (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) \* وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بمكة وكان يصلي بأصحابه فإذا رفع صوته أذاه المشركون وإذا خفض لا يسمع صوته الذين خلفه فأنزل الله تعالى \* (ولا تجهر بصلاتك) \* أي بقراءتك فيؤذيك المشركون \* (ولا تخافت بها) \* في جميع الصلوات يعني لا تسر قراءتك فلا يسمع أصحابك قراءتك \* (وابتغ بين ذلك سبيلا) \* أي اجهر في بعض الصلوات وخافت في البعض

ثم قال \* (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) \* قال الكلبي وذلك أنه لما نزل \* (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) \* قالت كفار قريش كان محمد يدعو إليها واحدا وهو اليوم يدعو إلهين ما نعرف الرحمن إلا مسليمة الكذاب فنزل " ومن الأحزاب من ينكر بعضه " يعني ذكر الرحمن وأمره بأن يقول \* (الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك) \* أي لم يتخذ ولدا فيرث ملكه \* (ولم يكن له شريك في الملك) \* فيعارضه في عظمته وقال أبو العالية معناه وقل الحمد لله الذي لم يجعلني ممن يتخذ له ولدا ولم يجعلني ممن يقول له شريك في الملك \* (ولم يكن له ولي من الدن) \* أي من اليهود والنصارى وهم أذل خلقة الله تعالى يؤدون الجزية وقال مقاتل معناه لم يذل فيحتاج إلى ولي يعينه أي لم يكن له ولي ينتصر به من الدن

\* (وكبره تكبيرا) \* أي عظمه تعظيما ولا تقل له شريك وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه أنه قال بلغني أن رجلا أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني رجل كثير الدين كثير الهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ آخر سورة بني إسرائيل \* (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) \* حتى تختمها ثم قل توكلت على الحي الذي لا يموت ثلاث مرات

سورة الكهف مكية وهي مائة وعشر آيات

سورة الكهف ١ - ٦

قوله تعالى \* (الحمد لله) \* يقول الشكر لله والألوهية لله \* (الذي أنزل على عبده الكتاب) \* أي أنزل على عبده محمدا صلى الله عليه وسلم القرآن \* (ولم يجعل له عوجا) \* أي لم ينزله متناقضا \* (قيما) \* بل أنزله مستقيما ويقال في الآية تقديم ومعناه الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيما أي مستقيما \* (ولم يجعل له عوجا) \* أي لم ينزله مخالفا للتوراة والإنجيل قال أهل اللغة \* (عوجا) \* بكسر العين في الأقوال وبنصب العين في الأشخاص ويقال في كلامه عوج وفي هذه الخشبة عوج \* (لينذر بأسا شديدا) \* أي لينذركم ببأس شديد كما قال \* (يخوف أوليائه) \* [آل عمران: ١٧٥] أي بأوليائه وهذا قول القتبي وقال الزجاج أي لينذرهم بالعذاب البئيس \* (من لدنه) \* أي من قبله ويقال \* (لينذر بأسا شديدا) \* أي يخوفهم بالعذاب الشديد بما في القرآن \* (من لدنه) \* أي من عنده قرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (من لدنه) \* بجزم الدال وقرأ الباقون بالضم ومعناها واحد \* (ويبشر المؤمنين) \* بالجنة ثم وصف المؤمنين فقال \* (الذين يعملون الصالحات) \* فيما بينهم وبين ربهم ثم بين الذي يبشرهم به فقال \* (أن لهم أجرا حسنا) \* في الجنة \* (ماكتين فيه أبدا) \* أي مقيمين في الثواب والنعيم خالدًا مخلدا و \* (ماكتين) \* منصوب على الحال في معنى خالدين

\* (وينذر الذين قالوا) \* أي يخوف بالقرآن الذين قالوا \* (اتخذ الله ولدا) \* وهم المشركون والنصارى \* (ما لهم به من علم) \* أي ليس لهم بذلك القول بيان ولا حجة \* (ولا لآبائهم) \* أي ولا حجة لآبائهم الذين مضوا فأخبر أنهم أخذوا دينهم من آبائهم بالتقليد لا بالحجة والبيان لأنهم قالوا كان آباؤنا على هذا \* (كبرت كلمة) \* أي عظمت الكلمة قرأ الحسن

بالضم ومعناه عظمت كلمة وهي قولهم \* (اتخذ الله ولدا) \* [البقرة: ١١٦] \* (كلمه) \* \* (تخرج من أفواههم) \* فصارت نصبا بالتفسير \* (إن يقولون إلا كذبا) \* أي ما يقولون إلا كذبا

وقال \* (فلعلك باخع نفسك) \* أي قاتل نفسك أسفا وحزنا \* (على آثارهم) \* أي على أعمالهم \* (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) \* أي بهذا القرآن أسفا والأسف المبالغة في الحزن والغضب وهو منصوب لأنه مصدر في موضع الحال  
سورة الكهف ٧ - ١٠

قال تعالى \* (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) \* أي ما على وجه الأرض من الرجال زينة لها أي للأرض ويقال جعلنا ما على الأرض من النبات والأشجار والأنهار زينة لها أي للأرض \* (لنبلوهم) \* أي لنختبرهم \* (أيهم أحسن عملا) \* أي أخلص ويقال أيهم أخلص في الزهد في الدنيا وأترك لها \* (وإننا لجاعلون ما عليها) \* أي ما على الأرض في الآخرة من شيء من الزهرة \* (صعيدا جززا) \* أي ترابا أملس لا نبات فيه وقال القتبي الصعيد المستوي قال ويقال وجه الأرض ومنه يقال للتراب صعيد لأنه وجه الأرض والجزز الذي لا نبات فيه يقال أرض جزز وسنة جزز إذا كان فيه جدوبة قوله تعالى \* (أم حسبت أن أصحاب الكهف) \* أي غار في الجبل \* (والرقيم) \* الكتاب وقال قتادة دراهمهم وقال عكرمة عن ابن عباس قال كل القرآن أعلمه إلا أربعة غسلين وحنان والأواه والرقيم وقال القتبي \* (الرقيم) \* لوح كتب فيه خبر أصحاب الكهف ونصب على باب الكهف \* (والرقيم) \* الكتاب وهو فعيل بمعنى مفعول ومنه كتاب مرقوم أي مكتوب وقال الزجاج هو اسم الجبل الذي فيه الكهف وقال كعب الأخبار \* (الرقيم) \* اسم القرية

روي عن ابن عباس أن قريشا اجتمعوا وكان فيهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي وأبو جهل بن هشام وأميمة وأبي أبناء خلف والأسود بن عبد المطلب وسائر قريش فبعثوا منهم خمسة رهط إلى يهود يثرب أي يهود المدينة فسألوهم عن محمد وعن أمره وصفته وأنه خرج من بين أظهرنا ويزعم أنه نبي مرسل واسمه محمد وهو فقير يتيم فلما قدموا المدينة أتوا أحبارهم وعلماءهم فوجدوهم قد اجتمعوا في عيد لهم فسألوهم عنه ووصفوا لهم صفته فقالوا لهم نجده في التوراة كما وصفتموه لنا وهذا زمانه ولكن سلوه عن ثلاث خصال فإن أخبركم بخصلتين ولم يخبركم بالثالثة فاعلموا أنه نبي فاتبعوه فإننا قد سألنا مسيلمة الكذاب عن هؤلاء الخصال فلم يدر ما هن وقد زعمتم أنه يتعلم من مسيلمة



الكذاب سلوه عن أصحاب الكهف أي قصوا عليه أمرهم وسلوه عن ذي القرنين إن كان ملكا وكان أمره كذا وكذا وسلوه عن الروح فإن أخبركم عن قليل أو كثير فهو كاذب ففرحوا بذلك فلما رجعوا وأخبروا أبا جهل ففرح وأتوه فقال أبو جهل إنا سائلوك عن ثلاث خصال فسألوه عن ذلك فقال لهم إرجعوا غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فرجعوا ولم ينزل عليه جبريل إلى ثلاثة أيام وفي رواية الكلبي إلى خمسة عشر يوما وفي رواية الضحاك إلى أربعين يوما فجعلت قريش تقول يزعم محمد أنه يخبرنا غدا بما سألناه وقد مضى كذا وكذا يوما فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاه جبريل فقال لجبريل لقد علمت ما سألتني عنه قومي فلم أبطأت علي فقال أنا عبد مثلك \* (وما ننزل إلا بأمر ربك) \* [مريم: ٦٤] وقال " ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله " [الكهف: ٢٣ - ٢٤] وكان المشركون يقولون إن ربه قد ودعه وأبغضه فنزل \* (ما ودعك ربك وما قلى) \* [الضحى: ٣] ونزل \* (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) \* \* (كانوا من آياتنا عجبا) \* فلما قرأ عليهم قالوا هذان ساحران يعني محمدا وموسى عليهما السلام ولم يصدقوه وقوله \* (عجبا) \* يقول هم عجب وأمرهم أعجب وغيرهم مما خلقت أعجب منهم الشمس والقمر والجبال والسموات والأرض أعجب منهم

ثم بين أمرهم فقال تعالى \* (إذ أوى الفتية إلى الكهف) \* أي صاروا إليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى غلام وغلطة وصبي وصبية \* (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) \* أي ثبتنا على الإسلام " وهيء لنا من أمرنا رشدا " أي هب لنا من أمرنا مخرجا

سورة الكهف ١١ - ١٣  
قوله تعالى \* (فضربنا على آذانهم) \* أي أنمناهم وألقينا عليهم النوم وقال الزجاج \* (فضربنا على آذانهم) \* أي منعناهم أن يسمعوا لأن النائم إذا سمع انتبه \* (في الكهف سنين عددا) \* ويراد بذكر العدد التأكيد لأن الكثير يحتاج أن يعد وإنما صار نصبا لأنه مصدر

قال ابن عباس في حديث أصحاب الكهف أنه قال إن مدينة كانت بالروم ظهر عليها ملك من الملوك يقال له دقيانوس غلب على مدينتهم وأرضهم وكانت المدينة تسمى أفسوس فجعل يدعوهم إلى عبادة الأوثان ويقتلهم على ذلك فمن كفر بالله واتبع دينه تركه فهدى الله شابا من أهل تلك المدينة إلى دين الإسلام فجعل يدعوهم سرا حتى تابعه على ذلك سبعة أغلطة ففطن لهم الملك فأرسل إليهم وأخذهم ودفعهم إلى آبائهم يحفظونهم حتى يرسل

إليهم من يطلبهم من آبائهم فأرسل إليهم فهربوا فقالت آبائهم والله لقد خرجوا من عندنا بالأمس فما ندري أين هم فمروا بغلام راع ومعه كلب له فدعوه إلى أمرهم فأعجبه ذلك فتابعهم عليه فمضى معهم واتبعه كلبه حتى أتوا غارا أي كهفا فدخلوا فيه ثم أرسلوا بعضهم إلى السوق ليشتري لهم طعاما من السوق فركب الملك والناس معه في طلبهم وهم يسألون عنهم فسمع رسولهم بذلك فعجل أن يشتري لهم كل الذي أرادوا فاشترى بعضه وأتاهم فأخبرهم أن الملك والناس في طلبهم فأكلوا ما أتاهم به ولم يشبعوا ثم ناموا على وجوههم فضرب الله على آذانهم بالنوم سنين عددا وسار الملك والناس معه حتى انتهوا إلى باب الكهف فوجدوا آثارهم داخلين ولم يجدوا آثارهم خارجين فدخلوا الكهف فأعمى الله عليهم فطلبوهم فلم يجدوا شيئا فقال الملك سدوا عليهم باب الكهف حتى يموتوا فيه فيكون قبرهم إن كانوا فيه ثم انصرف الملك والناس معه فعمد رجلان مسلمان يكتمان إيمانهما إلى لوح من رصاص فكتبا فيه أسماء الفتية وأسماء آبائهم ومدينتهم وأنهم خرجوا فرارا من دقيانوس الملك الكافر فمن ظهر عليهم يعلم بأنهم مسلمون وألزه في السد من داخل الكهف وقال في رواية السدي في قصة أصحاب الكهف كان في المدينة فتية ليس منهم أحد يعرف صاحبه فخرج ملكهم مخرجا له وخرج الفتية ومنهم واحد له كلب وليس منهم أحد إلا وهو يقول في نفسه إن رأيت أحدا استضعفت دعوته إلى الإيمان بالله فلما رجع الناس تخلف الفتية فاجتمعوا على باب المدينة وقد أغلق الباب دونهم فطلبوا أن يدخلوا فلم يفتح لهم فقال بعضهم إنني أسر إليكم أمرا فإن تابعتموني عليه رشدتهم فقص عليهم أمره فقالوا جميعا نحن على هذا فذلك قوله عز وجل \* (إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض) \* الآية فصاروا إلى الكهف فدخلوه ورقدوا فيه ورقد الكلب بفناء الكهف فضرب الله على آذانهم بالنوم فلما فقدهم أهلهم إنطلقوا إلى الملك فأخبروه فدعا بصخرة فكتب فيها أسماءهم وكتب فيها أنهم هلكوا في زمن كذا ثم ضربها في سور المدينة على الباب وهو الرقيم

وفي رواية وهب بن منبه قال جاء حواربي من حواربي عيسى ابن مريم عليهما السلام إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقبل له إن على بابها صنما لا يدخلها أحد إلا سجد له فكره أن يدخلها وأتى حماما كان قريبا من تلك المدينة فكان يعمل فيه يعني أنه أجز نفسه من صاحب الحمام فرأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودر عليه الرزق واجتمع إليه فتية من أهل المدينة فكان يخبرهم بخبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة فكانوا في ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فماتا في الحمام جميعا فأتى الملك فقبل له صاحب الحمام قتل ابنك



فالتمسسه فلم يقدر عليه فقال من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوهم فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم في زرع له وكان على مثل أمرهم فذكروا له أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه الكلب حتى آواهم الليل إلى الكهف فدخلوه وقالوا نبيت ها هنا الليلة ثم نصح إن شاء الله فترون رأيكم فضرب على آذانهم فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم حتى وجدوا آثارهم وقد دخلوا الكهف فلما أراد رجل منهم أن يدخل الكهف أربع فلم يطق أحد أن يدخل عليهم فقال له قائل أأست لو كنت قدرت عليهم قتلتهم فسد عليهم باب الكهف ودعهم حتى يموتوا عطشا وجوعا ففعل ذلك

ثم أن راعيا احتاج أن يبنى حظيرة لغنمه فهدم ذلك السد وبني عليه لغنمه فصار باب الكهف مفتوحا وكما غزا ملك تلك المدينة فظهر عليها أظهر علامته إن كان مسلما أظهر علامة المسلمين وإن كان كافرا أظهر علامة المشركين ثم مات دقيانوس وملك ملك آخر مسلم فأظهر علامة المؤمنين بالمدينة وكان يقال له استفاد الملك

ثم إن أصحاب الملك استيقظوا بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين فنظر واحد منهم إلى الشمس وقد دنت إلى الغروب ويقال عند زوال الشمس فقال \* (كم لبثتم) \* (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) \* فقال كبيرهم لا تختلفوا فإنه لم يختلف قوم إلا هلكوا ثم قال الآخرون \* (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما) \* [الكهف: ١٩] أي أحل وأطهر لأنهم كانوا يذبحون الخنازير فدفعوا الدراهم إلى رجل يقال له تملیخا

فخرج تملیخا فلما إنتهى إلى باب الكهف رأى حجارة مكسرة على بابه فقال إن هذا شيء ما رأيناه بالأمس فلما خرج أنكر الطريق فدنا إلى باب المدينة فلم يعرفها فلما دخل المدينة لم يعرف أحدا من الناس فأشكى عليه فقال لعل هذه غير تلك المدينة فسأل إنسانا فقال أي مدينة هذه فقال أقسوس فقال لقد أصابني شر أو تغير عقلي فهذه مدينتنا ولا أعرفها ولا أعرف أحدا من أهلها فأخرج الدراهم وجاء إلى الخباز ودفعها إليه فأخذ الخباز الدراهم فأنكرها وقال من أين لك هذه الدراهم لقد وجدت كنزا لتخبرني وإلا رفعتك إلى الملك

وكان كل ملك يحدث بعد آخر تضرب دراهم على سكتته وختمه فمن وجد معه دراهم غير تلك الدراهم علم أنه كنز فلما وجدوا معه تلك الدراهم قالوا هذا كنز فقال هذه الدراهم ما أخرجت من المدينة إلا أمس فظن الخباز أنه يتجانن عليه ليرسله فقال له لقد علمت أنك تتجانن علي لا أرسلك حتى تعطيني من هذا الكنز وإلا رفعتك إلى الملك

فاجتمع الناس عليه وذهبوا به إلى الملك فجعل تملیخا يبكي خوفا من الملك وأن يرفع إلى ملكهم الجبار الذي فر منه فلما أدخل على غيره سكن فقال له الملك من أين لك هذه الدراهم فقال خرجت بها عشية أمس أنا وأصحاب لي فرارا من دقيانوس الملك فقال إنك



(۳۳۸)

رجل شاب وذلك الملك قد مضى عليه دهر طويل فما أنا بالذي أرسلك حتى تخبرني من أين لك هذه الدراهم فقص عليه أمره وأمر أصحابه فقال أناس من المسلمين قد أخبروا بقصتهم أن آباءنا أخبرونا أن فتية قد خرجوا بدينهم وهم مسلمون فرارا من دقيانوس الملك وأنا والله لا ندري ولعله صادق فاركب وانظر لعله شيء أراد الله أن يظهره عليه أو يكون في ولايتك فركب الملك وركب معه الناس المسلم والكافر حتى إنتهوا إلى الكهف فلما رأى أصحابه الناس قد إنتهوا إليهم عانق بعضهم بعضا يبكون ولا يشكون إلا أنه الملك الجبار الكافر فقال لهم تمليخا أمكثوا حتى أدخل أولا فدخل عليهم فأخبرهم بالقصة

قال ابن عباس في رواية أبي صالح دخل عليهم الملك والناس فسألوهم عن أمرهم فقصوا عليهم قصتهم فنظروا فإذا اللوح الرصاص الذي كتبه المسلمان فيه أسماءهم وأسماء آبائهم فقال الملك هم قوم هلكوا في زمن دقيانوس وأحياهم الله في زماني فلم يبق أحد من الكفار مع الملك إلا أسلموا كلهم إذا رأوهم فبينما هم يتحدثون إذ ماتوا كلهم

وقال في رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إن القوم لما انتهوا إلى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى أدخل على أصحابي لا تهجموا عليهم فيفزعوا منكم فدخل فعمي عليهم المكان فلم يدروا أين ذهب ولم يقدرُوا على الدخول عليهم فقالوا \* (لنتخذن عليهم مسجدا) \* فجعلوا عليهم مسجدا وصاروا يصلون فيه فذلك قوله \* (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم) \* أي أيقظناهم \* (لنعلم أي الحزبين) \* يعني أي الفريقين المسلم والكافر \* (أحصى) \* أي أحفظ \* (لما لبثوا أمدا) \* يعني لما مكثوا أجلا وكان المسلمان كتبوا في اللوح فظهر لهم مقدار ما لبثوا فيه ولم يعلم الكفار مقدار ذلك ويقال \* (أي الحزبين) \* يعني الذين كانوا مؤمنين قبل ذلك والذين أسلموا في ذلك الوقت ويقال أي الفريقين أصدق قولاً لأنهم قد اختلفوا في البعث منهم من كان ينكر ذلك فظهر لهم أن البعث حق

قوله تعالى \* (نحن نقص عليك نبأهم) \* أي نزل عليك في القرآن خبر الفتية \*

(بالحق) \* أي بالصدق \* (إنهم فتية آمنوا بربهم) \* أي صدقوا بتوحيد ربهم \*

(وزدناهم هدى) \* أي يقينا وبصيرة في أمر دينهم

سورة الكهف ١٤ - ١٦

وقال عز وجل \* (وربطنا على قلوبهم) \* أي حفظنا قلوبهم على الإيمان وقيل ألهمناهم الصبر حتى ثبتوا على دينهم \* (إذ قاموا) \* من نومهم ويقال قاموا بإثبات الحجّة ويقال خرجوا من عند الملك " فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها " أي لم نقل من دون الله ربا وإن فعلنا " فقد قلنا إذا شططا " أي كذبا وجورا ويقال \* (شططا) \* أي علوا يقال قد أشط إذا علا في القول أي جاوز الحد \* (هؤلاء قومنا اتخذوا) \* أي عبدوا \* (من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين) \* يعني هلا يأتون بحجة بينة على عبادة آلهتهم \* (فمن أظلم ممن افترى) \* أي إختلق \* (على الله كذبا) \* أن له شريكا

ثم قال \* (وإذ اعتزلتموهم) \* يقول بعضهم لبعض لو تركتموهم \* (وما يعبدون إلا الله) \* يعني لو تركتم ما يعبدون فلا يعبدون إلا الله ويقال لو اعتزلتم عبادتهم إلا الله يعني قولهم الله خالقنا ويقال \* (وإذ اعتزلتموهم) \* هذا قولهم ثم قال حكاية عن قولهم فقال \* (وما يعبدون إلا الله) \* يعني أصحاب الكهف \* (فأووا إلى الكهف) \* أي فارجعوا إلى الكهف ويقال فأدخلوا الكهف \* (ينشر لكم ربكم من رحمته) \* أي يهب لكم ربكم من نعمته ويقال يبسط لكم من رزقه \* (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) \* أي يجعل لكم من أمركم الذي وقعتم فيه ما يرفق بكم ويصلحكم ويقال مخرجا ونجاة ورزقا

#### سورة الكهف ١٧ - ١٨

قوله تعالى \* (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم) \* أي تميل وتنحرف عن كهفهم \* (ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم) \* أي تجاوزهم ويقال تتركهم وتمر بهم وأصل القرص القطع ومنه سمي المقرض \* (ذات الشمال) \* أي شمال الكهف \* (وهم في فجوة منه) \* أي في ناحية من الغار ويقال في متسع منه فأخبر أنه بوأهم كهفا مستقبلا بنات نعش والشمس تميل عنه وتستدير طالعة وغاربة ولا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرهما ولا يحلفهم سموها فيغير ألوانهم وتبلى أبدانهم وكانوا في متسع منه ينالهم نسيم الرياح وينفي عنهم غمة الغار والغمة الهواء العفن ويجوز الرفع النصب \* (في فجوة منه) \* الغار وكربه

قوله \* (ذلك من آيات الله) \* أي ذلك الخبر والذكر ويقال ذلك الذي فعل بهم واختار لهم المكان الموافق من عجائب الله ولطفه وكرمه \* (من يهد الله فهو المهتد) \* أي من يوفقه الله للهدى فهو المهتدي \* (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) \* أي موفقا يرشده إلى

التوحيد قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر \* (من أمركم مرفقا) \* بنصب الميم وكسر الفاء والباقون بكسر الميم ونصب الفاء ومعناها واحد وهو ما يرتفق به وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو \* (تزاور) \* بتشديد الزاي مع الألف لأن أصله تتزاور أي تميل فأدغم وشدد الزاي وقرأ ابن عامر " تزور " بجزم الزاي وتشديد الراء ومعنى ذلك كله واحد وهو الميل

قال الله تعالى \* (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) \* لأن عيونهم كانت مفتحة ويقال من كثرة تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال \* (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) \* وذلك أن جبريل عليه السلام كان يقلبهم في كل سنة مرة لكيلا تأكل الأرض لحومهم وهو قول ابن عباس وقال مجاهد مكثوا ثلاثمائة عام على شق واحد وقلبوا في التسع سنين \* (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) \* أي ماذا ذراعيه بفناء الباب \* (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا) \* أي لو هجمت عليهم اليوم لأدبرت فرارا من هيئتهم وروى سعيد بن جابر عن ابن عباس أنه قال غزا معاوية غزوة نحو الروم فمروا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشفنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال ابن عباس قد منع الله ذلك عمن هو خير منك يعني قال للنبي صلى الله عليه وسلم \* (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا) \* \* (ولمئلت منهم رعبا) \* فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث أناسا فقال أذهبوا فأدخلوا الكهف فلما ذهبوا ودخلوا بعث الله تعالى ريحا فأخرجتهم

سورة الكهف ١٩ - ٢١

وقال \* (وكذلك بعثناهم) \* أيقظناهم من نومهم \* (ليتساءلوا بينهم) \* ليتحدثوا \* (قال قائل منهم كم لبثتم) \* أي كم مكثتم في نومكم \* (قالوا لبثنا يوما) \* فلما رأوا الشمس قد زالت قالوا \* (أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة) \* وروى مجاهد عن ابن عباس قال كانت دراهم أصحاب الكهف مثل أخفاف الإبل قرأ ابن كثير ونافع \* (ولمئلت) \* بتشديد اللام وهي لغة لبعض العرب وقرأ الباقر بالتخفيف وهما لغتان وقرأ أبو عمرو وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر \* (بورقكم) \* بجزم الراء وقرأ الباقر بالكسر وهما لغتان



\* (فلينظر أيها أزكى طعاما) \* أي أطيب خبزا أو أحل ذبيحة وهذا قول ابن عباس ويقال أي أهلها أزكى طعاما وقال عكرمة أي أكثر وأرخص طعاما \* (فليأتكم برزق منه) \* أي بطعام منه ويقال \* (أزكى طعاما) \* أي لم يكن غصبا \* (وليتلطف) \* أي وليرفق في السؤال \* (ولا يشعرون بكم أحدا) \* أي لا يعلمون بمكانكم أحدا من الناس \* (إنهم إن يظهروا عليكم) \* يعني إن يطلعوا عليكم \* (يرجموكم) \* يقتلوكم \* (أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا) \* أي لن تفوزوا ولن تسعدوا إذا أبدا إن عبدتم غير الله تعالى

\* (وكذلك أعثرنا عليهم) \* يقول أطلعنا الملك عليهم قال القتيبي وأصله في اللغة أن من عثر بشيء نظر إليه حتى يعرفه فاستعير العثار مكان التبين والظهور \* (ليعلموا أن وعد الله حق) \* يعني البعث بعد الموت وذلك أن القوم كانوا مختلفين منهم من كان مقرأ بالبعث ومنهم من كان جاحدا فلما ظهر حالهم عرفوا أن البعث حق وأنه كائن \* (وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم) \* يعني إذ يختلفون فيما بينهم وقال بعضهم اختلفوا في عددهم وقال بعضهم اختلفوا فقال المؤمنون فيما بينهم نبينا مسجدا وقالت النصارى نبينا كنيسة فغلب عليهم المسلمون وبنوا المسجد فذلك قوله \* (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) \* أي مسجدا \* (ربهم أعلم بهم) \* أي عالم بهم \* (قال الذين غلبوا على أمرهم) \* الذين كانوا على دين أصحاب الكهف وهم المؤمنون \* (لنتخذن عليهم مسجدا) \* قال الزجاج فيه دليل أنه ظهر أمرهم وغلب الذين أقروا بالبعث على غيرهم لأنهم اتخذوا مسجدا والمسجد للمسلمين

سورة الكهف ٢٢ - ٢٤

ثم قال تعالى \* (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) \* قال بعضهم اختلفوا في أمرهم ويقال هذا الاختلاف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فاختلفوا وذلك أن أهل نجران السيد والعاقب ومن معهما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان السيد صارما يعقوبيا والعاقب نسطوريا وصنف منهم ملكانيا فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن عدة أصحاب الكهف فقال السيد وأصحابه \* (ثلاثة رابعهم كلبهم) \* \* (ويقولون) \* أي العاقب وأصحابه \* (خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب) \* أي ظنا بالغيب \* (ويقولون) \* أي صنف منهم \* (سبعة وثامنهم كلبهم) \*

قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم \* (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) \* وهذا إخبار من الله تعالى أن عدتهم سبعة قال ابن عباس وفي رواية أخرى أنه قال أظن القوم كانوا ثلاثة

قال واحد منهم كم لبثتم فقال الثاني لبثنا يوماً أو بعض يوم فقال الثالث ربكم أعلم بما لبثتم وروي عن ابن عباس أنه قال إنهم سبعة وذكر أسماءهم فقال مكسلمينا وهو أكبرهم وتمليخا ومطرونس وسارينوس ونوانس وكفاشطهواس وبطنبورسوس وذكر في رواية وهب أسماءهم بخلاف هذا إلا تمليخا فقد اتفقوا على اسمه وقال ابن عباس كان اسم الكلب قطمير وقال سعيد بن جبير كان اسمه فردين ويقال كان لونه خليج ويقال كان لونه غلبة بالفارسية ومعناه بالعربية أبلق وقال بعض المحدثين إن كلب أهل الكهف يكون معهم في الجنة وقال بعضهم يصير تراباً مثل سائر الحيوانات وإنما الجنة للمؤمنين خاصة

ثم قال عز وجل \* (فلا تمار فيهم إلا مرء ظاهراً) \* قال قتادة \* (فلا تمار) \* يقول حسبك ما أعلمناك من خبرهم \* (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) \* أي لا تسأل عن أصحاب الكهف من النصارى أحداً " ولا تقولن لشيء " أردت أن أفعله \* (إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) \* يعني إلا أن تستثني فتقول إن شاء الله \* (واذكر ربك إذا نسيت) \* يعني إذا نسيت الاستثناء فاذا ذكرها بعد ما ذكرت واستثنى وهذا في غير اليمين وأما في اليمين فاتفق الفقهاء من أهل الفتوى أن الاستثناء لا يكون موصولاً إلا رواية عن ابن عباس روى عنه مجاهد قال يستثني الرجل في يمينه متى ذكر ثم قرأ \* (واذكر ربك إذا نسيت) \* وهذه الرواية غير مأخوذة

وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان لسليمان بن داود مائة امرأة فقال لأطوفن الليلة عليهن جميعاً وكل امرأة تأتي بسلام يقابل في سبيل الله ونسي أن يقول إن شاء الله فلم تأت واحدة منهن بشيء إلا امرأة واحدة أتت بشق غلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لولد له ذلك وكان دركاً له في حاجته

ثم قال تعالى " وقل عسى أن يهديني ربي " أي يرشدني \* (لأقرب) \* أي لأسرع \* (من هذا) \* الميعاد الذي وعدت لكم \* (رشداً) \* أي صواباً وهذا قول مقاتل وقال الزجاج معناه عسى ربي أن يعطيني من الآيات والدلائل على النبوة ما يكون أقرب في الرشد وأدل على قصة أصحاب الكهف قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو \* (أن يهديني) \* بالياء عند الوصل وقرأ الباقون بحذف الياء

سورة الكهف ٢٥ - ٢٦

قال تعالى \* (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) \* قالت النصارى أما ثلاثمائة فقد عرفنا وأما تسعا فلا علم لنا فيه فنزل \* (وازدادوا تسعا) \* قرأ حمزة والكسائي \* (ثلاث مائة) \* بكسر الهاء بغير تنوين على معنى الإضافة وقرأ الباقون بالتنوين له غيب

(३६३)

السموات والأرض) أي عالم بما لبثوا في رقودهم وقال الكلبي \* (أبصر به وأسمع) \*  
أي هو عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم \* (ما لهم من دونه من ولي) \* أي  
أصحاب الكهف \* (ولا يشرك في حكمه أحدا) \* قرأ ابن عامر \* (ولا تشرك) \* بالتاء  
على معنى المخاطبة وقرأ الباقون بالياء ومعناه أنه قد جرى ذكر علمه وقدرته وأعلم أنه  
لا يشرك في حكمه أحدا كما قال \* (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) \* [الجن:  
٢٦] ومن قرأ بالتاء يقول لا تنسب أحدا إلى عالم الغيب ومعناه أنه لا يجوز لأحد أن  
يحكم بين رجلين بغير حكم الله تعالى فيما حكم أو دل عليه حكم الله فليس لأحد أن  
يحكم من ذات نفسه

سورة الكهف ٢٧ - ٢٨

ثم قال تعالى \* (واتل ما أوحى إليك) \* يقول اقرأ عليهم الذي أنزل إليك \* (من كتاب  
ربك) \* يعني القرآن \* (لا مبدل لكلماته) \* يقول لا مغير لنزول القرآن ولا خلف له  
ويقال ولا ينقص منه ولا يزداد فيه \* (ولن تجد من دونه ملتحدا) \* أي لا ملجأ يمنعك  
منه ويقال \* (ملتحدا) \* أي مانعا يمنعك ويقال معدلا وإنما سمي اللحد لحددا لأنه في  
ناحية ويقال معناه وإن زدت فيه أو نقصت منه لن تجد من عذابه ملجأ \* (واصبر  
نفسك) \* يقول واحبس نفسك \* (مع الذين يدعون ربهم) \* أي يصلون لله تعالى \*  
(بالغداة والعشي) \* يعني الصلوات الخمس

قال ابن عباس نزلت الآية في سلمان وصهيب وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت وعمار  
بن فهيرة ونحوهم من الفقراء قالوا بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ذات يوم  
عنده سلمان على بساط منسق بالخوص أي منسوج إذ دخل عليه عيينة بن حصن  
الفزاري فجعل يدفعه بمرفقه وينحيه حتى أخرجه من البساط وكان على سلمان شملة  
قد عرق فيها فقال عيينة إن لنا شرفا فإذا دخلنا عليك فأخرج هذا أو أضربه فوالله إنه  
ليؤذيني ريحه أما يؤذيك ريحه فإذا خرجنا من عندك فأدخلهم وأذن لهم بالدخول إن  
بدا لك أن يدخلوا عليك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا فنزل \* (واصبر نفسك) \*  
الآية \* (يريدون وجهه) \* أي يطلبون رضاه

وقال \* (ولا تعد عينك عنهم) \* أي لا تجاوزهم ويقال لا تحتقرهم ولا تزدرهم \*  
(تريد زينة الحياة الدنيا) \* أي ما قال عيينة بن حصن الفزاري وأمثاله \* (ولا تطع من  
أغفلنا قلبه عن ذكرنا) \* أي عن القرآن \* (واتبع هواه) \* في عبادة الأصنام \* (وكان  
أمره فرطا) \* أي ضياعا وقال السدي هلاكا قال أبو عبيدة ندما وقال القتيبي أصله من  
العجلة والسبق قال المفسرون أي سرفا وقال الزجاج تفريطا وهو العجز

سورة الكهف ٢٩ - ٣١

ثم قال تعالى \* (وقل الحق من ربكم) \* أي القرآن \* (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) \* أي من شاء فليقل لا إله إلا الله ويقال معناه من شاء الله له الإيمان آمن ومن شاء الله له الكفر كفر ويقال \* (فمن شاء فليؤمن) \* من لفظه لفظ المشيئة والمراد به الأمر يعني آمنوا \* (ومن شاء فليكفر) \* لفظه لفظ المشيئة والمراد به الخبر ومعناه ومن كفر \* (إنا اعتدنا للظالمين نارا) \* يعني للكافرين \* (أحاط بهم سرادقها) \* يعني أن دخانها محيط بالكافرين قال الكلبي ومقاتل يخرج عنق من النار فيحيط بهم كالحظيرة ثم قال \* (وإن يستغيثوا) \* من العطش \* (يغاثوا بماء كالمهل) \* أي أسود غليظا كرديء الزيت وهذا قول الكلبي والسدي وابن جبير وروى عكرمة عن ابن عباس مثله ويقال هو الصفر المذاب أو النحاس المذاب إذ بلغ غايته في الحر وروى الضحاك عن ابن مسعود أنه أذاب فضة من بيت المال ثم بعث إلى أهل المسجد وقال من أحب أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا وقال مجاهد المهل القيح والدم الأسود كعكر الزيت \* (يشوي الوجوه) \* يعني إذا هوى به إلى فيه أنضج وجهه \* (بئس الشراب) \* المهل \* (وساءت مرتفقا) \* يقول بئس المنزل النار رفقاؤهم فيها الشياطين والكفار \* (وساءت مرتفقا) \* أي مجلسا وأصل الإرتفاق الإتكاء على المرفق قوله عز وجل \* (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) \* أي لا نبطل ثواب من أحسن عملا في الآخرة ثم بين ثوابهم فقال \* (أولئك لهم جنات عدن) \* العدن الإقامة ويقال العدن بطنان الجنة وهي وسطها \* (تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق) \* السندس ما لطف من الديقاج والإستبرق ما ثخن من الديقاج وقال القتيبي يقول قوم هو فارسي معرب أصله استبراك وقال الزجاج في قوله \* (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) \* يجوز أن يكون خبره \* (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) \* كأنه يقول إنا لا نضيع أجرهم ويحتمل أن يكون الجواب قوله \* (أولئك لهم جنات عدن) \* ويجوز أن يكون جوابه لم يذكر

وقد بين ثواب من أحسن عملا في موضع آخر وهو قوله \* (منهم مغفرة وأجرا عظيما)  
\* وقوله \* (أساور) \* جمع أسورة واحدها سوار والأسورة جمع الجمع \* (متكئين فيها  
على الأرائك) \* أي على السرر في الحجال ولا يكون أريكة إلا إذا اجتمعا على السرير  
والحجلة \* (نعم الثواب) \* الجنة \* (وحسنت مرتفقا) \* أي منزلا في الجنة قرناؤهم  
الأنبياء والصالحون

سورة الكهف ٣٢ - ٣٤

ثم قال تعالى \* (واضرب لهم مثلا رجلين) \* أي صف لأهل مكة صفة رجلين أخوين  
من بني مخزوم أحدهما مؤمن واسمه أبو سلمة بن عبد الأسد والآخر كافر ويقال له  
أسود بن عبد الأسود وهما من هذه الأمة وآخرين أيضا من بني إسرائيل مؤمن وكافر  
فالمؤمن اسمه تملیخا ويقال يهوذا والكافر اسمه أبو قطروس هكذا روي عن ابن عباس  
ويقال هذا المثل لجميع من آمن بالله وجميع من كفر به وروي عن ابن مسعود أنه قال  
كانا مشركين من بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر فاقترسا فأصاب كل واحد  
منهما أربعين ألف درهم وروي عن ابن عباس أنه قال كانا أخوين ورث كل واحد  
منهما من أبيه أربعة آلاف دينار فالكافر أنفق ماله في زينة الدنيا نحو شراء المنازل  
والخدم والحيوان وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله تعالى وتصدق على الفقراء  
والمساكين وذلك قوله تعالى \* (جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب) \* أي بساتين قال  
السدي كان بستانا واحدا عليه جدار واحد وكان في وسطه نهر فلذلك قال \* (جنتين)  
\* لمكان النهر الذي بينهما وسماه جنة للمكان الدائر الذي عليه \* (وحففناهما بنخل)  
\* يعني الجنتين ثم قال \* (وجعلنا بينهما زرعاً) \* أي مزرعا يقال كان حول البستان  
نخيل وأشجار ودخل الأشجار كروم ودخل الكروم موضع الزرع والرطاب ونحو  
ذلك \* (كلتا الجنتين آتت أكلها) \* أي أعطت وأخرجت حملها وثمارها \* (ولم تظلم  
منه شيئا) \* أي لم تنقص من ثمر الجنتين شيئا

وقال الزجاج \* (كلتا الجنتين آتت أكلها) \* لأن لفظ كلتا واحد والمعنى أن كل  
واحدة منهما \* (آتت أكلها) \* يعني أعطت وأخرجت حملها وثمرتها \* (ولم تظلم منه  
شيئا) \* يعني لم ينقص من ثمر الجنتين شيئا ولو قال آتت لكان جائزا \* (وفجرنا  
خلالهما) \* أي أجرينا وسطها \* (نهرًا) \* والنهر بنصب الهاء والجزم بمعنى واحد في  
اللغة إلا أن قراءة النصب أصح

وقال \* (وكان له ثمر) \* قرأ أبو عمرو \* (ثمر) \* بضم الثاء وجزم الميم وقرأ الباقون  
غير عاصم بضم الثاء والميم ومعناها واحد وقرأ عاصم بنصب الثاء والميم فمن قرأ  
بالنصب فهو ما يخرج من الشجر ومن قرأ بالضم فهو المال يقال قد أثمر فلان مالا  
ويقال الثمر

(۳۴۶)

جمع ثمار ويقال ثمرة وثمار وجمع الثمار ثمر \* (فقال لصاحبه) \* يعني قال الكافر للمؤمن \* (وهو يحاوره) \* أي يفاخره ويراجعه وذلك أن أخاه احتاج فأتاه يسأله منه شيئاً فلم يعطه شيئاً وعاتبه بدفع ماله وذلك قوله تعالى \* (فقال لصاحبه وهو يحاوره) \* \* (أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً) \* يعني وأكثر خدماً

سورة الكهف ٣٥ - ٤٢

وقال \* (ودخل جنته) \* وهو آخذ بيد أخيه المسلم \* (وهو ظالم لنفسه) \* بالشرك فمن كفر بالله فهو ظالم لنفسه لأنه أوجب لها العذاب الدائم \* (قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً) \* لأن أخاه المؤمن عرض عليه الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر فأجابه الكافر ف \* (قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً) \* يعني لن تفتني هذه أبداً \* (وما أظن الساعة قائمة) \* أي كائنة \* (ولئن رددت إلى ربي) \* أي إن كان الأمر كما يقول ورجعت إلى ربي في الآخرة \* (لأجدن خيراً منها منقلباً) \* في الآخرة أي مرجعاً قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر " خيراً منهما " لأنها كناية عن الجنتين وقرأ الباقون \* (منها) \* لأنه كناية عن قوله \* (ودخل جنته) \*

\* (قال له صاحبه) \* أي أخاه المسلم \* (وهو يحاوره) \* أي يكلمه ويعظه في الله تعالى \* (أكفرت بالذي خلقك من تراب) \* يعني آدم عليه السلام \* (ثم من نطفة ثم سواك رجلاً) \* يعني خلقك معتدل القامة قوله " لكننا هو الله ربي " قرأ ابن عامر ونافع في إحدى الروايتين \* (لكننا) \* بالألف وتشديد النون لأن أصله لكن أنا فأدغم فيه وقرأ الباقون \* (لكن) \* وفي مصحف الإمام " لكن أنا هو الله ربي " فهذا هو الأصل في اللغة ومعناه لكن أنا أقول هو الله ربي \* (ولا أشرك بربي أحداً ولولا إذ دخلت جنتك) \* يقول فهلاً إذ دخلت بستانك \* (قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) \* يعني بقوة الله أعطانيها لا بقوتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أعطي خيراً من أهل أو مال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يرفه ما يكره ثم قال \* (إن ترن) \* يعني إن رأيتني \* (أنا أقل منك مالا وولداً) \* في الدنيا " فعسى ربي



أن يؤتين خيرا من جنتك) هذه في الآخرة \* (ويرسل عليها) \* أي على جنتك \* (حسبانا من السماء) \* أي نارا من السماء وهذا وقول الكلبي والضحاك ومقاتل وقال قتادة \* (حسبانا) \* أي مرامي واحدها حسبانة وقال الزجاج الحسبان أصله الحساب كقوله \* (الشمس والقمر بحسبان) \* [الرحمن: ٥] أي بحساب وهكذا قال هنا \* (حسبانا) \* أي حسابا بما كسبت يداك وقال بعض أهل اللغة الحسبان في اللغة سهم فارق وهو ما يرمى به

ثم قال \* (فتصبح صعيدا زلقا) \* أي فتصير ترابا أملس لا نبات فيها \* (أو يصبح ماؤها غورا) \* أي غائرا يقال غار ماؤها فلم يقدر عليه \* (فلن تستطيع له طلبا) \* أي حيلة \* (وأحيط بثمره) \* أي فأهلك جميع ماله والاختلاف في الثمر كما ذكرنا \* (فأصبح يقلب كفيه) \* أي يصفق يده على الأخرى ندامة \* (على ما أنفق فيها) \* من المال \* (وهي حاوية على عروشها) \* أي ساقطة على سقوفها " ويقول " في الآخرة \* (يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) \* في الدنيا  
سورة الكهف ٤٣ - ٤٥

وقال \* (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله) \* أي جندا وقوما وأعوانا يمنعونه من عذاب الله \* (وما كان منتصرا) \* أي ممتنعا هو بنفسه قرأ حمزة والكسائي \* (ولم يكن) \* بالياء بلفظ التذكير وقرأ الباقون بالتاء بلفظ التأنيث وقال الزجاج لو قال نصره لجاز وإنما ينصره على المعنى أي أقواما ينصرونه \* (هنالك الولاية لله الحق) \* أي عند ذلك وهو يوم القيامة يعني السلطان والحكم لله الحق لا ينازعه أحد في ملكه يومئذ وهذا كقوله \* (والأمر يومئذ لله) \* [الانفطار: ١٩] فمن قرأ \* (الحق) \* بكسر القاف جعله نعتا لله ومن قرأ بالضم جعله نعتا للولاية قرأ حمزة \* (هنالك الولاية) \* بكسر الواو وضم القاف وقرأ الباقون \* (الولاية لله الحق) \* \* (الولاية) \* بنصب الواو وكسر القاف وقال بعضهم \* (الولاية) \* بالكسر والنصب لغتان وقيل بالكسر مصدر الوالي يقال والى بين الولاية وبالنصب مصدر الولي بين الولاية \* (هو خير ثوابا) \* أي خير من أثاب العبد \* (وخير عقبا) \* أي خير من أعقب قرأ حمزة وعاصم \* (عقبا) \* بجزم القاف وقرأ الباقون بضم القاف ومعناها واحد وهو العاقبة فبين الله تعالى حال الأخوين في الدنيا وبين حالهما في الآخرة في سورة الصافات في قوله تعالى \* (قال قائل منهم إني كان لي قرين) \* [الصافات: ٥١] إلى قوله \* (في سواء الجحيم) \* [الصافات: ٥٥] ثم قال \* (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) \* أي للمشركين شبه ما في الدنيا من الزينة

والزهرة \* (كماء أنزلناه من السماء) \* وهو المطر \* (فاختلط به نبات الأرض) \* أي  
اختلط الماء بالنبات لأن الماء إذا دخل في الأرض ينبت به النبات فكأنه اختلط به \*  
(فأصبح هشيمًا تذروه الرياح) \* وفي الآية مضمرة ومعناه فاختلط الماء بنبات الأرض  
فنبت وحسن حتى إذا بلغ أرسل الله آفة فأبيسته فصار هشيمًا أي صار يابسًا متكسرًا  
بعد حسنه قال القتيبي وأصله من هشمت الشيء إذا كسرتة ومنه سمي الرجل هاشمًا \*  
(تذروه الرياح) \* أي ذرته الرياح كالرماد ولم يبق منه شيء فكذلك الدنيا في فنائها  
وزوالها تهلك إذا جاءت الآخرة وما فيها من الزهرة " وكان الله على كل شيء مقتدرًا  
" أي قادرًا من البعث وغيره قرأ حمزة والكسائي \* (الريح) \* بلفظ الوجدان وقرأ  
الباقون \* (الرياح) \* بلفظ الجماعة

سورة الكهف ٤٦ - ٤٨

قوله تعالى \* (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) \* أي غرورا لا يبقى كما لا يبقى الهشيم  
حين ذرته الرياح وإنما يبقى في الآخرة \* (والباقيات الصالحات) \* أي الصلوات الخمس  
هكذا روي عن أبي الهيثم ومسروق وقال مسروق \* (الباقيات الصالحات) \* هي  
الخمس صلوات وهي الحسنات يذهبن السيئات وكذلك قال ابن أبي مليكة وروي  
سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد في قوله \* (والباقيات الصالحات) \* قال سبحان  
الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أنه خرج على قومه وقال خذوا جنتكم قالوا يا رسول الله أمن عدو حضر قال لا بل من  
النار قالوا وما جنتنا من النار قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر  
ويقال كل طاعة يبقى ثوابها فهي الباقيات الصالحات الصلاة والصدقة والتسبيح وجميع  
الطاعات \* (خير عند ربك ثوابا وخير أملا) \* أي خير من هذه الزينة والغرور عند الله  
تعالى وخير ما يثبت الله العبد \* (وخير أملا) \* أي خير ما يوصل العبد الصلاة والتسبيح  
أي أفضل رجاء مما يرجو الكافر لأن ثواب الكافر النار ومرجعه إلى النار  
وقال تعالى \* (ويوم نسير الجبال) \* أي نزيلها عن وجه الأرض ونسيرها كما نسير  
السحاب كقوله \* (وهي تمر مر السحاب) \* [النمل: ٨٨] \* (وترى الأرض بارزة) \*  
أي ظاهرة من تحت الجبال ويقال \* (بارزة) \* أي خالية مما فيها من الكنوز والأموات  
كما قال \* (وألقت ما فيها وتحلت) \* [الانشقاق: ٤] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن  
عامر " ويوم تسير الجبال " بالتاء مع الضمة ونصب الياء وضم اللام على معنى فعل ما  
لم يسم فاعله وقرأ الباقون \* (نسير) \* بالنون ونصب اللام كما قال \* (وحشرناهم فلم  
نغادر منهم أحدا) \* أي لم نترك منهم أحدا ولا

نخلف منهم أحدا \* (وعرضوا على ربك صفا) \* يقول جميعا كقوله \* (ثم اتوا صفا) \* [طه: ٦٤] أي جميعا

يقول الله تعالى ذكره " لقد جئتمونا " فرادى عراة حفاة \* (كما خلقناكم أول مرة) \* بلا أهل ولا مال \* (بل زعمتم) \* أي قد قلتم في الدنيا " أن لن نجعل لكم موعدا " أي لن نبعثكم في الآخرة  
سورة الكهف ٤٩ - ٥٠

وقال تعالى \* (ووضع الكتاب) \* أي وضع كتاب كل إمريء منهم يمينه أو بشماله \* (فترى المجرمين) \* أي المشركين والمنافقين والعاصين \* (مشفقين مما فيه) \* أي خائفين مما في الكتاب من الإحصاء \* (ويقولون يا ويلتنا) \* يا ندامتنا " مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة " يعني الزلل والكبائر ويقال تبسما وضحكا \* (إلا أحصاها) \* يقول حفظها عليهم \* (ووجدوا ما عملوا) \* في الكتاب \* (حاضرا) \* من خير أو شر مكتوبا \* (ولا يظلم ربك أحدا) \* أي لا ينقص من ثواب أعمالهم ولا يزيد في سيئاتهم

قوله تعالى \* (وإذ قلنا للملائكة) \* الذين كانوا في الأرض مع إبليس \* (اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) \* قال بعضهم كان أصله من الجن فلحق بالملائكة وجعل يتعبد معهم وقال مقاتل كان من الجن وهو جنس من الملائكة يقال لهم الجن روي عن ابن عباس أنه كان من الملائكة الذين هم خزان الجنان ويقال \* (كان من الجن) \* أي صار من الجن كقوله \* (فكان من المغرقين) \* [هود: ٤٣] \* (فسق عن أمر ربه) \* أي تعظم من طاعة ربه وخرج عن طريق ربه يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها \* (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) \* أفتطيعونه وتتركون أمر الله \* (وهم لكم عدو) \* أي أعداء كقوله \* (هم العدو فاحذرهم) \* [المنافقون: ٤] \* (بئس للظالمين بدلا) \* أي بئس ما استبدلوا عبادة الشيطان بعبادة الله تعالى ويقال بئس ما استبدلوا بولاية الله تعالى وولاية الشيطان  
سورة الكهف ٥١ - ٥٤

ثم قال \* (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض) \* أي ما استعنت بهم على خلق السماوات والأرض يعني إبليس وذريته \* (ولا خلق أنفسهم) \* أي ولا استعنت بهم على خلق أنفسهم \* (وما كنت متخذ المضلين) \* أي ما كنت أتخذ الذين يضلون الناس عوناً يعني الشياطين \* (عضداً ويوم يقول نادوا شركائي) \* أي لعبده الأوثان وهو يوم القيامة \* (نادوا شركائي) \* أي ادعوا آلهتكم \* (الذين زعمتم) \* في الدنيا أنهم لي شركاء ليمنعوكم مني من عذابي \* (فدعوهم) \* يعني الآلهة \* (فلم يستجيبوا لهم) \* أي لم يجيبوهم \* (وجعلنا بينهم موبقاً) \* قال مجاهد واد في جهنم وهكذا قال مقاتل وقال القتيبي أي مهلكاً بينهم وبين آلهتهم في جهنم ومنه يقال أوبقته ذنوبه ويقال موعداً وقال الزجاج وجعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم أي وجعلنا بينهم وبين شركائهم الذين أضلوهم \* (موبقاً) \* أي مهلكاً قرأ حمزة ويوم \* (نقول) \* بالنون وقرأ الباقون بالياء ثم قال \* (ورأى المجرمون النار) \* أي رآها المشركون من مكان بعيد \* (فظنوا) \* أي علموا واستيقنوا \* (أنهم واقعوها) \* أي داخلوها \* (ولم يجدوا عنها مصرفاً) \* أي معدلاً ولا ملجأً ولا مفراً يرجعون إليه قوله تعالى \* (ولقد صرفنا) \* أي بينا \* (في هذا القرآن للناس من كل مثل) \* أي من كل وجه ونوع ليتعضوا فلم يتعضوا ويقال بينا من كل وجه يحتاجون إليه " وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً " من أمر الباطل يعني من أمر البعث مثل أبي بن خلف وأصحابه

قال الفقيه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا يحيى بن محمد الصاعد قال حدثنا العباس بن محمد الدوري قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا الحجاج بن دينار قال عن أبي غالب عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل والدليل علي أن الإنسان أراد به الكافر ما قال في سياق الآية \* (ويجادل الذين كفروا بالباطل) \* الآية

سورة الكهف ٥٥ - ٥٦

ثم قال \* (وما منع الناس أن يؤمنوا) \* يقول لم يمنع المشركون أن يصدقوا \* (إذ جاءهم الهدى) \* يعني الرسول والكتاب والدلائل والحجج قوله \* (ويستغفروا ربهم) \* أي وما منعهم من الاستغفار والرجوع عن شركهم \* (إلا أن تأتيهم سنة الأولين) \* أي عذاب الأمم الخالية \* (أو يأتيهم العذاب قبلاً) \* أي عياناً بالسيف قرأ عاصم وحمزة والكسائي \* (قبلاً) \* بضم القاف والباء وقرأ الباقون بكسر القاف ونصب الباء فمن قرأ بالضم فهو بمعنى فعل من

قبل أي مما يقابلهم ويجوز أن يكون جمع قبيل هو أن يأتيهم العذاب أنواعا ومن قرأ  
بالكسر معناه عيانا

وقال \* (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين) \* أي للمؤمنين بالجنة \* (ومنذرين) \* أي  
للكافرين بالنار \* (ويجادل الذين كفروا بالباطل) \* أي يخاصموا بالباطل \* (ليدحضوا  
به) \* أي ليزيلوا ويذهبوا به \* (الحق) \* ومنه يقال حجة داحضة إذا زالت عن المحجة  
وقال مقاتل \* (ليدحضوا به) \* أي ليطلوا به الحق يعني القرآن والإسلام يعني يريدون  
أن يفعلوا إن قدروا عليه \* (واتخذوا آياتي) \* يعني القرآن \* (وما أنذروا) \* أي وما  
خوفوا به \* (هزوا) \* أي سخرية

سورة الكهف ٥٧ - ٥٩

قوله تعالى \* (ومن أظلم) \* أي فلا أحد أظلم ويقال أشد في كفره \* (ممن ذكر بآيات  
ربه) \* أي وعظ بالقرآن \* (فأعرض عنها) \* يقول فكذب بها ولم يؤمن بها \* (ونسي  
ما قدمت يداه) \* أي نسي ذنوبه التي أسلفها \* (إننا جعلنا على قلوبهم أكنة) \* أي  
جعلنا أعمالهم على قلوبهم أكنة \* (أن يفقهوه) \* أي لكيلا يعرفوه ولا يفهموه \* (وفي  
آذانهم وقرا) \* أي صمما وثقلا مجازاة لكفرهم \* (وإن تدعهم إلى الهدى) \* أي إلى  
الإسلام \* (فلن يهتدوا) \* أي لن يؤمنوا \* (إذا أبدا وربك  
الغفور) \* أي المتجاوز إن رجعوا \* (ذو الرحمة) \* أي بتأخير العذاب عنهم \* (لو  
يؤاخذهم بما كسبوا) \* أي لو يعاقبهم بكفرهم \* (لعجل لهم العذاب) \* في الدنيا \*  
(بل لهم موعد) \* أي أجلا \* (لن يجدوا من دونه موثلا) \* أي ملجأ يلجؤون إليه ولا  
منجى منه

قوله عز وجل \* (وتلك القرى) \* أي أهلها يعني \* (أهلكناهم لما ظلموا) \* يعني  
القرون الماضية حين أقاموا وثبتوا على كفرهم \* (وجعلنا لمهلكهم موعدا) \* أي  
لهلاكهم أجلا يهلكون فيه قرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (لمهلكهم) \* بنصب الميم  
واللام وقرأ عاصم في رواية حفص بنصب الميم وكسر اللام وقرأ الباقر بضم الميم  
ونصب اللام ومعنى ذلك كله واحد قال الزجاج يكون للمصدر ويجوز للوقت وإن  
كان مصدرا فمعناه جعلنا لوقت هلاكهم أجلا وإن كان للوقت فمعناه جعلنا لوقت  
هلاكهم أجلا

سورة الكهف ٦٠ - ٦٥

ثم قال تعالى \* (وإذ قال موسى لفتاه) \* أي لتلميذه وهو يوشع بن نون وقال أهل الكتاب إنما هو موسى بن إفرايم بن يوسف بن يعقوب وذكر عن القتيبي أنه قال زعم أهل التوراة أنه موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب وقال عامة المفسرين هو موسى بن عمران الذي هو أخو هارون

قال الفقيه رضي الله عنه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا أبو العباس قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا أبو المغيرة قال حدثنا الأوزاعي عن الزهري عن عبيد الله بن منبه أن ابن عباس تمارى هو وجبر بن قيس الفزاري في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إليه قال ابن عباس هو الخضر إذ مر أبي بن كعب فناده ابن عباس فقال تماريت أنا وهذا في صاحب موسى فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا موسى في ملا بني إسرائيل إذ قام إليه رجل فقال هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى الله إليه بل عبدي الخضر فسأل موسى السبيل إلى لقائه فجعل الله له الحوت آية فقال إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه فكان من شأنهما ما قص الله تعالى في القرآن وروى سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس إن نوف البكالي زعم أن موسى نبي بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر فقال ابن عباس كذب عدو الله أخبرنا أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قام موسى خطيبا في بني إسرائيل وذكر نحو الحديث الأول

وروى أسباط عن السدي قال بلغنا أن موسى بن عمران نبي الله خطب خطبة فأبلغ فيها فدخله بعض العجب وتعجبت بنو إسرائيل لبلاغته فقالوا يا نبي الله هل تعلم أحدا أبلغ منك فأوحى الله تعالى إليه أن لي عبدا في الأرض هو أعلم منك فاطلبه قال وما علامته قال تنطلق معك بزاد فإذا تعبت في سفرك أي أعيتت وفقدت زادك فعند ذلك تلقاه فانطلق موسى وفتاه يوشع بن نون وحملا معهما خبزا وحوتا فذلك قوله تعالى \* (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح) \* قال الكلبي وإنما سماه موسى فتى لأنه كان يخدمه ويتبعه ويتعلم منه وكان يوشع من أشرف بني إسرائيل وهو الذي استخلفه موسى على بني إسرائيل وقال مقاتل كان فتاه يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى من سبط يوسف

قوله \* (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) \* أي بحر الملح وهو بحر فارس وبحر الروم والبحر العذب وقد قيل معناه آتي الموضوع الذي يجتمع فيه بين العالمين يعني موسى والخضر وهما بحران في العلم والتفسير الأول أصح لأنه ذكر بعد هذا حديث البحر \* (أو أمضي حقبا) \* أي زمانا ودهرا وقال الكلبي الحقب الواحد ثمانون سنة \* (فلما بلغا مجمع بينهما) \* أي موسى ويوشع بن نون مجمع البحرين جلسا على شاطئ البحر فأصابا من طعامهما ونام موسى وجعل يوشع يتوضأ من عين على شاطئ البحر فانتضح من ذلك الماء على الحوت الملح فحيي فعاش الحوت وكانت تلك العين عين الحياة لا تصيب شيئا إلا عاش فوثب الحوت في الماء فجعل الحوت يضرب بذنبه في الماء فلا يضرب في ذنبه في الماء إلا يبس فأراد يوشع أن يخبر موسى بذلك فلما استيقظ موسى نسي يوشع أن يخبر موسى فذلك قوله \* (نسيا حوتهما) \* يعني أن يوشع نسي أن يخبر موسى عن خبر الحوت \* (فاتخذ سبيله في البحر سربا) \* قال الفراء أي أخذ طريقه يبسا وقال القتيبي اتخذ طريقه في البحر مذهبا ومسلكا فذهبا عن ذلك الموضوع في غدوتهما حتى أصابهما التعب ولم ينصب موسى في سفره حتى كان يومئذ فنصب فقال لفتاه يوشع

قوله \* (فلما جاوزا قال لفتاه) \* يوشع \* (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) \* أي مشقة وتعبا " قال " يوشع لموسى \* (أرأيت إذ أومنا إلى الصخرة) \* أي حين نزلنا عند الصخرة \* (فإني نسيت الحوت) \* يقول نسيت أن أذكر لك أمر الحوت \* (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) \* لك وأمره \* (واتخذ سبيله في البحر) \* أي طريقه \* (عجبا) \* قال بعضهم \* (عجبا) \* هو من كلام موسى وقال بعضهم من كلام يوشع قال \* (عجبا) \* وذلك أن يوشع لما أخبره فقال موسى عجبا فكأنه قال أعجب عجبا وقال بعضهم هو كلام يوشع " قال اتخذ سبيله في البحر عجبا " أي يبسا وذلك حين يبس له الماء وأثره في الماء

ف " قال " موسى \* (ذلك ما كنا نبغ) \* أي نطلب من حاجتنا \* (فارتدا) \* أي رجعا \* (علي آثارهما قصصا) \* يقتصان أثر طريقهما الذي جاء فيه وإنما سمي قاصا لأنه يقص أثر الأمم ومعناه أنهما رجعا في الطريق الذي سلكاه فلما انتهيا إلى الصخرة حيث قام الحوت أراه يوشع مكان الحوت وأثره في الماء فجب موسى من أثره فأبصر رجلا عند الصخرة قائما يصلي وعليه مدرعة صوف وكساء صوف فلما فرغ من صلاته قال موسى السلام عليك فقال وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل قال ومن أخبرك أنني نبي بني إسرائيل قال أخبرني الذي أخبرك بمكاني فذلك قوله \* (فوجدنا عبدا من عبادة آتيناها رحمة من عندنا) \* أي أعطيناها النبوة (وعلمناه من لدنا علما) أي علم بعض الكوائن روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الخضر في بعض الأخبار فقال كان ابن ملك من الملوك فأراد أبوه أن يستخلفه من بعده فلم يقبل وهرب منه ولحق بجزائر البحر فطلبه أبوه فلم يقدر عليه



(۳۰۴)



## سورة الكهف ٦٦ - ٧٠

ثم قال \* (قال له موسى هل أتبعك) \* أي أصحبك \* (على أن تعلمن مما علمت  
رشدًا) \* أي هدى وصوابًا قرأ أبو عمرو وابن عامر \* (رشدًا) \* بالنصب وقرأ الباقون  
بالضم وأختلف عن عاصم ونافع ومعناهما واحد فقال له الخضر إن لك فيما في التوراة  
كفاية من طلب العلم في بني إسرائيل وفضل وإنك سترى مني أشياء تنكرها ولا ينبغي  
للرجل الصالح أن يرى شيئًا منكرا لا يغيره فذلك قوله تعالى \* (قال إنك لن تستطيع  
معي صبرا) \* يعني إنك ترى مني أشياء لا تصبر عليها \* (وكيف تصبر على ما لم تحط  
به خبرًا) \* أي ما لم تعلم به علما ويقال معناه كيف تصبر على ما ظاهره منكر " قال "  
موسى \* (ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) \* أي لا أترك أمرك فيما  
أمرتني " قال " الخضر \* (فإن اتبعنتي) \* أي صحبتني " فلا تسألني عن شيء " فعلت \*  
(حتى أحدث لك منه ذكرا) \* أي حتى أخبرك منه خبرا يعني إن أنكرته فلا تعجل علي  
بالمسألة فأمر موسى يوشع أن يرجع إلى بني إسرائيل وأقام موسى مع الخضر  
قرأ نافع \* (فلا تسألني) \* بتشديد النون مع إثبات الياء والتشديد للتأكيد والنهي وقرأ  
ابن عامر \* (فلا تسألن) \* بتشديد النون بغير ياء لأن الكسرة تدل عليه وقرأ الباقون \*  
(فلا تسألني) \* بالتخفيف وإثبات الياء وقرأ بعضهم بالتخفيف بغير ياء

## سورة الكهف ٧١

ثم قال \* (فانطلقا) \* يعني موسى والخضر وذلك أن موسى رد يوشع إلى بني إسرائيل  
وذهب موسى مع الخضر \* (حتى إذا ركبا في السفينة) \* وذلك أنهما لما أتيا السفينة  
قال أهل السفينة لا يدخل علينا هذان الرجلان فإننا لا نعرفهما ونخاف على متاعنا منهما  
فقال الملاح بل سيماهما سيما الزهاد فحملهما في السفينة بغير نول أي مجانا فأخذ  
الخضر فأسا لما ركبا السفينة وجعل يثقب السفينة ويحرقها فقال أهل السفينة الله الله  
لا تحرق سفينتنا فنغرق فقال موسى حملنا بغير نول وتحرق السفينة وتغرق أهلها فذلك  
قوله \* (حتى إذا ركبا في السفينة) \* \* (حرقها) \* أي ثقبها " قال " موسى \* (أحرقتها  
لتغرق أهلها) \* قرأ حمزة والكسائي " ليغرق " بالياء والنصب \* (أهلها) \* بضم اللام  
وقرأ الباقون بالتاء والضم وكسر الراء والنصب في اللام فمن قرأ بنصب التاء فالأهل هو  
المفعول \* (لقد جئت شيئا إمرا) \* أي

منكرا شديدا قال القتيبي \* (أمرأ) \* أي داهية وكذلك \* (نكرا) \* إلا أن النكر أشد  
إستعظاما بالعين وإنكارا بالقلب  
سورة الكهف ٧٢ - ٧٤

قوله تعالى " قال " له الخضر \* (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) \* روي عن ابن  
عباس أنه قال قال له موسى يا عبد الله إنه لا يحل لك أن تحرق سفينة القوم فتغرقهم  
فلم يكلمه الخضر وجعل يخرق السفينة حتى خرقها فتنحى موسى وجلس فقال وما  
كنت أصنع إن أتبع هذا الرجل يظلم هؤلاء القوم وقد كنت في بني إسرائيل أقرأ عليهم  
كتاب الله غدوة وعشية ويقبلون مني فتركهم وصحبت هذا الرجل الذي يظلم هؤلاء  
القوم فقال الخضر يا موسى أتدري ما حدثت به نفسك فقال موسى ما هو قال الخضر  
قلت كنت في بني إسرائيل أتلو عليهم كتاب الله غدوة وعشية يقبلونه مني فتركهم  
وصحبت هذا الرجل الذي يظلم هؤلاء القوم ثم قال له " ألم أقل لك إنك لا تستطيع  
معي صبرا "

قال فجاء عصفور فوق علي جانب السفينة فنقر من البحر نقرة من الماء ثم طار فقال  
الخضر والله ما ذهبت أنا وأنت من العلم في علم الله تعالى إلا مثل ما يغرف هذا  
العصفور من الماء من هذا البحر " قال " موسى \* (لا تؤاخذني بما نسيت) \* أي بما  
تركت من وصيتك وقال ابن عباس هذا من معاريف الكلام لأن موسى لم ينس ولكن  
قال \* (لا تؤاخذني بما نسيت) \* يعني إذا كان مني نسيان فلا تؤاخذني به \* (ولا  
ترهقني من أمري عسرا) \* يعني لا تكلفني من أمري شدة \* (فانطلقا) \* أي خرجا من  
السفينة ومضيا \* (حتى إذا لقيا غلاما) \* قال الكلبي كان اسمه خشنوذ وقال غيره كان  
اسمه حربث بن كاذرى فقتله أي أخذ برأسه قرعه قال ابن عباس في رواية أبي صالح  
كان رجلا إلا أنه لم يهتك بعد وكان كافرا يقطع الطريق وقال سعيد بن جبير في رواية  
ابن عباس كان صبيا غير مدرك فمر بغلمان يلعبون فأخذ برأس غلام منهم فقطعه وقال  
في بعض الروايات خنقه فذلك قوله \* (فقتله) \* وروي أن نجدة الحروري كتب إلى  
ابن عباس أن النبي نهى عن قتل الصبيان في دار الحرب وأن صاحب موسى قد قتل  
صبيا فكتب إليه ابن عباس إنك لو علمت من الصبيان ما علم صاحب موسى جاز لك  
أن تقتلهم

" قال " له موسى \* (أقتلت نفسا زكية بغير نفس) \* أي طاهرة بغير ذنب ويقال \*  
(زكياه) \* لم تجن عليك \* (بغير نفس) \* يقول بغير دم وجب عليها قرأ ابن كثير ونافع  
وأبو عمرو " زاكية " بالألف وقرأ الباقون بغير ألف ومعناها واحد مثل قاسية وقسية  
وقال

القتبي الزكية المطهرة التي لم تذب قط \* (لقد جئت شيئاً نكراً) \* أي منكراً أي أمراً فظيماً قال القتبي إنما قال ها هنا \* (نكراً) \* لأن قتل النفس أشد إستعظاماً من حرق السفينة وقال الزجاج \* (نكراً) \* أقل من إمراً لأن إغراقه من في السفينة كان أعظم عنده من قتل النفس الواحدة

سورة الكهف ٧٥ - ٧٨

" قال " الخضر \* (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً) \* وقد زاد هنا \* (لك) \* للتأكيد قيل لأنه سبق منه الزجر مرة " قال " موسى " إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني " يعني إن طلبت صحبتك فلا تتابعني وقد قرئ " فلا تصاحبني " أبداً \* (قد بلغت من لدني عذراً) \* يقول قد أعذرت فيما بيني وبينك في الصحبة

\* (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية) \* قال ابن عباس وهي أنطاكية \* (استطعما أهلها) \* أي إستضافا قال بعضهم سألاهم وقال بعضهم لم يسألاهم ولكن كان نزولهما بين ظهرانيهما بمنزلة السؤال منهما \* (فأبوا أن يضيفوهما) \* يعني لم يطعموهما \* (فوجدنا فيها جداراً) \* يعني في تلك القرية \* (يريد أن ينقض) \* وهذا كلام مجاز لأن الجدار لا يكون له إرادة ومعناه كاد أن يسقط \* (فأقامه) \* يعني سواه الخضر " قال " موسى \* (لو شئت لاتخذت عليه أجراً) \* أي جعلاً خبزاً تأكله قرأ ابن كثير وأبو عمرو "

لتخذت " بغير ألف وكسر الخاء والباقون \* (لاتخذت) \* ومعناها واحد وقرأ نافع \* (من لدني) \* بنصب اللام وضم الدال وتخفيف النون وقرأ

حمزة والكسائي وابن كثير وأبو عمرو \* (من لدني) \* بتشديد النون وهي اللغة المعروفة والأول لغة لبعض العرب واختلف الروايات عن عاصم " قال " الخضر \* (هذا فراق بيني وبينك) \* أي هذا شرط الفراق بيني وبينك وأنت حكمت على نفسك \* (سأنبئك بتأويل) \* أي بتفسير \* (ما لم تستطع عليه صبراً) \* أي تعلم ما رأيتني أصنع فأنكرت لتعرف أهلها وتأويله

سورة الكهف ٧٩

قال تعالى \* (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) \* أي يؤاجرون في البحر ويكسبون قوتهم \* (فأردت أن أعيبها) \* أي أجعلها معيبة \* (وكان وراءهم ملك) \* أي أمامهم

ملك روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ وكان أمامهم ملك \* (يأخذ كل سفينة غصبا) \*  
وكان ابن مسعود يقرأ أيضا كل سفينة سالحة غصبا أي كل سفينة بغير عيب وكان  
اسم الملك جلندي يعني أنها لو كانت بغير عيب أخذها الملك فإذا كانت مع العيب  
تبقى للمساكين

قال الفقيه أبو الليث فيه دليل أن للوصي أن ينقض مال اليتيم إذا رأى فيه صلاحا وهو  
أنه لو كانت له دار نفيسة فخاف أن يطمع فيها بعض السلاطين فأراد أن يخرب بعضها  
ليبقها لليتيم جاز وروي عن أبي يوسف أنه كان يجيز مصانعة الوصي في مال اليتيم  
وهو يدفع من ماله شيئا إلى السلطان ليدفعه عن بقية ماله

سورة الكهف ٨٠ - ٨٢

ثم قال \* (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما) \* أي يقول يكلفهما \*  
(طغيانا وكفرا) \* يقول تماديا وإثما ومعصية \* (فأردنا أن يبدلها) \* قرأ نافع وأبو  
عمرو \* (يبدلها) \* بتشديد الدال وقرأ الباقر بالتخفيف ومعناها واحد يقال بدل  
وأبدل بمعنى واحد أي يعطيها ولدا غير هذا الولد \* (ربهما خيرا منه) \* أي أفضل \*  
(زكاة) \* أي ولدا صالحا \* (وأقرب رحما) \* أي أوصل رحما ويقال رحما ويقال  
أقرب رحمة وعظفا عليهما قال الكلبي فولدت امرأته جارية فتزوجها نبي من الأنبياء  
فهدى الله على يده أمة من الأمم

ثم قال \* (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) \* أحدهما أصرم والآخر صريم  
\* (وكان تحته كنز لهما) \* قال الكلبي أي مالا لهما وقال مقاتل ومجاهد كل شيء في  
القرآن من كنز فهو مال غيرها هنا فإنه الصحف التي فيها علم وقال الضحاك \* (كنز  
لهما) \* أي علم لهما

قال الفقيه حدثني أبي بإسناده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وجد تحت الجدار الذي قال الله تعالى \* (وكان تحته كنز لهما) \* لوح من  
ذهب والذهب لا يصدأ ولا ينقص مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن  
يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن  
بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله روي عن  
ابن عباس أنه قال كان في اللوح خمس كلمات وذكر نحوه  
قوله \* (وكان أبوهما صالحا) \* ذا أمانة واسمه كاشح فحفظا بصلاح أبيها ولم يذكر  
منهما

صلاحا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل أهله وولده وأهل دويرته وأهل الدويرات حوله \* (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) \* أي يبلغا مبلغ الرجال \* (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) \* أي نعمة من ربك \* (وما فعلته عن أمري) \* أي من قبل نفسي ولكن الله أمرني به \* (ذلك تأويل) \* أي تفسير \* (ما لم تستطع عليه صبيرا) \* تستطع وتسطع بمعنى واحد يقال اسطاع واستطاع

قال الفقيه رضي الله عنه حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد الدوري قال حدثنا الحجاج الأعور قال حدثنا حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لأحد بدأ بنفسه وقال رحمة الله علينا وعلى موسى فلو كان صبر لقص الله علينا من خبرهما وفي رواية أخرى لقص الله علينا من خبرهما العجائب فلما أراد موسى أن يرجع قال للخضر أوصني فقال له الخضر إياك واللحاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابتك على خطيئتك يا ابن عمران قال مجاهد إنما سمي الخضر خضرا لأنه لا يكون بأرض إلا إخضرت

سورة الكهف ٨٣ - ٨٦

ثم قال تعالى \* (ويسألونك عن ذي القرنين) \* وكان اسمه إسكندر وروي عن وهب بن منبه أنه قيل له لم سمي ذا القرنين فقال اختلف فيه أهل الكتاب فقال بعضهم لأنه ملك الروم وفارس وقال بعضهم لأنه كان في رأسه شبه القرنين وقال بعضهم لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها فسماه الملك الذي عند قاف ذا القرنين ويقال رأى في المنام أنه دنا من الشمس وأخذ منها فقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين وقال الزجاج سمي ذا القرنين لأنه كان له ضفيرتان وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال ضرب على قرني رأسه وقيل لأنه بلغ قطر الأرض وقال عكرمة كان ذو القرنين نبيا ولقمان نبيا والخضر نبيا وروي مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص كان ذو القرنين نبيا وروي عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذي القرنين فقال كان رجلا صالحا وهكذا قال ابن عباس وجمعة من الصحابة أن ذا القرنين كان رجلا صالحا ولقمان كان رجلا حكيما

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذي القرنين فقال هو ملك يسيح في الأرض وقال مجاهد ملك الأرض أربعة اثنان مؤمنان واثنان كافرين أما المؤمنان فسلیمان بن داود وذو القرنين وأما الكافرين فالنمرود بن كنعان وبختنصر قال تعالى " قل سأتلوا عليكم منه ذكرا " أي خبرا وعلمنا من الله تعالى \* (إنا مكننا له في الأرض) \* أي ملكناه وأعطيناه " وآتيناه من كل شيء سيبا " أي علما ويقال أعطيناه علم الوصول إلى كل شيء يحتاج إليه من الحروف وغيرها ويقال علما بالطريق \* (فأتبع سيبا) \* أي أخذ طريقا فسار إلى المغرب \* (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) \* قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر " حمئة " بالألف وقرأ الباقر \* (حمئة) \* بغير ألف فمن قرأ " حمئة " يعني جائرة ومن قرأ بغير ألف يعني من طينة سوداء منتنة وروي أن معاوية قرأ " في عين حامة " فقال ابن عباس ما نقرؤها إلا حمئة فسأل معاوية عبد الله بن عمرو كيف تقرأها فقال كما قرأتها قال ابن عباس في بيتي نزل القرآن فبعث معاوية إلى كعب يسأله أين تجد الشمس تغرب في التوراة قال في ماء وطين وقال في مدرة سوداء قال القتيبي \* (حمئة) \* ذات حمات والحامية حارة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع \* (فاتبع) \* بتشديد التاء وكذلك ما بعده وقرأ الباقر فأتبع بنصب الألف وحزم التاء بغير تشديد

\* (ووجد عندها قوما) \* أي عند العين التي تغرب فيها الشمس مؤمنين وكافرين فظهر عليهم \* (قلنا يا ذا القرنين) \* قال مقاتل أوصى الله تعالى إليه وقال ابن عباس ألهمه الله تعالى \* (إما أن تعذب) \* يعني أن تقتل من كان كافرا \* (وإما أن تتخذ فيهم حسنا) \* يعني تنعم عليهم وتغفر لمن كان مؤمنا وقال بعضهم كانوا كلهم كفارا قيل له إما أن تعذب من لم يؤمن وإما أن تتخذ فيهم حسنا لمن آمن

سورة الكهف ٨٧ - ٩٣

" قال " ذو القرنين \* (أما من ظلم) \* أي كفر بالله \* (فسوف نعذبه) \* أي نقتله إن لم يتب \* (ثم يرد إلى ربه) \* في الآخرة \* (فيعذبه) \* في النار \* (عذابا نكرا) \* يقول شديدا \* (وأما من آمن) \* يقول صدق بالله \* (وعمل صالحا) \* فيما بينه وبين الله تعالى \* (فله جزاء الحسنى) \* قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص \* (جزاء) \* بنصب الألف والتنوين وقرأ الباقر

بضم الألف بغير تنوين فمن قرأ بالنصب فمعناه أن له الحسنى جزاء صار الجزاء نصبا للحال ومن قرأ بالضم جزاء للإضافة بغير جزاء إحسانه \* (وسنقول له من أمرنا يسرا) \* أي ساعد له في الدنيا معروفا عدة حسنة معروفة ويقال وسنقول له قولاً جميلاً ثم قال \* (ثم أتبع سبباً) \* أي أخذ طريقاً وقال القتيبي السبب أصله الحبل ثم كل شيء توصلت به إلى موضع أو حاجة فهو سبب تقول فلان سببني إليك أي وصلتي وتسمى الطريق سبباً لأنه يصل إلى الموضع الذي يريده

\* (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) \* أي لم يكن لهم من دون الشمس شيء يظلمهم لا شجر ولا جبل ولا ثوب إلا عراة عمأة عن الحق وكانوا في مكان لا يستقر عليه البناء وقال قتادة يقال إنهم الزنج وكانوا في مكان لا ينبت فيه نبات وكانوا يدخلون سرباً إذا طلعت الشمس حتى تزول عنهم ويخرجون في معاشهم \* (كذلك) \* يعني هكذا بلغ مطلع الشمس أيضاً كما بلغ مغربها

ثم أستأنف فقال \* (وقد أحطنا بما لديه خبراً) \* أي بما عنده علماً وهذا قول مقاتل \* (كذلك) \* أي كما أخبرتك بهذا الخبر كذلك كان علمنا محيطاً به قبل ذلك \* (ثم أتبع سبباً) \* أي أخذ طريقاً

ثم قال \* (حتى إذا بلغ بين السدين) \* أي بين الجبلين قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر \* (السدين) \* بضم السين وكذلك الثاني والذي في سورة يس وروى حفص عن عاصم أنه نصب كله وابن كثير وأبو عمرو نصبا لها هنا ورفعاً في يس وحمزة والكسائي رفعاً بين السدين ونصبا ما سوى ذلك وقال بعض أهل اللغة ما كان مسدوداً خلقة فهو سد بالنصب وما كان يعمل الناس فهو سد بالضم وروي عن ابن عباس ومجاهد وقيل إن المراد هنا طرفا الجبل \* (وجد من دونهما) \* أي من قبل الجبلين \* (قوما لا يكادون يفقهون قولاً) \* أي كلاماً غير كلامهم ولساناً غير لسانهم قرأ حمزة والكسائي \* (يفقهون) \* بضم الياء وكسر القاف يعني أن كلامهم لا يفهمه أحد غيرهم وقرأ الباقون \* (يفقهون) \* بالنصب يعني أنهم لا يفقهون قول غيرهم

سورة الكهف ٩٤ - ٩٧

\* (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) \* أي يخرجون إلى أرضنا

ويأكلون رطبنا ويحملون يابسنا ويقتلون أولادنا وكان يأجوج رجلا ومأجوج رجلا وكانا أخوين من بني يافث بن نوح فكثرت نسلهما فنسب إليهما ويقال سمي يأجوج ومأجوج لكثرتهم وازدحامهم لأنهم يمجون بعضهم في بعض \* (فهل نجعل لك خرجا) \* قرأ عاصم \* (يأجوج ومأجوج) \* بهمز الألف وقرأ الباقون بغير همز وقرأ حمزة والكسائي \* (خرجا) \* بالألف وقرأ الباقون \* (خرججا) \* بغير ألف ويقال الخراج هو الضريبة والخرج هو الجعل ويقال أحدهما اسم والآخر مصدر " على أن تجعل بيننا سدا " أي حاجزا

ف " قال " ذو القرنين \* (ما مكني فيه ربي خير) \* قرأ ابن كثير " ما مكني " بنونين وهو الأصل في اللغة وقرأ الباقون \* (مكني) \* فأدغم إحدى النونين في الأخرى وأقيم التشديد مقامه أي ما ملكني وأعطاني فيه ربي من القوة والمال خير من جعلكم ويقال ما يعطيني الله تعالى في الآخرة من الثواب خير من جعلكم في الدنيا \* (فأعينوني بقوة) \* قالوا وما تريد قال آلة العمل وهي آلة الحدادين \* (أجعل بينكم وبينهم ردما) \* قالوا وما هي قال \* (أتوني زبر الحديد) \* أي قطع الحديد " أجعل بينكم وبينهم سدا " قرأ عاصم في إحدى الروايتين " إيتوني " على معنى جيئوني وقرأ الباقون \* (أتوني) \* بمد الألف أي أعطوني فأتوه بقطع الحديد فبناه

\* (حتى إذا ساوى بين الصدفين) \* قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر \* (الصدفين) \* بضم الصاد والذال وقرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (الصدفين) \* بضم الصاد وجزم الذال وقرأ الباقون بنصب الصاد والذال وهما ناحيتا الجبل فأخذ قطع الحديد وجعل بينهما حطبا وفحما ووضع المنافخ وقال أنفخوا فنفخوه حتى صار كهيئة النار ثم أتى بالصفير ويقال بالنحاس فأذابه وأفرغ عليه حتى صار جبلا من حديد ونحاس فذلك قوله \* (حتى إذا ساوى بين الصدفين) \* أي بين الجبلين \* (قال انفخوا)

\* فنفخوا \* (حتى إذا جعله نارا) \* أي صير الحديد نارا \* (قال أتوني أفرغ عليه قطرا) \* وهو الصفير المذاب أصيب عليه قرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة \* (قال ائتوني) \* بجزم الألف والباقون بالمد \* (فما استطاعوا) \* أي فما قدروا \* (أن يظهره) \* يعني أن يعلوا فوق السد \* (وما استطاعوا له نقبا) \* أي ما قدروا على نقب السد ويقال \* (ما استطاعوا له نقبا) \* أي ما تحت السد في الأرض لأنه بناه في الأرض إلى السماء

قال الفقيه رضي الله عنه حدثنا عمرو بن محمد قال حدثنا أبو بكر الواسطي قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا أبو حفص عن سعيد عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن يأجوج ومأجوج يحفرون الردم في كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذين عليهم إرجعوا فسنحفره غدا فيعيده الله كما كان حتى إذا بلغت مدتهم قال الذين عليهم إرجعوا فسنحفره غدا إن شاء الله تعالى فيعودون إليه فإذا هو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه وتحصن الناس في





(۳۶۲)

حصونهم فيبعث الله عليهم نغفا في أقفيتهم فيهلكهم الله بها  
وروى أبو صالح عن ابن عباس أن يأجوج ومأجوج لا يموت الرجل منهم حتى يلد  
لصلبه ألف ابن وذكر أن يأجوج ومأجوج كما ذكرنا وهما ابنا يافث بن نوح فإذا  
إنكسر السد وذلك عند إقتراب الساعة يخرجون فيمرون ببخيرة طبرية بأرض الشام  
وهي مملوءة ماء فيشربها أولهم ثم يمر آخرهم فيقولون لقد كان ها هنا مرة ماء قال  
والسد نحو بنات نعش ثم يمرون بالبحر فيأكلون ما في جوفه من سمك وسرطان  
وسلحفاة أو دابة ثم يأكلون ورق الشجر ويأكلون ما في الأرض من شيء ويهرب  
الناس منهم فيقتلون من قدروا عليه ولا يستطيعون أن يأتوا أربعة مساجد المسجد الحرام  
ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس ومسجد طور سيناء ثم لا يرون على الأرض  
غيرهم ثم يقولون لقد قتلنا أهل الأرض وبقي أهل السماء فيرمون سهامهم نحو السماء  
فتصيب الطير في جو السماء فترجع سهامهم مختضبة بالدماء فيقولون لقد قتلنا أهل  
السماء وأهل الأرض ولم يبق غيرنا فيبعث الله تعالى عليهم دودا يسمى النغف فيدخل  
في آذانهم فيقتلهم فتنتن الأرض من جيفهم ثم يرسل الله تعالى السما أربعين يوما حتى  
يحمل السيل جيفهم فيرميها إلى البحر ويعود البحر كما كان قرأ حمزة \* (فما  
اسطاعوا) \* بتشديد الطاء والباقون بالتخفيف

سورة الكهف ٩٨ - ١٠٢

فلما فرغ ذو القرنين من بناء السد \* (قال هذا رحمة من ربي) \* أي هذا السد رحمة  
من ربي عليكم \* (فإذا جاء وعد ربي) \* يقول إذا جاء أجل ربي \* (جعل دكاء) \*  
يعني كسرا قرأ أهل الكوفة \* (دكاء) \* بالمد وقرأ الباقون بالتنوين قال القنبي \* (جعل  
دكا) \* أي ألقصه بالأرض وقرأ الباقون بالتنوين \* (دكا) \* إذا لم يكن لها سنام \*  
(وكان وعد ربي حقا) \* أي صدقا وكائنا بخروجهم  
ثم قال \* (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) \* أي يجول في بعض وراء السد \*  
(ونفخ في الصور) \* قال أبو عبيدة تنفخ الأرواح في الصور وقال عامة المفسرين يعني  
ينفخ إسرافيل في الصور وهذا موافق لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه  
قال كيف أنعم

وصاحب القرن قد التقمه وحنا جبهته عليه وينتظر متى يؤمر فينفخ فيه \* (فجمعناهم جمعا) \* أي يوم القيامة نجمع يأجوج ومأجوج وجميع الخلق \* (وعرضنا جهنم يومئذ) \* أي كشفنا الغطاء عنها قبل دخولهم جهنم \* (للكافرين عرضا) \* أي كشفنا ويكون المصدر لتأكيد الكلام

ثم نعت الكافرين فقال \* (الذين كانت أعينهم) \* أي أعين الكافرين \* (في غطاء عن ذكرى) \* أي في عمى عن التوحيد والقرآن فلم يؤمنوا \* (وكانوا لا يستطيعون سمعا) \* أي استماعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بغضه وعداوته

قوله تعالى \* (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) \* يعني أن يعبدوا غيري ومعناه لا يحسبن الكافرون بأن يتخذوا أولياء يعبدون معي شيئا لأن المشركين كانوا يدعون بعض المؤمنين إلى الشرك وهذا كقوله \* (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) \* [الحجر: ٤٢] ويقال ومعناه أفيظن الذين كفروا أن يعبدوا عبادي يعني الملائكة وعزيرا والمسيح \* (من دوني أولياء) \* يعني أربابا ومعناه يظنون أنهم لو إتخذوهم أربابا تنفعهم عبادتهم ويفوتون من عذابي

ثم بين عذابهم فقال \* (إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) \* أي منزلا روي عن علي بن أبي طالب أنه قرأ \* (أفحسب الذين كفروا) \* بحزم السين وضم الباء ومعناه أيكفيهم مني ومن طاعتني أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء فحسبهم جهنم \* (إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) \* أي منزلا

سورة الكهف ١٠٣ - ١٠٨

وقال \* (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) \* يعني الخاسرين أعمالهم \* (الذين ضل سعيهم) \* أي بطلت أعمالهم \* (في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) \* أي يظنون أنهم يفعلون فعلا حسنا قال علي بن أبي طالب هم الخوارج وهكذا روي عن أبي أمامة الباهلي وروي عن سلمان الفارسي أنه قال هم رهبان النصارى أهل الصوامع وهكذا قال مقاتل \* (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) \* أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن \* (ولقائه) \* أي البعث بعد الموت \* (فحبطت أعمالهم) \* أي بطلت حسناتهم \* (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) \* أي لا توزن أعمالهم مثقال ذرة ويقال لا نقيم لأعمالهم ميزانا \* (ذلك جزاؤهم) \* أي هكذا عقوبتهم \* (جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي) \* أي القرآن ومحمدا صلى الله عليه وسلم \* (هزوا) \* أي استهزاء

وقال تعالى \* (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) \* أي منزلاً وقال مقاتل \* (الفردوس) \* بلغة الروم البساتين عليها الحيطان وقال السدي الأعناب بالنبطية وروى الحسن عن سمرة بن جندب قال الفردوس ربوة خضراء من الجنة هي أعلاها وأحسنها وقال الكلبي جنات الفردوس من أدنى الجنان منزلاً وروى أبو أمامة الباهلي قال الفردوس سرّة الجنة أي أوسطها \* (خالدين فيها) \* أي دائمين فيها \* (لا يبغون عنها حولا) \* أي تحولا رضوا بها وبثوابها وقال بعض المفسرين تمام النعمة أنهم لا يتمنون التحول لأنهم لو تمنوا التحول عنها لتنقص النعم عليهم

سورة الكهف ١٠٩ - ١١٠

قوله تعالى \* (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) \* وذلك أن اليهود قالوا يزعم محمد أن من أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ثم يزعم ويقول \* (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) \* [الإسراء: ٨٥] فكيف نوافق الخير الكثير مع العلم القليل فنزل قل يا محمد \* (لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) \* يكتب به \* (لنفد البحر) \* وتكسرت الأقلام " قبل أن تنفذ كلمات ربي " أي لا تنفذ كلمات ربي كما قال في آية أخرى \* (ما نفدت كلمات الله) \* [لقمان: ٢٧] \* (ولو جئنا بمثله مدادا) \* أي بمثل البحر وقرأ بعضهم " ولو جئنا بمثله مدادا " وقراءة العامة \* (مددا) \* ومعناها واحد \* (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) \* [البقرة: ٢٦٩] وهو قليل عند علم الله تعالى قوله تعالى " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه " أي من يخاف البعث بعد الموت \* (فليعمل عملاً صالحاً) \* أي خالصاً فيما بينه وبين الله تعالى \* (ولا يشرك) \* أي لا يخلط ولا يرائي \* (بعبادة ربه أحداً) \* وقال سعيد بن جبیر \* (فمن كان يرجو) \* أي من كان يرجو ثواب ربه وروي عن مجاهد أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إني أتصدق بالصدقة وألتمس بها وجه الله وأحب أن يقال لي خيراً فنزل \* (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً) \* قرأ حمزة والكسائي وابن عامر في إحدى الروايتين " أن ينفذ " بالياء بلفظ التذكير وقرأ الباقون بالتاء بلفظ التأنيث لأن الفعل إذا كان مقدماً على الاسم يجوز التأنيث والتذكير

قال الفقيه حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمران قال حدثنا أبو شهاب قال حدثنا غنام بن يوسف قال حدثنا أبو عبد الله المدني عن مخلد بن عبد الواحد عن الخليل عن علي بن زيد بن جدعان عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال في تلك الثمانية أيام عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ الآية التي في آخرها\* (قل إنما أنا بشر مثلكم)\* إلى الخاتمة حين يأخذ مضجعه كان له نور يتلأأ في مضجعه إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وإن كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلأأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ من نومه إلى غير ذلك مما ورد في فضلها من الأخبار والآثار وصلى الله على سيدنا محمد النبي المختار وعلى آله وصحابه الأطهار صلاة وسلاماً دائماً ما تعاقب الليل والنهار آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

سورة مريم مكية وهي تسعون وثمان آيات

سورة مريم ١ - ٦

قوله سبحانه وتعالى \* (كهيعص) \* قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص بنصب الهاء والياء وقرأ عاصم في رواية أبي بكر والكسائي بكسر الهاء والياء وقرأ أبو عمرو بكسر الهاء ونصب الياء وقرأ حمزة وابن عامر بنصب الهاء وكسر الياء وقرأ نافع بين الكسر والفتح وهو إختيار أبي عبيدة ومعنى هذا كله واحد قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله \* (كهيعص) \* قال الكاف فالله كاف لخلقه والهاء فالله الهادي لخلقه وأما الياء فيد الله مبسوطة على خلقه بالرزق لهم والعطف عليهم وأما العين فالله تعالى عالم بخلقه وأمورهم وأما الصاد فالله تعالى صادق بوعدده وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال هو اسم الله الأعظم وروى عنه أنه قال هو قسم أقسم الله تعالى بكهيعص ويقال هي حروف تدل على ابتداء السور نحو \* (الر) \* و \* (الم) \*

وغيرهما

ثم قال \* (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) \* معناه على طريق ابن عباس باسم الله الكافي الهادي العالم الصادق \* (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) \* بالرحمة ومن قال إنه قسم فمعناه ورب كهيعص إنه ذكر عبده زكريا بالرحمة ومن قال هو ابتداء السورة فمعناه إقرأ \* (كهيعص) \*

ثم قال \* (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) \* ومعناه ذكر ربك عبده زكريا بالرحمة لأن ذكره بالرحمة لا يكون إلا بالله تعالى ففي الآية تقديم وتأخير يقول ذكر ربك عبده زكريا بالرحمة وهو زكريا بن ماثان \* (إذ نادى ربه نداء خفياً) \* يقول دعا ربه نداء خفياً يقول

أخفاه وأسره من قومه ويقال دعا ربه دعاء سرا لأنه علم أن دعاء السر أنفع وأسرع  
إجابة ويقال دعا ربه نداء خفيا يعني خالصا \* (قال رب إني وهن العظم مني) \* أي  
ضعف عظمي \* (واشتعل الرأس شيئا) \* يعني أخذ في الرأس شيئا وبياضا \* (شيئا) \*  
صار نصبا بالتمييز والمعنى اشتعل الرأس من الشيب يقال للشيب إذا كثر جدا قد أشتعل  
رأس فلان بالشيب

ثم قال \* (ولم أكن بدعائك رب شقيا) \* يعني لم تكن تخيب دعائي عندك إذا دعوتك  
ثم قال \* (وإني خفت الموالي من ورائي) \* يعني خشيت ويقال يعني الورثة ويقال بنو  
العم ويقال العصابة من ورائي يعني من بعد موتي خاف أن يرثه غير الولد وروي عن  
قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يرحم الله تعالى زكريا وما كان عليه من  
ورثة وروي عن سعيد بن العاص أنه قال أملى علي عثمان رضي الله عنه \* (وإني خفت  
الموالي) \* بنصب الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء ويقال يعني ذهبت الموالي وقال أبو  
عبيدة لولا خلاف الناس لاتبعنا عثمان فيها

ثم قال \* (وكانت امرأتي عاقرا) \* يعني عقيما لم تلد \* (فهب لي من لدنك وليا) \*  
يعني ولدا \* (يرثني ويرث من آل يعقوب) \* وقال عكرمة يرثني مالي ويرث من آل  
يعقوب النبوة وهكذا قال الضحاك وقال بعضهم \* (يرثني) \* يعني علمي وسنتي لأن  
الأنبياء عليهم السلام لا يورثون مالا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال  
إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة وروى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال إن الأنبياء لم يورثوا دراهم ولا دنانير وإنما

ورثوا هذا العلم ويقال لأنه رأى من الفتن وغلبة أهل الكفر فيخاف على إفساد مواليه إن  
لم يكن أحد يقوم مقامه ويحولهم بالموعظة قرأ أبو عمرو والكسائي \* (يرثني ويرث) \*  
بجزم كلا الثاءين على معنى جواب الأمر أي أنك إذا وهبت لي وليا يرثني وقرأ الباقون  
\* (يرثني ويرث) \* بالضم وقال أبو عبيدة وهذا أحب إلي قال معناه هب لي الذي هذه  
حاله وصفته لأن الأولياء قد يكون منهم الورثة وغيرهم فيقول هب لي الذي يكون  
ورائي وارث النبوة ثم قال \* (واجعله رب رضيا) \* يعني صالحا زكيا

سورة مريم ٧ - ١٠

قوله تعالى \* (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) \* يعني أوحى الله تعالى وأرسل  
إليه

جبريل وأن جبريل عليه السلام أدى إليه الرسالة من الله عز وجل قال الله تعالى \* (إنا نبشرك) \* وقد بين ذلك في سورة آل عمران \* (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى) \* [آل عمران: ٣٩] ثم قال هنا \* (بغلام اسمه يحيى) \* \* (لم نجعل له من قبل سميا) \* يعني لم نجعل لذكريا من قبل يحيى ولدا يسمى يحيى ويقال لم يكن قبله أحد يسمى بذلك الاسم ويقال لم يكن بذلك الاسم في زمانه أحد وإنما سمي يحيى لأنه حي بالعلم والحكمة التي أوتيتها ويقال لأنه حي به المجالس ويقال لأنه حي به عقر أمه ويقال \* (لم نجعل له من قبل سميا) \* أي نظيرا ومثالا قرأ حمزة \* (نبشرك) \* بنصب النون وجزم الباء وضم الشين بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد وضم النون ونصب الباء وكسر الشين \* (نبشرك) \*

فقال زكريا عند ذلك لجبريل عليه السلام \* (قال رب) \* يقول يا سيدي \* (أنى يكون لي غلام) \* يعني من أين يكون لي ولد ويقال إنما قال ذلك على وجه الدعاء لله تعالى فقال يا رب من أين يكون لي ولد \* (وكانت امرأتي عاقرا) \* من الولد \* (وقد بلغت من الكبر عتيا) \* يقول تحول العظم مني يابسا ومنه يقال قلب عات إذا كان قاسي القلب غير لين ويقال لكل شيء إنتهى فقد عتى ولم يكن زكريا شاكا في بشارة الله عز وجل ولكن أحب أن يعلم من أي وجه يكون قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص والكسائي \* (عتيا) \* بكسر العين وكذلك \* (صليا) \* و \* (جثيا) \* \* (وبكيا) \* إلا أن عاصما خالفهما في \* (بكيا) \* وقرأ الباقون كلها بالضم وكان أبو عبيدة اختار الضم لأنه أفصح اللغتين وهي قراءة أبي رضي الله عنه

" قال " جبريل لذكريا \* (كذلك) \* يعني هكذا كما قلت إنك " قد بلغت من الكبر عتيا قال ربك هو على هين " يعني كما قلت أنك قد بلغت من الكبر عتيا ولكن الله عز وجل " قال هو على هين " يعني خلقه علي يسير \* (وقد خلقتك من قبل) \* يعني من قبل يحيى \* (ولم تك شيئا) \* قرأ حمزة والكسائي " وقد خلقتك " بالنون مقدمة والألف مؤخرة وقرأ الباقون \* (خلقتك) \* وهو إختيار أبي عبيدة

قال زكريا عليه السلام \* (رب اجعل لي آية) \* في الولد روى أسباط عن السدي قال لما بشر زكريا عليه السلام جاءه الشيطان عليه اللعنة فقال إن هذا النداء الذي نوديت ليس من الله عز وجل وإنما هو من الشيطان ليسخر بك ولو كان من الله عز وجل لأوحاه إليك كما كان يوحى إليك ف " قال " عند ذلك \* (رب اجعل لي آية) \* أعلم بها أن هذا النداء منك

" قال " الله تعالى له \* (آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) \* أي علامتك أن لا تستطيع أن تكلم الناس ثلاث ليال وأنت صحيح سليم من غير خرس ولا مرض ورجع تلك الليلة إلى امرأته فقربها ووضع الولد في رحمها فلما أصبح اعتقل لسانه عن كلام الناس



(۳۶۹)

سورة مريم ١١ - ١٥

\* (فخرج على قوميه من المحراب) \* يعني من المسجد \* (فأوحى إليهم) \* يعني أشار وأوماً إليهم ويقال كتب كتاباً وألقاه على الأرض ولم يقدر أن يتكلم به \* (أن سبحوا) \* يعني صلوا لله تعالى \* (بكرة وعشيا) \* يعني غدوة وعشيا فعرف عند ذلك أنه آية الولد

قوله عز وجل \* (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) \* يعني أوحى الله تعالى إليه أن \* (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) \* يعني بجد ومواظبة \* (وآتيناه الحكم صبياً) \* يعني أجرنا الحكم على لسانه في حال صغره وذلك أنه مر بصبيان يلعبون فقالوا له تعال حتى نلعب فقال لهم ما للعب خلقنا ويقال \* (خذ الكتاب بقوة) \* أي بجد وعون من الله تعالى ويقال بكثرة الدرس \* (آتيناه الحكم صبياً) \* يعني النبوة والفقه والخير كله في صغره \* (وحنانا من لدنا) \* يعني آتيناه رحمة من عندنا وأصله من حنين الناقة على ولدها \* (وزكاة) \* يعني وصدقة منا ويقال التطهير ويقال صلاحاً في دينه وقال سعيد بن جبير الزكاة التزكية \* (وكان تقياً) \* يعني مطيعاً لربه \* (وبراً بوالديه) \* يعني مطيعاً لهما ولا يعصيهما \* (ولم يكن جباراً) \* يعني لم يكن قتالاً والجبار الذي يقتل على الغضب ويضرب على الغضب \* (عصياً) \* يعني لم يكن عصياً لربه والعصي والعاصي واحد قوله عز وجل \* (وسلام عليه) \* أي السلام من الله عز وجل والسعادة تناله \* (يوم ولد) \* أي حين ولد \* (ويوم يموت) \* يعني حين يموت \* (ويوم يبعث حياً) \* أي حين يبعث حياً وروى قتادة عن الحسن أن يحيى عليه السلام قال لعيسى عليه السلام حين إلتقيا أنت خير مني فقال عيسى صلوات الله عليه بل أنت خير مني سلم الله عليك وأنا سلمت على نفسي وروي عن بعض الصحابة أنه قال ما من الناس أحد إلا وهو يلقي الله عز وجل يوم القيامة وهو ذو ذنب إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام وروي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أذنب يحيى ولا هم بامرأة

سورة مريم ١٦ - ٢١

قوله تعالى \* (واذكر في الكتاب مريم) \* يعني أذكر في القرآن خبر مريم ومعناه إقرأ عليهم ما أنزل عليك في القرآن من خبر مريم \* (إذ انتبذت) \* يعني إعتزلت وتنحت \* (من أهلها مكانا شرقيا) \* يعني مشرقة الشمس في دار أهلها \* (فاتخذت من دونهم حجابا) \* يعني ضربت وأرخت من دونهم سترا \* (فأرسلنا إليها روحنا) \* يعني بعثنا إليها جبريل عليه السلام \* (فتمثل لها بشرا سويا) \* يعني تشبه لها في صورة شاب تام الخلقة فدنا منها فأنكرت مريم مكان الرجل و \* (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) \* يعني إن كنت مطيعا لله عز وجل وإنما قالت \* (إن كنت تقيا) \* لأن التقى إذا وعظ بالله عز وجل إتعظ وخاف والفاسق يخوف بالسلطان والمنافق يخوف بالناس فالتقى يخوف بالله ويقال في الآية مضمرة ومعناه إحذر إن كنت تقيا " قال " لها جبريل عليه السلام \* (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) \* يعني ولدا صالحا قرأ أبو عمرو ونافع في إحدى الروايتين " ليهب لك " بالياء وقرأ الباقون \* (لأهب لك) \* بالألف فمن قرأ " ليهب " فمعناه ليهب الله تعالى لك ومن قرأ \* (لأهب لك) \* يكون فيه مضمرة ومعناه إنما أنا رسول ربك فقال \* (لأهب لك غلاما زكيا) \* يعني قال ربك وهذا إختيار أبي عبيدة وهو موافق لخط المصاحف \* (قالت) \* مريم لجبريل عليه السلام \* (أنى يكون لي غلام) \* يعني من أين يكون لي ولد \* (ولم يمسنني بشر) \* يعني لم يقربني زوج \* (ولم أك بغيا) \* يعني لم أك فاجرة " قال " لها جبريل عليه السلام \* (كذلك) \* يعني هكذا كما قلت \* (قال ربك هو علي هين) \* يعني خلقه علي يسير \* (ولنجعله آية للناس) \* يعني عبرة للناس يعني لبني إسرائيل \* (ورحمة منا) \* يعني ونعمة منا \* (وكان أمرا مقضيا) \* يعني قضاء كائنا سورة مريم ٢٢ - ٢٦

ثم قال عز وجل \* (فحملته) \* يعني حملت مريم بعيسى عليه السلام وقال وهب بن منبه إن مريم حملت بعيسى عليه السلام تسعة أشهر وقال بعضهم ثمانية أشهر فتلك آية لأنه لا يعيش مولود في ثمانية أشهر وروي في بعض الروايات عن ابن عباس أنه قال ما هي إلا أن حملت ثم وضعت وقال مقاتل حملت في ساعة ووضعت في ساعة " فانتبذت به

مكانا قصيا) يعني انفردت بولادتها مكانا بعيدا قال القتيبي القصي أشد بعدا من القاصي  
ثم قال \* (فأجاءها المخاض) \* يعني جاء بها وألجأها المخاض يعني الطلق بولادة  
عيسى عليه السلام \* (إلى جذع النخلة) \* أي أصل النخلة قال ابن عباس النخلة اليابسة  
في شدة الشتا يعني الطلق \* (قالت يا ليتني مت قبل هذا و كنت نسيا منسيا) \* يعني  
شيئا متروكا لم أذكر ويقال للشيء الحقيق الذي إذا ألقى ينسى نسي وقال قتادة يعني لا  
أعرف ولا أدري من أنا وقال عكرمة يعني جيفة ملقاة وهكذا قال الضحاك وقال ربيعة  
بن أنس يعني سقطا قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص \* (نسيا) \* بنصب النون  
والباقون \* (نسيا) \* بكسر النون قال أبو عبيد وبالكسر نقرؤها لأنها كانت أكثر في لغة  
العرب وأفشاها وعليها أهل الحرمين والبصرة  
ثم قال عز وجل \* (فناداها من تحتها) \* قرأ حمزة والكسائي ونافع وعاصم في رواية  
حفص \* (من تحتها) \* بكسر الميم يعني الملك وهكذا قرأ مجاهد والحسن وقرأ  
الباقون \* (من تحتها) \* بالنصب يعني به عيسى عليه السلام وقال أبو عبيد بالأولى نقرأ  
يعني بالكسر لأن قراءتها أكثر والمعنى فيها أعم لأنه إذا قال \* (من تحتها) \* بالكسر  
فقد أحتمل أن يكون الملك ويكون عيسى وإذا قرأ \* (من تحتها) \* فإنما هو عيسى  
خاصة \* (ألا تحزني) \* بولادة عيسى ومكان الحدث \* (قد جعل ربك تحتك سريا) \*  
يعني نهرا صغيرا بحبال ويقال \* (قد جعل ربك تحتك سريا) \* أي بيتا فذكر هذا  
القول عند ابن حميد فأنكره وقال هو الجدول ألا ترى أنه قال \* (فكلي واشربي) \* قال  
مجاهد السري بالسريانية وقال سعيد بن جبير بالنبطية  
ثم قال عز وجل \* (وهزي إليك بجذع النخلة) \* يقول حركي أصل النخلة \* (تساقط  
عليك رطبا جنيا) \* يعني غضا طريا قرأ حمزة \* (تساقط) \* بنصب التاء وتخفيف  
السين وأصله تساقط إلا أنه حذف منه إحدى التاءين للتخفيف وهذا كقوله \* (لو  
تسوى بهم الأرض) \* [النساء: ٤٢] وأصله تتسوى وكقوله \* (تظاهرون عليهم بالإثم  
والعدوان) \* [البقرة: ٨٥] وكقوله \* (ويوم تشقق السماء بالغمام) \* [الفرقان: ٢٥]  
وقرأ عاصم في رواية حفص \* (تساقط) \* بضم التاء وتخفيف السين وكسر القاف يعني  
أن النخلة تساقط عليك وقرأ الباقر بنصب التاء وتشديد السين ونصب القاف لأن  
التشديد أقيم مقام التاء التي حذف وروي عن البراء بن عازب أنه كان يقرأ " يساقط "  
بالياء يعني أن الجذع يساقط عليك وقرأ بعضهم " نساقط " بالنون ومعناه ونحن نساقط  
عليك وروي أنها كانت نخلة بلا رأس وكان ذلك في الشتاء فجعل الله عز وجل لها  
رأسا وأنبت فيها رطبا فذلك قوله عز وجل \* (تساقط عليك رطبا) \* أي غضا طريا  
قيل لها \* (فكلي) \* من الرطب \* (واشربي) \* من النهر \* (وقري عينا) \* يعني طيبي  
نفسا بولادة عيسى عليه السلام وقال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندي دواء إلا الرطب  
ولا للمريض إلا العسل



ثم قال عز وجل \* (فإما ترين من البشر أحدا) \* يعني إن رأيت أحدا من الناس \*  
(فقولي) \* إن سألك سائل شيئا فقولي \* (إني نذرت للرحمن صوما) \* يعني صمتا  
وروي عن ابن عباس في بعض الروايات أنه كان يقرأ " إني نذرت للرحمن صمتا " \*  
(فلن أكلم اليوم إنسيا) \* يعني قولي ذلك بالإشارة لا بالقول وكان المتقدمون يصومون  
من الكلام كما يصومون من الطعام

سورة مريم ٢٧ - ٣٣

ثم قال \* (فأتت به قومها تحمله) \* وذلك أن مريم حملت عيسى عليه السلام ودخلت  
على أهلها وكان أهلها أهل بيت صالحين \* (قالوا) \* أي قال لها قومها \* (يا مريم لقد  
جئت شيئا فريا) \* يعني أتيت وفعلت أمرا منكرا عظيما لا يعرف منك ولا من أهل  
بيتك

قوله عز وجل \* (يا أخت هارون) \* يعني هارون بن ماثان وكان من أمثال بني إسرائيل  
\* (يا أخت هارون) \* يعني يا شبه هارون في الصلاة والصلاح ويقال كان  
رجل سوء يسمى هارون فعيروها به وشبهوها بهارون ويقال كان لها أخ يقال له  
هارون من أبيها ولم يكن من أمها وذكر أن أهل الكتاب قالوا كيف تقولون إن مريم  
أخت هارون وكان بينهما ستمائة سنة فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقال إنهم كانوا يسمون بأسماء الأنبياء والصالحين عليهم السلام يعني أن أخت مريم  
سمي باسم هارون النبي عليه السلام

ثم قال \* (ما كان أبوك امرأ سوء) \* يعني زانيا \* (وما كانت أمك بغيا) \* يعني فاجرة  
قوله عز وجل \* (فأشارت إليه) \* يعني أشارت إلى عيسى عليه السلام أن كلموه يعني  
كلموا عيسى \* (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) \* يعني من هو في الحجر  
رضيع ويقال معناه كيف نكلم من هو يكون في المهد ويقال معناه كيف نكلم من  
يكون في المهد صبيا فأنطق الله عز وجل عيسى فتكلم و \* (قال إني عبد الله) \* فأول  
الكلام به الذي تكلم به هو رد على النصارى لأنه أقر بأنه عبد الله ورسوله ثم قال \*  
(آتاني الكتاب) \* روي عن ابن عباس أنه قال معناه علمني الكتاب في بطن أمي ويقال  
معناه يؤتيني الكتاب وهو الإنجيل \* (وجعلني نبيا) \* أي أكرمني الله تعالى بأن جعلني  
نبيا \* (وجعلني مباركا) \* يعني جعلني معلما للخلق " أينما كنت " يعني حيث ما كنت  
\* (وأوصاني بالصلاة والزكاة) \*

يعني أوصاني وأمرني بإتمام الصلاة وإعطاء الزكاة \* (ما دمت حيا وبرا بوالدتي) \* يعني جعلني رحيما بوالدتي \* (ولم يجعلني جبارا شقيا) \* يعني لم يخذلني حتى صرت به جبارا عصيا \* (والسلام علي) \* يعني السلام علي من الله عز وجل \* (يوم ولدت) \* يعني حين ولدت \* (ويوم أموت) \* يعني حين أموت \* (ويوم أبعث حيا) \* يعني أبعث يوم القيامة فكلمهم بهذا ثم سكت فلم يتكلم حتى كان قدر ما يتكلم الغلمان  
سورة مريم ٣٤ - ٣٦

ثم قال عز وجل \* (ذلك عيسى ابن مريم) \* أي ذلك الذي قال إني عبد الله هو عيسى ابن مريم عليه السلام لا كما يقول النصارى إنه إله \* (قول الحق) \* يعني خير الصدق قرأ عاصم وابن عامر \* (قول الحق) \* بنصب اللام وقرأ الباقون بالضم فمن قرأ بالنصب فمعناه أقول قول الحق ومن قرأ بالضم معناه وهو قول الحق \* (الذي فيه يمترون) \* يعني يشكون في عيسى عليه السلام ويختلفون فيما بينهم  
ثم كذبهم في قولهم فقال عز وجل \* (ما كان لله أن يتخذ من ولد) \* يعني عيسى ثم نزه نفسه عن الولد فقال \* (سبحانه) \* \* (إذا قضى أمرا) \* يعني إذا أراد أن يخلق خلقا مثل عيسى \* (فإنما يقول له كن فيكون) \* قرأ ابن عامر \* (فيكون) \* بنصب النون وقرأ الباقون بالضم وقرأ بعضهم \* (تمترون) \* بالتاء على وجه المخاطبة وقراءة العامة بالياء لأنها ليست فيها مخاطبة

ثم قال \* (وإن الله ربي وربكم) \* قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو \* (وأن الله) \* بنصب الألف \* (ربكم) \* بالنصب على معنى البناء وقرأ الباقون \* (وأن الله) \* بالكسر على معنى الابتداء وهي قراءة أبي عبيدة وفي قراءة أبي \* (إن الله) \* بغير واو فتكون قراءته شاهدة على الكسر

ثم قال \* (فاعبدوه) \* يعني وحدوه وأطيعوه \* (هذا صراط مستقيم) \* يعني هذا الإسلام طريق مستقيم

سورة مريم ٣٧ - ٣٩

\* (فاختلف الأحزاب من بينهم) \* يعني الكفار من أهل النصارى \* (من بينهم) \* يعني بينهم في عيسى عليه السلام وتفرقوا ثلاث فرق قالت النسطورية عيسى ابن الله واليعقوبية قالوا إن الله هو المسيح والملكانية قالوا إن الله ثالث ثلاثة \* (فويل) \* يعني شدة من

العذاب \* (للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) \* يعني من عذاب يوم القيامة بأن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه ويقال ويل صخرة في جهنم  
قال عز وجل \* (أسمع بهم وأبصر) \* يعني أعلمهم وأسمعهم وأبصرهم \* (يوم يأتوننا) \*  
يعني يوم القيامة بأن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه \* (لكن الظالمون) \*  
يعني المشركون \* (اليوم) \* يعني في الدنيا \* (في ضلال مبين) \* يعني في خطأ بين لا  
يسمعون الهدى ولا يبصرون ولا يرغبون فيه \* (وأندرهم يوم الحسرة) \* يقول خوفهم  
يا محمد بهول يوم القيامة \* (إذ قضى الأمر) \* يعني فرغ من الأمر إذا دخل أهل الجنة  
الجنة ودخل أهل النار النار وهو يوم الندامة \* (وهم في غفلة) \* يعني هم في الدنيا في  
غفلة عن تلك الندامة والحسرة \* (وهم لا يؤمنون) \* يعني لا يصدقون بالبعث  
قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن يوسف  
قال حدثنا إسماعيل بن جعفر المدني عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن الزهري  
عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالموت فيوقف على الصراط  
فيقال يا أهل الجنة فيطلعون ويقال يا أهل النار فيطلعون فيقال هل تعرفون هذا فيقولون  
نعم يا ربنا هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفریقین خلود لا موت  
فيها أبدا وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه  
وسلم نحوه فذلك قوله \* (وأندرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر) \* الآية  
سورة مريم ٤٠ - ٤٧  
ثم قال \* (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) \* يعني نमित أهل الأرض كلهم ومن عليها  
\* (وإلينا يرجعون) \* في الآخرة  
قوله تعالى \* (واذكر في الكتاب إبراهيم) \* يعني خبر إبراهيم \* (إنه كان صديقا نبيا) \*  
يعني صادقا وقال الزجاج الصديق اسم للمبالغة في الصدق يقال كل من صدق بتوحيد  
الله عز وجل وأنبيائه عليهم السلام وفرائضه وعمل بما صدق فيه فهو صديق ومن ذلك  
سمي أبو بكر الصديق \* (إذ قال لأبيه) \* وهو آزر بن تارخ بن تاخور وكان يعبد  
الأصنام " يا أبت



لم تعبد ما لا يسمع) دعاءك \* (ولا يبصر) \* عبادتك \* (ولا يغني عنك) \* من عذاب الله عز وجل \* (شيئا) \* قرأ ابن عامر \* (يا أبت) \* بالنصب والباقون بالكسر وكذلك ما بعده والعرب تقول في النداء يا أبت ولا تقول يا أبتني ثم قال \* (يا أبت إني قد جاءني من العلم) \* من الله عز وجل من البيان \* (ما لم يأتك) \* أنه من عبد غير الله عز وجل عذبه الله في الآخرة بالنار \* (فاتبعني) \* يعني أطعني فيما أدعوك ويقال أتبع دين الله \* (أهدك) \* يعني أرشدك \* (صراطا سويا) \* يعني طريقا عدلا قائما بترضاه

ثم قال \* (يا أبت لا تعبد الشيطان) \* يعني لا تطع الشيطان فمن أطاع شيئا فقد عبده \* (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) \* يعني عاصيا

ثم قال \* (يا أبت إني أخاف أن يمسك) \* يعني أعلم أن يمسك \* (عذاب) \* يعني إن أقمت على كفرك يصيبك عذاب \* (من الرحمن) \* (فتكون للشيطان وليا) \* يعني قرينا في النار " قال " له أبوه \* (أراغب أنت عن آلهتي) \* يعني أترك أنت عبادة آلهتي \* (يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك) \* يقول إن لم تنته عن مقاتلتك ولم ترجع عنها لأسبنك وأشتمتك وكل شيء في القرآن من الرجم فهو القتل غير ها هنا فإن ها هنا أراد به السب والشتم \* (واهجرني مليا) \* يعني تباعد عني حينما طويلا ولا تكلمني وقال السدي \* (مليا) \* تعني أبدا وقال قتادة \* (واهجرني مليا) \* يعني تباعد عني سالما ويقال لا تكلمني دهرا طويلا

" قال " إبراهيم \* (سلام عليك) \* يعني أكرمك الله بالهدى \* (سأستغفر لك ربي) \* يعني سأدعو لك ربي \* (إنه كان بي حفيا) \* يعني بارا عودني الإجابة إذا دعوته ويقال تحفيت بالرجل إذا بالغت في إكرامه وهذا قول القتيبي ويقال \* (حفيا) \* يعني عالما يستجيب لي إذا دعوته وكان يستغفر له ما دام أبوه حيا وكان يرجو أن يهديه الله عز وجل فلما مات كافرا ترك الاستغفار له

سورة مريم ٤٨ - ٥٠

قوله عز وجل \* (وأعتزلكم) \* يعني وأترككم \* (وما تدعون من دون الله) \* يعني وأترك عبادة ما تعبدون من دون الله عز وجل " وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا " يعني لا يخيبني إذا دعوته ثم هاجر إلى بيت المقدس \* (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب) \* يعني أكرمناه بالولد وهو إسحاق وولد الولد وهو يعقوب عليهما السلام وقال بعض الحكماء من هاجر لطلب رضاء الله عز وجل أكرمه الله عز وجل في

الدنيا والآخرة كما أن إبراهيم عليه السلام هاجر من قومه في طلب رضى الله تعالى عنه فأكرمه الله تعالى بإسحاق ويعقوب عليهما السلام والثناء العمل الصالح ثم قال تعالى \* (وكلا جعلنا نبيا) \* يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أكرمناهم بالنبوة \* (ووهبنا لهم من رحمتنا) \* يعني من نعمتنا المال والولد في الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح \* (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) \* يعني أكرمناهم بالثناء الحسن وكل أهل دين يتولون دين إبراهيم عليه السلام بزعمهم

سورة مريم ٥١ - ٥٣

قوله عز وجل \* (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا) \* يعني أخلصه الله عز وجل ويقال \* (مخلصا) \* يعني جعله الله مختارا خالصا قرأ حمزة والكسائي وعاصم بنصب اللام يعني أخلصه الله عز وجل ويقال معصوما من الكفر والمعاصي وقرأ الباقون \* (مخلصا) \* بالكسر يعني مخلصا في العمل \* (وكان رسولا نبيا) \* إلى بني إسرائيل \* (وناديناه من جانب الطور الأيمن) \* يعني من يمين موسى عليه السلام ولم يكن للجبل يمين ولا شمال \* (وقربناه نجيا) \* أي كلمناه بلا وحى وقال الكلبي \* (وقربناه نجيا) \* يعني وقربناه حتى سمع صرير القلم في اللوح وقال السدي أدخل في السماء الدنيا وكلم وقال الزجاج \* (وقربناه نجيا) \* مناجيا حتى سمع ثم قال عز وجل \* (ووهبنا له من رحمتنا) \* أي من نعمتنا \* (أخاه هارون نبيا) \* فكان هارون عليه السلام معه وزيرا نبيا معينا

سورة مريم ٥٤ - ٥٥

قوله تعالى \* (واذكر في الكتاب إسماعيل) \* يعني أذكر في القرآن خبر إسماعيل \* (إنه كان صادقا الوعد) \* إذا وعد أنجز قال مقاتل إن إسماعيل وعد رجلا أن ينتظره فقام مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع الرجل إليه وقال في رواية الكلبي كان ميعاده الذي وعد فيه صاحبه إنتظره حتى حال الحول وقال مجاهد \* (إنه كان صادقا الوعد) \* يعني لم يعد شيئا إلا وفى به \* (وكان رسولا نبيا) \* يعني \* (كان رسولا) \* إلى قومه \* (نبيا) \* يخبر عن الله عز وجل \* (وكان يأمر أهله) \* يعني أهل دينه وقومه \* (بالصلاة والزكاة) \* يعني بإتمام الصلاة وإيتاء الزكاة \* (وكان عند ربه مرضيا) \* يعني صالحا ذكيا

سورة مريم ٥٦ - ٥٨

قوله عز وجل \* (واذكر في الكتاب إدريس) \* يعني خبر إدريس عليه السلام \* (إنه كان صديقا نبيا) \* يعني صادقا يخبر عن الله عز وجل وذكر عن وهب بن منبه أنه قال إنما سمي إدريس لكثرة ما يدرس من كتاب الله عز وجل والسنن وأنزل عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من لبس ثوب القطن وكانوا من قبل ذلك يلبسون جلود الضأن واسمه أخنوخ ويقال إلياس \* (ورفعناه مكانا عليا) \* يعني الجنة وقال مجاهد يعني في السماء الرابعة

قال أخبرني الثقة بإسناده عن ابن عباس أنه سئل كعب الأحرار عن إدريس فقال كعب إن إدريس كان رجلا خياطا وكان يقوم الليل ويصوم النهار ولا يفتر عن ذكر الله عز وجل وكان يكتسب فيتصدق بالثلثين فأتاه ملك من الملائكة عليهم السلام يقال له إسرافيل فبشره بالجنة وقال له هل لك من حاجة قال وددت أني أعلم إلى متى أجلي فأزداد خيرا فقال له ما أعلمه ولكن إن شئت حملتك إلى السماء قال فحمله إلى السماء فلقي ملك الموت فسأله عن أجله ففتح كتابا معه فقال لم يبق من أجلك إلا ست ساعات أو

سبع ساعات وقال أمرت أن أقبض نفسك ها هنا فقبض نفسه في السماء فذلك قوله \* (ورفعناه مكانا عليا) \* لا

وروى الكلبي عن زيد بن أسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن إدريس جد أبي نوح وكان أهل الأرض يومئذ بعضهم مؤمنا وبعضهم كافرا فكان يصعد لإدريس من العمل ما كان يصعد لجميع بني آدم فأحبه ملك الموت فاستأذن الله تعالى في خلته فأذن له قال فهبط إليه في صورة غير صورته على صورة آدمي لكيلا يعرفه فقال يا إدريس إني أحب أن أصحبك وأكون معك فقال له إدريس إنك لا تطيق ذلك قال أنا أرجو أن يقويني الله عز وجل على ذلك فكان معه يصحبه وكان إدريس عليه السلام يسيح النهار كله وهو صائم فإذا جنه الليل أتاه رزقه حيث يمسي فيفطر عليه ثم يحيي الليل كله فساحا النهار كله صائمين حتى إذا أمسيا أتى إدريس رزقه فأكله ودعا الآخر فقال لا الله الذي جعلك بشرا ما أشتهيه فطعم إدريس ثم إستقبلا الليل بالصلاة وإدريس تناله السامة والفترة من الليل والآخر لا يسأم ولا يفتر فجعل إدريس عليه السلام يتعجب منه ثم أصبحا صائمين فساحا حتى إذا جنهما الليل أتى إدريس رزقه فجعل يطعم ودعا الآخر فقال لا والذي جعلك بشرا ما أشتهيه فطعم إدريس ثم إستقبلا الليل كله فإدريس تناله السامة والفترة والآخر لا يسأم ولا يفتر فجعل إدريس يتعجب منه ثم أصبحا اليوم الثالث صائمين فساحا فمرا على كرم قد أينع وطاب فقال يا

إدريس لو أنا أخذنا من هذا الكرم فأكلنا فقال إدريس ما أرى صاحبه ها هنا فأشتره منه وإني لأكره أن آخذ بغير ثمن قال فمضيا حتى مرا على غنم فقال يا إدريس لو أخذنا من هذا الغنم شاة فأكلنا من لحمها فقال له إدريس إنك معي منذ ثلاثة أيام ما طعمت شيئا فلو كنت آدميا لطعمت وإني لأدعوك إلى الحلال كل ليلة فتأبى علي فكيف تدعوني إلى الحرام أن آخذه فبصحة ما بيني وبينك إلا أنبأتني من أنت قال إنك ستعلم قال أخبرني من أنت قال أنا ملك الموت ففرغ إدريس عليه السلام حين قال أنا ملك الموت

قال فإني أسألك حاجة قال ما هي قال أن تديقني الموت فإنه قد بلغني عنه شدة ولعلي أعلم ما شدته فأكون له أشد استعدادا قال ملك الموت عليه السلام مالي من ذلك شيء وليس لك بد من أن تذوقه قال فأوحى الله عز وجل إلى ملك الموت أن يقبض روحه ساعة ثم يرسله قال فقبض نفسه ساعة ثم أرسله فقال كيف رأيت قال لقد بلغني عنه شدة فلقد كان أشد مما بلغني عنه

قال فإني أسألك حاجة أخرى قال ما هي قال أحب أن تريني النار قال ما لي من ذلك من شيء ولكن سأطلب لك فإن قدرت عليه فعلت فسأل ربه فأمره فيسط جناحه فحمله عليه حتى صعد به إلى السماء فأنتهى به إلى باب من أبواب النار فدقه فقبل من هذا فقال ملك الموت فقال مرحبا بأمين الله عز وجل فهل أمرت فينا بشيء فقال لو أمرت فيكم بشيء لم أناظركم ولكن هذا إدريس عليه السلام سألتني أن أريه النار فأحب أن تروها إياه ففتح باب منها بشيء فجاءت بأمر عظيم فخر إدريس مغشيا عليه فحمله ملك الموت وحبسه في ناحية حتى أفاق فقال له ملك الموت ما أحببت أن يصيبك هذا في صحبتي ولكن سألتني فأحببت أن أسعفك

قال فإني أسألك حاجة أخرى لا أسألك غيرها قال ما هي قال أحب أن تريني الجنة قال ما لي من ذلك من شيء ولكن سأطلب فإن قدرت عليه فعلت فانطلق به إلى خزنة الجنة فدخل بابا من أبوابها فقبل من هذا فقال أنا ملك الموت فقالوا مرحبا بأمين الله عز وجل هل أمرت فينا بشيء فقال لو أمرت فيكم بشيء لم أناظركم ولكن هذا إدريس سألتني أن أريه الجنة فأحب أن تروها إياه قال ففتح له الباب فدخل فنظر إلى شيء لم ينظر مثله قط فطاف فيها ساعة ثم قال له ملك الموت انطلق بنا فلنخرج فانطلق إلى شجرة فتعلق بها ثم قال والله لا أخرج حتى يكون الله عز وجل هو الذي يخرجني فقال ملك الموت إنه ليس حينها ولا زمانها ولكن طلبت إليهم لترى فانطلق بنا فأبى عليه فقيض الله له ملكا من الملائكة فقال له ملك الموت اجعل هذا الملك حكما بيني وبينك قال نعم قال الملك ما

هو ما ملك الموت فأخبره بالقصة ثم نظر الملك إلى إدريس قال ما تقول يا إدريس قال أقول إن الله يقول \* (كل نفس ذائقة الموت) \* [آل عمران: ١٨٥] فقد ذقته ويقول الله عز وجل \* (وإن منكم إلا واردها) \* [مريم: ٧١] وقد وردتها وقال لأهل الجنة \* (وما هم منها بمخرجين) \* [الحجر: ٤٨] فوالله لا أخرج منها حتى يكون الله عز وجل هو الذي يخرجني قال فسمع هاتفا يقول بإذني دخل وبإذني فعل فخل سبيله فذلك قوله عز وجل \* (ورفعناه مكانا عليا) \* يعني الجنة ويقال \* (رفعناه) \* في القدر والمنزلة ويقال \* (رفعناه) \* في النبوة والعلم

ثم قال عز وجل \* (أولئك) \* يعني إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس وسائر الأنبياء عليهم السلام \* (الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح) \* من سائر الأنبياء وهم ولد نوح عليه السلام إلا إدريس عليه السلام يعني حملناهم علي السفينة وهم في صلب نوح وأولاده \* (ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل) \* وهو يعقوب \* (وممن هدينا) \* يعني أكرمنا بالنبوة ويقال أكرمنا بالإسلام \* (واجتبينا) \* يعني واصطفينا بعد هؤلاء \* (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن) \* يعني القرآن \* (خروا سجدا وبكيا) \* يعني يسجدون ويكفون من خوف الله عز وجل بكي جمع باكي وقوله \* (سجدا وبكيا) \* منصوب على الحال وقال بعضهم \* (بكيا) \* مصدر بكى يبكي بكيا وقال الزجاج من قال مصدر فهو خطأ لأن \* (سجدا) \* جمع ساجد \* (وبكيا) \*

عطف عليه فهو جمع باك

سورة مريم ٥٩ - ٦٢

قوله تعالى \* (فخلف من بعدهم خلف) \* يعني بقي بعد الأنبياء الذين ذكرناهم من أول السورة إلى هنا بقيات سوء وهم اليهود والنصارى يقال في الرداءة خلف بإسكان اللام وفي الصلاح خلف بفتح اللام

ثم وصفهم فقال \* (أضاعوا الصلاة) \* يعني عن وقتها ويقال تركوها ويقال تركوا الصلاة فلم يؤدوها وجحدوا بها فكفروا \* (واتبعوا الشهوات) \* يعني شرب الخمر ويقال إستحلوا الزنى ويقال إستحلوا نكاح الأخت من الأب \* (فسوف يلقون غيا) \* يعني شرا ويقال وادي في جهنم يسمى غيا ويقال مجازاة الغي كما قال الله عز وجل \* (يلق أناما) \* [الفرقان: ٦٨] أي مجازاة الآثام

ثم استثنى فقال تعالى \* (إلا من تاب) \* يعني رجع عن الكفر \* (وآمن) \* يعني صدق بتوحيد الله عز وجل \* (وعمل صالحا) \* بعد التوبة \* (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) \* يعني لا ينقصون شيئا من ثواب أعمالهم

ثم قال عز وجل \* (جنات عدن) \* صار خفضاً لأن معناه يدخلون في \* (جنات عدن) \* \* (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) \* يعني ما غاب عن العباد والله عز وجل لا يغيب عنه شيء \* (إنه كان وعده مأتياً) \* يعني جائئاً كائناً وقال القتبي \* (مأتياً) \* يعني المفعول بمعنى الفاعل يعني جائئاً وقال الزجاج \* (مأتياً) \* مفعول من الإتيان لأن كل من وصل إليك فقد وصلت إليه وكل من أتاك فقد أتته  
ثم قال عز وجل \* (لا يسمعون فيها) \* يعني في الجنة \* (لغوا) \* يعني حلفوا وباطلاً \* (إلا سلاماً) \* يعني ويسمعون السلام يسلم بعضهم على بعض وقال الزجاج اللغو ما يلغى من الكلام ويؤثم فيه والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن السلامة يعني لا يسمعون إلا سلامهم

ثم قال \* (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) \* يعني طعامهم على مقدار البكرة والعشي وليس هناك بكرة ولا عشي وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجبهم ذلك فأخبرهم الله تعالى أن لهم في الجنة هذه الحالة وقال القتبي الناس يختلفون في طعامهم فمنهم من يأكل الوجبة أي مرة واحدة في كل يوم ومنهم من يأكل متى وجد بغير وقت ولا عدد ومنهم من يأكل الغداء والعشاء فأعدل هذه الأحوال كلها وأنفعها الغداء والعشاء والعرب تقول من ترك العشاء يهرمه ويذهب بلحم الكارة يعني باطن الفخذ فجعل طعام أهل الجنة على قدر ذلك  
سورة مريم ٦٣ - ٦٤

ثم قال عز وجل \* (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) \* أي ننزل من عبادنا \* (من كان تقياً) \* يعني مطيعاً لله عز وجل  
قوله عز وجل \* (وما ننزل إلا بأمر ربك) \* وذلك حين أبطأ عليه الوحي وعند سؤال أهل مكة عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وأمر الروح عاتب المصطفى جبريل عليه السلام فقال الله تعالى قل يا جبريل لمحمد ومعناه قل \* (وما ننزل إلا بأمر ربك) \* \* (له ما بين أيدينا) \* من أمر الآخرة \* (وما خلفنا) \* من أمر الدنيا \* (وما بين ذلك) \* أي ما بين النفختين \* (وما كان ربك نسياً) \* يعني لم يكن ينساك ربك حيث لم يوح إليك ويقال \* (ما بين أيدينا) \* يعني أمر الآخرة والثواب والعقاب \* (وما خلفنا) \* جميع ما مضى من أمر الدنيا \* (وما بين ذلك) \* ما يكون في هذا الوقت منا \* (وما كان ربك نسياً) \* أي قد علم الله عز وجل ما كان وما يكون وما هو كائن حافظ لذلك ويقال ما نسيتك ربك وإن تأخر عنك الوحي وروى عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت هذه الآية

سورة مريم ٦٥ - ٧٠

ثم قال " رب السماوات والأرض " أي خالق السماوات والأرض \* (وما بينهما) \* من الخلق ويقال " رب السماوات والأرض " أي مالكهما وعالم بهما وما فيهما " فاعبده " أي أطعه \* (واصطر لعبادته) \* يعني إحبس نفسك على عبادته \* (هل تعلم له سميا) \* يعني هل تعلم أحدا يسمى الله سوى الله وهل تعلم أحدا يسمى الرحمن سواه ويقال هل تعلم أحدا يستحق أن يقال له خالق وقادر وعالم بما كان وبما يكون قوله عز وجل \* (ويقول الإنسان) \* يعني أبي بن خلف \* (أئذا ما مت لسوف أخرج حيا) \* للبعث على معنى الاستفهام قال الله عز وجل " أو لا يذكر الإنسان " يعني أو لا يتعظ ويعتبر \* (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) \* قرأ نافع وعاصم وابن عامر " أو لا يذكر " بجزم الذال مع التخفيف يعني أو لا يعلم والباقون " أو لا يذكر " بنصب الذال والتشديد

ثم قال عز وجل \* (فوربك لنحشرنهم) \* أقسم الرب بنفسه ليعذبهم وليجمعنهم يعني الذين أنكروا البعث \* (والشياطين) \* يعني الشياطين قرناءهم \* (ثم لنحضرنهم) \* يعني لنجمعنهم \* (حول جهنم جثيا) \* يعني جميعا قال أهل اللغة الجثي جمع جاثي مثل بارك وبرك وساجد وسجد وقاعد وقعد أي على ركبهم ولا يقدر على القيام قال الزجاج الأصل ضم الجيم وجاز كسرهما اتباعا لكسر التاء وهو نصب على الحال \* (ثم لننزعن من كل شيعة) \* يعني لنخرجن من كل شيعة يعني من أهل كل دين \* (أيهم أشد على الرحمن عتيا) \* يعني جرأة على الله عز وجل وهم القادة في الكفر وساداتهم نبدأ بهم فنعذبهم في النار وروي عن سفيان عن علي بن الأقرم عن أبي الأحوص في قوله \* (أيهم أشد على الرحمن عتيا) \* قال يبدأ بالأكابر فالأكابر جرما قوله عز وجل \* (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) \* أي أحق بالنار دخولا

سورة مريم ٧١ - ٧٢

ثم قال عز وجل \* (وإن منكم إلا واردها) \* قال بعضهم يعني داخلها المؤمن والكافر يدخلون على الصراط وهو ممدود على متن جهنم ويقال \* (وإن منكم إلا واردها) \* يعني الكفار الذين تقدم ذكرهم

وروى سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد أن نافع بن الأزرق خاصم ابن عباس وقال لا يردها مؤمن فقال ابن عباس أما أنا وأنت فسندخلها فانظر بماذا تخرج منها إن خرجنا

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال يرد الناس جميعا الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يمرون على الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كأجود الخيل ومنهم من يمر كأجود الإبل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى أن آخرهم مثل رجل نوره على موضع إهاب قدميه ثم يتكفأ به الصراط والصراط دحض مزلق مزلقة كحد السيف عليه حسك كحسك العتاد وحافته ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس فبين ما راج وبين مخدوش مكدوش في النار والملائكة عليهم السلام يقولون رب سلم سلم وروى سفيان عن ثور بن خالد بن معدان قال إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار قيل إنكم قد مررتم بها وهي خامدة فذلك قوله عز وجل \* (وإن منكم إلا واردها) \* يعني الخلائق على الصراط والصراط في جهنم \* (كان على ربك حتما مقضيا) \* يعني قضاء واجبا

قال حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن مندوست رحمه الله قال حدثنا فارس بن مردويه قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا عدي بن عاصم قال حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا جرير عن أبي السليل عن غنيم بن قيس عن أبي العوام قال قال كعب هل تدرون ما قوله \* (وإن منكم إلا واردها) \* قالوا ما كنا نرى ورودها إلا دخولها قال لا ولكن



ورودها أن يجاء بجهنم كأنها متن إهالة حتى إذا استوت عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم نادى مناد خذي أصحابك وذري أصحابي فتخسف بكل ولي لها وهي أعلم بهم من الوالد بولده وينجو المؤمنون ندية ثيابهم

قال الفقيه وحدثني الثقة بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية كبا لها الناس كبوة شديدة وحزنوا حتى بلغ الحزن منهم كل مبلغ وقالوا وليس أحد إلا هو يدخلها فأنشؤوا يبيكون قال ونزل بابن مطعون ضيف فقال لامرأته هيئي لنا طعاما فاستوصي بضيفك خيرا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهي إليهم وهم يبيكون فقال ما يبيكيكم قالوا نزلت هذه الآية \* (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) \* يقول كائنا لا يبقى أحد إلا دخلها فأنشأ عثمان بن مطعون يبيكي ثم انصرف إلى منزله باكيا فلما أتى منزله سمعت امرأته بكاءه فأنشأت تبكي فلما سمع الضيف بكاءهما أنشأ يبيكي فلما دخل عليهما عثمان قال لها ما يبيكيك قالت سمعت بكاءك فبكيت فقال للضيف وأنت ما يبيكيك قال عرفت أن الذي أبكاكما سيبيكني قال عثمان فابكوا وحق لكم أن تبكوا أنزل الله عز وجل اليوم على رسوله \* (وإن منكم إلا واردها) \* فمكثوا بعد هذه الآية سنتين ثم أنزل الله هذه الآية وهو قوله \* (ثم ننجي الذين اتقوا) \* وروي في بعض الأخبار أنه نزل بعد ثلاثة أيام \* (ثم ننجي الذين اتقوا) \* أي الذين اتقوا الشرك والمعاصي \* (ونذر الظالمين) \* يعني المشركين \* (فيها جثيا) \* يعني جميعا ففرح المسلمون بها قرأ الكسائي \* (ننجي) \* بالتخفيف قرأ والباقون بالنصب والتشديد أنجي ونجي ونجى بمعنى واحد

سورة مريم ٧٣ - ٧٦

قوله تعالى \* (وإذا تتلى عليهم) \* يعني تعرض عليهم \* (آياتنا بينات) \* يعني واضحات قد بين فيها الحلال والحرام \* (قال الذين كفروا للذين آمنوا) \* يعني النضر بن الحارث قال لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويقال أهل مكة قالوا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم " أي الفريقين " يعني أي دينين \* (خير مقاما) \* يعني منزلا قرأ ابن كثير \* (مقاما) \* بضم الميم وقرأ الباقر بالنصب فمن قرأ بالضم فهو الإقامة يقال أقمت إقامة ومقاما ومن قرأ بالنصب فهو المكان الذي يقام فيه \* (وأحسن نديا) \* يعني مجلسا وذلك أنهم لبسوا الثياب وادهنوا الرؤوس ثم قالوا للمؤمنين أي الفريقين خير منزلة المسلمون أو المشركون وأرادوا أن يصرفوهم عن دينهم

قوله عز وجل \* (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا) \* يعني أكثر أموالا \* (ورثيا) \* يعني منظرا حسنا فلم يغن عنهم ذلك من عذاب الله شيئا قرأ نافع وابن عامر \* (وريا) \* بتشديد الياء بغير همز يعني النعمة وقرأ الباقون \* (ورثيا) \* بالهمز بغير تشديد يعني المنظر قال أبو عبيد وهكذا تقرأ مهموزة لأنه من رؤية العين وإنما هي المنظر

ثم قال عز وجل \* (قل من كان في الضلالة) \* يعني قل يا محمد من كان في الكفر والشرك \* (فليمدد له الرحمن مدا) \* يعني يزيد له مالا وولدا قوله \* (فليمدد) \* هذا لفظ الأمر ومعناه الخبر وتأويله أن الله عز وجل جعل جزاء ضلالتة أن يتركه فيها ويمده فيها كما قال \* (ويمدهم في طغيانهم يعمهون) \* [البقرة: ١٥]  
ثم قال تعالى \* (حتى إذا رأوا ما يوعدون) \* يعني في الآخرة من العذاب والثواب \* (إما العذاب) \* في الدنيا \* (وإما الساعة) \* يعني قيام الساعة \* (فسيعلمون) \* يعني فسيعرفون يوم القيامة \* (من هو شر مكانا) \* يعني صنيعا في الدنيا ومنزلا في الآخرة \* (وأضعف جندا) \* يعني أقل عددا وقوة ومنعة أهم أم المؤمنون  
قوله عز وجل \* (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) \* يعني يزيد الله عز وجل الذين آمنوا بالمنسوخ هدى بالناسخ ليعملوا بالناسخ دون المنسوخ ويقال جعل جزاءهم أن يزيدهم في يقينهم ويزيدهم بصيرة \* (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا) \* وقد ذكرناه \* (وخير مردا) \* يعني وأفضل مرجعا في الآخرة

سورة مريم ٧٧ - ٨٠

قوله عز وجل \* (أفرايت الذي كفر بآياتنا) \* يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن \* (وقال لأوتين) \* يعني لأعطين \* (مالا وولدا) \* في الجنة روى أسباط عن السدي أن خباب بن الأرت كان صائغا يعمل للعاص بن وائل حليا فجاء يسأله أجره فقال له العاص أنتم تزعمون أن لنا بعثنا وجنة ونارا فإذا كان يوم القيامة فإني سأوتي مالا وولدا وأعطيك منه فنزل \* (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) \* في الجنة قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو \* (مالا وولدا) \* بفتح الواو واللام في كل القرآن غير أن أبا عمرو قرأ في سورة نوح بالضم وهكذا روي عن مجاهد وقرأ حمزة والكسائي بضم الواو وجزم اللام من ها هنا إلى آخر السورة والتي في الزخرف والتي في سورة نوح وقال أبو عبيد إنما قرأ هكذا لأنهما جعلوا الولد غير الولد فيقال الولد جماعة الأهل والولد واحد وقال الزجاج الولد مثل أسد وأسد وجزاز أن يكون

الولد بمعنى الولد قال أبو عبيد والذي عندنا في ذلك أنهما لغتان والذي نختاره منهما  
بفتح الواو واللام

قال الله عز وجل ردا على الكافرين \* (أطلع الغيب) \* يقول أنظر في اللوح المحفوظ \*  
(أم اتخذ عند الرحمن عهدا) \* يعني أعقد عند الله عقد التوحيد وهو قول لا إله إلا الله  
ويقال أعهد إليه أن سيجعل له في الجنة \* (كلا) \* وهو رد عليه لا يعطى له ذلك واعلم  
أنه ليس في النصف الأول من القرآن كلا وأما النصف الثاني ففيه نيف وثلاثون موضعا  
ففي بعض المواضع في معنى الرد للكلام الأول وفي بعض المواضع للتنبيه في معنى

الإفتتاح وفي بعض المواضع يحتمل كلا الوجهين  
فأول ذلك \* (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا) \* تم الكلام عنده أي كلا  
لم يطلع الغيب ولم يتخذ عهدا ثم ابتداء \* (سنكتب ما يقول) \* ومن ذلك قوله \*  
(فأخاف أن يقتلون) \* [القصص: ٣٣] قال كلا لا يقتلونك وأما الذي هو للتنبيه في  
معنى الإفتتاح قوله عز وجل \* (حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون) \* [التكاثر: ٢ -  
٣] وقوله عز وجل \* (سنكتب ما يقول) \* يعني سنحفظ ما يقول من الكذب \* (ونمد  
له من العذاب) \* يعني نزيد له من العذاب \* (مدا) \* يعني بعضه على إثر بعض \* (ونرثه  
ما يقول) \* يعني نعطيه غير ما يقول في الجنة ونعطي ما يدعي لنفسه لغيره ثم قال \*  
(ويأتينا فردا) \* يعني وحيدا بغير مال ولا ولد

سورة مريم ٨١ - ٨٢

قوله عز وجل \* (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) \* يعني منعة في الآخرة \*  
(كلا) \* رد عليهم أي لا يكون لهم منعة وتم الكلام ثم قال \* (سيكفرون بعبادتهم) \*  
يعني الآلهة يجحدون عبادتهم \* (ويكونون عليهم ضدا) \* يعني الآلهة تكون عونا  
عليهم في العذاب ويقال تكون عدوا لهم في الآخرة ومن هذا قال النبي صلى الله عليه  
وسلم من طلب رضا المخلوق في معصية الخالق عاد الحامد له ذاما كما أن المشركين  
طلبوا العز من الآلهة فصارت الآلهة عونا عليهم في العذاب فوجدوا ضد ما طلبوا منه

سورة مريم ٨٣ - ٨٦

ثم قال عز وجل \* (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين) \* يعني ألم تخبر في القرآن أنا سلطنا  
الشياطين \* (على الكافرين) \* مجازاة لهم ويقال خلىنا بينهم وبين الكفار فلم نعصمهم  
\* (تؤزهم أزا) \* يعني تزعجهم إزعاجا وتغريهم إغراء حتى يركبوا المعاصي قال  
الضحاك \* (تؤزهم أزا) \*

يعني تأمرهم أمرا وقال الحسن تقدمهم إقداما إلى الشر وقال الكلبي نزلت الآية في المستهزئين بالقرآن وهم خمسة رهط \* (فلا تعجل) \* يا محمد \* (عليهم) \* بالعذاب \* (إنما نعد لهم عدا) \* يعني أيام الحياة ثم ينزل بهم العذاب ويقال نعد عليهم النفس بعد النفس ويقال الأيام والليالي والشهور

قوله عز وجل \* (يوم نحشر المتقين) \* يعني أذكر يوم نحشر المتقين الذين اتقوا الشرك والفواحش \* (إلى الرحمن وفدا) \* يعني ركبانا على النوق والوفد جمع الوافد مثل الركب جمع راكب والوفد الذي يأتي بالخبر والبشارة ويجازي بالإحسان والكرامة وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ قوله تعالى \* (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) \* ثم قال أتدرون على أي شيء يحشرون أما والله ما يحشرون على أقدامهم ولكن يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحال الذهب وأزمتها من الزبرجد ثم ينطلق بهم حتى يقرعوا باب الجنة وقال الربيع بن أنس يقدون إلى ربهم فيكرمون ويعظمون ويشفعون ويحيون فيها بسلام ويقال \* (إلى الرحمن) \* يعني إلى الرحمة وهي الجنة ويقال \* (إلى الرحمن) \* يعني إلى دار الرحمن

ثم قال عز وجل \* (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) \* يعني عطاشا مشاة وأصله الورود على الماء والوارد على الماء يكون عطشاناً

سورة مريم ٨٧ - ٩٥

ثم قال عز وجل \* (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) \* يعني من جاء بلا إله إلا الله وقال سفيان الثوري إلا من قدم عملاً صالحاً

قوله عز وجل \* (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) \* يعني اليهود والنصارى \* (لقد جئتم شيئاً إدا) \* يعني قلتم قولاً عظيماً منكراً ويقال كذبا وزورا

قال عز وجل \* (تكاد السماوات يتفطرن منه) \* يعني يتشققن من قولهم \* (وتنشق الأرض) \* يعني تتصدع الأرض \* (وتخر الجبال هدا) \* يعني تصير الجبال كسرا \* (أن دعوا للرحمن ولدا) \* يعني بأن قالوا لله ولد روي عن بعض الصحابة أنه قال كان بنو آدم لا يأتون شجرة إلا أصابوا منها منفعة حتى قالت فجرة بني آدم اتخذ الرحمن ولدا فاقشعرت الأرض وهلك الشجر وقرأ نافع والكسائي \* (يكاد) \* بالياء على لفظ التذكير وقرأ الباقون بالتاء بلفظ التأنيث

لأن الفعل مقدم فيجوز كلاهما وقرأ ابن كثير ونافع والكسائي وعاصم في رواية حفص " تتفطرن " بالتاءين والباقون بالنون ومعناهما واحد مثل ينشق وتنشق  
قال الله عز وجل \* (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) \* يعني ما اتخذ الله عز وجل ولدا \* (إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا) \* يعني أقر بالعبودية له يعني الملائكة وعيسى وعزيرا عليهم السلام وغيرهم \* (لقد أحصاهم) \* يعني حفظ عليهم أعمالهم ليجازيهم بها \* (وعدهم عدا) \* يعني علم عددهم ويقال \* (أحصاهم) \* أي حفظ أعمالهم فيجازيهم \* (وعدهم عدا) \* أي علم عدد أنفاسهم وحركاتهم \* (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) \* يعني وحيدا بغير مال ولا ولد

سورة مريم ٩٦ - ٩٨

قال عز وجل \* (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) \* يعني الطاعات فيما بينهم وبين ربهم \* (سيجعل لهم الرحمن ودا) \* يعني يحبهم ويحبهم إلى الناس وقال كعب الأبحار رضي الله عنه قرأت في التوراة أنها لم تكن محبة لأحد إلا كان بدؤها من الله عز وجل ينزلها إلى أهل السماء ثم ينزلها إلى أهل الأرض ثم قرأت القرآن فوجدته فيه وهو قوله \* (سيجعل لهم الرحمن ودا) \* يعني محبة في أنفس القوم روى سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الله تعالى عبدا نادى جبريل عليه السلام قد أحببت فلانا فأحبوه فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في الأرض وإذا أبغض الله تعالى عبدا نادى جبريل قد أبغضت فلانا فينادي في أهل السماء ثم تنزل له البغضاء في أهل الأرض قوله عز وجل \* (فإنما يسرناه بلسانك) \* يعني هونا قراءة القرآن على لسانك \* (لتبشر به المتقين) \* يعني الموحدين \* (وتنذر به قوما لدا) \* أي جدلا بالباطل شديدي الخصومة هو جمع ألد مثل أصم وصم  
ثم قال عز وجل \* (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) \* يعني من قبل قريش \* (هل تحس منهم من أحد) \* يعني هل ترى منهم من أحد \* (أو تسمع لهم ركزا) \* أي صوتا خفيا والركز الصوت الذي لا يفهم والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

سورة طه وهي مكية مائة وثلاثون وخمسة آيات

سورة طه ١ - ٦

قوله سبحانه وتعالى \* (طه) \* قرأ أهل الكوفة وحمزة والكسائي في رواية أبي بكر طه بكسر الطاء والهاء وقرأ ابن عامر وابن كثير وعاصم في رواية حفص \* (طه) \* بنصب الطاء والهاء وقرأ نافع وسطا بين النصب والكسر وقرأ أبو عمرو وابن العلاء بنصب الطاء وكسر الهاء

قال ابن عباس رضي الله عنه في رواية أبي صالح لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادة فاشتد عليه فجعل يصلي الليل كله حتى شق عليه ذلك ونحل جسمه وتغير لونه فقال أبو جهل وأصحابه إنك شقي فأتنا بآية أنه ليس مع إلهك إله فنزل \* (طه) \* يعني يا رجل بلسان عك وعنى به النبي صلى الله عليه وسلم

وقال عكرمة والسدي هو بالنبطية وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال \* (طه) \* كقولك يا فلان ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع رجلا ووضع أخرى فأنزل الله عز وجل \* (طه) \* يعني طيء الأرض بقديمك جميعا وقال مجاهد \* (طه) \* فواتح السورة ويقال طاطب المؤمن في الجنة وها هو أن الكافرين في النار ويقال طاطب المؤمن في الحرب وها هرب الكافرين \* (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) \* يعني لتتعب نفسك وتعيأ \* (إلا تذكرة لمن يخشى) \* يقول لم ننزله إلا عظة لمن يسلم وقال القنبي في الآية تقديم يقول ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى لا أن تشقى

ثم قال \* (تنزيلا) \* يعني نزل به جبريل عليه السلام \* (ممن خلق الأرض والسموات العلى) \* يعني نزل من عند خالق السموات والأرض \* (العلي) \* يعني الرفيع وقال أهل اللغة \* (العلي) \* جمع العليا تقول السماء العليا والسموات العلى

ثم قال \* (الرحمن على العرش استوى) \* أي استولى حكمه ونفذ و \* (على العرش) \*  
يعني علا ويقال كان فوق العرش حين خلق السماوات والأرض ويقال \* (استوى) \*  
استولى وملك كما يقال استوى فلان على بلد كذا يعني استولى عليها وملكها فالله  
تعالى بين لخلق قدرته وتمام ملكه أنه يملك العرش وله ما في السماوات وما في  
الأرض فذلك قوله تعالى \* (له ما في السماوات وما في الأرض) \* أي من خلق \* (وما  
بينهما وما تحت الثرى) \* يعني ما تحت الأرض السابعة السفلى وروى أسباط عن  
السدي في قوله عز وجل \* (وما تحت الثرى) \* قال الصخرة التي تحت الأرض  
السابعة وهي صخرة خضراء وهي \* (سجين) \* التي فيها كتاب الكفار ويقال الثرى  
تراب رطب مقدار خمسمائة عام تحت الأرض ولولا ذلك لأحرقت النار الدنيا وما فيها  
وروي عن ابن عباس أنه قال بسطت الأرض على الحوت والحوت على الماء والماء  
على الصخرة الصخرة بين قرني الثور والثور على الثرى وما يعلم ما تحت الثرى إلا الله  
عز وجل

سورة طه ٧ - ١٢

ثم قال عز وجل \* (وإن تجهر بالقول) \* يعني تعلن بالقول يعني بالقرآن \* (فإنه يعلم  
السر وأخفى) \* يعني ما أسررت في نفسك \* (وأخفى) \* يعني ما لم تحدث به نفسك  
وهذا قول الضحاك وقال ابن عباس هكذا وقال عكرمة السر ما حدث الرجل به أهله \*  
(وأخفى) \* ما تكلمت به نفسك وروى منصور بن عمار عن بعض الصحابة قال السر  
ما أسررت به في نفسك \* (وأخفى) \* من السر ما لم يطلع عليه أحد أنه كائن  
ثم قال عز وجل \* (الله لا إله إلا هو) \* يعني هو الله الخالق الرزاق لا خالق ولا رازق  
غيره \* (له الأسماء الحسنى) \* يعني الصفات العلى  
\* (وهل أتاك حديث موسى) \* يعني خبر موسى عليه السلام في القرآن ثم أخبره فقال  
\* (إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا) \* يعني إنزلوا مكانكم وقفوا \* (إني آنست نارا) \*  
يعني أبصرت نارا وذلك حين رجع من مدين مع أهله أصابهم البرد فرأى موسى نارا من  
البعد فقال لهم \* (امكثوا إني آنست نارا) \* \* (لعلي آتيكم منها بقبس) \* يعني بشعلة  
وهو ما أقتبس من عود \* (أو أجد على النار هدى) \* يعني هاديا يدلنا على الطريق  
وكان موسى عليه السلام ضل الطريق وكانت ليلة مظلمة \* (فلما أتاها) \* يعني إنتهى  
إلى النار \* (نودي) \* يعني دعي \* (يا موسى) \* قال ابن عباس لما أتى النار فإذا هي نار  
بيضاء تستوقد من شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها وهي خضراء فجعل يتعجب  
منها وقال في رواية وهب بن منبه فوقف وهو يطمع أن يسقط منها شيء

فيقتبسه فلما طال ذلك أهوى إليها بضغت في يده وهو يريد أن يقتبس من لهبها فلما فعل ذلك مالت نحوه كأنها تريده فاستأخر عنها ثم عاد فطاف بها فنودي " يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى " يعني المطهر قال مقاتل \* (طوى) \* اسم الوادي وقال مجاهد يعني طي الأرض حافيا قال عامة المفسرين إنما أمره أن يخلع نعليه لأنهما كانا من جلد حمار ميت وقال بعضهم أراد أن يصيب باطن قدميه من الوادي ليتبرك به وروي عن كعب الأحبار أنه كان جالسا في المسجد فجاء رجل يصلي فخلع نعليه ثم جاء آخر يصلي فخلع نعليه ثم جاء آخر فخلع نعليه فقال لهم كعب الأحبار أنبيكم صلى الله عليه وسلم أمركم بهذا قالوا لا قال فلم تخلعون نعالكم إذا

صليتم قالوا سمعنا الله تعالى يقول " إخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى " قال أتدرون من أي شيء كانتا نعليه قالوا لا قال إنما كانتا من جلد حمار ميت فأمره الله تعالى أن يخلعهما ليمسه القدس كله وقال عكرمة " إخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى " قال لكي تمس راحة قدميه الأرض الطيبة قرأ ابن كثير وأبو عمرو \* (إني أنا ربك) \* بنصب الألف يعني بأني أنا ربك على معنى البناء وقرأ الباقر في \* (أنا ربك) \* بالكسر على معنى الابتداء وقرأ حمزة \* (لأهله امكثوا) \* بضم الهاء الثانية وقرأ الباقر بكسر الهاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع \* (طوى) \* بنصب الواو بغير تنوين وقرأ الباقر بالتنوين

سورة طه ١٣ - ١٦

ثم قال عز وجل \* (وأنا اخترتك) \* يعني إصطفيتك للرسالة قرأ حمزة بكسر الألف وتشديد النون " وإنا اخترناك " بالنون بلفظ الجماعة والباقر بنصب الألف وتخفيف النون وبالتاء \* (أنا اخترتك) \* قال أبو عبيدة وبهذا نقرأ لموافقة الخط يعني بخط عثمان ثم قال \* (فاستمع لما يوحي) \* يعني إعمل بما تؤمر وتنهى ثم قال \* (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) \* يعني أطعني واستقم على توحيدني \* (وأقم الصلاة لذكري) \* يعني لتذكرني فيها ويقال إن نسيت الصلاة فصلها إذا ذكرتها لأن الله تعالى يقول \* (وأقم الصلاة لذكري) \* وروى الزهري عن سعيد بن المسيب أن النبي صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلاة حتى طلعت الشمس قال من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها إن الله تعالى يقول \* (أقم الصلاة لذكري) \* قال بعضهم هذا خطاب لموسى عليه السلام وقال بعضهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم إلى قوله \* (واتبع هواه فتردى) \*



ثم رجع إلى قصة موسى بقوله \* (إن الساعة آتية) \* يعني كائنة \* (أكاد أخفيها) \* يعني أسرها عن نفسي فكيف أعلنها لكم يا أهل مكة هكذا روي عن جماعة من المتقدمين وهكذا قال ابن عباس في رواية أبي صالح وقال القتيبي كذلك في قراءة أبي \* (أخفيها) \* من نفسي وهكذا وري جماعة من المتقدمين وروي طلحة عن عطاء \* (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) \* عن نفسي وروي في إحدى الروايتين عن أبي بن كعب أنه كان يقول تقرأ \* (أكاد أخفيها) \* بنصب الألف يعني أكاد أظهرها وهي قراءة سعيد بن جبير قال أهل اللغة خفي يخفى أي أظهر وقال امرؤ القيس  
(خفاهن من إنفاقهن كأنما

\* خفاهن من ودق سحاب مركب) يذكر الفرس أنه استخرج الفأرة من جحرهن

كالمطر

ثم قال \* (لتجزى كل نفس بما تسعى) \* يعني لتثاب كل نفس بما تعمل  
ثم قال عز وجل \* (فلا يصدنك عنها) \* يعني لا يصرفنك عنها يعني عن الإقرار بقيام الساعة \* (من لا يؤمن بها) \* يعني من لا يصدق بقيام الساعة \* (واتبع هواه فتردى) \*  
يعني فتهلك ويقال الردى الموت والهلاك

سورة طه ١٧ - ٢٣

ثم رجع إلى قصة موسى عليه السلام فقال عز وجل \* (وما تلك بيمينك يا موسى) \*  
يعني أي شيء الذي بيدك أو ما الذي بيدك وكان عالما بما في يده ولكن الحكمة في سؤاله لإزالة الوحشة عن موسى لأن موسى كان خائفا مستوحشا كرجل دخل على ملك وهو خائف فسأله عن شيء فتزول بعض الوحشة عنه بذلك ويستأنس بسؤاله وقال بعضهم إنما سأله تقريراً له أن ما في يده عصا لكيلا يخاف إذا صار ثعباناً ف " قال " موسى \* (هي عصاي أتوكأ عليها) \* يعني أعتمد عليها إذا أعييت \* (وأهش بها على غنمي) \* يعني أحبط بها ورق الشجر لغمي فإن قيل إنما سأله عما في يده ولم يسأله عما يصنع بها فلم أجاب موسى عن شيء لم يسأله عنه قيل له قد قال بعضهم في الآية إضمار يعني \* (وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي) \* فقال وما تصنع بها قال \* (أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي) \* وقال بعضهم إنما خاف موسى بذلك لأنه أمره بأن يخلع نعليه فخاف أن يأمره بإلقاء عصاه فجعل يذكر

منافع عصاه فقال \* (أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي) \* \* (ولي فيها مآرب أخرى) \*  
\* يعني حوائج أخرى وواحد ماأربة وقال مقاتل كان موسى يحمل زاده على عصاه إذا  
سار وكان يركزها في الأرض فيخرج الماء وتضئ له بالليل بغير قمر فيهتدي على غنمه  
وروى أسباط عن السدي قال كانت عصا موسى من عود شجر آس من شجر الجنة  
وكان إستودعها إياه ملك من الملائكة في صورة إنسان يعني عند شعيب وقال علي بن  
أبي طالب رضي الله عنه كانت عصا موسى من عود ورد من شجر الجنة اثني عشر  
ذراعاً من ذراع موسى

قوله تعالى \* (قال ألقها يا موسى) \* يعني ألق عصاك من يدك فظن موسى أنه يأمره  
بإلقائها على وجه الرفض فلم يجد بدا \* (فألقاها فإذا هي حية تسعى) \* يعني تسرح  
وتسير على بطنها رافعة رأسها فخاف موسى وولى هاربا " قال " الله تعالى لموسى \*  
(خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى) \* يعني سنجعلها عصا كما كانت أول مرة  
وأصل السيرة الطريقة كما يقال فلان على سيرة فلان أي على طريقته وإنما صار نصبا  
لنزع الخافض والمعنى سنعيدها إلى حالها الأولى فتناولها موسى فإذا هي عصا كما  
كانت

ثم قال عز وجل \* (واضمم يدك إلى جناحك) \* قال الكلبي الجناح أسفل الإبط يعني  
أدخل يدك تحت إبطك \* (تخرج بيضاء) \* لها شعاع يضيء كضوء الشمس \* (من  
غير سوء) \* يعني من غير برص \* (آية أخرى) \* يعني علامة أخرى مع العصا \* (لنريك  
من آياتنا الكبرى) \* يعني العظمى ومعناه لنريك الكبرى من آياتنا ولهذا لم يقل  
الكبريات لأنه وقع المعنى على واحدة

سورة طه ٢٤ - ٣٦

ثم قال تعالى \* (اذهب إلى فرعون إنه طغى) \* يعني علا وتكبر وادعى الربوبية يعني  
إذهب إليه وادعه إلى الإسلام " قال " موسى عليه السلام \* (رب اشرح لي صدري) \*  
يعني يا رب وسع لي قلبي حتى لا أخاف منه ويقال لين قلبي بالإسلام حتى أثبت عليه  
\* (ويسر لي أمري) \* يعني هون علي ما أمرتني به \* (واحلل عقدة من لساني) \* يعني  
إبسط العقدة أي الرثة من لساني \* (يفقهوا قولي) \* يعني يفهموا كلامي وذلك أن  
موسى عليه السلام في حال صغره رفعه فرعون في حجره فلطمه موسى لطمه ويقال  
أخذ بلحيته ومدّها إلى الأرض

فقال فرعون هذا من أعدائي الذين كنت أتخوف به فقالت امرأته آسية بنت مزاحم صبي جاهل لا عقل له ضع له طستا من حلي وطستا من نار حتى نعلم ما يصنع فوضعوا له ذلك فجاء جبريل عليه السلام فأخذ يده فأهوى بها إلى النار فأخذ جمرة فوضعها فيه فكانت الرثوة من ذلك فذلك قوله عز وجل \* (يفقهوا قولي) \*

\* (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون) \* يعني اجعل لي معينا من أهلي يعني أخي هارون \* (اشدد به أزري) \* حتى يكون قوة لي والأزر الظهر وجماعته أزر ويراد به القوة يقال أزرت فلانا على الأمر أي قويته عليه وإنما نصب \* (هارون) \* لوقوع الفعل عليه والمعنى اجعل هارون أخي وزيراً فصار الوزير المفعول الثاني \* (وأشركه في أمري) \*

يعني في نبوتي

قرأ ابن عامر \* (اشدد) \* بنصب الألف \* (وأشركه) \* بضم الألف على معنى الخبر عن نفسه أي أنا أفعل ذلك وإنما كان جزماً على الجزاء في الأمر وقرأ الباقون \* (اشدد) \* بضم الألف \* (وأشركه) \* بنصب الألف على معنى الدعاء يعني اللهم أشدد به أزري وأشركه في أمري قال أبو عبيدة بهذه القراءة نقرأ ويكون حرف ابن مسعود شاهداً لها وكان يقرأ " هارون أخي واشدد به أزري وأشركه في أمري " وفي حرف أبي " وأشركه في أمري واشدد به أزري " قال كأنه دعا

ثم قال \* (كي نسبحك كثيراً) \* يعني نصلي لك كثيراً \* (ونذكرك) \* باللسان \* (كثيراً) \* يعني على كل حال \* (إنك كنت بنا بصيراً) \* أي كنت عالماً بنا في الأحوال كلها

" قال " الله تعالى \* (قد أوتيت سؤالك يا موسى) \* يعني أعطيناك ما سألته

سورة طه ٣٧ - ٤٠

ثم قال \* (ولقد مننا عليك مرة أخرى) \* يعني قد أكرمتك بكرامات قبل هذا من غير أن تسألني ثم بين له الكرامات والنعمة فقال \* (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى) \* أي ألهمنا أمك ما ألهمت ويقال \* (ما يوحى) \* على الحجر يعني كان إلهاماً ولم يكن وحياً \* (أن اقدفيه في التابوت) \* يعني إجعلي موسى في التابوت ثم \* (فاقدفيه في اليم) \* يعني إطرحيه في البحر \* (فليلقه اليم بالساحل) \* يعني شاطئ البحر

فإن قيل لم أمر بإلقائه في اليم قيل له إنما أمره بذلك لأن البحر يخفي عن المنجمين ما فيه فكان إلقاؤه لتجنيب حال موسى عليه السلام عن المنجمين لكيلا يأخذه فرعون ويقتله وقيل أراد أن يكون مع الماء لكيلا يخاف وقت عبوره البحر لاحقاً وقيل أراد الله تعالى أن يري أمه حفظ الله تعالى له

\* (يأخذه عدو لي وعدو له) \* يعني آل فرعون \* (وألقيت عليك محبة مني) \* يعني ألقى محبتي عليك فكل من رآك أحبك \* (ولتصنع على عيني) \* يقول ما يصنع بك على منظر مني وبعلمي وبارادتي \* (إذ تمشي أختك فتقول) \* لآل فرعون \* (هل أدلكم) \* يعني أرشدكم \* (على من يكفله) \* يعني يضمه ويحوطه ويرضعه \* (فرجعناك) \* يقول رددناك \* (إلى أمك كي تفر عينها) \* يعني لتطيب نفسها \* (ولا تحزن وقتلت نفساً فنجيناك من الغم) \* يعني من القود \* (وفتناك فتونا) \* يعني إبتليناك ببلاء بعد بلاء ويقال بنعمة على إثر نعمة

قال أخبرني الثقة بإسناده عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قول الله عز وجل لموسى \* (وفتناك فتونا) \* فسألته عن الفتون ما هو فقال استأنف النهار يا ابن جبير فإن له حديثاً طويلاً فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس ليخبرني ما وعدني من حديث الفتون فقال ابن عباس تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله عز وجل وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً فقال بعضهم إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه قال فرعون فكيف ترون فأتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلاً معهم الشغار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ففعلوا فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون وأن الصغار يذبحون قالوا يوشك أن يفنى بنو إسرائيل فتصبروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم فاقتلوا عاماً ودعوا عاماً لا تقتلوا منهم أحداً فنشأت الصغار مكان من يموت من الكبار فإنهم لن يكثروا فتخافون مكابرتهم إياكم فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية حتى إذا كان من قابل حملت بموسى فوق في قلبها من الحزن والهم فذلك من الفتون يا ابن جبير

فأدخل عليه في بطن أمه ما يراد به فأوحى الله تعالى إليها أن \* (لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) \* يعني أمر الله تعالى أم موسى إذا هي ولدت أن تجعله في التابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ما أمرت به حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى دواب البحر تأكله فانطلق به الماء حتى أرقى به عند فرضة مستقى جوارى امرأة

فرعون فرأينه فأخذنه فهممن أن يفتحن التابوت فقال بعضهن لبعض إن في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فحملنه كهيئته حتى رفعنه إليها فلما فتحنه رأت فيه الغلام فألقى عليه منها محبة لم يلق مثلها على أحد قط من البشر \* (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) \* من ذكر كل شيء إلا ذكر موسى فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت للذباحين إصبروا علي فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل لا ينقص فأتي به فرعون فأستوهبه منه إياه فإن وهبه لي فقد أحسنتم وأجملتم وإن أمر بذبحه لم أنهكم فلما أتت فرعون به قالت قرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا فقال فرعون يكون لك فأما لي فلا حاجة لي فيه فقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يحلف به لو أقر فرعون بأن يكون قرّة عين له لهداه الله عز وجل بموسى كما هدى به امرأته قال فأرسلت إلى من حولها من كل امرأة لها لبن لتختار له ظئرا فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل من ثديها حتى أشفت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك ثم أمرت به فأخرج إلى السوق واجتمع الناس ترجو أن تجد له ظئرا تأخذه منها فلم يقبل فأصبحت أم موسى والهة فقالت لأختها قصي أثره فاطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحى ابني أم قد أكلته الدواب في البحر فبصرت به عن جنب أي عن بعد والجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد وهي إلى جنبه لا تشعر به فقالت \* (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) \* [القصص: ١٢]

وذلك من الفتون يا ابن جبير

فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه لرغبتهم في الملك ورجاء منفعتهم فتركوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها بالخبر فجاءت فلما وضعت في حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى إمتلأ جنباه ريا فانطلق البشري إلى امرأة فرعون يبشرونها بأن قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت إليها فأتت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت لها أمكثي عندي ترضعين ابني فإنني لم أحب مثل حبه شيئا قط قالت لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلو خيرا إلا فعلت به وإلا فإنني غير تاركة بيتي وولدي

فرجعت بإبنها إلى بيتها من يومها فأنجزها الله عز وجل وعده وأنبتة الله تعالى نباتا حسنا فلم تزل بنو إسرائيل تمتنع به من الظلم والسخرّة فلما ترعرع أي كبر قالت امرأة فرعون لأم موسى أريني ابني فواعدتها يوما وقالت لخزانها وقها رمتها لا يبقى منكم أحد إلا ويستقبل ابني بهدية وكرامة فلم تزل الهدايا والكرامات تستقبله من حيث خرج من بيت أمه إلى أن دخل إلى امرأة فرعون فلما دخل عليها بجلته وأكرمته وفرحت به وأعجبها وبجلت أمه لأثرها عليه ثم قالت لأنطلق به إلى فرعون فليجلنّه وليكرمنه فلما دخلت به عليه جعلته في



(۳۹۶)

حجره فتناول موسى لحية فرعون ومدّها إلى الأرض فقالت له الغواة من أعداء الله ألا ترى إلى ما وعد الله إبراهيم عليه السلام إنه يريد أن يصرعك وينزع عنك ملكك ويهلكك فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير

فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون فقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذي وهبته لي فقال ألا تريه إنه سيصرعني فقالت له اجعل بينك وبينه أمرا لتعرف فيه الحق إئت بجمرتين ولؤلؤتين فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل وإن تناول الجمرتين فاعلم بأنه لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقرب ذلك إليه فتناول الجمرتين فانتزعوهما منه مخافة أن تحرقا يديه

فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم ولا بسخرة فبينما هو يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى واشتد غضبه فوكزه فقتله وليس يراهما أحد إلا الله عز وجل والإسرائيلي فأتى فرعون فقيل له إن بني إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا فقال إئتوني بقاتله والذي يشهد عليه آخذ لكم بحقكم

فبينما هم يطوفون لا يجدون شيئا وإذا موسى قد رأى من الغد الإسرائيلي يقاتل فرعونيا آخر فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني وقد ندم موسى على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى فغضب على الإسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعوني فقال للإسرائيلي \* (إنك لغوي مبين) \* [القصص: ١٨] فخاف الإسرائيلي وظن أنه يريد إياه فقال يا موسى \* (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس) \* [القصص: ١٩] فتتاركا فانطلق الفرعوني إلى قومه وأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر فأرسل فرعون إلى الذباحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يمشون على هيئتهم يطلبون موسى وجاء رجل من شيعة موسى فاختر طريقا قريبا حتى سبقهم إلى موسى فأخبره الخبر وذلك من الفتون يا ابن جبير

فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه تعالى فإنه قال \* (قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) \* [القصص: ٢٣] \* (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان) \* [القصص: ٢٣] يعني إنهما حابستان غنمهما فقال ما خطبكما معترلتين لا تسقيان مع الناس قالتا ليس لنا قوة نزاحم القوم وإنما ننتظر فضول حياضهم فنسقي فسقى لهما موسى فجعل يغرف في الدلو ماء كثيرا حتى كان أول الرعاة فراغا فانصرفتا إلى أبيهما بغنمهما وانصرف موسى إلى شجرة فاستظل بها فاستنكر أبو الجاريتين سرعة صدورهما بغنمهما حفلا فقال إن لكما لشأنا اليوم فحدثاه بما صنع موسى فأمر إحداهما أن تدعوه له فأتته فدعته فلما دخل على شعيب عليه

(३११)



السلام فأخبره بالقصة قال \* (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) \* [القصص: ٢٥]  
أي ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته  
" قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين " [القصص: ٢٦]  
فاحتملته الغيرة وقال ما يدريك ما أمانته وقوته فقالت أما قوته فما رأيت مثله حين سقى  
لنا الماء رجلا قط أقوى من ذلك في ذلك السقي منه وأما أمانته فإنه لما نظرني حين  
أقبلت إليه صوب رأسه ولم يرفعه ولم ينظر إلي حين بلغته رسالتك فقال لي إمشي  
خلفي وانعتي إلي الطريق يعني صفي لي ودليني على الطريق فسري عن أبيها فقال له \*  
(إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت  
عشرا فمن عندك) \* [القصص: ٢٧]

فكان على موسى ثمان سنين واجبة وكانت سنتان عدة منه فلما قضى موسى الأجل  
وسار بأهله كان من أمره ما قص الله عليك في القرآن فشكا إلى ربه ما يتخوف من آل  
فرعون في القتل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه عن كثير من الكلام  
فسأل ربه أن يعينه بأخيه ليتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به  
فأعطاه الله عز وجل سؤاله وحل عقدة من لسانه فاندفع موسى بالعصا فلقى هارون  
فانطلقا جميعا إلى فرعون وأقاما على بابه حين لا يؤذن لهما بالدخول ثم أذن لهما بعد  
حجاب شديد فقالا إنا رسولا ربك قال فمن ربكما فأخبراه بالذي قص الله عز وجل  
في القرآن فقال ما تريدان فقال موسى أريد أن تؤمن بالله تعالى وأن ترسل معنا بني  
إسرائيل فأبى عليه ذلك فقال \* (فأت بآية إن كنت من الصادقين) \* [الشعراء: ١٥٤]  
فألقي عصاه فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون فاقتحم فرعون عن  
سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل وأخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير  
سوء ثم أعادها إلى كفه فصارت إلى لونها الأول فاستشار الملاء فيما رأى فقالوا إجمع  
لهما السحرة فإنهم بأرضك كثير فأرسل فرعون في المدائن فحشر له كل ساحر متعالم  
فلما أتوا فرعون قال بم يعمل هذان الساحران قالوا يعملان بالحيات فقالوا والله ما في  
الأرض قوم يعملون بالحيات التي تعمل فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى  
ويوم الزينة هو اليوم الذي أظهر الله عز وجل موسى على فرعون والسحرة وهو يوم  
عاشوراء فقال الناس بعضهم لبعض إنطلقوا فلنحضر هذا الأمر فنتبع السحرة إن كانوا  
هم الغالبين يعنون بذلك موسى وهارون استهزاء بهما قالت السحرة لموسى لقدرتهم  
بسحرهم \* (إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين) \* [الأعراف: ١١٥] قال لهم  
موسى ألقوا حبالهم وعصيهم فرأى موسى من سحرهم شيئا عظيما فأوجس في  
نفسه خيفة فأوحى الله تعالى إليه أن ألق عصاك فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيما فاغرة  
فاها فجعلت تلتقم العصي

(۳۹۸)

والجبال حتى ما أبقت عصا ولا حبلا إلا ابتلعتها فلما عرفت السحرة ذلك قالوا لو كان هذا ساحرا لم يبلغ من سحره كل هذا ولكن هذا أمر من أمر الله عز وجل فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة أمر الله تعالى موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلا فلما أصبح فرعون فبعث في المدائن حاشرين وتبعهم بجنود عظيمة فنسي موسى أن يضرب بعصاه البحر فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال قوم موسى إنا لمدركون إفعل ما أمرك الله عز وجل فتذكر موسى عليه السلام ما وعده الله عز وجل فضرب البحر بالعصا فانفلق البحر اثنتي عشرة فرقة فلما جاوز أصحاب موسى كلهم ودخل أصحاب فرعون كلهم التقى البحر عليهم فقال أصحاب موسى إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق فدعا موسى ربه فأخرجه حتى إستيقنوا فمضوا حتى أنزلهم منزلا ثم قال لهم أطيعوا هارون فإنني إستخلفته عليكم وإني ذاهب إلى ربي وأجلهم ثلاثين يوما وقد صامهن أي صام موسى ليعلمهم

وكره أن يكلمه ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتناول موسى من نبات الأرض شيئا فمضغه فقال له ربه حين أتاه لم أفطرت وهو أعلم به قال رب إني كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح قال الله عز وجل أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم عندي أطيب من ريح المسك إرجع حتى تصوم عشرة أيام ثم إئتني ففعل موسى الذي أمره ربه تبارك تعالى فلما رأى قوم موسى أنه لم يأتهم للأجل ساءهم ذلك

وأخرج لهم السامري عجلا جسدا له خوار من حلي آل فرعون فتفرق بنو إسرائيل فقالت فرقة للسامري ما هذا قال هذا ربكم ولكن موسى أخطأ الطريق فقالوا لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس هذا بربنا وأشرب فرقة في قلوبهم التصديق وقال لهم هارون إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فلما كلم الله عز وجل موسى أخبره بما لقي قومه بعده فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه كما قص الله عز وجل في هذه السورة وقال \* (وفتناك فتونا) \* يعني إختبرناك إختبارا ويقال أخلصناك إخلاصا كما قال تعالى \* (إنه كان مخلصا) \* [مريم: ٥١]

ثم قال عز وجل \* (فلبث سنين) \* أي عشر سنين \* (في أهل مدين) \* عند شعيب عليه السلام \* (ثم جئت على قدر يا موسى) \* يعني على وقت مقدور عليك يا موسى وهذا قول ابن عباس وقال مقاتل \* (على قدر) \* أي على ميقات ويقال على موعد ويقال على قدر من تكليمي إياك ويقال على قضاء قضيته ويقال على تمام الذي يوحى للأنبياء أربعين سنة

سورة طه ٤١ - ٤٤

\* (واصطنعتك لنفسي) \* يعني إخترتك للرسالة والنبوة ولإقامة حجتي فقال موسى يا رب حسبي حسبي فقد تمت كرامتي فقال الله عز وجل \* (اذهب أنت وأخوك بآياتي) \* يعني آياتي التسع \* (ولا تنيا في ذكري) \* يعني لا تفتروا ولا تضعفا ولا تعجزا عن أداء رسالتي \* (اذهبا إلى فرعون إنه طغى) \* يعني تكبر وعلا \* (فقولا له قولا لينا) \* يعني كلاما باللين والشفقة والرفق لأن الرؤساء بكلام اللين أقرب إلى الانقياد من الكلام العنيف أي قولا له أيها الملك ويقال \* (فقولا له قولا لينا) \* لوجوب حقه عليك بما رباك وإن كان كافرا

وروى أسباط عن السدي قال القول اللين أن موسى جاءه فقال له تسلم وتؤمن بما جئت به وتعبد رب العالمين على أن لك شبابا لا يهرم أبدا وتكون ملكا لا ينزع منك أبدا حتى تموت ولا ينتزع منك لذة الطعام والشراب والجماع أبدا حتى تموت فإذا مت دخلت الجنة قال فكأنه أعجبه ذلك وكان لا يقطع أمرا دون هامان وكان هامان غائبا فقال له فرعون إن لي من أوامره وهو غائب حتى يقدم أي لأشاوره فلم يلبث أن قدم هامان فقال له فرعون علمت بأن ذلك الرجل أتاني فقال هامان ومن ذلك الرجل فقال هو موسى قال فما قال فأخبره بالذي دعاه إليه قال فما قلت له قال لقد دعاني إلى أمر أعجبني فقال له هامان قد كنت أرى لك عقلا وأن لك رأيا بينا أنت رب أفتريد أن تكون مربوبا وبيننا أن تعبد أفتريد أن تعبد غيرك فغلبه على رأيه فأبى ثم قال تعالى \* (لعله يتذكر أو يخشى) \* يعني يتعظ أو يسلم وقال الزجاج لعل في اللغة ترجي وتطمع يقول لعله يصير إلى خير والله سبحانه وتعالى خاطب العباد بما يعقلون والمعنى عند سيوييه إذهبا على رجائكما وطمعكما وقد علم الله تعالى أنه لا يتذكر ولا يخشى إلا أن الحججة إنما تجب بإبائه وقال بعض الحكماء إذا أردت أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر فعليك باللين لأنك لست بأفضل من موسى وهارون ولا الذي تأمره بالمعروف ليس بأسوأ من فرعون وقد أمرهما الله تعالى بأن يأمراه باللين فأنت أولى أن تأمر وتنهي باللين

سورة طه ٤٥ - ٥٢

ثم قال الله عز وجل \* (قالا) \* يعني موسى وهارون " ربنا إننا نخاف أن يفرط

علينا) يعني أن يبادر بعقوبتنا يقال قد فرط منه أمر أي قد بدر منه قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض ويقال \* (أن يفرط علينا) \* يعني أن يضر بنا \* (أو أن يطغى) \* يعني يقتلنا قال كان هذا القول من موسى وهارون حين رجع موسى إلى مصر وأوحى الله تعالى إليهما فقلا عند ذلك \* (إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) \* وقال بعضهم قد قال الله عز وجل ذلك لموسى عند طور سيناء فأجابه موسى عن

نفسه وعن هارون فأضاف القول إليهما جميعا

" قال " الله عز وجل \* (لا تخافا) \* عقوبة فرعون عند أداء الرسالة \* (إنني معكما) \* أي معينكما \* (اسمع) \* ما نزل عليكما \* (واري) \* ما يصنع بكما ثم قال عز وجل \* (فأتياه) \* يعني فاذهبا إلى فرعون \* (فقلوا إنا رسولا ربك) \* قال الفقيه أبو الليث رحمه الله في الآية دليل أنه يجوز رواية الأخبار بالمعنى وإنما العبرة للمعنى دون اللفظ لأن الله تعالى حكى معنى واحدا بألفاظ مختلفة وقال في موضع آخر \* (فقلوا إنا رسول رب العالمين) \* [الشعراء: ١٦] وقال ها هنا \* (إنا رسولا ربك) \* وقال في آية أخرى \* (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) \* [الأعراف: ١٢١ - ١٢٢] وقال في موضع \* (آمنا برب هارون وموسى) \* ثم قال تعالى \* (فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم) \* يعني لا تستعبدهم \* (قد جئناك بأية من ربك) \* يعني باليد والعصا \* (والسلام على من اتبع الهدى) \* يعني على من طلب الحق ورغب في الإسلام قال الزجاج \* (والسلام على من اتبع الهدى) \* معناه أن من اتبع الهدى فقد سلم من عذاب الله عز وجل وسخطه قال عز وجل \* (إنا قد أوحى إلينا أن العذاب) \* يعني أن العذاب في الآخرة بالدوام \* (على من كذب) \* بالتوحيد \* (وتولى) \* عن التوحيد والإيمان ولم يذكر في الآية أنهما أتيا فرعون لأن في الكلام دليلا عليه حيث ذكر قول فرعون ومعناه أنهما أتيا فرعون وأديا إليه الرسالة وقالا \* (إنا رسولا ربك) \* لأن في الكلام دليلا عليه حيث ذكر قول فرعون

" قال " فرعون \* (فمن ربكما يا موسى) \* ولم يقل من ربي تكبرا منه " قال " موسى " ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه " يعني شكله ويقال خلق لكل ذكر أنثى شبهه \* (ثم هدى) \* يعني ألهمه الأكل والشرب والجماع وقال القتيبي الإهداء أصله الإرشاد كقوله \* (عسى ربي أن يهديني) \* [القصص: ٢٢] ثم الإرشاد مرة يكون بالدعاء ومرة بالبيان وقد ذكرناه في سورة الأعراف ومرة بالإلهام كقوله " أعطى كل شيء خلقه " أي صورته \* (ثم هدى) \* أي ألهمه إتيان الإناث ويقال ألهمه طلب المرعى وتوقي المهالك وقال الحسن " أعطى كل شيء خلقه " ما يصلح له ثم هداه ثم أن موسى أخبره بالبعث والجزاء وأمر الآخرة

(ξ · 1)

وقال فرعون \* (فما بال القرون الأولى) \* يعني ما حال وما شأن القرون الماضية " قال " موسى \* (علمها عند ربي في كتاب) \* يعني في اللوح المحفوظ \* (لا يضل ربي) \* يعني لا يخفى على ربي \* (ولا ينسى) \* ما كان من أمرهم وقال مجاهد \* (لا يضل ربي) \* أي لا يخفى عليه شيء واحد قال السدي أي لا يغفل ولا يترك وكان الحسن يقرأ \* (لا يضل) \* بضم الياء يعني لا يضلّه الله يعني به الكتاب وإلى هذا الموضع حكاية كلام موسى

سورة طه ٥٣ - ٥٤

ثم إن الله عز وجل قال لمشركي مكة \* (الذي جعل لكم الأرض مهذا) \* أي موضع القرار وهو الرب الذي ذكر موسى لفرعون ودعاه إلى عبادته قرأ حمزة والكسائي وعاصم \* (مهذا) \* وقرأ الباقون \* (مهادا) \* يعني فراشا وبساطا قال أبو عبيدة المهد الفعل يقال مهدت مهذا والمهاد اسم الموضع \* (وسلك لكم فيها سبلا) \* يعني جعل لكم فيها طرقا \* (وأنزل من السماء ماء) \* يعني المطر \* (فأخرجنا به أزواجا) \* يعني أنبتنا بالمطر أصنافا وألوانا \* (من نبات شتى) \* مختلف ألوانه \* (كلوا وارعوا أنعامكم) \* اللفظ لفظ الأمر ومعناه معنى الخبر يعني لتأكلوا منه وترعوا أنعامكم \* (إن في ذلك) \* يعني إن في إختلاف النبات ألوانه وغير ذلك \* (آيات) \* أي لعبرات \* (لأولي النهي) \* يعني لذوي العقول من الناس

سورة طه ٥٥ - ٦١

قوله عز وجل \* (منها خلقناكم) \* يعني آدم عليه السلام خلقناه من الأرض \* (وفيها نعیدكم) \* بعد موتكم \* (ومنها نخرجكم) \* يعني نحييكم ونخرجكم من الأرض \* (تارة أخرى) \*

ثم رجع إلى قصة فرعون فقال " ولقد أرينه آياتنا كلها " يعني العلامات والدلائل \* (فكذب) \* بالآيات \* (وأبي) \* أن يسلم " قال " فرعون وقومه " أجتئنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا

سوى) يعني لا نجاوزه مكانا سوى ذلك المكان وهذه قراءة نافع وأبي عمرو والكسائي وابن كثير يقرؤون بالكسر وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة\* (سوى)\* بضم السين ومعناه الإنصاف وقال بعضهم سوى وسوى لغتان وقال مجاهد مكانا منصفا بينهم وقال السدي أي عدلا بينهم وقال القتيبي أي وسطا بين الفريقين قوله عز وجل\* (قال موعدكم يوم الزينة)\* يعني يوم عيد لهم وهو يوم النيروز وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هو يوم عاشوراء\* (وأن يحشر الناس ضحى)\* يعني إذا حشر الناس واجتمعوا على وقت الضحى\* (فتولى فرعون)\* يعني رجع إلى أهله\* (فجمع كيده)\* يعني سحرته\* (ثم آتى)\* يعني أتى الميعاد قرأ بعضهم\* (يوم الزينة)\* بنصب الميم والمعنى يقع في\* (يوم الزينة)\* وقراءة العامة\* (يوم الزينة)\* رفع على معنى خبر الابتداء

ثم\* (قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا)\* يعني ضيق الله عليكم الدنيا لا تختلقوا على الله كذبا قال الزجاج\* (ويلكم)\* منصوب على أن أزمهم الله ويلا قال ويجوز أن يكون على النداء كما قال "يا ويلتنا" [الكهف: ٤٩]\* (فيسحتكم بعذاب)\* يعني يأخذكم بعذاب ويهلككم قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص\* (فيسحتكم)\* بضم الياء وكسر الحاء وقرأ الباقون\* (فيسحتكم)\* بالنصب وهما لغتان يقال سحته وأسحته إذا إستأصله وأهلكه\* (وقد خاب)\* يعني خسر\* (من افترى)\* يعني إختلق على الله كذبا

سورة طه ٦٢ - ٦٦

قال عز وجل\* (فتنازعوا أمرهم بينهم)\* يعني تناظروا أمرهم بينهم يعني اختلفوا فيما بينهم سرا من فرعون وهم السحرة وقالوا فيما بينهم إن كان ما يقول موسى حقا واجبا فيكون الغلبة لموسى فذلك قوله عز وجل\* (فتنازعوا أمرهم بينهم)\* يعني تناظروا أمرهم بينهم\* (وأسروا النجوى)\* يعني أخفوا الكلام\* (قالوا إن هذان لساحران)\* يعني موسى وهارون\* (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما)\* قرأ أبو عمرو "إن هذين لساحران" لأن\* (أن)\* تنصب ما بعدها وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص\* (إن هذان)\* بجزم إن وتشديد نون هذان عند ابن كثير خاصة وقرأ الباقون\* (أن)\* بالنصب والتشديد\* (هذان لساحران)\*



بالتخفيف وقال أبو عبيد نقرأ بهذا ورأيت في مصحف عثمان رضي الله عنه بهذا اللفظ " وإن هذين لساحران " " إن هاذين " ليس فيه ألف وهكذا رأيت رفع الاثنين في جميع المصاحف بإسقاط الألف وإذا كتبوا بالنصب والخفض كتبوها بالياء وحكى الكسائي عن أبي الحارث بن كعب وخنعم وزيد وأهل تلك الناحية الرفع مكان النصب وقال القائل

(أي قلو ص راكب تراها

\* طاروا علاهن فطر علاها) وقال آخر

(إن أباه وأبا أباه

\* قد بلغا في المجد غايتها) وقال آخر

(فمن يك أمسى بالمدينة رحلة

\* فإني وقيار بها لغريب)

وروى وكيع عن الأعمش عن إبراهيم قالوا كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة سواء

" إن هاذان لساحران " و " إن هاذين لساحرين " سواء وفي مصحف عبد الله " إن

هاذان ساحران " وفي مصحف أبي " إن هذان إلا ساحران "

ثم قال الله عز وجل \* (ويذهب بطريقتكم المثلى) \* يقول برجالكم الأمثل فالأمثل يقول

ليغلبا على الرجال من أهل العقول والشرف وقال القتيبي يقال هؤلاء طريقة القوم أي

أشرافهم ويقال أراد سنتكم ودينكم وقال الزجاج معناه يذهب بأهل طريقتكم كما قال "

وسئل القرية " [يوسف: ٨٢]

ثم قال عز وجل \* (فأجمعوا كيدكم) \* قرأ أبو عمرو \* (فأجمعوا) \* بجزم الألف

ونصب الميم يعني جيئوا بكل كيد تقدرن عليه لا تبقوا منه شيئاً وقرأ الباقون \*

(فأجمعوا) \* بقطع الألف وكسر الميم ومعناه ليكن عزمكم كلكم على الكيد مجمعا

عليه ولا تختلفوا فتخذلوا وقال أبو عبيدة بهذا نقرأ لأن الناس عليها ولصحتها في العربية

يقال أجمعت الأمر واجتمعت عليه وإنما يقال جمعت الشيء المتفرق فتجمع

ثم قال \* (ثم اتوا صفا) \* يعني جميعاً قال أبو عبيد الصف المصلى وقال الزجاج \* (ثم

اتوا صفا) \* يعني الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم قال ويجوز أن يكون

قوله ثم اتوا مصطفين مجتمعين ليكون أنظم لأمركم وأشد لهيبكم \* (وقد أفلح اليوم)

\* يعني قد فاز ونجا اليوم \* (من استعلى) \* أي من علا بالغلبة

ثم جمع فرعون بينهم وبين موسى عليه السلام ف \* (قالوا يا موسى) \* يعني السحرة \*

(إما أن تلقى) \* يعني أن تطرح عصاك على الأرض \* (وإما أن نكون أول من ألقى) \*

إلى الأرض " قال " لهم موسى \* (بل ألقوا) \* فألقوا في الكلام مضمراً \* (فإذا حبأهم

وعصيتهم يخيل إليه) \* يعني تراءت إلى موسى \* (من سحرهم أنها تسعى) \* يعني

كأنها حيات تسير وروي عن الحسن أنه كان يقرأ بالتاء " تخيل " لأن جمع العصي

مؤنث وقراءة العامة بالياء يعني سعيها



( ٤ • ٤ )

سورة طه ٦٧ - ٧١

ثم قال \* (فأوجس في نفسه خيفة موسى) \* يعني أضمر في قلبه الخوف وخاف أن لا يظفر به إن صنع القوم مثل ما صنع ويقال خاف من الحيات من جهة الطبع \* (قلنا لا تخف) \* يعني أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن لا تخف \* (إنك أنت الأعلى) \* يعني الغالب و \* (فأوجس) \* أي أحس ووجد خوفا من سحرهم فقال تعالى \* (لا تخف إنك أنت الأعلى) \* عليهم بالظفر والغلبة

قوله عز وجل \* (وألق ما في يمينك) \* يعني إطرح ما في يمينك من العصا \* (تلقف ما صنعوا) \* يعني تلقم ما عملوا \* (إنما صنعوا كيد ساحر) \* يعني عمل سحر قرأ عاصم في رواية حفص \* (تلقف) \* بالجزم والتخفيف وقرأ ابن كثير في الروايتين \* (تلقف) \* بالنصب والتشديد وضم الفاء وقرأ الباقون بجزم الفاء وتشديد القاف لأنه جواب الأمر وقرأ حمزة والكسائي " كيد سحر " بغير ألف وقرأ الباقون \* (كيد ساحر) \* وقال أبو عبيد بهذا نقراً لأن إضافة الكيد إلى الرجل أولى من إضافته إلى السحر وقرأ بعضهم " كيد سحر " بنصب الدال جعله نصبا لوقوع الفعل عليه وهو قوله تعالى \* (صنعوا) \* وهذا كما يقول إنما ضربت زيدا وقراءة العامة بالضم لأنه خبر إن وما اسم ومعناه إن الذي صنعوا كيد سحر \* (ولا يفلح الساحر حيث أتى) \* أي حيثما عمل ويقال لا يفوز حيثما كان وذهب

قوله عز وجل \* (فألقي السحرة سجدا) \* يعني من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا وهذا قول الأخفش وقال الفراء والقتيبي وقعوا للسجود \* (قالوا آمنا برب هارون وموسى) \* يعني صدقنا به " قال " لهم فرعون \* (آمنتم له قبل أن آذن لكم) \* يعني قبل أن أمركم \* (إنه لكبيركم) \* يعني موسى لعالمكم \* (الذي علمكم السحر) \* وإنما أراد به التلبس على قومه لأنه علم أنهم لم يتعلموا من موسى وإنما علموا السحر قبل قدوم موسى وقبل ولادته

ثم قال \* (فلا تقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف) \* اليد اليمنى والرجل اليسرى \* (ولأصلبكم في جذوع النخل) \* يعني على أصول النخل على شاطئ النيل \* (ولتعلمن أننا أشد عذابا وأبقى) \* يعني وأدوم أنا أم رب موسى

سورة طه ٧٢ - ٧٣

قوله \* (قالوا لن نؤثرك) \* أي لن نختار عبادتك وطاعتك ولن نتبع دينك \* (على ما جاءنا من البيئات) \* يعني على دين الله بعدما جاءنا من العلامات \* (والذي فطرنا) \* يعني ولا عبادتك على عبادة الذي خلقنا ويقال هو على معنى القسم أي لن نختارك ودينك والذي فطرنا \* (فاقض ما أنت قاض) \* يقول إصنع ما أنت صانع فاحكم فينا من القطع والصلب ما شئت \* (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) \* يقول لست بحاكم علينا ولا تملكنا إلا في الدنيا ما دام الروح فينا

قوله تعالى \* (إنا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا) \* يعني ما عملنا في حال الشرك \* (وما أكرهتنا عليه من السحر) \* يعني ليغفر لنا ما أجبرتنا عليه من السحر ويروى أن فرعون أكرههم على تعلم السحر \* (والله خير وأبقى) \* يعني الله خير لنا منك وأدوم وثواب الله عز وجل خير من عطائك وأبقى مما وعدتنا به من التعذيب

سورة طه ٧٤ - ٧٩

قوله تعالى \* (إنه من يأت ربه مجرماً) \* أي مشركاً وإن للتأكيد والهاء للعماد وهذا قول الله تعالى عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم إنه من يأت ربه يوم القيامة كافراً \* (فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) \* يعني لا يموت فيستريح من العذاب ولا يحيى حياة تنفعه

قوله عز وجل \* (ومن يأتته مؤمناً) \* يعني يأتي يوم القيامة مؤمناً يعني مصداقاً \* (قد عمل الصالحات) \* يعني الطاعات \* (فأولئك لهم الدرجات العلى) \* يعني الفضائل في الجنة

ثم قال عز وجل \* (جنات عدن) \* يعني هي جنات عدن \* (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) \* يعني دائمين في الجنة \* (وذلك جزاء من تزكى) \* يعني ثواب من وحد

قوله تعالى \* (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي) \* يعني سر بعبادي ليلاً \* (فاضرب لهم طريقاً) \* يعني بين لهم طريقاً \* (في البحر يبسا) \* يعني يابساً \* (لا تخاف دركا) \* يعني إدراك فرعون \* (ولا تخشى) \* الغرق قرأ حمزة " لا تخف دركا " على معنى النهي يعني لا تخف أن يدركك فرعون وقرأ الباقون \* (لا تخاف) \* بالألف ومعناه لست تخاف وقال أبو عبيد بهذا نقرأ لأن من قرأ بالجزم يلزم أن يخشى لأنه حرف معطوف على الذي قبله

ثم قال \* (فأتبعهم فرعون بجنوده) \* يعني لحقهم فرعون بجموعه \* (فغشيهم من اليم  
ما غشيهم) \* يعني أصابهم من البحر ما أصابهم ويقال علاهم من البحر ما علاهم حين  
التقى البحر عليهم ويقال فغشيهم من البحر ما غرقهم \* (وأضل فرعون قومه وما هدى)  
\* يعني أهلكهم وما نجا بنفسه ويقال أضلهم بحمله إياهم على الضلالة \* (وما هدى)  
يعني ما هداهم إلى الرشاد وهذا رد لقوله \* (اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) \* [غافر:  
٣٨] ويقال \* (وما هدى) \* يعني ما هداه إلى الصواب

سورة طه ٨٠ - ٨٢

ثم ذكر نعمته على بني إسرائيل فقال عز وجل \* (يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من  
عدوكم) \* يعني فرعون \* (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) \* يعني يمين موسى \*  
(ونزلنا عليكم المن والسلوى) \* حيث كانوا في التيه  
\* (كلوا من طيبات ما رزقناكم) \* يعني قال لهم كلوا من حلالات ما رزقناكم يعني  
أعطيناكم قرأ حمزة والكسائي " أنجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم " الثلاثة كلها بالتاء  
وقرأ ابن كثير وعاصم ونافع وابن عامر الثلاثة بالألف والنون وقرأ أبو عمرو بالتاء إلا  
قوله \* (وواعدناكم) \* ثم قال \* (ولا تطغوا فيه) \* أي لا ترفعوا منه شيئاً للغد \* (فيحل  
عليكم غضبي) \* يعني فيجب وينزل عليكم عذابي \* (ومن يحلل عليه غضبي) \* يعني  
ومن يجب وينزل عليه غضبي \* (فقد هوى) \* يعني هلك وتردى في النار قرأ الكسائي  
\* (فيحل) \* بضم الحاء من يحلل بضم اللام والباقون كلاهما بالكسر فمن قرأ بالضم  
يعني ينزل ومن قرأ بالكسر يعني يجب

ثم قال عز وجل \* (وإني لغفار لمن تاب وآمن) \* يعني رجع من الشرك والذنوب \*  
(وآمن) \* يعني صدق بالله ورسله \* (وعمل صالحاً) \* يعني خالصاً فيما بينه وبين ربه  
\* (ثم اهتدى) \* يعني علم أن لعمله ثواباً وهذا قول مقاتل وروى جوير عن الضحاك \*  
(ثم اهتدى) \* أي ثم استقام وروى وكيع عن سفيان قال \* (ثم اهتدى) \* أي مات  
على ذلك وقال ابن عباس \* (ثم اهتدى) \* أي مات على السنة

سورة طه ٨٣ - ٨٦

قوله عز وجل \* (وما أعجلك عن قومك يا موسى) \* وذلك أن موسى لما انتهى إلى الجبل وخلف السبعين رجلا الذين اختارهم عجل موسى عليه السلام شوقا إلى كلام ربه وأمرهم بأن يتبعوه إلى الجبل فقال الله تعالى لموسى عليه السلام \* (وما أعجلك عن قومك يا موسى) \* يعني ما أسبقك عن قومك وتركت أصحابك خلفك \* (قال هم أولاء على أثري) \* ويحتمل أن يكون \* (أولاء) \* صلة يعني هم على أثري أي يجيئون من بعدي \* (وعجلت إليك رب لترضى) \* يعني لكي يزداد رضاك عني قوله عز وجل \* (قال فإننا قد فتننا قومك من بعدك) \* وهذا على وجه الاختصار لأنه لم يذكر ما جرى من القصة لأنه ذكر في موضع آخر فيها هنا إختصر الكلام وقال \* (فإننا قد فتننا قومك) \* يعني إبتلينا قومك من بعد إنطلاقك إلى الجبل \* (وأضلهم السامري) \* يعني أمرهم السامري بعبادة العجل \* (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) \* أي حزينا وقال القتيبي \* (أسفا) \* أي شديد الغضب فلما دخل المحلة رأهم حول العجل فأبصر ما يصنعون حوله \* (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) \* يعني وعدا صدقا ومعناه وعد الله عز وجل بأن يدفع الكتاب إلى موسى عليه السلام ليقرأ عليهم ويهدتوا به \* (أفطال عليكم العهد) \* يعني طالت عليكم المدة \* (أم أردتم أن يحل عليكم) \* يعني يجب \* (غضب) \* يعني سنخط \* (من ربكم فأخلفتم موعدي) \* يعني بترك عبادة الله عز وجل

سورة طه ٨٧ - ٨٩

\* (قالوا ما أخلفنا موعداك بملكنا) \* يعني ما تعمدنا ذلك قرأ حمزة والكسائي \* (بملكنا) \* بضم الميم يعني ما فعلناه بسلطان كان لنا ولا قدرة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر \* (بملكنا) \* بكسر الميم والملك ما حوته اليد وقرأ نافع وعاصم \* (بملكنا) \* بنصب الميم وهو بمعنى الملك \* (ولكننا حملنا أوزارا) \* يعني آثاما \* (من زينة القوم) \* يعني من حلي آل فرعون ويقال \* (أوزارا) \* يعني أحمالا \* (فقدناها) \* يعني فطرحناها في النار قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر \* (حملنا) \* بالنصب والتخفيف وقرأ الباقون \* (حملنا) \* بضم الحاء وتشديد الميم على فعل ما لم يسم فاعله \* (فكذلك ألقى السامري) \* يعني ألقاها في النار كما ألقينا

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان السامري من أهل قرية يعبدون البقرة فدخل في بني إسرائيل فأظهر الإسلام معهم وفي قلبه حب عبادة البقر فابتلى الله عز وجل به بني إسرائيل فكشف له عن بصره فرأى أثر فرس جبريل عليه السلام فأخذ من أثرها وقد كان هارون قال لبني إسرائيل إنكم قد تحملتم من حلي آل فرعون وأمتعتهم معكم وهي نجسة فتطهروا منها وأوقدوا لهم نارا ثم قل لهم أحرقوها فيها فجعلوا يأتون بالحلي والأمتعة فيقذفونها في النار فانسبك الحلي وأقبل السامري وفي يده تلك القبضة من أثر فرس الرسول يعني جبريل عليه السلام فوقف فقال يا نبي الله ألقها فيه فقال نعم وهارون لا يظن إلا أنه من الحلي الذي يأتي به بنو إسرائيل فقذفها فيه وقال كن عجلا جسدا له خوار وقال السدي جاء جبريل ليذهب بموسى إلى ربه عز وجل وجبريل عليه السلام على فرس فبصر به السامري ويقال إن ذلك الفرس فرس الحياة فأخذ قبضة من أثر حافر الفرس فلما ألقى التراب في الحلي تفرخ عجلا جسدا له خوار فذلك قوله \*

(فقالوا هذا إلهكم وإله موسى) وقال بعضهم كان السامري من بين إسرائيل وقد ولدته أمه في غار مخافة أن يذبح فرباه جبريل عليه السلام في الغار حتى كبر فلما رأى جبريل على فرس الحياة عرفه لأنه قد كان رباه في صغره فأخذ قبضة من تراب من أثر حافر فرسه ثم ألقاها في جوف العجل فصار عجلا له خوار يعني صوت وقال مجاهد خوار العجل كان هفيف الريح إذا دخلت جوفه وهكذا روي عن علي بن أبي طالب وإحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال صار عجلا له لحم ودم وخرج منه الصوت مرة واحدة فقال \* (هذا إلهكم) \* يعني قال السامري وإله موسى \* (فنسي) \* يعني أخطأ موسى الطريق وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله \* (فنسي) \* يعني قال نسي موسى أن يخبركم بأن هذا إله وقال قتادة هذا إلهكم وإله موسى ولكن موسى نسي ربه عندكم قال الله تعالى \* (أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا) \* يعني لم يكن لهم عقل يعلموا أنه لم يكن إلههم حيث لا يكلمهم ولا يجيبهم \* (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) \* يعني لا يقدر على دفع مضرة ولا جر منفعة

سورة طه ٩٠ - ٩٤

قوله تعالى \* (ولقد قال لهم هارون من قبل) \* يعني من قبل مجيء موسى إليهم " يا

قوم إنما فنتتم به) يعني إنما إبتليتكم بعبادة العجل \* (وإن ربكم الرحمن) \* يعني إلهكم الرحمن \* (فاتبعوني) \* يعني اتبعوا ديني \* (وأطيعوا أمري) \* يعني قلبي قوله تعالى \* (قالوا لن نبرح عليه) \* يعني لا نزال على عبادة العجل \* (عاكفين) \* يعني مقيمين \* (حتى يرجع إلينا موسى) \* فلما جاءهم موسى \* (قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا) \* يعني أخطؤوا الطريق بعبادة العجل " ألا تتبعني " يعني أن لا تتبع أمري في وصيتي فتناجزهم الحرب \* (أف عصيت أمري) \* يعني أفتركت وصيتي " قال " له موسى ذلك بعدما أخذ بشعر رأسه ولحيته فقال هارون عليه السلام \* (يا ابن أم) \* قرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر \* (يا ابن أم) \* بكسر الميم على معنى الإضافة وقرأ الباقون بالنصب بمنزلة اسم واحد \* (لا تأخذ بلحيتي ولا) \* بشعر \* (برأسي) \* \* (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل) \* يعني جعلتهم فرقتين وألقيت بينهم الحرب \* (ولم ترقب قلبي) \* يعني لم تنتظر قدومي  
سورة طه ٩٥ - ٩٧

ثم أقبل على السامري فقال له \* (قال فما خطبك يا سامري) \* يقول ما شأنك وما الذي حملك على ما صنعت " قال " السامري \* (بصرت بما لم يبصروا به) \* قرأ حمزة والكسائي بالتاء على معنى المخاطبة وقرأ الباقون بالياء على معنى المغايبه \* (بصرت بما لم يبصروا به) \* يعني رأيت ما لم يروا وعلمت ما لم يعلموا به يعني بني إسرائيل قال موسى ما الذي رأيت دون بني إسرائيل فقال رأيت جبريل عليه السلام على فرس الحياة وهو قوله \* (فقبضت قبضة من أثر الرسول) \* يعني من أثر فرس جبريل وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه " فقبضت قبضة " بالصاد وروي عن الحسن أنه قرأ \* (فقبضت قبضة) \* بالصاد وهو الأخذ بأطراف الأصابع وقراءة الجماعة \* (فقبضت قبضة) \* بالضاد وهو القبض بالكف \* (فنبذتها) \* يعني فطرحتها في العجل ثم قال \* (وكذلك سولت لي نفسي) \* أي زينت فلا تلمني بهذا الفعل ولمهم بعبادتهم إياه

" قال " له موسى عليه السلام \* (فاذهب فإن لك في الحياة) \* يعني عقوبتك في الدنيا \* (أن تقول لا مساس) \* يعني لا أمس أحدا ولا يمسنني أحد ويقال إبتلي بالوسواس وأصل الوسواس من ذلك الوقت ويقال معناه لن تخالط أحدا ولن يخالطك أحد فنفاه عن قومه



\* (وإن لك موعداً) \* في الآخرة \* (لن تخلفه) \* قرأ ابن كثير وأبو عمرو \* (لن تخلفه) \* بكسر اللام يعني لن تغيب عنه ومعناه تبعث يوم القيامة لا تقدر على غير ذلك ولا تخلفه وقرأ الباقون \* (تخلفه) \* بنصب اللام يعني لن تؤخر ولن تجاوز عنه ويقال معناه يكافئك الله تعالى على ما فعلت والله لا يخلف الميعاد  
ثم قال \* (وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا) \* يعني عابدا \* (لنحرقنه) \* روى معمر عن قتادة قال في حرف ابن مسعود " وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنذبحنه ثم لنحرقنه " وقرأ الحسن \* (لنحرقنه) \* بالتخفيف وقراءة العامة بالتشديد ونصب الحاء ومعناه أنه يحرق مرة بعد مرة وقرأ أبو جعفر المدني \* (لنحرقنه) \* بنصب النون وضم الراء ومعناه لنبردنه بالمبارد ويقال حرقه وأحرقه \* (ثم لنسفته في اليم نسفا) \* يعني لنذرينه في البحر ذروا والنسف التذرية  
سورة طه ٩٨ - ١٠٤

ثم قال موسى عليه السلام \* (إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو) \* يعني أن العجل ليس بإلهكم وإنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو " وسع كل شيء علما " يعني أحاط علمه بكل شيء وهو عالم بما كان وما يكون  
قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم \* (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) \* يعني هكذا نقص عليك من أخبار ما مضى \* (وقد آتيناك) \* يعني أعطيناك \* (من لدنا ذكراً) \* يعني أكرمناك من عندنا بالقرآن  
قوله عز وجل \* (من أعرض عنه) \* يعني من كفر بالقرآن \* (فإنه يحمل يوم القيامة وزراً) \* يعني حملاً من الذنوب \* (خالدين فيه) \* يعني دائمين في عقوبة الوزر \* (وساء لهم يوم القيامة حملاً) \* يعني بئس الحمل الوزر وبئس ما يحملون من الذنوب  
قوله عز وجل \* (يوم ينفخ في الصور) \* يعني في يوم ينفخ في الصور وهو يوم القيامة قرأ أبو عمرو " ويوم ننفخ في الصور " بالنون واحتج بقوله \* (ونحشر المجرمين) \* وقرأ الباقون بالياء قال أبو عبيدة وبهذا نقرأ لأن النافخ ملك قد إتقم الصور وأما الحشر فالله عز وجل يحشرهم قال أبو عبيدة معناه ينفخ الأرواح في الصور وخالفه غيره ثم قال

و \* (نحشر المجرمين) \* أي المشركين \* (يومئذ زرقا) \* يعني عطاشا ويقال عميا ويقال زرق الأعين وروي عن سعيد بن جبير أن رجلا قال لابن عباس إن الله يقول في موضع \* (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) \* \* (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما) \* [الإسراء: ٩٧] فقال ابن عباس إن يوم القيامة له حالات في حال زرقا وفي حال عميا وقال القتيبي \* (زرقا) \* أي تبيض عيونهم من العمى أي ذهب السواد والناظر وقال الزجاج يقال عطاشا لأن من شدة العطش يتغير سواد الأعين حتى تزرق

ثم قال \* (يتخافتون بينهم) \* يعني يتسارون فيما بينهم \* (إن لبثتم) \* يعني ما مكثتم بعد الموت في القبور \* (إلا عشرا) \* يعني عشرة أيام ويقال عشر ساعات يقول الله عز وجل \* (نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة) \* يعني أوفاهم عقلا ويقال أعدلهم رأيا عند أنفسهم \* (إن لبثتم) \* يعني ما مكثتم في القبور \* (إلا يوما) \*

سورة طه ١٠٥ - ١٠٨

قوله عز وجل \* (ويسألونك عن الجبال) \* وذلك أن بني ثقيف من أهل مكة قالوا يا رسول الله كيف تكون الجبال يوم القيامة فنزل \* (يسألونك) \* يعني عن أمر الجبال \* (فقل ينسفها ربي نسفا) \* يعني يقلعها ربي قلعا من أمكنتها والنسف التذرية أي تصيير الجبال كالهباء المنثور \* (فيذرهما قاعا صفصفا) \* قال القتيبي القاع واحدة القيعه وهي الأرض التي يعلوها السراب كالماء والصفصف المستوي وقال السدي القاع الأملس والصفصف المستوي \* (لا ترى فيها عوجا ولا أمثا) \* يعني لا ترى فيها صعودا ولا هبوطا ويقال لا ترى فيها أودية و \* (لا أمثا) \* يعني ولا شخوصا والأمث في كلام العرب ما نشز من الأرض

ثم قال عز وجل \* (يومئذ يتبعون الداعي) \* يعني يقصدون نحو الداعي \* (لا عوج له) \* يعني لا عوج لهم عنه ومعناه لا يميلون يمينا ولا شمالا \* (وخشعت الأصوات) \* يعني ذلت وسكنت وخفضت الكلمات \* (للرحمن) \* يعني لهيبة الرحمن \* (فلا تسمع إلا همسا) \* يعني كلاما خفيا ويقال صوت الأقدام كهمس الإبل

سورة طه ١٠٩ - ١١٢

قوله عز وجل \* (يومئذ لا تنفع الشفاعة) \* يعني عنده \* (إلا من أذن له الرحمن) \* في الشفاعة \* (ورضي له قولاً) \* يعني إذا قال بإخلاص القلب لا إله إلا الله في الدنيا \* (يعلم ما بين أيديهم) \* من أمر الآخرة \* (وما خلفهم) \* من أمر الدنيا \* (ولا يحيطون به علماً) \* يعني لا يدركون علم الله تعالى \* (وعنت الوجوه) \* قال قتادة رحمه الله ذلت الوجوه \* (للحي القيوم) \* وقال القتيبي رحمه الله أصله من عنته أي حبسته ومنه قيل للأسير عان وقال الزجاج رحمه الله عنت أي خضعت يقال عنا يعنوا أي خضع \* (وقد خاب) \* يعني خسر \* (من حمل ظلماً) \* يعني شركاً ثم قال \* (ومن يعمل من الصالحات) \* يعني من يعمل من الطاعات \* (ومن) \* للصلة والزينة \* (وهو مؤمن) \* يعمل وهو مؤمن مع عمله لأن العمل لا يقبل بغير إيمان \* (فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) \* قال قتادة \* (ظلماً) \* أي لا يزداد في سيئاته ولا ينقص من حسناته أي لا يهضم قال السدي رحمه الله الظلم أن يؤخذ لما لم يعمل والهضم النقصان من حقه قال القتيبي ومنه قيل هضم الكشجين أي ضامر الجنين وهضمني الطعام أي أمراني ويهضمني حقي قرأ ابن كثير " فلا يخف ظلماً " على معنى النهي وقرأ الباقون \* (فلا يخاف) \* على معنى الخبر

سورة طه ١١٣ - ١١٤

ثم قال عز وجل " وكذلك أنزلنا قرآنا عربياً " يعني هكذا أنزلنا عليك جبريل ليقرأ عليك القرآن على لغة العرب \* (وصرفنا فيه من الوعيد) \* يعني بينا في القرآن من أخبار الأمم الماضية وما أصابهم بذنوبهم \* (لعلهم يتقون) \* يعني لكي يتقوا الشرك \* (أو يحدث لهم ذكراً) \* يعني يحدث الوعيد بهذا القرآن أو هذا القرآن لهم اعتباراً فيذكر به عذاب الله للأمم فيعتبروا وهذا قول مقاتل ويقال \* (أو يحدث لهم ذكراً) \* أي يحدد الوعيد بذكر القرآن العذاب فيزجرهم عن المعاصي ويقال \* (أو يحدث لهم ذكراً) \* أي شرفاً والذكر الشرف

ثم قال عز وجل \* (فتعالى الله الملك الحق) \* يعني إرتفع وتعظم عن الشريك والولد \* (الملك الحق) \* أهل الربوبية ويقال \* (فتعالى الله الملك الحق) \* يعني إرتفع وتعظم من أن يزيد في سيئات أحد وينقص من حسناته \* (الملك الحق) \* الذي يعدل بين الخلق

ثم قال \* (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) \* وذلك أن جبريل عليه السلام كان إذا قرأ القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعجل النبي صلى الله عليه وسلم بقراءته قبل أن يتم جبريل عليه السلام تلاوته مخافة أن لا يحفظ فنزل \* (ولا تعجل بالقرآن من قبل) \* أن يفرغ جبريل عليه السلام قراءته فيكون في الآية تعليم حفظ الأدب وهو الاستماع إلى من يتعلم منه وهذا



مثل قوله \* (لا تحرك به لسانك لتعجل به) \* [القيامة: ١٦] روى جرير بن حازم عن الحسن أن رجلا لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص فجعل النبي صلى الله عليه وسلم بينهما القصاص قبل أن ينزل القرآن فنزل \* (ولا تعجل بالقرآن) \* الآية أي لا تعجل بالقصاص قبل أن ينزل عليك القرآن فنزل قوله عز وجل \* (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله) \* [النساء: ٣٤] وكان الحسن يقرأ \* (من قبل أن يقضى إليك وحيه) \* بالنصب يعني من قبل أن ينزل إليك الوحي وقراءة العامة \* (يقضى إليك وحيه) \* بالرفع على فعل ما لم يسم فاعله ومعنى القرائتين واحد ثم قال \* (وقل رب زدني علما) \*

سورة طه ١١٥ - ١٢٣

قوله عز وجل \* (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل) \* يعني أمرنا آدم عليه السلام بترك أكل الشجرة من قبل يعني من قبل محمد صلى الله عليه وسلم \* (فنسي) \* يعني فترك أمرنا \* (ولم نجد له عزيمة) \* قال حفصا لما أمر به روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال \* (عهدنا إلى آدم من قبل فنسي) \* أي فترك أمرنا \* (ولم نجد له عزيمة) \* أي حزمنا وقال قتادة صبيرا وقال السدي مثله وقال عطية \* (ولم نجد له عزيمة) \* أي حفصا بما أمر به وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال عهد إلى آدم فنسي فسمي الإنسان وقال القتبي النسيان ضد الحفظ كقوله تعالى \* (فإني نسيت الحوت) \* [الكهف: ٦٣] والنسيان الترك كقوله \* (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي) \* وكقوله \* (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) \* [السجدة: ٣٢] وكقوله \* (ولا تنسوا الفضل بينكم) \* ثم قال عز وجل \* (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) \* أي تعظم

عن السجود \* (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك) \* يعني إبليس عدو لك ولزوجك حواء فاحذروا منه \* (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) \* يعني فتتعبد وتتعنى بعمل كفيك ولا تأكل إلا كذا بعد النعمة وقال سعيد بن جبير لما هبط آدم من الجنة وكلف العمل فكان يمسح العرق عن جبينه فذلك قوله \* (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) \* وهو العرق الذي مسحه من الجبين

ثم قال عز وجل " إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى " يعني أن حالك ما دمت في الجنة لا تجوع فيها ولا تعرى من الثياب \* (وأنت لا تظمأ فيها) \* يعني لا تعطش في الجنة \* (ولا تضحى) \* يعني لا يصيبك الضحى وهو حر الشمس قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر \* (وانك) \* بالكسر على معنى الابتداء وقرأ الباقون \* (وانك) \* بالنصب على معنى البناء

قوله عز وجل \* (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) \* من أكل منها خلد ولم يمت \* (وملك لا يبلى) \* يعني هل أدلك على ملك لا يفنى فهو أكل الشجرة \* (فأكلا منها) \* يعني من الشجرة وقد ذكرنا تفسير الشجرة في سورة البقرة \* (فبدت لهما سواتهما) \* أي ظهرت لهما عوراتهما \* (وظفقا) \* يعني عمدا \* (يخصفان) \* يعني يلزقان \* (عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه) \* يعني ترك أمر ربه بأكله من الشجرة \* (فغوى) \* أخطأ ولم يصب بأكله ما أراد وما وعد له من الخلود

\* (ثم اجتباه ربه) \* يعني اصطفاه ربه واختاره بالنبوة \* (فتاب عليه) \* يعني تجاوز عنه وقبل توبته \* (وهدى) \* يعني هداه الله تعالى للتوبة بكلمات تلقاها أي آدم عليه السلام قوله عز وجل \* (قال اهبطا منها جميعا) \* يعني من الجنة آدم وحواء وإبليس والحية \* (فإما يأتينكم مني هدى) \* يعني يا ذرية آدم سيأتينكم مني الكتاب والرسل خاطبه به وعن ذريته \* (فمن اتبع هداي) \* يعني أطاع كتابي ورسلي \* (فلا يضل) \* باتباعه إياهما في الدنيا \* (ولا يشقى) \* في الآخرة وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله عز وجل من الضلالة ووقاه الله عز وجل يوم القيامة سوء الحساب فذلك قوله تعالى \* (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) \*

سورة طه ١٢٤ - ١٢٩

ثم قال عز وجل \* (ومن أعرض عن ذكرى) \* يعني عن القرآن والرسول ولم يؤمن وقال مقاتل من أعرض عن الإيمان \* (فإن له معيشة ضنكا) \* يعني معيشة ضيقة روي عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري أنهما قالوا \* (معيشة ضنكا) \* يقول عذاب القبر وروي أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله \* (معيشة ضنكا) \* قال عذاب القبر \* (ونحشره يوم القيامة أعمى) \* أي أعمى عن الحجّة وقال ابن عباس وذلك حين يخرج من القبر خرج بصيرا فإذا سيق إلى المحشر عمي قال عكرمة رحمه الله في قوله \* (ونحشره يوم القيامة أعمى) \* قال عمي عليه عن كل شيء إلا جهنم وقال الضحّاك في قوله \* (معيشة ضنكا) \* قال كسب الخبيث وقال السدي \* (معيشة ضنكا) \* قال معيشة القبر حين يأتيه الملكان وقال قتادة الضنك الضيق يقول ضنكا في النار

قوله عز وجل \* (قال رب لم حشرتني أعمى) \* قال مجاهد \* (لم حشرتني أعمى) \* لا حجة لي \* (وقد كنت بصيرا) \* بالحجة في الدنيا ويقال \* (لم حشرتني أعمى) \* أي أعمى العينين \* (وقد كنت بصيرا) \* في الدنيا \* (قال كذلك أتتك آياتنا) \* يعني الرسول والقرآن \* (فنسيتها) \* وتركت العمل بها ولم تؤمن بها \* (وكذلك اليوم تنسى) \* أي تترك في النار ويقال \* (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها) \* أي تعلمت القرآن فنسيته وتركته وقال السدي \* (وكذلك اليوم تنسى) \* أي تترك في النار وتترك عن الخير

ثم قال عز وجل \* (وكذلك نجزي من أسرف) \* يعني هكذا نعاقب من أشرك بالله \* (ولم يؤمن بآيات ربه) \* يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن \* (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) \* يعني وأدوم

قوله عز وجل \* (أفلم يهد لهم) \* يعني أفلم يتبين لقومك \* (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) \* يعني يمرون على منازلهم \* (إن في ذلك) \* يعني في هلاكهم \* (آيات) \* يعني لعبرات \* (لأولي النهى) \* يعني لذوي العقول من الناس \* (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) \* وهذا مقدم ومؤخر يقول \* (ولولا كلمة سبقت) \* بتأخير العذاب عن هذه الأمة \* (إلى أجل مسمى) \* أي إلى يوم القيامة أي \* (لكان لزاما) \* أي لأخذتهم بالعذاب كما أخذت من كان قبلهم من الأمم عند التكذيب ولكن نؤخرهم إلى يوم القيامة " وهو أجل مسمى " وقال القتيبي معناه ولولا أن الله عز وجل جعل الجزاء يوم القيامة وسبقت بذلك كلماته لكان العذاب ملازما لا يفارقهم وقال في الآية تقديم أي ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان العذاب لازما





ثم قال عز وجل \* (فاصبر على ما يقولون) \* يعني على ما يقول أهل مكة من تكذيبهم إياك \* (وسبح بحمد ربك) \* يعني صل لربك وبحمد ربك وبأمر ربك \* (قبل طلوع الشمس) \* يعني صلاة الفجر \* (وقبل غروبها) \* يعني صلاة العصر ويقال صلاة الظهر والعصر وروى جرير عن عبد الله البجلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته يعني لا تزدهمون مأخوذ من الضم أي لا ينضم بعضكم إلى بعض في رؤيته بظهوره كما في رؤية الهلال ويروى " لا تضامون " بالتخفيف وهو الضم أي الظلم أي لا يظلم بعضكم في رؤيته بأن يراه البعض دون البعض فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ هذه الآية " فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها " على معنى التأكيد للتكرار

ثم قال \* (ومن آناء الليل) \* يعني ساعات الليل \* (فسبح) \* يعني صلاة المغرب والعشاء \* (وأطراف النهار) \* يعني غدوة وعشية على معنى التأكيد للتكرار \* (لعلك ترضى) \* يعني لعلك تعطى من الشفاعة حتى ترضى قرأ الكسائي وعاصم في رواية أبي بكر \* (ترضى) \* بضم التاء على فعل ما لم يسم فاعله وقرأ الباقون بالنصب يعني ترضى أنت وقال أبو عبيدة والقراءة الأولى نقرأ يعني بالضم لأن فيها معنيين أحدهما ترضى أي تعطى الرضا والأخرى ترضى أي يرضاك الله وتصديقه قوله تعالى \* (وكان عند ربه مرضيا) \* [مريم: ٥٥] وليس في الأخرى وهي القراءة بالنصب إلا وجه واحد ثم قال عز وجل \* (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به) \* يعني لا تنظر بالرغبة إلى ما أعطينا رجلا منهم من الأموال والأولاد \* (زهرة الحياة الدنيا) \* يعني فإنه زينة الدنيا \* (لنفتنهم فيه) \* يعني لنبتليهم بالمال وقلة الشكر \* (ورزق ربك خير وأبقى) \* يعني جنة ربك \* (خير) \* من هذه الزينة التي في الدنيا \* (وأبقى) \* أي وأدوم

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا وكيع عن موسى بن عبيدة عن يزيد بن عبد الله عن أبي رافع قال نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني إلى يهودي أن يبيعنا أو يسلفنا إلى أجل فقال اليهودي لا والله إلا برهن فرجعت إليه فأخبرته فقال لو باعني أو أسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء وأمين في الأرض إذهب بدرعي الحديدي فذهبت بها فنزل من بعد هذه

الآية يعزيه عن الدنيا \* (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) \* إلى آخر الآية  
سورة طه ١٣٢ - ١٣٥

وقال عز وجل \* (وأمر أهلك بالصلاة) \* يعني قومك وأهلك وأهل بيتك بالصلاة \*  
(واصطر عليها) \* يعني إصبر على ما أصابك فيها من الشدة روى عبد الرزاق عن معمر  
عن رجل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل عليه نقص في الرزق أي الضيق  
في الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ \* (وأمر أهلك بالصلاة واصطر عليها) \* \* (لا  
نسألك رزقا) \* يعني لخلقنا ولا أن ترزق نفسك إنما نسألك العبادة \* (نحن نرزقك) \*  
في الدنيا ما دمت حيا فيها \* (والعاقبة للمتقوى) \* يعني الجنة للمتقين  
\* (وقالوا) \* يعني الكفار \* (لولا يأتينا بآية من ربه) \* يعني هلا يأتينا محمد صلى الله  
عليه وسلم بعلامة لنبوته قال الله تعالى \* (أو لم تأتهم بينة) \* يعني بيان \* (ما في  
الصحف الأولى) \* يعني ما في التوراة والإنجيل حتى يجدوا نعته فيه وهذا كقوله عز  
وجل " فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك " [يونس: ٩٤]  
ثم قال عز وجل \* (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) \* يقول لو أن أهل مكة أهلكناهم  
قبل محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن \* (لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع  
آياتك من قبل أن نذل ونخزى) \* يعني من قبل أن نعذب  
ثم قال عز وجل \* (قل كل متربص) \* يعني منتظر لهلاك صاحبه أنا وأنتم وقال مقاتل  
كان كفار مكة قد قالوا نتربص بمحمد صلى الله عليه وسلم \* (ريب المنون) \*  
[الطور: ٣٠] يعنون الموت ووعدهم النبي صلى الله عليه وسلم العذاب فأنزل الله تعالى  
\* (قل كل متربص) \* يعني أنتم متربصون بمحمد صلى الله عليه وسلم الموت ومحمد  
صلى الله عليه وسلم متربص بكم العذاب فأنزل الله تعالى \* (قل كل متربص) \* \*  
(فتربصوا) \* يقول انتظروا \* (فستعلمون) \* إذا نزل بكم العذاب \* (من أصحاب  
الصراط السوي) \* يعني العدل \* (ومن اهتدى) \* منا ومنكم قرأ نافع وأبو عمرو  
وعاصم " أولم تأتهم " بالتاء لأن لفظ البينة مؤنث والباقون " أولم تأتهم " بالياء لأن  
معناه البيان والله سبحانه وتعالى أعلم وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سورة الأنبياء كلها مكية وهي مائة واثنى عشرة آية

سورة الأنبياء ١ - ٣

قول الله سبحانه وتعالى \* (اقترب للناس حسابهم) \* يعني قربت القيامة كقوله \*  
(اقتربت الساعة) \* [القمر: ١] ويقال معناه اقترب وقت حسابهم ويقال دنا للناس ما  
وعدوا في هذا القرآن \* (وهم في غفلة) \* يعني في جهل وعمى من أمر آخرتهم \*  
(معرضون) \* يعني جاحدين مكذبين وهم كفار مكة ومن كان مثل حالهم  
ثم نعتهم فقال " ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث " يعني ما يأتيهم جبريل بالقرآن  
محدث والمحدث إتيان جبريل عليه السلام بالقرآن مرة بعد مرة ويقال قراءة النبي صلى  
الله عليه وسلم القرآن مرة بعد مرة \* (إلا استمعوه وهم يلعبون) \* يعني يستمعون  
لاعبين ويقال \* (وهم يلعبون) \* يعني يهزؤون ويسخرون  
قوله عز وجل \* (لا هية قلوبهم) \* يعني ساهية قلوبهم عن أمر الآخرة \* (وأسروا  
النجوى) \* يعني أخفوا تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويتناجون فيما  
بينهم ثم بين أمرهم فقال \* (الذين ظلموا) \* معناه \* (وأسروا النجوى) \* يعني الذين  
ظلموا

ثم بين ما يسرون فقال \* (هل هذا) \* يعني يقولون ما هذا \* (إلا بشر مثلكم) \* أي  
آدمي مثلكم \* (أفتأتون السحر) \* يعني أفتصدقون الكذب \* (وأنتم تبصرون) \*  
وتعلمون أنه سحر

سورة الأنبياء ٤ - ٦

قوله عز وجل \* (قال ربي) \* يعني قل يا محمد \* (ربي يعلم القول) \* يعني السر

فأعلمهم الله تعالى أنه يعلم قولهم وأطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وعلاانيتهم فقال \* (قال ربي يعلم القول في السماء والأرض) \* يعني يعلم سر أهل السماوات وسر أهل الأرض قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص \* (قال ربي يعلم) \* على معنى الخبر وقرأ الباقون \* (قل ربي أعلم) \* على معنى الأمر ثم قال \* (وهو السميع) \* بمقالتهم \* (العليم) \* بهم وبعقوبتهم \* (بل قالوا أضغاث أحلام) \* يعني أباطيل أحلام كاذبة وقال أهل اللغة لا يكون الضغث إلا من أخلاط شتى فلذلك يقال أضغاث أحلام يعني لما فيها من التخاليط وهو كل حلم لا يكون له تأويل ومن هذا قوله \* (وخذ بيدك ضغثا) \* [ص: ٤] يعني أخلاط العيدان عدد مائة ويقال في الآية تقديم ومعناه بل قالوا أضغاث أحلام \* (بل افتراه) \* أي إختلقه من تلقاء نفسه \* (بل هو شاعر) \* يعني ينقضون قولهم بعضهم ببعض مرة يقولون سحر ومرة يقولون أضغاث أحلام \* (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) \* أي يقولون فأتنا بآية أي بعلامة كما في الرسل الأولين فأخبر الله تعالى أنهم لا يؤمنون وإن أتاهم بآية

فقال عز وجل \* (ما آمنت قبلهم) \* يعني قبل كفار مكة \* (من قرية) \* " من " للصلة والزينة يعني لم يصدق قبلهم أهل قرية للرسل إذا جاءتهم بالآيات \* (أهلكتها أفهم يؤمنون) \* يعني أفقومك يصدقون إذا جاءتهم الآيات أي لا يؤمنون  
سورة الأنبياء ٧ - ٩

ثم قال عز وجل \* (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم) \* يعني لم أرسل إليهم الملائكة بالرسالة وكانت الرسل من الآدميين \* (فاسألوا أهل الذكر) \* يعني أهل التوراة والإنجيل \* (إن كنتم لا تعلمون) \* يعني لا تصدقون وذلك أن أهل مكة قالوا لو أراد الله تعالى أن يبعث إلينا رسولا لأرسل ملائكة قرأ عاصم في رواية حفص \* (إلا رجالا نوحى إليهم) \* بالنون وكذلك في قوله \* (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم) \* [الأنبياء: ٢٥] وقرأ حمزة والكسائي الأول بالياء والثاني بالنون والباقون كلاهما بالياء وهو إختيار أبي عبيد رحمه الله

ثم قال عز وجل \* (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام) \* يعني ما خلقنا الرسل جسدا لا يأكلون ولا يشربون ولكن جعلناهم أجسادا فيها أرواح يأكلون ويشربون وقال \* (جسدا) \* ولم يقل أجسادا لأن الواحد ينبئ عن الجماعة ويقال معناه وما جعلناهم ذوي أجساد لا يأكلون الطعام لأنهم قالوا " مال هذا الرسول يأكل الطعام " [الفرقان: ٧] ثم قال \* (وما كانوا خالدين) \* يعني في الدنيا \* (ثم صدقناهم الوعد) \* يعني العذاب للكفار والنجاة

للأنبياء عليهم السلام \* (فأنجيناهم ومن نشاء) \* يعني فأنجينا الأنبياء عليهم السلام  
ومن نشاء من المؤمنين \* (وأهلكنا المسرفين) \* يعني المشركين  
سورة الأنبياء ١٠ - ١٢

قوله عز وجل \* (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم) \* يعني القرآن فيه \* (ذكركم) \*  
يعني في القرآن عزكم وشرفكم يعني شرف العرب والذكر يوضع موضع الشرف لأن  
الشرف يذكر ويقال \* (فيه ذكركم) \* أي فيه تذكرة لكم ما ترجون من رحمته  
وتخافون من عذابه كما قال \* (كلا إنها تذكرة) \* [عبس: ١١] وقال السدي \* (فيه  
ذكركم) \* يعني ما تعنون به من أمر دنياكم وآخرتكم وما بينكم وقال الحسن رحمه  
الله \* (فيه ذكركم) \* يعني أمسك به عليكم دينكم وفيه بيان حلالكم وحرامكم ويقال  
وعدكم ووعيدكم ثم قال \* (أفلا تعقلون) \* أن فيه عزكم وشرفكم فتؤمنون به  
قوله عز وجل \* (وكم قصمنا) \* القصم الكسر يعني كم أهلكنا \* (من قرية) \* يعني  
أهل قرية \* (كانت ظالمة) \* يعني كافرة \* (وأنشأنا بعدها) \* يعني خلقنا بعد هلاكها  
\* (قوما آخرين) \* خيرا منهم فسكنوا ديارهم \* (فلما أحسوا بأسنا) \* يعني رأوا عذابنا  
" إذا هم يركضون " يعني يهربون ويعدون وقال القتيبي أصل الركض تحريك الرجلين  
يقال ركضت الفرس إذا أعديته بتحريك رجليك ومنه قوله \* (اركض برجلك) \* [ص:  
[٤٢

سورة الأنبياء ١٣ - ١٧

ثم قال عز وجل \* (لا تركضوا) \* يعني قالت لهم الملائكة عليهم السلام لا تهربوا  
وقال قتادة هذا على وجه الاستهزاء وقال مقاتل لما انهزموا قالت لهم الملائكة عليهم  
السلام كهيفة الاستهزاء لا تركضوا وقال القتيبي هذا كما قال لبيد  
(هلا سألت جموع كندة  
\* يوم ولوا أين أيننا)

قال ابن عباس إن قرية من قرى اليمن يقال لها حصور أرسل الله عز وجل إليهم نبيا  
فكذبوه ثم قتلوه فسلط الله عز وجل عليهم بختنصر فقتلهم وهزمهم فقالت لهم  
الملائكة عليهم السلام حين انهزموا لا تركضوا يعني لا تهربوا \* (وارجعوا إلى ما أترفتن  
فيه) \* يعني حولتم فيه من أمر دنياكم \* (ومساكنكم) \* يعني ومنازلكم \* (لعلكم  
تسألون) \* عن قتل نبيكم

ويقال عن الإيمان \* (قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين) \* بقتل نبينا عليه السلام ويقال بالشرك بالله عز وجل قوله عز وجل \* (فما زالت تلك دعواهم) \* يعني كلمة الويل قولهم \* (حتى جعلناهم حصيدا خامدين) \* يعني محصودا وقال أهل اللغة فعيل بمعنى مفعول والحصيد بمعنى محصود ويقع على الواحد والاثنين والجماعة وقال السدي الحصيد الذي قد حصد ويقال كداسة الغنم بأظلافها خامدين ميتين لا يتحركون وقال مجاهد رحمه الله \* (خامدين) \* بالسيف

قوله عز وجل \* (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما) \* من الخلق والعجائب \* (لأعبين) \* يعني لغير شيء ولكن خلقناهم لأمر كائن ويقال وما خلقت هذه الأشياء إلا ليعتبروا ويتفكروا فيها ويعلموا أن خالق هذه الأشياء أحق بالعبادة من غيره ويكون لي عليهم الحجة يوم القيامة

قوله عز وجل \* (لو أردنا أن نتخذ لهوا) \* يعني زوجة بلغة حضرموت \* (لاتخذناه من لدنا) \* يعني من عندنا قال ابن عباس اللهو الولد وقال الحسن وقتادة اللهو المرأة وقال القتيبي التفسيران متقاربان لأن المرأة للرجل لهو وولده لهو كما يقال هما ريحانتاه وأصل اللهو الجماع فكني به بالمرأة والولد كما كني عنه باللمس وتأويل الآية أن النصارى لما قالت في المسيح ما قالت قال الله تعالى \* (لو أردنا أن نتخذ لهوا) \* أي صاحبة \* (لاتخذناه من لدنا) \* أي من عندنا لا من عندكم لأن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ثم قال \* (إن كنا فاعلين) \* يعني ما كنا فاعلين ويجوز أن يكون " إن كنا " ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله

سورة الأنبياء ١٨ - ٢٣

ثم قال عز وجل \* (بل نقذف بالحق) \* يعني نرمي بالحق \* (على الباطل) \* ومعناه نبين الحق من الباطل \* (فيدمغه) \* أي يبطله ويضمحل به ويقال يكسره وقال أهل الله أصل هذا إصابة الرأس والدماغ بالضرب وهو مقتل \* (فإذا هو زاهق) \* يعني هالكا ويقال زاهق أي زائل ذاهب قال الفقيه أبو الليث رحمه الله في الآية دليل أن النكتة إذا قابلتها نكتة أخرى على ضدها سقط الاحتجاج بها لأنها لو كانت صحيحة ما عارضها غيرها لأن الحق لا يعارضه الباطل ولكن يغلب عليه فيدمغه

ثم قال \* (ولكم الويل) \* يعني الشدة من العذاب وهم النصارى \* (مما تصفون) \*  
يعني تقولون من الكذب على الله عز وجل  
قوله عز وجل \* (وله من في السماوات والأرض) \* من الخلق " ومن عنده " من  
الملائكة \* (لا يستكبرون) \* يعني لا يتعظمون \* (عن عبادته ولا يستحسرون) \* يعني  
لا يعيون \* (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) \* لا يملون ولا يستريحون وقال أهل  
اللغة الحسير المنقطع الواقف إعياء روي عن عبد الله بن الحارث أنه قال قلت لكعب  
الأخبار رأيت قوله \* (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) \* أما شغلهم رسالة أما شغلهم  
عمل فقال لي ممن أنت فقلت من بني عبد المطلب فضمني إليه فقال يا ابن أخي إنه  
جعل لهم التسبيح كما جعل لنا التنفس ألت تأكل وتشرب وتذهب وتجيء وأنت  
تتنفس كذلك جعل لهم التسبيح  
ثم قال عز وجل \* (أم اتخذوا آلهة) \* الميم صلة معناه اعبدوا من دونه آلهة ويقال بل  
عبدوا آلهة \* (من الأرض) \* يعني اتخذوها من الأرض ويقال من الأرض أي في الأرض  
\* (هم ينشرون) \* يعني هل يحيون تلك الآلهة شيئاً وقرئ أيضاً \* (ينشرون) \* بضم  
الياء ونصب الشين يعني هل يحيون أبدا لا يموتون  
ثم قال \* (لو كان فيهما آلهة إلا الله) \* يعني لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله  
\* (لفسدتا) \* يعني لخربت السماوات والأرض ولهلك أهلها يعني أن التدبير لم يكن  
مستويا ثم نزه نفسه عن الشريك فقال \* (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) \* يعني  
عما يقولون من الكذب  
قوله عز وجل \* (لا يسأل عما يفعل) \* يعني لا يسأل عما يحكم في خلقه من المغفرة  
والعقوبة لأن عادل ليس بجائر \* (وهم يسألون) \* عما يفعلون بعضهم ببعض لأنهم  
يجورون ولا يعدلون ومعناه لا يسأل عما يفعل على وجه الإحتجاج عليه ولكن يسأل  
عن معنى الإستكشاف والبيان كقوله عز وجل \* (رب لم حشرتني أعمى) \* [طه:  
١٢٥] وروي عن مجاهد أنه قال لا يسأل عن قضائه وقدره وهم يسألون عن أعمالهم  
ويقال \* (لا يسأل عما يفعل) \* لأنه ليس فوقه أحد \* (وهم يسألون) \* لأنهم مملوكون  
سورة الأنبياء ٢٤ - ٢٨

ثم قال عز وجل \* (أم اتخذوا من دونه آلهة) \* الميم صلة يعني اعبدوا من دونه آلهة \*  
(قل هاتوا برهانكم) \* يعني حجتكم وكتابكم الذي فيه عذرکم \* (هذا ذكر من معي)  
\* هذا القرآن خبر من معي إلى يوم القيامة \* (وذكر من قبلي) \* يعني خبر من قبلي فلا  
أجد فيه أن الشرك كان مباحا في وقت من الأوقات ويقال \* (هذا ذكر من معي وذكر  
من قبلي) \* يعني القرآن وكتب الأولين

ثم قال \* (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) \* يعني لا يصدقون بالقرآن ويقال بالتوحيد  
(فهم معرضون) \* يعني مكذبين بالقرآن والتوحيد

ثم بين ما أمر في جميع الكتب للرسول فقال عز وجل \* (وما أرسلنا من قبلك من رسول  
إلا نوحى إليه) \* كما يوحى إليك \* (أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) \* يعني فوحدوني  
\* (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) \* وذلك حين قال مشركو قريش في الملائكة عليهم  
السلام ما قالوا فقال الله تعالى \* (سبحانه) \* نزه نفسه عن الولد \* (بل عباد مكرمون)  
\* يعني بل عبيد أكرمهم الله عز وجل بعبادته \* (لا يسبقونه بالقول) \* أي لا يقولون  
ولا يعملون شيئا ما لم يأمرهم \* (وهم بأمره يعملون) \* يعني يعملون ما يأمرهم به \*  
(يعلم ما بين أيديهم) \* من أمر الآخرة \* (وما خلفهم) \* من أمر الدنيا \* (ولا يشفعون)  
\* يعني الملائكة عليهم السلام \* (إلا لمن ارتضى) \* أي لمن رضي عنه بشهادة أن لا  
إله إلا الله \* (وهم من خشيته مشفقون) \* يعني من هيئته خائفون لأنهم عاينوا أمر  
الآخرة فيخافون عاقبة الأمر

سورة الأنبياء ٢٩ - ٣٠

ثم قال \* (ومن يقل منهم) \* أي من الملائكة \* (إني إله من دونه) \* يعني من دون الله  
ولم يقل ذلك غير إبليس عدو الله \* (فذلك) \* يعني ذلك القائل \* (نجزيه جهنم كذلك  
نجزي الظالمين) \* أي الكافرين

قوله عز وجل " أو لم ير الذين كفروا " يعني أولم يخبروا في الكتاب قرأ ابن كثير \*  
(ألم ير) \* بغير واو وقرأ الباقون بالواو ومعناها قريب \* (أن السماوات والأرض كانتا  
رتقا) \* يعني ملتزما \* (ففتقناهما) \* أي فرقناهما وأبنا بعضها من بعض وقال مجاهد  
كانت السماء لا تمطر والأرض لا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات وقال القتيبي كانتا  
منضمتين ففتقنا السماء بالمطر والأرض بالنبات وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال  
كانت السماوات واحدة والأرض واحدة ففتقت السماء سبعا والأرض مثلهن وقال  
الزجاج ذكر السماوات والأرض ثم قال \* (كانتا رتقا) \* لأن السماوات يعبر عنها  
بالسما بلفظ الواحد وأن السماوات كانت سماء واحدة وكذلك



الأرض والمعنى أن السماوات كانت واحدة ففتقتها وجعلتها سبعا وكذلك الأرض وقيل إنما فتقت السماء بالمطر والأرض بالنبات بدليل قوله " وجعلنا من الماء كل شيء حي " وقال \* (رتقا) \* ولم يقل رتقين لأن الرتق مصدر والمعنى كانتا ذواتي رتق ودلهم بهذا على توحيده حيث قال " وجعلنا من الماء كل شيء حي " يعني جعلنا الماء حياة كل شيء وهو قول مقاتل وقال قتادة خلق كل شيء حي من الماء وقال أبو العالية رحمه الله \* (وجعلنا من الماء) \* يعني من النطفة \* (أفلا يؤمنون) \* يعني أفلا يصدقون بتوحيد الله بعد هذه العجائب

سورة الأنبياء ٣١ - ٣٥

وقوله عز وجل \* (وجعلنا في الأرض رواسي) \* أي الجبال الثقال الثوابت \* (أن تميد بهم) \* يعني كيلا تميل ويقال كراهية أن تميل بكم \* (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) \* يعني في الأرض وفي الجبال أودية والفجاج جمع فج وهو كل مخترق بين جبلين \* (سبلا) \* يعني طرقا \* (لعلهم يهتدون) \* لكي يعرفوا الطرق \* (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) \* من السقوط كيلا تسقط عليهم \* (وهم عن آياتها معرضون) \* يعني عن شمسها وقمرها ونجومها وما فيها من الأدلة والعبر \* (معرضون) \* يعني لا يتفكرون فيها وقرأ بعضهم \* (وهم عن آياتها معرضون) \* ومعناه أن السماء بنفسها من أعظم آية لأنها متمسكة بقدرته

ثم قال عز وجل \* (وهو الذي خلق الليل والنهار) \* يعني الظلمة والضوء \* (والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) \* أي في دوران يحرون وقال قتادة يحرون في فلك السماء وقال الكلبي كل شيء يدور فهو فلك وقال القتيبي الفلك القطب الذي تدور به النجوم وهو كوكب خفي بقرب الفرقدين وبنات نعش عليه تدور السماء فقد ذكر بلفظ العقلاء أنهم يسبحون لأنه وصف منهم الفعل كما ذكر من العقلاء ثم قال عز وجل \* (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) \* يعني في الدنيا \* (أفإن مت فهم الخالدون) \* وذلك أن أناسا من الكفار قالوا إن محمدا صلى الله عليه وسلم يموت فنزل " كل نفس ذائفة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة " يعني بالغنى والفقر والرخاء والشدة \* (فتنة) \* يعني اختبارا لهم \* (والينا ترجعون) \* في الآخرة قرأ أبو عمرو في إحدى الروايتين \* (يرجعون) \* بالياء بلفظ المغايبة وقرأ الباكون \* (ترجعون) \* بالتاء على معنى المخاطبة وقرأ ابن عامر في إحدى الروايتين \* (يرجعون) \* بنصب الياء

### سورة الأنبياء ٣٦

قوله عز وجل \* (وإذا رآك الذين كفروا) \* وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بأبي سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام فقال أبو جهل لأبي سفيان هذا نبي بني عبد مناف كالمستهزئ فنزل قوله \* (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا) \* يعني ما يقولون لك إلا سخرية ثم قال \* (أهذا الذي) \* يعني يقولون أهذا الذي \* (يذكر آلهتكم) \* بالسوء ويقال أهذا الذي يعيب آلهتكم \* (وهم بذكر الرحمن هم كفرون) \* يعني جاحدين تاركين وهذا كقوله عز وجل \* (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) \* [الزمر: ٤٥] قال الكلبي وذلك حين نزل " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن " [الإسراء: ١١٠] فقال أهل مكة ما يعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب فنزل \* (وهم بذكر الرحمن هم كفرون) \* [الأنبياء: ٣٦]

### سورة الأنبياء ٣٧ - ٤٠

قوله عز وجل \* (خلق الإنسان من عجل) \* أي مستعجلا بالعذاب وهو النضر بن الحارث وقال القتيبي \* (خلق الإنسان من عجل) \* أي خلقت العجلة في الإنسان ويقال إن آدم عليه السلام إستعجل حين خلق وإستعجل كفار قريش نزول العذاب كما إستعجل آدم عليه السلام قال الله تعالى \* (سأريكم آياتي) \* قال الكلبي رحمه الله يعني ما أصاب قوم نوح وقوم هود وصالح وكانت قريش يسافرون في البلدان فيرون آثارهم ومنازلهم ويقال يعني القتل بيدر ويقال يعني يوم القيامة \* (فلا تستعجلون) \* بنزول العذاب

ثم قال عز وجل \* (ويقولون متى هذا الوعد) \* يعني البعث \* (إن كنتم صادقين) \* يعني إن كنت صادقاً فيما تعدنا أن نبعث فنزل قوله عز وجل \* (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) \* يعني لا يصرفون ولا يرفعون \* (عن وجوههم النار) \* لأن أيديهم تكون مغلولة \* (ولا عن ظهورهم) \* في الآخرة \* (ولا هم ينصرون) \* يعني لا يمنعون عما نزل بهم من العذاب وجوابه مضمرة يعني لو علموا ذلك الآن لامتنعوا من الكفر والتكذيب \* (بل تأتيهم بغتة) \* يعني الساعة تأتيهم فجأة \* (فتبتهتهم) \* يعني فتفجأهم \* (فلا يستطيعون ردها) \* أي صرفها عن أنفسهم \* (ولا هم ينظرون) \* يعني لا يمهلون ولا يؤجلون

سورة الأنبياء ٤١ - ٤٣

قوله عز وجل \* (ولقد استهزئ برسل من قبلك) \* كما إستهزأ بك قومك \* (فحاق بالذين سخروا منهم) \* يعني نزل بالذين سخروا منهم " ما كانوا به يستهزئون " يعني العذاب الذي كانوا به يستهزئون

قوله عز وجل \* (قل من يكلؤكم) \* أي من يحفظكم \* (بالليل والنهار من الرحمن) \* أي من عذاب الرحمن معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن إلا الرحمن \* (بل هم عن ذكر ربهم) \* يعني عن التوحيد والقرآن \* (معرضون) \* مكذبون تاركون قوله عز وجل \* (أم لهم آلهة) \* الميم صلة يعني ألهم آلهة \* (تمنعهم من دوننا) \* يعني من عذابنا \* (لا يستطيعون نصر أنفسهم) \* يعني لا تقدر الآلهة أن تمنع نفسها من العذاب أو السوء إن أرادوا بها فكيف ينصرونكم \* (ولا هم منا يصحبون) \* يعني يأمنون من عذابنا وقال مجاهد يعني ولا هم منا ينصرون وقال السدي لا نصحبهم فندفع عنهم في أسفارهم وقال القتيبي أي لا يجارون لأن المجير صاحب لمجاره

سورة الأنبياء ٤٤ - ٤٦

ثم قال عز وجل \* (بل متعنا هؤلاء) \* يعني أجلناهم وأمهلناهم \* (وآباءهم) \* من قبلهم \* (حتى طال عليهم العمر) \* يعني الأجل \* (أفلا يرون) \* يعني أفلا ينظر أهل مكة " أنا نأتي الأرض ننقصها " أي نأخذ ونفتح الأرض ننقصها " من أطرافها " ما حول مكة يعني ننقصها لمحمد صلى الله عليه وسلم من نواحيها ويقال يعني نقبض أرواح أشرف أهل مكة ورؤسائها وقال الحسن هو ظهور المسلمين على المشركين وروى عكرمة عن ابن عباس قال هو موت فقهاؤها وذهاب خيارها وقال الكلبي يعني السبي والقتل والخراب ثم قال تعالى \* (أفهم الغالبون) \* يعني أن الله عز وجل هو الغالب وهم المغلوبون

ثم قال عز وجل \* (قل إنما أنذركم بالوحي) \* يعني بما نزل من القرآن \* (ولا يسمع الصم الدعاء) \* يعني أن من يتصامم لا يسمع الدعاء \* (إذا ما يندرون) \* يخوفون قرأ ابن عامر \* (ولا تسمع الصم الدعاء) \* بالتاء بلفظ المخاطبة ومعناه أن لا تقدر أن تسمع الصم الدعاء إذا ما يندرون يعني إذا خوفوا وقرأ الباقون \* (ولا يسمع) \* بالياء على وجه الحكاية عنهم

ثم أخبر عن قلة صبرهم عند العذاب فقال \* (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك) \*  
يعني أصابتهم عقوبة من عذاب ربك ويقال معناه ولئن أصابهم العذاب أي طرف من  
عذاب ربك ويقال أدنى شيء من عذاب ربك " ليقولن يا ويلتا إنا كن ظالمين " ظلمنا  
أنفسنا بترك الطاعة لله ربنا  
سورة الأنبياء ٤٧ - ٥٠

قوله عز وجل \* (ونضع الموازين القسط) \* يعني ميزان العدل \* (ليوم القيامة) \* يعني  
في يوم القيامة قال ابن عباس هو ميزان له لسانان وكفتان توزن فيه أعمال الحسنات  
والسيئات فيجاء بالحسنات في أحسن صورة ويجاء بالسيئات في أقبح صورة \* (فلا  
تظلم نفس شيئاً) \* يعني لا ينقص من ثواب أعمالهم شيئاً \* (وإن كان مثقال حبة) \*  
يعني وزن حبة \* (من خردل) \* قرأ نافع \* (مثقال حبة) \* بضم اللام وقرأ الباقون  
بالنصب فمن قرأ بالرفع فمعناه وإن حصل للعبد مثقال حبة من خردل ومن قرأ بالنصب  
معناه وإن كان العمل مثقال حبة يصير خبر كان \* (أتينا بها) \* يعني جئنا بها  
وأحضرناها وقرأ بعضهم \* (أتينا) \* بالمد يعني جازينا بها وأعطينا بها وأثبتنا وقراءة  
العامية بغير مد ثم قال \* (وكفى بنا حاسبين) \* أي مجازين  
قوله عز وجل \* (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) \* يقول النصر والنجاة فنصر  
موسى وهارون عليهما السلام وأهلك عدوهم فرعون \* (وضياء) \* يعني الذي  
أنزل عليهما من الحلال والحرام في الكتاب قرأ ابن كثير " وضياء " بهمزتين وقرأ  
الباقون بهمزة واحدة \* (وذكرا) \* يعني عظة \* (للمتقين) \* الذين يتقون الكفر  
والفواحش والكبائر وقال مجاهد الفرقان الكتاب وقال السدي الفرقان والنصر والضياء  
النور وذكرا قال التوراة وقال مقاتل الفرقان والتوراة وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ "  
ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء وذكرا " يعني أعطيناها التوراة نورا وعظة  
وروي عن عكرمة قال كان ابن عباس أنه كان يقرأ \* (الذين استجابوا لله والرسول) \*  
أقرأوا بالواو يعني والذين استجابوا " ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء " بغير واو  
وقال إجعلوا هذه الواو عند قوله " والذين استجابوا لله والرسول "  
ثم قال عز وجل \* (الذين يخشون ربهم بالغيب) \* يعني يعملون لربهم في غيب عنه

والله تعالى لا يغيب عنه شيء \* (وهم من الساعة مشفقون) \* يعني من عذاب الساعة خائفون

قوله عز وجل \* (وهذا ذكر مبارك) \* يعني هذا القرآن \* (ذكر مبارك) \* يعني فيه السعادة والمغفرة للذنوب والنجاة لمن آمن به \* (أنزلناه) \* لكم \* (أفأنتم له منكرون) \* يعني أفأنتم للقرآن مكذبون جاحدون

سورة الأنبياء ٥١ - ٦٠

قوله عز وجل \* (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل) \* يعني أكرمناه بالمغفرة من قبل النبوة وقال مقاتل من قبل موسى وهارون عليهما السلام وقال مجاهد من قبل بلوغه وقال الكلبي يقول ألهمناه رشده الخير وهديناه قبل بلوغه ويقال من قبل محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن \* (وكننا به عالمين) \* بأنه أهل للرشد ويقال للنبوة ويقال \* (وكننا به عالمين) \* \* (إذ قال) \* أي حين قال \* (لأبيه وقومه ما هذه التماثيل) \* يعني التماثيل يعني الأصنام \* (التي أنتم لها عاكفون) \* يعني عابدين ويقال عليها مقيمين وروى ميسرة النهدي أن علياً رضي الله عنه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال \* (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) \*

فلما قال ذلك لهم ذلك إبراهيم عليه السلام \* (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) \* يعني فنحن نعبدها " قال " لهم إبراهيم عليه السلام \* (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) \* يعني في خطأ بين قال السدي كان أبوه يصنع الأصنام يبعث بها مع بنيه فيبيعونها فبعث إبراهيم بصنم ليبيعه فجعل ينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه وكان إخوته يبيعون ولا يبيع هو شيئاً وقال " أنتم في ضلال مبين "

\* (قالوا أجنثنا بالحق أم أنت من اللاعبين) \* يعني أجدنا تقول يا إبراهيم أم أنت من اللاعبين قال إبراهيم بل أقول لكم حقاً وأدعوكم إلى عبادة الله تعالى هو \* (ربكم) \* يعني خالقكم ورازقكم " رب السماوات والأرض " هو ربكم \* (الذي فطرهن) \* يعني هو الذي خلقهن \* (وأنا على ذلكم من الشاهدين) \* بأن الذي خلق السماوات والأرض هو ربكم

ثم قال عز وجل \* (وتالله لأكيدن أصنامكم) \* أي قال إبراهيم عليه السلام والله لأكسرن أصنامكم \* (بعد أن تولوا مدبرين) \* يعني بعد أن تنطلقوا ذاهبين إلى عيدكم وذلك

أن القوم كانوا أرادوا أن يخرجوا إلى عيد لهم فقالوا لإبراهيم أخرج معنا حتى تنظر إلى عيدنا وكان القوم في ذلك الزمان ينظرون إلى النجوم فينظر أحدهم ويقول إنه يصيني كذا وكذا من الأمر وكان ذلك معروفا عندهم وكانوا إذا خرجوا إلى عيدهم لم يخلفوا بعدهم إلا من كان مريضا فنظر إبراهيم عليه السلام في النجوم \* (فقال إني سقيم) \* [الصفات: ٨٩] يعني أشتكي غدا فأصبح من الغد معصوبا رأسه وخرج القوم إلى عيدهم ولم يتخلف أحد غيره فلما خرج القوم قال إبراهيم أما والله لأكيدن أصنامكم فسمعها رجل منهم فحفظها عليه فأخذ إبراهيم فأسا ويقال قدوما وجاء إلى بيت أصنامهم وقد وضعوا ألوان الطعام بين أيديهم فإذا رجعوا من عيدهم كانوا يرفعون ذلك الطعام ويأكلونه تبركا ودخل إبراهيم بيت الأصنام فرأى ذلك الطعام بين أيديهم فقال \* (ألا تأكلون) \* [الصفات: ٩١] فلم يجيبوه فقال \* (ما لكم لا تنطقون) \* [الصفات: ٩٢] فأقبل عليهم \* (ضربا باليمين) \* [الصفات: ٩٣] يعني جعل يضرب القدم بيده وقال السدي قطع رؤوسها كلها وقال ابن عباس كسرها كسرا وقال بعضهم نحت وجوههم وقال بعضهم قطع يد بعضهم ورجل بعضهم وأذن بعضهم فذلك قوله تعالى \* (فجعلهم جذاذا) \* يعني فتاتا ويقال كسره قطع قطعاً وقال أهل اللغة كل شيء كسرتة فقد جذذته وقال أبو عبيد يعني فتاتا يقال كسره أي إستأصلهم ويقال جذ الله دابره أي إستأصلهم وقرأ الكسائي \* (جذاذا) \* بكسر الجيم والباقون بالضم \* (جذاذا) \* وقرئ بالشاذ \* (جذاذا) \* بالنصب ومعناه قريب بعضها من بعض وهو الكسر

\* (إلا كبيرا لهم) \* لم يكسره وتركه على حاله وقال الزجاج يحتمل الكبير في الخلقة ويحتمل أكبر ما عندهم في تعظيمهم \* (لعلهم إليه يرجعون) \* يعني إلى الصنم الأكبر ويقال \* (يرجعون) \* إلى قوله بإحتجاجه عليهم لوجوب الحجة عليهم فجعل القدم على عنق ذلك الصنم الأكبر فلما رجعوا من عيدهم نظروا إلى آلهتهم مكسرة ويقال حين دخل إبراهيم عليه السلام بيت الأصنام كان عندهم خدم يعني الوصائف فخرجن وقلن إن هذا الرجل مريض جاء يطلب من الآلهة العافية فلما خرج إبراهيم ودخلن فنظرن إلى الأصنام مقطوعة الرؤوس فخرجن إلى الناس بالويل والصياح وأخبرنهم بالقصة فتركوا عيدهم ودخلوا فلما رأوا ذلك \* (قالوا من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين) \* في فعله \* (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) \* يعني يعيهم ويقال أخبر الرجل الذي سمع منه فقال إني سمعت فتى يذكرهم قال \* (تالله لأكيدن أصنامكم) \* \* (يقال له إبراهيم) \* صار إبراهيم رفعا بمعنى يقال له هو إبراهيم وقال ويحتمل يقال له إبراهيم رفع على معنى النداء المفرد



قوله عز وجل \* (قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون) \* يعني يشهدون عليه بما يعرفون منه ويقال يشهدون عقوبته قال فجاؤوا به إلى ملكهم النمرود بن كنعان \* (قالوا) \* أي قال له الملك \* (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال) \* إبراهيم \* (بل فعله كبيرهم هذا) \* يعني عظيمهم عندكم وإنما قال هذا على وجه الاستهزاء لا على وجه الجحد \* (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) \* يعني إن كانوا يتكلمون فاسألوهم من فعل هذا بكم \* (فرجعوا إلى أنفسهم) \* فلاموها يعني إلى أصحابهم \* (فقالوا إنكم أنتم الظالمون) \* يعني حيث قلتم إن إبراهيم كسرها \* (ثم نكسوا على رؤوسهم) \* يعني رجعوا إلى قولهم الأول وقال القتيبي أي ردوا إلى ما كانوا يعرفون من أنها لا تنطق فقالوا \* (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) \* يا إبراهيم يعني تعلم أنهم لا يتكلمون " قال " لهم إبراهيم عليه السلام \* (أفنعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً) \* إن عبدتموهم \* (ولا يضركم) \* إن تركتموهم \* (أف لكم) \* يعني قدرا لكم وسحقا لكم وتعسا لكم والاختلاف في قوله \* (أف لكم) \* مثل ما سبق \* (ولما تعبدون من دون الله) \* يعني أف لكم ولما تعبدون من دون الله \* (أفلا تعقلون) \* أن من ليس له ذهن ولا قوة ولا منفعة ولا مضرة أن لا تعبدوه

سورة الأنبياء ٦٨ - ٧١

ثم قال عز وجل \* (قالوا) \* يعني قال ملكهم \* (حرقوه وانصروا آلهتكم) \* يعني إنتقموا لآلهتكم \* (إن كنتم فاعلين) \* به شيئاً فافعلوا فأمر النمرود أهل القرى حتى جمعوا له الحطب أياما كثيرة وأمر بأن يبني بنيانا فبنى حائط مستدير وجمعوا له الحطب ما شاء الله ثم أضرموه فيه النار فارتفعت النار حتى بلغت السماء في أعين الناظرين وكانت الطير يمر بها فيصيبها حر النار فلا تستطيع أن تجوز فيه فتقع ميتة فلما أرادوا أن يلقوه فيها لم يستطيعوا لشدة حرها ولم يقدر أحد أن يدنو منها فبطل تدبيرهم وكادوا أن يتركوه حتى جاء إبليس عدو الله لعنه الله فدلهم على المنجنيق وهو أول منجنيق صنعت وجاؤوا بإبراهيم فأوثقوا يديه وجعلوه في المنجنيق وروي في الخبر أن السماوات والأرض والجبال بكوا عليه وبكت



عليه ملائكة السماوات وقالوا ربنا عبدك إبراهيم يحرق فيك فقال لهم إن استغاث بكم فأغيثوه فلما رمي في المنجنيق قال حسبي الله ونعم الوكيل فرمي به بالمنجنيق في الهواء فجعل يهوي نحو النار فقال جبريل عليه السلام يا رب عبدك إبراهيم يحرق فيك قال الله تعالى إن استغاث بك فأغثه فأتاه جبريل وهو يهوي نحو النار فقال أتطلب النجاة فقال أما منك فلا قال أفلا تسأل الله عز وجل أن ينجيك منها فقال إبراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي فلما أخلص قلبه لله تعالى فعند ذلك قال الله تعالى \*

(قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) \* يعني سلميه من حرك وبردك وقال عكرمة رحمه الله بردت نار الدنيا كلها يومئذ فلم ينتفع بها أحد من أهلها وقال كعب ما أحرقت النار من إبراهيم غير وثاقه وقال قتادة إن الخطاف كان تطفئ النار بأجنحته وكانت الوزغة تنفخ وروت عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أقتلوا الوزغة فإنها كانت تنفخ على إبراهيم وكانت عائشة تقتلهن وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله \* (بردا وسلاما) \* لو لم يقل \* (وسلاما) \* لأهلكه البرد وكذلك قال ابن عباس فضمه جبريل بجناحه ووضع على الأرض وضرب جناحه على الأرض فأظهر الماء واخضرت الأرض فلما كان في اليوم الثالث خرج النمرود مع جيشه وأشرف على موضع مرتفع لينظر إلى النار فرأى في وسط ذلك الموضع ماء وخضرة ورأى هناك شخصين والنار حواليهما فقال إنا قد رمينا إنسانا واحدا فما لي أرى فيها نفسين فرجع متحيرا

قال الله تعالى \* (وأرادوا به كيدا) \* يعني حرقا \* (فجعلناهم الأخرسين) \* يعني الأذلين الأسفلين \* (ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) \* يعني إلى الأرض المقدسة فخرج إبراهيم عليه السلام من ذلك الموضع وقال للوط عليه السلام إني أريد أن أهاجر فصدقه واتبعه فخرجا إلى بيت المقدس ويقال إلى الشام \* (التي باركنا فيها) \* بالماء والثمار للناس

سورة الأنبياء ٧٢ - ٧٣

قوله عز وجل \* (ووهبنا له إسحاق) \* يعني الولد \* (ويعقوب نافلة) \* يعني زيادة وذلك أنه سأل الله تعالى الولد فأعطاه الله تعالى الولد وهو إسحاق عليه السلام وولد الولد فضله على مسأله وهو يعقوب عليه السلام ويقال \* (نافلة) \* أي غنيمة \* (وكلا جعلنا صالحين) \* يعني أكرمناهم بالإسلام وقال الكلبي كان لوط ابن أخي إبراهيم فكان لوط بن هازر بن آزر وإبراهيم بن آزر وهو عم لوط وقال بعضهم كان لوط ابن عمه وكانت سارة أخت لوط

ثم قال عز وجل \* (وجعلناهم أئمة) \* يعني قادة في الخير ويقال أكرمناهم بالإمامة والنبوة \* (يهدون بأمرنا) \* أي يدعون الخلق \* (بأمرنا) \* إلى أمرنا وإلى ديننا \* (وأوحينا إليهم فعل الخيرات) \* يعني أمرناهم بالأعمال الصالحة ويقال بالدعاء إلى الله عز وجل أي قول لا إله إلا الله \* (وأقام الصلاة) \* يعني إتمام الصلاة \* (وإيتاء الزكاة) \* يعني الزكاة المفروضة وصدقة التطوع \* (وكانوا لنا عابدين) \* يعني مطيعين

سورة الأنبياء ٧٤ - ٧٥

وقوله عز وجل \* (ولوطا) \* يعني واذكر لوطا إذ \* (آتيناه حكما وعلما) \* يعني النبوة والفهم ويقال \* (ولوطا) \* يعني وأوحينا إليهم وآتيناه لوطا يعني وآتيناه لوطا حكما وعلما أي النبوة والفهم \* (ونجيناه من القرية) \* يعني مدينة سدوم \* (التي كانت تعمل الخبائث) \* يعني اللواط \* (إنهم كانوا قوم سوء فاسقين) \* يعني عاصين " وأدخلنا في رحمتنا " يعني أكرمنا لوطا عليه السلام في الدنيا بطاعتنا وفي الآخرة بالجنة \* (إنه من الصالحين) \* أي من المرسلين

سورة الأنبياء ٧٦ - ٧٧

قوله عز وجل \* (ونوحا) \* يعني واذكر نوحا عليه السلام \* (إذ نادى من قبل) \* أي دعا على قومه من قبل إبراهيم وإسحاق عليهما السلام \* (فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) \* يعني الغرق \* (ونصرناه من القوم) \* أي على القوم \* (الذين كذبوا بآياتنا) \* يعني كذبوا نوحا بما أنذرهم من الغرق ويقال \* (نصرناه من القوم) \* أي نجيناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا \* (إنهم كانوا قوم سوء) \* يعني كفارا \* (فأغرقناهم أجمعين) \* يعني الصغير والكبير فلم يبق منهم أحد إلا هلك بالطوفان

سورة الأنبياء ٧٨ - ٧٩

قال عز وجل \* (وداود وسليمان) \* يعني واذكر داود وسليمان عليهما السلام \* (إذ يحكمان في الحرت) \* يعني الزرع \* (إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) \* وذلك أن غنما لقوم وقعت في زرع رجل فأفسدته قال ابن عباس في رواية أبي صالح إن غنم قوم

وقعت في كرم قوم ليلا حين خرج عناقيده فأفسدته فاخترصموا إلى دواد بن أيشا النبي صلى الله عليه وسلم فقوم داود الكرم والغنم فكانت القيمتان سواء أي قيمة الغنم وقيمة ما أفسدت من الكرم فدفعت الغنم إلى صاحب الكرم فخرجوا من عنده فمروا بسليمان فقال بم قضى بينكم الملك فأخبروه فقال نعم ما قضى به وغير هذا كان أرفق للفريقين جميعا فرجع أصحاب الكرم والغنم إلى داود فأخبروه بما قال سليمان فأرسل داود إلى سليمان عليهما السلام فقال كيف رأيت قضائي بين هؤلاء فإني لم أقض بالوحي إنما قضيت بالرأي فقال نعم ما قضيت فقال عزمت عليك بحق النبوة وبحق الوالد على ولده إلا أخبرتني فقال سليمان غير هذا كان أرفق بالفريقين فقال وما هو قال سليمان يأخذ أهل الكرم الغنم ينتفعون بألبانها وسمنها وصوفها ونسلها ويعمل أهل الغنم لأهل الكرم في كرمهم حتى إذا عاد الكرم كما كان ردوه فقال دواد نعم ما قضيت به فقضى داود بينهم بذلك

وقال بعضهم كان ذلك القضاء نافذا فلم ينقض ذلك وكان سليمان في ذلك اليوم ابن إحدى عشرة سنة فذلك قوله \* (إذ نفشت فيه غنم القوم) \* يعني دخلت فيه غنم القوم ويقال نفشت أي دخلت فيه بالليل من غير حافظ لها وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الزهري رحمهم الله قال النفش لا يكون إلا ليلا والعمل بالنهار وروى قتادة عن الشعبي رحمه الله أن شاة وقعت في غزل الحواك فاخترصموا إلى شريح رحمه الله فقال شريح أنظروا أوقعت فيه ليلا أو نهارا فإن كان بالليل يضمن وإن كان بالنهار لا يضمن ثم قرأ شريح \* (إذ نفشت فيه غنم القوم) \* وقال النفش بالليل والعمل بالنهار وكلاهما الرعي بلا راع

وروى سعيد بن المسيب أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائطا لقوم فأفسدته فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حفظ الأموال على أهلها بالنهار وعلى أهل الماشية ما أصابت الماشية بالليل وبهذا الخبر أخذ أهل المدينة وقال أهل العراق لا يضمن ليلا كان أو نهارا إلا أن يتعمد صاحبها فيرسلها فيه وذهبوا إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال جرح العجماء جبار ثم قال \* (وكننا لحكمهم شاهدين) \* يعني عالمين

قوله عز وجل \* (ففهمناها سليمان) \* يعني ألهمناها سليمان \* (وكلا آتينا حكما وعلما) \* يعني النبوة والفهم بالحكم وروى عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال لولا هذه الآية لم يجرؤ أحد منا أن يفتي في الحوادث ثم قال \* (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) \* يعني كلما سبح داود تسبح معه الجبال والطير أي سخرنا الجبال والطير يسبحن معه إذا سبح وقال كان داود يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وكذلك الطير وقال قتادة \* (يسبحن) \* أي يصلين معه إذا صلى يعني كل ما سبح داود تسبح معه الجبال والطير أي سخرنا الجبال يسبحن معه \* (وكننا فاعلين) \* يعني نحن فعلنا ذلك بهما



(٤٣٤)

سورة الأنبياء ٨٠ - ٨٢

قوله عز وجل \* (وعلمناه صنعة لبوس لكم) \* يعني دروع الحديد وذلك أن داود عليه السلام خرج يوماً متنكراً ليسأل عن سيرته في مملكته فاستقبله جبريل عليه السلام على صورة آدمي فلم يعرفه داود فقال كيف ترى سيرة داود في مملكته فقال له جبريل عليه السلام نعم الرجل هو لولا أن فيه خصلة واحدة قال وما هي قال بلغني أنه يأكل من بيت المال وليس شيء أفضل من أن يأكل الرجل من كد يده فرجع داود عليه السلام وسأل الله عز وجل أن يجعل رزقه من كد يديه فألان له الحديد وكان يتخذ منها الدروع ويبيعها ويأكل من ذلك فذلك قوله \* (وعلمناه) \* يعني ألهمناه ويقال \* (علمناه) \* بالوحي "صفة لبوس لكم" \* (لتحصنكم من بأسكم) \* يعني يمنعكم قتال عدوكم قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالتاء \* (لتحصنكم) \* وقرأ عاصم في رواية أبي بكر "لنحصنكم" بالنون بدليل قوله وعلمناه وقرأ الباقون بالياء بلفظ التذكير يعني ليحصنكم الله عز وجل ويقال يعني اللبوس ومن قرأ بالتاء فهو كناية عن الصنعة واختار أبو عبيد بالتاء \* (لتحصنكم) \* لأن اللبوس أقرب إليه ثم قال \* (فهل أنتم شاكرون) \* اللفظ لفظ الاستفهام يعني أشكروا رب هذه النعم ووحده

قوله عز وجل \* (ولسليمان الريح) \* قرأ أبو عبد الرحمن الأعرج \* (الريح) \* بضم الحاء على معنى الابتداء وقراءة العامة \* (الريح) \* بالنصب ومعناه وسخرنا لسليمان الريح \* (عاصفة) \* يعني قاصفة شديدة وقال في موضع آخر \* (تجري بأمره رخاء) \* [ص: ٣٦] أي لينة فإنها كانت تشتد إذا أراد وتلين إذا أراد \* (تجري بأمره) \* يعني تسير بأمر الله عز وجل ويقال بأمر سليمان \* (إلى الأرض التي باركنا فيها) \* بالماء والشجر "وكننا بكل شيء عالمين" يعني من أمر سليمان وغيره قوله عز وجل \* (ومن الشياطين من يغوصون له) \* يعني سخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر \* (ويعملون عملاً دون ذلك) \* من البنيان وغيره \* (وكننا لهم حافظين) \* من أن يهيجوا أحداً في زمانه ويقال يحفظهم أن لا يفسدوا ما عملوا ويقال \* (وكننا لهم حافظين) \* ليطيعوا سليمان عليه السلام ولا يعصوه

سورة الأنبياء ٨٣

قوله عز وجل \* (وأيوب إذ نادى ربه) \* يعني أذكر أيوب عليه السلام وصبره روي في

الخبر أن أيوب كان بمنزلة الملك وهو أيوب بن برضى النبي عليه السلام وكانت له أموال من صنوف مختلفة وكانت له ضياع كثيرة وكان له ثلاثمائة زوج ثيران وغلمان يعملون له في ضياعه وأموال السوائم من الغنم والإبل والبقر وكان متعبدا ناسكا منفقا متصدقا فحسده إبليس عدو الله وقال إن هذا يذهب بالدنيا والآخرة وأراد أن يفسد عليه إحدى الدارين أو كليتهما فسأل الله تعالى وقال إن عبدك أيوب يعبدك لأنك أعطيته السعة في الدنيا ولولا ذلك لم يعبدك قال الله تعالى إني أعلم منه أنه يعبدني ويشكرني وإن لم يكن له سعة في الدنيا فقال يا رب سلطني عليه فسلطه على كل شيء منه إلا على روحه

فرجع إبليس إلى غنمه كهية النار وضرب عليها فأهلك جميع غنمه فجاءت رعاته فأخبروه بالقصة فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال هو الذي أعطى وهو الذي أخذ وهو أحق به ويقال إنه أحرق غنمه ورعاته فجاء إبليس على هيئة راع من رعاته فأخبره بذلك فقال له أيوب عليه السلام لو كان فيك خير لهلكت مع أصحابك ثم جاء إلى إبله وبقره ففعل مثل ذلك ثم جاء إلى زرعه كهية النار فأفسد جميع زرعه فأخبر بذلك فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وقال هو الذي أعطى وهو الذي أخذ وهو أحق به وكان له سبعة بنين وثلاث بنات ويقال سبعة بنين وسبع بنات في بيت فجاء إبليس عليه اللعنة فهدم البيت عليهم فماتوا كلهم فذكر ذلك لأيوب عليه السلام فحمد الله عز وجل على ذلك وأثنى عليه ولم يجزع وقال هو الذي أعطى وهو الذي أخذ ثم جاء إلى أيوب وكان في الصلاة فلما سجد نفخ في أنفه وفمه نفخة فانتفخ أيوب عليه السلام وخرجت به قروح وجعل تسيل منها الصديد وتفرق عنه أقرباؤه وأصدقاؤه ولم يبق معه أحد إلا امرأته

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح كان اسم امرأته ماحين بنت ميثا بن يوسف بن يعقوب ويقال كان اسمها رحمة فتأذى به جيرانه وقالوا لامرأته إحمليه من ها هنا فإننا نتأذى به فحملته حتى أخرجته إلى كناسة قوم ووضعته عليها وجعلت تدخل على الناس وتخدمهم وتأخذ شيئا وتنفقه عليه وكان ذلك البلاء ما شاء الله فجاء إبليس في صورة طبيب وقال للمرأة إني أردت أن يبرأ من علته فمريه بشرب الخمر ويتكلم بكلمة الكفر فأخبرته المرأة بذلك فقال لها ذلك إبليس الذي أمرك بهذا فألحت عليه فغضب وقال والله لئن برئت لأضربنك مائة سوط قالت متى تبرأ فقال عند ذلك رب \* (أني مسني الضر) \*

ويقال إنه اشتهى شيئا يتخذ بالسمن فدخلت امرأته على امرأة غني من الأغنياء وسألته ذلك فأبت عليها ثم نظرت إلى ذوائبها فرأت ذوائبها مثل الحبل فقالت لئن دفعت إلي ذوائبك دفعت إليك ما تطلين مني فدفعت بالمقراض وقطعت ذوائبها ودفعتها إليها وأخذت منها ما سألت وجاءت به إلى أيوب عليه السلام فقال لها من أين لك هذا فأخبرته بالقصة فبكى أيوب عند ذلك وقال رب \* (أني مسني الضر) \*



(٤٣٦)

قال بعضهم مكث أيوب في بلائه سبع سنين وقال بعضهم عشر سنين وروى عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ذلك فقال من ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله تعالى فيكشف ما به ثم راحا إليه فلم يصبرا حتى ذكرا ذلك له فعند ذلك قال رب \* (مسنى الضر) \* قال فلما كان ذات يوم خرجت امرأته فأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام في مكانه أن \* (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) \* [ص: ٤٢] فشرب واغتسل فأذهب الله عز وجل ما به من البلاء فقال أيوب كان الركض برجلي أشد علي من البلاء الذي كنت فيه قال ابن عباس لما قال الله تعالى له \* (اركض برجلك) \* ففعل فانفجرت عين اغتسل منها فصح جسده ثم قيل له \* (اركض برجلك) \* ففعل فخرجت عين فشرب منها فالتأم ما في جوفه فلما رجعت إليه المرأة لم تعرفه فقالت له بارك الله فيك هل رأيت نبي الله المبتلى فوالله ما رأيت أحدا أشبه به منك إذ كان صحيحا قال فإني أيوب قال وكان له آنذاك أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين إحداهما على أندر القمح فأفرغت الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض ذلك قوله تعالى \* (إذ نادى ربه أني مسنى الضر) \* أصابني البلاء والشدة \* (وأنت أرحم الراحمين) \* فعرض ولم يفصح بالدعاء

سورة الأنبياء ٨٤

قال الله تعالى \* (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) \* يعني رفعنا ما به من شدة \* (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) \* قال مقاتل ولدت امرأة أيوب منه سبعة بنين وثلاث بنات قبل البلاء فأحياهم الله تعالى ثم ولدت بعد كشف البلاء سبعة بنين وثلاث بنات فذلك قوله \* (ومثلهم معهم) \* وقال الكلبي ولدت سبعة بنين وسبع بنات فنشروا له وولدت امرأته مثلهم سبعة بنين وسبع بنات ويقال آتاه الله عز وجل أهله في الدنيا ومثلهم معهم في الآخرة وروى وكيع عن ابن سفيان عن الضحاك أن ابن مسعود بلغه أن مروان بن الحكم قال \* (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) \* أي أهلا غير أهله فقال ابن مسعود لا بل أهله بأعيانهم ومثلهم معهم ثم قال \* (رحمة من عندنا) \* يعني نعمة منا \* (وذكرى للعابدين) \* يعني عظة



للمطيعين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليعتبروا به لأن أيوب عليه السلام لم يفتر  
عن عبادة ربه عز وجل في بلائه

سورة الأنبياء ٨٥ - ٨٦

ثم قال عز وجل \* (وإسماعيل وإدريس) \* يعني واذكر إسماعيل وهو إسماعيل بن  
إبراهيم الخليل وإدريس وهو جد أبي نوح \* (وذا الكفل) \* عليهم السلام قال بعضهم  
كان ذو الكفل نبيا وقال بعضهم لم يكن نبيا وكان رجلا صالحا تكفل لنبى قومه أن  
يكفيه أمر قومه ويقضي بينهم بالعدل ولذلك سمي ذا الكفل ويقال إنما ذكره مع  
الأنبياء عليهم السلام لأنه عمل عمل الأنبياء وقال قتادة كفل عن رجل صلاته كان  
يصلي كل يوم ألف ركعة فكفل عنه فكان يصلي بعد موته فسمي ذا الكفل ويقال إنه  
كفل مائة من الأنبياء عليهم السلام وأنجاهم من القتل وضمهم إلى نفسه فسمي ذا  
الكفل \* (كل من الصابرين) \* يعني صبروا على طاعة الله عز وجل وعلى ما أصابهم  
من الشدة في الله تعالى

ثم قال \* (وأدخلناهم في رحمتنا) \* يعني أكرمناهم بالنبوة ويقال أدخلناهم في الجنة \*  
(إنهم من الصالحين) \* يعني المطيعين لله تعالى

سورة الأنبياء ٨٧ - ٨٨

قوله عز وجل \* (وذا النون) \* يعني واذكر ذا النون يعني ذا السمكة وهو يونس بن متى  
عليه السلام \* (إذ ذهب مغاضبا) \* يعني مصارعا من قومه ويقال كان ضيق الصدر  
سريع الغضب وذلك أنه لما دعا قومه إلى الله تعالى كذبوه فأخبرهم بأن العذاب نازل  
بهم فأتاهم العذاب فأخلصوا لله تعالى بالدعاء فصرف عنهم وكان يونس عليه السلام  
اعتزلهم ينتظر هلاكهم فسأل بعض من مر عليه من أهل تلك المدينة فلما علم أنهم لم  
يهلكوا أنف أن يرجع إليهم مخافة أن ينسب إلى الكذب ويعير به و \* (ذهب مغاضبا)  
\* يعني أنفا قال القتيبي غضب وأنف بمعنى واحد لقربهما

وقال بعضهم إنما غضب على الملك وذلك أن ملكا من الملوك يقال له ابن تغلب غزا  
بني إسرائيل فسبى منهم تسعة أسباط ونصف فلما ذهب أيام عقوبتهم يعني عقوبة بني  
إسرائيل ونزل أيام عافيتهم أوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبياء إسرائيل يسمى شعيا  
أن ائت إلى حزقيا الملك فأخبره بذلك فدعا الملك يونس بن متى وأمره بأن يخرج  
فأبى أن

يخرج وقال إن في بني إسرائيل أنبياء أقوياء غيري فعزم عليه الملك ليخرج فخرج وهو  
كاره فغضب على الملك فوجد قوما قد شحنوا سفينتهم فقال لهم أتحملونني معكم  
فعرفوه فحملوه فلما شحنت السفينة بهم وأسرعت في البحر إنكفأت بهم وغرقت فقال  
ملاحوها يا هؤلاء إن فيكم رجلا عاصيا لأن السفينة لا تفعل هذا من غير ربح إلا  
وفيكم رجل عاص فاقترعوا فخرج سهم يونس عليه السلام فقال التجار نحن أولى  
بالمعصية من نبي الله تعالى ثم أعادوا الثانية والثالثة فخرج سهم يونس فقال يا هؤلاء أنا  
والله العاصي قال فتلف في كسائه وقام على رأس السفينة فرمى بنفسه في البحر  
فابتلعت السمكة فذلك قوله تعالى \* (إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه) \* يعني لن  
نقضي عليه بالعقوبة ويقال إن ذنبه لم يبلغ مبلغ الذي نقدر عليه العقوبة ويقال ظن أنا لن  
نضيق عليه الحبس كقوله \* (فقدر عليه رزقه) \* [الفجر: ١٦] أي ضيق وقرأ بعضهم \*  
(فظن أن لن نقدر عليه) \* بالتشديد فهو من التقدير وقراءة العامة بالتخفيف \* (فنادى  
في الظلمات) \* يعني في ظلمات ثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت \*  
(أن لا إله إلا أنت) \* أي ليس أحد له سجن كسجنتك \* (سبحانك) \* إني تبت إليك \*  
(إني كنت من الظالمين) \* لنفسي  
قال الله عز وجل \* (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) \* يعني غم الماء في بطن الحوت  
ويقال من غم الذنب وقد بقي في بطن الحوت أربعين يوما ويقال أقل من ذلك  
ثم قال \* (وكذلك ننجي المؤمنين) \* قرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر في  
إحدى الروايتين \* (نجي المؤمنين) \* بنون واحدة وتشديد الجيم وقال الزجاج هو لحن  
لأن فعل ما لم يسم فاعله لا يكون بغير فاعل وإنما كتب في المصحف بنون واحدة  
لأن الثانية تخفى مع الجيم وقال أبو عبيد والذي عندنا أنه ليس بلحن وله مخرجان في  
العربية أحدهما أنه يريد \* (نجي) \* مشددة كقوله \* (ونجيناه من الغم) \* ثم يدغم  
النون الثانية في الجيم والآخر معناه نجى نجات المؤمنين قال هذه القراءة أحب إلي لأن  
المصاحف كلها كتبت بنون واحدة وهكذا رأيت في مصحف الإمام عثمان رضي الله  
عنه وقرأ الباقون \* (نجي المؤمنين) \* بنونين  
سورة الأنبياء ٨٩ - ٩١  
قوله عز وجل \* (وزكريا) \* يعني واذكر زكريا \* (إذ نادى ربه) \* يعني إذ دعا ربه "

رب

لا تذرني فردا) يعني وحيدا لا وارث لي \* (وأنت خير الوارثين) \* يعني أفضل الوارثين  
قال الله عز وجل \* (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) \* يعني رحم امرأته  
وكانت عقيما لم تلد قط سيئة الخلق فأصلحها الله تعالى \* (إنهم كانوا يسارعون في  
الخيرات) \* يعني يبادرون في الطاعات يعني زكريا وامرأته ويحيى عليهما السلام ويقال  
للأنبياء الذين سبق ذكرهم \* (ويدعوننا رغبا ورهبا) \* يعني رغبة فيما عند الله من  
الثواب وهو الجنة \* (ورهبنا) \* أي فزعا من عذاب الله تعالى \* (وكانوا لنا خاشعين) \*  
يعني مطيعين ويقال متواضعين

قوله عز وجل \* (والتي أحصنت فرجها) \* يعني واذكر مريم التي حفظت نفسها من  
الفواحش \* (فنفخنا فيها من روحنا) \* يعني نفخ جبريل عليه السلام في نفسها بأمرنا \*  
(وجعلناها وابنها) \* يعني لمريم وعيسى عليهما السلام \* (أيه) \* يعني عبرة \*  
(للعالمين) \* أي لجميع الخلق ويقال آية ولم يقل آيتين لأن شأنهما واحد الآية فيهما  
بمعنى واحد بغير أب

سورة الأنبياء ٩٢ - ٩٤

قوله عز وجل \* (إن هذه أمتكم أمة واحدة) \* يعني دينكم دين الإسلام دينا واحدا قرأ  
بعضهم \* (أمة واحدة) \* بضم التائين ومعناه إن هذه أمتكم وقد تم الكلام ثم يقول \*  
(أمة) \* يعني هذه أمة واحدة وقرأ العامة بالنصب على معنى التفسير ثم قال \* (وأنا  
ربكم فاعبدون) \* يعني فوحدوني

ثم قال \* (وتقطعوا أمرهم بينهم) \* يعني تفرقوا فيما بينهم وهم اليهود والنصارى \*  
(كل إلينا راجعون) \* في الآخرة فهذا تهديد للذين تفرقوا في الدين  
ثم بين ثواب الذين ثبتوا على الإسلام فقال عز وجل \* (فمن يعمل من الصالحات) \*  
يعني الطاعات \* (وهو مؤمن) \* يعني مصدقا بتوحيد الله عز وجل \* (فلا كفران  
لسعيه) \* يعني لا يجحد ولا ينسى ثواب عمله والكفران مصدر مثل شكران وغفران \*  
(وإننا له كاتبون) \* يعني حافظين مجازين

سورة الأنبياء ٩٥ - ٩٩

قوله عز وجل \* (وحرام على قرية) \* يعني على قرية فيما مضى \* (أهلكناها) \* بالعذاب في الدنيا \* (أنهم لا يرجعون) \* إلى الدنيا قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر " وحرم على قرية " بكسر الحاء وبغير ألف وقرأ الباقر \* (وحرام) \* بنصب الحاء والألف وحرم وحرام بمعنى واحد كقوله حل وحلال وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ \* (وحرم) \* وقال واجب عليهم أن لا يرجع منهم راجع ويقال معناه وحرام على أهل قرية أهلكناها أن يتقبل منهم عمل لأنهم \* (لا يرجعون) \* أي لا يتوبون ويقال \* (لا يرجعون) \* لا زيادة ومعناه حرام عليهم أن يرجعوا

ثم قال عز وجل \* (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) \* قرأ ابن عامر \* (فتحت) \* بالتشديد على معنى المبالغة والتكثير وقرأ الباقر بالتخفيف وقرأ عاصم \* (يأجوج ومأجوج) \* بالهمز والباقر كلاهما بغير همز \* (وهم من كل حدب ينسلون) \* قال مقاتل يعني من كل مكان يخرجون من كل جبل أو أرض أو واد وخروجهم عند قيام الساعة وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه لا يموت واحد منهم إلا ترك من صلبه ألف ذرية فصاعدا وروي قتادة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أنه قال الإنس عشرة أجزاء منهم يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء وجزء واحد سائر الإنس وروي سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي الزبيري عن عبد الله بن مسعود قال يخرج يأجوج ومأجوج بعد الدجال يموجون في الأرض فيفسدون فيها ثم قرأ \* (وهم من كل حدب ينسلون) \* أي يخرجون فيبعث الله تعالى عليهم دابة مثل هذا النغف فتلج في أسماعهم ومناخرهم فيموتون فتنتن الأرض فيرسل الله عز وجل ماء فيطهر الأرض منهم فذلك قوله عز وجل \* (إذا فتحت يأجوج ومأجوج) \* يعني أرسلت كقوله \* (لفتحنا عليهم بركات من السماء) \* [الأعراف: ٩٦] يعني أرسلنا \* (وهم من كل حدب) \* أي من كل أكمة ونشزة من الأرض يخرجون وقال بعضهم يكون خروجهم قبل الدجال والأصح ما روي عن عبد الله بن مسعود

قوله عز وجل \* (واقترب الوعد الحق) \* يعني قيام الساعة \* (فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا) \* يعني يقولون يا ويلنا \* (قد كنا في غفلة) \* يعني في جهل \* (من هذا) \* اليوم ثم ذكروا أن المرسلين كانوا أخبروهم فقالوا \* (بل كنا ظالمين) \* يعني قد أخبرونا فكذبناهم

قوله عز وجل \* (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) \* وروي عن علي بن أبي

طالب رضي الله عنه أنه كان يقرأ حطب جهنم وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ حطب جهنم بالضاد وقراءة العامة \* (حصب) \* بالصاد يعني رميا في جهنم وكل ما يرمى في جهنم فهو حصب ويقال الحصب هو الحطب بلسان الزنجية ومن قرأ حطب أي كل ما يوقد به جهنم ومن قرأ حطب بالضاد معناه ما يهيج به النار \* (أنتم لها واردون) \* أي داخلون

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى قريشا وهم في المسجد مجتمعون وثلاثمائة وستون صنما مصفوفة وصنم كل قوم بحيالهم فقال \* (إنكم وما تعبدون من دون الله) \* يعني من هذه الأصنام في النار ثم انصرف عنهم فشق ذلك عليهم مشقة عظيمة شديدة وأتاهم عبد الله بن الزبيري وكان شاعرا فقال ما لي أراكم بحال لم أركم عليها فقالوا إن محمدا يزعم أنا وما نعبد في النار فقال لو كنت ها هنا لخصمته فقالوا هل لك أن نرسل إليه فقال نعم فبعثوا إليه فاتاهم فقال له ابن الزبيري أرأيت ما قلت لقومك آتفا أخاص لهم أم عام فقال بل عام كل من عبد من دون الله فهو وما عبد في النار قال أرأيت عيسى ابن مريم عليه السلام هذه النصرى تعبده فعيسى والنصارى في النار وهذا عزيز تعبده اليهود فعزير واليهود في النار وهذا حي يقال لهم بنو مليح يعبدون الملائكة عليهم السلام فالملائكة وهم في النار فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجبههم فضج أصحابه وضحكوا فنزل \* (ولما ضرب ابن مريم مثلا) \* ونزل في عيسى وعزير والملائكة \* (إن الذين سبقت لهم منا الحسنی أولئك عنها مبعدون) \* [الأنبياء: ١٠١]

ويقال إن هذه القصة لا تصح لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب وأنطقهم لسانا وأحضرهم جوابا كما وصف نفسه أنا أفصح العرب فلا يجوز أن يسكت على مثل هذا السؤال ولم يكن السؤال لازما ويقال كان سكوته للاستخفاف لأنه سئل سؤالا محالا لأنه قال \* (إنكم وما تعبدون من دون الله) \* ولم يقل ومن تعبدون وما لا يقع على النواطق ومن تقع على النواطق ويقال هذا القول يقال لهم يوم القيامة لأنه قال \* (قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) \* يقال لهم عند ذلك \* (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) \* فإن قيل ما الحكمة في إدخال الأصنام في النار قيل زيادة عقوبة للكفار لأن الأصنام أحجار فيكون الحر فيها أشد ويقال الفائدة في إدخال المعبود النار زيادة ذل وصغار عليهم حيث رأوا معبودهم في النار معهم من غير أن يكون للأصنام عقوبة لأنه لا يجوز التعذيب بذنب غيرهم

ثم قال عز وجل \* (لو كان هؤلاء آلهة) \* يعني الأصنام \* (ما وردوها) \* أي ما دخلوها ومنعوا أنفسهم ومن عبدتهم من النار \* (وكل فيها خالدون) \* يعني العابد والمعبود

سورة الأنبياء ١٠٠ - ١٠٣

" لهم فيها زفير " يعني في النار صوتهم مثل نهيق الحمار \* (وهم فيها لا يسمعون) \* يعني عيسى وعزيرا عليهما السلام في الجنة لا يسمعون زفيرهم ويقال يعني أن أهل النار لا يسمعون في النار الصوت وذلك حين يقال لهم " إخشئوا فيها ولا تكلمون " فصاروا صما بكما عميا

ثم قال عز وجل \* (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) \* يعني الذين وجبت لهم منا الجنة وهم عيسى وعزيرا \* (أولئك عنها مبعدون) \* يعني منجون من النار قوله \* (لا يسمعون حسيها) \* يعني صوت جهنم " وهم فيما " يعني في الجنة \* (اشتتت أنفسهم) \* يعني تمت أنفسهم في الجنة \* (خالدون) \* يعني دائمين \* (لا يحزنهم الفزع الأكبر) \* قال ابن عباس رضي الله عنه يعني النفخة الأخيرة ودليله قوله تعالى \* (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين) \* [النمل: ٨٧] وقال الحسن حين يؤمر بالبعد إلى النار وقال مقاتل إذا ذبح الموت بين الجنة والنار فيأمن أهل الجنة من الموت ويفزع أهل النار فيفزعون حين أيسوا من الموت وقال الكلبي وسعيد بن جبير والضحاك إنه حين وضع الطبق على النار بعد ما أخرج منها من أخرج فيفزعون لذلك فزعا لم يفزعوا لشيء قط وذلك الفزع الأكبر وقال مقاتل وابن شريح حين يذبح الموت على هيئة كبش أملح على الأعراف والفريقان ينظرون فينادى يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت وقال ذو النون المصري هو القطيعة والفراق ويقال إنه الموت لأن أول هول يراه الإنسان من أمر الآخرة هو الموت ويقال الفزع الأكبر عند قوله \* (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) \* [يس: ٥٩] ويقال هذا حين دعوا إلى الحساب ويقال عند الصراط

ثم قال تعالى \* (وتلقاهم الملائكة) \* يعني يوم القيامة لأهل الجنة قال مقاتل يعني الملائكة الذين كتبوا أعمال نبي آدم حين خرجوا من قبورهم فيقولون للمؤمنين \* (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) \* في الجنة وقال الكلبي تتلقاهم الملائكة عند باب الجنة ويبشرونهم بذلك ويقولون \* (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) \* في الدنيا

سورة الأنبياء ١٠٤

قوله عز وجل \* (يوم نطوي السماء) \* يعني واذكر يوم نطوي السماء \* (كطي السجل للكتب) \* قال السدي السجل ملك موكل بالصحف فإذا مات الإنسان رفع كتابه إلى السجل فطواه ويقال السجل الصحيفة ويقال السجل الكاتب

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس قال السجل كان كاتب النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الله عز وجل أنه يطوي السماء يوم القيامة كما يطوي السجل الكتاب قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص \* (للكتب) \* بلفظ الجماعة وقرأ الباقون " للكتاب " بلفظ الوجدان وقرأ أبو حفص المدني " تطوى السماء " بالتاء والضم علي فعل ما لم يسم فاعله وقراءة العامة \* (نطوي السماء) \* بالنون والنصب وقرأ بعضهم \* (السجل) \* بجزم الجيم والتخفيف وقراءة العامة بكسر الجيم والتشديد

ثم استأنف الكلام فقال تعالى \* (كما بدأنا أول خلق نعيده) \* يعني كما خلقهم في الدنيا يعيدهم في الآخرة ويقال كما بدأناهم شقياً وسعيداً في الدنيا فكذلك يكونون في الآخرة ويقال كما بدأنا أول خلق من نطفة في الدنيا نعيده أي تمطر السماء أربعين يوماً كمني الرجل فينبتون فيه \* (وعدا علينا) \* يعني وعدنا البعث صدقاً وحقاً لا خلف فيه كقوله \* (لا ريب فيها) \* [السجدة: ٢] \* (وعدا) \* صار نصيباً للمصدر \* (إنا كنا فاعلين) \* بهم أي باعثن بعد الموت وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إنكم تحشرون يوم القيامة عراة حفاة عزلاً بهما ثم قال \* (كما بدأنا أول خلق نعيده) \*

سورة الأنبياء ١٠٥ - ١١٢

ثم قال عز وجل \* (ولقد كتبنا في الزبور) \* يعني في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وكل كتاب زبور \* (من بعد الذكر) \* يعني من بعد اللوح المحفوظ ويقال الذكر التوراة يعني كتبنا في الإنجيل والزبور والفرقان من بعد التوراة أي بينا في هذه الكتب \* (إن الأرض)

يعني أرض الجنة \* (يرثها عبادي الصالحون) \* يعني ينزلها عبادي المؤمنون وهذا قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير ومقاتل رضي الله عنه ويقال إن \* (الأرض) \* يعني الأرض المقدسة \* (يرثها) \* أي ينزلها بنو إسرائيل ويقال يعني أرض الشام يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويقال جميع الأرض تكون في آخر الزمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم سيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها قوله عز وجل \* (إن في هذا) \* القرآن \* (لبلاغاً) \* إلى الجنة \* (لقوم عابدين) \* أي موحدين ويقال في القرآن لبلاغاً بلغهم من الله عز وجل لقوم مطيعين وعن كعب أنه قال إنهم أهل الصلوات الخمس

قوله عز وجل \* (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) \* يعني وما بعثناك يا محمد إلا رحمة للعالمين يعني نعمة للجن والإنس ويقال \* (للعالمين) \* أي لجميع الخلق لأن الناس كانوا ثلاث أصناف مؤمن وكافر ومنافق وكان رحمة للمؤمنين حيث هداهم طريق الجنة ورحمة للمنافقين حيث أمنوا القتل ورحمة للكافرين بتأخير العذاب وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال من آمن بالله ورسوله فله الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي أن يصيبه ما كان يصيب الأمم قبل ذلك فهو رحمة للمؤمنين والكافرين وذكر في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام يقول الله عز وجل \* (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) \* فهل أصابك من هذه الرحمة قال نعم أصابني من هذه الرحمة أني كنت أخشى عاقبة الأمر فأمنت بك لثناء أثنى الله تعالى علي بقوله عز وجل \* (ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) \* [التكوير: ٢٠]

قوله عز وجل \* (قل إنما يوحى إلي أنما ألهمك إله واحد) \* أي ربكم رب واحد \* (فهل أنتم مسلمون) \* أي مخلصون بالتوحيد ويقال مخلصون بالعبادة اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الأمر يعني أسلموا ثم قال \* (فإن تولوا) \* يعني فإن أعرضوا عن الإيمان \* (فقل آذنتكم) \* يعني أعلمتكم \* (على سواء) \* أي على بيان علانية غير سر ويقال أعلمتكم بالوحي الذي يوحى إلي لنستوي في الإيمان به ويقال معناه أعلمتكم فقد صرت أنا وأنتم على سواء وهذا من الاختصار

ثم قال \* (وإن أدري) \* يعني وما أدري \* (أقريب أم بعيد ما توعدون) \* من نزول العذاب بكم في الدنيا فقل لهم \* (إنه يعلم الجهر من القول) \* يعني العلانية من القول \* (ويعلم ما تكتمون) \* يعني ما تسرون من التكذيب بالعذاب ثم قال عز وجل \* (وإن أدري) \* يعني وما أدري \* (لعله فتنة لكم) \* يعني لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا فتنة لكم لأنهم كانوا يقولون لو كان حقاً لنزل بنا العذاب ومتاع





إلى حين) أي بلاغ إلى منتهى آجالكم يعني تعيشون إلى الموت  
قوله عز وجل \* (قال رب احكم بالحق) \* يعني إقض بيني وبين أهل مكة بالعدل ويقال  
بالعذاب \* (وربنا الرحمن) \* أي العاطف على خلقه بالرزق \* (المستعان على ما  
تصفون) \* يعني أستعين به على ما تقولون وتكذبون ويقال المطلوب منه العون والنصرة  
وروي عن الضحاك أنه قرأ " قل رب أحكم بالحق " على معنى الخبر على ميزان أفعل  
يعني هو أحكم الحاكمين قال لأنه لا يجوز أن يسأل أن يحكم بالحق وهو لا يحكم  
إلا بالحق وقراءة العامة " قل رب أحكم " على معنى السؤال معناه أحكم  
بحكمك ثم يخبر عن ذلك الحكم أنه حق قرأ عاصم في رواية حفص \* (قال رب  
احكم) \* على معنى الحكاية وقرأ الباقون " قل رب أحكم " وقرأ ابن عامر في إحدى  
الروايتين " على ما يصفون " بالياء بلفظ المغايبه وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة  
وقرأ حمزة \* (الزبور) \* بضم الزاي وقرأ الباقون \* (الزبور) \* بالنصب والله أعلم وصلى  
الله على سيدنا محمد النبي المختار وعلى آله وصحابه الأطهار

سورة الحج مكية وهي سبعون وخمس آيات مكية وثلاث آيات مدنية

سورة الحج ١ - ٢

قول الله سبحانه وتعالى \* (يا أيها الناس اتقوا ربكم) \* يقول أطيعوا ربكم ويقال إخشوا ربكم \* (إن زلزلة الساعة) \* يعني قيام الساعة " شيء عظيم " يقول هولها عظيم والزلزلة والزلال شدة الحركة على الحال الهائلة من قولهم زلت قدمه إذا زالت عن الجهة سرعة

ثم وصف ذلك اليوم فقال \* (يوم ترونها تذهل) \* أي تشتغل \* (كل مرضعة عما أرضعت) \* يعني ذات ولد رضيع ويقال تحير كل والدة عن ولدها \* (وتضع كل ذات حمل حملها) \* أي تسقط ولدها من هول ذلك اليوم

وروى منصور عن إبراهيم عن علقمة " إن زلزلة الساعة شيء عظيم " قال هذا بين يدي الساعة وقال مقاتل وذلك قبل النفخة الأولى ينادي ملك من السماء يا أيها الناس أتى أمر الله فيسمع الصوت أهل الأرض جميعا فيفزعون فزعا شديدا ويموج بعضهم في بعض فيشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتضع الحوامل ما في بطونها وتزلزلت الأرض وطارت القلوب وعن سعيد بن جبير أنه قال إنما هو عند النفخة الأولى التي هي الفزع الأكبر ويقال هو يوم القيامة

وقال حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم قال حدثنا الدبيلي قال حدثنا أبو عبيد الله قال حدثنا سفيان عن علي بن زيد بن جدعان قال سمعت الحسن يقول حدثنا عمران بن الحصين قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فنزلت عليه هذه " يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله عز وجل لآدم عليه السلام قم فابعث بعث أهل الجنة قال فيقول آدم وما بعث أهل الجنة يقول من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون في النار وواحد في الجنة قال فأنشأ القوم فيقول فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه لم يكن نبي

قط إلا كانت قبله جاهلية فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن لم يكن كمل العدد من الجاهلية أخذ من المنافقين وما مثلكم في الأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع وكالشامة في جنب البعير ثم قال عليه الصلاة والسلام إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال إن معكم الخليقتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن مات من كفر الجنة والإنس

وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى لآدم قم فابعث أهل النار فقال يا رب وما بعث أهل النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فعند ذلك يشيب الصغير وتضع الحامل ما في بطنها ويقال هذا علي وجه المثل لأن يوم القيامة لا يكون فيه حامل ولا صغير ولكنه بين هول ذلك اليوم أنه لو كان حاملاً لوضعت حملها من شدة ذلك اليوم

ثم قال عز وجل \* (وترى الناس سكارى) \* من الهول أي كالسكارى \* (وما هم بسكارى) \* يعني وما هم بسكارى من الشراب \* (ولكن عذاب الله شديد) \* قرأ حمزة والكسائي " وترى الناس سكرى وما هم بسكرى " بغير ألف وقرأ الباقون \* (سكارى وما هم بسكارى) \* كلاهما بالألف وروي عن ابن مسعود وحذيفة رضي الله عنهما أنهما قرآ " سكرى " وهو إختيار أبي عبيدة وروي عن أبي زرعة أنه قرأ على الربيع بن خثيم \* (وترى) \* بضم التاء وقراءة العامة بالنصب  
سورة الحج ٣ - ٦  
قوله عز وجل \* (ومن الناس من يجادل في الله) \* يعني يخاصم في الله يعني في

وحدانيته ويقال في دين الله \* (بغير علم) \* يعني بغير حجة ويقال \* (بغير علم) \*  
يعلمه وهو النضر بن الحارث وأصحابه \* (ويتبع كل شيطان مرید) \* يعني يطيع ويعمل  
بأمر كل \* (شيطان مرید) \* متمرد في معصية الله عز وجل ويقال معناه ويتبع ما سول  
له الشيطان والمرید الفاسد يقال مرد الشيء إذا بلغ في الشر غايته ويقال مرد الشيء إذا  
جاوز حد مثله

ثم قال عز وجل \* (كتب عليه) \* أي قضي عليه يعني الشيطان \* (أنه من تولاه) \* يعني  
من تبع الشيطان \* (فإنه يضلّه) \* عن الهدى \* (ويهديه) \* أي يدعوه \* (إلى عذاب  
السعير) \* أي إلى عمل عذاب النار

قوله عز وجل \* (يا أيها الناس) \* يعني يا كفار مكة \* (إن كنتم في ريب) \* يعني في  
شك \* (من البعث) \* بعد الموت فانظروا إلى بدء خلقكم \* (فإننا خلقناكم من تراب)  
\* يعني من آدم عليه السلام وآدم من تراب \* (ثم من نطفة ثم من علقه) \* قيل إنما  
نقلناكم من حال إلى حال من خلقه إلى خلقه \* (ثم من مضغة) \* مثل قطعة كبد \*  
(مخلقة) \* أي تامة \* (وغير مخلقة) \* يعني غير تامة وهو السقط ويقال مصورة وغير  
مصورة \* (لنبين لكم) \* بدء خلقكم ويقال يخرج السقط من بطن أمه مصورا أو غير  
مصور \* (لنبين لكم) \* بدء خلقكم كيف نخلقكم في بطون أمهاتكم ويقال \* (لنبين  
لكم) \* في القرآن أنكم كنتم كذلك \* (ونقر في الأرحام ما نشاء) \* فلا يكون سقطا  
\* (إلى أجل مسمى) \* يعني إلى وقت خروجه من بطن أمه ويقال إلى وقت معلوم  
لتسعة أشهر \* (ثم نخرجكم طفلا) \* من بطون أمهاتكم أطفالا صغارا وقال القتيبي لم  
يقل أطفالا لأنهم لم يخرجوا من أم واحدة ولكنه أخرجهم من أمهات شتى فكأنه قال  
يخرجكم طفلا طفلا

\* (ثم لتبلغوا أشدكم) \* يعني ثمانية عشر سنة إلى ثلاثين سنة ويقال إلى ست وثلاثين  
سنة والأشد هو الكمال في القوة والخير \* (ومنكم من يتوفى) \* يعني من قبل أن  
يبلغ أشده \* (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) \* يعني أضعف العمر وهو الهرم ويقال  
يعني يرجع إلى أسفل العمر يعني يذهب عقله \* (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) \* يعني  
لكيلا يعقل بعد عقله الأول

ثم دلهم على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض فقال تعالى \* (وترى الأرض هامدة) \* يعني  
ميتة يابسة جافة ذات تراب \* (فإذا أنزلنا عليها الماء) \* يعني المطر \* (اهتزت) \* يعني  
تحركت بالنبات كقوله عز وجل \* (فلما رآها تهتز) \* [النمل: ١٠] يعني تتحرك  
ويقال \* (اهتزت) \* أي استبشرت \* (وربت) \* يعني إنتفخت بالنبات وأصله من ربا  
يربو وهو الزيادة \* (وأنبئت من كل زوج) \* يعني من كل صنف من ألوان النبات \*  
(بهيج) \* أي حسنا



ييهج به فدلهم للبعث بإحياء الأرض ليعتبروا ويعلموا بأن الله هو الحق وعبادته هي الحق وغيره من الآلهة باطل " ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير " أي قادر على كل شيء من البعث وغيره

سورة الحج ٧ - ١٠

قوله عز وجل \* (وأن الساعة آتية) \* أي تعلموا أن الساعة \* (أتيه) \* أي كائنة أي جائية \* (لا ريب فيها) \* أي لا شك فيها عند المؤمنين وعند كل من له عقل وذهن \* (وأن الله يبعث من في القبور) \*

قوله عز وجل \* (ومن الناس من يجادل في الله) \* يعني يخاصم في دين الله عز وجل \* (بغير علم) \* أي بلا بيان وحجة \* (ولا هدى) \* يعني ولا دليل واضح من المعقول \* (ولا كتاب منير) \* يعني ولا كتاب منزل مضيء فيه حجة \* (ثاني عطفه) \* يعني لاويا عنقه عن الإيمان وهو على وجه الكناية ومعناه يجادل في الله بغير علم متكبرا ويقال \* (ثاني عطفه) \* يعني معرضا عن طاعة ربه \* (ليضل عن سبيل الله) \* قرأ ابن كثير وأبو عمرو \* (ليضل) \* بنصب الياء يعني ليعرض عن دين الله عز وجل وقرأ الباقون بالضم يعني ليصرف الناس عن دين الإسلام

قال الله تعالى \* (له في الدنيا خزي) \* يعني النضر بن الحارث قتل يوم بدر صبورا \* (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) \* يعني عذاب النار فأخبر الله تعالى أن ما أصابه في الدنيا من الخزي لم يكن كفارة لذنوبه

ثم قال عز وجل \* (ذلك) \* يعني ذلك العذاب أي يقال له يوم القيامة هذا العذاب \* (بما قدمت يداك) \* يعني بما عملت يداك وذكر اليمين كناية يعني ذلك العذاب لكفرك وتكذيبك \* (وأن الله ليس بظلام للعبيد) \* يعني لا يعذب أحدا بغير ذنب

سورة الحج ١١

قوله عز وجل \* (ومن الناس من يعبد الله على حرف) \* أي على شك وعلى وجه الرياء ولا يريد به وجه الله تعالى ويقال على شك والعرب تقول أنت على حرف أي على شك ويقال \* (على حرف) \* بلسانه دون قلبه وروي عن الحسن أنه قال \* (يعبد الله على حرف) \* أي على إيمان ظاهر وكفر باطن ويقال \* (على حرف) \* أي على انتظار الرزق وهذه

الآية مدنية نزلت في أناس من بني أسد أصابتهم شدة شديدة فاحتملوا العيال حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغلوا الأسعار بالمدينة  
\* (فإن أصابه خير اطمأن به) \* يعني إن أصابه سعة وغنيمة وخصب اطمأن به وقال نعم الدين دين محمد صلى الله عليه وسلم \* (وإن أصابته فتنة) \* أي بلية وضيق في المعيشة \* (انقلب على وجهه) \* أي رجع إلى كفره الأول وقال بئس الدين دين محمد صلى الله عليه وسلم \* (خسر الدنيا والآخرة) \* أي غبن الدنيا والآخرة في الدنيا بذهاب ماله وفي الآخرة بذهاب ثوابه ويقال \* (خسر الدنيا والآخرة) \* لأنه لم يدرك ما طلب من المال وفي الآخرة بذهاب الجنة وروي عن حميد أنه كان يقرأ \* (خاسر) \* بالألف وقراءة العامة \* (خسر) \* بغير ألف \* (ذلك هو الخسران المبين) \* يعني الظاهر البين  
سورة الحج ١٢ - ١٥

قوله عز وجل " يدعوا من دون الله " يعني يعبد من دون الله \* (ما لا يضره) \* إن لم يعبده يعني الصنم \* (وما لا ينفعه) \* إن عبده \* (ذلك هو الضلال البعيد) \* يعني الخطأ البين ويقال في خطأ طويل بعيد عن الحق " يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه " يعني لمن إثمه وعقوبته أكثر من ثوابه ومنفعته ويقال ضره في الآخرة أكثر من نفعه في الدنيا فإن قيل لم يكن في عبادته نفع البتة فكيف يقال من نفعه ولا نفع له قيل له إنما قال هذا على عاداتهم وهم يقولون لشيء لا منفعة فيه ضره أكثر من نفعه كما يقولون لشيء لا يكون هذا بعيد كما قالوا " إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد " [ق: ٣]  
ثم قال تعالى \* (لبئس المولى) \* يعني بئس الصاحب \* (ولبئس العشير) \* يعني بئس الخليط ويقال معناه من كانت عبادته عقوبة عليه فبئس المعبود هو  
ثم ذكر ما أعد الله تعالى لأهل الصلاح والإيمان فقال عز وجل \* (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد) \* يعني يحكم في خلقه ما يشاء من السعادة والشقاوة  
قوله تعالى \* (من كان يظن أن لن ينصره الله) \* الهاء كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز في اللغة الإضمار في الكناية وإن لم تكن مذكورة إذا كان الأمر ظاهراً كقوله تعالى \* (ما ترك على ظهرها من دابة) \* [فاطر: ٤٥] يعني على ظهر الأرض وكقوله عز وجل " حتى توارت



بالحجاب) [ص: ٣٢] يعني الشمس ومعناه من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالغلبة والحجة\* (في الدنيا و) \* الشفاعة في\* (الآخرة) \* \* (فليمدد بسبب إلى السماء) \* يعني فليربط بحبل من سقف البيت لأن كل ما علاك فهو سماء\* (ثم ليقطع) \* يعني ليختنق\* (فلينظر هل يذهبن كيده) \* أي إختناقه\* (ما يغيظ) \* معناه هل ينفعه ذلك قال ابن عباس نزلت الآية في نفر من أسد وغطفان فقالوا نخاف أن لن ينصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم فيقطع ما بيننا وبين حلفائنا من المودة يعني اليهود وقال القتيبي كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطنون ما وعد لهم من النصره وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يتم لهم أمره فنزل\* (من كان يظن أن لن ينصره الله) \* يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بعدما سمعوا منه النصره والإظهار ولكن كلام العرب على وجه الاختصار يعني إن لم تثق بما أقول لك فاذهب فاختنق أو اجتهد جهدك قال وفيه وجه آخر وهو أن يكون ها هنا السماء بعينها لا السقف فكأنه قال " فليمدد بسبب إليها " أي بحبل وليرتق فيه ثم ليقطع الحبل حتى يخرب فيهلك فلينظر هل ينفعه كقوله عز وجل\* (وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء) \* [الأنعام: ٣٥] وقال أبو عبيدة\* (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) \* يعني أن لن يرزقه الله وذهب إلى قول العرب أرض منصوره أي ممطورة فكأنه قال من كان قانظا من رزق الله ورحمته فليفعل ذلك\* (فلينظر هل يذهبن كيده) \* أي حيلته ما يغيظ أي غيظه لتأخير الرزق عنه وقال الزجاج\* (من كان يظن أن لن ينصره الله) \* يعني محمدا صلى الله عليه وسلم حتى يظهره الله على الدين كله فليمت غيظا

سورة الحج ١٦ - ١٧

ثم قال عز وجل " وكذلك أنزلناه " أي جبريل عليه السلام بالقرآن\* (آيات بينات) \* يعني واضحات بالحلال والحرام\* (وأن الله يهدي من يريد) \* يعني يرشد إلى دينه من كان أهلا لذلك فيوفقه لذلك وهذا كقوله " والله يدعوا إلى دار السلام " [يونس: ٢٥] قوله عز وجل\* (إن الذين آمنوا) \* يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن كان مثل حالهم\* (والذين هادوا) \* يعني مالوا عن الإسلام يعني اليهود\* (والصابئين) \* وقد ذكرناه من قبل\* (والنصارى) \* وقد ذكرناه من قبل\* (والمجوس) \* يعني عبدة النيران\* (والذين أشركوا) \* يعني عبدة الأوثان والأديان ستة فواحد لله تعالى والخمسة للشيطان\* (إن الله يفصل بينهم) \* يعني يقضي ويحكم بينهم\* (يوم القيامة) \* بين هذه الأديان الستة وقال بعضهم إن الفاء

مضمرة في الكلام ومعناه فإن الله يفصل بينهم على معنى جواب الشرط ويقال جوابه في قوله \* (فالذين كفروا) \* ثم قال " إن الله على كل شيء شهيد " من أعمالهم سورة الحج ١٨

ثم قال عز وجل \* (ألم تر) \* يعني ألم تعلم ويقال ألسنت تعلم ويقال ألم تخبر في الكتاب \* (أن الله يسجد له من في السماوات) \* من الملائكة \* (ومن في الأرض) \* من الخلق \* (والشمس والقمر والنجوم والجبال) \* قال مقاتل سجود هؤلاء حين تغرب الشمس تحت العرش ويقال سجودها دورانها " و " سجود \* (الشجر والدواب) \* إذا تحول ظل كل شيء فهو سجوده

\* (وكثير من الناس) \* أي المؤمنين \* (وكثير حق عليه العذاب) \* أي وجب عليه العذاب بترك سجودهم في الدنيا ويقال \* (وكثير حق عليه العذاب) \* سجودهم ظلهم ويقال يسجد أي يخضع وفيه آية الخلق فهو سجودهم \* (ومن يهن الله فما له من مكرم) \* يعني من قضى الله عز وجل عليه بالشقاوة فما له من مسعد \* (إن الله يفعل ما يشاء) \* يعني يحكم ما يشاء في خلقه من الإهانة والإكرام

سورة الحج ١٩ - ٢٢

قوله عز وجل \* (هذان خصمان) \* يعني أهل دينين \* (اختصموا في ربهم) \* يعني احتجوا في دين ربهم قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه نزلت هذه الآية في الذين بارزوا يوم بدر يعني حمزة وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث من المؤمنين رضي الله عنهم وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة من المشركين يعني أن المؤمنين يخاصمون الكفار ويجاهدونهم ويقاتلونهم

ثم بين مصير كلا الفريقين بقوله \* (فالذين كفروا) \* وقال مجاهد \* (هذان خصمان) \* يعني المؤمن والكافر اختصما في البعث فالكافر \* (قطعت) \* له \* (ثياب من نار) \* والمؤمن يدخله \* (جنات تجري من تحتها الأنهار) \* وقال عكرمة \* (هذان خصمان اختصموا) \* أي إختصمت الجنة والنار فقالت الجنة خلقت للرحمة وقالت النار خلقت للعذاب

وروي عن ابن عباس أنه قال \* (هذان خصمان) \* وذلك أن اليهود قالوا كتابنا أسبق

ونبينا أفضل وقالت النصرارى نبينا كان يحيى الموتى وهو أفضل من نبيكم فنحن أولى بالله وقال المؤمنون نحن آمننا بالله وبجميع الأنبياء عليهم السلام وبجميع الكتب وأنتم كفرتم ببعض الرسل وبعض الكتب فديننا أولى من دينكم فنزل \* (هذان خصمان) \* الآية وقال \* (هذان خصمان اختصموا) \* ولم يقل اختصما لأن كل واحد من الخصمين جمع قرأ ابن كثير \* (هذان) \* بتشديد النون وقرأ الباقون بالتخفيف وفي الآية دليل أن الكفر كله ملة واحدة لأنه ذكر ستة أصناف من الأديان ثم قال \* (هذان) \* ثم بين مصير كلا الفريقين فقال \* (فالذين كفروا) \* أي جحدوا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم \* (قطعت لهم ثياب من نار) \* يعني هيئت لهم قمص من نار ويقال نحاس \* (يصب من فوق رؤوسهم الحميم) \* قال مقاتل يضرب الملك رأسه بالمقمع فيثقب رأسه ثم يصب فيه الحميم الذي قد إنتهى حره \* (يصهر) \* به يعني يذاب به \* (ما في بطونهم والجلود) \* يعني تنضج الجلود فتسلخ \* (ولهم مقامع من حديد) \* يضرب بها هامتهم \* (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) \* يعني من الغم والشدة التي أدركته ضرب بمقمعة من حديد فيهوي بها كذلك فذلك قوله \* (أعيدوا فيها) \* أي ردوا إليها \* (وذوقوا عذاب الحريق) \* أي المحرق يعني يقال لهم ذوقوا عذاب النار وهذا الجزاء لأحد الخصمين

سورة الحج ٢٣ - ٢٤

ثم بين جزاء الخصم الآخر فقال عز وجل \* (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها) \* يعني يلبسون في الجنة \* (من أساور) \* يعني أقلبة \* (من ذهب ولؤلؤا) \* قرأ نافع وعاصم في رواية حفص \* (ولؤلؤا) \* بالهمز والنصب وقرأ عاصم في رواية أبي بكر هكذا إلا أنه لم يهمز الواو الأولى وقرأ الباقون بالهمز والكسر فمن قرأ بالكسر فلأجل من ومن قرأ بالنصب فمعناه يحلون لؤلؤا نصب لوقوع الفعل عليه وهو إختيار أبي عبيد ثم قال \* (ولباسهم فيها حرير) \* أي في الجنة قوله عز وجل \* (وهدوا إلى الطيب من القول) \* يعني أرشدوا ويقال دعوا إلى قول التوحيد لا إله إلا الله ويقال إلى القرآن \* (وهدوا إلى صراط الحميد) \* يعني المحمود في أفعاله وهو دين الإسلام

سورة الحج ٢٥

ثم قال عز وجل \* (إن الذين كفروا) \* يعني أهل مكة \* (ويصدون عن سبيل الله) \*  
يعني صرفوا الناس عن دين الإسلام \* (والمسجد الحرام) \* يعني وعن المسجد الحرام  
وهذه الآية مدنية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج مع أصحابه من الحديبية  
منعهم المشركون عن المسجد الحرام

ثم وصف المسجد الحرام فقال \* (الذي جعلناه للناس سواء) \* يعني عاما للمؤمنين  
جميعا \* (العاكف فيه والباد) \* يعني سواء أهلها المقيم في الحرم ومن دخل مكة من  
غير أهله ومعناه المقيم والغريب فيه سواء ويقال في تعظيمه وحرمة ويقال \* (المسجد  
الحرام) \* أراد به جميع الحرم المقيم وغيره في حق النزول سواء وقال عمر رضي الله  
عنه يا أهل مكة لا تتخذوا لدوركم أبوابا لينزل البادي حيث يشاء ولهذا قال أبو حنيفة  
رحمه الله إن بيع دور مكة لا يجوز وفي إحدى الروايتين يجوز وهذا قول أبي يوسف  
والأول قول محمد رحمه الله قرأ عاصم في رواية حفص \* (سواء) \* بالنصب يعني  
جعلناه سواء وقرأ الباقون \* (سواء) \* بالضم على معنى الابتداء

ثم قال \* (ومن يرد فيه بالحاد) \* وهو الظلم والميل عن الحق ويقال أصله ومن يرد فيه  
إلحادا فزيد فيه الباء كما قال \* (تنبت بالدهن) \* [المؤمنون: ٢٣] ويقال من اشترى  
الطعام بمكة للإحتكار فقد ألحد ثم قال \* (بظلم) \* يعني بشرك أو بقتل \* (نذقه من  
عذاب أليم) \* قال الزجاج الإلحاد في اللغة العدول عن القصد وقال مقاتل نزلت الآية  
في عبد الله بن أنيس بن حطل القرشي وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلين  
أحدهما مهاجري والآخر أنصاري فافتخرا في الأنساب فغضب عبد الله بن أنيس فقتل  
الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام وهرب إلى مكة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح  
مكة بقتله فقتل قرأ أبو عمرو " والبادي " بالياء عند الوصل وكذلك نافع في رواية ورش  
وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر بغير ياء في الوصل والقطع وقرأ ابن كثير بالياء في  
الوصل والقطع وهو الأصل في اللغة ومن أسقطه لأن الكسر يدل عليه  
سورة الحج ٢٦ - ٢٧

قوله عز وجل \* (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) \* قال مقاتل يعني دللنا لإبراهيم موضع البيت فبناه مع إسماعيل عليهما السلام ولم يكن له أثر ولا أساس للبيت لأن البيت كان أيام الطوفان مرفوعا قد رفعه الله إلى السماء وهو البيت المعمور وقال الكلبي \* (وإذ بوأنا لإبراهيم) \* يعني جعلنا لإبراهيم مكان البيت أي موضع البيت جعله الله منزلا لإبراهيم بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت فيها رأس يتكلم فيقول يا إبراهيم ابن علي قدري وحيالي فأسس عليها البيت وذهبت السحابة ثم بناه حتى فرغ منه فأوحى الله تعالى إليه \* (أن لا تشرك بي شيئا) \* وقال أبو قلابة بناه من خمسة أجبل حراء وثبير وطور سينا ولبنان وجبل أحد وقال الزجاج \* (وإذ بوأنا) \* أي جعلنا مكان البيت مبعوثاً لإبراهيم والمبعوث المنزل يعني أن الله تعالى علم إبراهيم عليه السلام مكان البيت فبناه على أسسه القديم وكان البيت قد رفع إلى السماء قال ويروى أن البيت الأول كان من ياقوتة حمراء

وروي عن ابن عباس أنه قال رفع السماء إلى السادسة يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك وهو بحيال الكعبة

ثم قال \* (وطهر بيتي) \* يعني أوحى الله تعالى إلى إبراهيم أن طهر بيتي من النجاسات ومن عبادة الأوثان \* (للطائفين) \* يعني لأجل الطائفين بالبيت من غير أهل مكة \* (والقائمين) \* يعني المقيمين من أهل مكة \* (والركع السجود) \* يعني أهل الصلاة بالآفاق من كل وجه

ثم قال الله عز وجل \* (وأذن في الناس بالحج) \* يعني ناد في الناس وذلك أن إبراهيم صلوات الله عليه لما فرغ من بناء الكعبة أمره الله تعالى أن ينادي فصعد إبراهيم على أبي قبيس ونادى يا أيها الناس أجيئوا ربكم إن الله تعالى قد بنى بيتا وأمركم بأن تحجوه فحجوه وقال مجاهد فقام إبراهيم على المقام فنادى بصوت أسمع من بين المشرق والمغرب يا أيها الناس أجيئوا ربكم فأجابوه من أصلاب الرجال لبيك لبيك قال وإنما يحج من أجاب إبراهيم يومئذ ويقال التلبية اليوم جواب الله عز وجل من نداء إبراهيم عن أمر ربه فذلك قوله \* (يأتوك رجالا) \* يعني على أرجلهم مشاة \* (وعلى كل ضامر) \* يعني على الإبل وغيرها فلا يدخل بعيره ولا غيره الحرم إلا وقد ضم من طول الطريق

\* (يأتين من كل فج عميق) \* من نواحي الأرض \* (عميق) \* يعني بعيد وقال مجاهد الفج الطريق والعميق البعيد وقال إن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حججا ماشيين وقال ابن عباس ما آسى على شيء إلا أنني وددت أنني كنت حججت ماشيا لأن الله تعالى قال \* (يأتوك رجالا وعلى كل ضامر) \*

قال الفقيه أبو الليث هذا إذا كان بيته قريبا من مكة فإذا حج ماشيا فهو أحسن وأما إذا كان بيته بعيدا فالركوب أفضل وروي عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال الراكب أفضل لأن في المشي يتعب نفسه ويسوء خلقه وإن كان الرجل يأمن على نفسه أن يصبر

فالمشي

(٤٥٦)

أفضل لأنه روي في الخبر أن الملائكة عليهم السلام تتلقى الحاج فيسلمون على أصحاب المحامل ويصافحون أصحاب البعير والبغال والحمير ويعانقون المشاة

سورة الحج ٢٨ - ٢٩

ثم قال عز وجل \* (ليشهدوا منافع لهم) \* يعني الأجر في الآخرة في مناسكهم ويقال وليحضروا مناكرهم وقضاء مناسكهم \* (ويذكروا اسم الله) \* يعني ولكي يذكروا الله \* (في أيام معلومات) \* يعني يوم النحر ويومين بعده وقال مجاهد وقتادة المعلومات أيام العشر والمعدودات أيام التشريق وقال سعيد بن جبير كلاهما أيام التشريق ويقال المعلومات أيام النحر والمعدودات أيام التشريق وهو طريق الفقهاء وأشبهه بتأويل الكتاب لأنه ذكر في أيام معلومات الذبح وذكر في أيام معدودات الذكر عند الرمي ورخص بتركه في اليوم الآخر بقوله \* (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه) \* [البقرة: ٢٠٣] ثم قال \* (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) \* يعني ليذكروا اسم الله عند الذبح والنحر \* (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) \* وهو البقر والإبل والغنم ثم قال \* (فكلوا منها) \* يعني من لحوم الأنعام \* (وأطعموا البائس الفقير) \* يعني الضرير والزمين والفقير الذي ليس له شيء وقال الزجاج \* (البائس) \* الذي أصابه البؤس وهو الشدة

قوله عز وجل \* (ثم ليقضوا تفثهم) \* يعني مناسكهم وقال مجاهد التفث حلق الرأس وتقليم الأظفار وروي عن عطاء عن ابن عباس قال التفث الرمي والحلق والتقشير وحلق العانة ونتف الإبط وقص الأظافر والشارب والذبح وروي نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال التفث ما عليه من المناسك وقال الزجاج التفث لا يعرف أهل اللغة ما هو وإنما عرفوا في التفسير وهو الأخذ من الشارب وتقليم الأظافر والأخذ من الشعر كأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال

ثم قال \* (وليوفوا نذورهم) \* يقول من كان عليه نذر في الحج والعمرة مما أوجب على نفسه من هدي أو غيره فإذا نحر يوم النحر فقد أوفى بنذره ثم قال \* (وليطوفوا بالبيت العتيق) \* وهو طواف الزيارة بعدما حلق رأسه أو قصر وقال مقاتل \* (العتيق) \* يعني عتق في الجاهلية من القتل والسبي والجراحات وغيرها وقال الحسن \* (العتيق) \* يعني القديم كما قال \* (إن أول بيت) \* [آل عمران: ٩٦] وقال مجاهد عتيق يعني أعتق من الجبابرة ويقال أعتق من الغرق يوم الطوفان وهذا قول الكلبي وقرأ

حمزة والكسائي وعاصم \* (ثم ليقضوا) \* بجزم اللام وكذلك \* (وليوفوا) \* \*  
(وليطوفوا) \* وقرأ أبو عمرو الثلاثة كلها بالكسر بمعنى لام كي وقرأ ابن كثير بكسر  
اللام الأولى خاصة فمن قرأ بالجزم جعلها أمر الغائب ومن قرأ بالكسر جعله خبراً عطفاً  
على قوله \* (ليذكروا) \* وقرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (وليوفوا) \* بنصب الواو  
وتشديد الفاء وقرأ الباقون بالتخفيف من أوفى يوفى والأول من وفى يوفى ومعناهما  
واحد

سورة الحج ٣٠ - ٣١

ثم قال عز وجل \* (ذلك) \* يعني هذا الذي ذكر من أمور المناسك ثم قال \* (ومن  
يعظم حرمة الله) \* يعني أمر المناسك كلها \* (فهو خير له عند ربه) \* يعني أعظم  
لأجره \* (وأحلت لكم الأنعام) \* يعني الإبل والبقر والغنم وغيره \* (إلا ما يتلى عليكم)  
\* في التحريم في سورة المائدة \* (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) \* يعني اتركوا عبادة  
الأوثان \* (واجتنبوا) \* يعني اتركوا \* (قول الزور) \* يعني الكذب وهو قولهم هذا  
حلال وهذا حرام ويقال معناه اتركوا الشرك ويقال اتركوا شهادة الزور  
ثم قال عز وجل \* (حنفاء لله) \* يعني مخلصين بالتلبية لله تعالى لأن أهل الجاهلية  
كانوا يقولون في تليبتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ويقال  
إن هذا القول بالزور الذي أمرهم باجتنابه

ثم قال \* (غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء) \* أي وقع من  
السماء \* (فتخطفه الطير) \* يعني تختلسه الطير \* (أو تهوي به الريح) \* يعني تذهب به  
الريح \* (في مكان سحيق) \* أي بعيد فكذلك الكافر في البعد من الله عز وجل ويقال  
معناه \* (من يشرك بالله) \* فقد ذهب أصله وقال الزجاج الخطف هو أخذ الشيء  
بسرعة فهذا مثل ضربه الله عز وجل للكافرين في بعدهم من الحق فأخبر أن بعد من  
أشرك من الحق كبعد من خر من السماء فذهبت به الطير وهوت به الريح في مكان \*  
(سحيق) \* يعني بعيد قرأ نافع \* (فتخطفه الطير) \* بنصب الخاء والتشديد وقرأ الباقون  
بالجزم والتخفيف من خطف ومن قرأ بالتشديد فلأن أصله فتخطفه فأدغم التاء في الطاء  
وألقت حركة التاء على الخاء  
سورة الحج ٣٢ - ٣٥



ثم قال عز وجل \* (ذلك) \* يقول هذا الذي أمر من اجتناب الأوثان \* (ومن يعظم شعائر الله) \* يعني البدن فيذبح أعظمها وأسمنها وروي عن ابن عباس أنه قال تعظيمها إستعظامها وأيضا إستسمانها وإستحسانها ثم قال \* (فإنها من تقوى القلوب) \* يعني من إخلاص القلوب ويقال من صفاء القلوب و \* (شعائر الله) \* معالم الله ودينه التي ندب إلى القيام بها وواحدتها شعيرة

قوله عز وجل \* (لكم فيها منافع) \* يعني في البدن وقال مجاهد يعني في ركوبها وشرب ألبانها وأوبارها \* (إلى أجل مسمى) \* يعني إلى أجل مسمى بدنا فمحلها إلى البيت العتيق وروي عن ابن عباس نحو هذا وقد قول بعض الناس إنه يجوز ركوب البدن وقال أهل العراق لا يجوز إلا عند الضرورة ويضمن ما نقصها الركوب وهذا القول أحوط الوجهين \* (ثم محلها) \* يعني منحرها \* (إلى البيت العتيق) \* يعني في الحرم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال جميع فجاج مكة منحرو ثم قال عز وجل \* (ولكل أمة) \* يعني لكل أهل دين ويقال لكل قوم من المؤمنين فيما خلا \* (جعلنا منسكا) \* يعني ذبحا لهراقة دمائهم ويقال مذبحا يذبحون فيه قال الزجاج معناه جعلنا لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله تعالى قرأ حمزة والكسائي \* (منسكا) \* بكسر السين وقرأ الباقون بالنصب فمن قرأ بالكسر يعني مكان النسك

ومن قرأ بالنصب فعلى المصدر وقال أبو عبيد قرائتنا هي بالنصب لفخامتها ثم قال \* (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) \* يعني يذكرون اسم الله تعالى عند الذبح \* (فإلهكم إله واحد) \* أي ربكم رب واحد \* (فله أسلموا) \* أي أخلصوا بالتسمية عند الذبيحة وفي التلبية \* (وبشر المحبتين) \* أي المخلصين بالجنة ويقال المجتهدين في العبادة والسكون فيها قال قتادة المحبتون المتواضعون وقال الزجاج أصله من الخبت من الأرض وهو المكان المنخفض ويقال المنخبت الذي فيه الخصال التي ذكرها الله بعده وهو قوله عز وجل \* (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) \* يعني خافت قلوبهم \* (والصابرين على ما أصابهم) \* من أمر الله من المراري والمصائب \* (والمقيمي الصلاة) \* يعني يقيمونها بمواقيتها \* (ومما رزقناهم ينفقون) \* يعني يتصدقون وينفقون في الطاعة ثم ذكر البدن يعني ينحرون البدن فهذه الخصال الخمسة صفة المحبتين

سورة الحج ٣٦ - ٣٧

قوله عز وجل \* (والبدن جعلناها لكم) \* قرأ بعضهم \* (والبدن) \* بضم الدال وقراءة العامة بسكون الدال والمعنى واحد \* (من شعائر الله) \* يعني جعلنا البدن من مناسك الحج \* (لكم فيها خير) \* أي في نحرها أجر في الآخرة ومنفعة في الدنيا \* (فاذكروا اسم الله عليها صواف) \* يعني قائمة قد صفت قوائمها والآية تدل على أن الإبل تنحر قائمة وروي عن عبد الله بن عمر أنه أمر برجل قد أناخ بعيه لينحره فقال له أنحره قائماً فإنه سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما كانا يقرآن " فاذكروا اسم الله عليها صوافن " والصوافن التي تقوم على ثلاثة قوائم إذا أرادوا نحره تعقل إحدى يديه فهو الصافن وجماعته صوافن وقال مجاهد من قرأ صوافن قال قائمة معقولة من قرأها صواف قال يصف بين يديها وروي عن زيد بن أسلم أنه قرأ " صوافي " بالياء منتصبه ويقال خالصة من الشرك وروي عن الحسن مثله وقال خالصة لله تعالى وهكذا روى عنهما أبو عبيدة وحكى القتيبي عن الحسن أنه كان يقرأ \* (صواف) \* مثل قاض وغاز أي خالصة لله تعالى يعني لا يشرك به في حال التسمية على نحرها

ثم قال \* (فإذا وجبت جنوبها) \* يعني إذا ضربت بجنبها على الأرض بعد نحرها يقال وجب الحائط إذا سقط ووجب القلب إذا تحرك من الفزع ويقال وجب البيع إذا تم \* (فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر) \* " فالقانع " الراضي الذي يقنع بما أعطي وهو السائل \* (والمعتر) \* الذي يتعرض للمسألة ولا يتكلم ويقال \* (القانع) \* المتعفف الذي لا يسأل ويقنع بما أرسلت إليه \* (والمعتر) \* السائل الذي يعتريك للسؤال وقال الزهري السنة أن يأكل الرجل من لحم أضحيته قبل أن يتصدق وروي عن عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليأكل أحدكم من لحم أضحيته وروي منصور عن إبراهيم قال كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين بقوله \* (فكلوا منها) \* فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله والأفضل أن يتصدق بثلثه على المساكين ويعطي ثلثه للجيران والقراة أغنياء كانوا أو فقراء ويمسك ثلثه لنفسه وروي عن ابن مسعود نحو هذا وروي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن \* (القانع والمعتر) \* فقال القانع الذي يقنع بما أعطي والمعتر الذي يعتري بالأبواب وقال أما سمعت قول زهير (على مكثريهم حق من يعتريهم \* وعند المقلين السماحة والبدل)

وقال مجاهد القانع جارك وإن كان غنيا ثم قال \* (كذلك سخرناها لكم) \* أي ذلناها لكم وهي البدن \* (لعلكم تشكرون) \* يعني لكي تشكروا ربكم على هذه النعمة قوله عز وجل \* (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) \* وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحرروا البدن عند زمزم أخذوا دماءها ولطخوا بها حول الكعبة وعلقوا لحومها بالبيت وقالوا اللهم تقبل منا فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فنزل \* (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) \* يعني لن يصل إلى الله عز وجل لحومها ولا دماؤها \* (ولكن يناله التقوى منكم) \* أي يصل إليه التقوى من أعمالكم الزاكية والنية الخالصة قرأ الحضرمي " لن تنال الله " بالتاء لأن لفظ اللحوم مؤنثة ولكن تناله بالتاء لأن لفظ التقوى مؤنث وقراءة العامة بالياء وانصرف إلى المعنى لأن الفعل مقدم ثم قال \* (كذلك سخرها لكم) \* يعني ذللها لكم \* (لتكبروا الله) \* يقول لتعظموا الله عز وجل \* (على ما هداكم) \* يعني أرشدكم لأمر دينه \* (وبشر المحسنين) \* بالجنة فمن فعل ما ذكر في هذه الآيات فهو محسن ويقال المحسن الذي يحسن الذبيحة فيختار بغير عيب

سورة الحج ٣٨ - ٤١

قوله عز وجل \* (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) \* يعني يدفع كفار مكة عن الذين آمنوا فلا ينالون منهم شيئا وقال الزجاج إذا فعلتم هذا وخالفتم أهل الجاهلية فيما يفعلونه في نحرهم وإشراكهم فإن الله يدافع عن حزبه ويقال إن أهل مكة آذوا المسلمين قبل الهجرة فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في قتالهم في السر فنهاهم الله عز وجل عند ذلك

ثم قال عز وجل \* (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) \* يعني يدفع أذاهم عن المسلمين فأمرهم بالصبر قرأ ابن كثير وأبو عمرو " إن الله يدفع " بغير ألف وقرأ الباقون \* (يدافع) \* بالألف من دافع يدافع بمعنى دفع ثم قال \* (إن الله لا يحب كل خوان) \* للأمانة \* (كفور) \* كفور لربه ولنعمه وقال أهل اللغة الخوان الفعال من الخيانة وهو المبالغة في الخيانة فمن ذكر اسما غير اسم الله تعالى وتقرّب إلى الأصنام بذبيحته فهو خوان كفور

قوله عز وجل \* (أذن للذين يقاتلون) \* يعني أذن للمؤمنين بقتال المشركين " بأنهم

ظلموا) يعني أذن لهم بالقتال بسبب أنهم ظلموا قرأ عاصم في رواية حفص \* (إذن) \*  
بضم الألف على معنى أذن الله للذين يقاتلون بنصب التاء وقرأ عاصم في رواية أبي بكر  
وأبو عمرو \* (إذن) \* بالضم \* (يقاتلون) \* بكسر التاء وقرأ الباقون بالنصب قرأ حمزة  
والكسائي وابن كثير \* (يقاتلون) \* بالكسر

ثم قال \* (وإن الله على نصرهم لقدير) \* يعني قادر وكان المشركون لا يزالون  
يؤذونهم باللسان وباليد فشكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما هاجروا أمروا بالقتال  
ثم أخبر عن ظلم كفار مكة فقال عز وجل \* (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) \*  
يعني بلا جرم أجزموا \* (إلا أن يقولوا ربنا الله) \* يعني لم يخرج كفار مكة المؤمنين  
بسبب سوى أنهم كانوا يقولون ربنا الله فأخرجوهم بهذا السبب ويقال في الآية تقديم  
ومعناه \* (أذن للذين يقاتلون) \* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا  
الله \* (وإن الله على نصرهم لقدير) \*

ثم قال \* (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) \* بالجهاد وإقامة الحدود وكف الظلم  
يقول لولا أن يدفع المشركين بالمؤمنين لغلب المشركون فقتلوا المؤمنين \* (لهدمت  
صوامع وبيع) \* ويقال لولا دفع الله بالأنبياء عن المؤمنين وبالمؤمنين من غيرهم لهدمت  
صوامع الرهبان وبيع النصارى \* (وصلوات) \* يعني كنائس اليهود \* (ومساجد) \*  
المسلمين \* (يذكر فيها اسم الله كثيرا) \* وقال مجاهد " لولا دفع الله تعالى الناس  
بعضهم ببعض " في الشهادة في الحق لهدمت هذه الصوامع وما ذكر معها وقال  
الزجاج تأويل هذا ولولا أن دفع الله بعض الناس ببعض لهدمت في شريعة كل نبي  
المكان الذي يصلي فيه لهدم في زمان موسى عليه السلام الكنائس وفي زمن عيسى  
عليه السلام البيع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء المساجد  
قرأ نافع " ولولا دفاع الله " بالألف وقرأ الباقون بغير ألف وقرأ ابن كثير ونافع \*  
(لهدمت) \* بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد على معنى المبالغة والتكثير

ثم قال \* (ولينصرن الله من ينصره) \* يعني لينصرن بالغلبة على عدوه من ينصره بنبيه  
صلى الله عليه وسلم ويقال \* (لينصرن الله من ينصره) \* يعني ينصر الله من ينصر دينه  
كما قال في آية أخرى \* (إن تنصروا الله ينصركم) \* [محمد: ٧] ثم قال \* (إن الله  
لقوي عزيز) \* أي منيع قادر على أن ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم بغير عونكم  
قوله عز وجل \* (الذين إن مكناهم في الأرض) \* يعني إن أنزلناهم بالمدينة وهم  
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قوله \* (أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا  
بالمعروف) \* يعني بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم \* (ونهاوا عن المنكر) \*  
عن الشرك \* (ولله عاقبة الأمور) \* يعني لله ترجع عواقب الأمور يعني عاقبة أمور العباد  
في الآخرة



سورة الحج ٤٢ - ٤٥

قوله عز وجل \* (وإن يكذبوك) \* يعني إن يكذبوك يا محمد أهل مكة \* (فقد كذبت قبلهم) \* يعني قبل قومك \* (قوم نوح) \* كذبوا نوحا \* (وعاد) \* كذبت هودا \* (وثمود) \* كذبوا صالحا \* (وقوم إبراهيم) \* كذبوا إبراهيم \* (وقوم لوط) \* كذبوا لوطا \* (وأصحاب مدين) \* كذبوا شعيبا \* (وكذب موسى) \* يعني كذبه قومه \* (فأملت للكافرين) \* يعني أمهلتهم " ثم أخذتهم " يعني عاقبتهم بعد المهل بالعذاب \* (فكيف كان نكير) \* يعني كيف رأيت تغييرى عليهم وإنكاري يعني أليس قد وجدوا حقا فكذلك كفار مكة تصيبهم العقوبة كما أصابهم

ثم قال عز وجل \* (فكأين من قرية) \* يعني وكم من أهل قرية \* (أهلكناها) \* يعني أهلكنا أهلها " وهي ظالمة " أي كافرة \* (فهي خاوية على عروشها) \* يعني ساقطه حيطانها على سقوفها \* (وبئر معطلة) \* يعني خالية ليس عندها ساكن \* (وقصر مشيد) \* يعني طويلا في السماء ويقال معناه كم من بئر معطلة عطلها أربابها وليس عليها أحد يستقي \* (وقصر مشيد) \* يعني كم من حصن طويل مشيد ليس فيه ساكن ويقال المشيد هو المبنى بالشد وهو الجص وهو المشيد سواء أي المطول قرأ أبو عمرو " أهلكتها " بالتاء وقرأ الباقون \* (أهلكناها) \* بلفظ وهو الجماعة وقرأ نافع في رواية ورش وأبو عمرو في إحدى الروايتين " وبير " بالتخفيف وهي لغة لبعض العرب وقرأ الباقون بالهمز وهي اللغة المعروفة

سورة الحج ٤٦ - ٤٨

ثم قال عز وجل \* (أفلم يسيروا في الأرض) \* يعني أو لم يسافروا في الأرض فيعتبروا \* (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) \* يعني فتصير لهم قلوب بالنظر والعبرة لو كانوا يعقلون بها \* (أو آذان يسمعون بها) \* التخويف \* (فإنها) \* أي النظرة بغير عبرة ويقال كلمة الشرك \* (لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) \* يعني العقول التي في الصدور وذكر وذكر الصدر للتأكيد

ثم قال عز وجل \* (ويستعجلونك بالعذاب) \* هو النضر بن الحارث \* (ولن يخلف الله وعده) \* في العذاب \* (وإن يوما عند ربك) \* يعني إن يوما من الأيام التي وعد لهم في العذاب \* (عند ربك) \* في الآخرة \* (كألف سنة مما تعدون) \* في الدنيا  
ثم بين لهم العذاب حيث قال \* (ولن يخلف الله وعده) \* ووصف طول عذابهم ويقال إنه أراد بذلك قدرته عليهم بحال إستعجالهم أنه يأخذهم متى شاء قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي " مما يعدون " بالياء وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة  
ثم قال عز وجل \* (وكأين من قرية أمليت لها) \* فلم أعجل عليها العقوبة " وهي ظالمة " أي كافرة \* (ثم أخذتها) \* بالعذاب ولكن لم يذكر العذاب لأنه سبق ذكره ثم قال \* (وإلي المصير) \* يعني المرجع في الآخرة

سورة الحج ٤٩ - ٥١

قوله عز وجل \* (يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) \* يعني رسول مبين أبلغكم بلغة تعرفونها \* (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات) \* يعني الطاعات \* (لهم مغفرة) \* لذنوبهم \* (ورزق كريم) \* حسن في الجنة \* (والذين سعوا في آياتنا) \* يعني عملوا في القرآن بالكذب \* (معاجزين) \* قرأ ابن كثير وأبو عمرو " معجزين " بغير ألف والتشديد في جميع القرآن وقرأ الباقون بالألف والتخفيف فمن قرأ " معجزين " أي يعجزون من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويشبطونهم ومن قرأ \* (معاجزين) \* أي ظانين أنهم يعجزوننا لأنهم يظنون أنهم لا يبعثون وقيل \* (معاجزين) \* أي معاندين ومعناه ليسوا بفائتين \* (أولئك أصحاب الجحيم) \* يعني النار

سورة الحج ٥٢ - ٥٤

قوله عز وجل \* (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى) \* أي حدثت نفسه \* (ألقي الشيطان في أمنيته) \* أي في حديثه ويقال تمنى أي قرأ كما قال القائل (تمنى كتاب الله أول ليله \* وآخره لاقى حمام المقادر)

وقال آخر

(تمنى داود الزبور على الرسل

\*)

\*) (ألقى الشيطان في أمنيته) \* أي في تلاوته \* (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) \* يعني يذهب الله به ويطله \* (ثم يحكم الله آياته) \* يعني بين الله عز وجل الناسخ من المنسوخ قال ابن عباس في رواية أبي صالح أتاه الشيطان في صورة جبريل وهو يقرأ سورة \* (والنجم إذا هوى) \* [النجم: ١] عند الكعبة حتى إنتهى إلى قوله \* (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) \* [النجم: ١٩ - ٢٠] ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمعه المشركون يقرأ ذلك أعجبهم فلما إنتهى إلى آخرها سجد وسجد المسلمون والمشركون معه فلما فاتاه جبريل عليه السلام فقال ما جئتك بهذا فنزل \* (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) \* الآية وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس نحو هذا قال حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا إبراهيم بن محمد قال حدثنا جعفر بن زيد الطيالسي قال حدثنا إبراهيم بن محمد قال حدثنا أبو عاصم عن عمار بن الأسود عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم \* (ومناة الثالثة الأخرى) \* ثم قال تلك الغرائق العلى وإن الشفاعة منها ترتجى فقال المشركون قد ذكر آلهتنا في أحسن الذكر فنزلت الآية وقال مقاتل قرأ النبي صلى الله عليه وسلم والنجم بمكة عند مقام إبراهيم فنحس فقراً تلك الغرائق العلى فلما فرغ من السورة سجد وسجد من خلفه فنزل \* (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) \* وقال قتادة لما ألقى الشيطان ما ألقى قال المشركون قد ذكر الله آلهتنا بخير ففرحوا بذلك فذلك قوله \* (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) \*

روى أسباط عن السدي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فقراً سورة النجم فلما إنتهى إلى قوله \* (ومناة الثالثة الأخرى) \* [النجم: ٢٠] فألقى الشيطان على لسانه تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهم لترتجى حتى بلغ إلى آخر السورة سجد وسجد أصحابه وسجد المشركون لذكره آلهتهم فلما رفع رأسه حملوه وأسندوا به بين قطري مكة حتى إذا جاءه جبريل عليه السلام عرض عليه فقراً عليه الحرفين فقال جبريل عليه السلام معاذ الله أن أكون أقرأتك هذا واشتد عليه فأنزل الله تعالى لتطيب نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أن الأنبياء عليهم السلام قبله قد كانوا مثله



ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وجلس عنده جماعة من المشركين فتمنى في نفسه أن لا يأتيه من الله شيء ينفرون منه فابتلاه الله تعالى بما ألقى الشيطان في أمنيته وقال بعضهم تمنى أي تفكر وحدث بنفسه تلك الغرائق العلى ولم يتكلم به لأن قول النبي صلى الله عليه وسلم كان حجة فلا يجوز أن يكون يجري على لسانه كلمة الكفر وقال بعضهم لما رآه الشيطان يقرأ خلط صوته بصوت النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ الشيطان تلك الغرائق فظن الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن قرأها وقال بعضهم قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه التعبير والزجر يعني أنكم تعبدونها كأنهن الغرائق العلى كما قال إبراهيم عليه السلام \* (فعله كبيرهم هذا) \* [الأنبياء: ٦٣] وقال الزجاج ألقى الشيطان في تلاوته فذلك محنة يمتحن الله تعالى بها من يشاء فجرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم شيء من صفة الأصنام فافتتن بذلك أهل الشقاوة والنفاق وروي عن سفيان بن عيينة وعن عمرو بن دينار أن ابن عباس كان يقرأ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث والمحدث الذي يرى أمره في منامه من غير أن يأتيه الوحي

ثم قال \* (والله عليم) \* بما ألقى الشيطان \* (حكيم) \* حكم بالناسخ وبين قوله عز وجل \* (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) \* يعني بلية \* (للذين في قلوبهم مرض) \* أي شك \* (والقاسية قلوبهم) \* يعني الذين قست قلوبهم عن ذكر الله وهم المشركون \* (وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) \* عن الحق يعني المشركين في خلاف طويل عن الحق ثم ذكر المؤمنين فقال \* (وليعلم الذين أتوا العلم) \* يعني الذين أكرموا بالتوحيد والقرآن ويقال هم مؤمنو أهل الكتاب \* (إنه الحق من ربك) \* يعني القرآن \* (فيؤمنوا به) \* أي فيصدقوا به ويقال لكي يعلموا أن ما أحكم الله في آياته حق وأن ما ألقى الشيطان باطل ويزداد لهم يقين وبيان فذلك قوله \* (فيؤمنوا به) \* أي يثبتوا به على إيمانهم \* (فتخبت له قلوبهم) \* يعني فتخلص له قلوبهم \* (وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) \* يعني إن الله عز وجل لحافظ قلوب المؤمنين في هذه المحنة حتى لم ينزع المعرفة من قلوبهم عند إلقاء الشيطان

سورة الحج ٥٥ - ٥٧

ثم قال عز وجل \* (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) \* أي في شك منه يعني من القرآن \* (حتى تأتيهم الساعة بغتة) \* يعني فجأة \* (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) \* لا فرح فيه ولا راحة ولا رحمة ولا رأفة وهو عذاب يوم القيامة وقال السدي وقتادة \* (يوم عقيم) \* يوم بدر ويقال إنما سمي \* (يوم عقيم) \* لأنه أعقم كثيرا من النساء وقال عمرو بن قيس " يوم

عقيم) يوم القيامة يوم ليس له ليلة ولا بعده يوم والعقيم أصله في اللغة المرأة التي لا تلد وكذلك رجل عقيم إذا كان لا يولد له وكذلك كل شيء لا يكون فيه خير يعني لا يكون للكافرين خير في يوم القيامة كما قال الله تعالى \* (على الكافرين غير يسير) \* [المدرثر: ١٠]

ثم وصف ذلك اليوم فقال عز وجل \* (الملك يومئذ لله) \* لا ينازع فيه أحد \* (يحكم بينهم) \* يعني يقضي بين الخلق لا حاكم في ذلك اليوم غيره ثم قال \* (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات) \* يعني أن حكمه في يوم القيامة أن المؤمنين \* (في جنات النعيم) \*  
سورة الحج ٥٨ - ٥٩

قوله عز وجل \* (الذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) \* يعني الشدة ثم قال عز وجل \* (والذين هاجروا) \* وذلك أن المسلمين قاتلوا فاستشهدوا فقال الذين لم يستشهدوا وهل لنا أجر فنزل \* (والذين هاجروا في سبيل الله) \* يعني في طاعة الله من مكة إلى المدينة \* (ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) \* يعني يرزقهم الغنيمة في الدنيا لمن لم يموتوا ولم يقتلوا \* (وإن الله لهو خير الرازقين) \* يعني أفضل الرازقين وأقوى المعطين \* (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) \* يعني الجنة إذا قتلوا وماتوا " وإن الله لعليم حكيم " حيث لم يعجل بالعقوبة وهذه الآية مدنية  
سورة الحج ٦٠ - ٦٢

قوله عز وجل \* (ذلك ومن عاقب) \* قال مقاتل وذلك أن مشركي العرب لقوا المسلمين في الشهر الحرام فكره المسلمون القتال فقاتلهم المشركون فبغوا عليهم فنصر الله المسلمين عليهم فوقع في أنفس المؤمنين من القتال في الشهر الحرام فنزل \* (ذلك ومن عاقب) \* يقول هذا جزاء من عاقب \* (بمثل ما عوقب به) \* وقال بعضهم \* (ذلك) \* يعني ما وصفنا من صفة أهل الجنة وأهل النار فهو كذلك فقد تم الكلام \* (ومن عاقب) \* ابتداء الكلام \* (بمثل ما عوقب به) \* في الدنيا وقال الكلبي الرجل يقتل له الحميم فله أن يقتل به قاتله \* (ثم بغى عليه لينصرنه الله) \* على من بغى عليه ويقال إذا زاد على القتل لينصرنه الله ويقال إن الرجل إذا وجب له القصاص فله أن يقتل أو يأخذ الدية فإن أخذ أكثر من حقه

بالقتل وأخذ الدية \* (ثم بغي عليه) \* أي ظلم عليه يعني غضب عليه أولياء المقتول باستيفاء حقه فجنوا عليه لينصرنه الله أي له أن يطلب بجنايته ويقال له إذا ظلم على ولي المقتول بالإستطالة بالقتل أو بأخذ الدية لينصرنه الله بأخذ حقه \* (إن الله لعفو غفور) \* بقتالهم

ثم قال عز وجل \* (ذلك) \* يعني ذلك القدرة \* (بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) \* قال مقاتل يعني هذا الذي فعل هو من قدرته ثم بين قدرته فقال \* (ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير) \* ثم قال \* (ذلك) \* يعني هذا الذي ذكر من صفته وقدرته \* (بأن الله) \* يعني لعلموا أن الله \* (هو الحق) \* وأن عبادته الحق \* (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) \* ولا يقدر على شيء \* (وأن الله هو العلي الكبير) \* يعني هو أعلى وأكبر من أن يعدل به الباطل قرأ ابن عامر \* (ثم قتلوا) \* بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص \* (وأن ما يدعون) \* بالياء بلفظ المغايبه وقرأ الباقون بالتاء وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر \* (ليدخلنهم مدخلا) \*

بنصب الميم وقرأ الباقون بالضم

سورة الحج ٦٣ - ٦٦

ثم قال عز وجل \* (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) \* يعني المطر \* (فتصبح الأرض مخضرة) \* يعني تصير الأرض مخضرة بالنبات ويقال ذات خضرة \* (إن الله لطيف) \* باستخراج النبات \* (خبير) \* أي عليم به وبمكانه

ثم قال عز وجل \* (له ما في السماوات وما في الأرض) \* من الخلق \* (وإن الله لهو الغني) \* عن الخلق وعن عبادتهم \* (الحميد) \* يعني المحمود في أفعاله

قوله عز وجل \* (ألم تر أن الله سخر لكم) \* يعني ذلل لكم \* (ما في الأرض والفلك تجري) \* يعني تسير \* (في البحر بأمره) \* يعني بإذنه وروي عن عبد الرحمن الأعرج

أنه قرأ \* (الفلك) \* بضم الكاف على معنى الابتداء وقراءة العامة بالنصب لوقوع التسخير عليها يعني سخر لكم الفلك ويقال صار نصبا بالنسق على أن معنى أن الفلك

تجري

ثم قال \* (ويمسك السماء أن تقع على الأرض) \* يعني لئلا تقع على الأرض ويقال كراهة أن تقع على الأرض \* (إلا بإذنه) \* يعني بأمره يوم القيامة " إن الله بالناس

لرؤوف

رحيم) يعني \* (رحيم) \* مع شركهم ومعصيتهم حيث يرزقهم في الدنيا ولم يعاقبهم في العاجل  
ثم قال عز وجل \* (وهو الذي أحياكم) \* يعني خلقكم ولم تكونوا شيئاً \* (ثم يميتكم)  
\* في الدنيا \* (ثم يحييكم) \* للبعث \* (إن الإنسان لكفور) \* أي كفور لنعمه لا يشكره ولا يطيعه

سورة الحج ٦٧ - ٧١

قوله عز وجل \* (لكل أمة) \* يعني لكل قوم \* (جعلنا منسكاً) \* يعني مذبحاً \* (هم ناسكوه) \* يعني ذابحوه وفي منسك من الاختلاف ما سبق \* (فلا ينازعنك في الأمر) \* لا يخالفنك في أمر الذبيحة نزلت في قوم من خزاعة قالوا ما ذبح الله فهو أحل مما ذبحتم وقال الزجاج المعنى فيه أي فلا يجادلنك ولا تجادلهم والدليل عليه وإن جادلوك ويقال \* (فلا ينازعنك في الأمر) \* يعني لا يغلبونك في المنازعة \* (وادع إلى ربك) \* يعني أدع الخلق إلى معرفة ربك وإلى توحيد ربك \* (إنك لعلى هدى مستقيم) \* على دين مستقيم

قوله عز وجل \* (وإن جادلوك) \* يعني إن حاججوك في أمر الذبيحة والتوحيد \* (فقل الله أعلم بما تعملون) \* يعني عالماً بأعمالكم فيجازيكم وذلك قوله \* (الله يحكم بينكم) \* يقضي بينكم \* (يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) \* من الدين والذبيحة قال عز وجل \* (ألم تعلم) \* يا محمد " أن الله يعلم ما في السماوات والأرض إن ذلك في كتاب " يعني إن ذلك العلم مكتوب في اللوح المحفوظ \* (إن ذلك في كتاب) \* أي إن كتابته \* (على الله يسير) \* يعني هين حال حفظه على الله أي كتابته على الله يسير

ثم قال عز وجل \* (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً) \* يعني عذر ولا حجة قرأ أبو عمرو في إحدى الروايتين \* (ما لم ينزل) \* بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد \* (وما ليس لهم به علم) \* يعني ليس لهم بذلك حجة من المعقول \* (وما للظالمين من نصير) \* يعني مانع يمنعهم من العذاب

سورة الحج ٧٢ - ٧٣

ثم قال عز وجل \* (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) \* يعني يعرض عليهم القرآن \* (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) \* يعني الغم والحزن والكراهية \* (يكادون يسطون) \* يعني هموا لو قدروا يضربون وييطشون أشد البطش \* (بالذين يتلون عليهم آياتنا) \* يعني يقرؤون عليهم القرآن وقال القتيبي \* (يسطون) \* يعني يتناولونهم بالمكروه من الضرب والشتم ويقال \* (يسطون) \* يعني يفرضون عليهم والسطوة العقوبة \* (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار) \* يعني بأشد وأسوأ من ضربكم وبطشكم ويقال إنهم كانوا يسخرون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وورثاته حالهم قال الله تعالى قل لهم يا محمد \* (أفأنبئكم بشر من ذلك) \* يعني مما قلتم للمؤمنين قالوا ما هي قال النار \* (وعدها الله الذين كفروا) \* يعني للكافرين قوله \* (وبئس المصير) \* الذي صاروا إليه

قوله عز وجل \* (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) \* يعني بين ووصف شبه به لآلهتكم أي أجيبوا عنه وقال بعضهم ليس ها هنا مثل وإنما أراد به قطع الشغب لأنهم كانوا يقولون \* (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) \* [فصلت: ٢٦] فقال \* (يا أيها الناس ضرب مثل) \* فاصغوا إليه استماعاً للمثل فأوقع في أسماعهم عيب آلهتهم فقال \* (إن الذين تدعون من دون الله) \* ويقال معناه مثلكم مثل من عبد آلهة \* (لن يخلقوا ذباباً) \* لن يقدروا على خلق الذباب ويقال المثل في الآية لا غير وهو قوله \* (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً) \* أي لن يقدروا أن يخلقوا ذباباً من الذباب في المثل \* (ولو اجتمعوا له) \* يعني على تخليقه

ثم ذكر من أمرها ما هو أضعف من خلق الذباب فقال \* (وإن يسلبهم الذباب شيئاً) \* وذلك أنهم كانوا يلطخون العسل على فم الأصنام فيجيء الذباب فيسلب منها ما لطخوا عليها \* (لا يستنقذوه منه) \* أي لا يقدر أن يستنقذوا من الذباب ما أخذ منهم \* (ضعف الطالب والمطلوب) \* يعني الذباب والصنم ويقال ضعف العابد والمعبود

سورة الحج ٧٤ - ٧٦

قوله عز وجل " ما قدروا الله حق قدره " يعني ما عظموا الله حق عظمته حين أشركوا به غيره ولم يوحده ويقال ما وصفوه حق صفته ويقال ما عرفوه حق معرفته كما ينبغي

وقال ابن عباس نزلت الآية في يهود المدينة حين قالوا خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم إستلقى فاستراح ووضع إحدى رجله على الأخرى وكذب أعداء الله فنزل " ما قدروا الله حق قدره " \* (إن الله لقوي) \* في أمره \* (عزيز) \* يعني منيع في ملكه ومعبودهم لا قوة له ولا منفعة ويقال \* (إن الله لقوي) \* على عقوبة من جعل له شريكا \* (عزيز) \* للانتقام منهم

قوله عز وجل \* (الله يصطفى من الملائكة رسلا) \* قيل جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت والحفظة الذين يكتبون أعمال بني آدم عليهم السلام \* (ومن الناس) \* يعني ويختار من الناس رسلا منهم محمد وعيسى ونوح وموسى عليهم السلام فجعلهم أنبياء ورسلا إلى خلقه \* (إن الله سميع) \* أي سميع لمقاتلتهم \* (بصير) \* بمن يتخذه رسولا وذلك أن الوليد بن المغيرة قال أنزل عليه الذكر من بيننا فأخبر الله تعالى أنه \* (سميع) \* مقالة من يكفر \* (بصير) \* بمن يصلح للرسالة فيختاره ويجعله رسولا ثم قال عز وجل \* (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) \* يعني من أمر الآخرة وأمر الدنيا \* (وإلى الله ترجع الأمور) \* يعني عواقب الأمور في الآخرة ويقال معناه منه بدأ وإليه

يرجع

سورة الحج ٧٧ - ٧٨

قوله عز وجل \* (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) \* يعني صلوا لله تعالى وقال بعض الناس يسجد في هذا الموضع يذكر ذلك عن عمر وابن عمر وروى عن ابن عباس أنه قال السجدة في الحج في الأولى منهما وهذا قول أهل العراق لأن السجدة سجدة الصلاة بدليل أنها مقرونة بالركوع معناه إركعوا واسجدوا في الصلوات المفروضات التطوع وروى عن ابن عباس أنه قال أول ما أسلموا كانوا يسجدون بغير ركوع فأمرهم الله تعالى بأن يركعوا ويسجدوا ثم قال \* (واعبدوا ربكم) \* أي وحدوه وأطيعوه \* (وافعلوا الخير) \* أي أكثروا من الطاعات والخيرات ما استطعتم وبادروا إليها ويقال التسيحات \* (لعلكم تفلحون) \* يعني تنجون من عذاب الله تعالى

قوله عز وجل \* (وجاهدوا في الله حق جهاده) \* يعني اعملوا لله عز وجل حق عمله ويقال جاهدوا في طاعة الله عز وجل وطلب مرضاته وقال الحسن \* (حق جهاده) \* أن تؤدي جميع ما أمرك الله عز وجل به وتجتنب جميع ما نهاك الله عنه وأن تترك رغبة الدنيا لرغبة الآخرة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا سأله فقال أي الجهاد أفضل فقال كلمة عدل عند السلطان

ثم قال \* (هو اجتباكم) \* يعني إختاركم واصطفاكم \* (وما جعل عليكم في الدين من حرج) \* يعني في الإسلام من ضيق ولكن جعله واسعا ولم يكلفكم مجهود الطاقة وإنما كلفكم دون ما تطيقون ويقال وضع عنكم إصركم والأغلال التي كانت عليكم ويقال \* (وما جعل عليكم في الدين من حرج) \* وهو ما رخص في الإفطار في السفر والصلاة قاعدا عند العلة وقال قتادة أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم يعطها إلا نبي كان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم إذهب فليس عليك من حرج وقال لهذه الأمة \* (وما جعل عليكم في الدين من حرج) \* وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم أنت شهيد على قومك وقال لهذه الأمة \* (وتكونوا شهداء على الناس) \* وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم سل تعط وقال لهذه الأمة \* (ادعوني أستجب لكم) \* [غافر: ٦٠]

ثم قال \* (ملة أبيكم إبراهيم) \* قال الزجاج إنما صار منصوبا لأن معناه اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم قال وجائز أن يكون وافعلوا الخير فعل أبيكم إبراهيم ويقال معناه \* (وما جعل عليكم في الدين من حرج) \* ولكن جعل لكم ملة سمحة سهلة كملة أبيكم إبراهيم \* (هو سماكم المسلمين من قبل) \* يعني الله تعالى سماكم المسلمين ويقال إبراهيم سماكم أي من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والطريق الأول أصح لأنه قال من قبل \* (وفي هذا) \* يعني الله سماكم المسلمين في سائر الكتب من قبل هذا القرآن وفي هذا القرآن \* (ليكون الرسول شهيدا عليكم) \* يعني محمدا صلى الله عليه وسلم شهيدا على أمته بأنه بلغهم الرسالة بالتصديق لهم \* (وتكونوا شهداء على الناس) \* يعني على سائر الأمم أن الرسل قد بلغتهم وقال مقاتل \* (وتكونوا شهداء على الناس) \* يعني للناس يعني للرسل على قومهم كقوله وما ذبح على النصب أي للنصب

ثم قال \* (فأقيموا الصلاة) \* يعني أقروا بها وأتموها \* (وآتوا الزكاة) \* يعني أقروا بها وأدوها ثم قال \* (واعتصموا بالله) \* يعني وثقوا بالله إذا فعلتم ذلك ويقال معناه تمسكوا بتوحيد الله تعالى وهو قول لا إله إلا الله \* (هو مولاكم) \* أي وليكم وناصركم وحافظكم \* (فنعم المولى) \* يعني نعم الحافظ \* (ونعم النصير) \* يعني نعم المانع لكم برحمته والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

سورة المؤمنون كلها مكية وهي مائة وسبع عشرة آية  
قال حدثنا الفقيه أبو الليث حدثنا أبو جعفر قال حدثنا أبو بكر بن أبي سعيد قال حدثنا  
محمد بن علي بن طرخان قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا عبد الرزاق عن يونس بن سليم  
عن زيد الأيلي عن الزهري عن عروة عن عبد الرحمن بن عبد القارئ عن عمر رضي  
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن  
دخل الجنة ثم قرأ

سورة المؤمنون ١ - ٧

\* (قد أفصح المؤمنون) \* إلى عشر آيات وروي عن كعب الأحبار قال إن الله تعالى لما  
خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت " قد أفصح المؤمنون " وروى عن غيره أنها قالت أنا  
حرام على كل بنخيل ومرائي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا وقوله  
\* (قد أفصح المؤمنون) \* أي سعد وفاز ونجا المصدقون بإيمانهم  
ثم نعتهم ووصف أعمالهم فقال \* (الذين هم في صلاتهم خاشعون) \* يعني متواضعين  
وقال الزهري سكون المرء في صلاته لا يلتفت يمينا ولا شمالا وقال الحسن البصري \*  
(خاشعون) \* أي خائفون وروي عنه أنه قال \* (خاشعون) \* الذين لا يرفعون أيديهم  
في الصلاة إلا في التكبير الأولى وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال الخشوع في  
الصلاة أن لا تلتفت في صلاتك يمينا ولا شمالا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه كان إذا قام في الصلاة رفع بصره إلى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى بصره نحو  
مسجده وروي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يعبث بلحيته في  
الصلاة فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه  
ثم قال عز وجل \* (والذين هم عن اللغو معرضون) \* يعني الحلف والباطل من الكلام  
تاركون قال قتادة كل كلام أو عمل لا يحتاج إليه فهو لغو ويقال الذين هم عن الشتم



والأذى معرضون كقوله عز وجل \* (وإذا مروا باللغو مروا كراما) \* [الفرقان: ٧٢]  
ثم قال \* (والذين هم للزكاة فاعلون) \* يعني مؤدون \* (والذين هم لفروجهم حافظون)  
\* عن الفواحش وعن ما لا يحل لهم  
ثم استثنى فقال \* (إلا على أزواجهم) \* يعني على نسائهم الأربع وذكر عن الفراء أنه  
قال \* (علي) \* بمعنى من يعني إلا من نسائهم مثنى وثلاث ورباع \* (أو ما  
ملكتم أيماهم) \* يعني الإمام \* (فإنهم غير ملومين) \* لا يلامون على الحلال \* (فمن  
ابتغى وراء ذلك) \* يعني طلب بعد ذلك ما سوى نسائه وإمائه \* (فأولئك هم العادون)  
\* يعني المعتدين من الحلال إلى الحرام ويقال وأولئك هم الظالمون الجائرون الذين  
تعمدوا الظلم

سورة المؤمنون ٨ - ١١

ثم قال \* (والذين هم لأماناتهم) \* يعني ما ائتمنوا عليه من أمر دينهم مما لا يطلع  
عليه أحد ومما يأمن الناس بعضهم بعضا \* (وعهدهم) \* يعني وفاء بالعهد \* (راعون) \*  
يعني حافظين وأصل الرعي في اللغة القيام على إصلاح ما يتولاه قرأ ابن كثير " والذين  
هم لأمانتهم " بلفظ الوحدان وقرأ الباقر بلفظ الجمع يعني جميع الأمانات  
ثم قال عز وجل \* (والذين هم على صلاتهم) \* يعني على المواقيت \* (يحافظون) \* لا  
تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ويتمونها بركوعها وسجودها قرأ حمزة والكسائي  
\* (على صلاتهم) \* بلفظ الوحدان وقرأ الباقر \* (صلواتهم) \* بلفظ الجماعة ومعناها  
واحد لأن الصلاة اسم جنس يقع على الواحد وعلى الأكثر فهذه الخصال صفة المؤمنين  
المخلصين في أعمالهم

ثم بين ثوابهم فقال عز وجل \* (أولئك هم الوارثون) \* يعني النازلين ثم بين ما يرثون  
وأين ينزلون فقال \* (الذين يرثون الفردوس) \* وهي البساتين بلغة الروم عليها حيطان  
ويقال لم يكن أحد من أهل الجنة إلا وله نصيب في الفردوس لأن هناك كلها بساتين  
وأشجار ويقال \* (أولئك هم الوارثون) \* يعني يرثون المنازل التي للكفار في الجنة  
وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد إلا وله منزلان  
منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبني منزله الذي له في الجنة بهدم منزله  
الذي له في النار وأما الكافر فيهدم منزله الذي له في الجنة ويبني منزله الذي له في النار  
ويقال الفردوس البستان الحسن " هم فيها

خالدون) يعني في الجنة دائمون وقال القتيبي حدثني أبو حاتم السجستاني قال كنت عند الأخفش وعنده الثوري فقال يا أبا حاتم ما صنعت بكتاب المذكر والمؤنث قلت قد عملت فيه شيئاً فقال ما تقول في الفردوس قلت مذكر قال فإن الله يقول \* (هم فيها خالدون) \* قلت أراود الجنة فأنت فقال يا غافل أما تسمع الناس يقولون أسألك الفردوس الأعلى فقلت يا نائم إنما الأعلى ها هنا أفعل وليس بفعلي

سورة المؤمنون ١٢ - ١٤

قوله تعالى \* (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) \* يعني آدم عليه السلام قال الكلبي ومقاتل السلالة إذا عصر الطين انسل الطين والماء بين أصابعه وقال الكلبي \* (خلقنا الإنسان) \* يعني ابن آدم من نطفة سلت تلك النطفة من طين والطين آدم عليه السلام والنطفة ما يخرج من صلبه فيقع في رحم المرأة وقال الزجاج \* (سلالة من طين) \* أي من آدم والسلالة القليل من أن ينسل وكل مبني على فعالة فهو يراد به القليل مثل النخالة والعلامة والفصالة \* (ثم جعلناه) \* يعني ذرية آدم قال القتيبي يقال للولد سلالة والنطفة سلالة وإنما سميت النطفة سلالة لأنها تنسل بين الصلب والتراتب \* (ثم جعلناه نطفة) \* \* (نطفة في قرار مكين) \* يعني في مكان حريز حصين \* (ثم خلقنا النطفة علقه) \* أي حولنا الماء دما \* (فخلقنا العلقه مضغة) \* أي حولنا الدم مضغة \* (فخلقنا المضغة عظاما) \* أي خلقنا في المضغة عظاما \* (فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر) \* قال عكرمة وأبو العالية والشعبي معناه نفخ فيه الروح وروى الأخفش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود أنه قال إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله عز وجل ملكا فيأمر بأن يكتب أجله وعمله ورزقه وشقي أو سعيد فهي أربع كلمات ثم ينفخ فيه الروح

وروي عن عطاء عن ابن عباس في قوله \* (ثم أنشأناه خلقا آخر) \* قال نفخ فيه الروح وروي ابن نجيح عن مجاهد \* (ثم أنشأناه خلقا آخر) \* قال حين استوى شابا وروي معمر عن قتادة \* (ثم أنشأناه خلقا آخر) \* قال هو نبات الشعر والأسنان وقال بعضهم هو نفخ الروح ويقال ذكرا أو أنثى ويقال معناه \* (ثم أنشأناه خلقا آخر) \* يعني الجلد وروي عن عطاء عن ابن عباس أنه قال ينفخ فيه الروح وروي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ثم أنشأته خلقا آخر

\* (فتبارك الله أحسن الخالقين) \* يعني أحكم المصورين وروى أبو صالح عن عبد الله بن عباس قال كان عبد الله بن سعيد بن أبي سرح يكتب هذه الآيات للنبي صلى الله عليه وسلم فلما انتهى إلى قوله \* (ثم أنشأناه خلقا آخر) \* عجب من تفضل الإنسان أي من تفضيل خلق الإنسان فقال \* (فتبارك الله أحسن الخالقين) \* فقال النبي صلى الله عليه وسلم أكتب هكذا أنزلت فشك عند ذلك وقال لئن كان محمد صادقا فيما يقول إنه يوحى إليه فقد أوحى إلي كما أوحى إليه ولئن قال من ذات نفسه فلقد قلت مثل ما قال فكفر بالله تعالى

وقال مقاتل والزجاج كان عمر رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أنزلت عليه هذه الآية فقال عمر \* (فتبارك الله أحسن الخالقين) \* فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت علي فكأنه أجرى على لسانه هذه الآية قبل قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل إن الحكاية الأولى غير صحيحة لأن ارتداد عبد الله بن أبي سرح كان بالمدينة وهذه الآية مكية قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر " فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظم لحما " وقرأ الباقون \* (عظاما) \* بالألف ومعناها واحد لأن الواحد يغني عن الجنس

سورة المؤمنون ١٥ - ٢٠

قوله تعالى \* (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) \* يعني تموتون عند انقضاء آجالكم \* (ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) \* يعني تحيون بعد الموت فذكر أول الخلق لأنهم كانوا مقرين بذلك ثم أثبت الموت لأنهم كانوا يشاهدونه ثم أثبت البعث الذي كانوا ينكرونه ثم ذكر قدرته فقال عز وجل \* (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) \* يعني سبع سماوات بعضها فوق بعض كالقبة وقال مقاتل والكلبي غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماءين كذلك وقال أهل اللغة الطرائق واحدها طريقة ويقال طارقت الشيء يعني إذا جعلت بعضه فوق بعض وإنما سمي الطرائق لأن بعضها فوق بعض ثم قال \* (وما كنا عن الخلق غافلين) \* أي عن خلقهن عاجزين تاركين ويقال لكل سماء طريقة لأن على كل سماء ملائكة عبادتهم مخالفة لعبادة ملائكة السماء الأخرى يعني لكل أهل سماء طريقة من العبادة \* (وما كنا عن الخلق غافلين) \* أي لم نكن نغفل عن حفظهن كما قال \* (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) \* [الأنبياء: ٣٢]

قوله عز وجل \* (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) \* يعني بوزن ويقال " بقدر " ما يكفيهم لمعايشهم ويقال " بقدر " يعني كل سنة تمطر بقدر السنة الأولى كما روي عن ابن مسعود أنه قال ليست سنة بأمطر من سنة ولكن الله عز وجل يصرفه حيث يشاء ويقال \* (وأنزلنا من السماء ماء) \* أي أربعة أنهار تخرج من الجنة دجلة والفرات وسيحان وجيحان \* (فأسكناه في الأرض) \* يعني فأدخلناه في الأرض ويقال جعلناه ثابتاً فيها من الغدران والعيون والركايا \* (وإننا على ذهاب به لقادرون) \* يعني يغور في الأرض فلا يقدر عليه كقوله عز وجل \* (إن أصبح مأؤك غوراً) \* [الملك: ٣٠] \* (فأنشأنا لكم به جنات) \* يعني وأخرجنا بالماء جنات يعني الخضرة ويقال جعلنا لكم بالماء البساتين \* (من نخيل وأعناب) \* يعني الكروم \* (لكم فيها فواكه كثيرة) \* يعني ألوان الفواكه سوى النخيل والأعناب \* (ومنها تأكلون) \*

ثم قال عز وجل \* (وشجرة) \* يعني وأنبتنا شجرة ويقال خلقنا شجرة \* (تخرج من طور سيناء) \* قال قتادة طور سيناء جبل حسن وقال الكلبي جبل ذو شجرة وقال مجاهد الطور جبل والسيناء حجارة وقال القتيبي الطور جبل والسيناء اسم وقال مقاتل خلقنا في الجبل الحسن الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام وقرأ ابن كثير وأبو عمر ونافع \* (طور سيناء) \* بكسر السين وقرأ الباقون بالنصب ومعناها واحد ثم قال \* (تنبت بالدهن) \* يعني تخرج بالدهن قرأ ابن كثير وأبو عمرو \* (تنبت) \* بضم التاء وكسر الباء يعني تخرج الدهن وقرأ الباقون \* (تنبت) \* بنصب التاء وضم الباء وهو إختيار أبي عبيد أي تنبت معه الدهن كما يقال جاءني فلان بالسيف أي معه السيف \* (وصبغ للأكلين) \* يعني الزيت يصطبغ به وجعل الله عز وجل في هذه الشجرة إداماً ودهناً وهي صبغ للأكلين

سورة المؤمنون ٢١ - ٢٢

ثم قال عز وجل \* (وإن لكم في الأنعام لعبرة) \* يعني في الإبل والبقر والغنم معتبر لمن يعتبر فيها يقال العبر بأوقار والمعتبر بمتقال \* (نسقيكم مما في بطونها) \* يعني من ألبانها وهي تخرج من بين فرث ودم قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر \* (نسقيكم) \* بنصب النون وقرأ الباقون بالضم وهذا مثل ما في سورة النحل ثم قال \* (ولكم فيها منافع كثيرة) \* يعني في ظهورها وأصوافها وألبانها وأشعارها \* (ومنها تأكلون) \* يعني من لبنها ولحومها وأولادها \* (وعليها وعلى الفلك تحملون) \* يعني على الأنعام في المفازة وعلى السفينة في البحر تسافرون

سورة المؤمنون ٢٣ - ٢٥

قوله عز وجل \* (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) \* يعني أرسلناه إلى قومه كما أرسلناك إلى قومك فإن قيل إيش الحكمة في تكرار القصص قيل له لأن في كل قصة كررها ألفاظا وفوائد ونكتا ما ليس في الأخرى ونظمها سوى نظم الأخرى وقال الحسن للقصة ظهر وبطن فالظهر خبر يخبرهم والبطن عظة تعظهم ويقال إنما كررها تأكيدا للحجة والعظة كما أنه كرر الدلائل ويكفي دليل واحد لمن يستدل به تفضلا من الله تعالى ورحمة منه

فقال تعالى \* (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) \* يعني أطيعوا الله عز وجل ووحده \* (ما لكم من إله غيره) \* يعني ليس لكم رب سواه \* (أفلا تتقون) \* عبادة غير الله تعالى فتوحدونه يعني إتقوه ووحده قوله عز وجل \* (فقال الملائكة الذين كفروا) \* يعني الأشراف الذين كفروا \* (من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم) \* يعني خلقا آدميا مثلكم \* (يريد أن يتفضل عليكم) \* بالرسالة ويقال \* (يريد أن يتفضل عليكم) \* يعني يريد أن يجعل لنفسه فضلا عليكم بالرسالة \* (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) \* أي لو شاء أن يرسل إلينا رسولا لأنزل ملائكة \* (ما سمعنا بهذا) \* يعني ما يدعونا إليه من التوحيد \* (في آبائنا الأولين إن هو إلا رجل به جنة) \* أي الجنون \* (فتربصوا به حتى حين) \* يعني انتظروا به حتى يتبين لكم أمره وصدقه من كذبه ويقال \* (حتى حين) \* يعني حتى يموت فتنجوا منه

سورة المؤمنون ٢٦ - ٣٠

فلما أبوا على نوح عليه السلام دعا عليهم \* (قال رب انصرني) \* يعني أعني عليهم بالعذاب \* (بما كذبون) \* يعني بتحقيق قولي في العذاب لأنه أنذر قومه بالعذاب فكذبوه

قوله عز وجل \* (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا) \* يعني إعمل السفينة بأعيننا يعني بمنظر منا وبعلمنا ثم قال \* (ووحينا) \* يعني بوحينا إليك وأمرنا \* (فإذا جاء أمرنا) \*

يعني عذابنا \* (وفار التنور) \* يعني بنبع الماء من أسفل التنور \* (فاسلك فيها) \* يعني فأدخل في السفينة \* (من كل زوجين اثنين) \* يعني من كل حيوان صنفين ولونين ذكرًا وأنثى \* (وأهلك) \* يعني وأدخل فيها أهلك \* (إلا من سبق عليه القول منهم) \* يعني إلا من وجب عليه العذاب وهو ابنه كنعان \* (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) \* يعني ولا تراجعني بالدعاء في الذين كفروا وهو ابنه \* (إنهم مغرقون) \* بالطوفان قرأ عاصم في رواية حفص \* (من كل زوجين) \* بتنوين اللام وقرأ الباقون بغير تنوين

ثم قال عز وجل \* (فإذا استويت أنت) \* يعني ركبت السفينة \* (أنت ومن معك على الفلك) \* يعني في السفينة \* (فقل الحمد لله) \* يعني الشكر لله \* (الذي نجانا من القوم الظالمين) \* يعني المشركين قوله عز وجل \* (وقل رب أنزلني) \* يعني إذا نزلت من السفينة إلى البر فقل \* (رب أنزلني منزلاً مباركاً) \* قرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (منزلاً) \* بنصب الميم وكسر الزاي يعني موضع النزول وقرأ الباقون \* (منزلاً) \* بضم الميم ونصب الزاي وهو إختيار أبي عبيد وهو المصدر من أنزل ينزل فصار بمعنى أنزلني إنزالاً مباركاً \* (وأنت خير المنزلين) \* من غيرك وقد قرأ في الشاذ \* (وأنت خير المنزلين) \* بنصب الزاي يعني أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام قل هذا القول حتى تكون خير المنزلين ثم قال عز وجل \* (إن في ذلك) \* يعني في إهلاك قوم نوح \* (آيات) \* يعني لعبرا لمن بعدهم \* (وإن كنا لمبتلين) \* يعني وقد كنا لمختبرين بالغرق ويقال بالطاعة والمعصية \* (وأن) \* بمعنى قد كقوله \* (وإن كان مكرهم) \* [إبراهيم: ٤٦] يعني وقد كان مكرهم

سورة المؤمنون ٣١ - ٣٥

قوله عز وجل \* (ثم أنشأنا من بعدهم) \* أي خلقنا من بعدهم \* (قرنا آخرين) \* وهم قوم هود \* (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) \* يعني نبينهم هودا عليه السلام \* (أن اعبدوا الله) \* يعني قال لهم هود إحمدوا الله وأطيعوه \* (ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) \* يعني إتقوه اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الأمر قوله عز وجل \* (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) \* يعني بالبعث

بعد الموت \* (وأترفناهم) \* يعني أنعمنا عليهم ويقال وسعنا عليهم حتى أترفوا \* (في الحياة الدنيا ما هذا) \* يعني قالوا ما هذا \* (إلا بشر) \* يعني آدميا \* (مثلكم يأكل مما تأكلون منه) \* يعني كما تأكلون منه \* (ويشرب مما تشربون) \* يعني كما تشربون \* (ولئن أطعتم بشرا) \* يعني آدميا \* (مثلكم إنكم إذا لخاسرون) \* أي لمغبونون \* (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا) \* أي صرتم ترابا \* (وعظاما أنكم مخرجون) \* يعني محيون

سورة المؤمنون ٣٦ - ٤٣

قوله عز وجل \* (هيئات هيئات) \* قرأ أبو جعفر المدني \* (هيئات هيئات) \* كلاهما بكسر التاء قال أبو عبيد قراءتها بالنصب لأنه أظهر اللغتين وأفشاهما وقال بعضهم قد قرئ هذا الحرف بسبع قراءات بالكسر والنصب والرفع والتنوين وغير التنوين والسكون وهذه كلمة يعبر بها عن البعد يعني بعيدا بعيدا ومعناه أنهم قالوا هذا لا يكون أبدا يعني البعث \* (لما توعدون) \* يعني بعيدا بعيدا لما توعدون \* (إن هي) \* يعني ما هي \* (إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) \* يعني نحيا ونموت على وجه التقديم ويقال معناه يموت الآباء وتعيش الأبناء \* (وما نحن بمبعوثين) \* يعني لا نبعث بعد الموت \* (ان هو) \* يعني ما هو \* (إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) \* يعني بمصدقين فلما كذبه دعا عليهم \* (قال رب انصرني) \* يعني قال هود أعني عليهم بالعذاب \* (بما كذبون) \*

" قال " الله تعالى \* (عما قليل) \* يعني عن قريب و " ما " صلة كقوله \* (فبما رحمة من الله) \* [آل عمران: ١٥٩] \* (ليصبحن نادمين) \* يعني ليصيرن نادمين فأخبر الله تعالى عن معاملة الذين كانوا من قبل مع أنبيائهم وسوء جزائهم وأذاهم لأنبيائهم ليصبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى قومه ثم أخبر عن عاقبة أمرهم فقال تعالى \* (فأخذتهم الصيحة بالحق) \* يعني العذاب وهو الريح العقيم ويقال وهي صيحة جبريل عليه السلام \* (فجعلناهم غثاء) \* يعني يابسا ويقال هلكى كالغثاء وهو جمع غثاء وهو ما على السيل من الزبد لأنه يذهب ويتفرق وقال الزجاج الغثاء البالي من ورق الشجر أي جعلناه ييبسا كيابس الغثاء ويقال الغثاء النبات

اليابس كقوله \* (فجعل غناء أحوى) \* [الأعلى: ٥] ثم قال \* (فبعدا) \* يعني سحقاً ونكساً \* (للقوم الظالمين) \* يعني بعداً من رحمة الله تعالى قوله عز وجل \* (ثم أنشأنا) \* يعني خلقنا \* (من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها) \* وفي الآية مضمرة ومعناه فأهلكناهم بالعذاب في الدنيا \* (ما تسبق من أمة) \* يعني ما يتقدم ولا تموت قبل أجلها طرفة عين \* (وما يستأخرون) \* بعد أجلهم طرفة عين

سورة المؤمنون ٤٤ - ٤٨

قوله عز وجل \* (ثم أرسلنا رسلنا تترأ) \* يعني بعضها على إثر بعض قرأ ابن كثير وأبو عمرو " تترى " بالتثنية وقرأ حمزة والكسائي بكسر الراء بغير تنوين وقرأ الباقون بنصب الراء وبغير تنوين وهو التواتر قال مقاتل كل ما في القرآن تترى ومداراً وأبائيل ومردفين يعني بعضها على إثر بعض قال القتيبي أصل تترى وترا فقلبت الواو تاء كما قلبوها في التقوى والتخمة وأصلها وترا والتخمة وأصلها أوخمت ثم قال عز وجل " كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً " بالهالك الأول فالأول \* (فجعلناهم أحاديث) \* أي أخباراً وعبراً لمن بعدهم ويقال \* (فجعلناهم أحاديث) \* لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم وقال الكلبي ولو بقي واحد منهم لم يكونوا أحاديث \* (فبعدا) \* للهالك ويقال فسحقاً \* (لقوم لا يؤمنون) \* يعني لا يصدقون

قوله عز وجل \* (ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا) \* التسع " وسلطان مبين " يعني بحجة بينة " إلى فرعون وملائته " أي قومه \* (فاستكبروا) \* يعني تعظموا عن الإيمان والطاعة \* (وكانوا قوماً عالين) \* يعني متكبرين \* (فقالوا أنؤمن) \* يعني أنصدق \* (لبشرين مثلنا) \* يعني خلقين آدميين \* (وقومهما لنا عابدون) \* يعني مستهزئين ذليلين \* (فكذبوهما) \* يعني موسى وهارون عليهما السلام \* (فكانوا من المهلكين) \* يعني صاروا مغرقين في البحر  
سورة المؤمنون ٤٩ - ٥٣



قوله عز وجل \* (ولقد آتينا موسى الكتاب) \* يعني التوراة \* (لعلهم يهتدون) \* يعني لكي يهتدوا يعني بني إسرائيل

قوله تعالى \* (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) \* يعني عبرة وعلامة لبني إسرائيل ولم يقل آيتين وقد ذكرناه ثم قال \* (وآويناها إلى ربوة) \* وذلك أنهما لما ولدت عيسى عليه السلام هم قومها إن يرحمها فخرجت من بيت المقدس إلى أرض دمشق والربوة المكان المرتفع \* (ذات قرار ومعين) \* يعني أرضا مستوية \* (ومعين) \* يعني الماء الجاري الطاهر وهو مفعول من العين وأصله معيون كما يقال ثوب مخيط وقال سعيد بن المسيب الربوة هي دمشق ويقال هي بيت المقدس لأنها أقرب إلى السماوات من سائر الأرض ويقال إنها الرملة وفلسطين قرأ ابن عامر وعاصم \* (ربوه) \* بنصب الراء وقرأ الباقون بالضم ومعناها واحد

قوله عز وجل \* (يا أيها الرسل) \* يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وإنما خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم وأراد به النبي صلى الله عليه وسلم وأمه كما يجيء في مخاطبتهم \* (كلوا من الطيبات) \* يعني من الحلالات قال الفقيه أبو الليث رحمه الله حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا ابن صاعد قال حدثنا أحمد بن منصور قال حدثنا الفضل بن دكين قال حدثنا الفضل بن مرزوق قال أخبرني عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال \* (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) \* وقال \* (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) \* [البقرة: ٥٧] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك وقال الزجاج خوطب بهذا النبي صلى الله عليه وسلم فقليل \* (يا أيها الرسل) \* وتضمن هذا الخطاب أن الرسل عليهم السلام جميعا كذا مروا قال ويروى أن عيسى عليه السلام كان يأكل من غزل أمه وكان رزق النبي صلى الله عليه وسلم من الغنيمة وأطيب الطيبات الغنائم

ثم قال تعالى \* (واعملوا صالحا) \* يعني خالصا \* (إني بما تعملون عليم) \* يعني قبل أن تعملوا

قوله عز وجل \* (وإن هذه أمتكم أمة واحدة) \* يعني دينكم الذي أنتم عليه يعني ملة الإسلام دين واحد عليه كانت الأنبياء عليهم السلام والمؤمنون \* (وأنا ربكم فاتقون) \* يعني أنا شرعته لكم فأطيعون قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو \* (أن) \* بنصب الألف وتشديد النون وقرأ ابن عامر بنصب الألف وسكون النون وقرأ الباقون بكسر الألف والتشديد على معنى الابتداء



ثم قال عز وجل \* (فتقطعوا أمرهم بينهم) \* يقول فرقوا دينهم وتفرقوا في دينهم ومعناه أن دين الله تعالى واحد فجعلوه أديانا مختلفة زبرا قرأ ابن عامر \* (زبرا) \* بنصب الباء أي قطعاً وفرقاً وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم وحزمة والكسائي \* (زبرا) \* بضم الباء أي كتباً معناه جعلوا دينهم كتباً مختلفة ويقال فتقطعوا كتاب الله وحرفوه وغيروه \* (كل حزب بما لديهم فرحون) \* يعني بما هم عليه من الدين معجبون راضون به  
سورة المؤمنون ٥٤ - ٦١

قوله عز وجل \* (فذرهم في غمرتهم) \* يعني أتركهم في جهالتهم \* (حتى حين) \*  
يعني إلى حين يأتيهم ما وعدوا به من العذاب  
ثم قال \* (أيحسبون) \* يعني أيتظنون وهم أهل الفرق \* (أنما نمدهم به) \* يعني أن الذي نزيدهم به \* (من مال وبنين) \* في الدنيا \* (نسارع لهم في الخيرات) \* يعني هو خير لهم في الآخرة قرأ بعضهم \* (يسارع) \* بالياء ونصب الراء على معنى فعل ما لم يسم فاعله وقراءة العامة \* (نسارع) \* بالنون وكسر الراء يعني يظنون أنا نسارع لهم في الخيرات بزيادة المال والولد بل هو استدراج لهم وروي في الخبر أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء عليهم السلام أيفرح عبدي أن أبسط له في الدنيا وهو أبعد له مني ويجزع عبدي المؤمن أن أقبض منه الدنيا وهو أقرب له مني ثم قال \* (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين) \* وقد تم الكلام يعني أيتظنون أن ذلك خيراً لهم في الدنيا ثم قال \* (نسارع لهم في الخيرات) \* \* (بل لا يشعرون) \* أن ذلك فتنة لهم ويقال \* (أنما نمدهم به من مال وبنين) \* وقد تم الكلام يعني أيتظنون أن ذلك خير لهم في الدنيا  
ثم قال عز وجل \* (نسارع لهم في الخيرات) \* يعني نبادرهم في الطاعات وهو خير لهم أي في الآخرة \* (بل لا يشعرون) \* أن ذلك مكر بهم وشر لهم في الآخرة  
ثم ذكر المؤمنين فقال عز وجل \* (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) \* يعني خائفين من عذابه ويقال هذا عطف على قوله " والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون والذين هم من خشية ربهم مشفقون " ثم قال \* (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) \* يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يصدقون

قوله \* (والذين هم بربهم لا يشركون) \* يعني لا يشركون معه غيره ولكنهم يوحدون ربهم ويقال \* (بربهم لا يشركون) \* هو أن يقول لولا فلان ما وجدت هذا ثم قال \* (والذين يؤتون ما آتوا) \* يعني يعطون ما أعطوا من الصدقة والخير \* (وقلوبهم وجله) \* يعني خائفة وروى سالم بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني أن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية \* (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله) \* هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ويزنون قال لا يا بنت أبي بكر ولكنهم هم الذين يصومون ويتصدقون ويصلون وروى عن أبي بكر بن خلف أنه قال دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقلنا يا أم المؤمنين كيف تقرئين \* (والذين يؤتون ما آتوا) \* قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ \* (والذين يؤتون ما آتوا) \* فقلت يا نبي الله هو الرجل الذي يسرق ويشرب الخمر قال لا يا بنت أبي بكر هو الرجل الذي يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه وقال الزجاج من قرأ \* (يؤتون ما آتوا) \* معناه يعطون ما أعطوا ويخافون أن لا يقبل منهم ومن قرأ " يأتون ما أتوا " أي يعملون من الخيرات ما يعملون ويخافون مع اجتهادهم أنهم مقصرون ثم قال تعالى \* (أنهم إلى ربهم راجعون) \* يعني لأنهم إلى ربهم راجعون ومعناه يعملون ويوقنون أنهم يبعثون بعد الموت

قوله عز وجل \* (أولئك يسارعون في الخيرات) \* يعني يبادرون في الطاعات من الأعمال الصالحة \* (وهم لها سابقون) \* يعني هم لها عاملون يعني الخيرات وقال الزجاج فيه قولان أحدهما معناه هم إليها سابقون كقوله عز وجل \* (بأن ربك أوحى لها) \* [الزلزلة: ٥] يعني إليها ويجوز \* (هم لها سابقون) \* أي لأجلها أي من أجل إكتسابها كقولك أنا أكرم فلانا لك أي من أجلك

سورة المؤمنون ٦٢ - ٦٧

قوله عز وجل \* (ولا تكلف نفسا إلا وسعها) \* يعني بقدر طاقتها \* (ولدينا كتاب) \* يعني وعندنا نسخة أعمالهم التي يعملون وهي التي تكتب الحفظة عليهم \* (ينطق بالحق) \* يعني يشهد عليهم بالصدق وقال الكلبي \* (ولا تكلف نفسا إلا وسعها) \* أي طاقتها فمن

لم يستطع أن يصلي قائما فليصل قاعدا " وعندنا كتاب ينطق بالحق " وهو الذكر يعني اللوح المحفوظ \* (وهم لا يظلمون) \* يعني لا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم \* (بل قلوبهم في غمرة من هذا) \* يعني في غفلة من الإيمان بهذا القرآن ويقال هم في غفلة من هذا الذي وصفنا من كتابة الأعمال \* (ولهم أعمال من دون ذلك) \* قال مقاتل يقول لهم أعمال خبيثة دون الشرك \* (هم لها عاملون) \* أي لتلك الأعمال لا محالة التي في اللوح المحفوظ وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ذكر الله تعالى \* (الذين هم من خشية ربهم مشفقون) \* ثم قال للكفار \* (بل قلوبهم في غمرة من هذا) \* ثم رجع إلى المؤمنين فقال \* (ولهم أعمال من دون ذلك) \* الأعمال التي عدت هم لها عاملون

ثم قال عز وجل \* (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) \* يعني أغنياءهم وجبارتهم بالعذاب قال مجاهد يعني بالسيوف يوم بدر وقال الكلبي بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف \* (إذا هم يجأرون) \* أي يصيحون ويتضرعون إلى الله تعالى حين نزل بهم العذاب ويقال يدعون ويستغيثون

يقول الله تعالى \* (لا تجأروا اليوم) \* يعني لا تضجوا ولا تتضرعوا اليوم \* (إنكم منا لا تنصرون) \* يعني من عذابنا لا تمنعون

قوله عز وجل \* (قد كانت آياتي تنلى عليكم) \* أي تقرأ وتعرض عليكم \* (فكنتم على أعقابكم تنكصون) \* أي ترجعون إلى الشرك وتميلون إليه \* (مستكبرين به) \* أي متعظمين ويقال \* (تنكصون) \* أي تقيمون عليه \* (مستكبرين به) \* يعني بالبيت صار هذا كناية من غير أن يسبق ذكر البيت لأن ذلك البيت كان معروفا عندهم وقال مجاهد \* (مستكبرين به) \* أي بمكة بالبلد \* (سامرا) \* بالليل لجلسائهم \* (تهجرون) \*

بالقول الذي في القرآن ويقال \* (تهجرون) \* يعني تتكلمون بالفحش وسب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم زوروا يعني المقابر ولا تقولوا هجرا يعني فحشا وقال القتيبي \* (مستكبرين به) \* يعني بالبيت العتيق تهجرون به

ويقولون نحن أهل سامرا والسمر حديث الليل وقال أهل اللغة السمر في اللغة ظل القمر ولهذا سمي حديث الليل سمرا لأنهم كانوا يجتمعون في ظل القمر ويتحدثون قرأ نافع \* (سامرا تهجرون) \* بضم التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بنصب التاء وضم الجيم

وقال أبو عبيد هذه القراءة أحب إلينا فيكون من الصدود والهجران كقوله \* (فكنتم على أعقابكم تنكصون) \* [المؤمنون: ٦٦] يعني تهجرون القرآن ولا تؤمنون به ومن قرأ \* (تهجرون) \* أراد الإفحاش في المنطق وقد فسرها بعضهم على الشرك

سورة المؤمنون ٦٨ - ٧٤

ثم قال عز وجل \* (أفلم يدبروا القول) \* أصله يتدبروا فأدغم التاء في الدال يعني ألم يتفكروا في القرآن \* (أم جاءهم) \* من الأمان \* (ما لم يأت آباءهم الأولين) \* معناه جاءهم الذي لم يجئ آباءهم الأولين وهذا كقوله \* (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) \* [يس: ٦] وقال الكلبي \* (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) \* من البراءة من العذاب

ثم قال تعالى \* (أم لم يعرفوا رسولهم) \* يعني نسبة رسولهم \* (فهم له منكرون) \* يعني جاحدين قال أبو صالح عرفوه ولكن حسدوه \* (أم يقولون به جنة) \* يعني بل يقولون به جنون \* (بل جاءهم بالحق) \* يعني الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والقرآن من عند الله عز وجل أن لا تعبدوا إلا الله \* (وأكثرهم للحق كارهون) \* يعني جاحدين مكذبين وهم الكفار قوله عز وجل \* (ولو اتبع الحق أهواءهم) \* والحق هو الله تعالى يعني لو اتبع الله أهواءهم أي مرادهم \* (لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن) \* يعني لهلكت لأن أهواءهم ومرادهم مختلفة ويقال لو كانت الآلهة بأهوائهم كما قالوا لفسدت السماوات كقوله \* (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) \* [الأنبياء: ٢٢] ثم قال \* (بل أتيناهم بذكرهم) \* يعني أنزلنا إليهم جبريل عليه السلام بعزهم وشرفهم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم \* (فهم عن ذكرهم معرضون) \* يعني عن القرآن أي تاركوه لا يؤمنون به \* (أم تسألهم خرجا) \* قرأ حمزة والكسائي \* (خرججا) \* \* (فخراج ربك خير) \* يعني فتواب ربك خير ويقال قوت ربك من الحلال خير من جعلهم وثوابهم \* (وهو خير الرازقين) \* أي أفضل الرازقين

قوله عز وجل \* (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) \* يعني دين مستقيم وهو الإسلام لا عوج فيه \* (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة) \* يعني لا يصدقون بالبعث \* (عن الصراط لناكبون) \* أي عن الدين لعادلون ومائلون

سورة المؤمنون ٧٥ - ٧٧

قوله \* (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) \* يعني من الجوع الذي أصابهم \* (للجوا) \* أي مضوا وتمادوا \* (في طغيانهم يعمهون) \* يعني في ضلالتهم يترددون

قوله عز وجل \* (ولقد أخذناهم بالعذاب) \* يعني بالجوع \* (فما استكانوا لربهم) \*  
يعني ما توضعوا وما خضعوا لربهم \* (وما يتضرعون) \* يقول ما يرغبون إلى الله في  
الدعاء وبالطاعة \* (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) \* يعني نفتح عليهم قال  
السدي هو فتح مكة \* (إذا هم فيه مبلسون) \* قال أبلسوا يومئذ وتغيرت ألوانهم حين  
ينظرون أصنامهم تكسرت وقال عكرمة \* (ذا عذاب شديد) \* يعني فتح مكة ويقال  
الجوع الشديد \* (إذا هم فيه مبلسون) \* أي آيسون من كل خير ورزق  
سورة المؤمنون ٧٨ - ٨٧

قوله عز وجل \* (وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة) \* فهذه الأشياء من  
النعم \* (قليلا ما تشكرون) \* يعني أنتم لا تشكرون ويقال شكركم فيما صنع إليكم  
قليل \* (وهو الذي ذرأكم) \* يعني خلقكم في الأرض \* (وإليه تحشرون) \* في الآخرة  
\* (وهو الذي يحيي ويميت) \* أي يحيي الموتى ويميت الأحياء \* (وله اختلاف الليل  
والنهار) \* أي ذهاب الليل ومجيئ النهار \* (أفلا تعقلون) \* أمر الله ويقال أفلا تعقلون  
توحيد ربكم فيما ترون من صنعه فتعتبرون

ثم قال عز وجل " بل قالوا مثل ما قالوا الأولون " يعني كذبوا مثل ما كذب الأولون \*  
(قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل) \*  
يعني هذا القول \* (إن هذا) \* يعني ما هذا \* (إلا أساطير الأولين) \* يعني أحاديثهم  
وكذبهم

قوله عز وجل \* (قل) \* لكفار مكة \* (لمن الأرض ومن فيها) \* من الخلق \* (إن كنتم  
تعلمون) \* أن أحدا يفعل ذلك غير الله فأجيبوني \* (سيقولون لله قل أفلا تذكرون) \*  
يعني تتعظون فتطيعونه وتوحدونه \* (قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم  
سيقولون لله) \* وكلهم قرؤوا الأول بغير ألف وأما الآخر فإن كلهم قرؤوا بغير ألف غير  
أبي عمرو فإنه قرأ الله والباقون لله قال أبو عبيد وجدت في مصحف الإمام كلها بغير  
ألف قال وحدثنني عاصم الجحدري أن أول من قرأ هاتين الألفين نصر بن عاصم الليثي  
فأما من قرأ \* (الله) \* فهو ظاهر لأنه جواب السائل عما يسأل ومن قرأ \* (الله) \* فله  
مخرج في العربية سهل وهو ما حكى

الكسائي عن العرب أنه يقال للرجل من رب هذه الدار فيقول لفلان يعني هي لفلان والمعنى في ذلك أنه إذا قيل من صاحب هذه الدار فكأنه يقول لمن هذه الدار وإذا قال المحجيب هي لفلان أو قال فلان فهو جائز ولو كان الأول \* (الله) \* لكان يجوز في اللغة ولكنه لم يقرأ والاختلاف في الآخرين ثم قال \* (قل أفلا تتقون) \* عبادة غير الله تعالى فتوحده

سورة المؤمنون ٨٨ - ٩٠

قوله عز وجل " قل من بيده ملكوت كل شيء " يعني خزائن كل شيء \* (وهو يجير ولا يجار عليه) \* يعني يقضي ولا يقضى عليه ويقال وهو يؤمن من العذاب ولا يؤمن عليه أي ليس له أحد يؤمن الكفار من عذابه \* (إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأني تسحرون) \* يعني من الذين تصرفون عن الإسلام وعن الحق

ثم قال عز وجل \* (بل أتيناكم بالحق) \* قال الكلبي يعني القرآن وقال مقاتل يعني جئناهم بالتوحيد \* (وإنهم لكاذبون) \* في قولهم إن الملائكة عليهم السلام كذا وكذا

سورة المؤمنون ٩١ - ٩٥

ثم قال عز وجل \* (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) \* أي من شريك \* (إذا لذهب) \* يعني لو كان معه آلهة لذهب \* (كل إله بما خلق) \* يعني لاستولى كل إله بما خلق وجمع لنفسه ما خلق \* (ولعلا بعضهم على بعض) \* يعني ولغلب بعضهم على بعض كفعل ملوك أهل الدنيا يلتمس بعضهم قهر بعض ويقال استولى على ما خلق دون صاحبه ولغلب بعضهم على بعض \* (سبحان الله عما يصفون) \* من الكذب

قوله عز وجل \* (عالم الغيب والشهادة) \* يعني عالم السر والعلانية ويقال عالم بما مضى وما هو كائن \* (فتعالى الله عما يشركون) \* يعني هو أجل وأعلى مما يوصف له من الشريك والولد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص \* (عالم الغيب) \* بكسر الميم على معنى النعت لقوله \* (سبحان الله) \* وقرأ الباقون بالضم على معنى الابتداء



قوله \* (قل رب إما تريني ما يوعدون) \* من العذاب و " ما " صلة ويقال إن أريتني عذابهم \* (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) \* يعني أخرجني منهم قبل أن تعذبهم فلا تعذبني معهم بذنوبهم \* (وإنا على أن نريك ما نعدهم) \* من العذاب \* (لقادرون) \* قال الكلبي هذا أمر قد كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهده أصحابه وقد مضى بعد الفتنة التي وقعت في الصحابة بعد قتل عثمان رضي الله عنه وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير بعد نزول هذه الآية ضاحكا ولا مبتسما وقال مقاتل \* (وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) \* يعني يوم بدر ويقال يوم فتح مكة ويقال قل \* (رب إما تريني ما يوعدون) \* يعني الفتنة \* (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) \* يعني مع الفئة الباغية وهذا كقوله \* (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) \* [الأنفال: ٢٥] وذكر عن الزبير أنه كان إذا قرأ هذه الآية يقول قد حذرنا الله تعالى فلم نحذر

سورة المؤمنون ٩٦ - ٩٨

ثم قال عز وجل \* (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) \* يعني إُدفع بحلمك جهلهم ويقال بالكلام الحسن الكلام القبيح ويقال إُدفع بقول لا إله إلا الله الشرك من أهل مكة ثم قال \* (نحن أعلم بما يصفون) \* يعني بما يقولون من الكذب ويقال معناه نحن أعلم بما يقولون فلا تعجل أنت أيضا " وقل أعوذ بك من همزات الشياطين " يعني أعتصم بك من نزغات الشيطان وضرباته ووساوسه ثم قال \* (وأعوذ بك رب أن يحضرون) \* يعني قل رب أعوذ بك من قبل أن يحضرنى الشياطين عند تلاوة القرآن ويقال \* (يحضرون) \* عند الموت ويقال عند الصلاة وأصله أن يحضروني إلا أنه يكتب \* (يحضرون) \* بحذف إحدى النونين للتخفيف

سورة المؤمنون ٩٩ - ١٠٥

قوله عز وجل \* (حتى إذا جاء أحدهم الموت) \* يعني أمهلهم وأجلهم حتى إذا حضر أحدهم الموت وهم الكفار \* (قال رب ارجعون) \* يعني يقول لملك الموت وأعوانه يا سيدي ردني ويقال يدعو الله تعالى ويقول يا رب إرجعون ويقال إنما قال بلفظ

الجماعة لأن العرب تخاطب جليل الشأن بلفظ الجماعة ويقال معناه يا رب مرهم ليرجعوني إلى الدنيا \* (لعلي أعمل صالحاً) \* يعني خالصاً \* (فيما تركت) \* في الدنيا قال الله تعالى \* (كلاً) \* وهو رد عليهم يعني أنه لا يرد إلى الدنيا ثم قال \* (إنها كلمة هو قائلها) \* يعني يقولها ولا تنفعه

ثم قال \* (ومن ورائهم برزخ) \* يعني من بعدهم القبر \* (إلى يوم يبعثون) \* والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة ويقال بين كل شيئين حاجز فهو برزخ ويقال هو بين النفختين وقال قتادة البرزخ بقية الدنيا وقال الحسن القبر بين الدنيا والآخرة قوله عز وجل \* (فإذا نفخ في الصور) \* يعني النفخة الأخيرة \* (فلا أنساب بينهم) \* يعني لا ينفعهم \* (يومئذ) \* النسب \* (ولا يتساءلون) \* عن ذلك فهذه حالات لا يتساءلون في موضع ويتساءلون في موضع آخر \* (فمن ثقلت موازينه) \* يعني رجحت حسناته على سيئاته \* (فأولئك هم المفلحون) \* يعني الناجون في الآخرة \* (ومن خفت موازينه) \* يعني رجحت سيئاته على حسناته \* (فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون) \*

قوله تعالى \* (تلفح وجوههم النار) \* يعني تنفح قال أهل اللغة النفح واللفح بمعنى واحد إلا أن اللفح أشد تأثيراً وهو الدفع يعني تضرب وجوههم النار \* (وهم فيها) \* يعني في النار \* (كالحون) \* يعني كلحت وعبست وجوههم والكالح الذي قد قلصت شفتاه عن أسنانه ونحو ما ترى من رؤوس الغنم مشوية إذا بدت الأسنان يعني كلحت وجوههم فلم تلتق شفاههم وقال ابن مسعود كالرأس النضيج ثم قال \* (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) \* يعني ألم يكن يقرأ عليكم القرآن فيه بيان هذا اليوم وما هو كائن فيه \* (فكنتم بها تكذبون) \* يعني بالآيات

سورة المؤمنون ١٠٦ - ١١١

قوله عز وجل \* (قالوا ربنا) \* يعني الكفار \* (غلبت علينا شقوتنا) \* التي كتبت علينا والتي قدرت علينا في اللوح المحفوظ \* (وكننا قوماً ضالين) \* عن الهدى قرأ حمزة والكسائي " شقاوتنا " بنصب الشين والألف وقرأ الباقون \* (شقوتنا) \* بكسر الشين وسكون القاف بغير ألف وروي عن ابن مسعود " شقاوتنا " و \* (شقوتنا) \* ومعناها قريب \* (ربنا أخرجنا منها) \* يعني من النار \* (فإن عدنا) \* إلى الكفر والتكذيب \* (فإننا ظالمون) \* أي فحينئذ يقول الله

تعالى " إحصئوا فيها " يعني إصغروا فيها واسكتوا أي كونوا صاغرين \* (ولا تكلمون)  
\* أي ولا تكلموني بعد ذلك

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر قال  
حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا أبو حفص عن سعيد عن قتادة عن أبي أيوب  
الأزدي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال إن أهل النار ليدعون مالكا فلا يجيبهم  
أربعين عاما ثم يرد عليهم إنكم ما كثون ثم يدعون ربهم ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا  
ظالمون فلا يجيبهم مقدار ما كانت الدنيا مرتين ثم يجيبهم " إحصئوا فيها ولا تكلمون  
" فوالله ما نبس القوم بعد هذا بكلمة إلا الزفير والشهيق

وروي عن ابن عباس أنه قال لما قال الله تعالى " إحصئوا فيها ولا تكلمون " فانطبقت  
أفواههم وانكسرت ألسنتهم فمن الأجواف يعوون كعواء الكلب ويقال " إحصئوا " أي  
تباعدوا تباعد سخط يقال خسأت الكلب إذا زجرته ليتباعد  
ثم بين لهم السبب الذي إستحقوا تلك العقوبة به فقال \* (إنه كان فريق من عبادي  
يقولون) \* وهم المؤمنون \* (ربنا آمنا) \* أي صدقنا \* (فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير  
الراحمين) \*

قوله عز وجل \* (فاتخذتموهم سخريا) \* يعني هزوا \* (حتى أنسوكم ذكري) \* يعني  
أنساكم الهزاء بهم العمل بطاعتي \* (وكنتم منهم تضحكون) \* في الدنيا قرأ عاصم وابن  
عامر وابن كثير وأبو عمرو \* (سخريا) \* بكسر السين وكذلك في سورة ص وكانوا  
يقرؤون في الزخرف بالرفع قالوا لأن في هذين الموضعين من الاستهزاء وهناك في  
الزخرف من السخرة والعبودية فما كان من الاستهزاء فهو بالكسر وما كان من  
التسخير فهو بالضم وقرأ حمزة والكسائي ونافع \* (سخريا) \* كل ذلك بالضم وقال أبو  
عبيد هكذا نقرأ لأنهن يرجعن إلى معنى واحد وهما لغتان سخري وسخري وذكر عن  
الخليل وعن سيويه أن كلاهما واحد

قوله عز وجل \* (إني جزيتهم اليوم بما صبروا) \* يعني جعلت جزاءهم الجنة وهم  
المؤمنون بما صبروا يعني بصبرهم على الأذى وعلى أمر الله تعالى \* (أنهم هم  
الفائزون) \* يعني الناجين قرأ حمزة والكسائي \* (إنهم) \* بكسر الألف على معنى  
الابتداء والمعنى إني جزيتهم

ثم أخبر فقال \* (أنهم هم الفائزون) \* وقال أبو عبيد وقرأ الباقر \* (إنهم) \* بالنصب  
أني جزيتهم لأنهم هم الفائزون وقال أبو عبيد الكسر أحب إلي على ابتداء المدح من  
الله تعالى

سورة المؤمنون ١١٢ - ١١٦

قوله عز وجل \* (قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين) \* يعني في القبر ويقال في الدنيا ويروى عن ابن عباس في بعض الروايات أنه قال لا أدري في الأرض أم في القبر وقال مقاتل \* (كم لبثتم) \* في القبر عدد سنين \* (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين) \* قال الأعمش يعني الحافظين وقال مقاتل يعني ملك الموت وأعوانه وقال قتادة يعني فاسأل الحساب وقال مجاهد يعني الملائكة عليهم السلام وهكذا قال السدي \* (قال إن لبثتم) \* في القبر أو في الدنيا \* (إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون) \* يعني لو كنتم تصدقون أنبيائي عليهم السلام في الدنيا لعرفتم أنكم ما كنتم في القبور إلا قليلاً قرأ حمزة والكسائي وابن كثير " قل كم لبثتم " على معنى الأمر وكذلك قوله " قل إن لبثتم " وقرأ الباقون " قال " بالألف وقرأ حمزة والكسائي " فسل العادين " بغير همز وقرأ الباقون \* (فاسأل) \* بالهمزة

قوله تعالى \* (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً) \* أي لعباً وباطلاً لغير شيء يعني أظننتم أنكم لا تعذبون بما فعلتم \* (وأنكم إلينا لا ترجعون) \* بعد الموت قرأ حمزة والكسائي \* (لا ترجعون) \* بنصب التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بضم التاء ونصب الجيم \* (لا ترجعون) \* وكذلك التي في القصص قالوا لأنها من مرجع الآخرة وما كان من مرجع الدنيا فقد اتفقوا في فتحه مثل قوله \* (ولا إلى أهلهم يرجعون) \* [يس: ٥٠] قال أبو عبيد وبالفتح نقرأ لأنهم اتفقوا في قوله تعالى \* (أنهم لا يرجعون) \* [الأنبياء: ٩٥] وقال إنهم لا يرجعون وقال \* (أنهم إلى ربهم راجعون) \* [المؤمنون: ٦٠] كقوله \* (إنا لله وإنا إليه راجعون) \* [البقرة: ١٥٦] فأضاف الفعل إليهم ثم قال عز وجل \* (فتعالى الله الملك الحق) \* يقول إرتفع وتعظم من أن يكون خلق شيئاً عبثاً وإنما خلق لأمر كائن ثم وحد نفسه فقال \* (لا إله إلا هو رب العرش الكريم) \* يعني السرير الحسن

سورة المؤمنون ١١٧ - ١١٨

قوله عز وجل \* (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) \* يقول لا حجة له بالكفر ولا عذر يوم القيامة \* (فإنما حسابه عند ربه) \* في الآخرة يعني عذابه \* (إنه لا يفلح الكافرون) \*

يعني لا يأمن الكافرون من عذابه ويقال معناه جزاء كل كافر أنه لا يفلح الكافرون في الآخرة عند ربهم

قوله عز وجل \* (وقل رب اغفر وارحم) \* يعني تجاوز عني \* (وأنت خير الراحمين) \* يعني من الأبوين وهذا قول الحسن ويقال من غيرك ويقال إنما حسابه عند ربه فيجازيه كما قال \* (ثم إن علينا حسابهم) \* [الغاشية: ٢٦] \* (وقل رب اغفر وارحم) \* فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يستغفر للمؤمنين ويسأل لهم المغفرة ويقال أمره بأن يستغفر لنفسه ليعلم أنه محتاج إلى الاستغفار كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أني أستغفر الله ربي وأتوب إلى الله في كل يوم سبعين مرة أو قال مائة مرة والله سبحانه وتعالى أعلم

سورة النور مدنية وهي ستون وأربع آيات

سورة النور ١ - ٢

قوله سبحانه وتعالى \* (سورة أنزلناها) \* قرأ بعضهم \* (سورة) \* بنصب الهاء وقراءة العامة بالضم فمن قرأ بالضم فمعناه هذه سورة أنزلناها ومن قرأ بالنصب فمعناه أنزلنا سورة ويقال إقرأ سورة وقد قرئت \* (سورة) \* بالهمزة وبغير همز فمن قرأ بالهمز جعلها من أسأرت يعني أفضلت كأنها قطعة من القرآن ومن لم يهمز جعلها من سور المدينة سورا أي منزلة بعد منزلة ويقال السورة أصلها الرفعة ولهذا سمي سور المدينة وقال النابغة للنعمان بن المنذر

(ألم تر أن الله أعطاك سورة

\* ترى كل ملك دونها يتذبذب)

وإنما خص هذه السورة بذكر السورة لما فيها من الأحكام فذلك كله يرجع إلى أمر واحد وهو أمر النساء

ثم قال تعالى \* (وفرضناها) \* يعني بينا حلالها وحرامها وقال القتيبي أصل الفريضة

الوجوب وها هنا يجوز أن يكون بمعنى بينها وقد يجوز أوجبنا العمل بما فيها وقال

بعض أهل اللغة أصل الفرض هو القطع ولهذا سمي ما يقطع من حافة النهر فريضة

ويسمى الموضع الذي يقطع من السواك أي ليشد فيه الخيط فرض ولهذا يسمى

الميراث فريضة لأن كل واحد قطع له نصيب معلوم قرأ ابن كثير وأبو عمرو \*

(وفرضناها) \* بتشديد الراء وقرأ الباقون بالتخفيف فمن قرأ بالتخفيف فمعناه ألزمتكم

العمل بما فرض فيها ومن قرأ بالتشديد فهو على وجهين أحدهما على معنى التكثير أي

إننا فرضنا فيها فروضا ومعنى آخر وبيننا وفصلنا فيها من الحلال والحرام

ثم قال \* (وأنزلنا فيها) \* يعني في السورة \* (آيات بينات) \* يعني الحدود والفرائض

والأمر والنهي ويقال الآيات يعني العلامات والعبرات ويقال يعني آيات القرآن \* (لعلكم

تذكرون) \* يعني تتعظون فلا تعطلون الأحكام والحدود

قوله عز وجل \* (الزانية والزاني) \* وقرأ بعضهم \* (الزانية) \* بنصب الهاء على معنى إجلدوا الزانية والزاني وهكذا السارق والسارقة بالنصب على هذا المعنى ويقال في الزنى بدأ بذكر المرأة لأن الزنى في النساء أكثر وفي السرقة بدأ بالرجال لأن السرقة في الرجال أكثر وقراءة العامة بالرفع على معنى الابتداء وقيل إنما بدأ بالمرأة لأنها أحرص على الزنى من الرجال ويقال لأن الفعل ينتهي إليها ولا يكون إلا برضاها ثم قال \* (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) \* يعني إذا كانا غير محصنين \* (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) \* قرأ ابن كثير " رأفة " بالهمزة والمد وقرأ أبو عمرو بالمد بغير همز وقرأ الباقر بالهمز بلا مد ومعنى الكل واحد وهو الرحمة وقال بعضهم الرأفة اسم جنس والرحمة اسم نوع قال بعضهم الرأفة للمذنبين والرحمة للتائبين وهو قول سفيان الثوري وقال بعضهم الرأفة تكون دفع المكروه والرحمة إيصال المحبوب يعني لا تحملنكم الشفقة عليهما على ترك الحد \* (إن كنتم تؤمنون بالله) \* يعني في دين الله أي في حكم الله \* (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) \* يعني يوم القيامة وإنما سمي اليوم الآخر لأنه لا يكون بعده ليل فيصير كله بمنزلة يوم واحد وقد قيل إنه تجتمع الأنوار كلها وتصير في الجنة يوماً واحداً وجمعت الظلمات كلها في النار وتصير كلها ليلة واحدة

ثم قال \* (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) \* يعني ليحضر عند إقامة الحد طائفة من المؤمنين وفي حضور الطائفة ثلاث فوائد أولها أنهم يعتبرون بذلك ويبلغ الشاهد الغائب والثانية أن الإمام إذا احتاج إلى الإعانة أعانوه والثالثة لكي يستحي المضروب فيكون زجراً له من العود إلى مثل ذلك الفعل وقال الزهري الطائفة ثلاثة فصاعداً وذكر عن أنس بن مالك أنه قال أربعة فصاعداً لأن الشهادة على الزنى لا تكون أقل من أربعة وقال بعضهم اثنان فصاعداً وقال بعضهم الواحد فصاعداً وهو قول أهل العراق وهو استحباب وليس بواجب وروي عن ابن عباس أنه قال رجلان وعن مجاهد قال واحد فما فوقه طائفة وروي عن ابن عباس مثله

سورة النور ٣ - ٥

قوله عز وجل \* (الزاني لا ينكح إلا زانية) \* روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً يقال له مرثد بن أبي مرثد قال للنبي صلى الله عليه وسلم أنكح عناقا يعني امرأة بغية كانت بمكة قال فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الآية \* (الزاني لا ينكح إلا زانية) \*

\* (أو مشركة) \* فقال يا مرثد لا تنكحها وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ليس هو على النكاح ولكنه الجماع ويقال إن أصحاب الصفة إستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يتزوجوا الزواني وكانت لهن رايات كعلامة البيطار لتعرف أنها زانية وقالوا لنا في تزويجهن مراد فأذن لنا فإنهن أخصب أهل المدينة وأكثرهم خيرا والمدينة غالية السعر وقد أصابنا الجهد فإذا جاءنا الله تعالى بالخير طلقناهن وتزوجنا المسلمات فنزلت الآية \* (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) \*

وقال سعيد بن جبير والضحاك الزاني لا يزني حين يزني إلا بزانية مثله في الزنى والزانية لا تزني إلا بزان مثلها في الزنى \* (وحرّم ذلك على المؤمنين) \* يعني الزنى وقال الحسن البصري \* (الزاني) \* المجلود بالزنى \* (لا ينكح إلا زانية) \* مجلودة مثله في الزنى وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن مجلودا تزوج امرأة غير مجلودة ففرق بينهما ويقال أراد به النكاح \* (لا ينكح) \* يعني لا يتزوج وكان التزويج حراما بهذه الآية ثم نسخ بما روي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن امرأتي لا ترد يد لامس فقال طلقها قال إني أحبها فقال أمسكها وقال سعيد بن المسيب \* (الزاني لا ينكح إلا زانية) \* كانوا يرون أن الآية التي بعدها نسختها \* (وأنكحوا الأيامى منكم) \* [النور: ٣٢] الآية

ثم قال عز وجل \* (والذين يرمون المحصنات) \* يعني يقذفون العفائف من النساء الحرائر المسلمات \* (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) \* على صدق مقالتهن \* (فاجلدوهم) \* يقول للحكام ويقال هذا الخطاب لجميع المسلمين ثم إن المسلمين فوضوا الأمر إلى الإمام وإلى القاضي ليقيم عليهم الحد \* (ثمانين جلدة) \* يعني ثمانين سوطا \* (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) \* أي لا تقبلوا لهم شهادة بعد إقامة الحد عليهم \* (وأولئك هم الفاسقون) \* يعني العاصين

قال عز وجل \* (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) \* يعني القذف \* (وأصلحو) \* يعني العمل بعد توبتهم \* (فإن الله غفور) \* لذنوبهم بعد التوبة \* (رحيم) \* بهم بعد التوبة وقال شريح يقبل توبته فيما بينه وبين الله تعالى فأما شهادته فلا تقبل أبدا وقال إبراهيم النخعي رحمه الله



إذا تاب ذهب عنه الفسق ولا تقبل شهادته أبدا وروي عن ابن عباس أنه قال \* (إلا الذين تابوا) \* تاب الله عليهم من الفسق وأما الشهادة فلا تقبل أبدا وهكذا عن سعيد بن جبير ومجاهد وروي عن جماعة من التابعين أن شهادته تقبل إذا تاب مثل عطاء وطاوس وسعيد بن المسيب والشعبي وغيرهم وهو قول أهل المدينة والأول قول أهل العراق وبه نأخذ

سورة النور ٦ - ١٠

ثم قال تعالى \* (والذين يرمون أزواجهم) \* يعني يقذفون أزواجهم بالزنى قال الفقيه أبو الليث حدثنا أبو جعفر قال حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا يزيد بن هارون عن عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل \* (والذين يرمون المحصنات) \* الآية قال سعد بن عباد وهو سيد الأنصار أهكذا أنزلت يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار ألا تسمعون إلى ما يقول سيدكم فقال سعد والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق وأنها من الله تعالى ولكني قد تعجبت أنني لو وجدت لكاعا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أخرجه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله لا آتي بهم حتى يقضي حاجته قال فما لبثوا إلا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلا فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهجه حتى أصبح فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني فكره النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه واجتمعت الأنصار فقالوا قد إبتلينا بما قال سعد بن عباد الآن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية ويطل شهادته في المسلمين فقال هلال والله إني لأرجو أن يجعل الله لي مخرجا فوالله إن النبي صلى الله عليه وسلم ليريد أن يأمر بضربي إذ نزل عليه الوحي فعرفوا ذلك في ترويض وجهه فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت \* (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) \* الآية فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا فقال هلال قد كنت أرجو ذلك من ربي فأرسلوا إليها فجاءت فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا فقال هلال والله يا رسول الله لقد صدقت عليهما فقالت كذب علي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عنوا بينهما فقبل لهلال إشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فلما كانت الخامسة

قيل يا هلال إتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التي  
توجب عليك العذاب قال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها فشهد  
الخامسة

أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين  
ثم قيل لها إشهدي فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فلما كانت الخامسة  
قيل لها إتقي الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التي  
توجب عليك العذاب فمكثت ساعة ثم قالت والله لا أفصح قومي فشهدت الخامسة أن  
غضب الله عليها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما  
وقضى أن لا يدعى ولدها لأب وقال إن جاءت به أصيهب أريصح أثيبح خمش الساقين  
فهو لهلال وإن جاءت به أورك جعدا جماليا خدلج الساقين سابغ الأليتين فهو للذي  
رمى به فجاءت به أورك جعدا جماليا خدلج الساقين سابغ الأليتين فقال النبي صلى  
الله عليه وسلم لولا الأيمان لكان لي ولها شأن قال عكرمة فكان بعد ذلك أميرا على  
مصر ولا يدعى لأب

وروى ابن شهاب عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمرا العجلاني أتى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت إن وجد الرجل مع امرأته رجلا إن قتله  
قتلته أو كيف يفعل قال قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا فاذهب فأت بها  
فتلاعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا قال كذبت عليها يا رسول الله  
إن أمسكتها فهي طالق ثلاثا فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره النبي صلى الله عليه وسلم قال  
ابن شهاب تلك سنة المتلاعنين وفي رواية أخرى إنه فرق بينهما وقال الزهري صار  
ذلك سنة في المتلاعنين فذلك قوله \* (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا  
أنفسهم) \* يعني الزوج خاصة

\* (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) \* أي يحلف الزوج أربع  
مرات فيقول في كل مرة أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أنني صادق فيما رميتها به من  
الزنى \* (والخامسة) \* يعني يقول في المرة الخامسة \* (أن لعنة الله عليه إن كان من  
الكاذبين) \* فيما رماها به من الزنى  
قوله \* (ويدراً عنها العذاب) \* يعني ويدفع الحاكم الحد عن المرأة \* (أن تشهد أربع  
شهادات بالله إنه لمن الكاذبين) \* يعني بعد ما تحلف المرأة أربع مرات فتقول في كل  
مرة

أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أن الزوج من الكاذبين في قوله \* (والخامسة) \* يعني  
وتقول المرة الخامسة \* (أن غضب الله عليها إن كان) \* الزوج \* (من الصادقين) \* في  
مقالته قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص \* (أربع شهادات) \* بضم العين  
وقرأ الباقر بالنصب فمن قرأ بالضم يكون على معنى خبر الابتداء فشهادة أحدهم التي  
تدراً حد القذف أربع شهادات ومن قرأ بالنصب فالمعنى فعليه أن يشهد أحدهم أربع  
شهادات قال أبو عبيد وبهذا نقرأ ومعناه فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات فيكون  
الجواب في قوله \* (إنه لمن الصادقين) \*

وقرأ نافع \* (أن لعنة الله) \* بتخفيف أن والجزم وقرأ الباقر بالتشديد وقرأ عاصم في  
رواية حفص \* (والخامسة أن غضب الله عليها) \* بنصب التاء وقرأ الباقر بالرفع فإذا  
فرغ من اللعان فرق القاضي بينهما وقال بعضهم تقع الفرقة بنفس اللعان وهو قول  
الشافعي رحمه الله وفي قول علمائنا رحمهم الله لا تقع الفرقة ما لم يفرق بينهما  
ثم قال عز وجل \* (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) \* وجوابه مضمرة ومعناه \* (ولولا  
فضل الله عليكم ورحمته) \* لبين الصادق من الكاذب ويقال \* (ولولا فضل الله عليكم  
ورحمته) \* لنال الكاذب منكم بما ذكرناه من عذاب عظيم ثم قال \* (وأن الله تواب  
حكيم) \* يعني \* (تواب) \* لمن تاب ورجع \* (حكيم) \* حكم بينهما بالملاعنة

سورة النور ١١

قوله عز وجل " إن الذين جاءوا بالإفك " يعني قالوا بالكذب وقال الأحنف الإفك أسوأ  
الكذب وهذه الآية نزلت ببراءة عائشة رضي الله عنها قال الفقيه أبو الليث رحمه الله  
أخبرني الثقة بإسناده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إذا أراد أن يخرج في سفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها  
معه قالت فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وذلك بعد ما نزلت آية الحجاب وكان ذلك في غزوة بني المصطلق  
قالت فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه في مسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله  
عليه وسلم من غزوته وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل فقمتم ومشيت حتى  
جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقدي من  
جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني إبتغاؤه وأقبل الرهط الذين  
كانوا يرحلونني فحملوا هودجي ورحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون  
أنني فيه قالت وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة  
من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه

و كنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش  
فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب قالت فجلست مكاني فظننت أن القوم  
يستفقدونني فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة في منزلي إذ غلبنى النوم فنمت وقد كان  
صفوان بن المعطل السلمي يمكث في المعسكر إذا ارتحل الناس يتبع ما يقع من الناس  
من أمتعتهم فيحمله إلى المنزل الآخر فيعرفه فتجيء الناس ويأخذون أمتعتهم وكان لا  
يكاد يذهب من المعسكر شيء فأصبح صفوان عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني  
فعرفني حين رأني وقد كان يراني قبل أن يضرب علي الحجاب فاسترجع فاستيقظت  
باسترجاعه حين عرفني فحمرت وجهي بجلبابي فوالله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه  
كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فركبتها فانطق بي يقود بي الراحلة  
قالت وكان عبد الله بن أبي إذا نزل في المعسكر نزل في أقصى المعسكر فيجتمع إليه ناس  
فيحدثهم ويتحدثون قالت وكان معه في مجلسه يومئذ حسان بن ثابت ومسطح بن  
أثاة فافتقد الناس عائشة حين نزلوا صحوة وهاج الناس في ذكرها أن عائشة قد فقدت  
ودخل علي بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر أن عائشة قد فقدت  
فبينما الناس كذلك إذ دنا صفوان بن المعطل فتكلم عبد الله بن أبي بما تكلم وحسان  
بن ثابت وسائرهم وأفشوه في المعسكر وخاض أهل المعسكر فيه فجعل يرويه بعضهم عن  
بعض ويحدث بعضهم بعضا

قالت وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة والناس يفيضون في قول أهل الإفك  
ولا أشعر بشيء من ذلك ويريني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه  
وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل ويسلم ثم يقول كيف تيكلم  
فذلك يريني ولا أشعر بالسر فلما رأيت ذلك قلت يا رسول الله لو أذنت لي فانقلبت  
إلى أبوي يمرضاني قال لا بأس عليك وإنما قلت ذلك لما رأيت من جفائه قالت  
فانقلبت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان حتى قمت من وجعي بعد بضع وعشرين  
ليلة

قالت وكانوا لا يتخذون الكنف في بيوتهم إنما كانوا يذهبون في فسح المدينة قالت  
فخرجت في بعض الليل ومعني أم مسطح حتى فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فقالت  
تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت تسبين رجلا وقد شهد بدرا فقالت أولم تسمعي ما  
قال قلت وماذا قال قالت فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا إلى مرضي  
وأخذتني الحمى مكاني فرجعت أبكي

ثم قلت لأمي يغفر الله لك تحدثت الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي منه شيئا فقالت  
هوني عليك فوالله لقل ما كانت امرأة قط رضية عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن  
عليها قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم  
أصبحت أبكي ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد  
رضي الله عنهما حيث إستلبت



(...)

الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال لم يضيق الله عليك والنساء كثير فاستبدل وأما أسامة بن زيد رضي الله عنه فأشار عليه بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه من الود فقال يا رسول الله ما علمت منها إلا خيرا فلا تعجل وانظر واسأل أهلك قالت فسأل حفصة بنت عمر عنها فقالت يا رسول الله ما رأيت عليها سوءا قط وسأل زينب بنت جحش فقالت مثل ذلك وسأل بريرة هل رأيت من شيء يريبك من أمر عائشة قالت له بريرة والذي بعثك بالحق نبيا ما رأيت عليها أمرا قط أغمضه عليها غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله

قالت فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل علي وعندني أبواي فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال يا عائشة لقد بلغك ما يقول الناس فإن كان ما يكون منك زلة مما يكون من الناس فتوبي إلى الله تعالى فإن الله يقبل التوبة عن عباده فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فانتظرت أبوي أن يجيبا عني فلم يفعلوا فقلت يا أبت أجبه فقال ماذا أقول فقلت يا أماه أجيبه فقالت ماذا أقول ثم إستعبرت فبكيت فقلت لا والله لا أتوب مما ذكروني به وإني لأعلم أنني لو أقررت بما يقول الناس لقلت وأنا منه بريئة ولا أقول فيما لم يكن حقا ولئن أنكرت فلا تصدقني قالت ثم أنسيت اسم يعقوب فلم أذكره فقلت ولكنني أقول كما قال العبد الصالح أبو يوسف\* (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)\* [يوسف: ١٨] قالت فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغشاه من الله ما كان يغشاه قالت أنا والله حينئذ أعلم أنني بريئة وأن الله عز وجل يبرئني ببراءتي ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل الله في شأني وحيا يتلى ولساني كان أحقر من أن يتكلم الله تعالى في بقرآن يقرأ به في المساجد ولكنني كنت أرجو أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه شيئا ببراءتي فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة أبشري أما والله فقد برأك الله تعالى فقالت لي أمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله تعالى هو الذي أنزل براءتي وفي رواية قالت أحمد الله تعالى وأذمكم قالت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي برجل ما رأيت عليه سوءا قط ولا دخل علي أهلي إلا وأنا معه فقام سعد بن معاذ فقال أخبرنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هو فإن يكن من الأوس نقتله وإن يكن من الخزرج نرى فيه رأيا أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا

ولكن حملته الحمية فقال كلا ولكنها عداوتك للخزرج قال فاستبأ فقام أسيد بن حضير الأوسي وقال يا سعد بن عبادَة أتقول هذا كلا والله ولكنك منافق تحب المنافقين فاستب حى هذا وحى هذا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللغظ نزل وتركهم وقد تلا عليهم ما أنزل الله تعالى عليه في أمر عائشة رضي الله عنها \* (إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم) \* يعني جماعة منكم وهو ما قال عبد الله بن أبي وأصحابه ما برئت عائشة من صفوان وما برئ عنها صفوان والعصبة عشرة فما فوقها كما قال الكلبي

\* (لا تحسبوه شرا لكم) \* يعني عائشة ومن كان ينسبها والنبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر \* (بل هو خير لكم) \* لأنه لو لم يكن قولهم لم يظهر فضل عائشة رضي الله عنها وإنما ظهر فضل عائشة بما صبرت على المحنة فنزل بسببها سبع عشرة آية من القرآن من قوله " إن الذين جاءوا بالإفك " إلى قوله \* (لهم مغفرة ورزق كريم) \* ووجه آخر \* (بل هو خير لكم) \* لأنه يؤخذ من حسناتهم ويوضع في ميزانه يعني عائشة وصفوان وهذا خير له

ثم قال \* (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم) \* يعني لكل واحد منهم العقوبة بمقدار ما شرع في ذلك الأمر لأن بعضهم قد تكلم بذلك وبعضهم ضحك وبعضهم سكت فكل واحد منهم ما اكتسب من الإثم بقدر ذلك \* (والذي تولى كبره) \* يعني الذي تكلم بالقذف \* (منهم له عذاب عظيم) \* يعني الحد في الدنيا فأقام النبي صلى الله عليه وسلم الحد وكان حميد يقرأ \* (والذي تولى كبره) \* بضم الكاف يعني عظمه قال أبو عبيد والقراءة عندنا بالكسر وإنما الكبر في النسب وفي الولاء

سورة النور ١٢ - ١٥

ثم قال عز وجل \* (لولا إذ سمعتموه) \* يعني هلا إذ سمعتم قذف عائشة وصفوان \* (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) \* يعني هلا ظننتم به كظنكم بأنفسكم ويقال ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم كظن المؤمنين والمؤمنات بأمثالهم وبأهل دينهم خيرا ويقال يعني هلا ظننتم كما ظن المؤمنون والمؤمنات \* (وقالوا هذا إفك مبين) \* يعني هلا قلتم حين بلغكم هذا الكذب هذا كذب بين وعلمتم أن أمكم لا تفعل ذلك " لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء " يعني هلا جاؤوا بها \* (فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) \* في

قولهم اللفظ لفظ الماضي والمراد به المستقبل يعني إطلبوا منهم أربعة شهداء فإن لم يأتوا بها فأقم عليهم الحد  
ثم قال عز وجل \* (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) \* يعني منته ونعمته عليكم \* (في الدنيا والآخرة لمسكم) \* يعني أصابكم \* (فيما أفضتم فيه) \* يعني فيما قلمت من القذف \* (عذاب عظيم) \* في الدنيا والآخرة على وجه التقديم  
قوله عز وجل \* (إذ تلقونه بألسنتكم) \* أي يرويه بعضكم من بعض ويتلقاه بعضكم من بعض وقرئ \* (إذ تلقونه) \* بكسر اللام وضم القاف والتخفيف أي تكذبون بألسنتكم ويقال معناه تهرعون إلى الكذب يقال ولق يلق إذا أسرع إلى الكذب وروى ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقرأ \* (إذ تلقونه بألسنتكم) \* بكسر اللام وقال ابن أبي مليكة هي أعلم لأن الآية نزلت فيها وروى عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ " إذ تلقونه " وقال أبو عبيد لولا قراءة أبي وكراهة الخلاف على الناس ما كان أحد أولى أن يتبع فيها من عائشة كما احتج ابن أبي مليكة  
ثم قال تعالى \* (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) \* من الفرية \* (وتحسبونه هينا) \* يعني تظنون عقوبته هينة \* (وهو عند الله عظيم) \* في الوزر والعقوبة

سورة النور ١٦ - ٢٠

قوله تعالى \* (ولولا) \* يعني فهلا \* (إذ سمعتموه) \* أي إذ سمعتم القذف \* (قلمت ما يكون لنا) \* يعني لا ينبغي لنا ويجوز لنا \* (أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم) \* وفي هذا بيان فضل عائشة رضي الله عنها حيث نزهها باللفظ الذي نزه به نفسه وهو لفظ سبحانه الله ويقال سبحانه الله أن تكون امرأة النبي صلى الله عليه وسلم زانية ما كانت امرأة نبي زانية قط

ثم وعظ الذين يخوضون في أمر عائشة فقال عز وجل \* (يعظكم الله) \* يعني ينهاكم الله عز وجل \* (أن تعودوا لمثله أبدا) \* يعني القذف \* (إن كنتم مؤمنين) \* يعني مصدقين بالله وبرسوله عليه السلام وبالיום الآخر \* (ويبين الله لكم الآيات) \* يعني الأمر والنهي \* (والله عليم حكيم) \* ونزل في عبد الله بن أبي وأصحابه \* (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) \* يعني يظهر الزنى ويفشو ويقال يحبون ما شاع لعائشة من الثناء السيء \* (في الذين آمنوا) \* يعني عائشة



وصفوان رضي الله عنهما \* (لهم عذاب أليم في الدنيا) \* الحد \* (والآخرة) \* النار إن لم يتوبوا \* (والله يعلم) \* أنهما لم يزنيا \* (وأنتم لا تعلمون) \* ذلك منهما ثم قال عز وجل \* (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) \* وجوابه مضمرة يعني لولا من الله عليكم ونعمته لعاقبكم فيما قلتم في أمر عائشة وصفوان \* (وأن الله رؤوف رحيم) \* حيث لم يعجل بالعقوبة  
سورة النور ٢١ - ٢٢

قوله عز وجل \* (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) \* يعني لا تتبعوا تزيين الشيطان ووساوسه بقذف المؤمنين والمؤمنات \* (ومن يتبع خطوات الشيطان) \* وفي الآية مضمرة ومعناه \* (ومن يتبع خطوات الشيطان) \* وقع في الفحشاء والمنكر \* (فإنه) \* يعني به الشيطان \* (يأمر بالفحشاء) \* يعني المعاصي \* (والمنكر) \* ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وروي عن أبي مجلز قال \* (خطوات الشيطان) \* النذور في معصية الله تعالى

ثم قال " ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم " يعني ما ظهر وما صلح منكم \* (من أحد أبدا) \* يعني أحدا و " من " صلة \* (ولكن الله يزكي) \* يعني يوفق للتوحيد \* (من يشاء) \* ويقال ما زكى أي ما وحده \* (ولكن الله يزكي) \* أي يطهر \* (والله سميع) \* لمقاتلهم \* (عليم) \* بهم

ثم قال عز وجل \* (ولا يأتل) \* يعني لا يحلف وهو يفتعل من الألية وهي اليمين قرأ أبو جعفر المدني وزيد بن أسلم " ولا يأتل " على معنى يتفعل ويقال معناه ولا يدع أن ينفق ويتصدق وهو يتفعل من ألوت أني أصنع كذا ويقال ما ألوت جهدي أي ما تركت طاقتي وذلك أن أبا بكر كان ينفق على مسطح لقربته منه وفقره فلما تكلم بما تكلم به حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق عليه فنزلت هذه الآية " أولو الفضل منكم " يعني " أولو الفضل " في دين الله لأنه كان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم \* (والسعة) \* يعني السعة في المال وهذا من مناقب أبي بكر رضي الله عنه حيث سماه الله " أولو الفضل " في الإسلام ويقال \* (ولا يأتل) \* يعني ولا يحلف " أولو الفضل منكم " يعني أولو الغنى والسعة في المال والأول أشبه لكى لا يكون حمل الكلام على التكرار \* (أن يؤتوا أولي القربى) \* يعني لا يحلف أن لا يعطي ولا ينفق على \* (أولي القربى) \* يعني على ذوي القربى وهو مسطح " والمساكين

والمهاجرين في سبيل الله) وكان مسطح من فقراء المهاجرين ومن أقرباء أبي بكر \* (وليعفوا) \* يقول ليركوا \* (وليصفحوا) \* يعني ولتجاوزوا \* (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) \* فقال أبو بكر أنا أحب أن يغفر الله لي فقد تجاوزت عن قرابتي ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر ألا تحب أن يغفر الله لك قال نعم فقرأ عليه السلام هذه الآية وأمره بأن ينفق على مسطح وفي الآية دليل على أن من حلف على أمر فرأى الحنث أفضل منه فله أن يحنث ويكفر عن يمينه ويكون له ثلاثة أجور أحدها ائتماره بأمر الله تعالى والثاني أجر بره وذلك صلته في قرابته والثالث أجر التكفير ثم قال تعالى \* (والله غفور رحيم) \* يعني \* (غفور) \* لذنوبكم \* (رحيم) \* بالمؤمنين

سورة النور ٢٣ - ٢٦

قوله عز وجل \* (إن الذين يرمون المحصنات) \* يعني العفاف \* (الغافلات) \* يعني عن الزنى والفواحش \* (المؤمنات) \* يعني المصدقات بالألسن والقلوب \* (لعنوا في الدنيا والآخرة) \* وأصل اللعن هو الطرد والبعد ويقال للشيطان اللعين لبعده عن الرحمة وروي في الخبر أن يوم القيامة تكون هذه الأمة شاهدة على الأمم الأولين إلا الذين تجري على لسانهم اللعنة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلاً يلعن بغيره فقال أتلعنها وتركبها فنزل عنها ولم يركبها أحد

قوله تعالى \* (ولهم عذاب عظيم) \* يعني شديد يوم القيامة وذكر أن حسان بن ثابت ذهب بصره في آخر عمره فدخل يوماً على عائشة رضي الله عنها فجلس عندها ساعة ثم خرج فقيل لها إن الله تعالى قال \* (لهم عذاب عظيم) \* في الدنيا والآخرة فقالت عائشة أوليس هذا أعظم يعني ذهاب بصره ويقال \* (عذاب عظيم) \* إن لم يتوبوا \* (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) \* أي بما تكلموا ثم قال \* (يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق) \* يعني يوفيههم جزاء أعمالهم قرأ حمزة والكسائي \* (يشهد) \* بالياء بلفظ المذكر وقرأ الباقون بالتاء بلفظ التأنيث لأن الفعل مقدم فيجوز أن يذكر ويؤنث وقرأ مجاهد \* (الحق) \* بضم القاف فيكون الحق نعت الله وتكون قراءة

أبي بن كعب شاهدة له كأنه يقول يومئذ يوفيههم الله الحق دينهم وقراءة العامة \*  
(الحق) \* بالنصب وإنما يكون نصبا لنزع الخافض يعني يوفيههم الله ثواب دينهم بالحق  
أي بالعدل وجه آخر أن يكون الحق نعتا للدين ويكون كقوله \* (حقا) \* ثم يدخل عليه  
الألف واللام

ثم قال \* (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) \* يعني عبادة الله هي الحق المبين ويقال  
ويعلمون أن ما قال الله عز وجل هو الحق

ثم قال \* (الخبثات للخبثين) \* قال الكلبي الخبيثات من الكلام للخبثين من الرجال  
يعني عبد الله بن أبي \* (والخبثون) \* من الرجال \* (للخبثات) \* من الكلام على معنى  
التكرار والتأكيد ويقال \* (الخبثات) \* من النساء \* (للخبثين) \* من الرجال مثل عبد  
الله بن أبي تكون له زوجة خبيثة زانية وامرأة النبي صلى الله عليه وسلم لا تكون زانية  
خبثية ويقال \* (الخبثات للخبثين) \* يعني لا يتكلم بكلام الخبيث إلا الخبيث ولا يليق  
إلا بالخبث ويقال الكلمات الخبيثات إنما تليق بالخبثين من الرجال

ثم قال \* (والطيبات للطيبين) \* يعني \* (الطيبات) \* من الكلام \* (للطيبين) \* من  
الرجال ويقال \* (الطيبات) \* من النساء \* (للطيبين) \* من الرجال \* (والطيبون  
للطيبات) \* على معنى التكرار والتأكيد

ثم قال \* (أولئك مبرؤون مما يقولون) \* يعني عائشة وصفوان مما يقولون من الفرية \*  
(لهم مغفرة ورزق كريم) \* يعني رزقا في الجنة كثيرا ويقال \* (كريم) \* يعني حسن  
وذكر ابن عباس أنه دخل على عائشة رضي الله عنها في مرضها الذي ماتت فيه  
فذكرت ما كان منها من الخروج في يوم الجمل وغيره فقال لها ابن عباس أبشري فإن  
الله تعالى يقول \* (لهم مغفرة ورزق كريم) \* والله تعالى ينجز وعده فسري بذلك عنها

سورة النور ٢٧ - ٢٩

قوله عز وجل \* (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) \* يعني بيوتا ليست  
لكم \* (حتى تستأنسوا) \* يعني حتى تستأذنوا وروي عن سعيد بن جبير أن عبد الله بن  
عباس كان يقرأ " حتى تستأذنوا " ويقول تستأذنوا خطأ من الكاتب وروي عن مجاهد  
عن ابن عباس أنه قال أخطأ الكاتب في قوله \* (حتى تستأنسوا) \* وقراءة العامة \* (حتى  
تستأنسوا) \* وقال القتيبي الإستئناس أن تعلم من في الدار يقال استأنست فما رأيت أحدا  
أي استعلمت

وتعرفت ومنه قوله \* (فإن أنستم منهم رشدا) \* [النساء: ٦] أي علمتم وروي عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إنني أكون في بيتي على الحالة التي لا أحب أن يراني عليها أحد فيأتي الأب فيدخل علي فكيف أصنع قال إرجعي فنزلت هذه الآية \* (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) \* قال مجاهد وهو التنحج \* (وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم) \* يعني التسليم والاستئذان خير لكم من أن تدخلوا بغير إذن وسلام \* (لعلكم تذكرون) \* أن التسليم والاستئذان خير لكم قال عز وجل \* (فإن لم تجدوا فيها أحدا) \* يعني إن لم تجدوا في البيوت أحدا يأذن لكم في الدخول \* (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) \* في الدخول \* (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) \* ولا تقيموا على أبواب الناس فلعل لهم حوائج \* (هو أزكى لكم) \* يعني الرجوع أصلح لكم من القيام والقعود على أبواب الناس \* (والله بما تعملون عليم) \* يعني إذا دخلتم بإذن أو بغير إذن ثم رخص لهم في البيوت على طريق الناس مثل الرباطات والخانات وذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال يا رسول الله فكيف بالبيوت التي بين الشام ومكة والمدينة التي على ظهر الطريق ليس لها ساكن فنزل قوله عز وجل \* (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) \* مثل الخانات وبيوت السوق \* (فيها متاع لكم) \* يعني منافع لكم ويقال الخربات التي يدخل فيها لقضاء الحوائج فيها منفعة لكم ويقال في الخانات منفعة لكم من الحر والبرد \* (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) \* من التسليم والاستئذان

سورة النور ٣٠ - ٣١

قوله عز وجل \* (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) \* يعني يكفوا أبصارهم و " من " صلة في الكلام \* (ويحفظوا فروجهم) \* عما لا يحل لهم وقال أبو العالية الرياحي كلما ذكر حفظ الفرج في القرآن أراد به الحفظ عن الزنى إلا ها هنا فإن المراد به ها هنا الستر عن النظر يعني قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم عن عورات النساء ويحفظوا فروجهم عن أبصار الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك والأخرى عليك وروي عن عيسى ابن مريم أنه قال إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة فذلك قوله " ذلك أزكى لكم " وأطهر من الريبة يعني غض البصر والحفظ خير لكم من ترك الحفظ والنظر ثم قال \* (إن الله خبير بما يصنعون) \* يعني عالم بهم

قوله عز وجل \* (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) \* يعني يحفظن أبصارهن عن الحرام \* (ويحفظن فروجهن) \* عن الفواحش \* (ولا يبدين زينتهن) \* يعني لا يظهرن مواضع زينتهن \* (إلا ما ظهر منها) \* روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال وجهها وكفيها وهكذا قال إبراهيم النخعي وروي أيضا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت الوجه والكفان وهكذا قال الشعبي وروي نافع عن ابن عمر أنه قال الوجه والكفان وقال مجاهد الكحل والخضاب وروي أبو صالح عن ابن عباس الكحل والخاتم وروي عن ابن عباس في رواية أخرى \* (إلا ما ظهر منها) \* يعني فوق الثياب وروي أبو إسحاق عن ابن مسعود أنه قال ثيابها وروي عن ابن مسعود رواية أخرى أنه سئل عن قوله \* (إلا ما ظهر منها) \* فتقنع عبد الله بن مسعود وغطى وجهه وأبدى عن إحدى عينيه قوله تعالى \* (وليضربن بخمرهن) \* يعني ليرخين بخمرهن \* (على جيوبهن) \* يعني على الصدر والنحر قال ابن عباس وكن النساء قبل هذه الآية يبدين خمرهن من ورائهن كما يصنع النبط فلما نزلت هذه الآية سدلن الخمر على الصدر والنحر

ثم قال \* (ولا يبدين زينتهن) \* يعني لا يظهرن مواضع زينتهن وهو الصدر والساق والساعد والرأس لأن الصدر موضع الوشاح والساق موضع الخلخال والساعد موضع السوار والرأس موضع الإكليل فقد ذكر الزينة وأراد بها موضع الزينة \* (إلا لبعولتهن) \* يعني لأزواجهن \* (أو آبائهن) \* يعني يجوز للأبائهم النظر إلى مواضع زينتهن \* (أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن) \* وقد ذكر في الآية بعض ذوي الرحم المحرم فيكون فيه دليل على ما كان بمعناه لأنه لم يذكر فيها الأعمام والأخوال ولكن الآية إذا نزلت في شيء فقد نزلت فيما هو في معناه والأعمام والأخوال بمعنى الإخوة وبني الإخوة لأنه ذو رحم محرم وقد ذكر الأبناء في آية أخرى وهي قوله \* (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن) \* [الأحزاب: ٥٥] والنظر إلى النساء على أربع مراتب في وجهه يجوز النظر إلى جميع أعضائها وهي

(٥٠٨)

النظر إلى زوجته وأمته وفي وجه يجوز النظر إلى الوجه والكفين وهو النظر إلى المرأة التي لا يكون محرماً لها ويأمن كل واحد منهما على نفسه فلا بأس بالنظر عند الحاجة وفي وجه يجوز النظر إلى الصدر والساق والرأس والساعد وهو النظر إلى امرأة ذي رحم أو ذات رحم محرّم مثل الأخت والأم والعمّة والخالة وأولاد الأخ والأخت وامرأة الأب وامرأة الابن وأم المرأة سواء كان من قبل الرضاع أو من قبل النسب وفي وجه لا يجوز النظر إلى شيء وهو أن يخاف أن يقع في الإثم إذا نظر

ثم قال تعالى \* (أو نسائهن) \* يعني نساء أهل دينهن ويكره للمرأة أن تظهر مواضع زينتها عند امرأة كتابية لأنها تصف ذلك عند غيرها ويقال \* (نسائهن) \* يعني العفائف ولا ينبغي أن تنظر إليها المرأة الفاجرة لأنها تصف ذلك عند الرجال

ثم قال \* (أو ما ملكت أيماهن) \* يعني الجوّاري فإنها نزلت في الإمامة وقال سعيد بن المسيّب لا تغرنكم هذه الآية \* (أو ما ملكت أيماهن) \* يعني الجوّاري فإنها نزلت في الإمامة لا ينبغي للمرأة أن ينظر العبد إلى شعرها ولا إلى شيء من محاسنها وقال مجاهد أكره أن ينظر العبد إلى شعر مولاته وكذلك قال عطاء وطاوس وقال مجاهد في بعض القراءات \* (أو ما ملكت أيماهن) \* الذين لم يبلغوا الحلم وروى سفيان عن ليث قال كان بعضهم يقرأ \* (أو ما ملكت أيماهن) \* من الصغار وقال الشعبي لا ينظر العبد إلى مولاته ولا إلى شعرة منها

ثم قال تعالى \* (أو التابعين غير أولي الإربة) \* يعني الخادم أو الأجير للمرأة يعني غير ذوي الحاجة مثل الشيخ الكبير ونحوه وقال مجاهد هو الذي لا إرب له أي لا حاجة له بالنساء مثل فلان وكذا روى الشعبي عن علقمة وقال الحسن والزهري \* (غير أولي الإربة) \* هو الأحمق وقال الضحّاك هو الأبله ويقال هو الذي طبعه طبع النساء فلا يكون له شهوة الرجال وسئلت عائشة رضي الله عنها هل يرى الخصي حسن المرأة قالت لا ولا كرامة أليس هو رجل قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر \* (غير أولي الإربة) \* بنصب الراء وقرأ الباقون بالكسر فمن قرأ بالكسر يكون على النعت للتابعين فيكون معناها التابعين الذين هذه حالهم ومن نصب أراد به الاستثناء والمعنى إلا أولي الإربة

ثم قال \* (من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) \* يعني لم يطلعوا ولم يشتهوا الجماع

ثم قال \* (ولا يضربن بأرجلهن) \* يعني لا يضربن بإحدى أرجلهن على الأخرى ليقرع الخلل بالخلخال \* (ليعلم ما يخفين من زينتهن) \* يعني ما يوارى الثياب من زينتهن وروى سفيان عن السدي قال كانت المرأة تمر على المجلس وفي رجلها الخلل فإذا جازت بالقوم ضربت برجلها ليصوت خلخالها فنزلت \* (ولا يضربن بأرجلهن) \* وقال بعض

(०.१)



المفسرين قد علم الله تعالى أن من النساء من تكون حمقاء فتحرك رجلها ليعلم أن لها خلخالاً فهي النساء أن يفعلن كما تفعل الحمقاء  
ثم قال \* (وتوبوا إلى الله جميعاً) \* يعني من جميع ما وقع التقصير من الأوامر والنواهي التي ذكر من أول السورة إلى هنا \* (أيها المؤمنون) \* يعني أيها المصدقون بالله ورسوله وفي هذه الآية دليل أن الذنب لا يخرج العبد من الإيمان لأنه أمر بالتوبة والتوبة لا تكون إلا من الذنب ولم يفصل بين الكبائر وغيرها فقال بعدما أمر بالتوبة \* (أيها المؤمنون) \* سماهم مؤمنين بعد الذنب ثم قال \* (لعلكم تفلحون) \* أي تنجون من العذاب قرأ ابن عامر \* (أيه) \* بضم الهاء وكذلك في قوله " يا أيه الساحر " وأيه الثقلان " وقرأ الباقون بالنصب

سورة النور ٣٢ - ٣٤

قوله عز وجل \* (وأنكحوا الأيامى منكم) \* والأيامى الرجال والنساء الذين لا أزواج لهم يقال رجل أيم وامرأة أيم كما يقال رجل بكر وامرأة بكر ويقال الأيم من النساء خاصة كل امرأة لا زوج لها فهي أيم فأمر الأولياء بأن يزوجوا النساء وأمر الموالي بأن يزوجوا العبيد والإماء إذا احتاجوا إلى ذلك فقال للأولياء \* (وأنكحوا الأيامى منكم) \* يعني من قومكم ومن عشيرتكم ثم قال للموالي \* (والصالحين من عبادكم) \* يعني من عبيدكم زوجوهم امرأة وهذا أمر استحباب وليس بحتم \* (وإمائكم) \* يعني زوجوا إماءكم لكيلا يقعن في الزنى \* (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) \* يعني يرزقهم الله من فضله وسعته

وقال بعضهم هذا منصرف إلى الحرائر خاصة دون العبيد والإماء وقال بعضهم انصرف إلى جميع ما سبق ذكرهم من الأحرار والمماليك \* (يغنهم الله من فضله) \* يعني من رزقه والغنى على وجهين غنى بالمال وهو أضعف الحالين وغنى بالقناعة وهو أقوى الحالين كما روي في الخبر الغنى غنى النفس وروي هشام بن عروة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنكحوا النساء فإنهن يأتينكم بالمال وقال عمر رضي الله عنه إبتغوا الغنى في النكاح ثم قرأ \* (يغنهم الله من فضله) \* وروي عن جعفر بن محمد أن رجلاً شكاً إليه الفقر فأمره أن يتزوج فتزوج الرجل ثم جاء فشكا إليه الفقر فأمره بأن يطلقها فسأل عن ذلك فقال قلت لعله من

أهل هذه الآية \* (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) \* فلما لم يكن من أهلها قلت لعله من أهل آية أخرى \* (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) \* [النساء: ١٣٠] ثم قال \* (والله واسع عليم) \* أي واسع الفضل ويقال \* (واسع) \* أي موسع في الرزق يوسع على من يشاء \* (عليم) \* بقدر ما يحتاج إليه كل واحد منهم ثم أخبر أنه لا رخصة لمن لم يجد النكاح في الزنى وأمر بالتعفف للذي لا امرأة له فقال عز وجل \* (وليستعفف الذين) \* يعني ليحفظ نفسه عن الحرام الذين \* (لا يجدون نكاحا) \* يعني سعة بالنكاح المهر والنفقة ويقال يعني امرأة موافقة \* (حتى يغنيهم الله من فضله) \* يعني من رزقه بالنكاح وقد قيل إن الصبر والطلب خير من الغارة والهرب

\* (والذين يبتغون الكتاب) \* أي يطلبون الكتابة قال ابن عباس وذلك أن مملوكا لحويطب يقال له صبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فنزلت الآية \* (والذين يبتغون الكتاب) \* يعني يطلبون الكتابة \* (مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا) \* يعني حرفة قال مجاهد وعطاء يعني مالا وروي عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني قال أدبا وصلاحا وقال إبراهيم يعني وفاء وصدقا وروى يحيى بن أبي كثير قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال \* (إن علمتم فيهم خيرا) \* أي حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس وقال ابن عباس الخير المال كقوله \* (إن ترك خيرا) \* [البقرة: ١٨٠] يعني مالا وقيل \* (خيرا) \* يعني صلاحا في دينه لكيلا يقع في الفساد بعد العتق وهذا أمر استحباب لا إيجاب وقال بعضهم هو واجب وروى معمر عن قتادة قال سأل سيرين أبو محمد بن سيرين أنس بن مالك بأن يكاتبه فأبى أنس بن مالك فرفع عليه عمر الدرّة وتلا هذه الآية \* (فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا) \* ثم قال \* (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) \* يعني أعطاكم يعني يحطه من الكتاب شيئا ويقال يعطى من بيت المال حتى يؤدي كتابه وقال عمر وعلي رضي الله عنهما يترك له ربع الكتابة وقال قتادة يترك له العشر وقال إبراهيم حث المولى وغيره بأن يعينوه هذا أمر استحباب وليس بواجب وقال بعضهم الحط واجب والأول أصح ثم قال \* (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) \* يعني لا تكرهوا الإماء على الزنى وقال عكرمة كانت جارية لعبد الله بن أبي يقال لها معاذة وكان يكلفها الخراج عن الزنى فنزل \* (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا) \* يعني تعففا \* (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) \* يعني لتطلبوا بكسبهن وولدهن المال \* (ومن يكرهن) \* يعني يجبرهن على

الزنى \* (فإن الله من بعد إكراههن) \* يعني من بعد إجبارهن على الزنى \* (غفور) \*  
لذنوبهن \* (رحيم) \* يعني الإمام لأنهن كن مكرهات على فعل الزنى  
قوله عز وجل \* (ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات) \* يعني واضحات \* (ومثلاً من الذين  
خلوا من قبلكم) \* يعني فيه خير من قبلكم من الأمم الماضية \* (وموعظة للمتقين) \*  
لكي يعتبروا بما أصابهم

سورة النور ٣٥

قوله عز وجل " والله نور السماوات والأرض " قال ابن عباس رضي الله عنه هادي أهل  
السماوات وأهل الأرض ويقال هادي أهل السماوات والأرض من يشاء وبين ذلك في  
آخر الآية بقول " يهدي لنوره من يشاء " ويقال معناه الله منور السماوات والأرض  
وقال ابن عباس بدليل قوله \* (مثل نوره) \* فأضاف النور إليه وبدليل ما قال في سياق  
الآية \* (ومن لم يجعل الله له نورا) \* [النور: ٤٠] وروي عن أبي العالية أنه قال معناه  
الله منور قلوب أهل السماوات وقلوب أهل الأرض بالمعرفة والتوحيد يعني من كان  
أهلاً للإيمان ويقال الله منور السماوات والأرض أما السماوات فنورها بالشمس والقمر  
والكواكب وأما الأرض فنورها بالأنبياء والعلماء والعباد عليهم السلام  
ثم قال تعالى \* (مثل نوره) \* يعني مثل نور المعرفة في قلب المؤمن \* (كمشكاة فيها  
مصباح) \* يعني كمثل كوة فيها سراج ويقال المشكاة الكوة التي ليست بنافذة وهي  
بلغة الحبشة وروي في قراءة ابن مسعود \* (مثل نوره) \* في قلب المؤمن \* (كمشكاة  
فيها مصباح) \* ثم وصف المصباح فقال \* (المصباح في زجاجة) \* يعني كمثل سراج  
في قنديل في كوة فكذلك الإيمان والمعرفة في قلب المؤمن والقلب في الصدر والصدر  
في الجسد فشبه القلب بالقنديل والماء الذي في القنديل شبه بالعلم والدهن بالرفق  
وحسن المعاملة وشبه الفتيلة باللسان وشبه النار بالجوف في زجاجة يعني في قلب  
مضيء ويقال إنما شبه القلب بالزجاجة لأن ما في الزجاجة يرى من خارجها فكذلك  
ما في القلب يرى من ظاهره ويبين ذلك في أعضائه ويقال لأن الزجاجة تسرع الكسر  
بأدنى آفة تصيبها فكذلك القلب بأدنى آفة تدخل فيه فإنه يفسد  
ثم وصف الزجاجة فقال \* (كأنها كوكب دري) \* يعني إستنارة القنديل بصفاء  
الزجاجة

\* (كأنها كوكب دري) \* قرأ نافع وابن كثير وعاصم في رواية حفص \* (كوكب دري) \* بضم الدال غير مهموز وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال وبهمز الياء وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر بالضم والهمز فمن قرأ بضم الدال فهو منسوب إلى الدر يعني يشبه في ضوئه الدر وممن قرأ بكسر الدال يعني الذي يدرأ عن نفسه يعني لا يكاد يقدر النظر إليه من شدة ضوئه

ثم قال تعالى \* (يوقد من شجرة مباركة) \* يعني السراج يوقد بدهن من شجرة مباركة \* (زيتونة) \* قرأ أبو عمرو وابن كثير \* (توقد) \* بنصب التاء والواو والقاف بلفظ التأنيث وأصله تتوقد فحذف إحدى التاءين وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي بضم التاء والتخفيف بلفظ التأنيث على فعل ما لم يسم فاعله وقرأ الباقون " يوقد " بالياء والضم بلفظ التذكير والتفسير على معنى فعل ما لم يسم فاعله فمن قرأ بالتأنيث انصرف إلى الزجاجية ومن قرأ بالتذكير انصرف إلى المصباح والسراج ثم وصف الشجرة المباركة فقال \* (زيتونة لا شرقية ولا غربية) \* يعني لم تكن بحال يصيبها الشمس في أول النهار ولا يصيبها في آخر النهار ولكنها في مكان مطمئن تصيبها الشمس في أول النهار وآخره فكذاك هذا المؤمن تكون كلمة الإخلاص في قلبه ثابتة مثل ثبوت الشجرة فلا يكون مشبها ولا معطلا ولا قدريا ولا جبريا ولكنه على الإستقامة ويقال \* (لا شرقية ولا غربية) \* يعني تكون في وسط الأشجار حتى لا تحرقها الشمس فكذاك هذا المؤمن بين أصحاب صلحاء يثبته على الإستقامة وروي عن الحسن أنه قال ليس هذه من أشجار الدنيا لكن من أشجار الآخرة يعني أن أشجار الدنيا لا تخلو من أن تكون شرقية أو غربية ولكن هذه من أشجار الآخرة فكذاك هذا المؤمن من أصاب المعرفة بتوفيق الله عز وجل

وقال " يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار " يعني أن الزيت في الزجاجية يكاد أن يضيء ولو لم يكن موقدا فكذاك المؤمن يعرف الله تعالى ويخافه ويطيعه وإن لم يكن له أحد يذكره ويأمره وينهاه

ثم قال \* (نور على نور) \* يعني الزجاجية نور والسراج نور والزيت نور فكذاك المؤمن اعتقاده نور وقوله نور وفعله نور وقال أبو العالية فهو يتقلب في خمسة من الأنوار فكلامه نور وعمله نور ومخرجه نور ومدخله نور ومصيره إلى النور يوم القيامة

\* (يهدي الله لنوره من يشاء) \* يعني يوفق ويعطي من يشاء يعني الهدى وللآية وجه آخر \* (الله نور السماوات والأرض) \* يعني الله مرسل الرسل إلى أهل السماوات وأهل الأرض \* (مثل نوره) \* يعني مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم فسماه نورا كقوله \* (قد جاءكم من الله نور) \* [المائدة: ١٥] ثم قال \* (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) \* يعني مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم في صلب



أبيه كالتقديـل يضيء البيت المظلم فكما أن البيت يكون مضيئاً بالتقديـل فإذا أخذ منه التقديـل يبقى البيت مظلماً فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم كان كالتقديـل في صلب أبيه فلما خرج بقي صلب أبيه مظلماً \* (يوقد من شجرة مباركة) \* يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم من نور إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام \* (زيتونة لا شرقية ولا غربية) \* يعني لم يكن إبراهيم عليه السلام يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ويقال \* (لا شرقية ولا غربية) \* يعني محمداً صلى الله عليه وسلم كان من العرب " يكاد زيتها يضيء وإن لم تمسسه نار " يعني يضيء بطاعته وإن لم يكن نبياً \* (نور على نور) \* يعني محمداً صلى الله عليه وسلم كان عمله نورا وقوله نورا \* (يهدى الله لنوره من يشاء) \* يعني يعطي النبوة لمن يشاء ولها وجه آخر \* (الله نور السماوات والأرض) \* يعني منزل القرآن فنور بالقرآن السماوات والأرض \* (مثل نوره) \* يعني مثل نور القرآن في قلب المؤمن \* (كمشكاة فيها مصباح) \* يعني قلب المؤمن بالقرآن \* (يوقد من شجرة مباركة) \* يعني ينزل القرآن من رب كريم ذي بركة \* (لا شرقية ولا غربية) \* أي ليس القرآن بلغة السريانية ولا بلغة العبرانية ولكنه عربي مبين " يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار " يعني القرآن يضيء وألفاظه مهذبة وإن لم تفهم معانيه \* (يهدى الله لنوره من يشاء) \* يعني يوفق ويكرم بفهم القرآن من يشاء \* (ويضرب الله الأمثال للناس) \* يعني الله عز وجل يبين الأشباه للناس لكي يفهموا ويقال المثل كالمراة يظهر عنده الحق " والله بكل شيء عليم " من ضرب الأمثال

سورة النور ٣٦ - ٣٨

ثم قال عز وجل \* (في بيوت أذن الله أن ترفع) \* يعني ما ذكر من التقديـل المضيء هو في المساجد ثم وصف المساجد ويقال هذا ابتداء القصة وفيه معنى التقديـم يعني أذن الله أن ترفع البيوت وهي المساجد \* (أذن الله أن ترفع) \* يعني تبنى وتعظم \* (ويذكر فيها اسمه) \* يعني توحيدده ويقال بالأذان والإقامة \* (يسبح له) \* فيها يعني يصلي لله في المساجد \* (بالغدو والآصال) \* يعني عند الغداة والعشي قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر \* (يسبح) \* بنصب الباء على معنى فعل ما لم يسم فاعله ثم قال عز وجل \* (رجال لا تلهيهم تجارة) \* يعني هم رجال وقرأ الباقون \* (يسبح) \* بكسر الباء ويكون الفعل للرجال يعني يسبح فيها \* (رجال لا تلهيهم) \* يعني لا يشغلهم البيع والشراء عن ذكر الله يعني عن طاعة الله وعن مواقيت الصلاة \* (ولا يبيع عن ذكر الله وإقام الصلاة) \* يعني عن إتمام الصلاة قال بعضهم نزلت الآية في أصحاب الصفة وأمثالهم الذين تركوا التجارة ولزموا

المسجد وقال بعضهم هم الذين يتجرون ولا تشغلهم تجارة عن الصلوات في مواقيتها وهذا أشبه لأنه قال \* (وإيتاء الزكاة) \* وأصحاب الصفة وأمثالهم لم يكن عليهم الزكاة وقال الحسن \* (رجال لا تلهيهم تجارة) \* أما أنهم كانوا يتجرون ولم تكن تشغلهم تجارة عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وروي عن ابن مسعود أنه رأى قوما من أهل السوق سمعوا الأذان فتركوا بياعتهم وقاموا إلى الصلاة فقال هؤلاء من الذين \* (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) \*

ثم قال \* (يخافون يوما) \* يعني من اليوم الذي \* (تنقلب فيه القلوب والأبصار) \* يعني يتردد فيه القلوب والأبصار في الصدر إن كان كافرا فإنه يبلغ الحناجر من الخوف وإن كان تقيا مؤمنا تقول الملائكة \* (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) \* [الأنبياء: ١٠٣] فيتبين ما في قلبه في البصر وإن كان حزنا فحزن وإن كان سرورا فسرور ويقال \* (تنقلب) \* يعني تتحول حالا بعد حال مرة يعرفون ومرة لا يعرفون ويقال \* (تنقلب) \* يعني تتحول عما كانت عليه في الدنيا من الشك حين رأى بالمعاينة فيتحول قلبه وبصره من الشك إلى اليقين

ثم قال عز وجل \* (ليجزئهم الله أحسن ما عملوا) \* يعني يجزيهم بإحسانهم ويقال يجزيهم أحسن وأفضل من أعمالهم وهو الجنة ويقال ويجزيهم أكثر من أعمالهم بكل حسنة عشرة وأضعافا مضاعفة ويقال يجزيه ويغفر له بأحسن أعماله ويبقى سائر أعماله فضلا

ثم قال \* (ويزيدهم من فضله) \* أي يرزقهم من عطائه \* (والله يرزق من يشاء بغير حساب) \* أي يرزقه ولا يحاسبه ويقال يرزقه رزقا لا يدرك حسابه ويقال ليس أحد يحاسبه فيما يعطي ويقال \* (بغير حساب) \* أي من غير حساب أي من حيث لا يحتسب

سورة النور ٣٩ - ٤٠

ثم ضرب مثلا لعمل الكفار فقال عز وجل \* (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) \* يعني مثل أعمالهم الخبيثة في الآخرة \* (كسراب بقيعة) \* يعني كمثل سراب في مفازة ويقال قاع وقيعان يعني أرضا مستوية كما يقال صبي وصبية وصبيان \* (يحسبه الظمآن ماء) \* يعني العطشان إذا رأى السراب من بعيد يعني يجده ماء \* (حتى إذا جاءه) \* يعني فإذا أتاه ليشرب منه \* (لم يجده شيئا) \* مما طلبه وأراده فكذلك الكافر يظن أنه يثاب في صدقته وعتقه وسائر أعماله فإذا جاءه يوم القيامة وجده هباء منثورا ولا ثواب له \* (ووجد الله عنده) \* أي يوم

القيامة عند عمله وهذا كما قال \* (إن ربك لبالمرصاد) \* [الفجر: ١٤] يعني مصير الخلائق إليه \* (فوفاه حسابه) \* يعني يوفيه ثواب عمله \* (والله سريع الحساب) \* فكأنه حاسب ويقال سريع الحفظ ويقال إذا حاسب فحسابه سريع فيحاسبهم جميعا فيظن كل واحد منهم أنه يحاسبه خاصة فلا يشغله حساب أحدهم عن الآخر لأنه لا يحتاج إلى أخذ الحساب ولا يجري فيه الغلط ولا يلتبس عليه ويحفظ على كل صاحب حساب حسابه ليذكره فهذا المثل لأعمال الكفار والتي في ظاهرها طاعة فأخبر أنه لا ثواب لهم بها

ثم ضرب مثلا آخر للكافر فقال عز وجل \* (أو كظلمات) \* قال بعضهم الألف زيادة ومعناه وكظلمات يعني ومثلهم أيضا كظلمات ويقال \* (أو) \* للتخيير يعني إن شئت فاضرب لهم المثل بالسراب وإن شئت بالظلمات فقال \* (أو كظلمات) \* \* (في بحر لحي) \* يعني مثل الكفار كمثل من في الظلمات فشبهه قلب المؤمن بالقنديل وشبهه قلب الكافر بالظلمات يعني كمثل رجل يكون في بحر عميق في ليل كثير الماء \* (يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات) \* يعني يكون في ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة السحاب فكذلك الكافر في ظلمة الكفر وظلمة الجهل وظلمة الجور والظلم ويقال \* (يغشاه موج من فوقه موج) \* يعني المعاصي ومن فوقه العداوة والحسد والبغضاء و \* (من فوقه سحاب) \* يعني الخذلان من الله تعالى

ثم قال \* (ظلمات بعضها فوق بعض) \* كما قال للمؤمن \* (نور على نور) \* فيكون للكافر ظلمة على ظلمة قوله ظلمة وعمله ظلمة واعتقاده ظلمة وقال أبو العالية يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعلمه ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمة وهو النار ويقال شبهه قلب الكافر بالبحر العميق وشبهه أعضائه بالأمواج الثلاث طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فهذه الظلمات الثلاث تمنعه عن الحق ثم قال \* (إذا أخرج يده لم يكد يراها) \* يعني من شدة الظلمة فإذا أبرز يده لم يكد يراها من شدة الظلمة يعني لم يكن شيء أقرب إليه من نفسه فلم ير نفسه فكذلك الكافر لم ينظر إلى القبر ولم يتفكر في أمر نفسه أيضا كقوله عز وجل \* (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) \* [الذاريات: ٢١]

ثم قال \* (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) \* يعني من لم يكرمه الله بالهدى فما له من مكرم بالمعرفة قرأ ابن كثير \* (ظلمات) \* بكسر التاء والتنوين فكأنه يجعله بمنزلة قوله \* (كظلمات) \* وقرأ الباقر بالضم على معنى الابتداء وقرئ في الشاذ سحاب ظلمات على معنى الإضافة

سورة النور ٤١ - ٤٤



قوله عز وجل \* (ألم تر أن الله يسبح له) \* يعني يصلي له ويذكر له ويقال يخضع له \* (من في السماوات والأرض) \* أي من في السماوات من الملائكة ومن في الأرض من الخلق \* (والطير صافات) \* يعني مفتوحة الأجنحة وأصل الصف هو البسط ولهذا يسمى اللحم القديد صفيفاً لأنه يبسط \* (كل قد علم صلاته وتسبيحه) \* يعني كل واحد من المسيحين يعلم كيف يصلي وكيف يسبح \* (والله عليم بما يفعلون) \* يعني والله يعلم عمل كل عامل فيجازيهم بأعمالهم إلا أنه لا يعجل بعقوبة المذنبين والكافرين لأنه قادر عليهم

قوله تعالى \* (ولله ملك السماوات والأرض) \* وهذا معنى قوله ولله ملك السماوات قال مجاهد في قوله \* (كل قد علم صلاته وتسبيحه) \* الصلاة للإنسان والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه ثم قال \* (وإلى الله المصير) \* يعني إليه المرجع في الآخرة قوله عز وجل \* (ألم تر أن الله يزوجي سبحاناً) \* يعني يسوق سبحاناً \* (ثم يؤلف بينه) \* يعني يجمع بينه \* (ثم يجعله ركاماً) \* يعني قطعاً قطعاً ويقال يجعل بعضها فوق بعض \* (فترى الودق) \* يعني المطر \* (يخرج من خلاله) \* يعني من وسط السحاب قرأ ابن عباس يخرج خلاله وقراءة العامة \* (من خلاله) \* وهي جمع خلل \* (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) \* يعني من جبال في السماء قال مقاتل روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال جبال السماء أكثر من جبال الأرض فيها

من برد يعني في الجبال من برد ويقال وهو الجبال من البرد أي ينزل من السماء من جبال البرد وروي عن ابن عباس أنه قال البرد هو الثلج وما رأيت ويقال الجبال عبارة عن الكثرة يعني ينزل الثلج مقدار الجبال كما تقول عند فلان جبال من مال أي مقدار جبال من كثرته ويقال البرد هو الذي له صلابة كهيئة الجمد \* (فيصيب به من يشاء) \* يعني البرد يصيب الزرع والإنسان إذا كان في مفازة " ويصرفه عن يشاء " فلا يصيبه ويقال \* (يصيب به) \* يعني يعذب به من يشاء " ويصرفه عن يشاء " فلا يعذبه \* (يكاد سنا برقه) \* يعني ضوء برقه \* (يذهب بالأبصار) \* يعني من شدة نوره قرأ أبو جعفر المدني \* (يذهب) \* بضم الياء وكسر الهاء وقراءة العامة \* (يذهب) \* بنصب الياء والهاء ثم قال \* (يقلب الله الليل والنهار) \* يعني يذهب الله بالليل ويحيى بالنهار ويقال ينقص من النهار ويزيد من الليل \* (إن في ذلك) \* يعني في تقلبهما واختلاف ألوانهما \* (لعبرة)

يعني لآية \* (لأولي الأبصار) \* يعني لذوي العقول والفهم في الدين وسئل سعيد بن المسيب أي العبادة أفضل فقال التفكير في خلقه والتفقه في دينه ويقال العبر بالوقار والمعتبر بمثقال

سورة النور ٤٥ - ٤٦

قوله عز وجل \* (والله خلق كل دابة من ماء) \* يعني من ماء الذكر قرأ حمزة والكسائي " خالق كل دابة " على معنى الإضافة وقرأ الباقون \* (خلق كل دابة) \* على معنى فعل الماضي ويقال هذا معطوف على ما سبق \* (يهدي الله لنوره من يشاء) \* فكأنه يقول يهدي من يشاء ويضل من يشاء كما أنه يخلق ما يشاء من الخلق ألوانا ثم وصف الخلق فقال تعالى \* (فمنهم من يمشي على بطنه) \* مثل الحية ونحو ذلك فإن قيل لا يقال للدواب منهم وأن هذا اللفظ يستعمل للعقلاء قيل له الدابة اسم عام وهو يقع على ذي روح فيقع ذلك على العقلاء وغيرهم فإذا كان هذا اللفظ يقع على العقلاء وغيرهم فذكر بلفظ العقلاء ولو قال فممنه كان جائزا وينصرف إلى قوله \* (كل) \* ولكنه لم يقرأ وإنما قال \* (يمشي) \* على وجه المجاز وإن كان حقيقته المشي بالرجل لأنه جمعه مع الذي يمشي على وجه التبع

ثم قال \* (ومنهم من يمشي على رجلين) \* مثل الإنسان ونحوه \* (ومنهم من يمشي على أربع) \* أي على أربع قوائم مثل الدواب وأشباهاها فإن قيل إيش الحكمة في خلق كل شيء من الماء قيل له لأن الخلق من الماء أعجب لأنه ليس شيء من الأشياء أشد طوعا من الماء لأن الإنسان لو أراد أن يمسكه بيده أو أراد أن يبيني عليه أو يتخذ منه شيئا لا يمكنه والناس يتخذون من سائر الأشياء أنواع الأشياء قيل فالله تعالى أخبر أنه يخلق من الماء ألوانا من الخلق وهو قادر على كل شيء

ثم قال \* (يخلق الله ما يشاء) \* يعني كما يشاء وكيف يشاء " إن الله على كل شيء " من الخلق وخلقته \* (قدير) \* أي قادر

قوله عز وجل \* (لقد أنزلنا آيات مبينات) \* قرأ أبو عمرو وعاصم ونافع وابن كثير في رواية أبي بكر \* (مبينات) \* بنصب الياء في جميع القرآن يعني مفعلات وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر \* (مبينات) \* بكسر الياء يعني يبين للناس دينهم \* (والله يهدي من يشاء) \* أي يرشد من كان أهلا لذلك \* (إلى صراط مستقيم) \* يعني إلى دين مستقيم وهو دين الإسلام

سورة النور ٤٧ - ٥١

قوله عز وجل \* (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) \* قال مقاتل نزلت في شأن بشر المنافق وذلك أن رجلا من اليهود كانت بينه وبين بشر خصومة وأن اليهودي دعا بشرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بشر نتحاكم إلى كعب بن الأشرف فإن محمدا يحيف علينا فنزل \* (وإذا دعوا إلى الله ورسوله) \* وقال في رواية الكلبي إن عثمان بن عفان اشترى من علي رضي الله عنهما أرضا فندمه قومه وقالوا عمدت إلى أرض سبخة لا ينالها الماء فاشتريتها ردها عليه فقال قد إبتعتها منه فقالوا ردها فلم يزالوا به حتى أتاه فقال إقبض مني أرضك فإني قد اشتريتها ولم أرضها لأنه لا ينالها الماء فقال له علي رضي الله عنه بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها مني وأنت تعرفها وتعلم ما هي فلا أقبلها منك قال فدعا علي عثمان رضي الله عنهما أن يخاصمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قوم عثمان لا تخاصمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإن خاصمته إليه قضى له عليك وهو ابن عمه وأكرم عليه منك ثم اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لعلي على عثمان فنزل في قوم عثمان رضي الله عنه \* (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) \* يعني صدقنا بالله وبالرسول \* (وأطعنا) \* \* (ثم يتولى فريق منهم) \* أي يعرض عن طاعتها طائفة منهم \* (من بعد ذلك) \* الإقرار \* (وما أولئك بالمؤمنين) \* يعني بمصدقين

قال بعضهم هذا التفسير الذي ذكره الكلبي غير صحيح لأن قوم عثمان كانوا مؤمنين من الذين هاجروا معه إلى المدينة وقد ذكر أنهم ليسوا بمؤمنين وقال بعضهم هذا صحيح لأن في قوم عثمان بعضهم منافقين مبغضين لبني هاشم لعداوة كانت بينهم في الجاهلية وكان عثمان يميل إلى قرابته ولا يعرف نفاقهم ويقال \* (وما أولئك بالمؤمنين) \* يعني ليس عملهم عمل المؤمنين المخلصين

ثم قال عز وجل \* (وإذا دعوا إلى الله ورسوله) \* يعني إلى حكم الله ورسوله ويقال إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم \* (ليحكم بينهم) \* يعني ليقضي بينهم بالقرآن \* (إذا فريق منهم معرضون) \* يعني طائفة منهم معرضون عن طاعة الله ورسوله

قوله عز وجل \* (وإن يكن لهم الحق) \* يعني القضاء \* (يأتوا إليه مذعنين) \* يعني خاضعين مسرعين طائعين قال الزجاج الإذعان الإسراع مع الطاعة

ثم قال \* (أفي قلوبهم مرض) \* أي شك ونفاق \* (أم ارتابوا) \* يعني شكوا في القرآن \* (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) \* يعني يجور الله عليهم ورسوله قال بعضهم اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الإفهام فكأن الله تعالى يعلمنا بأن في قلوبهم مرضا وأنهم شكوا وناققوا ويقال في قلوبهم مرض يعني بل في قلوبهم مرض أم \* (ارتابوا) \* بل شكوا وناققوا  
قال الله تعالى \* (بل أولئك هم الظالمون) \* يعني هم الظالمون لا النبي صلى الله عليه وسلم

ثم قال عز وجل \* (إنما كان قول المؤمنين) \* يعني المصدقين \* (إذا دعوا إلى الله ورسوله) \* يعني إلى كتاب الله ورسوله يعني أمر رسوله \* (ليحكم بينهم) \* يعني ليقضي بينهم بالقرآن \* (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) \* يعني سمعنا قول النبي صلى الله عليه وسلم وأطعنا أمره فإن فعلوا ذلك \* (وأولئك هم المفلحون) \* يعني الناجين الفائزين

سورة النور ٥٢ - ٥٤

ثم قال عز وجل \* (ومن يطع الله ورسوله) \* يعني يطع الله في الفرائض ويطع الرسول في السنن \* (ويخش الله) \* فيما مضى \* (ويتقاه) \* فيما يستقبل \* (فأولئك هم الفائزون) \* أي الناجون وروي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى \* (ومن يطع الله ورسوله) \* فيوحده \* (ورسوله) \* فيصدقه بالرسالة يخشى الله فيما مضى من ذنوبه ويتقاه فيما بقي من عمره \* (فأولئك) \* هم الفائزون يعني الناجين من العذاب آمين عند سكرات الموت قال فلما نزلت هذه الآية أقبل عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إن شئت لأخرجن من أرضي ولأدفعنها إليه وحلف على ذلك فمدحه الله تعالى بذلك فقال عز وجل \* (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) \* يعني حلفوا بالله وإذا حلفوا بالله كان ذلك جهد اليمين \* (لئن أمرتهم ليخرجن) \* من الأموال قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم \* (قل لا تقسموا) \* يعني لا تحلفوا \* (طاعة معروفة) \* يعني هذه منكم طاعة معروفة وقال القتبي ومعناه هذه طاعة معروفة لا طاعة نفاق فكأن فيه مضمرا لأن بعض الناس منافقون فأخبر أن هذه طاعة ليس فيها نفاق ثم قال \* (إن الله خبير بما تعملون) \* يعني في السر والعلانية

ثم قال عز وجل \* (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) \* يعني أطيعوا الله في الفرائض وأطيعوا الرسول في السنن \* (فإن تولوا) \* يعني أعرضوا عن الطاعة لله والرسول \* (فإنما عليه ما حمل) \* يعني ما أمر بتبليغ الرسالة وليس عليه من وزركم شيء \* (وعليكم ما حملتم) \* يعني



ما أمرتم والإثم عليكم إذا تركتم الإجابة \* (وإن تطيعوه) \* يعني النبي صلى الله عليه وسلم \* (تهتدوا) \* من الضلالة  
ثم قال \* (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) \* وفي الآية مضمرة فكأنه يقول وإن تعصوه \* (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) \* يعني ليس عليه إلا التبليغ  
سورة النور ٥٥

قوله عز وجل \* (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) \* وذلك أن كفار مكة لما صدوا المسلمين عن مكة عام الحديبية فقال المسلمون لو فتح الله تعالى مكة ودخلناها آمنين فنزل قوله \* (ليستخلفنهم في الأرض) \* يعني لينزلنهم في أرض مكة \* (كما استخلف الذين من قبلهم) \* يعني من قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل وغيرهم \* (وليمكنن لهم) \* يعني ليظهرن لهم \* (دينهم) \* الإسلام \* (الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم) \* من كفار \* (آمننا) \* من الكفار \* (يعبدونني) \* يعني لكي يعبدونني \* (لا يشركون بي شيئاً) \* ويقال معناه يعبدونني لا يشركون بي شيئاً أي يظهر عبادة الله تعالى ويبطل الشرك وروى الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة زمناً نحواً من عشر سنين وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى إذا أمروا بالهجرة إلى المدينة فقدموا المدينة أمرهم الله تعالى بالقتال فكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح فقال رجل من أصحابه يا رسول الله نحن أبداً خائفون هل يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع فيه السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليست فيه حديدة ونزلت هذه الآية \* (وعد الله الذين آمنوا منكم) \* الآية \*

ويقال نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم \* (ليستخلفنهم) \* يعني يكونوا خلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً بعد واحد  
ثم قال \* (ومن كفر بعد ذلك) \* يعني بعد الأمان والتمكين \* (فأولئك هم الفاسقون) \* يعني العاصين قرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (كما استخلف) \* بضم التاء وكسر اللام على فعل ما لم يسم فاعله وقرأ الباقر بنصب التاء واللام لأنه سبق ذكر الله تعالى وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر \* (وليبدلنهم) \* بالتخفيف وقرأ الباقر بتشديد الدال من بدل يبدل والأول من أبدل يبدل

سورة النور ٥٦ - ٥٩

قوله عز وجل \* (وأقيموا الصلاة) \* يعني أقروا بها وأتموها \* (وآتوا الزكاة) \* يعني أقروا بها وأعطوها \* (وأطيعوا الرسول) \* فيما يأمركم به من التوحيد والطاعة \* (لعلكم ترحمون) \* فلا تعذبون

قوله عز وجل \* (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض) \* يعني فائتين ويقال سابقين أمر الله تعالى ويقال معناه لا تظن أنهم يهربون منا وأنهم يفوتون من عذابنا " ومأواهم النار وبئس المصير " يعني صاروا إليه وبئس المرجع قرأ حمزة وابن عامر \* (لا يحسبن) \* بالياء ونصب السنين وقرأ الباقون بالتاء بلفظ المخاطبة وكسر السنين قوله عز وجل \* (يا أيها الذين آمنوا) \* قال ابن عباس وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ظهيرة ليدعوه فانطلق الغلام ليدعوه فوجده نائما قد أغلق الباب فأخبر الغلام أنه في هذا البيت ففرع الباب على عمر فلم يستيقظ فدخل فاستيقظ عمر فجلس وانكشف منه شيء فرآه الغلام فعرف عمر أنه قد رآه فقال عمر وددت أن الله تعالى نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن يدخلوا علينا هذه الساعة إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية \* (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) \* يعني العبيد والإماء والولائد \* (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) \* يعني وليستأذنكم الذين لم يبلغوا الحلم يعني الاحتلام وهم الأحرار من الغلمان \* (ثلاث مرات) \* لأنها ساعات غرة وغفلة ثم بين الساعات الثلاث فقال \* (من قبل صلاة الفجر) \* لأن ذلك وقت لباس الثياب \* (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) \* يعني وقت القيلولة \* (ومن بعد صلاة العشاء) \* وذلك وقت النوم \* (ثلاث عورات لكم) \* يعني ثلاث ساعات وقت غرة وغفلة وهن أوقات التجرد وظهور العورة وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية واحدة \* (ثلاث عورات) \* بنصب الثاء وقرأ الباقون بالضم فمن قرأ بالنصب فمعناه ليستأذنكم ثلاث عورات أي ثلاث ساعات ومن قرأ

بالضم فمعناه هي ثلاث عورات فيكون خبرا عن الأوقات الثلاثة وروى عكرمة أن رجلين من أهل العراق سألا ابن عباس عن قوله \* (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات) \* فقال ابن عباس إن الله تعالى ستير يحب الستر وكان الناس لم يكن لهم ستور على أبوابهم ولا حجاب في بيوتهم فربما فاجأ الرجل ولده أو خادمه أو يتيم في حجره وهو مع أهله فأمرهم الله تعالى أن يستأذنوا في ثلاث ساعات التي سمى الله تعالى ثم جاء الله باليسر وبسط الرزق عليهم فاتخذوا الستور واتخذوا الحجاب فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الإستذان الذي قد أمروا به وقد قيل إن فيه دليلا أن ذلك الحكم إذا ثبت فإذا زال

المعنى زال الحكم وقال مجاهد الاستئذان هو التنحج ثم قال \* (ليس عليكم ولا عليهم) \* أي ليس عليكم يا معشر المؤمنين ولا عليهم يعني الخدم \* (جناح بعدهن) \* يعني ما ثم بعد الساعات الثلاث \* (طوافون عليكم) \* يعني يتقلبون فيكم ليلا ونهارا يدخلون عليكم بغير استئذان في الخدمة \* (بعضكم على بعض) \* يعني يدخل بعضكم على بعض بغير إذن \* (كذلك يبين الله لكم الآيات) \* يعني أمره ونهيه في الاستئذان \* (والله عليم) \* بصلاح الناس \* (حكيم) \* حكم بالإستذان

قوله عز وجل \* (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم) \* يعني الاحتلام \* (فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) \* يعني الكبار من ولد الرجل وأقربائه معناه فليستأذنوا في كل وقت كما استأذن الذين من قبلكم يعني من الرجال \* (كذلك يبين الله لكم آياته) \* أي أمره ونهيه في كل وقت \* (والله عليم) \* بصلاحكم \* (حكيم) \* حكم بالإستذان سورة النور ٦٠

قوله \* (والقواعد من النساء) \* يعني الآيسات من الحيض والقاعدة المرأة التي قعدت عن الزوج وعن الحيض والولد والجماعة قواعد \* (اللاتي لا يرجون نكاحا) \* يعني لا يحتجن إلى الزوج ولا يرغب فيهن \* (فليس عليهن جناح) \* أي مأثم \* (أن يضعن ثيابهن) \* يعني جلبابهن ويخرجن بغير جلباب \* (غير متبرجات بزينة) \* والتبرج إظهار الزينة يعني لا يؤذن بوضع الجلباب أن ترى زينتهن \* (وأن يستعففن) \* يعني يتعففن فلا يضعن الجلباب \* (خير لهن) \* من الوضع \* (والله سميع) \* لمقاتلتهن يعني العجوز إذا وضعت جلبابها وتبدي زينتها وتقول من يرغب في \* (عليم) \* بنيتها وبفعلها ويقال \* (سميع عليم) \* بجميع ما سبق في هذه السورة ويقال \* (سميع عليم) \* انصرف إلى ما بعده فيما يتخرجون عن الأكل



## سورة النور ٦١

قوله عز وجل \* (ليس على الأعمى حرج) \* قال في رواية الكلبي كانت الأنصار يتنزهون عن الأكل مع الأعمى والمريض والأعرج وقالوا إن هؤلاء لا يقدر أن يأكلوا مثل ما نأكل فنزل \* (ليس على الأعمى حرج) \* يعني ليس على من أكل مع الأعمى حرج \* (ولا على) \* من أكل مع \* (الأعرج حرج ولا على) \* من أكل مع \* (المريض حرج) \* إذا أنصف في مؤاكلته وقال بعضهم هذا التفسير خطأ وهو غير محتمل في اللغة لأنه أضاف الحرج إلى الأعمى لا إلى من أكل معه وقد قيل إن هذا صحيح لأنه ذكر الأعمى وأراد به الأكل مع الأعمى كقوله \* (وأشربوا في قلوبهم العجل) \* [البقرة: ٩٣] أي حب العجل قال وكما قال \* (واسأل القرية) \* وللآية وجه آخر وهو أن الأعمى كان يتحرج عن الأكل مع الناس مخافة أن يأكل أكثر منهم وهو لا يشعر والأعرج أيضا يقول إني أحتاج لزماني أن يوسع لي في المجلس فيكون عليهم مضرة والمريض يقول الناس يتأذون مني لمرضي ويقذرونني فيفسد عليهم الطعام فنزل \* (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) \* يعني لا بأس بأن يأكلوا مع الناس ولا مآثم عليهم ولها وجه آخر وهو ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان الناس يخرجون إلى الغزو ويدفعون مفاتيحهم إلى الزمنى والمرضى ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في منازلنا وكانوا يتورعون منازلهم حتى نزلت هذه الآية وإلى هذا يذهب الزهري رضي الله عنه وذكر أيضا أن مالك بن زيد وكان صديقه الحارث بن عمرو خرج غازيا وخلف مالكا في أهله وماله وولده فلما رجع الحارث رأى مالكا متغيرا لونه فقال ما أصابك فقال لم يكن عندي شيء آكله فجهدت من الشدة والجوع ولم يكن يحل لي أن أكل شيئا من مالك فنزلت هذه الآية إلى قوله \* (أو صديقكم) \*

ثم قال تعالى \* (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) \* أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم أو من بيوت عيالكم وأزواجكم ويقال \* (من بيوتكم) \* يعني من بيوت بعضكم بعضا وذلك أنه لما نزل قوله \* (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) \*

امتنع الناس من أن يأكل

بعضهم من طعام بعض فنزلت في ذلك \* (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) \*  
يعني من بيوت بعضكم بعضا \* (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم  
أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت  
خالاتكم) \* يعني لا بأس أن يأكل من بيت هؤلاء بغير إذنهم لأنه يجري بينهما من  
الانبساط

ما يعني عن الإذن

ثم قال \* (أو ما ملكتم مفاتحه) \* أي خزائنه يعني عبيدكم وإماءكم إذا كان له عبد  
مأذون فلا بأس أن يأكل من ماله لأن ذلك من مال مولاه ويقال يعني حافظ البيوت فلا  
بأس أن يأكل مقدار حاجته

ثم قال " وصديقكم " يعني لا جناح على الصديق أن يأكل من بيت صديقه إذا كان  
بينهما إنبساط وروى عن قتادة أنه قال لو دخلت على صديق ثم أكلت من طعامه بغير  
إذنه كان حلالا

ثم قال " ليس عليكم أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا " يعني جماعة أو متفرقين في بيت  
هؤلاء ويقال إنهم كانوا يمتنعون عن الأكل وحده وذكر في قوله تعالى \* (إن الإنسان  
لربه لكونود) \* [العاديات: ٦] يعني الذي يأكل وحده ويمنع رفته ويضرب عبده  
فرخص في هذه الآية لأن الإنسان لا يمكنه أن يطلب في كل مرة أحدا يأكل معه  
وروى معمر عن قتادة قال نزلت الآية في حي من العرب كان الرجل منهم لا يأكل  
طعامه وحده وكان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكل معه فنزل \* (ليس عليكم  
جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) \*

ثم قال \* (فإذا دخلتم بيوتا) \* قال مقاتل يعني دخلتم بيوت المسلمين \* (فسلموا على  
أنفسكم) \* يعني بعضكم على بعض كما قال \* (ولا تقتلوا أنفسكم) \* [النساء: ٢٩]  
يعني بعضكم بعضا وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس \* (فإذا دخلتم بيوتا) \* قال هو  
المسجد \* (فسلموا على أنفسكم) \* يعني فقولوا السلام علينا من ربنا \* (تحية من عند  
الله) \* يعني السلام \* (مباركة) \* بالأجر \* (طيبة) \* بالمغفرة وقال إبراهيم النخعي \*  
(فسلموا على أنفسكم) \* إذا كان في البيت إنسان يقول السلام عليكم وإذا لم يكن فيه  
أحد يقول السلام علينا من ربنا وعلى عباد الله الصالحين وهكذا قال مجاهد وقال  
الحسن والكلبى \* (فسلموا على أنفسكم) \* يعني بعضكم على بعض وروى أبو ذر  
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أبخل الناس الذي يبخل بالسلام  
ويقال إن معنى السلام إذا قال السلام عليكم يعني السلامة لكم مني فكأنه آمنهم من شر  
نفسه ويقال يعني حفظكم الله من الآفات ويقال السلام هو الله تعالى فكأنه يقول الله  
حفيظ عليكم ومطلع على ضمائرهم فإن كنتم في خير فزيدوا وإن كنتم في شر  
فانزجروا \* (تحية من عند الله) \* وأصل التحية هو البقاء والحياة كقوله حياك الله وإنما  
صار نصبا على المصدر



(๕๒๕)

ثم قال \* (كذلك يبين الله لكم الآيات) \* يعني أمره ونهيه في أمر الطعام والشراب \*  
(لعلكم تعقلون) \* أي لكي تعقلوا وتفهموا وتعملوا به

سورة النور ٦٢ - ٦٤

قوله عز وجل \* (إنما المؤمنون) \* يعني المصدقين \* (الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع) \* يعني مع النبي صلى الله عليه وسلم على أمر جمعهم لتدبير في أمر جهاد أو في أمر من أمور الله تعالى فيه طاعة \* (لم يذهبوا) \* يعني لم يفارقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم \* (حتى يستأذنوه) \*

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمعهم يوم الجمعة فيستشيرهم في أمر الغزو فكان يثقل على بعضهم المقام فيخرجون بغير إذنه وقال بعضهم نزلت في يوم الخندق وكان بعض الناس يرجعون إلى منازلهم بغير إذن النبي صلى الله عليه وسلم وتركوه وأصحابه فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأمرهم بأن لا يرجعوا إلا بإذنه عليه السلام

وكذلك إذا خرجوا إلى الغزو لا ينبغي لأحد أن يرجع بغير إذنه وفي الآية بيان حفظ الأدب بأن الإمام إذا جمع الناس لتدبير أمر من أمور المسلمين ينبغي أن لا يرجعوا إلا بإذنه وكذلك إذا خرجوا إلى الغزو لا ينبغي لأحد أن يرجع إلا بإذنه ولا يخالف أمر السرية وروى عن مكحول أنه سئل عن هذه الآية وعنده عطاء قال هذا في الجمعة وفي الزحف وفي كل أمر جامع

ثم قال تعالى \* (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) \* وليسوا بمنافقين وكان المؤمنون بعد نزول هذه الآية لم يرجعوا حتى يستأذنوا وأما المنافقون فيرجعون بغير إذنه

ثم قال \* (فإذا استأذنوك لبعض شأنهم) \* يعني لبعض أمورهم وحوادثهم \* (فأذن لمن شئت منهم) \* ولا تأذن لمن شئت لأن بعض المنافقين لم يكن لهم في الرجوع حاجة فإن أرادوا أن يرجعوا فلا تأذن لهم وأذن للمؤمنين وقال مقاتل نزلت في شأن عثمان حين استأذن في غزوة تبوك بالرجوع إلى أهله فأذن له ثم قال \* (واستغفر لهم الله) \* أي فيما استأذنوك من الرجوع بغير حاجة لهم \* (إن الله غفور) \* لمن تاب \* (رحيم) \*

به

ثم قال عز وجل \* (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) \* يعني لا تدعوا محمدا بإسمه صلى الله عليه وسلم \* (كدعاء بعضكم بعضا) \* ولكن وقروه وعظموه وقولوا يا رسول الله ويا نبي الله ويا أبا القاسم وفي الآية بيان توكير معلم الخير لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معلم الخير فأمر الله عز وجل بتوقيره وتعظيمه وفيه معرفة حق الأستاذ وفيه معرفة أهل الفضل

ثم ذكر المنافقين فقال تعالى \* (قد يعلم الله) \* يعني يرى الله \* (الذين يتسللون منكم) \* يعني يخرجون من المسجد \* (لوأذا) \* يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يشق عليهم المقام هناك يوم الجمعة وغيره فيتسللون من بين القوم ويلوذ الرجل بالرجل أو بالسارية لئلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم حتى يخرج من المسجد يقال لاذ يلوذ إذا عاذ وامتنع بشيء ويقال معنى لوأذا هنا معنى الخلاف يعني يخالفون خلافا فخوفهم الله تعالى عقوبته فقال \* (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) \* يعني عن أمر الله تعالى ويقال عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال \* (عن) \* زيادة في الكلام للصلة ومعناه يخالفون أمره إلى غير ما أمرهم به \* (أن تصيبهم فتنة) \* يعني الكفر لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب فمن تركه على وجه الجحود كفر ويقال \* (فتنة) \* يعني بلية في الدنيا ويقال فساد في القلب \* (أو يصيبهم عذاب أليم) \* يعني يصيبهم عذابا عظيما في الآخرة ويقال القتل بالسيف ويقال يجعل حلاوة الكفر في قلبه وقوله \* (أو) \* على معنى الإفهام لا على وجه الشك والتخيير

ثم قال عز وجل \* (ألا إن لله ما في السماوات والأرض) \* من الخلق عبده وإماؤه وفي مملكته \* (قد يعلم ما أنتم عليه) \* من الإستقامة في الإيمان والنفاق وغير ذلك ويقال \* (قد يعلم ما أنتم عليه) \* من خير أو شر فيجازيكم بذلك \* (ويوم يرجعون إليه) \* في الآخرة \* (فينبئهم بما عملوا) \* من خير أو شر فيجازيهم بذلك " والله بكل شيء عليم " من أعمالهم وأقوالهم وبما في أنفسهم وروي عن الأعمش عن سفيان بن سلمة قال شهدت ابن عباس ولي الموسم وقرأ سورة النور على المنبر وفسرها فلو سمعتها الروم لأسلمت وقال عمر رضي الله تعالى عنه تعلموا سورة براءة وعلموا نساءكم سورة النور والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة الفرقان مكية وهي سبعون وسبع آية

سورة الفرقان ١ - ٣

قوله الله سبحانه وتعالى \* (تبارك) \* قال ابن عباس رضي الله عنه يعني تعالى وتعظم ويقال تفاعل من البركة وهذه لفظة مخصوصة ولا يقال يتبارك كما يقال يتعالى ولا يقال متبارك كما يقال متعال ويقال \* (تبارك) \* أي ذو بركة والبركة هي كثرة الخير ويقال أصله من بروك الإبل يقال للواحد برك وللجماعة برك وكان الإنسان إذا كان له إبل كثيرة وقد بركه على الباب يقولون فلان ذو بركة ويقولون للذي كان له إبل تحمل إليه الأموال من بلاد آخر فلان ذو بركة فصار ذلك أصلا حتى أنه لو كان له مال سوى الإبل لا يقال فلان ذو بركة قال الله تعالى \* (تبارك) \* أي ذو البركة ويقال أصله من الدوام ويقال برك في موضوع إذا دام فيه ويقال معناه البركة في اسمه وفي الذي ذكر عليه اسمه

ثم قال \* (الذي نزل الفرقان) \* يعني أنزل جبريل عليه السلام بالقرآن والفرقان هو المخرج من الشبهات \* (على عبده) \* يعني محمدا صلى الله عليه وسلم \* (ليكون للعالمين نذيرا) \* يعني ليكون القرآن نذيرا للإنس والجن ويقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ويقال يعني الله تبارك وتعالى \* (للعالمين) \* وأرادها هنا جميع الخلق وقد يذكر العام ويراد به الخاص من الناس كقوله عز وجل \* (وأنى فضلتكم على العالمين) \* [البقرة: ٤٧ - ١٢٢] أي على عالمي زمانهم ويذكر ويراد به جميع الخلائق كقوله \* (رب العالمين) \* [الفاتحة: ٢]

ثم قال عز وجل \* (الذي له ملك السماوات والأرض) \* يعني خزائن السماوات والأرض ويقال له نفاذ الأمر في السماوات والأرض \* (ولم يتخذ ولدا) \* ليورثه ملكه \* (ولم يكن له شريك في الملك) \* فينازعه في عظمته " وخلق كل شيء " كما ينبغي أن يخلقهم \* (فقدره تقديرا) \* يعني بين الصلاح في كل شيء وجعله مقدر معلوما ويقال كل شيء خلقه من الخلق فقدره تقديرا أي قدر لكل ذكر وأنثى

قوله عز وجل \* (واتخذوا من دونه آلهة) \* يعني تركوا عبادة الله الذي خلق هذه الأشياء وعبدوا غيره \* (لا يخلقون شيئا) \* يعني عبدوا شيئا لا يقدر أن يخلق ذبابا ولا غيره \* (وهم يخلقون) \* يتخذونها بأيديهم \* (ولا يملكون لأنفسهم ضرا) \* أي لا تقدر الآلهة أن تمتنع ممن أراد بها سوءا \* (ولا نفعا) \* أي لا تقدر أن تسوق إلى نفسها خيرا ويقال لا يملكون دفع مضرة ولا جر منفعة \* (ولا يملكون موتا) \* يعني لا يقدر أن يميتوا أحدا \* (ولا حياة) \* أي ولا يحيون أحدا \* (ولا نشورا) \* يعني لا بعث الأموات ويقال \* (ولا يملكون موتا) \* يعني الموت الذي كان قبل أن يخلقوا \* (ولا حياة) \* يعني أن يزيدوا في الأجل \* (ولا نشورا) \* بعد الموت ويقال \* (ولا حياة) \* يعني أن يبقوا أحدا \* (ولا نشورا) \* يعني أن يحيوه بعد الموت وإنما ذكر الأصنام بلفظ العقلاء لأن الكفار يجعلونهم بمنزلة العقلاء فخاطبهم بلغتهم

سورة الفرقان ٤ - ٩

ثم قال عز وجل \* (وقال الذين كفروا) \* يعني كفار مكة \* (إن هذا إلا إفك) \* يعني ما القرآن إلا كذب \* (افتراه) \* يعني كذبا إختلقه من ذات نفسه " وأعانه عليه آخرون " يعني جبرا ويسارا " فقد جاءوا ظلما وزورا " وقال بعضهم هذا قول الكفار يعني إن الذين أعانوه قد جاءوا ظلما وزورا وقال بعضهم هذا قول الله تعالى ردا على الكفار بقولهم هذا " فقد جاءوا ظلما وزورا " يعني شركا وكذبا \* (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها) \* يعني أباطيلهم إكتتبها يعني كتبها من جبر ويسار يعني أساطير الأولين \* (فهي تملى عليه) \* يعني تقرأ وتملى عليه \* (بكرة وأصيلا) \* يعني تقرأ عليه غدوة وعشية

قوله عز وجل \* (قل) \* يا محمد \* (أنزله) \* يعني القرآن \* (الذي يعلم السر في السماوات والأرض) \* يعني يعلم السر والعلانية ومعناه لو كان هذا القول من ذات نفسه لعلمه الله تعالى وإذا علمه لعاقبه كما قال تعالى \* (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين) \* [الحاقة: ٤٤] ثم قال \* (إنه كان غفورا رحيمًا) \* فكأنه يقول إرجعوا وتوبوا فإنه كان \* (غفورا) \* لمن تاب \* (رحيمًا) \* بالمؤمنين

قوله عز وجل " وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام " مثل ما نأكل \* (ويمشي في الأسواق) \* يعني يتردد في الطريق \* (لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا) \* يعني معينا يخبره بما يراد به من الشر \* (أو يلقي إليه كنز) \* يعني يعطى له كنز \* (أو تكون له الجنة) \* يعني بستانا \* (يأكل منها) \* وذلك أن كفار قريش اجتمعوا في بيت فبعثوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم فقال له العاص بن وائل السهمي وقريش معه قد تعلم يا محمد أن لا بلاد أضيق ساحة من بلادنا ولا أقل أنهارا ولا زرعاً ولا أشد عيشاً فادع ربك أن يسير عنا هذه الجبال حتى تنفسخ لنا بلادنا ثم يفجر لنا فيها أنهاراً حتى نعرف فضلك عند ذلك ونراك تمشي في الأسواق معنا تبتغي من يسير العيش فاسأل ربك أن يجعل لك قصورا أو جنانا وليبعث معك ملكا يصدقك فنزل حكاية عن قولهم \* (أو تكون له جنة يأكل منها) \* قرأ حمزة والكسائي

\* (نأكل منها) \* بالنون وقرأ الباقون بالياء \* (وقال الظالمون إن تتبعون) \* يعني ما تطيعون يا أصحاب محمد \* (إلا رجلا مسحورا) \* يعني مغلوب العقل ويقال \* (مسحورا) \* يعني مخلوقا لأن الذي تكون مخلوقا يكون حياته بالمعالجة بالأكل والشرب فيسمى مسحورا ويقال مسحورا أي سحر به

قوله عز وجل \* (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) \* يعني أنظر يا محمد كيف وصفوا لك الأشباه إلى ماذا شبهك قومك بساحر وكاهن وكذاب \* (فضلوا) \* عن الهدى ويقال ذهبت حيلتهم وأخطؤوا في المقالة \* (فلا يستطيعون سبيلا) \* يعني لا يجدون حيلة ولا حجة على ما قالوا لك ولا مخرجا لتناقض كلامهم حيث قالوا مرة مجنون ومرة ساحر

سورة الفرقان ١٠ - ١٤

ثم قال عز وجل \* (تبارك) \* وتعالى وقد ذكرناه \* (الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) \* يعني خيرا مما يقول الكفار في الآخرة \* (جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) \* في الجنة ويقال في الدنيا إن شاء أعطاك وروى سفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال عن خيثمة قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أن نعطيك خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم نعط من قبلك أحدا ولا نعطي من بعدك أحدا ولا ينقص ذلك مما عند الله شيئا وإن شئت جمعناها لك في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم بل إجمعا لي في الآخرة فنزل " تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من



ذلك) الآية قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر \* (ويجعل) \* بضم اللام على معنى خبير الابتداء وقرأ الباقون بالجزم لأنه جواب الشرط ثم قال عز وجل \* (بل كذبوا بالساعة) \* معناه ولكن كذبوا بالساعة يعني بالقيامة \* (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) \* يعني هيأنا لمن كذب بالقيامة وقوداً وهو نار جهنم \* (إذا رأتهم) \* يعني جهنم \* (من مكان بعيد) \* يعني من مسيرة خمسمائة سنة ويقال من مسيرة مائة سنة \* (سمعوا لها) \* يعني منها \* (تغيظاً) \* على الكفار \* (وزفيراً) \* يعني صوتاً كصوت الحمار وقال قوم معناه يسمعون منها تغيظ المعذبين وزفيرهم كما قال " لهم فيها زفير وشهيق " [هود: ١٠٦] وقال عامة المفسرين التغيظ والزفير يسمع من النار ألا ترى أنه قال \* (سمعوا لها) \* ولم يقل سمعوا منها ولا فيها وقال في آية أخرى \* (وهي تفور تكاد تميز من الغيظ) \* [الملك: ٨] وروي في الخبر أن جهنم تفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر على وجهه ترعد فرائصهم حتى إن إبراهيم الخليل عليه السلام ليحشو على ركبتيه ويقول يا رب يا رب لا أسألك إلا نفسي

ثم قال عز وجل \* (وإذا ألقوا منها) \* يعني فيها \* (مكاناً ضيقاً) \* يعني يضيق عليهم المكان كتضييق الزجاج من الرمح \* (مقرنين) \* يعني مسلسلين في القيود موثقين في الحديد قرنوا مع الشياطين \* (دعوا هنالك ثبورا) \* فعند ذلك دعوا بالويل يعني يقولون واهلاكاه فتقول لهم الخزنة \* (لا تدعوا اليوم ثبورا واحداً وادعوا ثبورا كثيراً) \* يعني ادعوا ويلا كثيراً دائماً

سورة الفرقان ١٥ - ١٦

قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم \* (قل) \* يا محمد لكفار مكة \* (أذلك خير) \* يعني هذا الذي وصف من العذاب خير \* (أم جنة الخلد) \* فإن قيل كيف يقال خير وليس في النار خير قيل له قد يقال على وجه المجاز وإن لم يكن فيه خير والعرب تقول العافية خير من البلاء وإنما خاطبهم بما يتعارفون في كلامهم " التي وعد المتقون " يعني الذين يتقون الشرك والكبائر \* (كانت لهم جزاء ومصيراً) \* يعني جزاء بأعمالهم الحسنة ومرجعاً إليها

ثم قال عز وجل \* (لهم فيها ما يشاؤون) \* يعني يحبون \* (خالدين) \* أي دائمين في الجنة \* (كان على ربك وعدا) \* منه في الدنيا \* (مسؤولاً) \* يسأله المتقون ويقال \* (مسؤولاً) \* يسأل لهم الملائكة عليهم السلام وهو قوله عز وجل \* (ربنا وأدخلهم جنات عدن) \* [غافر: ٨] ويقال وعدوا على لسان رسلهم وقد سألوا الله عز وجل ذلك وهو قوله \* (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك) \* ويقال وعدا لا خلف فيه لمن سأله

(९३१)

سورة الفرقان ١٧ - ١٩

قوله عز وجل \* (ويوم نحشرهم) \* يعني نجتمعهم \* (وما يعبدون) \* يعني ونحشر ما يعبدون \* (من دون الله) \* يعني الأصنام ويقال المسيح وعزير ويقال الملائكة عليهم السلام \* (فيقول أنتم أضللتم) \* يعني أنتم أمرتم \* (عبادي هؤلاء) \* أن يعبدوكم \* (أم هم ضلوا السبيل) \* يعني أم هم أخطؤوا الطريق فتبرأت الملائكة والأصنام قوله تعالى \* (قالوا سبحانك) \* أي تنزيها لك \* (ما كان ينبغي لنا) \* أي ما يجوز لنا \* (أن نتخذ من دونك من أولياء) \* وقرأ الحسن وأبو جعفر المدني أن \* (تتخذ) \* بضم النون ونصب الخاء ومعناه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك إليها فتعبد وقراءة العامة بنصب النون وكسر الخاء يعني ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء فيعبدوننا ويقال معناه ما كان فينا روح نأمرهم بطاعتنا ويقال ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء فنعبدهم فكيف نأمر غيرنا بعبادتنا كقوله تعالى \* (سبحانك أنت ولينا من دونهم) \* [سبأ: ٤١] قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص \* (ويوم يحشرهم) \* بالياء \* (فيقول) \* بالياء وقرأ الباقون الأول بالنون والثاني بالياء ثم قال \* (ولكن متعتهم وآباءهم) \* يعني أن هذا كان بكرمك وفضلك لما عصوك لم تمنع عنهم الدنيا حتى إغثروا بذلك وظنوا أنهم على الحق حيث لم يصبهم بلاء ولم تمنع منهم النعمة فذلك قوله \* (ولكن متعتهم) \* يعني تركتهم في الدنيا يتمتعون وأجلتهم وآباءهم في المتاع والسعة \* (حتى نسوا الذكر) \* يعني تركوا التوحيد والإيمان بالقرآن \* (وكانوا قوما بورا) \* أي هلكت فاسدين وأصله الكساد يقال بارت السوق إذا كسدت وقال الكلبي \* (بورا) \* يعني هالكين فاسدة قلوبهم غير متقين ولا محسنين

يقول الله تعالى لعبدة الأوثان \* (فقد كذبوكم بما تقولون) \* يعني الأصنام ويقال الملائكة " فما يستطيعون صرفا ولا نصرا " يعني لا يستطيع الكفار انصرافا إلى غير حجتهم التي تكلموا بها ويقال " لا يستطيعون صرفا " أي انصرافا عن حجتهم \* (ولا نصرا) \* يعني لا ينتصرون من آلهتهم حين كذبتهم ويقال لا تقدر الأصنام ولا الملائكة صرف العذاب عنهم \* (ولا نصرا) \* يعني لا يمنعونهم منه ويقال الصرف الحيلة ويقال لا يقبل منهم فدية أن يصرفوا عن أنفسهم بالفدية

قرأ عاصم في رواية حفص \* (فما تستطيعون) \* بالتاء على معنى المخاطبة يعني يقال لهم لا تستطيعون صرف ذلك وقرأ الباقر بالباء ومعناه أن الله تعالى يقول للنبي صلى الله عليه وسلم فما يستطيعون صرف ذلك عنهم ثم قال تعالى \* (ومن يظلم منكم) \* يعني يشرك بالله في الدنيا ويقال يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن \* (نذقه عذابا كبيرا) \* في الآخرة وهو عذاب النار سورة الفرقان ٢٠

قوله عز وجل \* (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) \* جوابا لقولهم \* (ما لهذا الرسول يأكل الطعام) \* \* (إلا إنهم لياكلون الطعام ويمشون في الأسواق) \* يعني كانت الرسل من الآدميين ولم يكونوا من الملائكة عليهم السلام ثم قال \* (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون) \* يقول إبتلينا بعضكم ببعض الفقير بالغني والضعيف بالقوي وذلك أن الشريف إذا رأى الوضيع قد أسلم أنف عن الإسلام وقال أسلم فأكون مثل هذا فثبت على دينه حمية يقول الله تعالى للشريف \* (أتصبرون) \* أن تكونوا شرعا سواء في الدين \* (وكان ربك بصيرا) \* يعني عالما بمن يؤمن وبمن لا يؤمن ويقال \* (جعلنا بعضكم لبعض فتنة) \* يعني بلية الغني للفقير والقوي للضعيف لأن ضعفاء المسلمين وفقراءهم إذا رأوا الكفار في السعة والغنى يتأذون منهم وكان في ذلك بلية لهم فقال تعالى \* (أتصبرون) \* اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الأمر يعني إصبروا كقوله \* (أفلا يتوبون إلى الله) \* [المائدة: ٧٤] يعني توبوا إلى الله ويقال أهل النعم بلية لأهل الشدة لأن أهل الشدة إذا رأوا أهل النعمة تنغص عيشهم فأمرهم الله تعالى بالصبر وذكر عن بعض المتقدمين أنه كان إذا رأى غنيا من الأغنياء يقول نصبر يا رب يريد جوابا لقوله \* (أتصبرون) \* ثم قال \* (وكان ربك بصيرا) \* يعني عالما بمن يصلح له الغنى والفقر ويقال \* (وكان ربك بصيرا) \* يعني عالما بثواب الصابرين سورة الفرقان ٢١ - ٢٤

قوله عز وجل \* (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) \* يعني لا يخافون البعث بعد الموت ويقال لا يرجون الجنة والمغفرة وهم كفار أهل مكة \* (لولا أنزل علينا الملائكة) \* يعني هلا

أنزل علينا الملائكة فيخبروننا بأنك رسول الله إلينا \* (أو نرى ربنا) \* فيخبرنا بأنك نبي مرسل قال الله تعالى \* (لقد استكبروا في أنفسهم) \* يعني تعظموا في أنفسهم وأعرضوا عن الإيمان ويقال \* (لقد استكبروا في أنفسهم) \* يعني وضعوا لأنفسهم قدرا ومنزلة حيث أرادوا لأنفسهم الرسل من الملائكة عليهم السلام ورؤية الرب عز وجل \* (واعتوا عتوا كبيرا) \* يعني أبو إباء كثيرا ويقال إجتروا على الله إجتراء كثيرا وقال أهل اللغة العاتي الذي لا ينفعه الوعظ والنصيحة

ثم أخبر متى يرون الملائكة فقال عز وجل \* (يوم يرون الملائكة) \* يعني يوم القيامة \* (لا بشرى يومئذ للمجرمين) \* يعني للمشركين وتكون البشارة للمؤمنين ثم قال \* (ويقولون حجرا محجورا) \* يعني تقول لهم الملائكة حراما محرما أن تكون لهم البشرية يومئذ بما يبشر به المتقون وإنما قيل للحرام حجرا لأنه حجر عليه وقال مجاهد تقول الملائكة حراما محرما أن يدخلوا الجنة وقال الحسن وفتادة هي كلمة كانت العرب تقولها كان الرجل إذا نزلت به الشدة قال حجرا محجورا أي حراما محرما ويقال إن قريشا كانوا إذا إستقبلهم أحد كانوا يقولون له حاجورا حاجورا حتى يعرف أنهم من الحرم فلا يضرورنهم وأخبر أنهم كانوا يقولون ذلك ولا ينفعهم ويقال إن المشركين في الشهر الحرام إذا إستقبلهم أحد يقولون حجرا محجورا ويريدون أن يذكروه أنه في الشهر الحرام وذلك القول لا ينفعهم يوم القيامة وقرأ الحسن \* (حجرا) \* بضم الحاء وقراءة العامة بكسر الحاء

ثم قال عز وجل \* (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل) \* قال الكلبي يعني عمدنا إلى ما عملوا من عمل لغير الله تعالى ويقال قصدنا إلى ما عملوا من عمل ومعناه نظرنا في أعمالهم ولم نجد فيها خيرا فأبطلناها ولم نجعل لها ثوابا فذلك قوله تعالى \* (فجعلناه هباء منثورا) \* قال الضحاك هو الغبار ما لا يستطيع جمعه ولا أخذه بيد وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الهباء المنثور الذي تراه في شعاع الشمس في الكوة وهذا قول عكرمة والكلبي وقال فتادة هو ما ذرت الريح من حطام الشجر ويقال الغبار الذي يسطع من حوافر الدواب

ثم قال عز وجل \* (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) \* يعني أفضل منزلا \* (وأحسن مقيلا) \* قال كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس إلى مقدار نصف النهار فيقول هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار

وروي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالوا لا ينتصف النهار من ذلك اليوم حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار عنيا بذلك يوم القيامة ولأن مقدار ذلك اليوم خمسون ألف سنة وإنما أراد بتلك القيلولة القرار لا النوم لأن لا يكون في الجنة نوم ولا في النار نوم

(۵۳۴)

سورة الفرقان ٢٥ - ٢٦

قوله عز وجل \* (ويوم تشقق السماء) \* قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر \* (تشقق) \* بتشديد الشين لأن أصله يتشقق فأدغم إحدى التاءين في الشين وقرأ الباقون بالتخفيف وهذا مثل الاختلاف في قوله \* (تسألون) \* فقال \* (ويوم تشقق السماء بالغمام) \* يعني عن الغمام والغمام هو شيء مثل السحاب الأبيض فوق سبع سماوات كما روي في الخبر أن دعوة المظلوم ترفع فوق الغمام يعني تشقق السماء ويظهر بالغمام \* (ونزل الملائكة تنزيلاً) \* قرأ ابن كثير " ونزل الملائكة " بنونين ونصب الهاء ومعناه أن الله تعالى يقول \* (نزل الملائكة) \* وقرأ الباقون \* (ونزل الملائكة) \* على ما فعل ما لم يسم فاعله معناه أن الله تعالى ينزل ملائكة السماوات

وروي في الخبر أنه تشقق سماء الدنيا فينزل ملائكة سماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس ويقول لهم الخلائق أفيكم ربنا يعني هل جاء أمر ربنا بالحساب فيقولون لا وسوف يأتي ثم تنزل ملائكة السماء الثانية بمثلي ما في الأرض من الملائكة والإنس والجن ثم تنزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى تنزل ملائكة سبع سماوات عليهم السلام فيظهر الغمام وهو كالسحاب الأبيض فوق سبع سماوات ثم ينزل بالأمر بالحساب فذلك قوله \* (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً) \* ويقال الغمام الذي قال في سورة البقرة \* (في ظلل من الغمام والملائكة) \* ثم قال عز وجل \* (الملك يومئذ الحق للرحمن) \* وفي الآية تقديم ومعناه الملك يومئذ الحق للرحمن الحق صفة الملك والمعنى الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن لأنه لا يدعي الملك يومئذ أحد ويقال الحق يومئذ الملك الخالص ويقال يعني الملك الصدق

ثم قال تعالى \* (وكان يوماً على الكافرين عسيراً) \* يعني شديداً وفي الآية دليل أن ذلك اليوم يكون على المؤمنين يسيراً وهذا كما قال في آية أخرى \* (على الكافرين غير يسير) \* [المدثر: ١٠]

سورة الفرقان ٢٧ - ٣١

ثم قال تعالى \* (ويوم يعض الظالم على يديه) \* يعني عقبة بن أبي معيط وذلك أن عقبة

كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما وكان يدعو إلى الطعام من أهل مكة من أحب وأراد وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم ويعجبه حديثه فقدم ذات يوم من سفره وصنع طعاما ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعامه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم الطعام إليه فأبى أن يأكل وقال ما أنا بالذي آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وكان عندهم من العار أن يخرج من عندهم أحدهم قبل أن يأكل شيئا فألح على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل فلم يأكل فشهد بذلك عقبة فأكل النبي صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان أبي بن خلف الجمحي غائبا وكان خليله فلما قدم أخبر ذلك فأتاه فقال صبوت يا عقبة فقال لا والله ما صبوت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل من طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم فشهدت فطعم فقال له ما أنا بالذي أرضى عنك أبدا حتى تأتيه فتبزق في وجهه وتشتمه وتكذبه ففعل ذلك فنزلت هذه الآية \* (ويوم يعرض الظالم) \* يعني عقبة \* (على يديه) \* يعني على أنامله وروي عن أنس بن مالك أنه قال يعرض عقبة بن أبي معيط على يديه يوم القيامة فيأكل لحم يديه حتى يبلغ العضد من الندامة وهو \* (يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) \* يعني اتخذت طريق الهدى وكنت معه على الإسلام قوله عز وجل \* (يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) \* يعني أبي بن خلف ويقال إنما قال \* (فلانا) \* ولم يذكر اسمه لحقارته \* (لقد أضلني عن الذكر) \* يعني عن الإيمان \* (بعد إذ جاءني) \* أي حين جاءني ويقال إنه لم يذكر اسمه لأنه دخل فيه جميع الظالمين لأن من صنع مثل هذا الصنيع يكون هذا جزاؤه وقتل عقبة يوم بدر صبورا وقتل أبي بن خلف يوم أحد ويقال \* (لم أتخذ فلانا خليلا) \* يعني الشيطان بدليل قوله عز وجل \* (وكان الشيطان للإنسان خذولا) \* يعني يتبرأ منه يوم القيامة ونزل فيه \* (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو) \* [الزخرف: ٦٧] ثم قال عز وجل \* (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) \* يعني متروكا لا يؤمنون به ولا يعملون بما فيه وقال القتيبي يعني جعلوه كالهذيان ويقال فلان يهجر في منامه أي يهذي وقال مجاهد يهجرون منه بالقول يعني يقولون فيه بالقبيح فبين الشكاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرب عز وجل ثم إن الله عز وجل عزاه وأخبره أن الرسل من قبله كانوا يتأذون بقومهم فذلك قوله عز وجل \* (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) \* يعني من المشركين فيهجرون الكتاب ثم قال \* (وكفى بربك هاديا ونصيرا) \* يعني \* (هاديا) \* إلى دينه من كان أهلا لذلك



ويقال \* (وكفى بربك) \* حافظا على الدين \* (ونصيرا) \* أي مانعا ويقال \* (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) \* يعني فرعوننا كما جعلنا أبا جهل فرعونك ويقال سلطنا على كل نبي متكبرا ليتكبر عليه ويكذبه ويؤذيه

وروي في الخبر لو أن مؤمنا إرتقى على ذروة جبل لقيض الله تعالى إليه منافقا يؤذيه فيؤجر عليه \* (وكفى بربك) \* يعني إكتف بربك واصبر على أذاهم صار \* (هاديا ونصيرا) \* نصبا على الحال أي وكفى بربك في حال الهداية والنصرة ويقال الباء زائدة للصلة ومعناه كفى بربك \* (هاديا) \* إلى دينه \* (ونصيرا) \* أي مانعا

سورة الفرقان ٣٢ - ٣٤

قوله عز وجل \* (وقال الذين كفروا لولا نزل) \* يعني هلا \* (نزل عليه القرآن جملة واحدة) \* كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى عليهما السلام يقول الله تعالى \* (كذلك) \* يعني هكذا أي أنزلناه متفرقا \* (لنثبت به فؤادك) \* يعني لنحفظ ويقوى به قلبك ونفرحك فلما دخل قلبه الغم نزلت عليه آية وآيتان فيفرح بها ويقال \* (لنثبت به فؤادك) \* يعني ليكون قبوله على المسلمين أسهل لأنه لو أنزلت الأحكام والشرائع كلها جملة واحدة شق على المسلمين قبولها كما شق على بني إسرائيل ويقال أنزلناه هكذا لئلا يرسخ القرآن في قلبك لكي تحفظ الآية والآيتين ويقال \* (كذلك) \* أنزلناه لتحكم عند كل حادثة وعند كل واقعة لتقوي به قلبك في ذلك ثم قال \* (ورتلناه ترتيلا) \* يعني بيناه تبينا ويقال شيء رتل ورتيل إذا كان مبينا وقال مجاهد \* (ورتلناه ترتيلا) \* أي بعضه على أثر بعض وروي عكرمة عن ابن عباس قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ثم أنزل بعد ذلك جبريل عليه السلام به في عشرين سنة وهو قوله تعالى \* (كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) \* \* (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) \*

[الإسراء: ١٠٦]

ثم قال عز وجل \* (ولا يأتونك بمثل) \* يعني لا يخاصمونك بمثل مثل قوله \* (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) \* [الفرقان: ٣٢] ثم قال \* (إلا جئناك بالحق) \* يعني أنزلنا عليك جبريل عليه السلام بالقرآن فخصصهم به \* (وأحسن تفسيرا) \* يعني وأحسن بيانا لتردد به خصومهم ويقال معناه ولا يأتونك بحجة إلا بينا لك في القرآن ما فيه نقض لحجتهم \* (وأحسن تفسيرا) \* أي جوابا لهم ويقال ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بما هو أحسن من مثلهم ويقال كل

نبي إذا قال له قومه قولاً كان هو الذي يرد عليهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قالوا له شيئاً فالله تعالى هو الذي يرد عليهم  
ثم أخبرهم بمستقرهم في الآخرة فقال عز وجل \* (الذين يحشرون على وجوههم) \*  
يعني يسحبون على وجوههم \* (إلى جهنم أولئك شر مكاناً) \* يعني منزلاً في النار  
وضيقاً في الدنيا \* (وأضل سبيلاً) \* يعني أخطأ طريقاً وذلك أن كفار مكة قالوا ما كان  
محمد وأصحابه أولى بهذا الأمر منا والله إنهم لشر خلق الله فأنزل الله عز وجل \*  
(الذين يحشرون على وجوههم) \*

وروي في الخبر أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أصناف فصنف على النجائب  
وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم ف قيل يا رسول الله كيف يحشرون على  
وجوههم فقال إن الذي أمشاهم على أقدامهم فهو قادر على أن يمشيهم على وجوههم  
فذلك قوله \* (أولئك شر مكاناً) \*

سورة الفرقان ٣٥ - ٣٦

قوله عز وجل \* (ولقد آتينا موسى الكتاب) \* يعني أعطينا موسى التوراة \* (وجعلنا معه  
أخاه هارون وزيراً) \* أي معينا \* (فقلنا اذهبوا إلى القوم) \* يعني به موسى كقوله عز  
وجل في سورة طه \* (اذهب أنت وأخوك) \* [طه: ٤٢] خاطب موسى خاصة إلى  
القوم يعني فرعون وقومه \* (الذين كذبوا بآياتنا) \* أي بتوحيدنا وديننا وقال الكلبي  
يعني كذبوا بآياتنا التسع وقال بعضهم هذا التفسير خطأ لأن الآيات التسع أعطاه الله  
تعالى موسى بعد ذهابه إليه وقد قيل معناه إذهبوا إلى القوم وهذا الخطاب لموسى عليه  
السلام ثم قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم \* (الذين كذبوا بآياتنا) \* يعني  
بالرسل وبكتب الأنبياء عليهم السلام الذين قبل موسى ثم قال \* (فدمرناهم تدميراً) \*  
يعني كذبوهم فأهلكناهم إهلاكاً ويقال في الآية تقديم قوله تعالى \* (ولقد آتينا موسى  
الكتاب) \* يعني التوراة بعدما هلك فرعون وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً يعني في أول  
نبوته ويقال \* (الكتاب) \* يعني كتاباً قبل التوراة

سورة الفرقان ٣٧ - ٣٩

قوله عز وجل \* (وقوم نوح) \* يعني واذكر قوم نوح عليه السلام \* (لما كذبوا الرسل)  
\* يعني نوحاً وحده كما قال \* (يا أيها الرسل) \* [المؤمنون: ٥١] ولم يكن وقت هذا  
الخطاب إلا واحد فيجوز أن يذكر الجماعة ويراد به الواحد كما يذكر الواحد ويراد به  
الجماعة كقوله

\* (والعصر إن الإنسان لفي خسر) \* [العصر: ١] وإنما أراد به الناس ألا ترى أنه استثنى منه جماعة ويقال إن نوحا كان يدعو قومه إلى الإيمان به وبالأنبياء الذين بعده فلما كذبه فقد كذبوا جميع الرسل فلماذا قال \* (لما كذبوا الرسل) \* \* (أغرقناهم وجعلناهم للناس آية) \* يعني عبرة لمن بعدهم \* (وأعدنا للظالمين عذابا أليما) \* أي وجيعا

ثم قال عز وجل \* (وعادا وثمود وأصحاب الرس) \* يعني واذكر عادا وثمود وأصحاب الرس وهم قوم قد نزلوا عند بئر كان يسمى الرس فكذبوا رسلهم فأهلكهم الله تعالى ويقال إنما سموا أصحاب الرس لأنهم قتلوا نبيهم ورسولهم في بئر لهم وقال مقاتل يعني البئر التي كان فيها أصحاب ياسين بأنطاكية التي بالشام \* (وقرونا بين ذلك كثيرا) \* يعني أهلكنا أمما بين قوم نوح وعاد وبين عاد وثمود إلى أصحاب الرس كثيرا \* (وكلا ضربنا له الأمثال) \* يعني بينا لهم العذاب أنه نازل بهم في الدنيا \* (وكلا تبرنا تبيرا) \* أي دمرناهم بالعذاب تدميرا يقال تبره إذا أهلكه

سورة الفرقان ٤٠ - ٤٢

ثم قال عز وجل \* (ولقد أتوا على القرية) \* يعني أهل مكة مروا على القرية \* (التي أمطرت مطر السوء) \* يعني قريات لوط أمطرتنا عليهم الحجارة \* (أفلم يكونوا يرونها) \* يعني أفلم يبصروها فيعتبروا بها \* (بل كانوا لا يرجون نشورا) \* يعني بل كانوا لا يخافون البعث ويقال لا يرجون ثواب الآخرة وإنما جاز أن يعبر عنهما لأن في الرجاء طرفا من الخوف لأن كل من يرجو شيئا فإنه يخاف وربما يدرك وربما لا يدرك قوله عز وجل \* (وإذا رأوك) \* يعني أهل مكة \* (إن يتخذونك إلا هزوا) \* يعني ما يقولون لك إلا سخرية فيما بينهم ويقولون \* (أهذا الذي بعث الله رسولا) \* يعني إلينا وهو قول أبي جهل حين قال لأبي سفيان بن حرب أهدنا نبي بني عبد مناف \* (إن كاد ليضلنا) \* يعني أراد أن يصرفنا \* (عن آلهتنا) \* يعني عن عبادة آلهتنا \* (لولا أن صبرنا عليها) \* يعني ثبتنا على عبادتها لأدخلنا في دينه حكى قولهم ثم بين مصيرهم فقال \* (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) \* يعني يوم القيامة \* (من أضل سبيلا) \* يعني أخطأ طريقا يعني يبين لهم أن الذي قلت لهم كان حقا

سورة الفرقان ٤٣ - ٤٦

قوله عز وجل \* (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) \* يعني اتخذ هوى نفسه إليها يعني يعمل بكل ما يدعو إليه هواه ويقال إنهم كانوا يعبدون حجرا فإذا رأوا أحسن منه تركوا الأول وعبدوا الثاني \* (أفأنت تكون عليه وكيلا) \* يعني أتريد أن تكون بيدك المشيئة في الهدى والضلالة ويقال معناه \* (أفأنت تكون عليه وكيلا) \* يعني أتريد أن تكون ربا لهم فتجزئهم بأعمالهم يعني لست كذلك فأندرهم فإنما أنت منذر ثم قال عز وجل \* (أم تحسب أن أكثرهم) \* يعني أتظن أنهم يريدون الهدى \* (يسمعون أو يعقلون) \* الهدى \* (إن هم) \* يعني ما هم \* (إلا كالأنعام) \* في الأكل والشرب ولا يتفكرون في أمر الآخرة \* (بل هم أضل سبيلا) \* يعني أخطأ طريقا من البهائم لأن البهائم ليسوا بمأمورين ولا منهيين وقال مقاتل البهائم تعرف ربها وتذكره وكفار مكة لا يعرفون ربهم فيوحدونه قوله عز وجل \* (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) \* قال بعضهم فيه تقديم ومعناه ألم تر إلى الظل كيف مده ربك وقال بعضهم فيه مضمرة ومعناه ألم تر إلى صنع ربك كيف مد الظل يعني بسط الظل بعد انفجار الصبح إلى طلوع الشمس \* (ولو شاء لجعله ساكنا) \* يعني دائما كما هو لا شمس معه كما يكون في الجنة ظل ممدود ويقال تلك الساعة تشبه ساعات الجنة إلا أن الجنة أنور \* (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) \* حيث ما تكون الشمس يظهر الظل وقال القتيبي إنما يكون دليلا لأنه لو لم تكن الشمس لم يعرف الظل لأن الأشياء تعرف بأضدادها \* (ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) \* أي الظل بعد غروب الشمس وذلك أن الشمس إذا غابت عاد الظل وذلك وقت قبضه لأن ظل الشمس بعد غروب الشمس لا يذهب كله جملة وإنما يقبض الله ذلك الظل قبضا خفيا شيئا بعد شيء فدل الله تعالى بهذا الوصف على قدرته ولطفه في معاقبته بين الظل والشمس لمصالح عباده وبلاده ويقال ثم \* (قبضناه) \* أي قبضناه سهلا ويقال يسيرا عند طلوع الشمس ويقال " ثم قبضناه يسيرا " يعني هينا سهلا ويقال \* (يسيرا) \* يعني خفيا فلا يدري أحد أن يصير وكيف يصير ويقال \* (ثم قبضناه) \* يعني رفعناه رفعا خفيفا ويقال قوله \* (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) \* أي على الأوقات في النهار ليعرف زوال الشمس وأوقات الصلاة

سورة الفرقان ٤٧ - ٥٢

قوله عز وجل \* (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) \* يعني سكننا لتسكنوا فيه ويقال \* (لباسا) \* يعني سترا يستر جميع الأشياء \* (والنوم سباتا) \* يعني راحة للخلق ليسترىحوا فيه بالنوم \* (وجعل النهار نشورا) \* أي للنشور ينتشرون فيه لإبتغاء الرزق ثم قال عز وجل \* (وهو الذي أرسل الرياح بشرا) \* يعني تنشر السحاب والاختلاف في القراءات كما ذكرنا في سورة الأعراف \* (بين يدي رحمته) \* يعني قدام المطر \* (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) \* يعني مطهرا يطهر به الأشياء ولا يطهر بشيء \* (لنحيي به بلدة ميتا) \* يعني أرضا لا نبات فيها فينبت بالمطر \* (ونسقيه) \* يعني نسقي بالمطر \* (مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا) \* وهو جماعة الإنس يعني نسقي به الناس والدواب لفظ البلدة مؤنث إلا أن معنى البلدة والبلد واحد فانصرف إلى المعنى ولو قال ميتة لجاز إلا أنه لم يقرأ

ثم قال عز وجل \* (ولقد صرفناه بينهم) \* يعني قسمناه بين الخلق ويقال نصرفه من بلد إلى بلد مرة بهذا البلد ومرة ببلد آخر كما روي عن ابن مسعود أنه قال ما من عام بأمطر من عام ولكن الله تعالى يصرفه حيث يشاء فذلك قوله \* (ولقد صرفناه بينهم) \* وكما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من سنة بأمطر من الأخرى ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعا صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار وقال ابن عباس رضي الله عنه ما من عام بأكثر من عام ولكن يصرفه حيث يشاء فذلك قوله " ولكن يصرفه حيث يشاء "

\* (ليذكروا) \* يعني ليتعظوا في صنعته فيعتبروا في توحيد الله تعالى فيوحدوه وقرأ حمزة والكسائي \* (ليذكروا) \* بالتخفيف وضم الكاف وقرأ الباقر بالتشديد والنصب ثم قال \* (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) \* يعني كفرانا في النعمة وهو قولهم مطرنا بنوء كذا ويقال إلا جحودا وثباتا على الكفر

قوله عز وجل \* (ولو شئنا لبعثنا) \* قال مقاتل ولو شئنا لبعثنا في زمانك \* (في كل قرية نذيرا) \* يعني رسولا ولكن بعثناك إلى القرى كلها رسولا إختصاصناك بها \* (فلا تطع الكافرين) \* وذلك حين دعوه إلى ملة آبائهم \* (وجاهدهم به) \* أي بالقرآن \* (جهادا كبيرا) \* يعني شديدا

سورة الفرقان ٥٣ - ٥٧

قوله عز وجل \* (وهو الذي مرج البحرين) \* يعني أرسل ويقال حلى البحرين ويقال فلق البحرين ويقال خلق البحرين العذب والمالح \* (هذا عذب فرات) \* يعني حلو \* (وهذا ملح أجاج) \* أي مر مالح \* (وجعل بينهما برزخا) \* أي حاجزا \* (وحجرا محجورا) \* أي حرم على العذب أن يملح وحرم على المالح أن يعذب وحرم على كل واحد منهما أن يختلط بصاحبه وأن يغير كل واحد منهما طعم صاحبه قوله عز وجل \* (وهو الذي خلق من الماء بشرا) \* أي من النطفة إنسانا \* (فجعله نسبا وصهرا) \* فالنسب ما لا يحل لك نكاحه من القرابة والصهر ما يحل لك نكاحه من القرابة وغير القرابة وهذا قول الكلبي

وقال الضحاك النسب القرابة والصهر الرضاع ويحرم من الصهر ما يحرم من النسب ويقال النسب الذي يحرم بالقرابة والصهر الذي يحرم بالنسب وهو ما ذكر في قوله تعالى \* (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) \* [النساء: ٢٣] فهذه السبع تحرم بالقرابة والسبع التي تحرم بالنسب فهو ما ذكر بعده وهو قوله تعالى \* (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) \* [النساء: ٢٣] إلى آخر الآية وامرأة الأب ثم قال تعالى \* (وكان ربك قديرا) \* فيما أحل من النكاح وفيما حرم ويقال \* (قديرا) \* على ما أراد

قوله عز وجل \* (ويعبدون من دون الله) \* يعني الأصنام \* (ما لا ينفعهم) \* إن عبدوهم \* (ولا يضرهم) \* إن لم يعبدوهم \* (وكان الكافر على ربه ظهيرا) \* يعني عوننا للشياطين على ربه قال بعضهم نزلت في شأن أبي جهل بن هشام ويقال في شأن جميع الكفار

ثم قال \* (وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) \* يعني ما أرسلناك يا محمد إلا مبشرا بالجنة لمن أطاع الله عز وجل ونذيرا بالنار لمن عصاه \* (قل ما أسألكم عليه) \* يعني قل لكفار مكة \* (ما أسألكم عليه) \* يعني على القرآن والإيمان \* (من أجر) \* يعني من جعل \* (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) \* يعني إلا من شاء أن يوحد ويتخذ إلى ربه بذلك التوحيد سبيلا يعني مرجعا ويقال يعمل فيتخذ عند ربه مرجعا صالحا فيدخل به الجنة يعني لا أريد الأجر ولكن أريد لكم هذا الذي ذكر وقصدي هذا لا أن آخذ منكم شيئا

سورة الفرقان ٥٨ - ٦٠

قوله عز وجل \* (وتوكل على الحي الذي لا يموت) \* وذلك حين دعي إلى ملة آباءه فأمره الله تعالى بأن يتوكل على ربه الكريم وقال \* (سبح بحمده) \* قال مقاتل واذكر بأمره وقال الكلبي صل بأمره \* (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) \* يعني عالما معناه وكفى بالله عالما بذنوب عباده وبمجازاتهم فلا أحد أعلم بذنوب عباده ومجازاتهم منه ثم قال عز وجل \* (الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) \* وقد ذكرناه وتم الكلام ثم قال \* (الرحمن) \* قال الزجاج \* (الرحمن) \* رفعه من جهتين أحدهما على البدل مما في قوله \* (ثم استوى) \* فبين بقوله \* (الرحمن) \* يعني استوى الرحمن على العرش قال ويجوز أن يكون على معنى الابتداء \* (فاسأل به خبيرا) \* يعني فاسأل عنه عالما ويقال معناه ما أخبرتك به من شيء فهو كما أخبرتك فاسأل بذلك عالما حتى يبين لك ذلك كقوله \* (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) \* [يونس: ٩٤] الآية خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم وأراد به أمته قوله عز وجل \* (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) \* أي صلوا للرحمن ويقال إخضعوا له ووحدوه \* (قالوا وما الرحمن) \* يعني ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب قالوا \* (أنسجد لما تأمرنا) \* لذلك الكذاب قرأ حمزة والكسائي " يأمرنا " بالياء على معنى المغايبية وقرأ الباقون على المخاطبة \* (وزادهم نفورا) \* يعني زادهم ذكر الرحمن تباعدا عن الإيمان فمن قرأ بالياء فمعناه لما يأمرنا الرحمن بالسجود ويقال لما يأمرنا محمد يعني لا نسجد لما يأمرنا كقوله \* (فانكحوا ما طاب لكم) \* [النساء: ٣] يعني من طاب لكم ومن قرأ بالتاء أراد به النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو عبيد هذا هو الوجه لأن المشركين خاطبوه بذلك وكانوا غير مقرين بالرحمن

سورة الفرقان ٦١ - ٦٧

قوله عز وجل \* (تبارك) \* وقد ذكرناه \* (الذي جعل في السماء بروجا) \* يعني خلق في السماء بروجا يعني نجوما وكواكب ويقال قصورا وذكر أنه جعل في القصور حراسا كما قال في موضع آخر \* (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا) \* [الجن: ٨] الآية

ويقال البروج الكواكب العظام وكل ظاهر مرتفع فهو برج وإنما قيل لها بروج لظهورها وارتفاعها ثم قال تعالى \* (وجعل فيها) \* يعني خلق فيها \* (سراجا) \* يعني شمساً \* (وقمرا منيرا) \* يعني منورا مضيئاً قرأ حمزة والكسائي "سرجا" بلفظ الجمع يعني الكواكب وقرأ الباقر \* (سراجا) \* وبه قال أبو عبيدة بهذا نقرأ كقوله \* (وجعل الشمس سراجا) \* ولأنه قد ذكر الكواكب بقوله \* (بروجا) \*  
ثم قال عز وجل \* (وهو الذي جعل الليل والنهار) \* أي خلق الليل والنهار \* (خلفة لمن أراد أن يذكر) \* أي خليفة يخلف كل واحد منهما صاحبه يذهب الليل ويحيى النهار ويذهب النهار ويحيى الليل ويقال \* (خلفه) \* يعني مخالفاً بعضه لبعض أحدهما أبيض والآخر أسود فهما مختلفان كقوله عز وجل \* (إن في اختلاف الليل والنهار) \* الآية

وروي عن الحسن أنه قال النهار خلف من الليل لمن أراد أن يعمل بالليل فيفوته فيقضي فإذا فاتته بالنهار يقضي بالليل لمن أراد أن يذكر قرأ حمزة \* (يذكر) \* بالتخفيف في الذال وضم الكاف يعني يذكر ما نسي إذا رأى اختلاف الليل والنهار وقرأ الباقر بالتشديد وأصله يتذكر يعني يتعظ في اختلافهما ويستدل بهما \* (أو أراد شكورا) \* يعني العمل الصالح ويترك ما هو عليه من المعصية ويقال \* (أو أراد شكورا) \* أي توحيدا وإقرارا فيمكنه ذلك

قوله عز وجل \* (وعباد الرحمن الذين يمشون) \* يعني وإن من عباد الرحمن عبادا يمشون \* (على الأرض هونا) \* يعني يمشون متواضعين وهذا جواب لقولهم \* (وما الرحمن أنسجد) \* فقال الرحمن الذي جعل في السماء بروجاً وهو الذي له عباد مثل هؤلاء يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان مثل حالهم وهذا كقوله \* (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده) \* [مريم: ٦١] وكقوله " فبشر عباد والذين [الزمر: ١٧] الآية

وقال مجاهد \* (يمشون على الأرض هونا) \* قال في طاعة الله متواضعين ويقال \* (هونا) \* أي هينا لا جور منهم على أحد ولا أذى ويقال \* (هونا) \* يعني سكينه ووقارا وحلماً \* (وإذا خاطبهم الجاهلون) \* يعني كملهم الجاهلون بالجهل \* (قالوا سلاماً) \* يعني سداداً من القول ويقال ردوا إليهم بالجميل وقال الحسن يعني حلماً لا يجهلون وإن جهل عليهم حلموا وقال الكلبي نسخت بآية القتال وقال بعضهم هذا خطأ لأن هذا ليس بأمر ولكنه خير من حالهم والنسخ يجري في الأمر والنهي ثم وصف حال ليلهم فقال عز وجل \* (والذين يبيتون لربهم سجداً) \* يعني يقومون بالليل في الصلاة سجداً \* (وقياماً) \* يعني يكونون في ليلتهم مرة ساجدين ومرة قائمين وروي عن ابن عباس أنه كان يقول من صلى ركعتين أو أربعاً بعد العشاء فقد بات لله ساجداً وقائماً



( २३३ )

ثم وصف خوفهم فقال إنهم مع جهدهم خائفون من عذاب الله عز وجل ويتعوذون منه فقال عز وجل \* (والذين يقولون) \* يعني عباد الرحمن \* (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما) \* يعني لازما لا يفارق صاحبه وقال بعض أهل اللغة الغرام في اللغة أشد العذاب وقال محمد بن كعب القرظي \* (إن عذابها كان غراما) \* قال سألهم ثمن النعم فلم يأتوا بثمانها فأغرهمهم ثمن النعم وأدخلهم النار ثم قال \* (إنها ساءت مستقرا ومقاما) \* يعني بئس المستقر وبئس الخلود والمقام الخلود كقوله \* (دار المقامة) \* [فاطر: ٣٥] يعني دار الخلود ويقال نصب المستقر للتمييز ومعناه لأنها ساءت في المستقر

ثم قال عز وجل \* (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) \* وقرأ نافع وابن عامر \* (يقتروا) \* بضم الياء وكسر التاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو \* (لم يقتروا) \* بنصب الياء وكسر التاء وقرأ أهل الكوفة بنصب الياء وضم التاء ومعنى ذلك كله واحد يعني لم يسرفوا فينفقوا في معصية الله تعالى ولم يقتروا فيمسكوا عن الطاعة \* (وكان بين ذلك قواما) \* يعني بين ذلك عدلا ووسطا وقال الحسن ما أنفق الرجل على أهله في غير إسراف ولا فساد ولا إقتار فهو في سبيل الله تعالى وقال مجاهد لو كان لرجل مثل أبي قبيس ذهباً فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهما في معصية الله تعالى كان مسرفاً

سورة الفرقان ٦٨ - ٧٠

ثم قال عز وجل \* (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) \* يعني لا يشركون بالله ويقال الشرك ثلاثة أولها أن يعبد غير الله تعالى والثاني أن يطيع مخلوقاً بما يأمره من المعصية والثالث أن يعمل لغير وجه الله تعالى فالأول كفر والآخرا معصية ثم قال \* (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) \* أي إلا بإحدى خصال ثلاث وقد ذكرناه \* (ولا يزنون) \* يعني لا يستحلون الزنى ولا يقتلون النفس \* (ومن يفعل ذلك) \* يعني الشرك والقتل والزنى " يلقى أثاماً " قال الكلبي يعني عقاباً في النار وذكر عن سيبويه والخليل أنهما قالاً معناه جزاء الآثام ويقال الآثام العقوبة وقال الشاعر  
(جزى الله ابن عروة حين أمسى  
\* عقوقاً فالعقوق له أثام) أي عقوبة

ثم قال عز وجل \* (يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً) \* يعني في العذاب

صاغرا يهان فيه قرأ عاصم \* (يضاعف له) \* بالألف وضم الفاء وقرأ ابن عامر وابن كثير " يضعف " بغير ألف والتشديد وجزم الفاء وقرأ الباقون بالألف وجزم الفاء وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر \* (ويخلد) \* بضم الدال وروى حفص عن عاصم وابن كثير \* (ويخلد) \* بالإشباع وقرأ الباقون \* (يخلد) \* بجزم الدال فمن قرأ \* (يضاعف) \* و \* (يخلد) \* بالرفع فالوقف هنا على قوله \* (أثاما) \* ومن قرأهما بالجزم فلا يقف على \* (أثاما) \* لأنهما جوابا الشرط والشرط والجواب هما معزومان

ثم قال عز وجل \* (إلا من تاب وآمن) \* يعني تاب من الشرك والزنى والقتل وصدق بتوحيد الله تعالى " وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات " يعني مكان الشرك الإيمان ومكان القتل الكف ومكان الزنى العفاف ومكان المعصية العصمة والطاعة ويقال إنه يبدل في الآخرة مكان عمل السيئات الحسنات

وروي عن ابن مسعود أنه قال إن يوم القيامة إذا أعطي الإنسان كتابه في الآخرة فيرى في أوله معاصي وفي الآخر الحسنات فلما رجع إلى أول الكتاب رآه كله حسنات روى أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يعرض عليه صغار ذنوبه وهو مشفق من الكتاب أن تجيء ذنوبه العظام فإذا أريد به خير قيل أعطوه مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب إن لي ذنوبا ما أراها هانا قال ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ثم تلا هذه الآية \* (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) \* وذكر عن أبي هريرة أنه قال خرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألتني امرأة في الطريق فقالت زنت ثم قتلت الولد فهل لي من توبة فقلت لا توبة لك أبدا ثم قلت أفتيته ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فرجعت إليه فأخبرته بذلك فقال هلكت وأهلكت فأين أنت من هذه الآية \* (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) \* إلى قوله \* (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) \* فخرجت وقلت من يدلني على امرأة سألتني مسألة والصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى أدركتها وأخبرتها بذلك فسرت وقالت إن لي حديقة جعلتها لله ولرسوله وقال بعضهم هذه الآية مدنية نزلت في شأن وحشي وقال بعضهم الآية قد كانت نزلت بمكة فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى وحشي ثم قال تعالى \* (وكان الله غفورا رحيمًا) \* يعني \* (غفورا) \* لما فعلوا قبل التوبة لمن تاب \* (رحيمًا) \* بالمؤمنين بعد التوبة

سورة الفرقان ٧١ - ٧٧

ثم قال عز وجل \* (ومن تاب وعمل صالحا) \* يعني تاب من الشرك والمعاصي وعمل صالحا بعد التوبة \* (فإنه يتوب إلى الله متابا) \* يعني مناصحا لا يرجع ويقال \* (متابا) \* له في الجنة ويقال \* (متابا) \* يعني توبة يعني يتوب توبة مخلصه

ثم قال \* (والذين لا يشهدون الزور) \* يعني لا يحضرون مجالس الكذب والفحش والكفر \* (وإذا مروا باللغو) \* يعني مجالس اللهو والباطل \* (مروا كراما) \* يعني حلماء معرضين عنها وقال القتيبي \* (مروا كراما) \* لم يخوضوا فيه وأكرموا أنفسهم

ثم قال عز وجل \* (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم) \* يعني وعظوا بالقرآن \* (لم يخروا عليها) \* يعني لم يقعوا عليها \* (صما) \* يعني لا يسمعون \* (وعميانا) \* ولا يبصرون ولكنهم سمعوا وانتفعوا به وهذا قول مقاتل وقال القتيبي \* (لم يخروا عليها) \* أي لم يتغافلوا عنها فكأنهم صم لم يسمعوها عمي لم يروها

ثم قال عز وجل \* (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين) \* يعني اجعل أزواجنا وذرياتنا من الصالحين تفر أعيننا بذلك ويقال وفقهم للطاعة واعصمهم من المعصية ليكونوا معنا في الجنة فتقر بهم أعيننا قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر " وذريتنا " بلفظ الوجدان وقرأ الباقون \* (وذرياتنا) \* بلفظ الجماعة ثم قال \* (واجعلنا للمتقين إماما) \* يعني اجعلنا أئمة في الخير يقتدي بنا المؤمنون كما قال \* (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) \* [الأنبياء: ٧٣] أي قادة في الخير وروي عن عروة أنه كان يدعو بأن يجعله الله ممن يحمل عنه العلم فاستجيب دعاؤه وروي عن مجاهد معناه اجعلنا ممن يقتدي بمن قبلنا حتى يقتدي بنا من بعدنا ويقال معناه اجعلنا ممن يقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون فهذا كله من خصال عباد الرحمن من قوله \* (وعباد الرحمن) \* إلى هنا فوصف أعمالهم

ثم بين ثوابهم فقال عز وجل \* (أولئك يجزون الغرفة) \* يعني غرف الجنة كقوله \* (غرف من فوقها غرف مبنية) \* [الزمر: ٢٠] \* (بما صبروا) \* يعني صبروا على أمر الله تعالى في الدنيا وعلى الطاعة \* (ويلقون فيها) \* يعني في الجنة \* (تحية) \* يعني التسليم \* (وسلاما) \* يعني سلام

الله تعالى لهم قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر وإحدى الروایتين عن ابن عباس \* (ويلقون فيها) \* بنصب الياء وجزم اللام والتخفيف وقرأ الباقون \* (ويلقون) \* بضم الياء ونصب اللام وتشديد القاف فمن قرأ بالتخفيف يعني يلقي بعضهم بعضا بالسلام ومن قرأ بالتشديد يعني يحيي إليهم سلام الله تعالى يعني يلقي إليهم السلام من الله تعالى

ثم قال عز وجل \* (خالدين فيها) \* يعني دائمين في الجنة \* (حسنت مستقرا ومقاما) \* يعني موضع القرار وموضع الخلود

قوله عز وجل \* (قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم) \* يقول ما يفعل بكم ربي \* (لولا دعاؤكم) \* يعني لولا عبادتكم ويقال ما يفعل بعذابكم لولا عبادتكم غير الله تعالى ويقال ما ينتظر بهلاككم لولا عبادة من يعبدوني لأنزلت عذابي ويقال \* (لولا دعاؤكم) \* يعني يقول لولا إيمانكم

ثم قال عز وجل \* (فقد كذبتهم فسوف يكون لزاما) \* يعني عذابا يلزمهم فقتلوا بيدر وعجلت أرواحهم إلى النار فتلك عقوبتهم فيها ويقال \* (لزاما) \* يعني موتا وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه خمس قد مضين من ذلك اللزام والروم والقمر والدخان والبطشة ويقال ما يحتاج بعذابكم لولا عبادتكم الأصنام ويقال ما يفعل الله بعذابكم لولا عبادتكم غير الله ويقال ما ينتظر بهلاككم لولا عبادة من يعبدني لأنزلت عذابي إلى غير ذلك والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد

سورة الشعراء كلها مكية إلا آيات في آخرها وهي مائتان وسبع وعشرون آية))

سورة الشعراء ١ - ٦

قول الله سبحانه وتعالى \* (طسم) \* قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بإمالة الطاء وقرأ أبو عمرو وابن كثير بالتفخيم وهما لغتان معروفتان عند العرب ويجوز كلاهما وقرأ نافع بين ذلك وقرأ حمزة بإظهار النون والباقون بالإدغام لتقارب مخرجهما ومن لم يدغم أراد التبيين وكلاهما جائز وأما التفسير فروى معمر عن قتادة أنه قال اسم من أسماء القرآن ويقال والطاء طوله والسين سناؤه والميم ملكه ومجده ويقال الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم عجزت العلماء عن تفسيرها ويقال هو قسم أقسم الله تعالى به \* (تلك آيات الكتاب) \* يعني هذه آيات الكتاب ويقال \* (تلك آيات الكتاب) \* التي كنت وعدت في التوراة أن أنزلها على محمد صلى الله عليه وسلم \* (الكتاب المبين) \* يعني القرآن يبين لكم الحق من الباطل \* (لعلك باخع نفسك) \* يعني مهلك نفسك ويقال قاتل نفسك بالحزن " أن لا يكونوا مؤمنين " يعني إذا لم يصدقوا بالقرآن وذلك حين كذبه أهل مكة شق ذلك عليه وحزن بذلك فقال له ليس عليك سوى التبليغ ولا تقتل نفسك إن لم يؤمنوا

ثم قال عز وجل \* (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية) \* يعني علامة \* (فظلت) \* يعني فصارت \* (أعناقهم لها خاضعين) \* يعني ونزل عليهم آية تضطرهم إلى أن يؤمنوا ولكنه لم يفعل لأنه لو فعل ذلك لذهبت المحنة فلم يستوجبوا الثواب إذا آمنوا بعد معاناة العذاب كمن آمن يوم القيامة لا ينفعه إيمانه لأنه قد ظهر له بالمعاناة ويقال \* (فظلت أعناقهم) \* يعني ساداتهم وكبرائهم للآية \* (خاضعين) \* والأعناق الكبراء فإن قيل جمع الأعناق مؤنث

وقال خاضعين ولم يقل خاضعات قيل له لأن الكلام انصرف إلى المعنى فكأنه قال هم لها خاضعون

قوله تعالى " وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث " وقد ذكرناه \* (إلا كانوا عنه معرضين) \* يعني مكذبين معرضين عن الإيمان به \* (فقد كذبوا) \* يعني كذبوا بالقرآن كما قال في آية أخرى \* (فقد كذبوا بالحق) \* [الأنعام: ٥] ثم قال \* (فسياتهم أبناء) \* يعني أخبار " ما كانوا به يستهزئون " يعني يوم القيامة ويقال قد جاءهم بعض ذلك في الدنيا وهو القتل والقهر والغلبة

سورة الشعراء ٧ - ٩

قوله عز وجل \* (أو لم يروا إلى الأرض) \* يعني أو لم ينظروا في عجائب الأرض ويتفكروا فيها \* (كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) \* يعني من كل نوع من النبات ويقال من كل لون حسن وقال القتيبي الكريم يقع على الأنواع والكريم الشريف الفاضل قال الله تعالى \* (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) \* [الحجرات: ١٣] \* (ولقد كرمتنا بني آدم) \* [الإسراء: ٧٠] \* (ورب العرش العظيم) \* [التوبة: ١٢٩] \* (وندخلكم مدخلا كريما) \* [النساء: ٣١] \* (قالت يا أيها الملائكة ألقني إلي كتاب كريم) \* [النمل: ٢٩] \* أي شريف فاضل والكريم الصفوح وذلك من الشرف كما قال \* (فإن ربي غني كريم) \* [النمل: ٤٠] \* (ما غرك بربك الكريم) \* [الانفطار: ٦] \* أي الصفوح والكريم الكثير كما قال \* (ورزق كريم) \* [الأنفال: ٤] \* أي كثير والكريم الحسن وذلك من الشرف والفضل كما قال \* (من كل زوج كريم) \* [الشعراء: ٧] \* أي حسن \* (وقل لهما قولا كريما) \* [الإسراء: ٢٣] \* أي حسنا وروي عن الشعبي أنه قال \* (كم أنبتنا فيها) \* يعني بني آدم

فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم

ثم قال عز وجل \* (إن في ذلك لآية) \* يعني في إختلاف النبات وألوانه \* (لآية) \*

يعني لعبرة لأهل مكة أنه إله واحد

ثم قال \* (وما كان أكثرهم مؤمنين) \* يعني مصدقين بالتوحيد ولو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا وقال مقاتل \* (وما كان أكثرهم مؤمنين) \* يعني وما كانوا مؤمنين بل كلهم كانوا كافرين \* (وإن ربك لهو العزيز) \* يعني المنيع بالنقمة لمن لم يجب الرسل \* (الرحيم) \* حيث لم يعجل بعقوبتهم ويقال رحيم بالمؤمنين

سورة الشعراء ١٠ - ١٥

قوله عز وجل \* (وإذ نادى ربك موسى) \* يعني أتلى عليهم إذ نادى ربك موسى كما قال \* (واتل عليهم نبأ إبراهيم) \* وقال مقاتل \* (إذ نادى ربك موسى) \* يعني أمر ربك يا محمد موسى \* (أن اتت القوم الظالمين) \* يعني إذهب إلى القوم المشركين \* (قوم فرعون ألا يتقون) \* قال مقاتل يعني قل لهم ألا تتقون عبادة غيره وتوحدونه ويقال \* (ألا يتقون) \* يعني ألا يعبدون الله تعالى \* (قال رب) \* يعني قال موسى يا رب \* (إني أخاف أن يكذبون) \* بما أقول \* (ويضيق صدري) \* إذا كذّبوني في رسالتك \* (ولا ينطلق لساني) \* لمهابته قرأ الحضرمي \* (ويضيق صدري ولا ينطلق) \* كلاهما بنصب القاف وجعله نصبا بأن ومعناه أخاف أن يكذبون وأن يضيق صدري وأن لا ينطلق

لساني وقراءة العامة بالضم على معنى الاستئناف  
ثم قال \* (فأرسل إلى هارون) \* يعني أرسله معي لكي يكون عوناً لي في أداء الرسالة ثم قال \* (ولهم علي ذنب) \* يعني قصاص بقتل القبطي \* (فأخاف أن يقتلون) \* وقال القتيبي على معنى عندي أي لهم عندي ذنب " قال " الله تعالى \* (كلا) \* أي لا تخف وقال الزجاج كلا ردع وتنبه أي لا يقدرّون على ذلك \* (فاذهباً بآياتنا) \* مخاطب به موسى خاصة بأن يذهب مع أخيه بآياتنا التسع \* (إننا معكم مستمعون) \* يعني سامعين وقد بين ذلك في موضع آخر وهو قوله \* (أسمع وأرى) \* [طه: ٤٦] والاستماع سبب للسمع فيعبر به عنه

سورة الشعراء ١٦ - ٢٢

قوله عز وجل \* (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) \* يعني موسى وحده ويضاف الشيء إلى اثنين والمراد به أحدهما وقال القتيبي الرسول يكون بمعنى الجمع كما يكون الضيف بمعنى الجمع \* (قال إن هؤلاء ضيفي) \* [الحجر: ٦٨] وقال أبو عبيد رسول بمعنى رسالة ويقال رسول يعني به رسولين كقوله \* (إنا رسولا ربك) \* [طه: ٤٧] فقال \* (إنا رسول رب العالمين) \* \* (أن أرسل معنا بني إسرائيل) \* يعني قل لفرعون ذلك ولم يذكر إتيانه إلى فرعون لأن في الكلام دليلاً عليه وقد بين في موضع آخر حيث قال \* (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) \* [القصص: ٣٦] وقال مقاتل \* (إنا رسول رب العالمين) \* وانقطع الكلام ثم انطلق موسى وكان هارون بمصر فانطلقا إلى فرعون قال مقاتل فلم يأذن لهما سنة ثم أخبر البواب



فرعون أن ها هنا إنسانا يذكر أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه وقال السدي لما أتى باب فرعون ضرب موسى عليه السلام عصاه على الباب ففزع من ذلك فرعون فأذن له في الدخول من ساعته فلما دخل عليه عرفه فأدى الرسالة فقال له فرعون \* (ألم نربك فينا وليدا) \* قال الفقيه أبو الليث رحمه الله أول ما بدأ فرعون بكلام السفلة ومن على نبي الله صلى الله عليه وسلم أنما أطعمه فقال \* (ألم نربك فينا وليدا) \* يعني ألم تكن فينا صغيرا قد ربيناك \* (ولبثت فينا) \* يعني مكثت عندنا \* (من عمرك سنين) \* يعني ثلاثين سنة \* (وفعلت فعلتك التي فعلت) \* يعني قتلت النفس التي قتلتها

وقرأ في الشاذ " ف علتك " بكسر الفاء هي قراءة الشعبي وقراءة العامة بالنصب والنصب يقع على فعل واحد والكسر على المرات يعني قتلت مرة وهممت بالقتل ثانيا ثم قال \* (وأنت من الكافرين) \* أي من الكافرين بنعمتي ويقال كفرت بي حيث قتلت النفس ويقال وأنت من الجاحدين للقتل يعني لم تقر بالقتل فأخبره موسى أنه غير جاحد للقتل \* (قال فعلتها إذا) \* يعني قتلت النفس \* (وأنا من الضالين) \* عن النبوة كقوله \* (ووجدك ضالا فهدى) \* [الضحى: ٧] ويقال من الجاهلين ولم أتعمد القتل قال القتيبي أصل الضلالة العدول عن الحق ثم يكون لمعاني منها النسيان لأن الناس عادل عنه فكما قال ها هنا \* (فعلتها إذا وأنا من الضالين) \* أي من الناسين وكما قال \* (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) \* [البقرة: ٢٨٢]

ثم قال عز وجل \* (ففررت منكم) \* يعني هربت منكم إلى مدين \* (لما خفتكم) \* على نفسي أن تقتلوني \* (فوهب لي ربي حكما) \* قال الكلبي يعني النبوة وقال مقاتل يعني العلم والفهم \* (وجعلني من المرسلين) \* إليكم ثم قال عز وجل \* (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل) \* يعني أو كان هذا نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل فكأنه أنكر عليه فقال كيف تكون نعمتك التي تمن علي فإنك قد عبدت بني إسرائيل أي إستعبدتهم ولم تعبدني ويقال معناه \* (تلك نعمة) \* إنما صارت نعمة بتعبيدك بني إسرائيل لأنك لو لم تعبدهم لم تجعلني أمة في التابوت حتى صرت في بيتك ولكن إنما صارت نعمة لأجلك حيث عبدت بني إسرائيل وقال مقاتل \* (وتلك نعمة) \* تمنها علي يا فرعون بإحسانك إلي خاصة وبترك أبنائك أن عبدت بني إسرائيل وقال الكلبي يقول تستعبد بني إسرائيل وتمن علي بذلك

سورة الشعراء ٢٣ - ٣٣

\* (قال فرعون) \* لموسى \* (وما رب العالمين) \* منكر له وهذا جواب لقوله \* (إنا رسول رب العالمين) \* فجاء بجواب قطع حجته \* (قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) \* بتوحيد الله تعالى فعجز فرعون عن الجواب " فقال لمن حوله ألا تستمعون " إلى قول موسى عليه السلام قالوا له فما تقول يا موسى فجاء بحجة أخرى ليؤكد عليهم \* (قال ربكم) \* يعني أدعوكم إلى ربكم \* (ورب آبائكم الأولين) \* يعني إلى توحيد خالقكم وخالق آبائكم الأولين " قال " فرعون لجلسائه \* (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال) \* موسى عليه السلام ليس بمجنون مثلي أدعوكم إلى \* (رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) \* يعني إن كان لكم ذهن الإنسانية فلما عجز عن الجواب مال إلى العقوبة كما يفعل السلاطين " فقال لئن اتخذت إلها غيري " يعني لئن عبدت ربا غيري \* (لأجعلنك من المسجونين) \* يعني لأحبسك في السجن قال ابن عباس وكان سجنه أشد من القتل " قال " موسى " أولو جئتكم بشيء مبين " يعني ولو جئتكم بحجة بينة يستبين لكم أمري " قال " فرعون \* (فأت به) \* يعني فأرناه \* (إن كنت من الصادقين) \* بأنك رسول \* (فألقي عصاه) \* من يده \* (فإذا هي ثعبان مبين) \* يعني حية صفراء من أعظم الحيات \* (ونزع يده) \* يعني أخرج يده فقال لهم ما هذه فقالوا يدك فأدخلها في جيبه وأخرجها \* (فإذا هي بيضاء للناظرين) \* يعني لها شعاع غلب شعاع الشمس وانتشر الضوء حوالي مصر للناظرين لمن نظر إليها من غير برص فعجبوا من ذلك

سورة الشعراء ٣٤ - ٥١

قوله عز وجل \* (قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم) \* يعني قال فرعون لمن حوله من الرؤساء والأشراف وأصله في اللغة من ملأ قال بعضهم الملأ بما يراد بهم مائتان وخمسون وقال بعضهم ثلاثمائة وخمسون وهم جماعة الملي ويقال يملأ العين هيبة يعني إذا نظر إليها الناظر

ثم قال \* (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) \* يعني من أرض مصر \* (فماذا تأمرون) \* يعني تشيرون \* (قالوا أرجه وأخاه) \* يعني إحسبهما وأخرهما ولا تقتلهما ولا تؤمن بهما وأصله من التأخير يعني أخر أمرهما حتى تنظر \* (وابعث في المدائن حاشرين) \* يحشرون عليك السحرة \* (يأتوك بكل سحار عليم) \* يعني حاذقا \* (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) \* وهو يوم عيد لهم وهو يوم الزينة قال مقاتل هم اثنان وسبعون ساحرا ويقال سبعون ألفا وقال الزجاج ذكر أن السحرة كانوا اثني عشر ألفا \* (وقيل للناس) \* يعني أهل مصر \* (هل أنتم مجتمعون) \* للسحرة للميعاد \* (لعلنا نتبع السحرة) \* على أمرهم \* (إن كانوا هم الغالبيين) \* قوله عز وجل \* (فلما جاء السحرة) \* يعني إلى الميقات \* (قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا) \* يعني جعلنا \* (إن كنا نحن الغالبيين) \* يعني أتجازينا إن غلبناه \* (قال نعم) \* أجازيكم \* (وإنكم إذا لمن المقربين) \* يعني لكم مع الجائزة المنزلة والكرامة عندي \* (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) \* يعني اطرحوا " فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا إنا لنحن الغالبون " يعني تغلب موسى \* (فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف) \* يعني تلتقم وتبتلع \* (ما يافكون) \* يعني ما يطرحون من الحبال والعصي قوله عز وجل \* (فألقى السحرة ساجدين) \* أي خروا سجدا لله تعالى \* (قالوا آمنا برب العالمين) \* فقال فرعون إياي تعنون قالوا \* (رب موسى وهارون) \* يعني خالق موسى وهارون عليهما السلام \* (قال آمنت له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فسوف تعلمون) \* ماذا أصنع بكم \* (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين) \* على شاطئ نهر مصر \* (قالوا) \* يعني السحرة \* (لا ضير) \* أي لا يضرنا ما فعلت بنا \* (إنا إلى ربنا منقلبون) \* يعني إلى خالقنا راجعون \* (إنا نطمع) \* يعني نرجو " أن يغفر لنا خطايانا " يعني شركنا وسحرنا \* (أن كنا أول المؤمنين) \* يعني أول المصدقين من قوم فرعون وذكر عن الفراء أنه قال كانوا أول مؤمني أهل دهرهم وقال الزجاج لا أحسبه عرف الرواية لأن الذين كانوا مع موسى روي في التفسير أنهم ستمائة ألف وسبعين ألفا ولكن معناه أول من آمن في هذه الساعة

سورة الشعراء ٥٢ - ٦٢

قوله عز وجل \* (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي) \* يعني بني إسرائيل \* (إنكم متبعون) \* يعني يتبعكم فرعون وقومه ويقال أسرى يسري إسرائ إذا سار ليلاً يعني إذهب بهم بالليل \* (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين) \* يحشرون الناس لقتال موسى عليه السلام ليخرج في طلبه وقال \* (إن هؤلاء لشرذمة قليلون) \* يعني طائفة وعصبة وجماعة قليلون وقال الزجاج الشرذمة في كلام العرب القليل ويروى أنهم كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً \* (وإنهم لنا لغائظون) \* يعني لمبغضين ويقال "إنا لغائظون" يعني لمبغضين بخلافهم لنا وذهابهم بحلينا

ثم قال عز وجل \* (وإننا لجميع حاذرون) \* أي مودون شاكون في السلاح قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو "حذرون" بغير ألف والباقون بالألف والحاذر المستعد والحذر المستيقظ ويقال الحاذر الذي يحذر في الفور والحذر الذي لا تلقاه إلا حذراً وروي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ \* (حاذرون) \* بالألف وكان يقول يعني ذا أداة من السلاح ومعناه إنا قد أخذنا حذرنا من عدونا بسلاحنا

قال الله تعالى \* (فأخرجناهم) \* يعني فرعون وقومه \* (من جنات) \* يعني البساتين \* (وعيون) \* يعني الأنهار الجارية \* (وكنوز) \* يعني من الأموال الكثيرة \* (ومقام كريم) \* يعني المنازل الحسنة ويقال المنابر التي يعظم عليها فرعون قرأ أبو عمرو ونافع وعاصم \* (وعيون) \* بضم العين في جميع القرآن وقرأ الباقر بالكسر وهما لغتان وكلاهما جائز وقال بعضهم \* (فأخرجناهم من جنات وعيون) \* كلام فرعون إنا أخرجنا بني إسرائيل من أرض مصر والطريق الأول أشبه كما قال في موضع آخر \* (كم تركوا من جنات وعيون) \* [الدخان: ٢٥] الآية ثم قال \* (كذلك) \* يعني هكذا أفعل بمن عصاني

ثم استأنف فقال عز وجل \* (وأورثناها) \* ويقال كذلك أورثناها يعني هكذا أنزلنا فيها يعني في مساكن فرعون \* (بني إسرائيل) \* بعد ما غرق فرعون ثم قال \* (فأتبعوهم مشرقين) \* يعني عند طلوع الشمس

قوله عز وجل \* (فلما تراءى الجمعان) \* يعني تقاربا ورأى بعضهم بعضاً وذلك أن فرعون أرسل في المدائن حاشرين ليحشروا الناس فركب وركب معه ألف ألف ومائتا ألف

فارس سوى الرجالة أي المشاة فلما دنوا من عسكر موسى \* (قال أصحاب موسى) \*  
لموسى عليه السلام \* (إنا لمدركون) \* يعني يدر كنا فرعون " قال " موسى \* (كلا) \*  
لا يدر ككم \* (إن معي ربي سيهدين) \* يعني سينجيني ويهديني إلى طريق النجاة  
سورة الشعراء ٦٣ - ٦٨

قوله عز وجل \* (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) \* وفي الآية  
مضمرة ومعناه فضربه بالعصا فانفلق البحر \* (فكان كل فرق كالطود العظيم) \* يعني  
كالجبل العظيم \* (وأزلفنا ثم الآخريين) \* يعني قربنا قوم فرعون إلى البحر وأدنياهم إلى  
الغرق ومنه قوله تعالى \* (وأزلفت الجنة للمتقين) \* [الشعراء: ٩٠] أي أدنيت وقربت  
وروي عن الحسن قال \* (وأزلفنا) \* يعني أهلكنا وقال غيره \* (وأزلفنا) \* أي جمعناهم  
في البحر حتى غرقوا وفيه قيل لجمع المزدلفة \* (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) \*  
يعني من البحر \* (ثم أغرقنا الآخريين) \* يعني فرعون وقومه وقد ذكرنا القصة في موضع  
آخر

ثم قال \* (إن في ذلك) \* يعني فيما صنع \* (آية) \* يعني لعبرة لمن بعدهم \* (وما كان  
أكثرهم مؤمنين) \* يعني مصدقين يعني لو كان أكثرهم مؤمنين لم يهلكهم الله تعالى \*  
(وإن ربك لهو العزيز) \* بالنعمة \* (الرحيم) \* لمن تاب  
سورة الشعراء ٦٩ - ٨٥

قوله عز وجل \* (واتل عليهم نبأ إبراهيم) \* يعني أخبر أهل مكة خبر إبراهيم كيف قال  
لقومه ثم أخبرهم عن ذلك فقال \* (إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) \* وذلك أن إبراهيم  
عليه السلام لما ولدته أمه في الغار فلما خرج وكبر دخل المصر فأراد أن يعلم على أي  
مذهب هم وهكذا ينبغي للعاقل إذا دخل بلدة أن يسألهم عن مذهبهم فإن وجدهم على  
الإستقامة

دخل معهم وإن وجدهم على غير الإستقامة أنكر عليهم فقال لهم إبراهيم \* (ما تعبدون) \* \* (قالوا نعبد أصناما فنظّل لها عاكفين) \* أي فنقيم عليها عابدين فأراد أن يبين عيب فعلهم فقال \* (قال هل يسمعونكم) \* يعني هل تجيبكم الآلهة سمي الإجابة سمعا لأن السمع سبب الإجابة \* (إذ تدعون) \* يعني هل يجيبونكم إذا دعوتموهم \* (أو ينفعونكم) \* إذا عبدتموهم \* (أو يضرّون) \* يعني يضرّونكم إن لم تعبدوهم \* (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) \* يعني وجدنا آباءنا يعبدونهم هكذا فنحن نعبدهم " قال " لهم إبراهيم عليه السلام \* (أفرأيتم ما كنتم تعبدون) \* اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الإعلام يعني إعلموا أن الذي كنتم تعبدون \* (أنتم وآباؤكم) \* وأجدادكم يعني معبودكم ومعبود آباءكم وأجدادكم \* (الأقدمون) \* يعني الماضين \* (فإنهم عدو لي) \* يعني هم أعدائي \* (إلا رب العالمين) \* يقال معناه إلا من يعبد رب العالمين ويقال كانوا يعبدون مع الله الآلهة فقال لهم جميع ما تعبدون من الآلهة فهو عدو لي إلا رب العالمين فإنه ليس بعدو لي ويقال معناه أتبرأ من أفعالكم وأقوالكم إلا الذي تقولون رب العالمين وهو قوله \* (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) \* [الزخرف: ٨٧] ويقال \* (آ) \* بمعنى لكن ومعناه فإنهم عدو لي لكن رب العالمين يعني لكن أعبد رب العالمين

ثم وصف لهم رب العالمين فقال \* (الذي خلقتني فهو يهديني) \* يعني يحفظني ويثبتني على الهدى \* (والذي هو يطعمني ويسقيني) \* يعني هو الذي يرزقني ويرحمني ثم قال " وإذ مرضت فهو يشفين " فقد أضاف سائر الأشياء إلى الله تعالى وأضاف المرض إلى نفسه لأن المرض بكسب يده كقوله عز وجل \* (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) \* [الشورى: ٣٠] وفيه كفارة وإذا كان أصله من كسب نفسه أضافه إلى نفسه ثم قال \* (والذي يميّتي ثم يحييني) \* يعني يميّتي في الدنيا ويحييني للبعث \* (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) \* يعني أرجو أن يغفر خطيئتي وهو قوله \* (إني سقيم) \* [الصفّات: ٨٩] ويقال قوله \* (هذا ربي) \* [الأنعام: ٧٨] ويقال ما كان نبي من الأنبياء عليهم السلام إلا وقد هم بزلة

ثم قال \* (رب هب لي حكما) \* يعني النبوة \* (وألحمني بالصالحين) \* يعني بالمرسلين في الجنة \* (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) \* يعني الثناء الحسن في الباقيين وإنما أراد بالثناء الحسن لكي يقتدوا به فيكون له مثل أجر من إقتدى به \* (واجعلني من ورثة جنة النعيم) \* يعني إجعلني ممن ينزل فيها

سورة الشعراء ٨٦ - ٨٩

ثم قال \* (واغفر لأبي إنه كان من الضالين) \* يعني إهده إلى الحق من الضلالة والشرك يعني إنه كان من المشركين في الحال كقوله عز وجل \* (من كان في المهد صبياً) \* [مريم: ٢٩] يعني من هو في الحال صبي ويقال إنه كان من الضالين حين فارقت كقوله \* (وكان وراءهم ملك) \* [الكهف: ٧٩] وهذا الاستغفار حين كان وعده بالإسلام وقال مقاتل إن إبراهيم عليه السلام قد كذب ثلاث كذبات وأخطأ ثلاث خطيئات وأبتلي بثلاث بليات وسقط سقطة فأما الكذبات فقوله \* (إني سقيم) \* [الصفات: ١٨٩] وقوله \* (بل فعله كبيرهم هذا) \* [الأنبياء: ٦٣] وقوله لسارة حين قال هي أختي والخطايا قوله للنجم القمر والشمس \* (هذا ربي) \* [الأنعام: ٧٨] وأما البليات حين قذف في النار والختان والأمر بذبح الولد وسقط سقطة حين دعا لأبيه وهو مشرك وقال غيره لم يكذب ولم يخطئ ولم يسقط لأنه قال \* (إني سقيم) \* يعني سأسقم لأن كل آدمي سيصبيه السقم وقوله \* (بل فعله كبيرهم هذا) \* قد قرنه بالشرط وهو قوله \* (إن كانوا ينطقون) \* [الأنبياء: ٦٣] وقوله لسارة هي أخته فكانت أخته في الدين وقوله \* (هذا ربي) \* كان على وجه الإسترشاد لا للتحقيق ويقال كان ذلك القول على سبيل الإنكار والزجر يعني أمثل هذا ربي وأما دعاؤه لأبيه فلوعدة وعدها إياه وقد بين الله تعالى بقوله \* (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) \* [التوبة: ١١٤] يعني إن أباه وعده أنه سيؤمن فما دام حيا يرجو أو يدعو وإذا مات ضالا ترك الاستغفار ويقال إن إبراهيم كان وعده أن يستغفر له حيث قال \* (سأستغفر لك ربي) \* فاستغفر له ليكون منجز الوعد ثم قال \* (ولا تخزني يوم يبعثون) \* يعني لا تعذبني يوم يبعثون من قبورهم إلى ها هنا كلام إبراهيم وقد انقطع كلامه

ثم إن الله تبارك وتعالى وصف ذلك اليوم فقال \* (يوم لا ينفع مال ولا بنون) \* يعني يوم القيامة لا ينفع الذي خلفوه في الدنيا وأما المال الذي أنفقوا في الخير فإنه ينفعهم \* (ولا بنون) \* يعني للكفار لأنهم كانوا يقولون \* (نحن أكثر أموالاً وأولاداً) \* [سبأ: ٣٥] فأخبر الله تعالى أنه لا ينفعهم في ذلك اليوم المال ولا البنون وأما المسلمون فينفعهم المال والبنون لأن المسلم إذا مات ابنه قبله يكون له ذخراً وأجراً في الجنة وإن تخلف بعده فإنه يذكره بصالح دعائه فينفعه ذلك

ثم قال \* (إلا من أتى الله بقلب سليم) \* يعني من جاء بقلب سليم يوم القيامة ينفعه المال والبنون ويقال \* (إلا من أتى الله بقلب سليم) \* فذلك الذي ينفعه والقلب السليم هو القلب المخلص وقال ابن عباس يعني بقلب خالص من الشرك

وروى أبو أسامة عن عوف قال قلت لابن سيرين ما القلب السليم قال أن تعلم أن الله عز وجل حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ويقال سليم من اعتقاد الباطل ويقال سليم من النفاق والهوى والبدعة وسئل أبو القاسم الحكيم عن القلب السليم فقال له ثلاث علامات أولها أن لا يؤذي أحدا والثاني أن لا يتأذى من أحد والثالث إذا إصطنع معروفا إلى أحد لم يتوقع منه المكافأة فإذا هو لم يؤذ أحدا فقد جاء بالورع وإذا لم يتأذى من أحد فقد جاء بالوفاء وإذا لم يتوقع المكافأة بالإصطناع فقد جاء بالإخلاص

سورة الشعراء ٩٠ - ١٠١

ثم قال عز وجل \* (وأزلفت الجنة للمتقين) \* يعني قربت الجنة للمتقين الذين يتقون الشرك والفواحش يعني أن المتقين قربوا من الجنة  
ثم قال \* (وبرزت الجحيم) \* يعني والجحيم أظهرت وكشفت غطاءها \* (للاولين) \* يعني للكافرين ويقال يؤتى بها في سبعين ألف زمام \* (وقيل لهم) \* يعني للكفار \* (أين ما كنتم تعبدون) \* يعني أين معبودكم الذين كنتم تعبدون من دون الله \* (هل ينصرونكم) \* يعني هل يمنعونكم من العذاب \* (أو ينتصرون) \* يعني هل يمتنعون من العذاب فاعترفوا أنهم لا ينصرونهم ولا ينتصرون فأمر بهم في النار ويقال " أينما كنتم تعبدون من دون الله " يعني الشياطين لأنهم أطاعوها في المعصية فكأنهم عبدوها قوله عز وجل \* (فكبكبوا فيها) \* يعني جمعوا فيها \* (هم والعاون) \* ويقال \* (فكبكبوا فيها) \* فخذفوا من النار \* (هم والعاون) \* يعني الكفار والآلهة والشياطين الذين أغووا بني آدم وهذا قول مقاتل ويقال \* (فكبكبوا فيها) \* يعني ألقى بعضهم على بعض وقال القتيبي الأصل كببوا أي ألقوا على رؤوسهم فيها فأبدلت مكان إحدى الباءين كاف وقال الزجاج هو تكرير الإنكباب لأنه إذا ألقى ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها ويقال جمعوا فيها ومنه حديث جبريل عليه السلام أنه ينزل في كبكبة من الملائكة يعني جماعة من الملائكة عليهم السلام  
ثم قال عز وجل \* (وجنود إبليس أجمعون) \* يعني جمعوا فيها جميعا \* (قالوا وهم فيها يختصمون) \* يعني الكفار والأصنام ويقال الكفار والشياطين ويقال الرؤساء والأتباع



ومعناه قالوا وهم يختصمون فيها على معنى التقديم \* (تالله) \* يعني والله \* (إن كنا  
لفي ضلال مبين) \* يعني في خطأ بين \* (إذ نسويكم برب العالمين) \* يعني نطيعكم  
كما يطيع المؤمنون أمر الله عز وجل \* (وما أضلنا إلا المجرمون) \* يعني ما صرفنا عن  
الإيمان إلا الشياطين ويقال رؤساؤنا ويقال آباؤنا المشركون \* (فما لنا من شافعين) \*  
يعني حيث يرون الأنبياء عليهم السلام يشفعون للمؤمنين والملائكة عليهم السلام  
يشفعون ولا يشفع أحد للكفار فيقولون ليس أحد يشفع لنا \* (ولا صديق حميم) \*  
يعني قريب يهمله أمرنا

سورة الشعراء ١٠٢ - ١١٠

قوله عز وجل \* (فلو أن لنا كرة) \* يعني رجعة إلى الدنيا \* (فنكون من المؤمنين) \*  
يعني من المصدقين على دين الإسلام \* (إن في ذلك لآية) \* يعني لعبرة لمن يعبد غير  
الله تعالى ليعلم أنه يتبرأ منه في الآخرة ولا ينفعه \* (وما كان أكثرهم مؤمنين) \* يعني  
الذين جمعوا في النار لم يكونوا مؤمنين \* (وإن ربك لهو العزيز) \* بالنقمة لمن عبد  
غيره \* (الرحيم) \* بالمؤمنين

قوله عز وجل \* (كذبت قوم نوح المرسلين) \* يعني نوحا عليه السلام وحده ويقال  
جميع الأنبياء عليهم السلام لأن نوحا عليه السلام دعاهم إلى الإيمان بجميع الأنبياء  
والرسل عليهم السلام فلما كذبوه فقد كذبوا جميع الرسل \* (إذ قال لهم أخوهم نوح)  
\* يعني نبيهم سماه أخوهم لأنه كان منهم وابن أبيهم \* (ألا تتقون) \* يعني ألا تخافون  
الله تعالى فتوحدوه \* (إني لكم رسول أمين) \* فيما بينكم وبين ربكم وجعلني الله عز  
وجل أمينا في أداء الرسالة إليكم ويقال إنه كان أمينا فيهم قبل أن يبعث \* (فاتقوا الله)  
\* أي خافوا الله \* (وأطيعون) \* يعني فاتبعوني فيما أمركم به \* (وما أسألكم عليه من  
أجر) \* يعني على الإيمان من أجر يعني أجرا \* (إن أجري) \* يعني ما ثوابي \* (إلا على  
رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) \* وقد ذكرناه

سورة الشعراء ١١١ - ١٢٢

قوله عز وجل \* (قالوا أنؤمن لك) \* يعني أنصدقك \* (واتبعك الأردلون) \* يعني سفلتنا ويقال المساكين ويقال الضعفاء قرأ يعقوب الحضرمي " واتبعك الأردلون " وهو جمع تابع ومعناه وأتباعك الأردلون وقراءة العامة \* (واتبعك الأردلون) \* بلفظ الماضي اتبعك من تبعك " قال " لهم نوح \* (وما علمي بما كانوا يعملون) \* يعني ما كنت أعلم أن الله تعالى يهديهم من بينكم ويدعكم \* (إن حسابهم إلا على ربي) \* يعني ما حسابهم إلا على ربي ويقال ما سرائرهم إلا عند ربي \* (لو تشعرون) \* أن الله تعالى علام الغيوب

قالوا لنوح أطردهم حتى نؤمن بك قال لهم نوح \* (وما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين) \* إلا منذر لكم بلغة تعرفونها \* (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) \* أي من المقتولين ويقال من المرجومين بالحجارة قوله عز وجل \* (قال رب إن قومي كذبون) \* بالعذاب والتوحيد \* (فافتح بيني وبينهم فتحا) \* يعني إقض بيني وبينهم قضاء ويقال للقاضي فتاح وهذه لغة أهل اليمن \* (ونجني ومن معي من المؤمنين) \* من العذاب ومن أذى الكفار \* (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) \* يعني السفينة المملوءة الموقرة من الناس والأنعام وغير ذلك \* (ثم أغرقنا بعد الباقيين) \* يعني من بقي ممن لم يركب السفينة ولفظ البعد والقبل إذا كان بغير إضافة يكون بالرفع مثل قوله \* (لله الأمر من قبل ومن بعد) \* [الروم: ٤] وكقوله \* (ثم أغرقنا بعد الباقيين) \* وإذا كانت بالإضافة يكون نصبا في موضع النصب كقوله \* (وأنشأنا بعدها قوما آخرين) \* [الأنبياء: ١١]

ثم قال عز وجل \* (إن في ذلك لآية) \* يعني لعلبة لمن إستخف بفقراء المسلمين واستكبر عن قول الحق \* (وما كان أكثرهم مؤمنين) \* فلم يؤمن من قومه إلا ثمانون من الرجال والنساء \* (وإن ربك لهو العزيز) \* بالنقمة لمن تعظم عن الإيمان واستخف بضعفاء المسلمين واستهزأ بهم \* (الرحيم) \* لمن تاب

سورة الشعراء ١٢٣ - ١٣٢

وقوله عز وجل \* (كذبت عاد المرسلين) \* يعني كذبوا هودا عليه السلام \* (إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) \* وقد ذكرناه \* (أتبنون بكل ريع) \* يعني بكل طريق \* (أيه) \* علامة

ويقال بكل شرف علما \* (تعبتون) \* يعني تلعبون ويقال تضربون فتأخذون المال ممن  
مر بكم

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى \* (آية تعبتون) \* يعني تبنون ما لا تسكنون وقال  
أهل اللغة كل لعب لا لذة فيه فهو عبث واللعب ما كان فيه لذة فهم إذا بنوا بناء ولا  
منفعة لهم فيه فكأنهم يعبتون

ثم قال عز وجل \* (وتتخذون مصانع) \* يعني القصور وقال مجاهد المصانع قصور  
وحصون وقال القتيبي المصانع البناء واحدها مصنعة ويقال الريع الارتفاع من الأرض  
ومعناه أنكم تبنون البناء والقصور وتظنون أن ذلك يحصنكم من أقدار الله تعالى ويقال  
\* (وتتخذون مصانع) \* يعني الحياض \* (لعلكم تخلصون) \* يعني كأنكم تخلصون في  
الدنيا

قوله عز وجل \* (وإذا بطشتم) \* يعني عاقبتهم ويقال يعني ضربتم بالسوط وقتلتم بالسيف  
\* (بطشتم جبارين) \* يعني فعلتم كفعل الجبارين لأن الجبارين يضربون ويقتلون بغير  
حق وأصل البطش في اللغة هو الأخذ بالقهر والغلبة \* (فاتقوا الله وأطيعون) \* فيما  
أمركم به \* (واتقوا الذي أمركم) \* يعني أعطاكم \* (بما تعلمون) \* ما تعلمون من  
الخير

سورة الشعراء ١٣٣ - ١٤٠

ثم بين فقال \* (أمدكم بأنعام وبنين) \* يعني أعطاكم الأموال والبنين \* (وجنات وعيون)  
\* يعني البساتين والأنهار الجارية فاعرفوا رب هذه النعمة واشكروه ليديم عليكم النعمة  
فإنكم إن لم تشكروه ف \* (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) \* يعني أعلم أنه  
يصيبكم العذاب في الدنيا والآخرة

قوله عز وجل \* (قالوا سواء علينا أوعظت) \* يعني نهيتنا وخوفتنا من العذاب \* (أم لم  
تكن من الواعظين) \* يعني من الناهين روي عن ابن عباس أنه قال هو الوعظ بعينه \*  
(إن هذا إلا خلق الأولين) \* قرأ أبو عمرو والكسائي وابن كثير \* (إن هذا إلا خلق) \*  
بنصب الخاء وقرأ الباقون بالضم فمن قرأ بالنصب فمعناه ما هذا العذاب الذي تذكره إلا  
أحاديث الأولين ويقال الإحياء بعد الموت لا يكون وإنما هذا خلق الأولين أنهم  
يعيشون ثم يموتون \* (وما نحن بمعذبين) \* قال القتيبي الخلق الكذب كقوله \* (إن هذا  
إلا اختلاق) \* [ص: ٧] وكقوله \* (إن هذا إلا خلق الأولين) \* [الشعراء: ١٣٧] أي  
خوضهم للكذب والعرب تقول للخرافات أحاديث الخلق قال وأصل الخلق التقدير وها  
هنا أراد به اختلافهم وكذبهم وأما من قرأ بضم الخاء فمعناه إن هذا إلا عادة الأولين  
والعادة أيضا تحتمل المعنيين مثل الأول

ثم قال عز وجل \* (فكذبوه فأهلكناهم) \* يعني كذبوا هودا فأهلكناهم بالريح \* (إن في ذلك لآية) \* يعني لعبرة لمن يعمل عمل الجبارين ولا يقبل الموعدة \* (وما كان أكثرهم مؤمنين) \* يعني قوم عاد ولو كان أكثرهم لم يهلكهم الله تعالى \* (وإن ربك لهو العزيز) \* يعني المنيع بالنقمة لمن يعمل عمل الجبارين ولا يقبل الموعدة وهو تخويف لهذه الأمة لكيلا يسلكوا مسالكهم \* (الرحيم) \* لمن تاب ورجع

سورة الشعراء ١٤١ - ١٥٣

قوله عز وجل \* (كذبت ثمود المرسلين) \* يعني صالحا ومن قبله من المرسلين عليهم السلام \* (إذ قال لهم أخوهم) \* يعني نبيهم \* (صالح ألا تتقون) \* وقد ذكرناه \* (إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرين إلا على رب العالمين) \* وقد ذكرناه " أتركون فيما هنا هنا آمنين " يعني في هذا الخير والسعة آمنين من الموت \* (في جنات وعيون) \* يعني البساتين والأنهار ويقال العيون ها هنا الآثار لأن قوم صالح لم يكن لهم أنهار جارية ويقال كانت لهم بالشتاء آبار وكانوا يسكنون في الجبال وفي أيام الصيف كانوا يخرجون إلى القصور والكروم والأنهار ثم قال عز وجل \* (وزروع ونخل طلعها هضيم) \* قال مقاتل يعني متراكبا بعضه على بعض وقال القتيبي الهضيم الطلع قبل أن تنشق عنه القشر يريد أنه منضم متكثر يقال رجل أهضم الكشحين إذا كان منضما ويقال \* (هضيم) \* أي طري لين ويقال \* (هضيم) \* متهشيش في الفم \* (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) \* قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع " فرهين " بغير ألف وقرأ الباقون \* (فارهين) \* بالألف فمن قرأ " فرهين " فهو بمعنى أشرين بطرين وهو الطغيان في النعمة وإنما صار نصبا على الحال ومن قرأ \* (فارهين) \* يعني حاذقين \* (فاتقوا الله وأطيعون) \* فيما أمركم به قوله عز وجل \* (ولا تطيعوا أمر المسرفين) \* يعني قول المشركين وهم تسعة رهط \* (الذين) \* كانوا \* (يفسدون في الأرض ولا يصلحون) \* يعني لا يأمرن بالصلاح ولا يطيعونه فأجابه قومه \* (قالوا إنما أنت من المسحرين) \* يعني من المخلوقين ويقال ذو

سحر

والسحر هو الدية يعني إنك مثلنا وروي عن ابن عباس أنه قال \* (من المسحرين) \* أي من المخلوقين وقال أما سمعت قول لبيد  
 (فإن تسألينا فيم نحن فإننا  
 \* عصافير من هذا الأنام المسحر)  
 ويقال \* (إنما أنت من المسحرين) \* يعني سوقة مثلنا والسوقة إذا كان دون الملوك  
 سورة الشعراء ١٥٤ - ١٥٩  
 ثم قال \* (ما أنت إلا بشر مثلنا) \* يعني آدمي مثلنا \* (فأت بآية إن كنت من الصادقين)  
 \* أنك رسول الله تعالى \* (قال هذه ناقة لها شرب) \* والشرب في اللغة النصيب من  
 الماء والشرب بضم الشين المصدر والشرب بنصب الشين جماعة الشراب فكان للناقة  
 شرب يوم ولهم شرب يوم فذلك قوله \* (ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء) \*  
 يعني لا تصيبوها بعقر يعني لا تقتلوها فإنكم إن قتلتموها \* (ولا تمسوها بسوء) \*  
 (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) \* يعني صيحة جبريل عليه السلام \* (فعقروها) \* يعني  
 قتلوا الناقة \* (فأصبحوا نادمين) \* يعني فصاروا نادمين على عقرها  
 قوله عز وجل \* (فأخذهم العذاب) \* يعني عاقبهم الله تعالى بالعذاب \* (إن في ذلك  
 لآية) \* يعني لعبرة لمن يعظم آيات الله تعالى وكانت الناقة علامة لنبوة صالح عليه  
 السلام فلما أهلكوها ولم يعظموها صاروا نادمين والقرآن علامة لنبوة النبي صلى الله  
 عليه وسلم فمن رفضه ولم يعمل بما فيه ولم يعظمه يصير نادما غدا ويصيبه العذاب \*  
 (وما كان أكثرهم مؤمنين) \* يعني قوم صالح عليهم السلام \* (وإن ربك لهو العزيز) \*  
 يعني المنيع بالنقمة لمن لم يعظم آيات الله تعالى \* (الرحيم) \* لمن تاب ورجع  
 سورة الشعراء ١٦٠ - ١٧٥

قوله عز وجل \* (كذبت قوم لوط المرسلين) \* يعني لوطا وغيره \* (إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) \* وقد ذكرناه \*  
\* (أتأتون الذكران من العالمين) \* يعني أتجامعون الرجال من بين العالمين \* (وتذرون) \* يعني وتتركون \* (ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) \* يعني من نسائكم \* (بل أنتم قوم عادون) \* يعني معتدين من الحلال إلى الحرام \* (قالوا لئن لم تنته يا لوط) \* من مقالتك \* (لتكونن من المخرجين) \* من قريتنا " قال " لوط \* (إني لعملكم من القالين) \* يعني من المبغضين ويقال قليت الرجل إذا بغضته ومنه قوله \* (ما ودعك ربك وما قلى) \* [الضحى: ٣]

قوله عز وجل \* (رب نجني وأهلي مما يعملون) \* من الفواحش \* (فنجيناها وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين) \* يعني الباقيين في العذاب يعني وامراته ويقال إن هذا من أسماء الأضداد يقال غير الشيء إذا مضى وغير الشيء إذا بقي وقال بعض أهل اللغة القالي التارك للشيء الكاره له غاية الكراهة \* (ثم دمرنا الآخرين) \* يعني أهلكننا الباقيين \* (وأمطرنا عليهم مطرا) \* يعني الحجارة \* (فساء مطر المنذرين) \* يعني بئس مطر من أنذر فلم يؤمن \* (إن في ذلك لآية) \* يعني لعبرة لمن عمل الفواحش أي وارتكب الحرام \* (وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز) \* بالنعمة لمن ارتكب الفواحش وعمل الحرام \* (الرحيم) \* لمن تاب

سورة الشعراء ١٧٦ - ١٨٠

قوله عز وجل \* (كذب أصحاب الأيكة) \* قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي \* (الأيكة) \* بكسر الهاء وبالألف وقرأ الباقون " ليكة " بغير ألف ونصب الهاء لأن ليكة اسم بلد ولا تنصرف من قرأ \* (الأيكة) \* فلأنها عرفت بالألف واللام فيصير خفضا بالإضافة وقرئ في الشاذ ليكة بكسر الهاء بغير ألف لأن الأصحاب مضاف إلى ليكة فصار اسما واحدا ويقال \* (الأيكة) \* هي الشجرة الملتفة يقال أيك وأيكة مثل أجم وأجمة ويقال شجرة الدوم وهو شجر المقل \* (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) \*  
ثم قال عز وجل " إذ قال لهم شعبي ب " ولم يقل أخوهم قال بعضهم كان شعيب بعث إلى قومين أحدهما مدين وكان شعيب منهم فسماه أخاهم حيث قال \* (وإلى مدين أخاهم شعيبا) \* [هود: ٨٤] والآخر أصحاب الأيكة ولم يكن شعيب عليه السلام منهم فلم يقل

أخوهم وقال بعضهم كان مدين والأيكة واحدا وهو الغيضة بقرب مدين فذكره في موضع أخوهم ولم يذكره في الآخر ثم قال \* (ألا تتقون) \* يعني ألا تخافون الله تعالى فتوحده \* (إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) \* وقد ذكرناه  
سورة الشعراء ١٨١ - ١٩١

ثم قال عز وجل " أوفوا الكيل " لا تنقصوها \* (ولا تكونوا من المنحسرين) \* يعني من الناقصين في الكيل والوزن وفي هذا دليل على أنه أراد بهذا أهل مدين لأنه ذكر في تلك الآية \* (وأوفوا الكيل والميزان) \* [الأنعام: ١٥٢] كما ذكرها هنا  
ثم قال \* (وزنوا بالقسطاس المستقيم) \* يعني بميزان العدل بلغة الروم ويقال هو القبان \* (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) \* يعني لا تنقصوا الناس حقوقهم قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص \* (بالقسطاس) \* بكسر القاف وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان  
ثم قال \* (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) \* يعني لا تسعوا فيها بالمعاصي يقال عثا يعثو وعاث يعيث وعثى يعثى إذا ظهر الفساد

ثم قال عز وجل \* (واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين) \* يعني الخليقة الأولين \* (قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا) \* وقد ذكرناه \* (وإن نظنك لمن الكاذبين) \* يعني ما نظنك إلا من الكاذبين \* (فأسقط علينا كسفا من السماء) \* أي جانباً من السماء وقرئ \* (كسفا) \* بنصب السين أي قطعاً وهو جمع كسفة \* (إن كنت من الصادقين قال) \* شعيب عليه السلام \* (ربي أعلم) \* من غيره \* (بما تعملون) \* من نقصان الكيل \* (فكذبوه) \* ثانية \* (فأخذهم عذاب يوم الظلة) \* لأنه أصابهم حر شديد فخرجوا إلى الغيضة فاستظلوا بها فأرسل عليهم نارا فأحرقت الغيضة فاحترقوا كلهم \* (إنه كان عذاب يوم عظيم) \* صار العذاب نصبا لأنه خبر كان \* (إن في ذلك لآية) \* يعني لعبرة لمن نقص في الكيل والوزن \* (وما كان أكثرهم مؤمنين) \* يعني قوم شعيب \* (وإن ربك لهو العزيز) \* بالنقمة لمن نقص الكيل والوزن \* (الرحيم) \* لمن تاب ورجع

قوله عز وجل \* (وإنه لتنزيل رب العالمين) \* يعني القرآن ويقال إنه إشارة إلى ما ذكر في أول السورة \* (تلك آيات الكتاب المبين) \* وأنه يعني الكتاب لتنزيل رب العالمين \* (نزل به الروح الأمين) \* قرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر \* (نزل) \* بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف فمن قرأ بالتشديد فمعناه نزل الله تعالى بالقرآن الروح الأمين يعني جبريل عليه السلام نصب الروح لوقوع الفعل عليه يعني أنزل الله تعالى جبريل بالقرآن ومن قرأ بالتخفيف فمعناه نزل جبريل عليه السلام بالقرآن فجعل الروح رفعا لأنه فاعل ثم قال \* (على قلبك) \* أي نزله عليك ليثبت به قلبك ويقال أي لكي يحفظ به قلبك ويقال \* (على قلبك) \* أي نزل على قدر فهمك وحفظك ويقال أي نزله عليك فوعاه قلبك وثبت فيه فلا تنساه أبدا كما قال \* (سنقرئك فلا تنسى) \* [الأعلى: ٦] ويقال \* (على قلبك) \* يعني على موافقة قلبك ومرادك \* (لتكون من المنذرين) \* يعني من المخوفين بالقرآن للكفار من النار ثم قال عز وجل \* (بلسان عربي مبين) \* يعين يبين لهم بلغتهم ويقال بلغة قريش وهوازن وكان لسانهما أفصح قال مقاتل وذلك أنهم كانوا يقولون إنه يعلمه أبو فكيهة وكان أعجميا روميا فأخبر أن القرآن بلغة قريش \* (وإنه لفي زبر الأولين) \* يعني أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته في كتب الأولين كما قال \* (يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) \* [الأعراف: ١٥٧] والزبر الكتب واحدها زبور مثل رسل ورسول ويقال إنه يعني القرآن \* (لفي زبر الأولين) \* يعني بعضه كان في كتب الأولين ويقال نعت القرآن وخبره كان في كتب الأولين ثم قال عز وجل \* (أو لم يكن لهم آية) \* قرأ ابن عامر وحده \* (تكن) \* و \* (أيه) \* بالضم وقرأ الباقون بالياء بلفظ التذكير \* (أيه) \* بالنصب فمن قرأ بلفظ التذكير والنصب جعل \* (أن يعلمه) \* اسم كان وجعل \* (أيه) \* خبر كان والمعنى أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل على جهة المعنى ومن قرأ بلفظ التأنيث والضم جعل \* (أيه) \* هي الاسم " وأن يعلمه " خبر تكن ومعنى القراءتين واحد وذلك أن كفار مكة بعثوا رسولا إلى يهود المدينة وسألوهم عن بعثته فقالوا هذا زمان خروجه ونعته كذا فنزل \* (أو لم يكن لهم آية) \* يعني لكفار مكة \* (أيه) \* يعني علامة \* (أن يعلمه علماء بني إسرائيل) \* يعني إن هذا علامة لهم ليؤمنوا به ثم قال \* (ولو نزلناه على بعض الأعجمين) \* يعني القرآن لو نزلناه بالعبرانية على رجل ليس بعربي اللسان من العبرانيين \* (فقرأه عليهم) \* يعني على كفار مكة \* (ما كانوا به مؤمنين) \*



يعني بالقرآن فهذا منة من الله تعالى حيث خاطبهم بلغتهم ليفهموه وقال القتبي في قوله \* (على بعض الأعجمين) \* يقال رجل أعجمي إذا كان في لسانه عجمة وإن كان من العرب ورجل عجمي بغير ألف إذا كان من العجم وإن كان فصيح اللسان  
سورة الشعراء ٢٠٠ - ٢٠٧

ثم قال عز وجل \* (كذلك سلكناه) \* يعني جعلنا التكذيب بالقرآن \* (في قلوب المحرمين) \* يعني المشركين مجازاة لهم أي طبع على قلوبهم وسلك فيها التكذيب ويقال جعل حلاوة الكفر في قلوبهم \* (لا يؤمنون) \* يعني بالقرآن ويقال بمحمد صلى الله عليه وسلم \* (حتى يروا العذاب الأليم) \* في الدنيا والآخرة \* (فيأتيهم بغتة) \* يعني يأتيهم العذاب فجأة \* (وهم لا يشعرون) \* به فيتمنون الرجعة والنظرة \* (فيقولوا هل نحن منظرون) \* فلما وعدهم العذاب قالوا فأين العذاب تكديبا به يقول الله تعالى \* (أفبعذابنا يستعجلون) \* يعني أبعذابنا يستهزئون ثم قال \* (أفأرأيت إن متعناهم سنين) \* يعني سنين الدنيا كلها ويقال سنين كثيرة \* (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) \* من العذاب

قال عز وجل \* (ما أغنى عنهم) \* يعني ما ينفعهم \* (ما كانوا يتمتعون) \* في الدنيا  
سورة الشعراء ٢٠٨ - ٢١٣

ثم خوفهم فقال \* (وما أهلكننا من قرية) \* يعني من أهل قرية فيما خلا \* (إلا لها منذرون) \* يعني رسلا يندرونهم \* (ذكرى) \* يعني العذاب تذكرة وتفكرا قال بعضهم إن \* (ذكرى) \* في موضع النصب وقال بعضهم في موضع رفع أما من قال في موضع النصب فيقول لها منذرون يذكرونهم ذكرى يعني يعظونهم عظة ومن قال إنه في موضع رفع فيقول لها منذرون هم ذكرى \* (وما كنا ظالمين) \* يعني بإهلا كنا إياهم ثم قال عز وجل \* (وما تنزلت به الشياطين) \* روي عن الحسن أنه قرأ " وما تنزلت به الشياطين " شبهه بقوله كافرون ومسلمون قال أبو عبيدة وهذا وهم لأن واحدها شيطان والنون فيه أصلية أما مسلمون وكافرون فالنون فيهما زائدة في الجمع لأن واحدهما مسلم وكافر وقال بعضهم هذا غلط على الحسن لأنه كان فصيحاً لا يخفى عليه وإنما الغلط من الراوي ومعنى الآية أن المشركين كانوا يقولون إن الشيطان هو الذي يقرأ عليه قال الله

تعالى ردا لقولهم \* (وما تنزلت به الشياطين) \* \* (وما ينبغي لهم) \* يعني وما جاز لهم \* (وما يستطيعون) \* ذلك وقد حيل بينهم وبين السمع وقد روي عن ابن عباس أنه قال لا يستطيعون أن يحملوا القرآن ولو فعلوا ذلك لاحترقوا ثم قال عز وجل \* (إنهم عن السمع لمعزولون) \* يعني إنهم عن الاستماع لمحجوبون وممنوعون

ثم قال \* (فلا تدع مع الله إلها آخر) \* وذلك حين دعي إلى دين آباءه فأخبره الله تعالى أنه لو اتخذ إلها آخر عذبه الله تعالى وإن كان كريما عليه كقوله \* (لئن أشركت ليحبطن عملك) \* [الزمر: ٦٥] فكيف بغيره

وروي في الخبر أن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له أرميا بأن يخبر قومه بأن يرجعوا عن المعصية فإنهم إن لم يرجعوا أهلكتهم فقال أرميا يا رب إنهم أولاد أنبيائك أولاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أفتهلكهم بذنوبهم قال الله تعالى وإنما أكرمت أنبيائي لأنهم أطاعوني ولو أنهم عصوني لعذبتهم وإن كان إبراهيم خليلي ويقال \* (فلا تدع مع الله إلها آخر) \* الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم المراد به غيره لأنه علم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتخذ إلها آخر ثم قال \* (فتكون من المعذبين) \* إن عبدت غيري فتكون من الهالكين

سورة الشعراء ٢١٤ - ٢٢٠

قوله عز وجل \* (وأندر عشيرتك الأقربين) \* يعني خوف أقرباءك بالنار لكي يؤمنوا ويثبتوا على الإيمان من كان منهم مؤمنا وروى هشام عن الحسن قال لما نزلت هذه الآية \* (وأندر عشيرتك الأقربين) \* جمع النبي صلى الله عليه وسلم أهل بيته فقال لهم يا بني هاشم يا بني عبد المطلب تعلمون أني رسول الله إليكم وأنني لا أملك لكم من الله شيئا لي عملي ولكم عملكم وإنما أوليائي منكم المتقون فلا أعرفن ما جاء الناس يوم القيامة بالآخرة وجئتم بالدنيا تحملونها على رقابكم وذكر السدي هكذا ثم قال ألا فاتقوا النار ولو بشق تمرة

وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال لما نزل \* (وأندر عشيرتك الأقربين) \* أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمع الناس فقال صلى الله عليه وسلم

يا بني عبد المطلب يا بني هاشم أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن  
تغير عليكم أصدقتموني قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو  
لهب تبا لك سائر اليوم وما دعوتنا إلا لهذا فنزل \* (تبت يدا أبي لهب وتب) \*

[المسد: ١]

ثم قال عز وجل \* (واخفض جناحك) \* يعني لين جانبك \* (لمن اتبعك من المؤمنين)  
\* يعني من المصدقين بك \* (فإن عصوك) \* قال مقاتل فيها تقديم يعني الأقربين فإن  
خالفوك " فقل إني بريء مما تعملون " من الشرك

ثم قال \* (وتوكل على العزيز الرحيم) \* قرأ نافع وابن عامر \* (فتوكل) \* بالفاء لأنه  
متصل بالكلام الأول ودخلت الفاء للجزاء وقرأ الباقون \* (وتوكل) \* بالواو على وجه  
العطف \* (وتوكل على العزيز الرحيم) \* يعني ثق بالله وفوض جميع أمورك إلى العزيز  
الرحيم \* (الذي يراك حين تقوم) \* في الصلاة وحدك \* (وتقبلك في الساجدين) \*  
يعني وحين تصلي في الجماعة وقال عكرمة \* (وتقبلك في الساجدين) \* قال في حال  
القيام والركوع والسجود يعني يرى قيامك وركوعك وسجودك ويراك مع المصلين  
ويقال الذي يراك حين تقوم من منامك للصلاة بالليل ويقال حين تقوم وتدعو الناس إلى  
شهادة أن لا إله إلا الله ويقال \* (وتقبلك في الساجدين) \* يعني تقبلك في أصلاب  
الآباء وأرحام الأمهات من آدم إلى نوح وإلى إبراهيم وإلى من بعده صلوات الله عليهم  
قوله عز وجل \* (إنه هو السميع العليم) \* يعني بأبائهم وبأعمالهم

سورة الشعراء ٢٢١ - ٢٢٧

قوله عز وجل \* (هل أنبئكم) \* يعني هل أخبركم \* (على من تنزل الشياطين) \* هذا  
موصول بقوله \* (وما تنزلت به الشياطين) \* \* (تنزل على كل أفك أئيم) \* يعني كذاب  
صاحب الإثم فاجر القلب الأفك الكذاب والأئيم الفاجر يعني به كهنة الكفار \* (يلقون  
السمع) \* يعني يلقون بأذانهم إلى السمع من السماء لكلام الملائكة عليهم السلام \*  
(وأكثرهم كاذبون) \* يعني حين يخبرون الكهنة وروى معمر عن الزهري عن عائشة  
رضي الله عنها أنها قالت الشياطين تسترق السمع فتجيء بكلمة حق فتقذفها في أذن  
وليها فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة وهذا كان قبل أن يحجبوا من السماء

ثم قال عز وجل \* (والشعراء يتبعهم الغاؤون) \* قال قتادة ومجاهد يتبعهم الشياطين وقال في رواية الكلبي الغاؤون هم الرواة الذين كانوا يروون هجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويقال \* (الغاؤون) \* هم الضالون ويقال شعراء الكفار كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتبعهم الكفار

ثم قال عز وجل \* (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) \* يعني في كل وجه وفن يذهبون وينخوضون يأخذون مرة يذمون ومرة يمدحون وذكر عن القتيبي أنه قال \* (في كل واد يهيمون) \* من القول وفي كل مذهب يذهبون كما تذهب البهائم على وجهها وقال غيره هام الرجل والبعير إذا مضى على وجهه لا يدري أن يذهب فكذلك الشاعر يأخذ كلامه لا يدري أين ينتهي قرأ نافع وحده \* (يتبعهم) \* بجزم التاء والتخفيف وقرأ الباقون \* (يتبعهم) \* بنصب التاء والتشديد وهما بمعنى واحد يتبعهم ويتبعهم

ثم قال \* (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) \* يعني أن الشعراء يقولون قد فعلنا كذا وكذا وقلنا كذا فيمدحون بذلك أنفسهم وهم كذبة ثم استثنى شعراء المسلمين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك رضي الله عنهم فقال عز وجل \* (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) \* يعني ذكروا الله في أشعارهم ويقال وذكروا الله عز وجل في الأحوال كلها \* (وانتصروا من بعد ما ظلموا) \* يعني إنتصر شعراء المسلمين من شعراء الكافرين فكافؤوهم والبادئ أظلم ويقال إنتصروا من أهل مكة من بعدما أخرجوا لأن الحرب تكون بالسيف وباللسان فأذن القتال بالشعر كما أذن بالسيف إذ فيه قهرهم

ثم أوعد شعراء الكافرين فقال تعالى \* (وسيعلم الذين ظلموا) \* يعني الذين هجوا المسلمين \* (أي منقلب ينقلبون) \* يعني أي مرجع يرجعون إليه في الآخرة يعني إلى الخسران والنار ويقال هاتان الآيتان مدنيتان وذكر أنه لما نزل \* (والشعراء يتبعهم الغاؤون) \* جاء عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وهما يبكيان فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم \* (والشعراء) \* إلى قوله \* (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) \* فقال صلى الله عليه وسلم هذا أنتم \* (وانتصروا من بعد ما ظلموا) \* أنتم وروي عن عكرمة قال عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن من الشعر لحكمة وإن من الشعراء لحكماء وفي رواية أخرى إن من الشعر لحكما وإن من البيان لسحرا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

سورة النمل كلها مكية وهي تسعون وأربع آيات مكية

سورة النمل ١ - ٦

قول الله سبحانه وتعالى \* (طس تلك آيات القرآن) \* يعني هذه الأحكام ويقال تلك الآيات التي وعدتم بها وذلك أنهم وعدوا بالقرآن في كتبهم ويقال \* (آيات) \* يعني العلامات ويقال جميع أحرف القرآن \* (وكتاب مبين) \* كلاهما واحد وإنما كرر اللفظ للتأكيد \* (مبين) \* يعني بين ما فيه من أمره ونهيه ويقال مبين لأحكام الحلال

والحرام

ثم قال \* (هدى) \* يعني القرآن هدى وبيانا من الضلالة لمن عمل به ويقال \* (هدى) \*

يعني هاديا \* (وبشرى للمؤمنين) \* يعني ما فيه من الثواب للمؤمنين قرأ حمزة

والكسائي وأبو عمرو \* (وبشرى) \* بإمالة الراء وقرأ الباقون بالتفخيم وكلاهما جائز

والإمالة أكثر في كلام العرب والتفخيم أفصح وهي لغة أهل الحجاز \* (للمؤمنين) \*

يعني للمصدقين بالقرآن أنه من الله تعالى

ثم نعتهم فقال \* (الذين يقيمون الصلاة) \* يعني يقرون بها ويتمونها \* (ويؤتون الزكاة)

\* يعني يقرون بها ويعطونها \* (وهم بالآخرة هم يوقنون) \* يعني يصدقون بأنها كائنة

ثم قال \* (أن الذين لا يؤمنون بالآخرة) \* أي لا يصدقون بالبعث بعد الموت \* (زيننا

لهم أعمالهم) \* يعني ضلالتهم عقوبة لهم ولما عملوا ومجازاة لكفرهم زيننا لهم سوء

أعمالهم \* (فهم يعمهون) \* يعني يترددون فيها ويتحiron في ضلالتهم

قوله عز وجل \* (أولئك) \* يعني أهل هذه الصفة \* (الذين لهم سوء العذاب) \* يعني

شدة العذاب \* (وهم في الآخرة هم الأخسرون) \* يعني الخاسرون بحرمان النجاة

والمنع من الحسنات ويقال هم أخسر من غيرهم وقال أهل اللغة متى ذكر الأخسر مع

الألف واللام فيجوز أن يراد به الأخسر من غيرهم وإن لم يذكر غيرهم وإن ذكر بغير

ألف ولام فلا يجوز أن يراد به أنه أخسر إلا أن يقال هو أخسر من فلان أو من غيره

قوله عز وجل \* (وإنك لتلقى القرآن) \* يعني لتؤتى بالقرآن يعني كقوله \* (وما يلقاها) \* [فصلت: ٣٥] يعني وما يؤتى بها ويقال " وإنك لتلقى بالقرآن " يعني لتلقن القرآن وقال أهل اللغة تلقى وتلقن بمعنى واحد إذا أخذ وقبل من غيره ويقال \* (وإنك لتلقى القرآن) \* أي يلقي إليك القرآن وحيا من الله عز وجل ثم قال \* (من لدن حكيم عليم) \* يعني نزل عليك جبريل من عند \* (حكيم) \* عليم في أمره \* (عليم) \* بأعمال الخلق  
سورة النمل ٧

قوله عز وجل \* (إذ قال موسى لأهله) \* قال بعضهم معناه إنه عليم بما ينزل عليك كعلمه بقول موسى عليه السلام ويقال حكمت لك بالنبوة كما حكمت لموسى إذ قال لأهله \* (إني آنست نارا) \* يعني رأيت نارا وأبصرتها من بعيد \* (سآتيكم منها بخبر) \* يعني خبر الطريق \* (أو آتيكم بشهاب قبس) \* يعني بنار أصيبتها ويقال كل أبيض ذي نور فهو شهاب والقبس كل ما يقتبس من النار والقبس يعني المقبوس كما يقال ضرب فلان يعني مضروبه

قرأ عاصم وحمزة والكسائي \* (شهاب قبس) \* بالتثوين وقرأ الباقون بغير تثوين فمن قرأ منونا جعل القبس نعنا لشهاب ومن قرأ \* (شهاب) \* غير منون أضاف الشهاب إلى القبس ثم قال \* (لعلكم تصطلون) \* يعني تستدفئون من البرد  
سورة النمل ٨ - ١٢

قوله عز وجل \* (فلما جاءها) \* يعني النار ويقال يعني الشجرة \* (نودي أن بورك من في النار) \* يعني بورك من عند النار وهو موسى عليه السلام \* (ومن حولها) \* يعني الملائكة عليهم السلام وهو على وجه التقديم \* (فلما جاءها) \* ومن حولها من الملائكة \* (نودي أن بورك من في النار) \* أي عند النار ويقال من في طلب النار وقصدها والمعنى بورك فيك يا موسى وقال أهل اللغة بارك فلان وبارك فيه وبارك عليه واحد وهذا تحية من الله تعالى لموسى عليه السلام ثم قال \* ( )  
وسبحان الله) \* يعني قيل له قل سبحان الله تنزيها لله تعالى من سوء ويقال إنه أي الله في النداء قال " فسبحان الله رب العالمين " وقال بعض المفسرين كان ذلك نور رب العزة وإنما أراد به تعظيم ذلك النور كما يقال للمساجد بيوت الله تعظيما لها

ثم قال عز وجل \* (يا موسى إنه أنا الله) \* وذكر عن الفراء أنه قال هذه الهاء عماد وإنما يراد به وصل الكلام كما يقال إنما وما يكون للوصل كذلك ها هنا فكأنه قال يا موسى إني أنا الله \* (العزیز الحكيم) \* ويقال معناه إن الذي تسمع نداءه هو الله العزيز الحكيم

قوله عز وجل \* (وألق عصاك) \* يعني من يدك فألقاها فصارت حية وقد يجوز أن يضمم الكلام إذا كان في ظاهره دليل \* (فلما رآها تهتز) \* يعني تتحرك \* (كأنها جان) \* يعني حية والجان هي الحية الخفيفة الأهلية فإن قيل إنه قال في موضع آخر \* (فإذا هي ثعبان مبين) \* [الأعراف: ١٠٧] والثعبان الحية الكبيرة فأجاب بعض أصحاب المعاني أنه كان في كبر الثعبان وفي خفة الجان قال الفقيه أبو الليث رحمه الله والجواب الصحيح أن الثعبان كان عند فرعون والجان عند الطور ثم قال \* (ولى مدبرا) \* يعني أدبر هاربا من الخوف \* (ولم يعقب) \* يعني لم يرجع ويقال لم يلتفت

يقول الله تعالى لموسى \* (يا موسى لا تخف) \* من الحية \* (إني لا يخاف لدي المرسلون) \* يعني إلا من ظلم ثم استثنى فقال \* (إلا من ظلم) \* قال مقاتل إلا من ظلم نفسه من المرسلين مثل آدم وسليمان وإخوة يوسف وداود وموسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويقال \* (إلا من ظلم) \* يعني لكن من ظلم \* (ثم بدل حسنا) \* أي فعل إحسانا \* (بعد سوء) \* أي بعد إساءته \* (فإني غفور رحيم) \* قال الكلبي \* (إلا من ظلم) \* يعني أشرك فهذا الذي يخاف \* (ثم بدل حسنا) \* يعني توحيدا بعد سوء يعني بعد شرك \* (فإني غفور رحيم) \*

قال أبو الليث رحمه الله وتكون إلا على هذا التفسير بمعنى لكن لا على وجه الاستثناء وذكر عن الفراء أنه قال الاستثناء وقع في معنى مضمم من الكلام كأنه قال لا يخاف لدي المرسلون بل غيرهم يخاف " إلا من ظلم نفسه ثم تاب " فإنه لا يخاف وقال القتيبي هذا لا يصح لأن الإضمار يصح إذا كان في ظاهره دليل ولكن معناه أن الله تعالى لما قال \* (إني لا يخاف لدي المرسلون) \* علم أن موسى كان مستشعرا خيفة من قبل القبطي فقال \* (إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء) \* فإنه يخاف ولكنني أغفر له \* (فإني غفور رحيم) \*

ثم قال عز وجل \* (وأدخل يدك في جيبك) \* يعني جيب المدرعة ثم أخرجها \* (تخرج بيضاء من غير سوء) \* يعني من غير برص \* (في تسع آيات) \* يعني هذه الآية من تسع آيات كما تقول أعطيت لفلان عشرة أبعرة فيها فحلان أي منها وقد بين في موضع آخر حيث قال \* (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) \* [الإسراء: ١٠١] وقد ذكرناها \* (إلى فرعون) \* يعني إذهب إلى فرعون \* (وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين) \* يعني إنهم كانوا قوما عاصين

(εΥξ)



### سورة النمل ١٣ - ١٤

قوله \* (فلما جاءتهم آياتنا) \* يعني جاءهم موسى بآياتنا التسع \* (مبصرة) \* يعني معاينة ويقال مبينة يعني علامة لنبوته ويقال \* (مبصرة) \* يعني مضيئة واضحة \* (قالوا هذا سحر مبين) \* أي بين \* (وجحدوا بها) \* يعني بالآيات بعد المعرفة \* (واستيقنتها أنفسهم) \* أنها من الله تعالى وإنما إستيقنتها قلوبهم لأن كل آية رأوها إستغاثوا بموسى وسألوا بأن يكشف عنهم فكشفنا عنهم فظهر لهم بذلك أنه من الله تعالى وفي الآية تقديم ومعناه وجحدوا بها \* (ظلما) \* يعني شركا \* (وعلوا) \* يعني تكبرا وترفعا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى \* (واستيقنتها) \* أنفسهم يعني وهم يعلمون أنها من الله تعالى

ثم قال \* (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) \* يعني الذين يفسدون في الأرض بالمعاصي فكانت عاقبتهم الغرق

### سورة النمل ١٥ - ١٩

قوله عز وجل \* (ولقد آتينا داود وسليمان علما) \* يعني علم القضاء والعلم بكلام الطير والدواب \* (وقالا) \* يعني داود وسليمان \* (الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) \* بالكتاب والنبوة وكلام الطير والبهائم والملك ويقال فضلنا على كثير من الأنبياء حيث لم يعط أحدا من الأنبياء عليهم السلام ما أعطانا وقال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا وأقضى من داود وكان داود أشد تعبدا من سليمان عليهما السلام ثم قال عز وجل \* (وورث سليمان داود) \* يعني ورث ملكه وقال الحسن ورث المال والملك لا النبوة والعلم لأن النبوة والعلم فضل الله تعالى ولا يكون بالميراث ويقال ورث العلم والحكم لأن الأنبياء عليهم السلام لا يورثون دراهم ولا دنانير " وقال " سليمان لبني إسرائيل \* (يا أيها الناس علمنا منطلق الطير) \* يعني أفهمنا وألهمنا منطلق الطير وذلك أن سليمان كان جالسا في أصحابه إذ مر بهم طير يصوت فقال لجلسائه

أتدرون ماذا يقول قالوا لا قال إنه يقول ليت الخلق لم يخلقوا فإذا خلقوا علموا لماذا خلقوا قال وصاح عنده ديك فقال هل تدرون ماذا يقول قالوا لا قال إنه يقول أذكروا الله يا غافلون

ثم قال " وأوتينا من كل شيء " يعني أعطينا علم كل شيء ويقال النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والرياح \* (إن هذا) \* الذي أعطينا \* (لهو الفضل المبين) \* يعني البين ويقال المبين يبين للناس فضلهم

ثم قال عز وجل \* (وحشر لسليمان جنوده) \* يعني جموعه والحشر هو أن يجمع ليساق ثم قال \* (من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) \* يعني يساقون ويقال \* (يوزعون) \* يعني يكفون ويحبس أولهم على آخرهم وأصل الوزع الكف يقال وزعت الرجل إذا كففته وعن الحسن أنه قال لا بد للناس من وزعة أي من سلطان يكفهم وقال مقاتل إنه استعمل جنيا عليهم يرد أولهم على آخرهم ويقال هكذا عادة القوافل والعساكر ويقال \* (وحشر) \* أي جمع لسليمان جنوده في مسيرة له من الجن والإنس والطير \* (فهم يوزعون) \* يجلس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا

قوله عز وجل " حتى إذا أتوا على واد النمل " وذلك أن سليمان كان له بساط فرسخ في فرسخ ويقال أربع فراسخ في أربع فراسخ وكان يضع عليه كرسيه وجميع عساكره عليه ثم يأمر الريح فترفعه وتذهب به مسيرة شهر في ساعة واحدة فركب ذات يوم في جموعه فمر بواد النمل في أرض الشام \* (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) \* يعني في بيوتكم ويقال حجركم \* (لا يحطمنكم) \* أي لا يهلكنكم ويقال لا يكسرنكم \* (سليمان وجنوده) \* بأن يظلموكم وإنما خاطبهم بقوله \* (ادخلوا) \*

بخطاب العقلاء لأنه حكى عنهم ما يحكى عن العقلاء ثم قال \* (وهم لا يشعرون) \* يعني قوم سليمان لا يشعرون بكم ولو كانوا يشعرون بكم لا يحطمونكم لأنهم علموا أن سليمان ملك عادل لابغي فيه ولا جور فيه ولئن علم بها لم توطأ ويقال \* (وهم لا يشعرون) \* يعني جنوده خاصة لأنه علم أن سليمان يعلم بمكانه ويتعاهده ويقال \* (وهم لا يشعرون) \* يعني النمل لا يشعرون بجنود سليمان حتى أخبرتهم النملة المنذرة

فرفع الريح صوتها إلى سليمان \* (فتبسم ضاحكا من قولها) \* كما يكون ضحك الأنبياء عليهم السلام وإنما ضحك من ثنائها على سليمان بعدله في ملكه يعني أنه لو شعر بكم لم يحطمنكم ويقال \* (فتبسم ضاحكا) \* أي متعجبا ويقال فرحا بما أنعم الله تعالى عليه \* (ضاحكا) \* صار نصبا على الحال و \* (وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي) \* يعني ألهمني ويقال أوزعني من الكف أيضا كأنه قال إحفظ جوارحي لكيلا تشتغل

بشيء سوى شكرك الذي أنعمت علي \* (وعلى والدي) \* يعني النبوة والملك \* (وأن أعمل صالحاً ترضاه) \* يعني تقبله مني وذكر أنه مر بزراع فقال الزارع إنه ما أعطي مثل هذا الملك لأحد فقال له سليمان ألا أنبتك بما هو أفضل من هذا القصد في الغنى والفقر وتقوى الله تعالى في السر والعلانية والقضاء بالعدل في الرضا والغضب ثم قال تعالى \* (وأدخلني برحمتك) \* يعني في جنتك \* (في عبادك الصالحين) \* يعني مع عبادك الصالحين يعني المرسلين فوقف سليمان عليه السلام بموضعه ليدخل النمل مساكنهم ثم مضى

قرأ يعقوب الحضرمي وأبو عمرو في إحدى الروايتين \* (لا يحطمنكم) \* بسكون النون وقرأة العامة بنصب النون والتشديد وهذه النون تدخل للتأكيد فيجوز التخفيف والتثقيل ولفظه لفظ النهي ومعناه جواب الأمر يعني إن لم تدخلوا مساكنكم حطمكم

سورة النمل ٢٠ - ٢١

ثم قال عز وجل \* (وتفقد الطير) \* يعني طلب الطير وذلك أنه أراد أن ينزل منزلاً فطلب الهدهد \* (فقال ما لي لا أرى الهدهد) \* وكا رئيس الهداهد وكان سليمان قد جعل على كل صنف منهم رئيساً ثم جعل الكركي رئيساً على جميع الطيور قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة \* (ما لي) \* بسكون الياء وقرأ الباقون بنصب الياء وهما لغتان يجوز كلاهما

ثم قال \* (أم كان من الغائبين) \* يعني أم كان غائباً لم يحضر بعد ويقال الميم للصلة ومعناه "أكان من الغائبين" يعني أصار من الغائبين وذكر أن الهدهد كان مهتدياً يعرف المسافة التي بينهم وبين الماء ويقال كان يعرف الماء من تحت الأرض ويراه كما يرى من القارورة

وروى عكرمة أنه قال قلت لابن عباس كيف يرى الماء من تحت الأرض وأن صبياننا يأخذونه بالفخ فلا يرى الخيط والشبكة فقال ابن عباس ما ألقى هذه الكلمة على لسانك إلا الشيطان أما علمت أنه إذا نزل القضاء ذهب البصر فدعا سليمان أمير الطير فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته مكاناً فغضب سليمان عند ذلك وقال \* (لأعذبه عذاباً شديداً) \* يعني لأتفن ريشه فلا يطير مع الطيور حولا ولأشمسنه في الحر حتى يأكله الدر \* (أو لأذبحنه) \* يعني لأقتله حتى لا يكون له نسل \* (أو ليأتيني بسلطان مبين) \* يعني بحجة بينة واضحة أعذره بها فإن قيل كيف يجوز أن يعاقب من لا يجري عليه القلم قيل له تجوز العقوبة على وجه التأديب إذا كان منه ذنب كما يجوز للأب أن يؤدب ولده الصغير وأما الذبح فيجوز وإن لم يكن منه الذنب

قرأ ابن كثير "ليأتيني" بنونين وقرأ الباقون بنون واحدة فمن قرأ بنونين فهو للتأكيد

(९११)

لأن النون الأولى مشددة وتسمى تلك نون القسم وهي في الحقيقة نونين والنون الثانية للإضافة ومن قرأ بنون واحدة فقد استقل الجمع بين النونات واقتصر على نونين فأدغم إحداهما في الأخرى

سورة النمل ٢٢ - ٢٦

قوله عز وجل \* (فمكث غير بعيد) \* قرأ عاصم بنصب الكاف وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان ومعناهما واحد يعني لم يلبث إلا قليلا ويقال لم يطل الوقت حتى جاء الهدهد " فقال " فقال له سليمان أين كنت فخر له ساجدا وقال \* (أحطت) \* وفي الآية مضمرة معناه فمكث غير بعيد أن جاءه الهدهد فقال له سليمان أين كنت فخر له ساجدا فقال \* (أحطت بما لم تحط به) \* يعني علمت ما لم تعلم به وجئتك بخبر لم تكن تعلمه ولم يخبرك عنه أحد ثم أخبره فقال \* (وجئتك من سبأ بنباً يقين) \* فإن قيل كيف يجوز أن يقال إن سليمان لم يعلم به وكانت أرض سبأ قريبة منه وهناك ملك لم يعلم به سليمان قيل له علم سليمان ذلك ولكنه لم يعلم أنهم يسجدون للشمس ويقال إنه علم بها ولكنه لم يعلم أن ملكها قد بلغ هذا المبلغ وعلم أنهم أهل الضلالة والإحاطة هي العلم بالأشياء بما فيها وجهاتها كما قال \* (وجئتك من سبأ) \* يعني من أرض سبأ وهي مدينة باليمن \* (بنباً يقين) \* يعني بخبر صدق لا شك فيه ويقال بخبر عجيب

قرأ ابن كثير وأبو عمرو \* (سبأ) \* بالنصب بغير تنوين وقرأ الباقون بالكسر والتنوين فمن قرأ بالنصب جعله اسم مدينة وهي مؤنث لا ينصرف ومن قرأ بالكسر والتنوين جعله اسم الرجل ويقال جعله اسم مكان فقال له سليمان وما ذلك الخبر فقال \* (إني وجدت امرأة تملكهم) \* يعني تملك أرض سبأ " وأوتيت من كل شيء " يعني أعطيت علم ما في بلادها ويقال من كل صنف من الأموال والجنود وأنواع الخير مما يعطى الملوك \* (ولها عرش عظيم) \* يعني سريرا كبيرا أعظم من سريرك ويقال كان طول سريرها ثمانون ذراعا في ثمانين مرصعا بالذهب والدر والياقوت وقوائمه من اللؤلؤ والياقوت واسمها بلقيس قال مقاتل كانت أمها من الجن ويقال \* (ولها عرش عظيم) \* أي شديد قوله عز وجل \* (وجدتها) \* يعني رأيتها \* (وقومها يسجدون للشمس) \* يعني يعبدون

الشمس \* (من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم) \* الخبيثة \* (فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) \* يعني طريق الهدى ومعناه صدهم الشيطان عن الإسلام فهم لا يهتدون يعني لا يعرفون الدين

قوله عز وجل \* (ألا يسجدوا لله) \* قرأ الكسائي \* (ألا يسجدوا) \* بالتخفيف وقرأ الباقون بتشديد \* (الآ) \* فمن قرأ بالتخفيف فمعناه أن الهدى قال عند ذلك أن لا تسجدوا لله وقال مقاتل هذا قول سليمان قال لقومه \* (ألا يسجدوا) \* ويقال هذا كلام الله \* (ألا يسجدوا لله) \* وهذا من الاختصار فكأنه قال ألا يا هؤلاء إسجدوا لله ومن قرأ بالتشديد فمعناه فصدهم عن السبيل أن لا يسجدوا لله يعني لأن لا يسجدوا ويقال معناه \* (وزين لهم الشيطان أعمالهم) \* لئلا يسجدوا لله وقال بعضهم وإذا قرئ بالتخفيف فهو موضع السجدة وإذا قرئ بالتشديد فليس بموضع سجدة في الوجهين جميعاً وهذا القول أحوط \* (الذي يخرج الخبء) \* يعني المخبئات \* (في السماوات والأرض) \* مثل المطر والثلج ويعني في الأرض مثل النبات والأشجار والكنوز والموتى ويقال الذي يظهر سر أهل السماوات والأرض ويعلنها فذلك قوله تعالى \* (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) \*

ثم قال عز وجل \* (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) \* أي الذي يعلم ذلك قرأ الكسائي وعاصم في رواية حفص \* (ما تخفون وما تعلنون) \* بالتاء على معنى المخاطبة لهم وقرأ الباقون بالياء على معنى الخبر لهم

سورة النمل ٢٧ - ٣٣

ثم " قال " سليمان \* (سننظر أصدقت) \* في قولك \* (أم كنت من الكاذبين) \* يعني أم أنت فيه من الكاذبين فكتب كتاباً وقال له \* (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم) \* يعني انصرف وقال بعضهم \* (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم) \* \* (فانظر ماذا يرجعون) \* يعني على ماذا يتفقون \* (ثم تول عنهم) \* يعني إرجع عنهم ويقال ليس فيها تقديم ومعناه \* (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم) \* يعني إستاخر في ناحية غير بعيد \* (فانظر ماذا يرجعون) \* أي ماذا يريدون من الجواب أو \* (ماذا يرجعون) \* أي ماذا يرجع رأيهم ويتفق عليه من الجواب قرأ الكسائي ابن عامر وابن كثير " فألقه إليهم " بالياء بعد الهاء وقرأ أبو عمرو في

إحدى الروائتين وقرأ حمزة وعاصم \* (فألقه) \* بالجزم وقرأ نافع \* (فألقه إليهم) \* بكسر الهاء ولا يبلغ الياء وكل ذلك جائز في اللغة والقراءة بالياء أشبع اللغتين وأكثر استعمالاً قال مقاتل فجعل الهدهد الكتاب في منقاره ثم طار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون إليه فرفعت المرأة رأسها فألقى الهدهد الكتاب في حجرها

وروي في بعض الروايات أنها كانت نائمة في البيت وقد أغلقت بابها فدخل من الكوة ووضع الكتاب على صدرها ويقال عند رأسها وأكثر الروايات أنه ألقاه في حجرها فقراءت الكتاب فرأت فيه الخاتم فرعدت وخضعت وخضع من معها من الجنود لأن ملك سليمان كان في خاتمه فقراءت الكتاب وأخبرتهم بما فيه قال مقاتل ولم يكن في الكتاب إلا قوله \* (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين) \* لأن كلام الأنبياء عليهم السلام على الإجمال ولا يكون على التطويل وقال في رواية الكلبي كتب في الكتاب إن كنتم من الإنس فعليكم بالطاعة وإن كنتم من الجن فقد عبدتم إلى قوله عز وجل \* (قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم) \* يعني حسن ويقال كتاب مختوم

وروي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كرامة الكتاب ختمه ويقال كل كتاب لا يكون مختوما فهو مغلوب ويقال كان سليمان عليه السلام إذا كتب إلى الشياطين ختمه بالحديد وإذا كتب إلى الجن ختمه بالصفير وإذا كتب إلى الإنس ختمه بالطين وإذا كتب إلى الملوك ختمه بالفضة فجعل ختم كتابها من ذهب ويقال إن المرأة إنما قالت \* (كتاب كريم) \* لأنها ظنت أنه نزل من السماء فلما نظرت إليه قرأت عنوانه \* (إنه من سليمان وإنه) \* يعني في داخله وأول سطره \* (بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي) \* يعني لا تتعظموا علي ولا تتناولوا علي ويقال لا تترفعوا علي وإن كنتم ملوكا \* (وأتوني مسلمين) \* يعني مستسلمين خاضعين ويقال \* (مسلمين) \* يعني مستسلمين مخلصين ويقال منقادين طائعين قال محمد بن موسى إنما بدأ سليمان بنفسه لعلمه بأن ذكره على سائر الملوك أعظم من ذكر معبوده فهول عليها بذكر نفسه ثم ذكر معبوده فذهبت بنفسها وانقادت في مملكتها وإنما خافت من هول سليمان حين آمنت بالله فقالت عند ذلك رب إني ظلمت نفسي بعبادة الشمس وما خفت منك فالآن عرفتك وتبت إليك وأنت رب العالمين \* (قالت) \* المرأة \* (يا أيها الملأ) \* يعني قالت المرأة يا أيها الأشراف والقادة \* (أفتوني في أمري) \* وكان لها ثلاثمائة وثلاثة عشر قائدا تحت يد كل قائد ألف رجل وقد قيل أكثر من هذا \* (أفتوني في أمري) \* يعني أجيئوني في أمري ويقال بينوا لي أمري ما أعمل ويقال أخبروني ويقال أشيروا علي \* (ما كنت قاطعة أمرا) \* أي قاضية أمرا ويقال فاصلة أمرا \* (حتى تشهدون) \*

(९१०)



يعني تحضرون أي لا أقطع أمرا دونكم \* (قالوا) \* مجيبين لها " نحن أولو قوة " يعني عدة وكثرة وسلاحا \* (وأولو بأس شديد) \* يعني وقتال شديد \* (والأمر إليك) \* يعني أخبرناك بما عندنا أيتها الملكة ومع ذلك لا نجاوز ما تقولين يعني إن أمرتنا بقتال قاتلنا وإن أمرتنا بغير ذلك أطعناك \* (فانظري ماذا تأمرين) \* يعني ماذا تشيرين إلينا  
سورة النمل ٣٤ - ٣٨

قوله عز وجل \* (قالت) \* يعني المرأة \* (إن الملوك إذا دخلوا قرية) \* على وجه العنوة والغلبة \* (أفسدوها) \* يعني أهلكوها وخربوها وقتلوا أهلها \* (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) \* يعني أهانوا أشرافها وكبراءها ليستقيم لهم الأمر \* (وكذلك يفعلون) \* قال ابن عباس هذا قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم قال \* (وكذلك يفعلون) \* تصديقا لقول المرأة وقال الحسن هذا قول بلقيس إن سليمان وجنوده كذلك يفعلون وأكثر المفسرين على خلاف ذلك

ثم قالت المرأة \* (وإني مرسله إليهم بهدية) \* يعني أصانعهم بالمال فإن كان من أهل الدنيا فإنه يقبل ويرضى بذلك ويقال أختبره أملك هو أم نبي فإن كان ملكا قبلها وإن كان نبيا لم يقبلها \* (فناظرة بم يرجع المرسلون) \* يعني أنظر بماذا يرجع المرسلون من الجواب من عنده وذكر في الخبر أنها بعثت إليه لبنتين من ذهب والمسك والعنبر وبعثت بعشرة غلمان وعشرة جوارى وكان في الغلمان بعض اللين وكان في الجوارى بعض الغلظة وأمرت بأن تخضب أيديهم جميعا وجعلتهم على هيئة الجوارى وبعثت إليه جوهرة في ثقبها إعوجاج وطلبت أن يدخل الخيط فيها فأمر سليمان الشياطين بأن يلقوا في طريق الرسل لبنا كثيرا من ذهب فلما جاءت رسل بلقيس إستحضرُوا هديتهم فلما قدموا على سليمان أمر بماء فوضع وأمر الغلمان والجوارى بأن يتوضأوا منه فجعل الغلام يحدر الماء على يده حدرا وأما الجوارى فكن يصبن صبا وفي رواية أخرى كانت الجارية تأخذ الماء بكفها وتدلك ذراعيها وأما الجوهرة فأخذ دودة حمراء عقد فيها خيطا ثم أدخلها في الحجر حتى خرجت من الجانب الآخر فرد الهدية وقال للوفد " أتمدونني بمال " يعني أتغرونني بالمال

قوله عز وجل \* (فلما جاء سليمان) \* قال بعضهم يعني جاء الرسول وقال بعضهم يعني جاء بريدها والأول أشبه لأنه خاطب الرسول " قال أتمدونني بمال " قرأ حمزة " أتمدونني بمال " بنون واحدة والتشديد وقرأ الباقون بنونين وأصله نونان إلا أن حمزة أدغم

إحداهما في الأخرى وشددها وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو " أتمدونني " بالياء في الوصل لأنه في الأصل الياء وهو ياء الإضافة وقرأ الباقون بغير ياء لأن الكسر يدل عليه ثم قال " فلما آتاني الله " يعني ما أعطاني الله عز وجل من النبوة والحكمة والدين والإسلام والملك \* (خير مما آتاكم) \* يعني خير مما أعطاكم من الدنيا والمال \* (بل أنتم بهديتكم تفرحون) \* يعني إذا أهدى بعضكم إلى بعض ويقال معناه بل أنتم تفرحون بهديتكم إذا ردت إليكم لأنكم قليلو المال ويقال لأنكم مكاثرة بالدنيا قوله عز وجل \* (ارجع إليهم) \* يعني قال سليمان لأمير الوفد ارجع إليهم بالهدية فإن لم يحضروني \* (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) \* يعني لا طاقة لهم بها قال بعض المتقدمين ومتى يكون لهم طاقة بجنود سليمان وكان جنود سليمان من الجن والإنس والشياطين \* (ولنخرجنهم منها) \* يعني من أرض سبأ \* (أذلة) \* يعني مغلولة أيديهم إلى أعناقهم \* (وهم صاغرون) \* أي ذليلون فلما بلغ الخبر إلى المرأة ورسالة سليمان لم تجد بدا من الخروج إليه فخرجت نحوه فلما علم سليمان بمسيرها إليه " قال " لجلسائه \* (يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها) \* يعني بسرير بلقيس \* (قبل أن يأتوني مسلمين) \* أي موحدين لأنه قد كان أوحى إلى سليمان بأنها تسلم وقال بعضهم إنما أراد سليمان بإحضار سريرها قبل أن تسلم ليكون السرير له لأنها لو أسلمت حرم عليه مالها وكان سريرها من ذهب وقوائمه من اللؤلؤ والجواهر مستور بالحريير والديباج وعليه الحجلة وقال بعضهم إنما أراد أن يبين دلالة نبوته عندها فتعلم المرأة أنه نبي فتسلم

سورة النمل ٣٩ - ٤١

قوله عز وجل \* (قال عفريت من الجن) \* يعني ماردا من الجن والعفريت هو الشديد القوي ويقال العفريت من كل شيء المبالغ والحاذق في أمره \* (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) \* يعني في مجلس الحكم وكان قضاؤه إلى انتصاف النهار ويقال إلى وقت الضحى \* (وإني عليه) \* يعني على إتيان السرير " لقوي " على حملة \* (امين) \* على ما فيه من الجواهر واللؤلؤ وغير ذلك فقال سليمان أنا أريد أسرع من هذا \* (قال الذي عنده علم من الكتاب) \* يعني آصف بن برخيا وكان وزيره ومؤدبه في حال صغره وقرأ كتاب الله ويعلم

الاسم الأعظم يا إلهنا وإله كل شيء إلهها واحدا لا إله إلا أنت ويقال هو قوله يا حي يا قيوم ويقال ذا الجلال والإكرام ويقال إن \* (الذي عنده علم من الكتاب) \* هو جبريل عليه السلام وأكثر المفسرين على أنه آصف بن برخيا رضي الله عنه

قال \* (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) \* يعني قبل أن ينتهي إليك الذي وقع عليه منتهى بصرك وهو جاء إليك ويقال قبل أن تطرف قال له سليمان لقد أسرع إن فعلت ذلك فدعا بالاسم الأعظم فإذا بالسرير قد ظهر بين يدي سليمان \* (فلما رآه) \* رأى سليمان السرير \* (مستقرا عنده) \* أي موجودا عنده \* (قال هذا من فضل ربي ليبلوني) \* يعني ليختبرني \* (أشكر) \* هذه النعمة \* (أم أكفر) \* نعم الله تعالى إذا رأيت من دوني هو أعلم مني قال مقاتل فلما رفع رأسه قال الحمد لله أحمد الله الذي جعل في أهلي من يدعوه فيستجيب له \* (ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) \* يعني يفعل لنفسه لأنه يعود إليه حيث يستوجب المزيد من الله تعالى \* (ومن كفر) \* النعم يعني ترك الشكر \* (فإن ربي غني) \* عن شكر العباد \* (كريم) \* في الإفضال على من شكره بالنعمة ويقال \* (كريم) \* لمن شكر من عباده ويقال لما رأى آصف السرير مستقرا عنده خرج من فضل نفسه ورجع إلى فضل ربه ورأى الحول والقوة لله تعالى فقال \* (هذا من فضل ربي) \* لا من فضل نفسي ولو لم يقل من فضل ربي لسقط عن المنزلة أسرع من إتيان السرير حيث قال \* (أنا آتيك به) \* حيث شهر نفسه بالفضيلة ويقال \* (أنا آتيك به) \* يعني بالله آتيك لا بالمدة والحيلة فأسقط الحول والقوة عن نفسه وسلم الأمر إلى الله فقال \* (هذا من فضل ربي) \* فلما رأى سليمان السرير عنده علم أن هذا ليس من قوة جلسائه وإنما هو من صنع ربه قوله عز وجل \* (قال نكروا لها عرشها) \* يعني قال سليمان عليه السلام غيروا سريرها عن صورتها والتكبير هو التغيير يقال نكرته فتنكر أي غيرته فتغير

وروى الضحاك عن ابن عباس قال التكبير أن يزداد فيه أو ينقص عنه يعني زيدوا في سريرها وانقصوا منه حتى نرى أنها تعرف سريرها أم لا وذلك قوله \* (ننظر أتهتدي) \* يعني أتعلم أنه عرشها \* (أم تكون من الذين لا يهتدون) \* يعني لا يعلمون يقال إنه جعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ويقال إنه أمر بذلك لأن الجن قالوا لسليمان عليه السلام في عقلها شيء من النقصان فأراد سليمان أن يمتحن عقلها فأمر بأن يغير السرير ويسألها عن ذلك

سورة النمل ٤٢ - ٤٤

قوله \* (فلما جاءت) \* يعني بلقيس وجلست على السرير \* (قيل) \* لها \* (أهكذا عرشك) \* يعني أهكذا سريرك \* (قالت) \* بلقيس \* (كأنه هو) \* شبهته به قال مقاتل شبهوا عليها فشبهت عليهم ولو قيل لها أهذا عرشك لقالت نعم ويقال إنها شكت في ذلك لأنها تركت سريرها في سبعة أبيات مقفلة أبوابها ومفاتيح الأقفال بيدها فقال سليمان \* (وأوتينا العلم من قبلها) \* يعني حمد الله على ما أعطاه من إتيان السرير وحضورها وعلى ما أعطاه قبل إتيانها من النبوة والإسلام فقال \* (وأوتينا العلم من قبلها) \* يعني أعطينا العلم من قبل مجيئها ويقال أعطينا علم ملكها وعرشها من قبل مجيئها \* (وكننا مسلمين) \* يعني مخلصين لله تعالى ويقال \* (مسلمين) \* منقادين له قوله عز وجل \* (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) \* يعني عبادتها التي كانت تعبد الشمس منعها عن الإسلام ويقال معناه صدها إبليس عن الإيمان فتكون " ما " ها هنا بمعنى الفاعل ويقال " ما " هنا بمعنى المفعول فكأنه يقول صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله عز وجل كرجل يقول منعت فلانا الماء يعني عن الماء ويقال معناه أن الله تعالى صدها عما كانت تعبد من دون الله فوفقها للإسلام ويقال صدها عن الإسلام العادة التي كانت عليها لأنها نشأت على ذلك وربيت ولم تعرف إلا قوما يعبدون الشمس ثم قال \* (إنها كانت من قوم كافرين) \* أي من قوم جاحدين لله تعالى قوله عز وجل \* (قيل لها ادخلي الصرح) \* يعني القصر وذلك لأنها لما أقبلت قالت الجن لقد لقينا من سليمان ما لقينا من التعب فلو اجتمع سليمان وهذه وما عندها من العلم لهلكنا وخشوا أن يتزوجها ويكون بينهما ولد فيرث الملك فيبقون في ذلك العناء إلى الأبد فأرادوا إن يبغضوها إلى سليمان فقالوا إن رجلها شعراوان وقال مقاتل بل كانت أمها جنية وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد قال كانت أمها جنية وكانت شعراء وقال بعضهم هذا لا يصح لأن الجن ليس من جنس الآدمي فلا يكون بينهما شهوة ونسل وقال الله تعالى \* (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) \* [الحجرات: ١٣] يعني آدم وحواء عليهما السلام فلا يجوز أن يكون النسل من غيرهما ويقال إنهم قالوا لسليمان إن رجلها تشبه حافر الدواب فأراد سليمان أن ينظر إلى رجلها فأمر بأن يوضع سريرها في الصرح المبني من القوارير يعني من الزجاج وجعل تحت الصرح الماء فيه السمك فجلس سليمان على سيره في الصرح في مقدمه ثم أمرت بلقيس بأن تدخل الصرح \* (فلما رآته) \* يعني فلما جاءت إلى الصرح رأت ما فيه من السمك \* (حسبته لجة) \* يعني ظنت أنه ماء كثير بين يدي سرير سليمان فأرادت أن تخوض في

الماء فشمرت ثيابها \* (وكشفت عن ساقها) \* فنظر سليمان إلى ساقها وكانت شعراء فاستشار سليمان الإنس في ذلك فأشاروا عليه بالموسى فقال سليمان الموسى تخدش ساقها فاستشار الجن فأشاروا عليه بالنورة فأصل النورة من ذلك الوقت وروي أن سليمان ما نظر إلى ساق أحسن الساقين ولا خلاف بين الروايتين لأنه يكون أحسن الساقين شعراوين وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أنا أحسن ساقين أم بلقيس فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كانت هي أحسن ساقين منك في الدنيا وأنت أحسن ساقين منها في الآخرة فلما كشفت عن ساقها قال لها سليمان لا تكشفني عن ساقيك \* (قال إنه صرح ممرد من قوارير) \* يقول قصر مملس ولهذا سمي أمرد الذي لم ينبت له الشعر ويقال ممرد يعني قوي شديد كما يقال شيطان مرید \* (من قوارير) \* يعني من الزجاج فلما رأت السرير والصرح علمت أن ملكها ليس بشيء عند ملك سليمان وأن ملكه من الله تعالى وأنه نبي حقا ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام فأجابت فذلك قوله تعالى \* (قالت رب إني ظلمت نفسي) \* بعبادتي للشمس \* (وأسلمت مع سليمان لله) \* وأخلصت ديني لله تعالى مع سليمان بالتوحيد ويقال \* (مع سليمان) \* يعني أسلمت على يدي سليمان لله \* (رب العالمين) \* وتابت إلى الله تعالى من شركها قال مقاتل فاتخذها سليمان لنفسه فولدت له داود بن سليمان قال النبي صلى الله عليه وسلم هي أحسن ساقين من نساء العالمين وهي من أزواج سليمان في الجنة

سورة النمل ٤٥ - ٤٩

قوله عز وجل \* (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله) \* يعني أمرهم بأن يعبدوا الله ويطيعوه ويوحده \* (فإذا هم فريقان يختصمون) \* مؤمنون وكافرون فإذا قوم صالح مؤمن وكافر يختصمون يقول كل فريق الحق معي وقد ذكرنا خصومتهم في سورة الأعراف وهي قوله \* (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا) \* [الأعراف: ٧٥] الآية وطلبت الفرقة الكافرة على تصديق صالح العذاب " قال " لهم صالح عليه السلام \* (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) \* يعني بالعذاب \* (قبل الحسنة) \* يعني العافية ويقال التوبة وهو قولهم يا صالح إن كان ما أتيت به حقا فأتنا بما تعدنا من العذاب

ثم قال \* (لولا تستغفرون الله) \* يعني هلا تسألون الله المغفرة ويقال هلا تؤمنون وتوحدون الله تعالى وترجعون من الشرك لعلكم ترحمون يعني لكي ترحموا فلا تعذبوا قوله عز وجل \* (قالوا اطيرنا بك) \* وأصله تطيرنا بك يعني تشاء منا بك \* (وبمن معك) \* وذلك أنه قد أصابهم القحط بتكذيبهم إياه فقالوا هذا الذي أصابنا بشؤمك وشؤم أصحابك " قال " لهم صالح \* (طائركم عند الله) \* يعني ما أصابكم فمن الله ويقال هذا الذي يصيبكم هو مكتوب عند الله ويقال خيركم وشركم ورخاؤكم وشدتكم من عند الله عليكم بفعلكم ويقال عقوبتكم عند الله \* (بل أنتم قوم تفتنون) \* أي تبتلون بذنوبكم ويقال تختبرون بالخير والشر وأصل الفتنة هي الاختبار ويقال فنتت الذهاب بالنار لتنظر إلى جودته

قوله عز وجل \* (وكان في المدينة) \* يعني في قرية صالح عليه السلام وهي الحجر \* (تسعة رهط) \* كانوا أغنياء قوم صالح \* (يفسدون في الأرض ولا يصلحون) \* يعني يعملون بالمعاصي في أرض قريتهم \* (ولا يصلحون) \* أي لا يطيعون الله تعالى فيها ولا يتوبون من المعصية ولا يأمرون بها فسأل قوم صالح منه ناقة فصارت الناقة بلية لهم فكانت تأتي مراعيهم فتأكل جميع ما فيها فتتفر منها دوابهم وتشرب ماء بثرهم العذب الذي يشربون منه فجعلوا نيابة للشرب فتشرب ذلك اليوم الماء كله وتسقيهم اللبن حتى يرووا فجاء هؤلاء التسعة وفيهم قذار بن سالف عاقر الناقة وكان ابن زانية أحمر أزرق ومصدع بن دهر وكانا قد قعدا لها فلما مرت بهما رماها مصدع بسهم ثم قال يا قذار اضرب فضرب عرقوبها فعقروها ثم سلخوها واقتسموا لحمها فأوعدهم الله الهلاك وبين لهم العلامة بتغيير ألوانهم فاجتمع التسعة و \* (قالوا تقاسموا بالله) \* يعني تحالفوا بالله \* (لنبيته) \* قرأ حمزة والكسائي بالتاءين وضم التاء الثاني \* (وأهله ثم لنقولن) \* بالتاء وقرأ الباقون بالنون ونصب التاء \* (ثم لنقولن) \* بالنون ونصب اللام فمن قرأ بالنون جعل \* (تقاسموا) \* خبرا فكأنهم قالوا متقاسمين فيما بينهم \* (لنبيته وأهله) \* أي لنقتلنه وغياله ويقال \* (وأهله) \* يعني ومن آمن معه ومن قرأ بالتاء فمعناه جعل \* (تقاسموا) \* أمرا فكان أمر بعضهم بعضا وقال بعضهم لبعض تحالفوا \* (لنبيته وأهله ثم لنقولن) \* \* (لوليه) \* يعني لولي صالح إن سألونا فنقول \* (ما شهدنا مهلك أهله) \* يعني لهلاك أهله وقومه ويقال ما حضرنا عند هلاك أهله \* (وإننا لصادقون) \* يعني إننا لصادقون بما نقول لكم ويقال معناه " إننا لصادقون " عندهم فيصدقوننا إذا خرجنا من بيوتنا ويقال " إننا لصادقون " في قولنا

سورة النمل ٥٠ - ٥٣

قال الله تعالى \* (ومكروا مكرا) \* يعني أرادوا قتل صالح عليه السلام \* (ومكرونا مكرا) \*  
 يعني جثم عليهم الجبل فماتوا كلهم ويقال رحمتهم الملائكة عليهم السلام بالحجارة  
 فماتوا فذلك قوله تعالى \* (ومكروا مكرا) \* أي أرادوا قتل صالح \* (ومكرونا مكرا) \*  
 يعني أراد الله عز وجل قتلهم جزاء لأعمالهم \* (وهم لا يشعرون) \* بأن الملائكة  
 يحرسون صالحا في داره قرأ عاصم في رواية أبي بكر ما شهدنا \* (مهلك) \* أهله  
 بنصب الميم واللام وفي رواية حفص بنصب الميم وكسر اللام وقرأ الباقون بضم الميم  
 ونصب اللام

ثم قال \* (فانظر كيف كان عاقبة مكروهم) \* يعني جزاء مكروهم \* (أنا دمرناهم) \* قرأ  
 عاصم وحمزة والكسائي \* (إنا) \* بالنصب وقرأ الباقون بكسر الألف فمن قرأ بالنصب  
 فمعناه فانظر كيف كان عاقبة مكروهم لأننا دمرناهم ويجوز أن يكون خبر كان ومن قرأ  
 بالكسر لأنه لما قال \* (فانظر كيف كان عاقبة مكروهم) \* يعني إيش كان عاقبة مكروهم  
 ثم فسر فقال \* (أنا دمرناهم) \* على وجه الاستئناف \* (وقومهم أجمعين) \* يعني  
 أهلكتناهم بصيحة جبريل عليه السلام ويقال خرجت النار من تحت أرجلهم فأحرقتهم  
 ويقال إنهم خرجوا ليلا لإهلاك صالح فدمغتهم الملائكة بأحجار من حيث لا يرونهم  
 فقتلوهم وقومهم أجمعين

قوله عز وجل \* (فتلك بيوتهم خاوية) \* يعني خالية من الناس ويقال \* (بيوتهم خاوية)  
 \* يعني مساكنهم خربة ساقطة \* (بما ظلموا) \* أي أشركوا ويقال بكفرهم بالله تعالى  
 صارت خاوية نصبا على الحال يعني فانظر إلى بيوتهم خاوية وقرئ في الشاذ \*  
 (خاوية) \* بالضم على معنى النعت للبيوت

ثم قال \* (إن في ذلك) \* يعني في هلاكهم وفيما صنع بهم \* (آية) \* يعني لعلبة لمن  
 بعدهم \* (لقوم يعلمون) \* يعني يعقلون ويصدقون \* (وأنجينا الذين آمنوا) \* يعني أقروا  
 بالتوحيد وصدقوا صالحا برسالته \* (وكانوا يتقون) \* الشرك والفواحش

سورة النمل ٥٤ - ٥٩

قوله عز وجل \* (ولوطا) \* يعني وأرسلنا لوطا عظما على قوله " ولقد أرسلنا إلى

ثمود) ويقال معناه واذكر لوطا \* (إذ قال لقومه) \* يعني حين قال لقومه \* (أتأتون الفاحشة) \* يعني أتعملون المعصية وهي اللواط \* (وأنتم تبصرون) \* يعني تعلمون أنها فاحشة ومعصية هو وأعظم لذنوبكم

قوله عز وجل \* (أأنتم لتأتون الرجال شهوة) \* يعني تجامعون الرجال شهوة منكم \* (من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) \* أي جاهلون \* (فما كان جواب قومه) \* وإنما نصب الجواب لأنه خبر كان واسمه \* (إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون) \* يعني يتنزهون ويقذروننا بهذا الفعل وإنما لا نحب أن يكون بين أظهرنا من ينهانا عن أعمالنا

قال الله تعالى \* (فأنجيناه وأهله) \* يعني ابنتيه ريثا وزعورا \* (إلا امرأته) \* لم ننحها من العذاب \* (قدرناها من الغابرين) \* أي تركناها من الباقين في العذاب ويقال قضينا عليها أنها من الباقين في العذاب \* (وأمطرنا عليهم مطرا) \* يعني على شذاذهم أي الخارجين المنفردين منهم ومن كان منهم في الأسفار \* (مطرا) \* يعني الحجارة \* (فساء مطر المنذرين) \* يعني بئس مطر من أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا

ثم قال عز وجل \* (قل الحمد لله) \* قال بعضهم معناه قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم \* (قل الحمد لله) \* وقال بعضهم معناه الحمد لله على هلاك كفار الأمم الماضية يعني ما ذكر في هذه السورة من هلاك فرعون وقومه وثمود وقوم لوط ويقال قال الحمد لله الذي علمك وبين لك هذا الأمر ويقال إن هذا كان للوط حين أنجاه أمره بأن يحمد الله تعالى

ثم قال \* (وسلام على عباده) \* يعني المرسلين \* (الذين اصطفى) \* يعني اختارهم الله تعالى للرسالة والنبوة وروي عن مجاهد أنه قال هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قال مقاتل وقال سفيان الثوري هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال \* (آله خير أما يشركون) \* يعني الله تعالى أفضل أم الآلهة التي تعبدونها اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التقرير يعني الله تعالى خير لهم مما يشركون فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ هذه الآية قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ويقال معناه أعبادة الله خير أم عبادة ما يشركون به من الأوثان وقال القتيبي " الله خيرا أما يشركون " يعني أم من تشركون فتكون " ما " مكان من كما قال \* (والسماء وما بناها) \* [الشمس: ٥] يعني ومن بناها \* (وما خلق الذكر والأنثى) \* [الليل: ٣] يعني ومن خلق

سورة النمل ٦٠ - ٦٤



ثم قال عز وجل " أمن خلق السماوات والأرض " يعني الله الذي خلق السماوات والأرض \* (وأنزل لكم من السماء ماء) \* يعني المطر \* (فأنبتنا به) \* يعني بالمطر \* (حدائق ذات بهجة) \* يعني البساتين واحدها حديقة وإنما سميت حديقة لأنها محاطة بالحيطان وقال بعضهم إذا كانت ذا شجر يقال لها حديقة سواء كان لها حائط أو لا \* (ذات بهجة) \* يعني ذات حسن \* (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) \* يعني ما كان لمعبودكم قوة ويقال ما كان ينبغي لكم أن تنبتوا شجرها ويقال ما قدرتم عليه وقرأ أبو عمرو وابن عامر \* (أما يشركون) \* بالياء على معنى الخبر وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة وقرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (إلا امرأته قدرناها) \* بتخفيف الدال وقرأ الباقون بالتشديد ثم قال \* (أإله مع الله) \* يعينه على صنعه اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الإنكار والزجر \* (بل هم قوم يعدلون) \* يعني يشركون الأصنام  
ثم قال عز وجل " أمن جعل الأرض قرارا " يعني مستقرا لا تميد بأهلها ويقال \* (قرارا) \* أي لا تتحرك \* (وجعل خلالها أنهارا) \* و \* (جعل) \* يعني خلقا لها يعني فجر بنواحي الأرض أنهارا ويقال شق بينهما أنهارا \* (وجعل لها) \* أي خلق للأرض \* (رواسي) \* أي الجبال الثوابت \* (وجعل بين البحرين حاجزا) \* يعني العذب والمالح حاجزا يعني ستر مانعا من قدرته لا يختلطان بعضهما في بعض \* (أإله مع الله) \* يعينه على صنعه \* (بل أكثرهم لا يعلمون) \* توحيد الله عز وجل  
ثم قال " أمن يجيب المضطر " يعني أمن يستجيب في البلاء للمضطر \* (إذا دعاه) \* \* (ويكشف السوء) \* يعني ومن يكشف الضر \* (ويجعلكم خلفاء الأرض) \* يعني سكان الأرض بعد هلاك أهلها \* (أإله مع الله قليلا ما تذكرون) \* قرأ أبو عمرو وابن عامر في إحدى الروايتين \* (يذكرون) \* بالياء على معنى الخبر عنهم وقرأ الباقون \* (تذكرون) \* بالتاء على معنى المخاطبة وقرأ حمزة والكسائي بتخفيف الدال وقرأ الباقون بالتشديد وقرأ أبو عمرو ونافع في رواية قالون \* (أإله مع الله) \* بالهمز والمد وقرأ الباقون بغير مد بهمزتين  
ثم قال عز وجل " أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر " يعني من يرشدكم في أهوال البر والبحر \* (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) \* يعني قدام المطر " إله مع الله تعالى

الله) أي تعظم الله \* (عما يشركون) \* " أمن يبدأ الخلق ثم يعيده " يعني خلقهم ولم يكونوا شيئاً ثم يعيدهم في الآخرة \* (ومن يرزقكم من السماء) \* يعني المطر \* (والأرض) \* يعني النبات \* (أإله مع الله قل هاتوا برهانكم) \* يعني حجتكم وعذركم بأنه صنع شيئاً من هذا غير الله \* (إن كنتم صادقين) \* بأن مع الله آلهة أخرى  
سورة النمل ٦٥ - ٦٨

\* (قل) \* يا محمد لكفار مكة \* (لا يعلم من في السماوات والأرض) \* من الملائكة والناس \* (الغيب إلا الله) \* يعني متى تقوم الساعة إلا الله رفع علي معنى البدل فكأنه يقول لا يعلم أحد الغيب إلا الله أي لا يعلم ذلك إلا الله ثم قال \* (وما يشعرون أيان يبعثون) \* يعني متى يبعثون يعني أوان يبعثون  
قوله عز وجل \* (بل ادرك علمهم في الآخرة) \* قرأ ابن كثير وأبو عمرو " بل أدرك " قرأ الباقر \* (أدراك) \* بالألف فمن قرأ \* (أدرك) \* فمعناه أدرك علمهم علم الآخرة وروي عن السدي قال اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يشكوا ولم يختلفوا ويقال معناه علموا في الآخرة أن الذين كانوا يوعدون حق ولا ينفعهم ذلك ومن قرأ " إدراك علمهم " فأصله تدارك فأدغم التاء في الدال وشدت وأدخلت ألف الوصل ليسلم السكون للدال ومعناه تتابع علمهم أي حكمهم على الآخرة وإستعمالهم الظنون في علم الآخرة فهم يقولون تارة إنها تكون وتارة لا تكون الساعة ويقال معناه تدارك أي تكامل علمهم يوم القيامة لأنهم يبعثون ويشاهدون ما وعدوا \* (بل هم في شك منها) \* أي من قيام الساعة في الدنيا \* (بل هم منها عمون) \* يعني يتعمون عن قيامها ويقال \* (بل هم منها عمون) \* أي من علمها جاهلون  
وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ " بل إدراك علمهم " وهذه القراءة أشد إيضاحاً للمعنى الذي ذكرناه  
ثم حكى قول الكفار فقال عز وجل " وقال الذين كفروا إذا كنا تراباً وآبأؤنا أننا لمخرجون " يعني أحياء من القبور \* (لقد وعدنا هذا) \* يعني هذا الذي يقول محمد صلى الله عليه وسلم \* (نحن وآبأؤنا من قبل إن هذا) \* الذي يقول \* (إلا أساطير الأولين) \* يعني أحاديث الأولين وكذبهم مثل حديث رستم وإسفنديار ويقال إن هذا إلا مثل  
رسل الأولين فيما كذبوا

سورة النمل ٦٩ - ٧٩

قوله عز وجل \* (قل سيروا في الأرض فانظروا) \* يعني فاعتبروا \* (كيف كان عاقبة  
المحرمين) \* يعني آخر أمر المشركين \* (ولا تحزن عليهم) \* إن لم يؤمنوا بك ويقال  
\* (ولا تحزن عليهم) \* أي على تكذبيهم وإعراضهم عنك \* (ولا تكن في ضيق) \*  
يعني لا يضيق صدرك \* (مما يمكرون) \* يعني بما يقولون من التكذيب ويقال ولا  
يضيق قلبك بمكرهم \* (ويقولون متى هذا الوعد) \* يعني البعث بعد الموت \* (إن كنتم  
صادقين) \* أن العذاب نازل بالمكذب ويقال \* (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) \*  
بقولهم فهذا دأبنا ودأبك أيام الموسم وهم الخراصون فكانوا يأمرون أهل الموسم بأن  
لا يسمعوا كلامه

ثم قال عز وجل \* (قل عسى أن يكون ردف لكم) \* يعني قرب وحضر لكم قال القتيبي  
أي تبعكم واللام زائدة فكأنه قال ردفكم قال وقيل في التفسير دنا منكم \* (بعض الذي  
تستعجلون) \* من العذاب وهو عذاب القبر ويقال القحط ويقال يوم بدر \* (وإن ربك  
لذو فضل على الناس) \* حين لم يأخذهم بالعذاب عند معصيتهم \* (ولكن أكثرهم لا  
يشكرون) \* بتأخير العذاب عنهم حتى يتوبوا \* (وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم) \*  
يعني ما تسر قلوبهم من عداوة النبي صلى الله عليه وسلم \* (وما يعلنون) \* بألسنتهم  
من الكفر والشرك

قوله عز وجل \* (وما من غائبة) \* يعني من أمر العذاب ويقال ما من شيء غائب عن  
العباد " في السماوات والأرض إلا في كتاب مبين " يعني مكتوب في اللوح المحفوظ  
ويقال أي جملة غائبة عن الخلق إلا في كتاب مبين \* (إن هذا القرآن يقص على بني  
إسرائيل) \* قال مقاتل يعني أن هذا القرآن يبين للناس أهل الكتاب \* (أكثر الذي هم فيه  
يختلفون) \* يعني اختلافهم وقال ابن عباس إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا  
أهواء وأحزابا يطعن بعضهم في بعض ويبرأ بعضهم من بعض فنزل القرآن بتبيان ما  
اختلفوا فيه

ثم قال عز وجل \* (وإنه) \* يعني القرآن \* (لهدى) \* يعني لبياننا من الضلالة \* (ورحمة)  
\* من العذاب \* (للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم) \* يعني بين المختلفين في الدين \*  
(بحكمه) \* يعني

بقضائه يوم القيامة \* (وهو العزيز) \* يعني المنيع بالنقمة \* (العليم) \* بأحوال خلقه ويقال \* (العزيز) \* يعني القوي فلا يرد له أمر \* (العليم) \* بأحوالهم \* (فتوكل على الله) \* يعني ثق بالله ويقال فوض أمرك إلى الله \* (إنك على الحق المبين) \* يعني الدين المبين وهو الإسلام

سورة النمل ٨٠ - ٨١

ثم قال عز وجل \* (إنك لا تسمع الموتى) \* فهذا مثل ضربه للكفار فكما أنك لا تسمع الموتى فكذلك لا تفقه كفار مكة \* (ولا تسمع الصم الدعاء) \* قرأ ابن كثير \* (ولا يسمع) \* بالياء والنصب وضم العين و \* (الصم) \* بضم الميم وقرأ الباقون بالتاء وضم التاء وكسر الميم " والصم " بالنصب فمن قرأ بالياء فلا يسمع فالفعل للصم ومن قرأ بالتاء فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم " إنك لا تسمع الصم الدعاء " \* (إذا ولوا مدبرين) \* يعني أعرضوا عن الحق مكذبين

قوله عز وجل \* (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) \* قرأ حمزة \* (تهدي العمي) \* \* غير ألف وقرأ الباقون بالألف فمن قرأ تهدي العمي فمعناه ما أنت يا محمد بالذي تهدي الذين عميت بصائرهم عن آياتنا ولكن عليك الدعاء ويهدي الله من يشاء ومن قرأ \* (بهادي) \* فإن الباء دخلت لتأكيد النفي كقولك ما أنت بعالم فالباء لتأكيد النفي وخفض العمي للإضافة

ثم قال \* (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) \* يعني لا تسمع الهدى إلا من صدق بالقرآن أنه من الله تعالى ويقال \* (بآياتنا) \* يعني أدلتنا \* (فهم مسلمون) \* يعني مخلصين مقرين بها ويقال مسلمون في علم الله تعالى

سورة النمل ٨٢

قوله عز وجل \* (وإذا وقع القول عليهم) \* يعني إذا وجب عليهم العذاب والسخط وذلك حين لا يقبل الله من كافر إيمانه ولم يبق إلا من يموت كافراً في علم الله تعالى \* (أخرجنا لهم دابة من الأرض) \* وخروجها من أول أشرط الساعة \* (تكلمهم) \* أي تحدثهم يعني الدابة التي تكلم الناس بما يسوؤهم \* (ان الناس) \* قرأ عاصم وحمزة والكسائي \* (أن) \* بالنصب وقرأ الباقون بالكسر فمن قرأ بالنصب يكون حكاية قول الدابة ومعناه تكلمهم بأن الناس \* (كانوا بآياتنا لا يوقنون) \* أي لا يؤمنون بآيات ربهم وهي خروج الدابة ومن قرأ بالكسر يكون بمعنى الابتداء ويتم الكلام عند قوله \* (تكلمهم) \* \* ثم يقول الله تعالى \* (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) \* يعني لا يؤمنون قال أبو عبيد حدثنا هشام عن المغيرة أن أبا زرعة بن عمر وابن

عباس قرآها \* (تكلهم) \* بنصب التاء وكسر اللام وبسكون الكاف والتخفيف يعني تسمهم فيتبين الكافر من المسلم

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله حدثني الثقة عن أبي بكر الواسطي عن إبراهيم بن يوسف عن محمد بن الفضل الضبي عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن ابن عمر رضي الله عنهم قال ألا أريك المكان الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة منه فضرب بعصاه قبل الشق الذي في الصفا وقال إنها ذات زغب وريش وإنها لتخرج ثلثها أول ما تخرج كحضر الفرس الجواد ثلاثة أيام ولياليهن وإنها لتدخل عليهم وإنهم ليفرون منها إلى المساجد فتقول أترون أن المساجد تنجيكم مني

وروى مقاتل قال تخرج الدابة من الصفا ولا يخرج إلا رأسها وعنقها فتبلغ رأسها السحاب فيراه أهل المشرق والمغرب ثم تعود إلى مكانها ثم تزلزل الأرض في ذلك اليوم في ست ساعات فيمسون خائفين فإذا أصبحوا جاءهم الصريخ بأن الدجال قد خرج

وروي عن أبي هريرة أنه قال تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتجلو وجه المؤمن بعصا موسى وتختم وجه الكافر بخاتم سليمان عليهما السلام ثم تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار فترى أهل البيت مجتمعين على خوانهم يقول لهذا يا كافر ولهذا يا مؤمن وروي ابن جريج عن أبي الزبير قال رأسها رأس ثور وعيناها عينا خنزير وأذناها أذنا فيل وقرناها قرنا أيل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هرة وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين منها اثني عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتنتك على وجه المؤمن حتى يبيض وتختم الكافر بخاتم سليمان حتى يسود فيعرف المؤمن من الكافر

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء فتغشو في وجهه حتى يسود وجهه وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتغشو في وجهه حتى يبيض ويتبايعون في الأسواق فيعرفون المؤمن من الكافر

سورة النمل ٨٣ - ٨٦

قوله عز وجل \* (ويوم نحش) \* يعني نوجب عليهم العذاب في يوم نحش " من كل أمة

فوجا) يعني من كل أهل دين جماعة ويقال \* (يوم نحشر) \* يعني نجمع من كل أمة فوجا يعني جماعة \* (ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) \* يعني يحبس أولهم لآخرهم ليجمعوا \* (حتى إذا جاؤوا) \* يعني اجتمعوا للحشر \* (قال أكذبتهم بآياتي) \* يعني قال الله تعالى لهم أكذبتهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التقرير يعني قد كذبتهم بآياتنا \* (ولم تحيطوا بها علما) \* اللفظ لفظ النفي والمراد به المناقشة في الحساب يعني كذبتهم كأنكم لم تعلموا ويقال لم تعرفوها حق معرفتها

ثم قال " أماذا كنتم تعملون " اللفظ لفظ السؤال والمراد به التوبيخ ومعناه ماذا كنتم تعملون إن تؤمنوا بالكتاب والرسول يعني أي عمل منعكم من ذلك  
ثم قال عز وجل \* (ووقع القول عليهم) \* يعني نزل عليهم العذاب ووجب عليهم \* (بما ظلموا) \* يعني بما أشركوا \* (فهم لا ينطقون) \* يعني لا يمكنهم أن يتكلموا من الهيبة لما ظهر لهم من المعاينة ولما تحيروا في ذلك  
ثم وعظ كفار مكة فقال \* (ألم يروا) \* يعني ألم يعتبروا \* (أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) \* يعني مضيئا وأضاف الفعل إلى النهار لأن الكلام يخرج مخرج الفاعل إذا كان هو سببا للفعل كما قال \* (بل مكر الليل والنهار) \* [سبأ: ٣٣] \* (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) \* يعني فيما ذكر من الليل والنهار لعبرات لقوم يصدقون بتوحيد الله تعالى

سورة النمل ٨٧ - ٩٣

وقال عز وجل \* (ويوم ينفخ في الصور) \* أي واذكر يوم ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور \* (ففزع من في السماوات ومن في الأرض) \* أي من شدة الصوت والفزع ويقال ماتوا وقال بعضهم النفخ ثلاثة أحدها الفزع وهو قوله \* (ففزع من في السماوات) \* ونفخة أخرى للموت وهو قوله \* (فصعق من في السماوات) \* [الزمر: ٦٨] ونفخة للبعث وهي قوله \* (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) \* [الزمر: ٦٨] وقال بعضهم إنما هما نفختان فالفزع والصعق كناية عن الهلاك ثم نفخة للبعث ثم قال \* (إلا من شاء الله) \* قال بعضهم يعني أرواح الشهداء وهي

أحياء عند ربهم وقال بعضهم يعني من في الجنة ومن في النار من الخدم والخزنة وقال بعضهم \* (إلا من شاء الله) \* يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ثم يموتون بعد ذلك \* (وكل أتوه داخرين) \*

روى سفيان بإسناده عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ \* (وكل أتوه) \* بغير مد ونصب التاء وهي قراء حمزة وعاصم في رواية حفص وقرأ الباقون بالمد والضم ومن قرأ بالمد والضم فمعناه كل حاضره \* (داخرين) \* أي صاخرين ويقال متواضعين ومن قرأ بغير مد يعني يأتون الله عز وجل

\* (وترى الجبال تحسبها جامدة) \* يعني تحسبها واقفة مكانها ويقال مستقرة \* (وهي تمر مر السحاب) \* حتى تقع على الأرض فتستوي يعني في أعين الناظرين كأنها واقفة قال القتيبي وكذلك كل عسكر غض به الفضاء أو شيء عظيم فينظر الناظر فيرى أنها واقفة وهي تسير

ثم قال عز وجل " صنع الله الذي أتقن كل شيء " يعني أحكم خلق كل شيء ويقال الشيء المتقن أن يكون وثيقاً ثابتاً فما كان من صنع غيره يكون واهياً ولا يكون متقناً ثم قال \* (إنه خبير بما تفعلون) \* أي عليم بما فعلتم

قوله عز وجل \* (من جاء بالحسنة) \* يعني بالإيمان والتوحيد وهو كلمة الإخلاص وشهادة أن لا إله إلا الله \* (فله خير منها) \* على وجه التقديم وله منها خير أي حين ينال بها الثواب والجنة ويقال \* (فله خير منها) \* أي خير من الحسنة يعني أكثر منها للواحد عشرة ويقال \* (فله خير منها) \* من الحسنة وهي الجنة لأن الجنة هي عطاؤه وفضله والعمل هو اكتساب العبد فما كان من فضله وعطاؤه فهو أفضل وهذا تفسير

المعتزلة والأول قول المفسرين

ثم قال \* (وهم من فزع يومئذ آمنون) \* يعني من فزع يوم القيامة \* (آمنون) \* قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر \* (من فزع) \* بغير تنوين \* (ويومئذ) \* بكسر الميم وقرأ نافع في رواية ورش \* (من فزع يومئذ) \* بغير تنوين ونصب الميم وقرأ الباقون بالتنوين ونصب الميم قال أبو عبيد وبالإضافة نقرأ لأنه أعم التأويلين أن يكون الأمن من جميع فزع ذلك اليوم وإذا قال \* (فزع) \* بالتنوين صار كأنه قال فزع دون فزع وقال غيره إنما أراد به الفزع الأكبر لأن بعض الأفرع تصيب الجميع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر في إحدى الروايتين " إنه خبير بما يفعلون " بالياء على معنى الإخبار عنهم وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة

ثم قال عز وجل \* (ومن جاء بالسيئة) \* يعني بالشرك \* (فكبت وجوههم في النار) \* يعني قلبت وجوههم في النار ويقال يكبون على وجوههم ويجرون إلى النار وتقول لهم خزنة النار \* (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) \* من الشرك ويقال \* (فكبت) \* أي ألقيت وطرحت





قال عز وجل \* (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) \* أي قل يا محمد لأهل مكة أمرني الله تعالى أن أستقيم على عبادة رب هذه البلدة يعني مكة الذي حرمها بدعاء إبراهيم عليه السلام وحرم فيها القتل والصيد قال بعضهم كان حراما أبدا قال بعضهم وهو أصح أن إبراهيم لما دعا فجعلها الله حراما بدعوته وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن إبراهيم حرم مكة وأنا حرمت المدينة ما بين لابتيتها ثم روي أنه قد رخص في المدينة

ثم قال تعالى " وله كل شيء " يعني له ملك كل شيء وخلق كل شيء \* (وأمرت أن أكون من المسلمين) \* أي من المخلصين \* (وأن أتلو القرآن) \* يعني أمرت أن أقرأ القرآن عليكم يا أهل مكة \* (فمن اهتدى) \* يعني آمن بالقرآن \* (فإنما يهتدي لنفسه) \* يعني يؤمن لنفسه ويثاب عليها الجنة \* (ومن ضل) \* يعني ولم يوحد ولم يؤمن بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم \* (فقل إنما أنا من المنذرين) \* أي من المخوفين ومن المرسلين فليس علي إلا تبليغ الرسالة \* (وقل الحمد لله) \* يعني الشكر لله على ما هداني \* (سيريكم) \* أيها المشركون آياته يعني العذاب في الدنيا \* (فتعرفونها) \* أنها حق وذلك أنه أخبرهم بالعذاب فكذبوه فأخبرهم أنهم يعرفونها أنها حق وذلك إذا نزل بهم وهو القحط والقتل ويقال هو فتح مكة " وما ربك بغافل عما تعملون " فهذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم وقال الزجاج في قوله \* (سيريكم آياته) \* يعني سيريكم الله آياته في جميع ما خلق وفي أنفسكم قرأ نافع وعاصم في رواية حفص وابن عامر في إحدى الروايتين \* (عما تعملون) \* بالتاء على معنى المخاطبة وقرأ الباقون بالياء على معنى الخبر عنهم والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

سورة القصص كلها مكية إلا قوله \* (إن الذي فرض عليك القرآن) \* نزلت بين مكة والمدينة وهي ثمانون وثمان آيات  
سورة القصص ١ - ٤

قوله تعالى \* (طسم تلك آيات الكتاب المبين) \* أي القرآن وهو مبين للأحكام وقد ذكرناه قال أبو سعيد الفاريابي في قوله تعالى طا قال هو طاهر كما يحلوه والسين سامع لما وصفوه والميم ماجد حين سألوه والما جد كثير العطاء يقال أمجدني فلان إذا كثر إعطاؤه ويقال طا أقسم الله بطالوت وسين أقسم الله بسليمان وميم أقسم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم \* (نتلوا عليك) \* يعني نزل عليك جبريل عليه السلام يقرأ عليك \* (من نبأ موسى) \* يعني من خبر موسى عليه السلام \* (وفرعون بالحق) \* يعني بالصدق \* (لقوم يؤمنون) \* يعني يصدقون محمدا صلى الله عليه وسلم بهذه الآية وإنما نزل القرآن لجميع الناس ولكن المؤمنين به يصدقون فكأنه لهم وذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم فيشكون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه السورة في شأنهم لكي يعرفوا ما نزل في بني إسرائيل من فرعون وقومه ليصبروا كصبرهم وينجيهم ربهم كما أنجى بني إسرائيل من فرعون وقومه وهذا كقوله \* (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) \*

ثم أخبر عن فرعون فقال \* (إن فرعون علا في الأرض) \* يعني إستكبر وتعظم عن الإيمان وخالف أمر موسى في أرض مصر \* (وجعل أهلها شيعا) \* يعني أهل مصر فرقا \* (يستضعف) \* يعني يستقهر \* (طائفة منهم) \* يعني من أهل مصر وهم بنو إسرائيل فجعل بعضهم ينقل الحجارة من الجبل وبعضهم يعملون له عمل النجارة وبعضهم أعمال الطين ومن كان لا يصلح لشيء من أعماله يأخذ منه كل يوم ضريبة درهما فإذا غربت الشمس ولم

يأت بالضريبة غلت عليه يده اليمنى إلى عنقه ويأمره بأن يعمل بشماله هكذا شهرا  
ثم قال \* (يذبح أبناءهم) \* أي يعني أبناء بني إسرائيل صغارا \* (ويستحيي نساءهم) \*  
يعني يستخدم نساءهم وأصله من الإستحياء يعني يتركهن أحياء  
وروى أسباط عن السدي قال بلغنا أن فرعون رأى فيما يرى النائم كأن نارا أقبلت من  
أرض الشام فاشتملت على بيوت مصر وكانت الشام أرض بني إسرائيل أول ما كانوا  
فأحرقتها كلها إلا بيوت بني إسرائيل فسأل الكهنة عن ذلك فقالوا يولد في بني إسرائيل  
مولود يكون على يديه هلاك أهل مصر فأمر فرعون بأن لا يولد في بني إسرائيل ذكر إلا  
ذبح وعمد إلى ما كان من بني إسرائيل خارج المصر فأدخله المدينة واستعبدهم ورفع  
العمل عن رقاب أهل مصر ووضع على بني إسرائيل ثم قال \* (إنه كان من المفسدين)  
\* يعني فرعون كان يعمل بالمعاصي

سورة القصص ٥ - ٦

قوله عز وجل \* (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) \* يعني أردنا أن نمن  
بالنجاهة \* (على الذين استضعفوا في الأرض) \* وهم بنو إسرائيل \* (نمن) \* يعني ننعيم  
عليهم \* (ونجعلهم أئمة) \* يعني قادة في الخير \* (ونجعلهم الوارثين) \* يعني أرض  
مصر وملك فرعون وقومه بعد هلاك فرعون \* (ونمكن لهم) \* يعني نملكهم ويقال  
ننزلهم في الأرض \* (في الأرض) \* يعني في أرض مصر \* (ونري فرعون وهامان) \*  
قرأ حمزة والكسائي \* (ويري) \* بالياء والنصب و \* (فرعون وهامان) \* \* (وجنودهما)  
\* بالضم كل ذلك وقرأ والباقون \* (ونري) \* بالنون والضم و \* (فرعون وهامان  
وجنودهما) \* كلها بالنصب ونصب \* (نرى) \* لأنه معطوف على قوله \* (أن نمن) \*  
فكأنه قال أن نمن وأن نري ونصب فرعون لوقوع الفعل عليه ومن قرأ بالياء رفعه لأن  
الفعل منه ثم قال " وهامان وجنودها منهم ما كانوا يحذرون " يعني يرون ما كانوا  
يخافون من ذهاب الملك

سورة القصص ٧ - ٨

وقوله عز وجل \* (وأوحينا إلى موسى) \* يعني ألهمنا أم موسى \* (أن أرضعيه) \* وذلك  
أن أم موسى حبلت فلم يظهر بها أثر الحبل حتى ولدت موسى وأرضعته  
ثلاثة أشهر أو أكثر فألهمها الله تعالى بقوله \* (فإذا خفت عليه) \* يعني صياحه \*  
(فألقيه في اليم) \* يعني في البحر

قال مقاتل وهو النيل فعلمها جبريل عليه السلام ويقال رأت في المنام بأنها تؤمر أن تلقية في البحر ويقال كان هذا إلهاما ويقال كانت دلالة لها حيث علمت بالرؤيا أو بشيء خيل لها أن تفعل ما فعلت كما أن إبراهيم عليه السلام رأى في المنام ذبح إسحاق أو إسماعيل عليهما السلام وذكر أنها كانت تحبز يوما وكان موسى عليه السلام على رأس التنور فدخل قوم فرعون يطلبون الولد فوضعت في التنور فدخلوا فلم يجدوا موسى عليه السلام فجاءت إلى التنور فوجدته يلعب بأصابعه في الأرض فاستيقنت أن الله تعالى يحفظه فجعلته في التابوت وألقته في النيل ثم قال \* (ولا تخافي) \* الغرق \* (ولا تحزني) \* أن لا يرد إليك \* (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) \* يعني رسولا إلى فرعون وقومه فلما ألقته في النيل جاء به الماء وكان يمر النيل في دار فرعون فوجدته جوارى فرعون بين الماء والشجر فمن ثم سمي موسى بلفظ القبط موسى فالمو الماء وشا الشجر فذلك قوله تعالى \* (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) \* يعني إن أخذهم إياه كان سببا لحزنهم فكأنهم أخذوه لذلك وإن كان أخذهم لم يكن لذلك قرأ حمزة والكسائي \* (وحزنا) \* بضم الحاء وسكون الزاي وقرأ الباقون بنصب الحاء والزاي وهما لغتان ومعناها واحد ثم قال \* (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) \* يعني مشركين ويقال عاصين آثمين

سورة القصص ٩ - ١١

قوله عز وجل \* (وقالت امرأة فرعون) \* واسمها آسية لفرعون هذا الغلام \* (قرة عين لي ولك لا تقتلوه) \* فإنه آتانا به الماء من مصر آخر ومن أرض أخرى وليس من بني إسرائيل ويقال إنها قالت إن هذا كبير ومولود قبل هذه المدة التي أخبر لك \* (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) \* فإنه لم يكن له ولد ذكر قال فرعون فهو قرة عين لك فأما أنا فلا

وروي عن ابن عباس أنه قال لو قال فرعون أيضا هو قرة عين لي لنفعه الله تعالى به ولكنه أبى ويقال \* (قرة عين لي) \* وقد تم الكلام ثم قالت \* (ولك لا تقتلوه) \* قال وروي عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقف على \* (قرة عين لي ولك) \* ثم قال \* (لا تقتلوه) \* أي \* (لا تقتلوه) \* فلا الثاني إضمار في الكلام والتفسير الأول أصح ثم قال \* (وهم لا يشعرون) \* يعني لا يشعر فرعون وقومه أن هلاكهم على يديه ثم قال عز وجل \* (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) \* يعني خاليا من كل ذكر وشغل إلا ذكر موسى عليه السلام وهمه ويقال صار قلبها فارغا حين بعثت أختها لتنظر فأخبرتها بأنه قد أخذ

في دار فرعون فسكنت حيث لم يغرق ويقال صار قلبها فارغا لأنها علمت أنه لا يقتل وروي عن فضالة بن عبيد أنه قرأ " وأصبح فؤاد أم موسى فرعا " يعني خائفا وقراءة العامة \* (فارغا) \* وتفسيره ما ذكرناه وقد قيل أيضا فارغا من شغل نفقته ثم قال \* (إن كادت لتبدي به) \* يعني قد كادت لتظهر به قال مقاتل وذلك أنها لما ألفت التابوت في النيل فرأت التابوت يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى فخشيت عليه الغرق فعند ذلك فزعت عليه وكادت أن تصيح ويقال إنه لما كبر كان الناس يقولون هو ابن فرعون فشق ذلك عليها وكادت أن تظهر أن هذا ولدي وليس بولد فرعون ويقال إنها لما دخل الليل دخل الغم في قلبها حيث لم تدر أين صار ولدها فأرادت أن تظهر ذلك \* (لولا أن ربطنا على قلبها) \* أي ثبتنا قلبها ويقال قوينا قلبها وألهمناها الصبر \* (لتكون من المؤمنين) \* يعني من المصدقين بوعد الله تعالى حيث وعد لها بإناء رادوه إليك فلم تجزع ولم تظهر قوله عز وجل \* (وقالت لأخته قصيه) \* يعني قالت أم موسى لأخت موسى وكان اسم أخته مريم \* (قصيه) \* يعني إتبعي أثره ويقال يعني إمشي بجنبه في الحد وهو في الماء حتى تعرف من يأخذه \* (فبصرت به عن جنب) \* يعني أبصرت به عن بعد كما قال \* (والجار جنب) \* [النساء: ٣٦] يعني البعيد منهم من قوم آخرين ويقال \* (عن جنب) \* \* يعني في جانب \* (وهم لا يشعرون) \* أنها أخت موسى ويقال \* (وهم لا يشعرون) \* \* يعني وهم لا يعرفون أنها ترقبه

سورة القصص ١٢ - ١٤

قوله عز وجل \* (وحرمنا عليه المراضع من قبل) \* يعني من قبل مجيء أمه ويقال في رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أم موسى عليهما السلام قالت لأخته \* (قصيه) \* أي أطلبني أثره بعد ما أخذه آل فرعون ولم يقبل رضاع أحد \* (وحرمنا عليه المراضع) \* من قبل مجيء أخته ويقال \* (حرمنا عليه المراضع) \* يعني منعنا موسى أن يقبل ثدي مرضع من قبل أن نرده على أمه \* (فقالت) \* أخته حين تعذر عليهم إرضاعه \* (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) \* يعني يضمنون لكم رضاعه ويقال يضمنونه \* (وهم له ناصحون) \* يعني مشفقون للولد ويقال مخلصون شفقتهم فقال همام خذوها حتى نخبرنا بقصة هذا الغلام فأخذت فألهمها الله تعالى عند ذلك حتى قالت إنما ذكرت النصيحة لفرعون أعني " وهم له

ناصحون) لفرعون لا لغيره فقال هامان دعوها فقد صدقت فأرسل إليها فلما جاءت أمه  
 وضعت الثدي في فمه فأخذ ثديها وسكن فذلك قوله تعالى \* (فرددناه إلى أمه كي تقر  
 عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق) \* يعني كائن صدق وهو قوله \* (إنا رادوه  
 إليك) \* ثم قال \* (ولكن أكثرهم لا يعلمون) \* بأن وعد الله حق يعني أهل مصر  
 قوله عز وجل \* (ولما بلغ أشده) \* قال مجاهد يعني بلغ ثلاثا وثلاثين سنة \* (واستوى)  
 \* يعني بلغ أربعين سنة قال وفي رواية الكلبي الأشد ما بين ثمانية عشر سنة إلى ثلاثين  
 سنة ويقال \* (ولما بلغ أشده) \* يعني منتهى قوته وهو ما فوق الثلاثين \* (واستوى) \*  
 يعني بلغ أربعين سنة \* (آتيناه حكما وعلما) \* يعني علما وعقلا  
 ويقال النبوة وعلم التوراة وروى مجاهد عن ابن عباس قال الأشد ثلاثا وثلاثون سنة  
 وأما الاستواء فأربعون سنة والعمر الذي أعذر الله تعالى ابن آدم فيه إلى ستين سنة يعني  
 قوله \* (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) \* [فاطر: ٣٧] ثم قال \* (وكذلك نجزي  
 المحسنين) \* يعني المؤمنين  
 سورة القصص ١٥ - ١٦  
 قوله عز وجل \* (ودخل المدينة) \* قال مقاتل يعني قرية على رأس فرسخين وقال غيره  
 يعني مصر \* (على حين غفلة من أهلها) \* يعني نصف النهار وقت القبولة ويقال ما  
 بين المغرب والعشاء \* (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) \* يعني من بني  
 إسرائيل \* (وهذا من عدوه) \* يعني من القبط  
 وقال القتيبي \* (هذا من شيعته) \* أي من أصحابه \* (وهذا من عدوه) \* أي من أعدائه  
 والعدو يدل على الواحد والجمع وذكر أن خباز فرعون أخذ رجلا من بني إسرائيل  
 سخرة فأمره بأن يحمل الحطب إلى دار فرعون \* (فاستغاثه الذي من شيعته) \* يعني  
 هذا الذي من شيعته موسى استغاث بموسى \* (على الذي من عدوه فوكزه موسى) \*  
 يعني ضربه بكفه ضربة في صدره وقال القتيبي \* (فوكزه) \* يعني لكزه ويقال لكزته  
 ووكزته إذا دفعته \* (فقضى عليه) \* يعني مات الخباز بضربته وكل شيء فرغت منه فقد  
 قضيته وقضيت عليه فمعنى قوله \* (فقضى عليه) \* أي قتله ولم يتعمد قتله وكان موسى  
 شديد البطش ثم ندم على قتله فقال إني لم أوامر بالقتل وإن كان كافرا \* (قال هذا من  
 عمل الشيطان) \* يعني هو الذي حملني على هذا الفعل \* (إنه عدو مضل مبين) \* يعني  
 يضل الخلق \* (مبين) \* يعني ظاهر العداوة

ثم استغفر إلى الله تعالى فقال عز وجل " فقال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له " يعني غفر الله عز وجل ذنبه \* (إنه هو الغفور) \* للذنوب لمن تاب \* (الرحيم) \*

بخلقه

سورة القصص ١٧ - ٢٢

ثم قال " قال " موسى \* (رب بما أنعمت علي) \* يعني بالمغفرة كقوله \* (فبما أغويتني) \* [الحجر: ٣٩] يعني أما إذا أغويتني ثم قال \* (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) \* يعني أعوذ بالله أن أكون معينا للكافرين لأن الإسرائيلي كان كافرا ولم يستثن على كلامه فابتلاه الله عز وجل في اليوم الثاني بمثل ذلك وكانوا لا يعرفون من قتل خباز الملك وكانوا يطلبون قاتله \* (فأصبح) \* موسى \* (في المدينة خائفا) \* أن يؤخذ فيقتل \* (يترقب) \* يعني ينتظر الطلب ويقال ينتظر الأخبار \* (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) \* يعني رأى الإسرائيلي كان يقاتل مع رجل آخر من القبط يستصرخه يعني يستغيثه كقوله \* (ما أنا بمصرخكم) \* [إبراهيم: ٢٢] يعني بمغيثكم \* (قال له موسى) \* يعني للإسرائيلي \* (إنك لغوي مبين) \* يعني ضال بين ويقال جاهل بين ويقال ظاهر الغواية وقد قتلت لك الأمس رجلا وتدعوني إلى لآخر ثم أقبل إليه فظن الذي من شيعته أنه يريد فذلك قوله تعالى \* (فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما) \* يعني يريد أن يضرب القبطي فظن الإسرائيلي أنه يريد بعدها عاينه قرأ أبو جعفر المدني \* (يبطش) \* بضم الطاء وقراءة العامة بالكسر ومعناها واحد فظن الإسرائيلي أن موسى يريد ضربه ف \* (قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس) \* وقال بعضهم كان ذلك إبليس تشبه بالرجل الإسرائيلي ليظهر أمر موسى وقال بعضهم كان ذلك الرجل بعينه فقال ذلك الرجل من الخوف \* (إن تريد) \* يعني ما تريد \* (إلا أن تكون جبارا في الأرض) \* يعني قتالا تقتل ظلما

قال الكلبي من قتل رجلين فهو جبار ويقال إن من سيرة الجبارة القتل بغير حق \* (وما تريد أن تكون من المصلحين) \* يعني المطيعين لله تعالى فلما قال الإسرائيلي هذا علم القبطي أن موسى هو قاتل القبطي فرجع القبطي فأخبرهم أن موسى هو القاتل فائتمروا بينهم بقتل موسى قال فأذن فرعون بقتله فجاءه حزبييل وهو مؤمن من آل فرعون وأخبر موسى بذلك

وهو قوله \* (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) \* يعني من وسط المدينة يمشي على  
رجليه ويقال يسرع ويشتد في مشيته ف \* (قال يا موسى إن الملاء) \* يعني الأشراف  
من أهل مصر \* (يأترون بك ليقتلوك) \* قال أبو عبيد يعني يتشاورون في أمرك وقال  
القتبي يعني يهمون بك ليقتلوك \* (فأخرج) \* من هذه المدينة \* (إني لك من  
الناصحين) \*

قوله عز وجل \* (فخرج منها) \* يعني من مصر \* (خائفا يترقب) \* يعني ينتظر الطلب \*  
(قال رب نجني من القوم الظالمين) \* يعني المشركين  
قوله تعالى \* (ولما توجه تلقاء مدين) \* يعني قصد بوجهه نحو مدين وذلك أن موسى  
عليه السلام حين خرج وتوجه نحو مدين وكان بينه وبين مدين ثمانية أيام كما بين  
الكوفة والبصرة ويقال \* (تلقاء مدين) \* يعني سلك الطريق الذي تلقاه مدين ويقال لما  
قال \* (رب نجني من القوم الظالمين) \* إستجاب الله تعالى دعاءه فجاءه جبريل عليه  
السلام وأمره بأن يسير تلقاء مدين فسار إلى مدين في عشرة أيام وهو قوله \* (قال عسى  
ربي أن يهديني سواء السبيل) \* يعني يرشدني قصد الطريق إلى مدين  
سورة القصص ٢٣ - ٢٥

قوله عز وجل \* (ولما ورد ماء مدين) \* وكان مدين بن إبراهيم عليهما السلام وكانت  
البيير تنسب إليه وكان ينسب الماء إليه وصار مدين اسم قبيلة \* (وجد عليه أمة من  
الناس يسقون) \* يعني وجد على الماء جماعة من الناس يسقون أنعامهم وأغنامهم ويقال  
هم أربعون رجلا ويقال عشرة رجال \* (ووجد من دونهم) \* يعني من دون الناس \*  
(امرأتين تزدودان) \* أي تطردان قال سعيد بن جبير يعني حابستان ويقال تحبسان  
غنمهما وقال القتبي \* (تزدودان) \* أي تكفان غنمهما وحذف الغنم اختصارا ويقال  
كانتا تحبسان الغنم لكيلا تختلط بغيرها ويقال تحبسان الغنم لتصدر مواشي الناس  
وتسقيان بفضل الماء ومما فضل من أغنام الناس وهما ابنتا شعيب عليه السلام \* (قال  
ما خطبكما) \* يعني قال لهما موسى ما شأنكما ترعيان الغنم مع الرجال وما بالكما لا  
تسقيان مع الناس \* (قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء) \* قرأ أبو عمرو وابن عامر \*  
(يصدر) \* بنصب الياء وضم الدال وقرأ الباقون \* (يصدر) \* بضم الياء وكسر الدال  
فمن قرأ بالنصب فهو من صدر يصدر إذا رجع من الماء ومعناه لا  
نسقي حتى يرجع



الرعاء عن الماء ونسقي بفضلهم لأننا لا نقدر أن نستقي وأن نزاحم الرجال وإذا صدروا سقينا من فضل مواشيتهم ومن قرأ \* (يصدر) \* بالضم فهو من أصدر يصدر والمعنى حتى يصدر الرعاة أغنامهم \* (وأبونا شيخ كبير) \* لم يقدر على الخروج وليس له عون يعينه غيرنا فرجع الرعاة ووضعوا صخرة على البئر فأنتهى موسى إلى البئر وقد أطبقت عليها الصخرة فاقتلعها ثم سقى لهما حتى أروتا أغنامهما

وقال في رواية الكلبي كان للبئر دلو يجتمع عليه أربعون رجلا حتى يخرجوه من البئر فأتى موسى أهل الماشية فسألهم أن يهيئوا له دلو من الماء فقالوا إن شئت أعطيناك الدلو على أن تسقي أنت فقال نعم فأخذ موسى عليه السلام الدلو فسقى بها وحده فصب في الحوض ثم قربتا غنمهما فشربت فذلك قوله عز وجل \* (فسقى لهما) \* يعني أغنامهما \* (ثم تولى إلى الظل) \* يعني تحول إلى ظل الشجرة \* (فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) \* أي لما أنزلت إلي من الطعام فأنا محتاج إلى ذلك وهو أنه كان جائعا فسأل ربه عز وجل ولم يسأل الناس ففطنت الجاريتان فلما رجعتا إلى أبيهما أخبرتا بالقصة فقال أبوهما هذا رجل جائع وقال لإحدهما إذهبي فادعيه فلما أتته عظمته وغطت وجهها وقالت إن أبي يدعوك فذلك قوله عز وجل \* (فجاءته إحدهما تمشي على استحياء) \* يعني على حياء لأنها كانت مقنعة ولم تك متبرجة ويقال \* (على استحياء) \* يعني على حياء واضعة يدها على وجهها ويقال \* (على استحياء) \* يعني مستترة بكم درعها قال فالوقف على \* (تمشي) \* إذا كان قولها على الحياء فأما إذا كان مشيها على الحياء فالوقف على \* (استحياء) \* والقول بالحياء أشبه من المشي بالحياء فكيف ما يقف يجوز بالمعنى فقالت \* (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) \* وكان بين موسى وبين أبيها ثلاثة أميال ويقال أقل من ذلك فتبعها فلم يجد بدا من أن يتبعها لأنه كان بين الجبال خائفا مستوحشا فلما تبعها هبت الريح فجعلت تصفق ثيابها وتظهر عجيزتها وجعل موسى عليه السلام يعرض مرة ويغض مرة فلما عيل صبره ناداها يا أمة الله كوني خلفي وأريني السميت بقولك يعني دليني الطريق فلما دخل على شعيب عليه السلام إذا هو بالعشاء مهياً فقال له شعيب إجلس يا شاب فتعش فقال له موسى أعوذ بالله فقال له شعيب لم لا تأكل أما أنت جائع فقال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئا من ديننا بملء الأرض ذهبا فقال لا يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي أنا نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فأكل وأخبره بقصة القتل والهرب فذلك قوله عز وجل \* (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) \* يعني خرجت من ولاية فرعون

ولا سلطان له في أرضنا وقال في رواية الكلبي كان هذا الرجل اسمه نبيرون ابن أخي شعيب وشعيب كان توفي قبل ذلك وقال عامة المفسرين إن هذا كان شعيبا  
سورة القصص ٢٦ - ٢٩

قوله عز وجل \* (قالت إحداهما يا أبت) \* يعني قالت إحدى الإبتين التي جاءت به وقال في رواية مقاتل هي الكبرى وقال في رواية الكلبي هي الصغرى \* (يا أبت استأجره) \* يعني استأجر موسى ليرعى لك الغنم \* (إن خير من استأجرت القوي الأمين) \* يعني خير الأجراء من يكون قويا في العمل أمينا على المال والعورة ثم قال إيش تعلمين أنه قوي أمين فأخبرته بالقصة قال الفقيه أبو الليث رحمه الله حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا أبو معاوية عن الحجاج عن الحكم قال كان شريح لا يفسر شيئا من القرآن إلا ثلاث آيات قوله \* (الذي بيده عقدة النكاح) \* [البقرة: ٢٣٧] قال أي الزوج وقوله \* (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) \* [ص: ٢٠] قال \* (الحكمة) \* الفقه والعلم \* (وفصل الخطاب) \* البينة والإيمان وقوله \* (إن خير من استأجرت القوي الأمين) \* قال كانت قوته أن يحمل صخرة لا يقوى عليها إلا عشرة رجال وكانت أماته أن ابنة شعيب كانت أمامه فوصفتها له الريح فقال لها تأخري ووصفي لي الطريق " قال " شعيب لموسى عليهما السلام \* (إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانين حجاج) \* يعني أزوجك إحدى ابنتي على أن ترعى غنمي ثمان سنين وهذا الحكم في هذه الأمة جائز أيضا لو تزوج الرجل المرأة على أن يرعى غنمها كذا وكذا سنة أو يرعى غنم أبيها يجوز النكاح ويكون ذلك مهرا لها \* (فإن أتممت عشرا) \* يعني عشر سنين \* (فمن عندك) \* يعني فإن أتممت عشر سنين فبفضلك وليس بواجب \* (وما أريد أن أشق عليك) \* في السنين يعني أنت بالخيار في ذلك ويقال بأن أشرط عليك العشر \* (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) \* أي من الوافين بالعهد وقال مقاتل يعني من الوافين بك كقوله \* (اخلفني في قومي وأصلح) \* [الأعراف: ١٤٢] يعني إرفق بهم " قال " موسى " ذلك بيني وبينك

أيما الأجلين قضيت) يعني أتممت لك إما الثماني وإما العشر \* (فلا عدوان علي) \* أي لا سبيل لك علي ويقال لا ظلم علي بأن أطالب بأكثر منه فإن قيل كيف تجوز الإجازة بهذا الشرط على أحد الأجلين بغير وقت معلوم قيل له العقد قد وقع على الثماني وهو قوله \* (أن تأجرني ثماني حجج) \* وإنما خيره في الزيادة والإجازة بهذا الشرط في الشريعة جائزة أيضا ثم قال \* (والله على ما نقول وكيل) \* يعني شهيد فيما بيننا ويقال شاهد على ما نقول وعلى عقدنا

وذكر مقاتل أن رجلا من الأزدي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما الأجلين قضى موسى قال الله أعلم حتى أسأل جبريل عليه السلام فأتاه جبريل فسأله فقال الله أعلم سأسأل إسرئيل عليه السلام فسأله فقال حتى أسأل رب العزة فأوحى الله تعالى إلى إسرئيل عليه السلام أن قد قضى موسى أبرهما وأوفاهما

وروي عن ابن عباس أنه قال قضى موسى أتم الأجلين وقد كان شرطه له أن ما ولدت في ذلك العام ولدا أبلق فهو له فولدت في ذلك العام كلها بلقا فأخذ الغنم البلق وقيل مثل هذا الشرط في شريعتنا غير واجب إلا أن الوعد من الأنبياء عليهم السلام واجب فوفاه بوعده فلما أراد أن يخرج قال لشعيب عليه السلام يا شيخ أعطني عصا أسوق بها غنمي فقال لابنته إلتمسي له عصا فجاءت بعصا شعيب عليه السلام فقال شعيب عليه السلام ردي هذه وكانت تلك العصا أودعها إياه ملك في صورة إنسان وكانت من عود آس الجنة فردتها والتمست غيرها فلم يقع في يدها غيرها فأعطته فخرج مع أهله فضل الطريق وكانت ليلة باردة مظلمة فذلك قوله تعالى " فلما قضى الأجل وسار بأهله " يعني بامرأته \* (آنس) \* يعني أبصر \* (من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا) \* يعني قفوا مكانكم \* (إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر) \* أي خبر الطريق \* (أو جذوة من النار) \* قرأ عاصم \* (جذوة) \* بنصب الجيم وقرأ حمزة \* (جذوة) \* بضم الجيم وقرأ الباقون \* (جذوة) \* بالكسر فهذه لغات معناها واحد يعني قطعة من النار ويقال شعلة وهو عود قد احترق بعضه \* (لعلكم تصطلون) \* أي لكي تصطلوا من البرد فترك امرأته في البرية وذهب

سورة القصص ٣٠ - ٣٢

\* (فلما أتاهما) \* يعني النار " نودي من شاطئ الواد الأيمن " يعني من جانب الوادي الأيمن عن يمين موسى عليه السلام \* (في البقعة المباركة) \* يعني من الموضع المبارك الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام \* (من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين) \* يعني الذي يناديك رب العالمين

قوله عز وجل \* (وأن ألق عصاك) \* يعني ونودي بأن ألق عصاك \* (فلما رآها تهتز كأنها جان ولي مدبرا ولم يعقب) \* وقد ذكرناه قال الله عز وجل \* (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين) \* يعني من الحية يعني قد آمنت أن ينالك منها مكروه \* (اسلك يدك) \* أي أدخل يدك \* (في جيبيك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب) \* يعني يدك

قال بعضهم هذا ينصرف إلى قوله \* (ولم يعقب) \* من الرهب يعني لم يلتفت من الخوف ويقال كان خائفا فأمره بأن يضم يده إلى صدره ففعل حتى سكن عن قلبه الرعب

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو \* (من الرهب) \* بنصب الراء والهاء وقرأ عاصم في رواية حفص بنصب الراء وجزم الهاء والباقون بضم الراء وجزم الهاء ومعنى ذلك كله واحد وهو الخوف وقال بعضهم هو الكدر

ثم قال \* (فذانك برهانان من ربك) \* يعني اليد والعصا آيتان وعلامتان من ربك وحجتان لبوتك قرأ ابن كثير وأبو عمرو \* (فذانك) \* بتشديد النون وقرأ الباقون بالتخفيف وهم لغتان وهو الإشارة إلى شيئين يقال للواحد ذلك وذاك وللاثنتين ذانك وذايك \* (إلى فرعون وملئه) \* ومعناه أرسلناك إلى فرعون بهاتين الآيتين \* (إنهم كانوا قوما فاسقين) \* يعني عاصين

سورة القصص ٣٣ - ٣٥

" قال " موسى \* (رب إني قتلت منهم نفسا فأحاف أن يقتلون) \* به \* (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا) \* يعني أبين مني لسانا وكانت في لسان موسى عقدة من النار التي أدخلها فاه \* (فأرسله معي ردءا) \* أي عونا \* (يصدقني) \* يعني لكي يصدقني ويعبر عن كلامي قرأ نافع \* (ردا) \* بغير همز وقرأ الباقون بالهمز فمن قرأ بالهمز فهو الأصل ومن قرأ بغير همز فإنما ألقى فتحة الهمزة على الدال ولين الهمزة وقرأ عاصم وحمزة \* (يصدقني) \* بضم القاف وقرأ

الباقون بالحزم فمن قرأ بالحزم جعله جواب الأمر ومن قرأ بالضم جعله صفة رداء أي رداء مصدقا

ثم قال \* (إني أخاف أن يكذبون) \* أي فرعون وآله " قال " الله تعالى \* (سنشد عضدك بأخيك) \* أي نقويك بأخيك \* (ونجعل لكما سلطانا) \* يعني حجة ثانية وهي اليد والعصا \* (فلا يصلون) \* بسوء إليكما \* (أنتما ومن اتبعكما) \* يعني من آمن بكما \* (الغالبون) \* في الحجة

سورة القصص ٣٦ - ٣٨

قوله عز وجل \* (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) \* يعني جاء إلى فرعون وقومه بعلاماتنا وذكر في رواية مقاتل أن فرعون لم يأذن لهما إلى سنة أن يدخل عليه وقال في رواية السدي وغيره أنه لما جاء إلى الباب لم يأذن له البواب فضرب عصاه على باب فرعون ضربة ففزع من ذلك فرعون وجلساؤه فدعا البواب وسأله فأخبره أن بالبواب رجلا يقول أنا رسول رب العالمين فأذن له فدخل فأدى الرسالة وأراهم العلامة فقالوا هذا سحر فذلك قوله عز وجل \* (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى) \* يعني ما هذا إلا كذب مختلق يعني الذي جئت به ما هو إلا سحر قد إختلقته من ذات نفسك \* (وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) \*

قوله عز وجل \* (وقال موسى) \* قرأ ابن كثير \* (قال موسى) \* بغير واو وقرأ الباقرن بالواو فمن قرأ بالواو فهو عطف جملة على جملة ومن قرأ بغير واو فهو استئناف \* (قال موسى) \* \* (ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) \* يعني أنا جئت بالهدى من عند الله \* (ومن تكون له عاقبة الدار) \* يعني هو أعلم بمن تكون له عاقبة الجنة أو النار ويقال بمن يكون له عاقبة الأمر والدولة وقرأ حمزة والكسائي " ومن يكون " بلفظ التذكير وقرأ الباقرن \* (تكون) \* بلفظ التأنيث

ثم قال \* (إنه لا يفلح الظالمون) \* يعني لا يأمن الكافرون من عذابه \* (وقال فرعون) \* لأهل مصر \* (يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري) \* فلا تطيعوا موسى وهذه إحدى كلمتيه التي أخذها الله بهما والأخرى \* (فقال أنا ربكم الأعلى) \* [النازعات:

[٢٤

ثم قال \* (فأوقد لي يا هامان على الطين) \* يعني أوقد النار على اللبن حتى يصير آجرا قال مقاتل وكان فرعون أول من طبخ الآجر وبنى به \* (فاجعل لي صرحا) \* أي قصرا طويلا

مشرفاً وهو المنارة \* (لعلني أطلع إلى إله موسى) \* يعني أنظر إليه وأقف عليه فبنى الصرح وكان بلاطه خبث القوارير وكان الرجل لا يستطيع القيام عليه من طوله مخافة أن تنسفه الرياح وكان طوله في السماء خمسة آلاف ذراع وعرضه ثلاثة آلاف ذراع فلما فرغ من بنائه جاء جبريل عليه السلام فضرب جناحه على الصرح فهدمه وقال \* (وإني لأظنه) \* يعني أحسب موسى \* (من الكاذبين) \* بما يقول أن في السماء إليها سورة القصص ٣٩ - ٤٢

قوله عز وجل \* (واستكبر هو وجنوده في الأرض) \* يعني إستكبر فرعون عن الإيمان هو وقومه \* (بغير الحق) \* يعني بغير حجة \* (وظنوا أنهم) \* يعني وحسبوا أنهم \* (إلينا لا يرجعون) \* بعد الموت قرأ نافع وحزمة والكسائي \* (لا يرجعون) \* بنصب الياء وكسر الجيم على فعل لازم وقرأ الباقر بنضم الياء نصب الجيم يعني لا يردون بمعنى التعدي

يقول الله تعالى \* (فأخذناه وجنوده) \* يعني عاقبناه وجنوده \* (فنبذناهم في اليم) \* يعني أغرقناهم في البحر وقال مقاتل في النيل \* (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) \* يعني المشركين

قوله عز وجل \* (وجعلناهم أئمة) \* يعني خذلناهم حتى صاروا قادة ورؤساء للضلال والجهال \* (يدعون إلى النار) \* يعني إلى عمل أهل النار ويقال إلى الضلالة التي عاقبتها النار \* (ويوم القيامة لا ينصرون) \* يعني لا يمنعون من عذابي \* (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) \* عقوبة عقوبة وهي الغرق \* (ويوم القيامة هم من المقبوحين) \* أي من المهلكين والعرب تقول قبحة الله أي أهلكه الله ويقال \* (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) \* وذلك أنهم لما أهلكوا لعنوا فهم يعرضون على النار غدوة وعشية إلى يوم القيامة ويوم القيامة \* (هم من المقبوحين) \* يعني من الممقوتين المهلكين ويقال \* (من المقبوحين) \* يعني من المعذبين ويقال إنه يقبح صورتهم ويقال \* (من المقبوحين) \* يعني من المشوهين

سورة القصص ٤٣ - ٤٥

قوله عز وجل \* (ولقد آتينا موسى الكتاب) \* يعني أعطيناها التوراة \* (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) \* بالعذاب يعني من بعد قوم نوح وعاد وشمود \* (بصائر للناس) \* يعني هلاكهم بصيرة للناس وعبرة ويقال \* (بصائر) \* يعني الكتاب بيانا لبني إسرائيل ومعناه " ولقد آتينا موسى الكتاب بصائر " أي مبينا للناس \* (وهدى) \* من الضلالة لمن عمل به \* (ورحمة) \* لمن آمن به من العذاب \* (لعلهم يتذكرون) \* أي لكي يتعظوا فيؤمنوا بتوحيد الله تعالى

قوله عز وجل \* (وما كنت بجانب الغربي) \* يعني ما كنت يا محمد بناحية الجبل من قبل المغرب \* (إذ قضينا إلى موسى الأمر) \* يعني إذ عهدنا إليه بالرسالة ويقال أحكمنا معه وعهدنا إليه بأمرنا ونهينا \* (وما كنت من الشاهدين) \* يعني الحاضرين لذلك الأمر \* (ولكننا أنشأنا قرونا) \* يعني أحدثنا وخلقنا أمما \* (فتناول عليهم العمر) \* يعني الأجل فنسوا عهد الله عز وجل وتركوا أمره

وقال \* (وما كنت ثاويا) \* يعني مقيما \* (في أهل مدين) \* \* (تتلو عليهم آياتنا) \* يعني تتلو على أهل مكة القرآن يعني أن الله تعالى أعلمك أخبار الأمم الماضية من حديث موسى وشعيب عليهما السلام ليكون علامة لنبوتك حيث تخبرهم بخبر موسى ولم تكن حاضرا هناك ولم تكن تقرأ القرآن \* (ولكننا كنا مرسلين) \* إليك لتخبرهم بخبر أهل مدين وبخبر موسى عليه السلام ويقال \* (ولكننا كنا مرسلين) \* يعني أرسلناك رسولا وأنزلنا عليك هذه الأخبار لتخبرهم ولولا ذلك لما علمتها  
سورة القصص ٤٦ - ٤٧

قوله عز وجل \* (وما كنت بجانب الطور) \* يعني بناحية الجبل الذي كلم الله تعالى به موسى يعني عن يمين موسى ولولا ذلك \* (إذ نادينا) \* يعني كلمنا موسى ويقال \* (إذ نادينا) \* يعني أمتك وذلك أن الله تعالى لما وصف لموسى نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأحب موسى أن يراهم قال الله تعالى لموسى إنك لن تراهم وإن شئت أسمعك كلامهم فأسمعه الله تعالى كلامهم وقال أبو هريرة رضي الله عنه معنى قوله \* (إذ نادينا) \* يعني نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني واستجبت لكم قبل أن تدعوني

وروى الأعمش عن ابن مردك عن أبي زرعة قال رفع الحديث في قوله \* (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) \* قال نودي يا أمة محمد قد أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتم قبل أن تسألوني وعن عمرو بن شعيب قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله \* (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) \* ما كان النداء وما كانت الرحمة قال كتاب كتبه الله تعالى قبل أن يخلق خلقه بألفي

عام وستمائة عام على ورقة آس ثم وضعه على عرشه ثم نادى يا أمة محمد سبقت  
رحمتي غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني فمن لقيني  
منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أدخلته الجنة  
ثم قال \* (ولكن رحمة من ربك) \* يعني القرآن نعمة من ربك حيث إختصت به  
نصب \* (رحمة) \* لأن معناه فعلنا ذلك للرحمة كقوله فعلت ذلك ابتغاء الخير يعني  
لإبتغاء الخير ثم قال \* (لتنذر قوما ما أتاهم) \* يعني لم يأتهم \* (من نذير من قبلك) \*  
يعني لم يأتهم رسول من قبلك وهم أهل مكة \* (لعلهم يتذكرون) \* يعني لكي يتعظوا  
قوله عز وجل \* (ولولا أن تصيبهم مصيبة) \* يعني عقوبة ونقمة وفي الآية تقديم ومعناها  
لولا أن يقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لعذبوا في  
الدنيا ولأصابتهم مصيبة \* (بما قدمت أيديهم) \* وهذا هو قول مقاتل ويقال معناه لولا  
أن يصيبهم عذاب \* (فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من  
المؤمنين) \* لعذبوا في الدنيا فيكون جوابه مضمرا ويقال معناه لو أنني أهلكتهم قبل  
إرسالتي إليك لقالوا يوم القيامة \* (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك) \* يقول  
لولا ذلك لم نحتج إلى إرسال الرسل فأرسلناك لكي لا يكون لهم حجة علي  
سورة القصص ٤٨ - ٥٠

ثم قال عز وجل \* (فلما جاءهم الحق من عندنا) \* يعني الكتاب أو الرسل \* (قالوا لولا  
أوتي مثل ما أوتي موسى) \* من قبل يعني هلا أعطي محمد صلى الله عليه  
وسلم القرآن جملة واحدة كما أعطي موسى التوراة جملة  
يقول الله تعالى " أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل " يعني بالتوراة فقد كفروا  
بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد صلى الله عليه وسلم \* (قالوا سحران تظاهرا) \*  
يعني تعاونا وذلك أن أهل مكة سألوا اليهود عنه فأخبروهم أنهم يجدون في كتبهم نعتة  
وصفته فأمرهم بأن يسألوه عن أشياء فلما أجابهم قالوا " سحران تظاهرا " \* (وقالوا  
إنا بكل كافرون) \* يعني جاحدين قرأ حمزة والكسائي وعاصم \* (سحران) \* بغير ألف  
عنوا محمدا وموسى عليهما السلام ويقال التوراة والفرقان ويقال التوراة والإنجيل وقرأ  
الباقون بالألف \* (سحران) \* عنوا محمدا



وموسى عليهما السلام وقال سعيد بن جبير يعني موسى وهارون عليهما السلام ويقال موسى وعيسى عليهما السلام وأحتج من يقرأ بغير ألف بما في سياق الآية \* (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه) \* وأحتج من قرأ بالألف بقوله تعالى \* (تظاهرا) \* تعاوننا والتظاهر يكون بالناس يقول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم قل لهم فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه يعني من التوراة والقرآن أتبعه أي أعمل به \* (إن كنتم صادقين) \* بأنهما كانا ساحرين \* (فإن لم يستجيبوا لك) \* يعني إن لم يجيبوك إلى الإتيان بالكتاب \* (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) \* بعبادة الأوثان ويقال يؤثرون أهواءهم على الدين \* (ومن أضل) \* يعني ومن أضر بنفسه \* (ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) \* يعني بغير بيان من الله \* (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) \* يريد كفار مكة يعني لا يرشدكم إلى دينه

سورة القصص ٥١ - ٥٥

قوله \* (ولقد وصلنا لهم القول) \* يعني بينا لكفار مكة لهم في القرآن من خبر الأمم الماضية كيف عذبوا \* (لعلهم يتذكرون) \* لكي يخافوا فيؤمنوا بما في القرآن ويقال \* (ولقد وصلنا لهم القول) \* يعني أرسلنا لهم الكتب بعضها ببعض يعني بعثنا بعضها على إثر بعض ويقال \* (ولقد وصلنا) \* أي أوصلنا لهم القول يعني أنزلنا لهم القرآن آية بعد آية هداية \* (لعلهم يتذكرون) \* يعني لكي يتعظوا ثم وصف مؤمني أهل الكتاب فقال \* (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) \* يعني من قبل القرآن " هم به مؤمنون " يعني مؤمني أهل الكتاب وهم أربعون رجلا من أهل الإنجيل كانوا مسلمين قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم اثنان وثلاثون من أهل أرض الحبشة قدموا مع جعفر الطيار وثمانية من أهل الشام ويقال إنهم ثمانية عشر رجلا \* (وإذا يتلى عليهم) \* يعني القرآن \* (قالوا آمنا به) \* أي صدقنا \* (إنه الحق من ربنا) \* يعني القرآن وذلك أنهم عرفوا بما ذكر في كتبهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وكتابه فقالوا \* (إنا كنا من قبله مسلمين) \* يعني من قبل هذا القرآن ومن قبل محمد صلى الله عليه وسلم كنا مخلصين

قوله عز وجل \* (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) \* يعني يعطون ثوابهم ضعفين مرة إيمانهم بكتابهم ومرة بإيمانهم بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم \* (بما صبروا) \* يعني بصبرهم على ما أودوا ويقال بصبرهم على دينهم الأول وبصبرهم على أذى المشركين فصدقوا وثبتوا على

إيمانهم حيث قال لهم أبو جهل وأصحابه ما رأينا أحدا أجهل منكم تركتم دينكم وأخذتم دينه فقالوا ما لنا لا نؤمن بالله فذلك قوله عز وجل "ويدرؤون بالحسنة السيئة" يعني يدفعون قول المشركين بالمعروف ويقال يدفعون الشرك بالإيمان ويقال يدفعون بالكلام الحسن الكلام القبيح ويقال يدفعون ما تقدم لهم من السيئات بما يعملون من الحسنات \* (ومما رزقناهم ينفقون) \* يعني يتصدقون

قوله عز وجل \* (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) \* يعني إذا سمعوا الشتم والأذى والقبيح لم يردوا عليهم ولم يكافئوهم به ولم يلتفتوا إليه يعني إذا شتمهم الكفار لم يشتغلوا بمعارضتهم بالشتيم \* (وقالوا لنا أعمالنا) \* يعني ديننا \* (ولكم أعمالكم) \* يعني دينكم \* (سلام عليكم) \* يعني ردوا معروفا عليهم ليس هذا تسليم التحية وإنما هو تسليم المتاركة والمسالمة أي بيننا وبينكم المتاركة والمسالمة وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال ويقال "السلام عليكم" يعني أكرمكم الله تعالى بالإسلام \* (لا نبتغي الجاهلين) \* أي لا نطلب دين الخاسرين ولا نصحبهم ويقال هذه الآية مدنية نزلت في شأن عبد الله بن سلام

وروى أسباط عن السدي قال لما أسلم عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقال يا رسول الله ابعث إلى قومي فاسألهم عني فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ستر بينهم وبينه سترًا وقال أخبروني عن عبد الله بن سلام كيف هو فيكم قالوا ذاك سيدنا وأعلمنا قال أرأيتم إن آمن بي وصدقني أتؤمنون بي وتصدقوني قالوا هو أفقه من أن يدع دينه ويتبعك قال أرأيتم إن فعل قالوا لا يفعل قال أرأيتم إن فعل قالوا إنه لا يفعل ولو فعل إذا نفعل فقال عليه السلام أخرج يا عبد الله فخرج فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فوقعوا فيه وشتموه وقالوا ما فينا أحد أقل علما ولا أجهل منك قال ألم تثنوا عليه أنفا قالوا إنا إستحينا أن نقول إغتبتم صاحبكم فجعلوا يشتمونه وهو يقول \* (سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) \* فقال ابن يامين وكان من رؤساء بني إسرائيل أشهد أن عبد الله بن سلام صادق فابسط يدك يا محمد فبسط يده فبايع ابن يامين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل \* (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) \* إلى قوله \* (ومما رزقناهم ينفقون) \* وإلى قوله \* (لا نبتغي الجاهلين) \*

سورة القصص ٥٦ - ٥٧

قوله عز وجل \* (إنك لا تهدي من أحببت) \* يعني لا ترشد من أحببته إلى الهدى ويقال من أحببت هدايته إلى دينك وذلك أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أمية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عماه قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله تعالى فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزلوا به يكلمانه ويكلمه النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات على الكفر فنزل \* (إنك لا تهدي من أحببت) \* بهدايته \* (ولكن الله يهدي من يشاء) \* يعني يرشد من يشاء إلى دينه \* (وهو أعلم بالمهتدين) \* يعني بمن قدر له الهدى قوله عز وجل \* (وقالوا) \* يعني مشركي مكة \* (إن نتبع الهدى معك) \* يعني الإيمان بك \* (نتخطف من أرضنا) \* يعني نسبي ونخرج من مكة لإجماع العرب على خلافنا وهذا قول الحارث بن عامر النوفلي حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما كذبت كذبة قط فنتهمك اليوم ولكن متى ما نؤمن بك تختلسنا العرب من أرضنا يقول الله تعالى " أولم نمكن لهم حرماً آمناً " يعني أولم ننزلهم مكة حرماً آمناً يعني كان الحرم آمناً لهم في الجاهلية من الغارة والسبي وهم يعبدون غيري فكيف يخافون إن أسلموا أن لا يكون الحرم آمناً لهم فذلك قوله " أولم نمكن لهم " يعني أولم ننزلهم مكة حرماً آمناً من الغارة والسبي \* (يجبى إليه) \* بالتاء يعني يحمل إليه " ثمرات كل شيء " أي من ألوان الثمرات مؤنثة قرأ نافع " تجبى " بالتاء لأن الثمرات مؤنثة وقرأ الباقون بالياء لتقديم الفعل ثم قال \* (رزقا من لدنا) \* يعني من عندنا \* (ولكن أكثرهم لا يعلمون) \* يأكلون رزقي ويعبدون غيري وهم آمنون في الحرم ويقال لا يعلمون أن ذلك من فضل الله عليهم

سورة القصص ٥٨ - ٦٠

ثم خوفهم فقال \* (وكم أهلكننا من قرية) \* فيما مضى \* (بطرت معيشتها) \* يعني كفرت برزق ربها ذكر القرية وأراد به أهل القرية يعني أنهم كانوا يتقلبون في رزق الله تعالى فلم يشكروه في نعمته ويقال \* (بطرت معيشتها) \* يعني طغوا في نعمة الله فأهلكهم الله تعالى بالعذاب في الدنيا ويقال عاشوا في البطر وكفران النعم \* (فتلك مساكنهم) \* يعني أنظروا واعتبروا في بيوتهم وديارهم بقيت خالية \* (لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً) \* وهم المسافرون ينزلون بها يوماً أو ساعة \* (وكننا نحن الوارثين) \* يعني نرث الأرض ومن عليها

قوله عز وجل \* (وما كان ربك مهلك القرى) \* يعني لم يعذب أهل القرى \* (حتى يبعث في أمها رسولا) \* يعني في معظمها ويقال في أكبر قراها ويقال أم القرى مكة قرأ حمزة والكسائي \* (في أمها) \* بكسر الألف وقرأ الباقون \* (أمها) \* بالضم ومعناها واحد يبعث في أمها رسولا \* (يتلو عليهم آياتنا) \* يعني القرآن \* (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) \* يعني لم نهلكها إلا بظلم أهلها ثم قال عز وجل " وما أوتيتم من شيء " يعني ما أعطيتم من مال ويقال ما أعطيتم من الدنيا فهو \* (فمتاع الحياة الدنيا) \* يعني فهو متاع الحياة الدنيا يعني ينتفعون بها أيام حياتهم \* (وزينتها) \* يعني وزهراتها ولا تبقى دائما \* (وما عند الله) \* من الثواب والجنة \* (خير وأبقى) \* يعني أفضل وأدوم لأهله مما أعطيتم في الدنيا \* (أفلا تعقلون) \* أن الباقي خير من الفاني قرأ عمرو \* (يعقلون) \* بالياء على معنى الخبر عنهم وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة

سورة القصص ٦١ - ٦٦

قوله عز وجل \* (أفمن وعدناه وعدا حسنا) \* يعني الجنة \* (فهو لاقية) \* يعني مدركه ومصيبه \* (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) \* بالمال \* (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) \* في النار هل يستوي حالهما قال في رواية الكلبي نزل في عمار بن ياسر وأبي جهل بن هشام وقال غيره هذا في جميع المؤمنين وجميع الكافرين ويقال نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل يعني من كان له في هذه الدنيا شدة مع دين الله خير ممن كان له سعة وفرج مع الشرك \* (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) \* يعني من المعذبين في النار

وقال عز وجل \* (ويوم يناديهم) \* يعني واذكر يوم يدعوهم يعني المشركين \* (فيقول أين شركائي الذين) \* يعني المشركين \* (كنتم تزعمون) \* في الدنيا أنهم شركائي \* (قال الذين حق عليهم القول) \* وجبت عليهم الحجة فوجب عليهم العذاب ويقال وجب عليهم القول وهو قوله \* (لأملأن جهنم) \* [الأعراف: ١٨] \* (ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم) \* يعني القادة يقولون ربنا هؤلاء الذين أضللنا يعني السفلة أغويناهم \* (كما غوينا) \* أي أضللناهم كما كنا ضالين ويقال يقول الكافرون \* (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) \* يعني الشياطين فقالت الشياطين أغويناهم يعني أضللناهم كما غوينا أي أضللنا \* (تبرأنا إليك) \* من عبادتهم " ما كانوا إيانا

يعبدون) يعني ما كانوا يأمرونا بعبادة الآلهة \* (وقيل) \* للكفار " ادعوا شركائكم " يعني آلهتكم التي تعبدون من دون الله \* (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) \* يقول الله عز وجل \* (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) \* يعني يودون لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا ويقال يودون أن لم يكونوا اتبعوهم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم أي لم يجيبوهم بحجة تنفعهم فيودون أنهم لم يعبدوهم لما رأوا العذاب ثم قال عز وجل \* (ويوم يناديهم) \* يعني يسألهم يوم القيامة \* (فيقول ماذا أجبتم المرسلين) \* في التوحيد \* (فعميت عليهم الأنباء) \* يعني ألبست عليهم الحجج \* (يومئذ) \* من الهول \* (فهم لا يتساءلون) \* يعني لا يسأل بعضهم بعضا عما يحتجون به رجاء أن يكون عنده من الحججة ما لم يكن عند غيره لأن الله تعالى أدحض حججهم وفي الدنيا إذا إشتبهت عليه الحججة ربما يسأل عن غيره فيلقنه الحججة وفي الآخرة آيس من ذلك

سورة القصص ٦٧ - ٧٥

ثم قال عز وجل \* (فأما من تاب وآمن) \* يعني من الشرك \* (وعمل صالحا) \* فيما بينه وبين الله تعالى \* (فعسى أن يكون من المفلحين) \* أي من الناجين الفائزين بالخير قوله عز وجل \* (وربك يخلق ما يشاء ويختار) \* وذلك أن الوليد بن المغيرة كان يقول \* (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) \* [الزخرف: ٣١] يعني به نفسه وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف فقال تعالى \* (وربك يخلق ما يشاء ويختار) \* للرسالة من يشاء \* (ما كان لهم الخيرة) \* يعني ليس الخيار إليهم ويقال هو ربك يخلق ما يشاء ويختار لهم ما يشاء \* (ما كان لهم الخيرة) \* أي ما كان لهم طلب الخيار والأفضل ويقال ما كان لبعضهم على بعض فضل والله تعالى هو الذي يختار وقال الزجاج الوقف على قوله \* (ويختار) \* والمعنى

وربك يخلق ما يشاء ويختار ثم قال \* (ما كان لهم الخيرة) \* أي لم يكن لهم أبداً أن يختاروا على الله ويكون ما للنفي قال ووجه آخر أن تكون بمعنى الذي يعني وربك يخلق ما يشاء ويختار الذي لهم الخيرة أن يدعوهم إليه من عبادته ما لهم فيه الخيرة ويقال ما كان لهم الخيرة يعني ليس لهم أن يختاروا على الله عز وجل وليس إليهم الاختيار والمعنى لا نرسل الرسل إليهم على اختيارهم

ثم قال \* (سبحان الله) \* أي تنزيهاً لله \* (وتعالى عما يشركون) \* يعني ما تضرر وتسرقلوبهم \* (وما يعلنون) \* من القول \* (وهو الله لا إله إلا هو) \* يعني لا خالق ولا رازق غيره \* (له الحمد في الأولى والآخرة) \* أي في الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني يحمد أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الجنة ويقال له الألوهية في الدنيا والآخرة وله الحكم يعني نفاذ الحكم والقضاء يحكم في الدنيا والآخرة بما يشاء \* (وإليه ترجعون) \* في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم

قوله عز وجل \* (قل أرأيتم إن جعل الله) \* يعني ألا تنظرون إلى نعمة الله تعالى في خلق الليل والنهار لمصلحة الخلق فلو جعل \* (عليكم الليل سرمداً) \* أي دائماً \* (إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون) \* المواعظ وتعتبرون بها قوله عز وجل \* (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة) \* يعني دائماً \* (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) \* يعني تقرون وتستريحون فيه \* (أفلا تبصرون) \* من يفعل ذلك بكم لأن العيش لا يصلح إلا بالليل والنهار فأخبر عن صنعه لمصلحة الخلق ليشكروه ويوحدوه ويعبدوه فقال \* (ومن رحمته) \* أي ومن نعمته وفضله \* (جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) \* يعني في الليل وجعل لكم النهار \* (ولتبتغوا من فضله) \* يعني لتطلبوا من رزقه في النهار \* (ولعلكم تشكرون) \* أي تشكرون رب هذه النعمة

ثم قال عز وجل \* (ويوم يناديهم) \* يعني أنذرهم بذلك اليوم ويقال معناه أذكر ذلك اليوم الذي يناديهم يعني يدعوهم \* (فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) \* أنها لي شريك \* (ونزعنا من كل أمة شهيداً) \* يعني أخرجنا من كل أمة نبياً ورسولاً \* (شهيداً) \* بالرسالة والبلاغ \* (فقلنا) \* للمشركين \* (هاتوا برهانكم) \* يعني حججتكم بأن معي شريكاً فلم يكن لهم حجة \* (فعلموا أن الحق لله) \* يعني أن عبادة الله هي الحق ويقال علموا أن التوحيد لله ويقال إن الحق ما دعا إليه الله وأتاهم به الرسول \* (وضل عنهم ما كانوا يفترون) \* يعني اشتغل عنهم بأنفسهم " ما كانوا يفتدون " يعني يكذبون في الدنيا يعني الأصنام ويقال الشياطين ويقال \* (وضل عنهم ما كانوا يفترون) \* يعني لم ينتفعوا بما عبده من دون الله

(617)

قوله عز وجل \* (إن قارون كان من قوم موسى) \* يعني من بني إسرائيل ويقال كان ابن عم موسى \* (فبغى عليهم) \* يعني تطاول وتكبر على بني إسرائيل وكان فرعون قد ملكه على بني إسرائيل حين كانوا بمصر فلما قطع موسى البحر ببني إسرائيل ومعه قارون وأغرق الله تعالى فرعون وجنوده ورجع موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى أرض مصر وسكنوا ديارهم كما قال في رواية أخرى \* (وأورثناها بني إسرائيل) \* [الشعراء: ٥٩] وجعلت الحبورة لهارون وهو الرأس الذي يقرب القربان فقال قارون لموسى لك النبوة ولهارون الحبورة والمذبح وأنا لست في ذلك من شيء فقال له موسى أنا لم أفعل ذلك ولكن الله تعالى فعل ذلك فقال له قارون لا أصدقك على هذا واعتزل قارون ومن تبعه من بني إسرائيل وكان كثير المال والتبع وروي عن الحسن أنه قال إن أول من شرف الشرف قارون لما بنى داره وفرغ منها وشرفها وصنع للناس طعاما سبعة أيام يجمعهم كل يوم ويطعمهم وروي عن ابن عباس أنه قال لما أمر الله تعالى موسى بالزكاة قال لقارون إن الله تعالى أمرني أن آخذ من مالك الزكاة فأعط من كل مائتي درهم خمسة دراهم فلم يرض بذلك ثم قال له أعط من كل مائتي درهم درهما فلم يرض بذلك فقال له أعط من كل ألف درهم درهما فلم يرض بذلك وقال لبني إسرائيل إن موسى لم يرض حتى تناول أموالكم فما ترون قالوا رأينا لرأيك تبع قال فإني أرى أن ترموه فتهلكوه فبعثوا إلى امرأة زانية فأعطوه حكما على أن ترميه بنفسها ثم أتوه في جماعة من بني إسرائيل فقالوا يا موسى ما على من يسرق من الحرز قال تقطع يده قالوا وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قالوا وما على الزاني إذا زنى قال يرحم قالوا وإن كنت أنت قال وأنت كنت أنا قالوا فأنت قد زנית قال أنا وجزع من ذلك فأرسلوا إلى المرأة فلما جاءت وعظها وعظم عليها موسى الحلف بالله وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت قالت أما إذا حلفتني فإني أشهد أنك بريء وإنك رسول الله وقالت أرسلوا إلي فأعطوني حكما على أن أرميك بنفسي قال فخر موسى عليه السلام لله ساجدا يبكي فأوحى الله تعالى



إليه ما يبكيك قد أمرت الأرض أن تطيعك فأمرها بما شئت فقال موسى خذهم فأخذتهم

وفي رواية الحسن خرج موسى عليه السلام مغضبا فدعا الله عز وجل وقال عبدك قارون الذي عبد غيرك وجحدك فأوحى الله تعالى إلى موسى إني قد أمرت الأرض بأن تطيعك فجاء موسى حتى دخل إلى قارون حين اجتمع الناس في داره فقال يا عدو الله كذبتني في كلام له غيظ حتى غضب قارون وأقبل عليه بكلام شديد وهم به فلما رأى موسى ذلك قال يا أرض خذهم قال وكان قارون على فرش على سرير مرتفع في السماء فأخذت الأرض أقدامهم وغاب سريره ومجلسه وقد دخل من الدار في الأرض مثل ما أخذت منهم على قدرها فأقبل موسى يوبخهم ويغلظ لهم المقالة فلما رأى القوم ما نزل بهم عرفوا أن هذا الأمر ليس لهم به قوة فنادوا يا موسى إرحمنا وكف عنا وجعلوا يتضرعون إليه ويطلبون رضاه وهو لا يزداد إلا غضبا وتوبيخا لهم ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى ركبهم فجعلوا يتضرعون إليه ويسألونه وهو يوبخهم ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى أوساطهم وكانت الأرض تأخذ من الدار كل مرة مثل ما تأخذ منهم وهم يتضرعون في ذلك إلى موسى ويسألونه ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى آباطهم فمدوا أيديهم إلى وجه الأرض رجاء أن يمتنعوا بها ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى أعناقهم فلم يبق على وجه الأرض منهم شيء إلا رؤوسهم ولم يبق من الدار إلا شرفها وقال قارون يا موسى أنشدك بالله وبالرحم فقال يا أرض خذهم فاستوت الأرض عليهم وعلى الدار فانطلق موسى وهو فرح بذلك فأوحى الله تعالى إليه يا موسى يتضرع إليك عبادي ودعوك وسألوك فلم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو أنهم دعوني واستغاثوا بي لرحمتهم ولكن تركوا أن يجعلوا رغبتهم ورجاءهم إلي وجعلوها إليك فتركتهم فذلك قوله تعالى \* (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) \* يعني تناول على بني إسرائيل وعلى موسى \* (وآتيناه من الكنوز) \* يعني من المال \* (ما إن مفاتحه) \* يعني خزائنه \* (لتنوء بالعصبة) \* قال مقاتل العصبة من العشرة إلى الأربعين فإذا كانوا أربعين فهم أولو قوة يقول لتعجز العصبة أولو القوة عن حمل مفاتيح الخزائن وقال أهل اللغة ناء به الحمل إذا أثقله وقال القتيبي تنوء بالعصبة أي تميل بها العصبة إذا حملتها من ثقلها وقال ابن عباس في رواية أبي صالح العصبة في هذا الموضع أربعون رجلا وخزائنه كانت أربعمائة ألف يحمل كل رجل عشرة آلاف ويقال \* (مفاتحه) \* يعني مفاتيح خزائنه يحملها أربعون رجلا ويقال أربعون بغلا وروى وكيع عن الأعمش عن خيثمة قال كان مفاتيح كنوز قارون من جلد كل مفتاح مثل الإصبع كل مفتاح على خزانة على حدة فإذا ركب حمل المفاتيح على ستين بغلا كل



بغل أغر محجل \* (إذ قال له قومه) \* يعني بني إسرائيل \* (لا تفرح) \* يعني لا تفخر بما أوتيت من الأموال ويقال لا تفرح بكثرة المال \* (إن الله لا يحب الفرحين) \* يعني المرحين المفاخرين ويقال البطرين ويقال \* (لا تفرح) \* أي لا تأشر والأشر أشد الفرح الذي يخالطه حرص شديد حتى يبطر يعني يطغى وقالوا له \* (وابتغ فيما آتاك الله) \* يعني أطلب مما أعطاك الله تعالى من الأموال والخير \* (الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) \* يعني لا تترك حظك من الدنيا أن تعمل لآخرتك \* (وأحسن) \* العطية من الصدقة والخير \* (كما أحسن الله إليك) \* يعني أعط الناس كما أعطاك الله ويقال أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك \* (ولا تبغ الفساد في الأرض) \* يعني أنفقه في طاعة الله تعالى ولا تنفقه في معصية الله تعالى \* (إن الله لا يحب المفسدين) \* المنفقين في المعصية وقوله \* (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) \* أي لا تضيع عمرك فإنه نصيبك من الدنيا " قال " قارون \* (إنما أوتيته على علم عندي) \* قال مقاتل يعني على خير علمه الله عندي وقال في رواية الكلبي يعني علم التوراة وكان قارون أقرأ رجل في بني إسرائيل بالتوراة فأعطيت ذلك لفضل علمي وكنت بذلك العلم مستحقا لفضل المال ويقال \* (على علم عندي) \* يعني علم الكيمياء وكان يعمل كيمياء الذهب وقال الزجاج الطريق الأول أشبه لأن الكيمياء لا حقيقة لها يقول الله تعالى \* (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) \* من الأموال منهم نمروود وغيره \* (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) \* يعني لا يسأل الكافرون عن ذنوبهم لأن كل كافر يعرف بسيماه وهذا قول الكلبي وقال مقاتل لا يسأل مجرمو هذه الأمة عن ذنوب الأمم الخالية وقيل لا يسأل الكافرون يوم القيامة عن ذنوبهم سؤال النجاة بل يسألون سؤال العذاب والمناقشة

سورة القصص ٧٩ - ٨٢

قوله عز وجل \* (فخرج على قومه) \* يعني خرج قارون على بني إسرائيل \* (في زينته) \*

قال مقاتل وهو على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه أرجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلاثمائة جارية بيض عليهن من الحلل والثياب الحمر على البغال الشهب وقال قتادة خرج معه أربعة آلاف دابة عليها ثياب حمر منها ألف بغلة بيضاء عليها قطائف أرجوان وقال في رواية الكلبي خرج على ثلاثمائة دابة بيضاء عليها أنواع من الكساء وعليها ثلاثمائة قطيفة حمراء عليها جوارى وغللمان \* (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) \* وكانوا من أهل التوحيد \* (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون) \* يعني مثل ما أعطي من الأموال قارون \* (إنه لذو حظ عظيم) \* يقول ذو نصيب وافر في الدنيا

قوله عز وجل \* (وقال الذين أوتوا العلم) \* يعني أكرموا بالعلم بما وعد الله تعالى في الآخرة للذين تمنوا ذلك \* (ويلكم ثواب الله) \* يعني ويحكم ثواب الآخرة \* (خير) \* يعني أفضل \* (لمن آمن) \* يعني صدق بتوحيد الله تعالى \* (وعمل صالحا) \* فيما بينه وبين الله تعالى مما أعطي قارون في الدنيا \* (ولا يلقاها) \* يعني ولا يوفق ولا يرزق في الجنة \* (إلا الصابرون) \* في الدنيا على أمر الله تعالى ويقال \* (ولا يلقاها) \* يعني لا يعطى الأعمال الصالحة إلا الصابرون على الطاعات وعن زينة الدنيا ويقال \* (ولا يلقاها) \* يعني ولا يلحق ولا يلقن ولا يوفق لهذه الكلمة إلا الصابرون عن زينة الدنيا يقول الله تعالى \* (فخسفنا به) \* يعني قارون \* (وبداره الأرض) \* يعني بقارون وبقاره وأمواله فهو يتجلى في الأرض كل يوم قائمة رجل إلى يوم القيامة \* (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله) \* يعني لم يكن له جند وأعوان يمنعونه من عذاب الله عز وجل \* (وما كان من المنتصرين) \* يعني وما كان قارون من الممتنعين مما نزل به من عذاب الله

قوله عز وجل \* (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) \* حين رأوه في زينته وقالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون \* (يقولون ويكأن الله) \* قال القنبي قد اختلف في هذه اللفظة فقال الكسائي معناها ألم تر \* (أن الله يبسط) \* \* (ويكأنه) \* يعني ألم تر أنه لا يفلح الكافرون

روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنه قال \* (ويكأن الله) \* يعني أو لا يعلم أن الله \* (يبسط) \* وهذا شاهد لقول الكسائي وذكر الخليل بن أحمد أنها مفصلة وي ثم يتدئ فيقول كأن الله وقال ابن عباس في رواية أبي صالح كان الله يبسط " الرزق لمن يشاء " كأنه لا يفلح الكافرون وقال وي صلة في الكلام وهذا شاهد لقول الخليل وقال الزجاج الذي قاله الخليل أجود وهو أن قوله وي مفصلة من كان لأن من ندم على شيء يقول وي كما تعاتب الرجل على ما سلف تقول وي كأنك قصدت مكروهي وقال مقاتل معناه ولكن \* (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) \* يعني يوسعه على من يشاء من عباده " ويقدر " يعني يقتر ويقال ويضيق على من يشاء " لولا أن الله من علينا " يعني لولا أن من الله علينا لكننا مثل قارون في العذاب " الخسف بنا " معهم

ويقال \* (لولا أن من الله علينا) \* يعني عصمنا مثل ما

(٦٢١)

كان عليه من البطر والبغي \* (لخسف بنا) \* كما خسف به قال قرأ عاصم في رواية حفص بنصب الخاء وكسر السين يعني " لخسف الله بنا " وقرأ الباقون بضم الخاء وكسر السين على فعل ما لم يسم فاعله \* (ويكأنه) \* يعني ولكنه \* (لا يفلح الكافرون) \* الجاحدون للنعم

سورة القصص ٨٣ - ٨٥

قوله عز وجل \* (تلك الدار الآخرة) \* يعني الجنة \* (نجعلها للذين) \* يعني نعطيتها للذين \* (لا يريدون علوا في الأرض) \* يعني تعظيما وتكبيرا وتجبرا فيها عن الإيمان \* (ولا فسادا) \* في الأرض يعني لا يريدون المعاصي في الدنيا وروى وكيع عن سفيان عن مسلم البطين \* (لا يريدون علوا في الأرض) \* يعني التكبر بغير حق \* (ولا فسادا) \* قال أخذ المال بغير حق ويقال العلو الخطرات في القلب والفساد فعل الأعضاء \* (والعاقبة للمتقين) \* يعني الجنة للذين يتقون الشرك والمعاصي ويقال عاقبة الأمر وما يستقر عليه للمتقين الموحدين ويقال والعاقبة المحمودة للمتقين قوله عز وجل \* (من جاء بالحسنة) \* يعني بكلمة الإخلاص وهي قول لا إله إلا الله \* (فله خير منها) \* وقد ذكرناه \* (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى) \* يعني لا يثاب \* (الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) \* يعني يصيبهم بأعمالهم قوله عز وجل \* (إن الذي فرض عليك القرآن) \* يعني أنزل عليك القرآن ويقال أمرك بالعمل بما في القرآن \* (لرادك إلى معاد) \* وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الموت وقال السدي \* (إلى معاد) \* يعني الجنة وهكذا روي عن مجاهد وروى عن عكرمة عن ابن عباس قال يعني إلى مكة وقال القتيبي معاد الرجل بلده لأنه يتصرف في البلاد وينصرف في الأرض ثم يعود إلى بلده والعرب تقول رد فلان إلى معاده يعني إلى بلده وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة إلى المدينة أغتم لمفارقتة مكة لأنها مولده وموطنه ومنشأه وبها عشيرته واستوحش فأخبر الله تعالى في طريقه أنه سيرده إلى مكة وبشره بالظهور والغلبة ثم قال تعالى \* (قل ربي أعلم من جاء بالهدى) \* يعني بالرسالة والقرآن وذلك حين قالوا له إنك في ضلال مبين فنزل \* (قل ربي أعلم من جاء بالهدى) \* يعني فأنا الذي جئت بالهدى وهو أعلم بمن هو في ضلال مبين نحن أو أنتم

ثم قال عز وجل \* (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب) \* يعني أن ينزل عليك القرآن \* (إلا رحمة من ربك) \* يعني إلا كان الكتاب رحمة من ربك ويقال في الآية تقديم ومعناه أن الذي فرض عليك القرآن يعني جعلك نبيا ينزل عليك القرآن وما كنت ترجو قبل ذلك أن تكون نبيا بوحى إليك لرادك إلى معاد إلى مكة ظاهرا قاهرا ويقال \* (إلا رحمة من ربك) \* يعني لكن دين ربك رحمة واختارك لنبوته وأنزل عليك الوحي ثم قال \* (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) \* يعني عوننا للكافرين حين دعوه إلى دين آباءه ثم قال عز وجل \* (ولا يصدنك عن آيات الله) \* يعني لا يصرفنك عن القرآن والتوحيد \* (بعد إذ أنزلت إليك) \* يعني بعد ما أنزل إليك جبريل عليه السلام بالقرآن \* (وادع إلى ربك) \* يعني أذع الخلق إلى توحيد ربك \* (ولا تكونن من المشركين) \* يعني لا تكونن مع المشركين على دينهم قوله عز وجل \* (ولا تدع مع الله إلها آخر) \* أي لا تعبد غير الله

ثم وحد الرب نفسه فقال \* (لا إله إلا هو) \* يعني لا خالق ولا رازق غيره " كل شيء هالك إلا وجهه " يعني كل عمل هالك لا ثواب له إلا ما يراد به وجه الله عز وجل ويقال كل شيء متغير إلا ملكه فإن ملكه لا يتغير ولا يزول إلى غيره أبدا \* (له الحكم) \* يعني له القضاء وله نفاذ الحكم يحكم ما يريد \* (وإليه ترجعون) \* يعني إليه المرجع في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذبه ولم يبق ملك في السماوات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا في قوله " كل شيء هالك إلا وجهه " \* (له الحكم وإليه ترجعون) \* صدق الله جل ربنا وهو أصدق الصادقين وصدق رسله قوله صدق ووعدته حق والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله

سورة العنكبوت مكية وهي ستون وتسع آيات مكية

سورة العنكبوت ١ - ٣

قوله سبحانه وتعالى \* (ألم أحسب الناس) \* يعني أظن الناس \* (أن يتركوا) \* يعني أن يمهلوا \* (أن يقولوا آمنا) \* أي صدقنا \* (وهم لا يفتنون) \* يعني لا يبتلون قال في رواية الكلبي لما نزلت هذه الآية \* (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من) \* [الأنعام: ٦٥] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما بقاء أمتي على هذا فقال له جبريل عليه السلام فادع الله لأمتك فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم سأل ربه عز وجل أن لا يبعث عليهم العذاب قال فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله عز وجل قد أجاز أمتك من خصلتين وألزمهم خصلتين فعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم صلى فأحسن الصلاة ثم سأل ربه عز وجل لأمته أن لا يلبسهم شيئا ولا يذيق بعضهم بأس بعض فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد قد سمع الله عز وجل مقاتلتك فإنه يقول ولقد أرسلنا رسلا من قبلك فصدقهم مصدقون وكذبهم مكذبون ثم لم يمنعنا أن نبتليهم بعد قبض أنبيائهم ببلاء يعرف فيه الصادق من الكاذب ثم نزل قوله عز وجل \* (ألم أحسب الناس أن يتركوا) \* أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون " الآية

قال مقاتل نزلت في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول قتيل قتل من المسلمين يوم بدر وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع أبواه وامراته وقد كان الله بين للمسلمين أنه لا بد لهم من البلاء والمشقة في ذات الله عز وجل فنزل " ألم أحسب الناس أن يتركوا "

وقال بعضهم لما أصيب المسلمون يوم أحد وكانت الكرة عليهم فعيروهم اليهود والنصارى والمشركون فشق ذلك على المسلمين فنزلت هذه الآية ويقال نزلت في عياش بن أبي ربيعة وفي نفر معه أخذهم المشركون وعذبوهم على الإسلام فنزلت هذه الآية ويقال نزلت في جميع المسلمين ومعناه " أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا " ثم لا يفرض عليهم الفرائض وقال الزجاج هذا اللفظ لفظ الاستخبار والمعنى به تقرير وتوبيخ



يعني أحسب الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا آمنة فقط ولا يختبروا ويقال أن لا يعذبوا في الدنيا  
ثم قال عز وجل \* (ولقد فتنا الذين من قبلهم) \* يعني اختبرنا الذين كانوا من قبل هذه الأمة وابتليناهم ببلايا \* (فليعلمن الله الذين صدقوا) \* يعني إنما يتليهم لبيّن الذين صدقوا من المؤمنين في إيمانهم \* (وليعلمن الكاذبين) \* منهم فشكوا عند البلاء ويقال معناه لبيّن صدق الصادق وكذب الكاذب بوقوع صدقه ووقوع كذبه وقال القتيبي يعني ليميزن الله الذين صدقوا ويميز الكاذبين

سورة العنكبوت ٤ - ٨

ثم قال \* (أم حسب الذين يعملون السيئات) \* يعني الشرك والمعاصي \* (أن يسبقونا) \* يعني أن يفوتونا ويقال يعجزونا ويقال يهربوا منا فلا نجازيهم \* (ساء ما يحكمون) \* يعني بئس ما يقضون لأنفسهم قال الكلبي نزلت في عتبة وشيبة والوليد بن عتبة بارزوا يوم بدر فبارزهم من المسلمين علي وحمة وعبيدة بن الحارث فنزل في شأن مبارزي المسلمين \* (من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت) \* يعني الآخرة لكائن \* (وهو السميع العليم) \* \* (السميع) \* لمقاتلهم \* (العليم) \* بهم وبأعمالهم وقوله عز وجل \* (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) \* يعني علي بن أبي طالب وصاحبيه رضي الله عنهم \* (إن الله لغني عن العالمين) \* يعني عن نصرته العالمين يوم بدر ويقال نزلت في جميع المسلمين \* (من كان يرجو لقاء الله) \* أي يخاف الآخرة ويقال كائن \* (وهو السميع) \* لدعائهم \* (العليم) \* بأمر الخلق \* (ومن جاهد) \* يعني عمل الخيرات فإنما يجاهد لنفسه يعني ثوابه لنفسه \* (إن الله لغني عن العالمين) \* يعني عن أعمالهم فإنما ثوابهم لأنفسهم ثم قال عز وجل \* (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم) \* أي لنمحون عنهم \* (سيئاتهم) \* يعني ذنوبهم \* (ولنجزيهم) \* يعني لنثيبهم أحسن الذي كانوا يعملون \* يعني أفضل من أعمالهم ويقال \* (لنجزيهم) \* بأحسن أعمالهم الذي كانوا يعملون في الدنيا

قوله عز وجل \* (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا) \* يعني ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن يعني برا بهما وقال الكلبي نزلت الآية في سعد بن أبي وقاص لما أسلم قالت له أمه يا سعد بلغني أنك صبوت إلى دين محمد فوالله لا يظلني سقف بيت وأن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وترجع إلى دينك الذي كنت عليه فأبى عليها ذلك فثبتت على حالها لا تطعم ولا تشرب ولا تسكن بيتا فلما خلص إليها الجوع لم تجد بدا من أن تأكل وتشرب فحث عز وجل الله سعدا بالبر إلى أمه ونهاه أن يطيعها على الشرك فقال \* (وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم) \* أي ما ليس لك به حجة يعني الشرك \* (فلا تطعهما) \* في الشرك ثم حذره ليثبت على الإسلام فقال \* (إلي مرجعكم) \* يعني مصيركم في الآخرة \* (فأنبئكم بما كنتم تعملون) \* يعني أخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من خير أو شر وأثيبكم على ذلك

سورة العنكبوت ٩ - ١١

ثم قال عز وجل \* (والذين آمنوا) \* يعني أقروا وصدقوا بوحدانية الله تعالى وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم \* (وعملوا الصالحات) \* وعملوا الطاعات فيما بينهم وبين ربهم \* (لندخلنهم في الصالحين) \* أي مع الأنبياء والرسل عليهم السلام في الجنة ويقال \* (لندخلنهم) \* في جملة الصالحين ونحشرهم مع الصالحين قوله عز وجل \* (ومن الناس من يقول آمنا بالله) \* نزلت في عياش بن أبي ربيعة هاجر إلى المدينة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليها فجزعت أمه جزعا شديدا فقالت لأخويه أبي جهل بن هشام والحارث بن هشام وهما أخواه لأمه وأبناء عمه فخرجوا في طلبه فظفروا به وقالوا له إن بر الوالدة واجب عليك فعليك أن ترجع فتبرها فإنها حلفت أن لا تأكل ولا تشرب وأنت أحب الأولاد إليها فلم يزالوا به حتى تابعهم فجاؤوا به إلى أمه فعمدت أمه فقيدهت وقالت والله لا أحلك من وثاقتك حتى تكفر بمحمد وضربوه حتى رجع إلى دينهم فنزل \* (ومن الناس من يقول آمنا بالله) \* \* (فإذا أوذى في الله) \* يعني عذب في دين الله عز وجل \* (جعل فتنة الناس) \* يعني عذاب إخوته في الدنيا \* (كعذاب الله) \* في الآخرة ويقال نزلت في قوم من المسلمين أخذوهم إلى مكة وعذبوهم حتى ارتدوا فنزل \* (من الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) \* يعني جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله فينبغي

للمسلم أن يصبر على أذاه في الله وصارت الآية تنبيهها لجميع المسلمين ليصبروا على ما أصابهم في الله عز وجل

ثم قال \* (ولئن جاء نصر من ربك) \* يعني لو يجيء نصر من الله عز وجل بظهور الإسلام والغلبة على العدو بمكة وغيرها \* (ليقولن إنا كنا معكم) \* أي على دينكم " أوليس الله بأعلم " يعني أوليس الله عليم \* (بما في صدور العالمين) \* من التصديق والتكذيب \* (أعلم) \* بمعنى عليم يعني هو عليم بما في قلوب الخلق ويقال معناه هو أعلم بما في صدورهم منهم أي بما في صدور أنفسهم قوله عز وجل \* (وليعلمن الله الذين آمنوا) \* يعني ليميزن الله الذين ثبتوا على الإسلام \* (وليعلمن المنافقين) \* يعني ليميزن المنافقين الذين لم يكن إيمانهم حقيقة سورة العنكبوت ١٢ - ١٥

قوله عز وجل \* (وقال الذين كفروا) \* أي جحدوا وأنكروا \* (للذين آمنوا) \* وذلك أن أبا سفيان بن حرب وأمّية بن خلف وعتبة بن شيبه قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وخباب بن الأرت وأناس آخريّن من المسلمين \* (اتبعوا سبيلنا) \* يعني ديننا الذي نحن عليه وأكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه \* (ولنحمل خطاياكم) \* يعني نحن الكفلاء لكم بكل تبعه من الله عز وجل تصيبكم وأهل مكة شهداء علينا يقول الله عز وجل " وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء " يعني لا يقدرّون أن يحملوا خطاياهم يعني وبال خطاياهم عنهم ولا يدفعون عنهم لأنهم لو استطاعوا أن يدفعوا لدفعوا عن أنفسهم \* (وإنهم لكاذبون) \* في مقاتلتهم

ثم قال عز وجل \* (وليحملن أثقالهم) \* يعني أوزار أنفسهم يكون في عنقهم \* (وأثقالا مع أثقالهم) \* يعني يحملون أوزار الذين يضلّونهم من غير أن ينقص من أوزار العاملين من شيء وهذا كقوله عز وجل \* (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم) \* [النحل: ٢٥] وهذا كما روي في الخبر من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ثم قال \* (وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) \* يعني عما يقولون من الكذب

قوله \* (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) \* يدعوهم إلى الإسلام ويحذرهم وينذرهم فأبوا أن يحييوه فكذبوه \* (فأخذهم الطوفان) \* يعني الغرق " وهم

ظالمون) وقال القتبي الطوفان المطر الشديد وكذلك الموت إذا كثر وقال مقاتل الطوفان يعني ما طغى فوق كل شيء وقال بعض أهل اللغة هذا الإشتقاق غير صحيح لأنه لو كان هذا لقال طغوان لأنه يقال طغى يطغو وقال بعضهم هذا علي وجه القلب كما يقال جذب وجذب ويقال أصله من الطوف يعني سأل وطاف في الأرض وقال الزجاج الطوفان من كل شيء ما كان كثيرا كالقتل الذريع الكثير يسمى طوفانا ثم قال عز وجل \* (فأنجيناه) \* يعني نوحا عليه السلام \* (وأصحاب السفينة) \* من الغرق \* (وجعلناها آية للعالمين) \* يعني جعلنا السفينة عبرة لمن بعدهم وقد بقيت السفينة على الجودي إلى وقت قريب من وقت خروج النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك علامة وعبرة لمن رآها ولمن لم يرها لأن الخبر قد بلغه ويقال رسم السفينة التي بقيت بين الخلق وقت نوح وتجري في البحر علامة للعالمين

سورة العنكبوت ١٦ - ١٨

قوله عز وجل \* (وإبراهيم) \* يعني وأرسلنا إبراهيم عظما على قوله \* (ولقد أرسلنا نوحا) \* ويقال معناه واذكر إبراهيم \* (إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) \* يعني وحدوا الله عز وجل \* (واتقوه) \* يعني إخشوه ولا تعصوه \* (ذلكم خير لكم) \* يعني التوحيد وعبادة الله عز وجل خير من عبادة الأوثان \* (إن كنتم تعلمون) \* قوله عز وجل \* (إنما تعبدون من دون الله أوثانا) \* يعني أصناما \* (وتخلقون إفكا) \* يعني تعملونها بأيديكم ثم تقولون إنها آلهة ويقال تتخذونها آلهة كذبا ثم قال \* (إن الذين تعبدون من دون الله) \* وهي الأصنام \* (لا يملكون لكم رزقا) \* يعني لا يقدرون أن يعطوكم مالا ولا يقدرون أن يرزقوكم ثم قال \* (فابتغوا عند الله الرزق) \* يعني الله عز وجل هو الذي يملك رزقكم فاطلبوا الرزق من الله عز وجل \* (واعبدوه واشكروا له) \* أي وحدوه واشكروا له في النعم فإن مصيركم إليه و \* (إليه ترجعون) \* بعد الممات قال الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم قل لأهل مكة \* (وإن تكذبوا) \* بما أخبرتكم من قصة نوح وإبراهيم عليهما السلام \* (فقد كذب أمم من قبلكم) \* يعني كذبوا رسلهم \* (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) \* يعني إلا أن يبلغ الرسالة ويبين أمر العذاب ويقال إلا أن يبلغ الرسالة ويبين مراد الرسالة

سورة العنكبوت ١٩ - ٢٢

ثم قال الله عز وجل " أو لم يروا " قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر " أو لم تروا " بالتاء على معنى المخاطبة يعني قل لهم يا محمد " أو لم تروا " وقرأ الباقون بالياء ومعناه يا محمد أو لم يروا هؤلاء الكفار \* (كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده) \*  
يعني يخلقهم في الابتداء ولم يكونوا شيئاً ثم يعيدهم كما خلقهم \* (ان ذلك على الله يسير) \* يعني إن الذي بدأ الخلق يقدر أن يعيده وهو عليه هين

قوله عز وجل \* (قل سيروا في الأرض) \* يعني سافروا في الأرض يعني لتعتبروا في أمر البعث ويقال \* (سيروا في الأرض) \* يعني إقرؤوا القرآن \* (فانظروا) \* يعني فاعتبروا \* (كيف بدأ الخلق) \* يعني كيف خلق الخلق \* (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) \* يعني يحييهم بعد الموت للبعث " إن الله على كل شيء قدير " من أمر البعث وغيره  
ثم قال عز وجل \* (يعذب من يشاء) \* يعني يخذل من يشاء ولا يهدي من لم يكن أهلاً لذلك " ويرحم من يشاء " فيهديه إن كان أهلاً كذلك " وإليه تqlبون " يعني ترجعون إليه في الآخرة

قوله عز وجل " وما أنتم بمعجزين في الأرض " يعني لا تهربون منه ولا تفوتونه \* (ولا في السماء) \* يعني إن كنتم في الأرض ولا في السماء لا يقدر أن يهربوا منه \* (وما لكم من دون الله) \* يعني من عذاب الله \* (من ولي) \* يعني من قريب ينفعكم \* (ولا نصير) \* يعني ولا مانع يمنعكم من عذاب الله عز وجل

سورة العنكبوت ٢٣ - ٢٥

ثم قال عز وجل " والذين كفروا بآيات الله " يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن \* (ولقائه) \* يعني كفروا بالبعث بعد الموت " أولئك يئسوا من رحمتي " يعني من جنتي " وأولئك لهم عذاب أليم " في الآخرة

ثم رجع إلى قصة إبراهيم حيث قال لقومه \* (اعبدوا الله واتقوه) \* " فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار " وفي الآية مضمرة ومعناه فقتلوه في النار فأنجاه الله من النار فلم تحرقه وجعلها بردا وسلاما \* (إن في ذلك) \* أي فيما أنجاه الله من النار بعدما قذفوه فيها \* (آيات) \* يعني لعبرات \* (لقوم يؤمنون) \* يعني يصدقون بتوحيد الله تعالى

فقال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام " وقال إنما اتخذتم من دون الله " يعني إنما عبدتم من دون الله \* (أوثانا) \* يعني أصناما " مودة بينكم " على عبادة أصنامكم قرأ نافع وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر \* (مودة) \* بنصب الهاء مع التنوين \* (بينكم) \* بنصب النون يعني اتخذتم أوثانا آلهة مودة بينكم على عبادتها صار نصبا لوقوع الفعل عليها وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص " مودة بينكم " بنصب الهاء بغير تنوين \* (بينكم) \* بكسر النون على معنى الإضافة وقرأ الباقون \* (مودة) \* بالضم \* (بينكم) \* بالكسر

وروي عن الفراء أنه قال إنما صار المودة رفعا بالصفة بقوله عز وجل \* (في الحياة الدنيا) \* وينقطع الكلام عند قوله " إنما اتخذتم من دون الله أوثانا " ثم بين ضرر مودتهم في الحياة الدنيا فقال تعالى " ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض " يعني ليس مودتكم تلك الأصنام بشيء لأن المودة بينكم في الحياة الدنيا تنقطع " ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض " يعني الأصنام من العابد والشياطين ممن عبدها ويقال يعني الأتباع والقادة تبرأ القادة من الأتباع " ويلعن بعضكم بعضا " يعني الأتباع يلعن القادة والعابد يلعن المعبود " ومأواكم النار " يعني مصيركم إلى النار " وما لكم من ناصرين " يعني مانعين من عذاب الله عز وجل

سورة العنكبوت ٢٦ - ٣٠

قوله عز وجل " فأمن له لوط " يعني صدق لوطا إبراهيم عليهما السلام على الهجرة ويقال صدقه بالنبوة حين لم تحرقه النار " وقال " إبراهيم " إنني مهاجر إلى ربي " يعني إلى رضاء ربي وطاعة ربي ويقال إلى أرض من أرض ربي فهجر قومه الكافرين وخرج إلى الأرض المقدسة ومعه سارة ثم قال " إنه هو العزيز " في ملكه \* (الحكيم) \* في أمره ويقال

حكيم حكم أن من لم يقدر في بلدة على طاعة الله عز وجل فليخرج إلى بلدة أخرى قوله عز وجل \* (ووهبنا له إسحاق ويعقوب) \* يعني لما هاجر إلى طاعة الله عز وجل أكرمه الله في الدنيا وأعطاه ذرية طيبة وهو ولده إسحاق وولد ولده يعقوب عليهم السلام ووهب له أربعة أولاد إسحاق من سارة وإسماعيل من هاجر ومدين ومدائين من غيرهما " وجعلنا في ذريته " يعني من ذرية إبراهيم " النبوة والكتاب " يعني أكرم الله عز وجل ذريته بالنبوة وأعطاهم الصحف ويقال أخرج من ذريته ألف نبي عليهم السلام \* (والكتاب) \* يعني الزبور والتوراة والإنجيل والفرقان " وآتيناه أجره في الدنيا " يعني أعطيناه في الدنيا الثناء الحسن \* (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) \* يعني مع النبيين في الجنة

قوله عز وجل \* (ولوطا) \* يعني وأرسلنا لوطا " إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة " قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص \* (إنكم) \* على معنى الخبر وقرأ أبو عمرو \* (أئنكم) \* بالمد على معنى الاستفهام " لتأتون الفاحشة " يعني المعصية \* (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) \* ثم قال \* (أئنكم لتأتون الرجال) \* واتفقوا في هذا الحرف على لفظ الاستفهام واختلفوا في الأول فقرأ الذين سميناهم على وجه الإخبار عنهم إنكم تفعلون وتكون على وجه التعبير وقرأ الباقيون الأول على وجه الاستفهام فيكون اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى فيه التوبيخ والتقريع

ثم قال " وتقطعون السبيل " يعني تعترضون الطريق لمن مر بكم بعملكم الخبيث ويقال " وتقطعون السبيل " يعني تأخذون أموالهم كانوا يفعلون ذلك لكيلا يدخلوا في بلدهم ويتناولوا من ثمارهم ويقال " تقطعون السبيل " يعني النسل " وتأتون في ناديكم المنكر " يعني تعملون في مجالسكم المنكر وقال بعضهم يعني به اللواط كانوا يفعلون ذلك في المجالس بالعلانية ويقال أراد به المعاصي وهي الرمي بالبندق والصفير والحذف ومضغ العلك وحل إزار القباء واللعب بالحمام وشرب الخمر وضرب العود والمزامير وغير ذلك من المعاصي وروت أم هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله " وتأتون في ناديكم المنكر " قال كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم " فما كان جواب قومه إلا أن قالوا إئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين " بالعذاب وإن العذاب نازل بنا \* (قال رب انصرني) \* يعني أعني " على القوم المفسدين " يعني المشركين سورة العنكبوت ٣١ - ٣٥

قوله عز وجل " ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى " يعني بالبشارة بالولد " قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية " يعني قريات لوط " إن أهلها كانوا ظالمين " يعني كافرين " قال " إبراهيم " إن فيها لوطا " يعني أتهلكهم وفيهم لوط \* (قالوا) \* يعني قال جبريل عليه السلام " نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين " يعني من الباقيين في الهلاك " ولما أن جاءت رسلنا لوطا سئ بهم " يعني ساء مجيئهم " وضاق بهم ذرعا " يعني أغتم بقدمهم فلا يدري أي أمرهم بالخروج أم بالنزول ويقال ضاق بهم القلب \* (وقالوا لا تخف) \* علينا \* (ولا تحزن) \* من العذاب \* (إنا منجوك وأهلك) \* قرأ حمزة والكسائي " لننجينه " و \* (إنا منجوك) \* كلاهما بالتخفيف وقرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم كلاهما بالتشديد وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم الأول بالتشديد والثاني بالتخفيف ومعناهما واحد ويقال أنجيته ونجيته بمعنى واحد \* (إلا امرأتك كانت من الغابرين) \*

ثم قال عز وجل " إما منزلون على أهل هذه القرية " قرأ ابن عامر وعاصم في إحدى الروايتين \* (منزلون) \* بالتشديد وقرأ الباقر بالتخفيف ومعناهما واحد يعني أنزلنا ونزلنا \* (رجزا من السماء) \* هي الحجارة \* (بما كانوا يفسقون) \* يعني يعصون الله عز وجل

قوله عز وجل \* (ولقد تركنا منها) \* يعني من قريات لوط \* (آية بينة) \* يعني علامة ظاهرة واضحة يعني هلاكهم علامة ظاهرة ويقال قرياتهم علامة ظاهرة \* (لقوم يعقلون) \* يعني لمن كان له ذهن الإنسانية " ولقد تركن منها آية " يعني الحجارة التي أنزلها الله تعالى من السماء على كل واحد منها اسم صاحبها

سورة العنكبوت ٣٦ - ٣٧

قوله تعالى \* (وإلى مدين) \* يعني وأرسلنا إلى مدين \* (أخاهم شعيبا) \* يعني نبيهم شعيبا \* (فقال يا قوم اعبدوا الله) \* يعني وحدوا الله وأطيعوه \* (وارجوا اليوم الآخر) \* يعني خافوا يوم



القيامة لأنه آخر الأيام ويقال يوم الموت وهو آخر أعمارهم \* (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) \* يعني لا تعملوا في الأرض بالمعاصي في نقصان الكيل والوزن \* (فكذبوه) \* يعني أوعدهم بالعذاب على نقصان الكيل والوزن فكذبوه \* (فأخذتهم الرجفة) \* يعني العذاب ويقال الزلزلة وأصله الحركة \* (فأصبحوا في دارهم) \* يعني صاروا في دارهم يعني في محلتهم \* (جاثمين) \* يعني ميتين ويقال خامدين فصاروا كالرماد ويقال جثم بعضهم على بعض بالموت وقال مقاتل شبه أرواحهم في أجسادهم وهم أحياء بالنار إذا إتقدت ثم طفئت فبينما هم أحياء إذ صاح بهم جبريل عليه السلام فصعقوا أمواتا أجمعين

سورة العنكبوت ٣٨ - ٤٠

ثم قال عز وجل \* (وعادا وثمود) \* وقال بعضهم انصرف إلى قوله \* (ولقد فتنا الذين من قبلهم) \* [العنكبوت: ٣] وفتنا عادا وثمودا وقال بعضهم انصرف إلى قوله \* (فأخذتهم الرجفة) \* [الأعراف: ٧٨] يعني أخذهم العذاب وأخذ عادا وثمودا ويقال معناه أذكر عادا وثمودا أو يقال صار نصبا لنزع الخافض ومعناه وأرسلنا الرسل إلى عاد وثمود \* (وقد تبين لكم من مساكنهم) \* يعني ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم آية في إهلاكهم \* (وزين لهم الشيطان أعمالهم) \* يعني ضلالتهم \* (فصدهم عن السبيل) \* يعني صرفهم عن الدين ويقال منعهم عن التوحيد ويقال صد يصد صدا إذا منعه وصد يصد صدودا إذا امتنع بنفسه وأعرض \* (وكانوا مستبصرين) \* في دينهم وهم يرون أنهم على الحق وهم على الباطل ويقال \* (كانوا مستبصرين) \* أي ذوي بصيرة ومع ذلك جحدوا

ثم قال عز وجل \* (وقارون وفرعون وهامان) \* يعني أهلكننا قارون وفرعون وهامان \* (ولقد جاءهم موسى بالبينات) \* يعني بالعلامات والآيات \* (فاستكبروا في الأرض) \* يعني طغوا فيها وتعظمووا عن الإيمان \* (وما كانوا سابقين) \* يعني بفائتين من عذابنا قوله عز وجل \* (فكلا أخذنا بذنبه) \* يعني كلهم أهلكناهم بذنوبهم ويقال معناه أهلكننا كل واحد منهم بذنبه لا بذنب غيره \* (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) \* يعني الحجارة وهم قوم لوط \* (ومنهم من أخذته الصيحة) \* وهم قوم صالح \* (ومنهم من خسفنا به الأرض) \* يعني قارون \* (ومنهم من أغرقنا) \* وهم فرعون وقومه وقال القتيبي الأخذ أصله باليد ثم يستعار في

مواضع فيكون بمعنى القبول كقوله عز وجل " وأخذتهم على ذلكم إصري " [آل عمران: ٨١] أي قبلتم عهدي والأخذ التعذيب كقوله " وكذلك أخذ ربك " وكقوله \* (فكلا أخذنا بذنبه) \* يعني عذبنا وكقوله \* (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) \* [غافر: ٥] يعني ليعذبوه

ثم قال \* (وما كان الله ليظلمهم) \* يعني لم يعذبهم بغير جرم منهم \* (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) \* بجرمهم إستوجبوا العقوبة  
سورة العنكبوت ٤١ - ٤٤

قوله عز وجل \* (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) \* يعني مثل عبادتهم الأصنام في الضعف وقلة نفعهم إياهم \* (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت) \* يعني أضعف البيوت \* (لبيت العنكبوت) \* لأنه لا يغني من حر ولا من برد ولا من مطر وكذلك آلهتهم لا يدفعون عنهم ضرا ولا يقدرون لهم نفعاً

ثم قال \* (لو كانوا يعلمون) \* يعني لو كانوا يعلمون أن اتخاذهم الأصنام كذلك لأنهم قد علموا أن بيت العنكبوت أوهن البيوت ولكن قوله \* (لو كانوا يعلمون) \* انصرف إلى قوله \* (اتخذوا) \* يعني لا يعلمون أن هذا مثله

ثم قال عز وجل " إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء " وهذه كلمة تهديد يعني يعلم بعقوبتهم ويقال إن الله يعلم أن الآلهة لا شفاعة لهم ولا قدرة \* (وهو العزيز) \* بالنقمة لمن عصاه \* (الحكيم) \* حكم بالعقوبة على من عبد غيره ويقال حكم أن لا يعبد غيره

ثم قال \* (وتلك الأمثال نضربها للناس) \* يعني أمثال آلهتهم نبينها للناس \* (وما يعقلها إلا العالمون) \* يعني لا يفهمها ولا يعلمها إلا \* (العالمون) \* يعني الموحدون ويقال يعني العاقلين

قرأ أبو عمرو وعاصم \* (إن الله يعلم ما يدعون) \* بالياء على لفظ المغايبة وقرأ الباقون بالتاء على لفظ المخاطبة يعني قل لهم يا محمد إن الله يعلم ما تدعون من دونه  
ثم قال عز وجل \* (خلق الله السماوات والأرض بالحق) \* يعني بالعدل ويقال لبيان الحق ولم يخلقها باطلا \* (إن في ذلك) \* يعني في خلق السماوات والأرض \* (آية) \* يعني لعبرات \* (للمؤمنين) \* يعني المصدقين وإنما أضاف إلى المؤمنين لأنهم هم الذين ينتفعون بها

سورة العنكبوت ٤٥ - ٤٦

قوله عز وجل \* (أتل ما أوحى إليك) \* يعني إقرأ عليهم ما أنزل إليك \* (من الكتاب) \*  
يعني من القرآن ويقال هو أمره بتلاوة القرآن يعني إقرأوا القرآن واعملوا بما فيه " وأقم  
الصلاة " يعني وأتم الصلاة \* (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) \* يعني ما دام  
العبد يصلي لله عز وجل إنتهى عن الفحشاء والمعاصي ويقال " وأقم  
الصلاة " يعني وأد الصلاة الفريضة في مواقيتها بركوعها وسجودها والتضرع بعدها \*  
(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء) \* يعني إذا صلى العبد لله صلاة خاشع يمنعه من

المعاصي لأنه يرق قلبه فلا يميل إلى المعاصي  
وروى أبو أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم تنهه صلاته  
عن الفحشاء والمنكر لم تزده صلاته عند الله إلا مقتا وروى عن الحسن البصري رحمه  
الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم تنهه صلاته عن فحشاء ولا منكر  
لم يزد بها من الله إلا بعدا وقال الحسن إذا لم تنته بصلاتك عن الفحشاء فلست  
بمصل

ثم قال \* (ولذكر الله أكبر) \* يعني أفضل من سائر العبادات وروى عن الحسن البصري  
رحمه الله أنه قال قراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من صلاة لا يكون فيها كثير  
القراءة ثم قرأ هذه الآية \* (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر  
الله أكبر) \* قال مقاتل ولذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه بالصلاة وقال الكلبي يقول  
ذكره إياكم بالخير أكبر من ذكركم إياه والله يذكر من ذكره بالخير

قال أبو الليث رحمه الله حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا الماسرخسي قال حدثنا  
إسحاق قال حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال سألتني ابن  
عباس عن قوله \* (ولذكر الله أكبر) \* فقلت هو التسبيح والتهليل والتقديس فقال لقد  
قلت شيئا عجيبا وإنما هو ذكر الله العباد أكثر من ذكر العباد إياه وقال قتادة \* (ولذكر  
الله أكبر) \* أي ليس شيء أفضل من ذكر الله وسئل سلمان الفارسي أي العمل أفضل  
قال ذكر الله ويقال ذكر الله أفضل من الاشتغال بغيره ويقال ذكر الله حين كتبكم في  
اللوح المحفوظ من المسلمين أفضل ويقال ذكر الله عز وجل بالمغفرة أفضل من ذكرك  
إياه وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من ذكر الله في نفسه ذكره  
الله في نفسه ومن ذكره في ما ذكره الله عز وجل

في ملاٍ أكبر من الملاٍ الذي ذكره فيهم وأطيب ومن تقرب من الله شبرا تقرب الله منه ذراعا يعني بإجابته وتوفيقه ورحمته ومن تقرب إلى الله تعالى ذراعا تقرب الله منه باعا ومن أتى الله ماشيا الله أتاه هرولة يعني بإجابته وتوفيقه ورحمته  
ثم قال تعالى \* (والله يعلم ما تصنعون) \* من الخير والشر فيجازيكم به قوله عز وجل \* (ولا تجادلوا أهل الكتاب) \* قال مقاتل \* (ولا تجادلوا أهل الكتاب) \* يعني مؤمنهم ثم استثنى كفارهم فقال \* (إلا الذين ظلموا منهم) \* يعني \* (إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا) \* فيها تقديم ثم نسخته آية قتال أهل الكتاب وقال الكلبي \* (ولا تجادلوا أهل الكتاب) \* إن الله عز وجل أمر المسلمين إذ كانوا بمكة قبل أن يأمرهم بالقتال فقال \* (ولا تجادلوا) \* من أتاكم من أهل الكتاب \* (إلا بالتي هي أحسن) \* بالقرآن تعظونهم به وتدعونهم إلى الإسلام وهي التي أحسن \* (إلا الذين ظلموا منهم) \* في الملاعة وهم أهل نجران ويقال \* (لا تجادلوا أهل الكتاب) \* يعني لا تخصموهم \* (إلا بالتي هي أحسن) \* يعني إلا بالكلمة التي هي أحسن يعني كلمة التوحيد \* (إلا الذين ظلموا منهم) \* يعني ولا الذين ظلموا منهم ويقال \* (إلا الذين ظلموا منهم) \* فلا بأس بأن تجادلوهم بما هو أشد  
ثم بين الكلمة التي هي أحسن فقال \* (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) \* يعني القرآن والتوراة \* (والهنا وإلهمك واحد) \* يعني ربنا وربكم واحد \* (ونحن له مسلمون) \* يعني مخلصين بالتوحيد

سورة العنكبوت ٤٧ - ٥٠

ثم قال عز وجل \* (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) \* يعني القرآن كما أنزلنا إلى موسى وعيسى عليهما السلام \* (فالذين آتيناهم الكتاب) \* وهم مؤمنو أهل الكتاب \* (يؤمنون به) \* يعني يصدقون بالقرآن \* (ومن هؤلاء من يؤمن به) \* يعني قريشا \* (وما يجحد بآياتنا) \* يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن \* (إلا الكافرون) \* من اليهود ومشركي العرب  
ثم قال عز وجل \* (وما كنت تتلو من قبله من كتاب) \* يعني قبل القرآن " ولا تخطه

بيمينك) يعني لم تكن تكتب شيئاً بيدك \* (إذا لارتاب المبطلون) \* يعني فلو كنت قرأت الكتب أو كنت تكتب بيدك لشك أهل مكة في أمرك ويقولون إنه قرأ الكتب وأخذ منها ويقال معناه \* (لارتاب المبطلون) \* يعني لشك أهل الكتاب في أمرك لأنهم وجدوا في كتبهم نعتة وصفته أنه أمي لا يقرأ الكتب كيلاً يشكوا في صفته \* (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) \* يعني بل هو يقين أنه نبي عند أهل العلم ويقال يعني القرآن \* (آيات بينات) \* يعني واضحات ويقال بل إنه لا يقرأ ولا يكتب آيات بينات لأنه أخبر عن أقاصيص الأولين في صدور الذين أوتوا العلم يعني مؤمني أهل الكتاب \* (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) \* يعني الكافرين قوله عز وجل " وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه " يعني علامة من ربه \* (قل إنما الآيات) \* يعني العلامات \* (عند الله) \* يعني من عند الله عز وجل وليس بيدي شيء \* (وإنما أنا نذير مبين) \* يعني مخوفاً مفقها لكم أنبئكم بلغة تعرفونها قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص \* (آيات) \* بلفظ الجماعة يعني آيات القرآن وقرأ الباقون \* (أيه) \* يعني آية واحدة يعني أنه كان لا يكتب وكان له في ذلك آية بينة لنبوته ويجوز أن يكون معناه الآيات للجنس

سورة العنكبوت ٥١ - ٥٢

ثم قال عز وجل \* (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب) \* يعني القرآن فيه خبر ما مضى وخبر ما يكون \* (أو لم يكفهم) \* هذا علامة ويقال \* (أو لم يكفهم) \* أنهم فصحاء فجاءهم بالقرآن الذي أعجزهم عن ذلك وقال الزجاج كان قوم من المسلمين كتبوا شيئاً عن اليهود فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بهذا حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما أتاهم به نبيهم إلى ما أتى به غير نبيهم قال الله عز وجل " أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب " \* (يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة) \* يعني في هذا القرآن لنعمة لمن آمن به \* (وذكرى) \* أي موعظة ويقال تفكر \* (لقوم يؤمنون) \* يعني يصدقون بالقرآن فقال له كعب بن الأشرف وقد كان قدم مكة من يشهد لك أنك رسول الله إن لم نشهد لك فنزل \* (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً) \* بأني رسول الله \* (يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل) \* يعني

بالصنم ويقال بالشيطان ويقال بالطاغوت وهو كعب بن الأشرف \* (و كفروا بالله) \*  
يعني جحدوا وحدانية الله عز وجل \* (أولئك هم الخاسرون) \* يعني المغبونين في  
العقوبة ويقال خسروا حيث إستوجبوا لأنفسهم العقوبة  
سورة العنكبوت ٥٣ - ٥٦

ثم قال عز وجل \* (ويستعجلونك بالعذاب) \* وذلك أنهم قالوا إئتنا بعذاب الله يقول  
الله عز وجل \* (ولولا أجل مسمى) \* يقول لولا الوقت الذي وقت لهم \* (لجاءهم  
العذاب وليأتينهم بغتة) \* يعني فجأة \* (وهم لا يشعرون) \* بنزول العذاب \*  
(يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) \* يعني جعلت لهم النار تحيط  
بهم

قوله عز وجل \* (يوم يغشاهم العذاب) \* يعني يعلوهم العذاب \* (من فوقهم ومن تحت  
أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) \* قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو \* (ونقول  
ذوقوا) \* بالنون يعني نقول لهم نحن ذوقوا وهي حكاية عن الله سبحانه وتعالى بلفظ  
الجماعة وهو لفظ الملوك وقرأ الباقر بالبياء يعني يقول الله عز وجل ويقال وتقول لهم  
الخزنة \* (ذوقوا ما كنتم تعملون) \* يعني جربوا عقوبة ما كنتم تعملون في الدنيا  
ثم قال عز وجل \* (يا عبادي الذين آمنوا) \* قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو بسكون  
الياء وقرأ الباقر بنصب الياء \* (يا عبادي) \* وقرأ ابن عامر وحده \* (إن أرضي واسعة)  
\* بنصب الياء وقرأ الباقر بسكونها في مثل هذه المواضع لغتان يجوز كلاهما ومعناه  
إن أرضي واسعة إذا أمرتم بالمعصية والبدعة فاهربوا ولا تطيعوا في المعصية نزلت في  
ضعفاء المسلمين \* (إن كنتم) \* يعني إذا كنتم في ضيق من إظهار الإسلام بمكة " فإن  
أرضي واسعة " يعني المدينة واسعة بإظهار الإسلام وروي عن الحسن عن النبي صلى  
الله عليه وسلم إنه قال من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض  
إستوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام وإنما خص إبراهيم لأنه قال  
" إني مهاجر إلى ربي " [العنكبوت: ٢٦] ففر بدينه إلى الأرض المقدسة وإنما خص  
محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه هاجر من مكة إلى المدينة ويقال إن القوم كانوا في  
ضيق من العيش فقال إن كنتم تخافون شدة العيش فإن أرضي واسعة \* (فإياي فاعبدون)  
\* يعني فوحدون بالمدينة علانية  
سورة العنكبوت ٥٧ - ٥٩

ثم خوفهم بالموت ليهاجروا فقال عز وجل \* (كل نفس ذائقة الموت) \* لأنهم كانوا يخافون على أنفسهم بالخروج فقال لهم لا تخافوا فإن \* (كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون) \* في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم قرأ عاصم في رواية أبي بكر \* (يرجعون) \* بالياء بلفظ المغايبة على معنى الخبر عنهم وقرأ الباقون بالتاء على معنى الخطاب لهم

ثم قال عز وجل \* (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) \* يعني صدقوا بالله ورسوله \* (وعملوا الصالحات) \* يعني الطاعات وهاجروا فسمى الهجرة من الأعمال الصالحة لأنها كانت فريضة في تلك الأوقات \* (لنبؤئهم) \* يعني لننزلهم ولنسكنهم \* (من الجنة غرفا) \* يعني غرفا من الجنة قرأ حمزة والكسائي "لنؤينهم" بالثاء وقرأ الباقون \* (لنبؤئهم) \* بالياء فمن قرأ بالثاء فهو من ثويت بالمكان يعني أقمت به كقوله \* (وما كنت ثاويا في أهل مدين) \* [القصص: ٤٥] ومن قرأ بالياء يعني لننزلهم وذكر عن الفراء أنه قال كلاهما واحد بوائه منزلا أي أنزلته وأثويته منزلا يعني أنزلته سواء كقوله \* (وما كنت ثاويا) \*

ثم قال \* (تجري من تحتها الأنهار خالددين فيها نعم أجر العاملين) \* يعني ثوابهم ثواب الموحدين

قوله عز وجل \* (الذين صبروا) \* على الهجرة ويقال صبروا على أمر الله تعالى \* (وعلى ربهم يتوكلون) \* يعني يثقون به ولا يهتمون للرزق لأنهم كانوا يقولون كيف نهاجر وليس لنا مال ولا معيشة فوعظهم الله ليعتبروا  
سورة العنكبوت ٦٠ - ٦٣

قال تعالى \* (وكأين من دابة) \* يعني وكم من دابة في الأرض أو من طائر في السماء \* (لا تحمل رزقها) \* معها ولا يجمع الغذاء إلا النملة والفأرة ويقال لا تخبئ رزقها ثم قال \* (الله يرزقها وإياكم) \* يعني يرزق الدواب حيث ما توجهت وإياكم إذا هاجرتم إلى المدينة \* (وهو السميع) \* لمقالتكم \* (العليم) \* بكم  
ثم قال عز وجل \* (ولئن سألتهم) \* يعني كفار مكة \* (من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) \* يعني من أين يكذبون بتوحيد الله عز وجل

ثم رجع إلى أهل الهجرة ورغبهم فيها فقال " الله يبسط الرزق لمن يشاء " يعني يوسع على من يشاء \* (من عباده ويقدر له) \* يعني ويقتر لمن يشاء " إن الله بكل شيء عليم " من البسط والتقتير

قوله عز وجل " ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها " يعني من بعد يبسها وقحطها \* (ليقولن الله قل الحمد لله) \* على إقرارهم بذلك \* (بل أكثرهم لا يعقلون) \* توحيد ربهم وهم مقرون بالله عز وجل خالق هذه الأشياء  
سورة العنكبوت ٦٤ - ٦٩

قوله عز وجل \* (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو) \* يعني باطل \* (ولعب) \* كلب الصبيان ولهو كلهو الشبان ويقال فرح لا يبقى للخلق ولا يبقى فيها إلا العمل الصالح روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاها أو عالما أو متعلما وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر بسخلة ميتة فقال والذي نفسي بيده للدنيا على الله أهون من هذه السخلة على أهلها \* (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان) \* يعني هي دار الحياة لا موت فيها \* (لو كانوا يعلمون) \* يعني لو كانوا يصدقون بثواب الله عز وجل  
ثم قال \* (فإذا ركبوا في الفلك) \* يعني في السفن \* (دعوا الله مخلصين له الدين) \* يعني موحدين وتركوا دعاء أصنامهم ويعلمون أنه لا يجيبهم أحد إلا الله تعالى \* (فلما نجاهم إلى البر) \* يعني إلى القرار \* (إذا هم يشركون) \* به  
قوله عز وجل \* (ليكفروا بما آتيناهم) \* يعني ما أعطيناهم من النعم \* (وليتمتعوا) \* قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر ونافع في رواية ورش \* (وليتمتعوا) \* بكسر اللام وقرأ الباقون بالجزم فمن قرأ بالكسر فمعناه لكي يتمتعوا لأن الكلام عطف على ما قبله يعني يشركون لكي يكفروا ولكي يتمتعوا في الدنيا ومن قرأ بالجزم فهو على معنى التهديد والتوبيخ بلفظ الأمر وتشهد له قراءة أبي كان يقرأ \* (تمتعوا فسوف تعلمون) \* ومعناه وليتمتعوا يعني وليعيشوا فسوف يعلمون إذا نزل بهم العذاب  
ثم قال عز وجل \* (أولم يروا) \* يعني أولم يعلموا ليعتبروا " أنا جعلنا حرما آمنا



ويتخطف الناس من حولهم) يعني يختلس الناس فيقتلون ويسبون وهم آمنون يأكلون رزقي ويعبدون غيري فكيف أسلط عليهم إذا أسلموا \* (أفبالباطل يؤمنون) \* يعني أفبالشيطان يصدقون أن لي شريكا ويقال أفبالأصنام يؤمنون \* (وبنعمة الله يكفرون) \* يعني وبخالق هذه النعمة ورسوله يجحدون

ثم قال عز وجل \* (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) \* بأن معه شريكا \* (أو كذب بالحق) \* يعني بالقرآن \* (لما جاءه) \* أي حين جاءه \* (أليس في جهنم مثوى للكافرين) \* أي مقاما للكافرين كما قال \* (فريق في الجنة وفريق في السعير) \* [الشورى: ٧]

ثم قال عز وجل \* (والذين جاهدوا فينا) \* يعني رغبوا في طاعتنا \* (لنهديهم سبلنا) \* يعني لنعرفنهم طريقنا ويقال معناه لنرشدنهم طريق الجنة \* (وإن الله لمع المحسنين) \* يعني في العون لهم ويقال والذين عملوا بما علموا لنوفقنهم لما لم يعلموا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم